لُبَابُ التَّفَاسِيرِ

تأليفُ الإمامِ المُفسِّرِ

تاجِ القُرَّاءِ الكَرْمانيِّ

بُرْهانِ الدِّينِ أبي القاسمِ محمودِ بنِ حَمْزةَ بنِ نصرٍ الكَرْمانيِّ

المُتوفَّى بعْدَ سنةِ ٥٠٠هـ

يُطبعُ أوَّلَ مرّةٍ محقّقاً على ثلاثِ نُسَخٍ خطّيّةٍ

تحقيقُ وتعليقُ

محمّد عبد الحليم بعّاج

دار اللُّباب

لباب التفاسير

(٦)

حُقوقُ الطّبعِ محفُوظَة

الطبعَة الأولىٰ

١٤٤٣هـ ـ ٢٠٢١م

يُمنع طباعةُ هذا الكتاب أو ترجمته أو تصويرُه ورقياً أو إلكترونياً

إلا بإذن خطي من الدار الناشرة

تحت المُساءلة الدُّنيوية والأُخروية

9 789933 930271

دار اللُّباب

للدِّراسات وتحقيق التُّراث

DAR-ALLOBAB

Lubab Yazma Eserleri İhya ve İlmi Araştırma Yayınları

اسطنبول ـ تركيا
00902125255551
00905454729850

دمشق ـ سوريا
00963993151546
info@allobab.com
Www.allobab.com

بيروت ـ لبنان
009615813966
0096170112990

İskenderpaşa mh. Kıztaşı cd. No:7 D:5 Fatih (Özel Fatih Hastanesi Karşısı)

لباب التفاسير

تأليف الإمام المفسر

تاج القرّاء الكرماني

برهان الدين أبي القاسم محمود بن حمزة بن نصر الكرماني

المتوفى بعد سنة ٥٠٠هـ

يطبع أول مرة محققاً على ثلاث نسخ خطية

تحقيق وتعليق

محمد عبد الحليم بعاج

المجلد السادس

دار اللباب

بسم الله الرحمن الرحيم

سُورَةُ الأَنبِيَاءِ

سُورَةُ الأَنبِيَاءِ

عليهم السّلام

مئةٌ واثنتا عَشْرَةَ آيةً، مكيَّةٌ[1].

ابنُ مسعود رضي الله عنه: سورةُ بني إسرائيل والكهفِ ومريمَ وطه والأنبياءِ هي من العِتَاقِ الأُوَل، وهنَّ من تِلَادي[2].

بسم الله الرّحمن الرّحيم

(١) ـ ﴿ٱقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِى غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ﴾.

﴿ٱقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِى غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ﴾ ابنُ عيسى: الاقترابُ: قِصَرُ المدَّة للشَّيء بالإضافة إلى ما مَضَى من زمانه[3].

وحقيقةُ القرب: قلَّةُ ما بين الشَّيئين.

وهو على ثلاثةِ أوجهٍ: قربُ زمانٍ، وقربُ مكانٍ، وقربُ حالٍ.

والحسابُ: إخراجُ الكمِّيَّة من مَبلغِ العدد[4].

والغفلةُ: ذهابُ المعنى عن النَّفس.

---

(١) في الكوفي، وإحدى عشرة في عدد الباقين. انظر: «البيان» للداني (ص: ١٨٧).

(٢) رواه البخاري (٤٩٩٤). أراد بالعتاق الأول: السور التي نزلت أولًا بمكة، ولذلك قال: «تلادي» يعني: من أول ما تعلمته، والتلاد والتالد: المال الموروث القديم، والطريف: المكتسب. انظر: «جامع الأصول» (٢/ ٢١٠).

(٣) ذكر نحوه الواحدي في البسيط (١٥/ ٨) بلا نسبة.

(٤) في (ن): «العدة».

والإعراضُ: الذَّهاب عن الشَّيء إلى غيرِ عُرْضِه؛ أي: ناحيته(١).

والمعنى: ﴿ٱقۡتَرَبَ﴾ لأهلِ مكّة ـ وقيل: عامٌّ في منكري البعث ـ ﴿حِسَابُهُمۡ﴾: وقتُ محاسبةِ الله إيَّاهم ومجازاتِه لهم على أعمالهم؛ يعني: يومَ القيامة؛ لأنَّ ما هو آتٍ قريبٌ؛ لدخوله فيما ينقضي.

﴿وَهُمۡ فِي غَفۡلَةٖ﴾ عن التَّأهُّبِ لها ﴿مُّعۡرِضُونَ﴾ عن الإيمان. وقيل: تأتيهِم بغتةً.

* * *

(٢) ـ ﴿مَا يَأۡتِيهِم مِّن ذِكۡرٖ مِّن رَّبِّهِم مُّحۡدَثٍ إِلَّا ٱسۡتَمَعُوهُ وَهُمۡ يَلۡعَبُونَ﴾.

﴿مَا يَأۡتِيهِم مِّن ذِكۡرٖ مِّن رَّبِّهِم﴾ قيل: من القرآنِ، وقيل: من الوعظ، وقيل: الذِّكرُ: محمَّدٌ ﷺ، بدليلِ قوله حكايةً عنهم: ﴿هَلۡ هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٞ مِّثۡلُكُمۡ﴾ [الأنبياء: ٣]. والوجه الأوّل.

﴿مُّحۡدَثٍ﴾ بالتَّنزيل، يُنزِّله الله ليذكِّرهم ويَعِظَهم به، ومَن جعَل الذِّكرَ الرَّسولَ(٢) قال: محدَثٍ بالإرسال.

﴿إِلَّا ٱسۡتَمَعُوهُ﴾: أَصْغَوا إليه، وقيل: أَدْرَكوه، والاستماعُ يأتي للمعنيَيْنِ.

﴿وَهُمۡ يَلۡعَبُونَ﴾ مستهزِئون به.

* * *

(٣) ـ ﴿لَاهِيَةٗ قُلُوبُهُمۡۗ وَأَسَرُّواْ ٱلنَّجۡوَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ هَلۡ هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٞ مِّثۡلُكُمۡۖ أَفَتَأۡتُونَ ٱلسِّحۡرَ وَأَنتُمۡ تُبۡصِرُونَ﴾.

﴿لَاهِيَةٗ قُلُوبُهُمۡ﴾: ساهيةً غافلةً، وقيل: هو من اللَّهو واللَّعب؛ أي: قلوبهم في اللَّعب.

---

(١) ذكره النيسابوري في «تفسيره» (٤/ ٣٨٠).

(٢) في (ن): «للرسول».

﴿وَأَسَرُّواْ ٱلنَّجْوَى﴾ قيل: كتموه، وهو الأظهرُ، وقيل: أظهروا ﴿ٱلنَّجْوَى﴾: ما تحدَّثوا به سرًّا.

﴿ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ﴾: كفروا. واختلف النُّحاةُ في ارتفاعه:

فقال بعضُهم: بدلٌ من الواو في ﴿أَسَرُّوا﴾، وهو قولُ أكثرهم.

وقال بعضُهم: خبرُ مبتدأٍ؛ أي: هم الذين ظلموا.

وقيل: هذا على لغةِ أَزْدِ شَنُوءَةَ[1]، كما قال:

يَلُومُونني في اشتراءِ النَّخيـ ـلِ أهلي وكلُّهمُ ألومُ[2]

الكسائيُّ: رفعٌ بالابتداء، وفيه تأخيرٌ؛ أي: الذين ظلموا أسرُّوا النَّجوى[3].

وقيل: محلُّه نصبٌ بإضمار: أعني.

---

(١) أي: هو فاعل (أَسَرُّوا) والواوُ حرفٌ دالٌّ على الجمعيَّة كواوِ (قائمون) وتاء (قامت) وهذا على لغة: (أكلوني البراغيث)، وقد كرَّر سيبويه ذكرها من غير تضعيف، وهي لغةٌ حسنةٌ على ما نص أبو حيان وليست شاذةً كما زعمه بعضهم، وعليه خُرِّجَ قولُه: ﴿ثُمَّ عَمُواْ وَصَمُّواْ كَثِيرٌ مِّنْهُمْ﴾ [المائدة: ٧١]، وقد تقدم الكلام على هذه اللغة ثمة. انظر: «الكتاب» (١/ ١٧٩) و«معاني القرآن» للأخفش (١/ ٢٨٦) و«البحر» (٧/ ٤٠٨)، و«روح المعاني» (٩/ ٩).

(٢) نسب لأحيحة بن الجلاح في: «الأزمنة والأمكنة» للأصفهاني (ص: ٥١٩)، و«شرح ديوان المتنبي» لأبي العلاء المعري (ص: ٢٤٢)، و«محاضرات الأدباء» للراغب (٢/ ٦١٦).

ونسب لأمية ابن أبي الصلت في «شرح ألفية ابن مالك» للشاطبي (٢/ ٥٥٧)، وهو في «ملحق ديوانه» (ص: ٥٥٤)، والبيت فيهما برواية: «فكلهم يعذلُ»، ومثله في رواية الراغب، وكذا ذكره أبو سعيد السيرافي في «شرح كتاب سيبويه» (٢/ ٣٦٦)، ولعله الأرجح فإن بعده:

وأهلُ الذي باع يَلْحَوْنَه كما لُحِيَ البائعُ الأوَّلُ

(٣) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (١٨/ ٩٩)، والبغوي في «تفسيره» (٣/ ٢٨٣)، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٧٣٤) دون نسبة، وعدَّه من العجائب.

وقيل: محلُّه جرٌّ بالبدلِ عن (النَّاس)[١].

ويَحتمِلُ أنَّه رفعٌ بإضمارِ القولِ؛ أي: وأسرُّوا النَّجوى وقال الذين ظلموا[٢]، وإضمارُ القول كثيرٌ، وهذا ظاهرٌ، واللهُ أعلمُ.

﴿هَلْ هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ﴾: آدميٌّ مثلُكم؛ يَعْنون: محمَّداً ﷺ، وهذا تفسيرُ النَّجوى، أو محكيُّ القول كما ذكَرْتُ.

﴿أَفَتَأْتُونَ ٱلسِّحْرَ وَأَنتُمْ تُبْصِرُونَ﴾: أتقْبلون سِحرَه وأنتم تَروْنَ أنَّه رجلٌ مثلُكم؟!

وقيل: أتقْبَلونه وأنتم تعلمون أنَّه سحرٌ؟! وقيل: تَقْبَلون وأنتم عقلاءُ؟!

وعَنَوا بالسِّحر: القرآن.

* * *

(٤) ـ ﴿قَالَ رَبِّي يَعْلَمُ ٱلْقَوْلَ فِي ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾.

﴿قل﴾ يا محمَّد؛ أي: أَجِبْهم ﴿رَبِّي يَعْلَمُ ٱلْقَوْلَ﴾: ما يقالُ ﴿فِي ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ﴾.

ومَن قرأ: ﴿قَالَ﴾[٣] فعلى الحكايةِ من محمَّدٍ ﷺ.

﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ فلا يَخْفَى عليه سرُّكم ونجواكم.

* * *

---

(١) ذكره الفراء في «معاني القرآن» (١/ ٣١٧)، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٧٣٣)، واستغربه.

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٧٣٤)، واستغربه.

(٣) قرأ بها حمزة والكسائي وحفص، والباقون: (قل). انظر: «السبعة» (ص: ٤٢٨)، و«التيسير» (ص: ١٥٤).

(٥) ـ ﴿بَلْ قَالُوٓاْ أَضْغَٰثُ أَحْلَٰمٍۭ بَلِ ٱفْتَرَىٰهُ بَلْ هُوَ شَاعِرٌ فَلْيَأْتِنَا بِـَٔايَةٍ كَمَآ أُرْسِلَ ٱلْأَوَّلُونَ﴾.

﴿بَلْ قَالُوٓاْ﴾ ﴿بَلْ﴾ يأتي على وجهين:

أحدهما: الإضرابُ عن الأوَّل والإثباتُ للثَّاني.

والثَّاني: إتمامُ[1] الأوَّل والابتداءُ بالثَّاني.

وما كان في حقِّ الله سبحانه وتعالى فمِن الوجهِ الثَّاني[2]، وهو قوله: ﴿أَضْغَٰثُ أَحْلَٰمٍۭ﴾؛ أي: أشياءُ مختلفةٌ رآها في المنام ﴿بَلِ ٱفْتَرَىٰهُ﴾: اختلَقَه مِن تلقاءِ نفسِه وأضافه إلى الله ﴿بَلْ هُوَ شَاعِرٌ﴾ كسائرِ الشُّعراء تفرَّدَ بنوعٍ منه.

أي: قسَّموا الكلامَ في القرآن أربعةَ أقسامٍ؛ فقائلٌ: هو سحرٌ، وقائلٌ: هو أضغاث أحلامٍ، وقائلٌ: هو مفترًى، وقائلٌ: هو شعرٌ.

ويجوز أن يكون التَّقدير: ناقَضُوا قولَهم، فمرَّةً يقولون: هو كذا، ومرَّةً يقولون: هو كذا.

و﴿بَلْ﴾ الحرفُ الثَّاني والثَّالثُ يجوزُ أن يكونَ من الله كالأوَّل على التَّأويل الذي ذكرتُ، ويجوز أن يكون محكيًّا عنهم.

﴿فَلْيَأْتِنَا بِـَٔايَةٍ كَمَآ أُرْسِلَ ٱلْأَوَّلُونَ﴾ إن كانت دعواه صادقةً وليس[3] كما نظنُّ، فلْيأْتنا بمعجزةٍ ظاهرةٍ كما أُرْسِلَ مَن قبْلَه باليدِ البيضاء، والعصا، وإبراءِ الأكمه والأبرص، وإحياء الموتى.

---

(١) في (ن): «لتمام».

(٢) ذكر لك الزجاج في «حروف المعاني والصفات» (ص: ١٤ ـ ١٥)، وابن مالك في «شرح الكافية الشافية» (٣/ ١٢٣٣).

(٣) في (ق): «ليست».

(٦) ـ ﴿مَآ ءَامَنَتْ قَبْلَهُم مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَٰهَآ أَفَهُمْ يُؤْمِنُونَ﴾.

﴿مَآ ءَامَنَتْ قَبْلَهُم مِّن قَرْيَةٍ﴾؛ أي: مِن أهل قريةٍ ﴿أَهْلَكْنَٰهَآ﴾: حكَمْنا بإهلاكها، وقيل: مِن القرى المهلَكةِ بما اقْتَرحوا من الآياتِ لمّا جاءت؛ لأنَّهم طلبوها تعنُّتاً.

﴿أَفَهُمْ يُؤْمِنُونَ﴾: استفهامُ تبعيدٍ وإنكارٍ؛ أي: فلا تأتيهم؛ إذ قَضَيْنا في السَّابق ألَّا نعذِّبَ أمَّةَ محمَّدٍ ﷺ بالاستئصال.

* * *

(٧) ـ ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِىٓ إِلَيْهِمْ فَسْـَٔلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾.

﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِىٓ إِلَيْهِمْ﴾ هذا جوابُ قولهم: ﴿هَلْ هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ﴾.

﴿فَسْـَٔلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ﴾: الكتبِ المتقدِّمة، وقيل: مَن آمَنَ منهم.

وعن عليٍّ كرَّم الله وجهه: نحن أهلُ الذِّكر[١]؛ يعني: المؤمنين، والسُّؤالُ شفاءٌ من الجهل.

وقيل: ﴿ٱلذِّكْرِ﴾: العِلْمُ بأخبارِ مَن مضى من الأمم[٢].

﴿إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾.

* * *

(٨) ـ ﴿وَمَا جَعَلْنَٰهُمْ جَسَدًا لَّا يَأْكُلُونَ ٱلطَّعَامَ وَمَا كَانُوا۟ خَٰلِدِينَ﴾.

﴿وَمَا جَعَلْنَٰهُمْ جَسَدًا لَّا يَأْكُلُونَ ٱلطَّعَامَ وَمَا كَانُوا۟ خَٰلِدِينَ﴾؛ أي: وما جعلْنا الرُّسلَ ذوي أجسادٍ لا يأكلون الطَّعام ولا يموتون.

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (١٦/ ٢٢٩).

(٢) ذكر المصنف هذا القول والذي قبله في «غرائب التفسير» (٢/ ٧٣٥)، واستغربهما.

وقيل: وما جعَلْناهم أجساداً لا يأكلون؛ ذهب بها مذهَبَ أربابها من العقلاء[١].

وقيل: الجسد في الأصل مصدرٌ سمِّي به، ولهذا لم يُجمع.

ويحتمِل: وما جعَلْنا كلَّ واحدٍ جسداً.

مجاهدٌ: الجسد: ما لا يأكلُ ولا يشربُ[٢].

والجسم[٣]: ما له ثلاثةُ أبعادٍ؛ الطُّولُ والعَرْضُ والعُمْقُ[٤]، وكلُّ ما له قِوامٌ بذاته فهو جسدٌ.

والمعنى: هم من جميعِ الوجوهِ كسائرِ بني آدمَ إلَّا في رتبةِ النُّبوَّة وشَرَفِ المنزِلة.

***

(٩) ـ ﴿ثُمَّ صَدَقْنَاهُمُ الْوَعْدَ فَأَنجَيْنَاهُمْ وَمَن نَّشَاءُ وَأَهْلَكْنَا الْمُسْرِفِينَ﴾.

﴿ثُمَّ صَدَقْنَاهُمُ الْوَعْدَ فَأَنجَيْنَاهُمْ وَمَن نَّشَاءُ وَأَهْلَكْنَا الْمُسْرِفِينَ﴾؛ أي: أنجزنا وعدنا؛ فأنجينا الأنبياء والمؤمنين، وأنزلنا وعيدنا بالكافرين.

والإسراف: مجاوزةُ الحدِّ المحمودِ إلى الباطلِ المذموم[٥].

***

---

(١) أي: عامل لفظ (الأجساد) معاملة أصحابها العقلاء، فأعاد الضمير عليها بالواو والنون، ولم يقل: أجساداً لا تأكل، والله أعلم.

(٢) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٣/ ٤٣٨).

(٣) في (ف) زيادة: «والجسد».

(٤) ذكره الخوارزمي في «مفاتيح العلوم» (ص: ٢٢٦).

(٥) ذكر نحوه الخطيب الإسكافي في «درة التنزيل» (٢/ ٦٣٢).

(١٠) ـ ﴿لَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ كِتَٰبًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾.

﴿لَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ كِتَٰبًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ﴾ يعني: القرآنَ، فيه شرفكم ومنزلتكم.

وقيل: ذكرُ دِينكم ودُنياكم. وقيل: تذكيرُكم ووعظُكم. وقيل: حديثُكم. وقيل: ما يُتذكَّر به ويُهتدَى.

﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ ما فضَّلتُكم به على غيرِكم.

***

(١١) ـ ﴿وَكَمْ قَصَمْنَا مِن قَرْيَةٍ كَانَتْ ظَالِمَةً وَأَنشَأْنَا بَعْدَهَا قَوْمًا ءَاخَرِينَ﴾.

﴿وَكَمْ قَصَمْنَا مِن قَرْيَةٍ﴾: أهلَكْنا أهلَ قريةٍ.

والقَصْمُ: كسرُ الشَّيء الصُّلْب حتَّى يَبِينَ[١].

﴿كَانَتْ ظَالِمَةً﴾؛ أي: أهلُها ظالمون ﴿وَأَنشَأْنَا بَعْدَهَا﴾: بعد إهلاكِ أهلِها ﴿قَوْمًا ءَاخَرِينَ﴾.

والإنشاءُ: إحداثُ الشَّيء.

ابنُ عيسى: إيجادُ الشَّيء من غيرِ سببٍ، تقول: أنشأَهُ فنشأَ، وهو ناشئٌ، والجمعُ: نَشأٌ، كخادمٍ وخَدَمٍ، وخارِبٍ وخَرَبٍ[٢].

***

(١٢) ـ ﴿فَلَمَّآ أَحَسُّواْ بَأْسَنَآ إِذَا هُم مِّنْهَا يَرْكُضُونَ﴾.

﴿فَلَمَّآ أَحَسُّواْ بَأْسَنَآ﴾؛ أي: أدركوا بحواسِّهم عذابَنا؛ يعني: أهلَ القريةِ المهلَكةِ

---

(١) انظر: «كتاب الألفاظ» لابن السكيت (ص: ٩٣)، و«فقه اللغة» للثعالبي (ص: ١٦٦) و«المحكم» (٦/ ٢١٩)، وقد ذكره أبو حيان في «البحر المحيط» (٧/ ٤٠٥) بلفظ المصنف.

(٢) ذكره أبو حيان في «البحر المحيط» (٧/ ٤١٢)، لكنه نسب في المطبوع منه لابن عباس، ولا شك أنه تصحيف، وذكر نحوه العسكري في «الفروق» (ص: ١٣٤)، وابن فورك في «تفسيره».

﴿إِذَا هُم مِّنْهَا يَرْكُضُونَ﴾: من القريةِ ﴿يَرْكُضُونَ﴾: يَخرجون مسرعينَ، وقيل: يَهْرُبون سراعاً.

وقيل: يركضون على أرجلهم فارِّين، تقول: ركَضْتُ الدَّابَّةَ؛ إذا ضَرَبْتَه[1] لتَجِدَّ في السَّير، وركَضْتُ برِجلي على الأرض؛ إذا ضرَبْتَها بها.

* * *

(١٣ ـ ١٤) ـ ﴿لَا تَرْكُضُوا وَارْجِعُوا إِلَىٰ مَا أُتْرِفْتُمْ فِيهِ وَمَسَاكِنِكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْأَلُونَ ۝١٣ قَالُوا يَا وَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ﴾.

﴿لَا تَرْكُضُوا﴾؛ أي: قيل لهم: لا تركُضُوا؛ فإنَّ هرَبَكم لا ينفعُكم، وسعيَكم لا يُغنِيْكم من القَدَر.

﴿وَارْجِعُوا إِلَىٰ مَا أُتْرِفْتُمْ فِيهِ﴾: إلى تَنعُّمِكم، والتَّرَفُّهُ: التَّلذُّذُ بالنِّعمة.

﴿وَمَسَاكِنِكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْأَلُونَ﴾ فيه أقوالٌ:

الحسنُ: ستُعذَّبون[2]، و(لعلَّ) من اللهِ واجبٌ.

قتادةُ: هذا على وجهِ السُّخريَة والاستهزاء[3].

مجاهدٌ: لعلَّكم تَفْقَهون بالمسألة[4].

---

(١) كذا في النسختين، والجادة: «ضربتها».

(٢) ذكره الواحدي في «البسيط» (١٥/ ٢٣)، والمصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٧٣٥).

(٣) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (١٨٥١)، والطبري في «تفسيره» (١٦/ ٢٣٥ ـ ٢٣٦)، والثعلبي في «تفسيره» (٦/ ٢٧١)، وابن المنذر وابن أبي حاتم كما في «الدر المنثور» (٥/ ٦١٨)، بلفظ: «﴿وَارْجِعُوا إِلَىٰ مَا أُتْرِفْتُمْ فِيهِ﴾: ارجعوا إلى دنياكم التي أترفتم فيها ﴿لَعَلَّكُمْ تُسْأَلُونَ﴾ من دنياكم شيئًا، استهزاء بهم».

(٤) رواه الطبري في «تفسيره» (١٦/ ٢٣٥)، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٧٣٥)، واستغربه.

الكلبيُّ: هم أهلُ حَضوراءَ(١) من قرى اليمن، أرسل الله إليهم نبيًّا فكذَّبوه ثم قتلوه، فسلَّط الله عليهم بختنصَّر فقاتلهم(٢) فهزمهم، فمرُّوا على دُورهم ولم يَلْوُوا على شيءٍ منها، فردَّهم الملائكةُ حتَّى رجعوا إلى دُورهم، فدخل عليهم بختَنصَّرَ فأهلَكهم، والملائكةُ يقولون: يا ثارات فلانٍ، يسمُّونه، فلمَّا سمعوا ذلك ﴿قَالُواْ يَٰوَيۡلَنَآ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ﴾(٣).

وقيل: لعلَّكم تُسألون الإيمانَ كما سُئِلْتُموه قبلَ نزولِ العذاب.

وقيل: لعلَّكم تُسألون مِن دنياكُم أشياءَ؛ استهزاءً بهم.

الزَّجَّاج: تُسألون أشياءَ ممَّا أُتْرِفْتُم فيه(٤).

وقيل: لعلَّكم تُسألون عمَّا تشاهدون فتُجيبوا.

ويَحتمِلُ على قولِ الكلبيِّ أنَّهم خرجوا هرباً من بختَنَصَّرَ فأوقَعَ اللهُ في قلوبهم ـ أو قال بعضهم لبعضٍ ـ: لا تهربوا وارجِعوا إلى منازلكم وأموالِكم لعلَّكم

(١) في النسختين الخطيتين: «حصوراء»، والتصويب من مصادر التخريج.

(٢) في (ف): «فقاتلوه».

(٣) ذكره السمرقندي في «تفسيره» (٢/ ٤٢١) عن ابن عباس رضي الله عنهما، وذكر نحوه ابن عبد ربه في «العقد» (٣/ ٣٣٦)، والسهيلي في «التعريف والإعلام» (ص: ١١٢)، والطبري في «تفسيره» (١٤/ ١٨١) عن أهل التفسير والأخبار، واسم المدينة عندهم: حضور، واسم نبيهم الذي قتلوه: شعيب بن ذي مهدم.

وفي «البسيط» للواحدي (١٥/ ٢٧) عن ابن عباس: «يريد مدائن كانت باليمن؛ حَضُوراء وبيت شِبَام مدائن كثيرة»، وقد ذكر محققه أن كلمة (حضوراء) بالمهملة في معظم النسخ الخطية، كما في النسخ الخطية لـ«لباب التفاسير»، وقد ورد اسمها بالمعجمة أيضاً في «تفسير الثعلبي» (٨/ ١٠٧)، و«معجم البلدان» لياقوت (٢/ ٢٧٢)، وهو الصواب والله أعلم.

(٤) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٣/ ٣٨٦).

تُسـألون مـالاً وخراجـاً؛ أي: نُرْضـي بختَنَصَّرَ بالمال فـلا يتعرَّض للقتـل والقتال.

﴿قَالُواْ يَٰوَيْلَنَآ﴾؛ أي: هلكْنا ووقَعْنا في أشدِّ البلاء ﴿إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ﴾: أَقَرُّوا على أنفسِهم بظلمِهم بالإشراك بالله وقتلِ نبيِّهم.

***

(١٥) ـ ﴿فَمَا زَالَت تِّلْكَ دَعْوَىٰهُمْ حَتَّىٰ جَعَلْنَٰهُمْ حَصِيدًا خَٰمِدِينَ﴾.

﴿فَمَا زَالَت تِّلْكَ دَعْوَىٰهُمْ﴾: لم يزالوا يردِّدون كلمةَ الويل، والدَّعوى: الادِّعاء.

﴿حَتَّىٰ جَعَلْنَٰهُمْ حَصِيدًا﴾: محصوداً بالسَّيف.

الحسن: مُستأصَلاً بالعذاب(١).

ووحَّد لأنَّ (فَعِيلاً) قد يقعُ مَوقعَ الجمع، وقيل: بل أُجري مجرى المصادر(٢).

﴿خَٰمِدِينَ﴾: ميِّتين، مِن خَمَدتِ النَّارُ خُموداً.

***

(١٦) ـ ﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَٰعِبِينَ﴾.

﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَٰعِبِينَ﴾ اللَّعِبُ: فِعْلٌ يدعو إليه الجهلُ، يَرُوقُ أوَّلُه ولا ثباتَ له، وإنَّما خلَقْناهما لنجازيَ المحسِنَ والمسيءَ، وليُستدَلَّ بها على وحدانيَّة الله وقدرته(٣).

***

---

(١) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٣/ ٤٣٩).

(٢) انظر: «شرح الكتاب» للسيرافي (٢/ ٢٠٨)، و«البسيط» للواحدي (١٣/ ٤٨٠ ـ ٤٨١).

(٣) نقله أبو حيان عن الكرماني في «البحر المحيط» (٧/ ٤١٥).

(١٧) ـ ﴿ لَوْ أَرَدْنَآ أَن نَّتَّخِذَ لَهْوًا لَّٱتَّخَذْنَٰهُ مِن لَّدُنَّآ إِن كُنَّا فَٰعِلِينَ ﴾.

﴿ لَوْ أَرَدْنَآ أَن نَّتَّخِذَ لَهْوًا لَّٱتَّخَذْنَٰهُ مِن لَّدُنَّآ ﴾ ابن عيسى: اللَّهو: صرفُ الهمِّ عن النَّفس بفعلِ القبيح[1].

واختَلف المفسِّرون في الآية:

فذهب الحسنُ في جماعةٍ إلى أنَّ المراد به هاهنا: الزَّوجة[2]، ردٌّ على مَن قال: مريمُ صاحبتُه.

الزَّجَّاج في جماعةٍ: الولدُ بلغةِ حضرموتَ[3]، ردٌّ على مَن قال: عيسى ابنُه.

وقيل: ردَّ على المشركين ما أضافوا إليه مِن[4] أُنْسِه بالأصنام.

وقيل: هو اللَّهوُ على ظاهره.

قوله: ﴿مِن لَّدُنَّآ ﴾: مِن عندِنا.

وقيل: لاتَّخذناه بحيث لا يَطَّلِعُ عليه أحدٌ؛ لأنَّه نقصٌ وسترُه أولَى[5].

السُّدِّيُّ: من السَّماء لا مِن الأرض[6].

﴿إِن كُنَّا فَٰعِلِينَ ﴾ قيل: شرطٌ؛ أي: إنْ كنَّا ممَّن يفعلُ ذلك ولَسْنا كذلك.

---

(١) ذكره المصنف بلا نسبة في «غرائب التفسير» (٢/ ٧٣٦)، وذكر نحوه ابن فورك في «تفسيره» (١/ ٤٤٧).

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (١٦/ ٢٣٨)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٨/ ٢٤٤٧).

(٣) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٣/ ٣٨٦).

(٤) «من»: من (ف)، وهو في «غرائب التفسير»: «من الشبه».

(٥) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٧٣٦)، واستغربه.

(٦) ذكره المصنف بهذا اللفظ في «غرائب التفسير» (٢/ ٧٣٦)، وأبو حيان في «البحر المحيط» (٧/ ٤١٥)، ورواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٨/ ٢٤٤٧) بلفظ: «يقول: لو أردت إن أتخذ ولدًا لاتخذت من الملائكة».

وقيل: هو نفيٌ؛ كقوله: ﴿وَإِنْ أَدْرِي﴾ [الأنبياء: ١٠٩]؛ أي: ما كنَّا فاعلين.

وقيل: معناه: لو كنَّا فاعلين.

ابن بحرٍ: ليس في الآيةِ ذكرُ الولدِ والزَّوج، وإنَّما هي عطفٌ على الآية الأولى؛ أي: لو كان اللَّعبُ يَليقُ بنا لاتَّخذنا منه ما يكون في عِلْمِنا وقُدرَتِنا.

* * *

(١٨) ـ ﴿بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ وَلَكُمُ الْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ﴾.

﴿بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ﴾ بالإسلامِ على الإشراك، وقيل: بالقرآن على إبليس، وقيل: بالوعظِ على المعاصي، وقيل: بالحجَّة على الشُّبهة، وقيل: بالدَّليل المبطِلِ للباطل على الباطل.

﴿فَيَدْمَغُهُ﴾: فيَكْسِرُه ويبلغُ أمَّ دماغه، فلا يحيَا ولا يبقَى بعدَه.

﴿فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ﴾: هالكٌ ذاهبٌ ﴿وَلَكُمُ الْوَيْلُ﴾: شدَّةُ العذاب ﴿مِمَّا تَصِفُونَ﴾ أي: تَصِفون اللهَ به ممَّا لا يَليقُ به.

* * *

(١٩) ـ ﴿وَلَهُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ عِندَهُ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ﴾.

﴿وَلَهُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾: خَلْقاً ومُلكاً، فكيف يكونُ ولداً[(١)] وبينهما تَنافٍ؟

﴿وَمَنْ عِندَهُ﴾؛ أي: في محلِّ كرامته؛ يعني: الملائكةَ ﴿لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ﴾: لا يَتعظَّمون ﴿وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ﴾: لا يَعْيَوْن؛ فإنَّ تسبيحَهم يَجري مَجْرى التَّنفُّس منَّا. وقيل: لا ينقطعون. حَسَر واستَحْسَر بمعنًى، وحَسَر لازمٌ ومُتعدٍّ[(٢)].

---

(١) في (ن): «والداً».

(٢) واستحسر بمعنى اللازم، وقد ذكر السمين الحلبي في «الدر المصون» (٨/ ١٤١) أن أحسر =

(٢٠) ـ ﴿ يُسَبِّحُونَ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ لَا يَفۡتُرُونَ ﴾.

﴿ يُسَبِّحُونَ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ ﴾: ينزِّهون الله عن الولدِ والزَّوجة والشَّريك، وعمَّا لا يليقُ به ﴿لَا يَفۡتُرُونَ ﴾: لا يَضْعُفون عنه.

ورُوي عن بعضِ القرَّاء الوقفُ على قوله: ﴿ يُسَبِّحُونَ ٱلَّيۡلَ ﴾، ثمَّ استأنَفَ فقال: ﴿وَٱلنَّهَارَ لَا يَفۡتُرُونَ ﴾ أي: عن سائرِ الأعمالِ ممَّا يأمرُهم اللهُ تعالى، وفيه ضعفٌ؛ لأنَّ عملهم لا يمنعُهم من التَّسبيحِ، كما أنَّ أعمالَنا لا تمنعُنا عن التَّنفُّس وطَرْفِ العَين[1].

***

(٢١) ـ ﴿ أَمِ ٱتَّخَذُوٓاْ ءَالِهَةً مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ هُمۡ يُنشِرُونَ ﴾.

﴿ أَمِ ٱتَّخَذُوٓاْ ءَالِهَةً مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ هُمۡ يُنشِرُونَ ﴾: يُحْيُونَ الموتَى؛ أي: الإحياءُ والإماتةُ بيدِ الله سبحانه.

وقوله: ﴿مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ ﴾ صفةٌ للآلهة.

وقيل: تقديره: أم اتَّخذوا آلهةً هم يُنْشِرون من الأرض الموتَى.

***

= بمعنى المتعدي، فيكون لهذا الفعل وجهان، ولكل وجه فعل بمعناه، مع المبالغة عند الزيادة، كما لا يخفى.

(١) ذكره أبو بكر الأنباري في «الوقف والابتداء» (٢/ ٧٧٤) وقال: «وهذا غلط؛ لأنهم لا يوصفون بأنهم يسبحون الليل دون النهار ولا النهار دون الليل، الدليل على ذلك قوله: ﴿ فَإِنِ ٱسۡتَكۡبَرُواْ فَٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُۥ بِٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ وَهُمۡ لَا يَسۡـَٔمُونَ ﴾ [فصلت: ٣٨]»، وانظر: «المكتفي في الوقف والابتدا» للداني (ص: ١٣٣)، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٧٣٦)، واستغربه.

(٢٢) ـ ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَاۚ فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾.

﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾؛ أي: غيرُ الله، ولهذا رُفع[1]، ويأتي (إلَّا) بمعنى (غير)، كما جاء (غير) بمعنى (إلَّا)[2]، وهو الكثيرُ، ولو نصَبْتَه في الآيةِ لبَطَل المعنى المقصودُ، وصار الآلهةُ مُثْبتةً مع الله، تعالى اللهُ عن ذلك.

وإثباتُ إلهينِ ينقسِمُ إلى ثلاثةِ أقسامٍ: إمَّا أن يكونا عاجزَيْنِ، أو قادرَيْنِ، أو قادراً وعاجزاً؛ والعاجزُ لا يَصْلُحُ أن يكونَ إلهاً فبَطَل قِسْمان، وبَطَلَ الثَّالثُ أيضاً؛ لأنَّ الإله واجبُ الوجود، ووجوبُ الوجود لا يصحُّ لاثنين، ويَبطُلُ أيضاً لاستحالةِ وجودِ الشَّيء من فاعلَين وليس أحدُهما بأَوْلى به من الآخَرِ، والسَّماواتُ والأرضُ موجوداتٌ، فدلَّ وجودُهما على وحدانيَّة الموجِدِ، وهو اللهُ سبحانه.

﴿فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾؛ أي: له السَّماواتُ والأرضُ وما فوقَهما من الكرسيِّ والعرش، وهو منزَّهٌ عن الوصفِ بالشَّريك والصَّاحبة والولد.

* * *

(٢٣) ـ ﴿لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ﴾.

﴿لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ﴾؛ أي: ليس عليه اعتراضٌ في حُكمه؛ إذ لا أحدَ مثلُه وفوقَه فيسألَه عن فِعْله بعباده، ﴿وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ﴾؛ أي: العبادُ مسؤولون عن أفعالهم.

---

(١) ذكر مكي بن أبي طالب في «الهداية» (٧/ ٤٧٤٣) أن هذا مذهب البصريين وسيبويه، وانظر: «الكتاب» (٢/ ٣٣١)، و«المقتضب» للمبرد (٤/ ٤٠٨)، و«حروف المعاني والصفات» للزجاجي (ص: ٧).

(٢) انظر: «حروف المعاني والصفات» للزجاجي (ص: ٦٦)، و«الإيضاح العضدي» لأبي علي الفارسي (ص: ٢٠٩).

وقيل: لا يسألُه الملائكةُ وهم يُسألون بقوله: ﴿أَهَٰٓؤُلَآءِ إِيَّاكُمۡ كَانُواْ يَعۡبُدُونَ﴾ [سبأ: ٤٠].

وقيل: لا يُسألُ سبحانه والذين اتَّخذتُموهم آلهةً كعيسى والملائكةِ والأوثانِ يُسألون.

وقيل: لا يُسأل؛ لأنَّ جميعَ أفعاله صوابٌ، وهم يُسألون؛ لأنَّهم يخطِئون(١).

ورُوي عن الضَّحَّاك: أنَّ كفَّار قريشٍ قالوا: يا محمَّد، ربُّنا يكتبُ علينا الذَّنْبَ ثم يعذِّبنا عليه؟! قالوه تكذيباً بالقَدَر، فأنزل الله: ﴿لَا يُسۡـَٔلُ عَمَّا يَفۡعَلُ وَهُمۡ يُسۡـَٔلُونَ﴾؛ أي: لا يُسألُ عن قضائه وهم يُسألونَ عن أفعالهم(٢).

* * *

(٢٤) - ﴿أَمِ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةٗۖ قُلۡ هَاتُواْ بُرۡهَٰنَكُمۡۖ هَٰذَا ذِكۡرُ مَن مَّعِيَ وَذِكۡرُ مَن قَبۡلِيۗ بَلۡ أَكۡثَرُهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ ٱلۡحَقَّۖ فَهُم مُّعۡرِضُونَ﴾.

﴿أَمِ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةٗ﴾ أمرَهم اللهُ تعالى بعبادتها في كتابٍ من الكتب ﴿قُلۡ هَاتُواْ بُرۡهَٰنَكُمۡ﴾: قدِّموا حجَّتكم على ذلك.

﴿هَٰذَا ذِكۡرُ مَن مَّعِيَ﴾؛ أي: هذا القرآنُ فيه ذكرُ أُمَّتي وذكرُ الأُمم المتقدِّمة، وليس فيه جوازُ ذلك ولا الأمرُ بعبادة الأوثان.

وقيل: تقديره: ﴿هَٰذَا ذِكۡرُ مَن مَّعِيَ﴾ يعني: القرآنَ ﴿وَذِكۡرُ مَن قَبۡلِي﴾ يعني: التَّوراةَ والإنجيل، وليس فيها كلِّها إباحةُ ذلك.

---

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٧٣٧)، واستغربه.

(٢) لم أقف عليه بتمامه، وروى الطبري في «تفسيره» (١٦/ ٢٤٧) عن الضحاك آخره بلفظ: «لا يسأل الخالق عما يقضي في خلقه، والخلق مسئولون عن أعمالهم»، وذكره الواحدي بهذا اللفظ عن الضحاك في «البسيط» (١٥/ ٥٠)، وذكر عن أبي ذر أن وفد نجران قالوا: يا محمد، يكتب علينا الذنب ويعذبنا؟ انظر: «البسيط» للواحدي (٢١/ ١٢٥).

وليس قولُه: ﴿أَمِ ٱتَّخَذُوٓاْ﴾ بتكرارٍ ساذَجٍ، بل الأوَّلُ للقياس؛ أي: أَوَجَدوا آلهةً يُنشِرون الموتى من الأرض فاتَّخذوهم آلهةً قياساً؟! والثَّاني للتَّقليد، والمعنى: أَوَجَدوا في كتبِ الله الأمرَ باتِّخاذِ آلهةٍ فاتَّخذوهم آلهةً تقليداً.

والبرهان: البيِّنُ الواضحُ من القول.

وقيل: معنى: ﴿ذِكۡرُ مَن مَّعِيَ﴾: خبرُ مَن مَعي وخبرُ مَن قَبْلي، فمَن نجا فبالإيمان، ومَن هَلَك فبالشِّرْك.

﴿بَلۡ أَكۡثَرُهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ ٱلۡحَقَّۖ فَهُم مُّعۡرِضُونَ﴾ بسببِ جَهْلِهم.

وقيل: لا يعلمون القرآنَ، فهم لأجلِ ذلك مُعْرِضون تاركون.

ثم أكَّد ذلك فقال:

(٢٥) - ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيۡهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدُونِ﴾.

﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيۡهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدُونِ﴾: وحِّدوني ولا تُشرِكوا بي شيئاً.

* * *

(٢٦) - ﴿وَقَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحۡمَٰنُ وَلَدٗاۗ سُبۡحَٰنَهُۥۚ بَلۡ عِبَادٞ مُّكۡرَمُونَ﴾.

﴿وَقَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحۡمَٰنُ وَلَدٗا﴾ يعنُون: الملائكةَ ﴿سُبۡحَٰنَهُۥ﴾: نزَّه نفسَه عن اتِّخاذ الولد؛ لأنَّ ذلك يقتضي المجانسةَ، واللهُ منزَّهٌ عن الوصفِ بالجنس والنَّوع.

﴿بَلۡ عِبَادٞ مُّكۡرَمُونَ﴾؛ أي: بل هم عبادٌ مكرَمون وليسوا بأولادٍ.

* * *

(٢٧) - ﴿لَا يَسۡبِقُونَهُۥ بِٱلۡقَوۡلِ وَهُم بِأَمۡرِهِۦ يَعۡمَلُونَ﴾.

﴿لَا يَسۡبِقُونَهُۥ بِٱلۡقَوۡلِ﴾: لا يتكلَّمون إلَّا بما أَمرهم به.

وقيل: لا يَتعدَّون ما أُمِروا به.

وقيل: لا يتقدَّمون ولا يتأخَّرون إلَّا بأمرِه.

وقيل: لا يقولون قبل أن يقولَ.

وقيل: لا يقولون إلَّا بما يُوْحَى إليهم.

﴿وَهُم بِأَمْرِهِۦ يَعْمَلُونَ﴾؛ أي: يَعمَلون ما يَعملون بأمره.

***

(٢٨) ـ ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِۦ مُشْفِقُونَ﴾.

﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ﴾ قد سبق[1]، وقيل: ما كان قبلَ الملائكة وما يكونُ بعدَهم ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ﴾؛ أي: مَن رضيَه الله، وقال: لا إلهَ إلَّا اللهُ محمّدٌ رسولُ الله.

﴿وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِۦ مُشْفِقُونَ﴾: خائفون أنْ يَحِلَّ بهم عقابُه.

وقيل: يخافون أن يَشْفَعوا إلَّا بإذنه.

وقيل: يخافون من التَّقصير في العبادة.

***

(٢٩) ـ ﴿وَمَن يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّىٓ إِلَٰهٌ مِّن دُونِهِۦ فَذَٰلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾.

﴿وَمَن يَقُلْ مِنْهُمْ﴾؛ أي: من الملائكة، وقيل: من الملائكة وممَّن عُبِدوا من دون الله ﴿إِنِّىٓ إِلَٰهٌ مِّن دُونِهِۦ فَذَٰلِكَ﴾؛ أي: فذلك القائلُ ﴿نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾؛ أي: الكافرين.

---

(١) في تفسير مثل هذه الآية من سورة البقرة، وسورة طه.

وذهبَ جماعةٌ من المفسِّرين إلى أنَّ المرادَ به إبليس، فإنَّه ادَّعى الإلهيَّة لنفسِه ووَسْوَسَ إليهم.

***

(٣٠) ـ ﴿أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ﴾.

﴿أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ قُرِئ بالواو وحذفِها[١]، وهما في المعنى سواءٌ، والرُّؤيةُ بمعنى العلم، وقيل: هي من رؤيةِ العين.

﴿أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا﴾: مُنْسدًّا[٢]، ووُحِّد لأنَّه مصدرٌ. والرَّتْق: السَّدُّ، وكلُّ شيئين لا فرجةَ بينهما فهما رتقٌ.

﴿فَفَتَقْنَاهُمَا﴾: فشقَقْناهما، والفتق: الفصلُ بين الشَّيئين كانا ملتَئِمَين.

وفيها أربعةُ أقوالٍ:

أحدها: أنَّ السَّماوات كانت متَّصلةً بالأرض ففتقناهما بأن جعلنا بينهما الهواء[٣].

والثَّاني: أنَّ السَّماوات كانت واحدةً ففتقناها بأنْ جعلناها سبعاً، وكذلك الأرضُ كانت واحدةً فجعلناها سبعاً[٤].

والثَّالث: أنَّ السَّماوات كانت رَتْقاً لا تُمطِرُ ففتقناها بالمطر، وكانت الأرضُ

---

(١) قرأ ابن كثير: (ألم ير) بلا واو، والباقون بالواو. انظر: «السبعة» (ص: ٤٢٨)، و«التيسير» (ص: ١٥٥).

(٢) أي: كتلةً واحدةً منسدةً لا انفتاحَ فيها، ومنه: امرأةٌ رَتْقاءُ؛ أي: مُنْسَدَّة الفَرْجِ. انظر: «الدر المصون» (٨/ ١٤٩)، و«أيسر التفاسير» (٣/ ٤٠٩).

(٣) هذا قول الحسن وقتادة، كما في «تفسير الطبري» (١٦/ ٢٥٦).

(٤) هذا قول مجاهد، كما في «تفسير عبد الرزاق» (٢/ ٣٨٤).

رَتْقاً لا تُنْبِتُ ففتقناها بالنَّبات[١]، وعلى هذا القولِ المرادُ بالسَّماوات: سماءُ الدُّنيا، فجُمع.

والرَّابع: ﴿كَانَتَا رَتْقًا﴾ بالظُّلمةِ لا يُرى ما فيهما ﴿فَفَتَقْنَٰهُمَا﴾ بخَلْقِ الأبراج النَّيِّرة، حكاه ابن هَيْضَم[٢].

﴿وَجَعَلْنَا﴾: وخلَقْنا ﴿مِنَ ٱلْمَآءِ﴾ المشروبِ، وقيل: من النُّطفة[٣] ﴿كُلَّ شَىْءٍ حَيٍّ﴾: كلَّ شيءٍ له حياةٌ.

وقيل: ﴿جَعَلْنَا﴾ هاهنا يتعدَّى إلى مفعولين، فالمعنى: يعيشُ كلُّ شيءٍ بالماء، وهذا لا يصحُّ إلَّا على قراءةِ مَن قرأ: (حيًّا)[٤]، أو على إضمارٍ تقديره: وجعلنا من الماءِ حياةَ كلِّ شيءٍ حيٍّ، وحُذف المضاف، و﴿كُلَّ شَىْءٍ﴾ هاهنا للأغلب الأكثرِ لا للعموم.

ويحتمِل أنَّ التَّقدير: وجعلْنا من الماء، أو ممَّا يَنْبُتُ بالماء كالنَّبات، أو ممَّا يتولَّد بالنَّبات كاللَّحم، فإنَّ أصل كلِّها الماءُ[٥].

﴿أَفَلَا يُؤْمِنُونَ﴾ مع ظهور الآيات.

***

(١) هذا قول ابن قتيبة، ورواه الطبري عن عكرمة وعطية وابن زيد، ورجّحه. انظر: «غريب القرآن» (ص: ٢٨٦)، و«تفسير الطبري» (١٦/ ٢٥٧-٢٥٨).

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٧٣٧)، واستغربه.

(٣) هو قول قطرب، كما في «النكت والعيون»، للماوردي، (٣/ ٤٤٤)، وقول أبي العالية كما في «زاد المسير» لابن الجوزي (٣/ ١٨٩)، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٧٣٧)، واستغربه.

(٤) ذكرها ابن الجوزي في «زاد المسير» (٣/ ١٨٩) عن معاذ القارئ وابن أبي عبلة وحميد بن قيس.

(٥) جعل المصنف هذه المعاني الأخيرة مما يستدعيه القول بأن المراد بالماء المشروب وقد عدّ ذلك من العجائب: انظر: «غرائب التفسير» (٢/ ٧٣٧).

(٣١) ـ ﴿ وَجَعَلْنَا فِي ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِيَ أَن تَمِيدَ بِهِمْ وَجَعَلْنَا فِيهَا فِجَاجًا سُبُلًا لَّعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ﴾.

﴿ وَجَعَلْنَا فِي ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِيَ ﴾: جبالاً، مِن رَسَا؛ إذا ثبَت، وقيل: سمِّي رواسي؛ لأنَّ الأرض رَسَتْ بها.

﴿أَن تَمِيدَ بِهِمْ ﴾: كراهةَ أنْ تميدَ، وقيل: لِأَنْ لا تميدَ.

ومعنى ﴿تَمِيدَ ﴾: تميلَ، وقيل: تَضطربَ بالذَّهاب في الجهات.

﴿وَجَعَلْنَا فِيهَا ﴾: في الأرض، وقيل: في الجبال(١).

﴿فِجَاجًا ﴾: طرقاً، جمعُ فجٍّ، وهو الطَّريق الواسع، وقيل: الفجُّ: الطَّريق بين الجبلين، وقيل: ﴿فِجَاجًا ﴾ أعلاماً.

﴿سُبُلًا ﴾: مسالكَ للسَّابلة، وقيل: سُبُلاً للاعتبار.

﴿لَّعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ﴾ إلى ديارهم وأوطانهم، وقيل: يهتدون بالاعتبار.

* * *

(٣٢) ـ ﴿ وَجَعَلْنَا ٱلسَّمَآءَ سَقْفًا مَّحْفُوظًا ۖ وَهُمْ عَنْ ءَايَٰتِهَا مُعْرِضُونَ ﴾.

﴿ وَجَعَلْنَا ٱلسَّمَآءَ سَقْفًا ﴾: كلُّ ما رُفعَ وسُمكَ على شيءٍ فهو سقفُه.

﴿مَّحْفُوظًا ﴾ من السُّقوط، وقيل: محفوظاً من الشَّياطين بالشُّهب، وقيل: محفوظاً في الهواء من غير علَّاقةٍ ولا عمادٍ، وقيل: محفوظاً من الشِّرك والمعاصي.

﴿وَهُمْ عَنْ ءَايَٰتِهَا ﴾: عن الأدلَّة التي فيها كالشَّمس والقمر والنُّجوم ﴿مُعْرِضُونَ ﴾: غيرُ متفكِّرين فيها(٢).

---

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٧٣٧)، واستغربه.

(٢) «فيها»: ليس في (ف).

(٣٣) ـ ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ كُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾.

﴿وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ﴾ اللَّيل: عبارةٌ عن زمانِ غروبِ الشَّمس، والنَّهار: عبارةٌ عن زمان طلوعها، ولولا تعاقبُهما لَمَا كان لبشرٍ ولا نباتٍ ولا لحيوانٍ قرارٌ؛ كما في الأماكن التي لا تَزولُ عنها الشَّمس والأماكنِ التي لا تَطْلُعُ عليها.

﴿وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ كُلٌّ﴾؛ أي: اللَّيلُ والنَّهارُ والشَّمسُ والقمرُ.

وقيل: والنُّجومُ، وذكرُ اللَّيلِ يَدلُّ عليها.

﴿فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ ابنُ عبَّاسٍ رضي الله عنهما: الفَلَكُ: السَّماء[١].

وأكثرُ المفسِّرين على أنَّ الفَلَك: موجٌ مكفوفٌ تحت السَّماء تجري فيه الشَّمسُ والقمر والنُّجوم[٢].

الحسن: الفَلَكُ يُشبِهُ الطَّاحونةَ تجري تحتَ السَّماء[٣].

قتادةُ: الفَلَك: استدارةٌ بين السَّماء والأرض تدورُ بالنُّجوم مع ثبوتِ السّماء[٤].

وقيل: إنَّه يدورُ دورةَ الكُرة[٥].

وقيل: يدورُ دورَ الرَّحا[٦].

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (١٦/ ٢٦٥)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٨/ ٢٤٥٢).

(٢) ذكر ذلك الفراء في «معاني القرآن» (٢/ ٢٠١)، والطبري في «تفسيره» (١٦/ ٢٦٥)، وانظر: «تفسير النسفي» (٢/ ٤٠٣)، و«البحر المحيط» (٧/ ٤٢٧).

(٣) ذكره يحيى بن سلام في «تفسيره» (٢/ ٨٠٩)، والطبري في «تفسيره» (١٦/ ٢٦٦).

(٤) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٣/ ٤٤٦).

(٥) في (ن): «دور البكرة».

(٦) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٧٣٨)، واستغربه.

وقيل: الفَلَك: القطبُ الذي تدورُ عليه النُّجوم(١).

وقيل: الفلك: المواضع التي ركِّبت فيها.

وقيل: ﴿فِي فَلَكٍ﴾: دورانٍ.

وقيل: الفلك: جرمٌ مستديرٌ، ولاستدارته سمِّي فَلَكاً، ولكلِّ واحدٍ من السَّيَّارات فلكٌ، وفَلَكُ الأفلاك: تحرُّكها حركةً واحدةً من المشرق إلى المغرب، والله أعلم.

ومن المفسِّرين مَن قال: إنَّ الله هو العالم بكيفيَّة جَرْيها كما يشاء.

قوله: ﴿يَسْبَحُونَ﴾؛ أي: يسيرون، وقيل: يدورون، وأصل السَّبْح: العَوْمُ في الماء، ثم جُعِل كلُّ مسرعٍ في سيره سابحاً، وفرسٌ سابحٌ وسَبُوحٌ: مسرعٌ، وأُجْرِيَ مُجْرى العقلاء لمَّا أُخبِر عنه كما يُخْبَرُ عن العقلاء(٢)، وليس له حياةٌ ولا عقلٌ، خلافٌ لمن زعم ذلك(٣).

* * *

(٣٤) ـ ﴿وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ ٱلْخُلْدَ أَفَإِيْن مِّتَّ فَهُمُ ٱلْخَٰلِدُونَ﴾.

﴿وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ ٱلْخُلْدَ﴾: البقاءَ السَّرْمَدَ الدَّائمَ ﴿أَفَإِيْن مِّتَّ فَهُمُ ٱلْخَٰلِدُونَ﴾ نزلتْ حين قالوا: ﴿نَّتَرَبَّصُ بِهِۦ رَيْبَ ٱلْمَنُونِ﴾ [الطور: ٣٠]، نفَى عنه شماتةَ الموت.

---

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٧٣٨)، واستغربه.

(٢) ذكر ذلك السمرقندي في «بحر العلوم» (٢/ ٤٢٥)، ومكي في «الهداية» (٩/ ٦٠٣٩)، والواحدي في «البسيط» (١٥/ ٦٨).

(٣) هو أبي علي بن سينا، كما في «تفسير الرازي» (٢٢/ ١٤٢).

والفاءُ الأوَّلُ لعطفِ جملةٍ على جملةٍ، والثَّاني لجزاءِ الشَّرط، وألفُ الاستفهامِ حقُّه الجزاءُ، ودخَل الشَّرطُ لأنَّ الاستفهامَ له صدرُ الكلام.

***

(٣٥) ـ ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾.

﴿كُلُّ نَفْسٍ﴾؛ أي: كلُّ ذي جسدٍ وروحٍ.

﴿ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ﴾؛ أي: سيذوقُ ويُقاسي(١) مرارةَ الموت، واستُعير لفظُ الذَّوق كما استُعير لفظُ المرارة(٢).

﴿وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ﴾: الفقرِ والضّرِّ ﴿وَٱلْخَيْرِ﴾: الغِنَى والنَّفعِ.

وقيل: ما تحبُّون وما تكرهون.

﴿فِتْنَةً﴾: امتحاناً لصبركم وشكركم، وقيل: نعاملُكم معاملةَ المختبِر.

﴿وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾ للحساب والثَّواب والعقاب.

***

(٣٦) ـ ﴿وَإِذَا رَءَاكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا أَهَٰذَا ٱلَّذِى يَذْكُرُ ءَالِهَتَكُمْ وَهُم بِذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ هُمْ كَٰفِرُونَ﴾.

﴿وَإِذَا رَءَاكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ﴾ في سببِ النُّزول: أنَّ أبا جهلٍ وأبا سفيان كانا

---

(١) في (ق): «سيذوق ويقاسي».

(٢) فالموت في آلامه كالموت الذي يكره ذوقه، وقد استعير الذوق للعذاب أيضاً في قوله تعالى: ﴿وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَدْنَىٰ﴾، وقوله: ﴿فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلْجُوعِ وَٱلْخَوْفِ﴾. انظر: «النكت في إعجاز القرآن» للرماني (ص: ٩٤)، و«البسيط» للواحدي (٢٠/ ١٢٦)، و«درج الدرر» للجرجاني (٢/ ٢١١).

جالسَين في جماعةٍ من قريشٍ، فاجتاز النَّبيُّ ﷺ، فقال أبو جهلٍ لأبي سفيان: انظرْ إلى نبيٍّ بني عبدِ مَنافٍ! استهزاءً. فقال أبو سفيان: وما تُنكِرُ أن يكونَ نبيَّ بني عبد منافٍ؟ فسمع النَّبيُّ ﷺ قولَهما، فقال لأبي جهلٍ: ما أُراكَ تنتهي حتَّى ينزلَ بك ما نَزَل بعمِّك الوليدِ بنِ المغيرة، وقال لأبي سفيان: إنَّما قلتَ الذي قلتَه حميَّةً؛ فأنزل الله تعالى: ﴿وَإِذَا رَءَاكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ﴾[1].

﴿إِن يَتَّخِذُونَكَ﴾: ما يتَّخذونك ﴿إِلَّا هُزُوًا﴾ يَهْزؤون بك، وقيل: تقديره: وإذا رأَوْك داعياً إلى رفضِ آلهتهم هَزِؤوا وقالوا: ﴿أَهَٰذَا ٱلَّذِى يَذْكُرُ ءَالِهَتَكُمْ﴾؛ أي: يَعِيبُها ﴿وَهُم بِذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ هُمْ كَٰفِرُونَ﴾ قيل: يريد: الذين قالوا: وما الرَّحمن؟ لا نعرفُ الرَّحمنَ إلَّا رحمن اليمامة؛ يعني: مسيلمةَ.

وقيل: ﴿بِذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ﴾؛ أي: بتوحيدِه.

وقيل: ذكرُ الرَّحمن: القرآنُ.

وقيل: ﴿بِذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ﴾: بشُكره.

وقيل: إذا ذكَروا الرَّحمن قالوا: الأصنامُ شركاؤه، فهم بذكر[2] الرَّحمن هم كافرون[3].

وكرَّر ﴿هم﴾ لأنَّ الصِّلة حالت بينه وبين الخبر، فأعاد المبتدأَ، وقيل: كرَّر للتَّأكيد.

* * *

---

(١) ذكره مقاتل في «تفسيره» (٣/ ٧٩)، ورواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٨/ ٢٤٢٥) عن السدي.

(٢) في (ف): «وهم بهذا».

(٣) أي: هم عندما يذكرون الرحمة كافرون؛ لأنهما يذكرونه مشركين به.

(٣٧) ـ ﴿ خُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ مِنْ عَجَلٍۚ سَأُوْرِيكُمْ ءَايَٰتِى فَلَا تَسْتَعْجِلُونِ ﴾.

﴿ خُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ مِنْ عَجَلٍ ﴾ قيل: المرادُ به: آدمُ عليه السَّلام[1].

مجاهدٌ: هو أنَّ آدم لمّا دخل الرُّوحُ رأسَه وعينيه رأى الشَّمسَ قاربتِ الغروبَ، فقال: يا ربِّ عجِّلْ تمامَ خَلْقي قبلَ أن تغيبَ الشَّمسُ[2].

سعيدٌ: لمّا بلغتِ الرّوحُ ركبتيه كاد يقومُ، فقال الله: ﴿ خُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ مِنْ عَجَلٍ ﴾[3].

قال ابن زيدٍ: خلقَه الله آخِرَ يومِ الجمعة على عجلةٍ في خَلْقه[4].

وقيل: ﴿ٱلْإِنسَٰنُ﴾ هاهنا عامٌّ، والمعنى: خُلق عجولاً، والعَجَلُ والعَجَلةُ مصدران، والعجلةُ: فعلُ الشَّيء قبل وقته.

وقيل: ﴿مِنْ عَجَلٍ﴾ مبالغةٌ في الوصف بالعَجَلة، كما يوصَفُ الإنسانُ بالشَّيء إذا كَثُرَ[5] منه، تقولُ: خُلق الإنسانُ من الكَرَم، وخُلق فلانٌ من اللُّؤم؛ إذا كَثُر ذلك منهما.

أبو عمرٍو: خُلِقَ العَجَلةُ من الإنسان، على طريق القلب؛ كما تقولُ: عرضتُ الإبلَ على الحوض[6].

---

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٧٣٩)، واستغربه.

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (١٦/ ٢٧٢)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٨/ ٢٤٥٣).

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (١٦/ ٢٧١).

(٤) رواه الطبري في «تفسيره» (١٦/ ٢٧٢) بلفظ: «على عجل خلق آدم آخر ذلك اليوم من ذينك اليومين ـ يريد يوم الجمعة ـ وخلقه على عجل، وجعله عجولًا».

(٥) في (ن): «أكثر».

(٦) ذكره عن أبي عمرو أبو حيان في «البحر المحيط» (٨/ ١٥٦). وهو قول أبي عبيدة في «مجاز القرآن» (٢/ ٣٨)، والمحاسبي في «فهم القرآن» (ص: ٤٨٥)، وابن قتيبة في «تأويل مشكل القرآن» =

وزعموا أنَّ في حرفِ ابنِ مسعودٍ رضي الله عنه: (خُلِقَ العَجَلُ مِن الإنسان)[١].

الفرَّاء: ﴿مِنْ عَجَلٍ﴾ على عَجَلٍ[٢].

الأخفش: ﴿مِنْ عَجَلٍ﴾ لأنَّ الله قال له: كنْ فكان[٣].

الحسن: ﴿مِنْ عَجَلٍ﴾ أي: ضعفٍ؛ يعني: النُّطفةَ[٤].

وقيل: العَجَل: الطِّين، وأنشد أبو عبيدة:

النَّبعُ في الصَّخرة الصَّماء مَنْبَتُه ... والنَّخلُ مَنْبُتُه في الماء والعَجَل[٥]

ابنُ عيسى: خُلِقَ على حُبِّ العَجَل في أمره، وهو مأمورٌ بالتَّثبُّت.

= (ص: ١٢٥)، وذكره دون عزو الطبري في «تفسيره» (١٦/ ٢٧٣)، والزجاج في «معاني القرآن» (٣/ ٣٩٢)، والثعلبي في «تفسيره» (١٨/ ١٢٧).

(١) ذكرها أبو حيان في «البحر المحيط» (٨/ ١٥٦).

(٢) انظر: «معاني القرآن» للفراء (٢/ ٢٠٣).

(٣) انظر: «معاني القرآن» للأخفش (٢/ ٤٤٩).

(٤) ذكر الماتريدي في «تأويلات أهل السنة» (٧/ ٣٤٤) عن الحسن قال: «أي: ضعيفاً، وضعفه هو أن يضيق صدره ويحرج عند إصابة أدنى شيء، حتى يحمله ضيق صدره على أن يدعو على نفسه وعلى مجيئه (كذا في المطبوع، ولعل الصواب: محبِّيه) بالهلاك لضيق صدره، وذلك لضعف فيه».

وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٧٣٩)، وعدَّه هو وقول أبي عبيدة الآتي من العجيب.

(٥) ذكر هذا القول مع البيت عن أبي عبيدة الثعلبي في «تفسيره» (١٨/ ١٢٨)، وأبو حيان في «البحر المحيط» (٧/ ٤٣١)، وذكره الواحدي في «البسيط» (١٥/ ٧٧) عن نفطويه.

والبيت ذكره مقاتل في «تفسيره» (٣/ ٩٨)، والأزهري في «تهذيب اللغة» (١/ ٢٣٧)، وتلميذه أبو عبيد الهروي في «الغريبين» مادة: (ع ج ل)، والشريف المرتضى في «أماليه» (١/ ٤٦٩)، وعزاه مقاتل للشماخ، ولم يعزه غيره، ولا وقفت عليه في «ديوان الشماخ».

وقد نقل الأزهري هذا التفسير للآية مع البيت عن ابن عرفة (وهو نفطويه نفسه) وعقبه بقول ابن عرفة: وليس عندي في هذا حكايةٌ عمَّن يُرجَع إليه فِي علم اللُّغة.

﴿سَأُوْرِيكُمْ ءَايَـٰتِى﴾ قيل: نزلت في النَّضر بن الحارث حين استعجَلَ العذابَ[١]؛ أي: الآياتِ التي طلَبوها.

وقيل: ﴿سَأُوْرِيكُمْ ءَايَـٰتِى﴾ على صدقِ محمَّدٍ ﷺ.

وقيل: آياتي في آثارِ قومِ نوحٍ وعادٍ وثمود، فتعلَمون قدرتي على إهلاكِكُم.

﴿فَلَا تَسْتَعْجِلُونِ﴾ بالعذاب.

* * *

(٣٨) - ﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَـٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ﴾.

﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَـٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ﴾؛ أي: وعدُ العذاب، وقيل: السَّاعةُ ووقتُها.

* * *

(٣٩) - ﴿لَوْ يَعْلَمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ حِينَ لَا يَكُفُّونَ عَن وُجُوهِهِمُ ٱلنَّارَ وَلَا عَن ظُهُورِهِمْ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾.

﴿لَوْ يَعْلَمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ حِينَ لَا يَكُفُّونَ عَن وُجُوهِهِمُ ٱلنَّارَ وَلَا عَن ظُهُورِهِمْ﴾؛ أي: لا يقدرون فيه على كفِّ النَّار؛ لأنَّها محيطةٌ بجميع أبدانهم.

وقيل: عن وجوههم النَّارَ ولا عن ظهورهم السِّياطَ.

﴿وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾: يُمنَعون من عذاب الله.

وجوابُ ﴿لَوْ﴾ محذوفٌ؛ أي: لَمَا استعجلُوه، وقيل: لعَلِموا البعثَ والنُّشور، وقيل: لعَلِموا صدقَ الموعد[٢].

---

(١) ذكره الواحدي في «البسيط» (١٥/ ٧٨)، وابن الجوزي في «زاد المسير» (٣/ ١٩١) من رواية عطاء عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٢) في (ف): «الموعود».

(٤٠) ـ ﴿ بَلْ تَأْتِيهِم بَغْتَةً فَتَبْهَتُهُمْ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ رَدَّهَا وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴾.

﴿ بَلْ تَأْتِيهِم ﴾؛ أي: السَّاعةُ ﴿بَغْتَةً ﴾: فجأةً لا يعلمون بها ﴿فَتَبْهَتُهُمْ ﴾: فتحيِّرُهم ﴿فَلَا يَسْتَطِيعُونَ رَدَّهَا ﴾: لا يقدِرون على دفعِها ﴿وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴾: لا تؤخَّر عنهم.

* * *

(٤١) ـ ﴿ وَلَقَدِ ٱسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَحَاقَ بِٱلَّذِينَ سَخِرُوا۟ مِنْهُم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴾.

﴿ وَلَقَدِ ٱسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ ﴾: يعزِّي نبيَّه بهذا ﴿فَحَاقَ بِٱلَّذِينَ سَخِرُوا۟ مِنْهُم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴾: فحلَّ بهم جزاءُ استهزائهم، وعاد عليهم ما أرادوا بالرُّسل.

* * *

(٤٢) ـ ﴿ قُلْ مَن يَكْلَؤُكُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ مِنَ ٱلرَّحْمَٰنِ ۗ بَلْ هُمْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِم مُّعْرِضُونَ ﴾.

﴿ قُلْ مَن يَكْلَؤُكُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ مِنَ ٱلرَّحْمَٰنِ ﴾: مَن يحفظُكم ويمنعُكم من عذابه إنْ أتاكم ليلاً أو نهاراً؟ استفهامٌ معناه النَّفيُ؛ أي: أيُّ كالئٍ لكم؟ يقال: كَلأه كَلاءةً؛ أي: حَفِظَه.

﴿بَلْ هُمْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِم مُّعْرِضُونَ ﴾؛ أي: عن عِلم قدرتِه عليهم معرضون[1]، وقيل: عن مواعظِ ربِّهم معرِضون لا يلتفتون إليها، وقيل: عن القرآنِ لا يتدبَّرونه.

* * *

---

(١) «معرضون»: ليس في (ف).

(٤٣) ـ ﴿أَمْ لَهُمْ ءَالِهَةٌ تَمْنَعُهُم مِّن دُونِنَا لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَ أَنفُسِهِمْ وَلَا هُم مِّنَّا يُصْحَبُونَ﴾.

﴿أَمْ لَهُمْ ءَالِهَةٌ تَمْنَعُهُم مِّن دُونِنَا﴾؛ أي: أَلَهم آلهةٌ تجعلُهم في مَنَعةٍ وعزٍّ من أنْ ينالَهم مكروهٌ من جِهَتنا.

ابنُ عبَّاسٍ رضي الله عنهما: أم لهم آلهةٌ مِن دوننا تمنعُهم، فقدَّم وأخَّر[1]، تقول: مَنَعْتُ دونَه: كَفَفْتُ أذاه.

﴿لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَ أَنفُسِهِمْ﴾: لا تستطيعُ آلهتُهم دفعَ ذبابٍ عنها، فكيف يَرْجُون نصرها؟!

﴿وَلَا هُم مِّنَّا يُصْحَبُونَ﴾ قيل: الكنايةُ للآلهة[2]؛ أي: لا يَصْحَبُها الله معونةً على النَّصر.

وقيل: الكنايةُ للكفَّار، والمعنى: لا يُجارُون ولا يُمنعون.

والصُّحبة: النُّصرةُ والحفظ، تقول: صَحِبَك الله؛ أي: حَفِظَك الله ونَصَرك.

***

(٤٤) ـ ﴿بَلْ مَتَّعْنَا هَٰؤُلَاءِ وَءَابَاءَهُمْ حَتَّىٰ طَالَ عَلَيْهِمُ الْعُمُرُ أَفَلَا يَرَوْنَ أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا أَفَهُمُ الْغَالِبُونَ﴾.

﴿بَلْ مَتَّعْنَا هَٰؤُلَاءِ وَءَابَاءَهُمْ حَتَّىٰ طَالَ عَلَيْهِمُ الْعُمُرُ﴾؛ أي: ليس لهم آلهةٌ يَرْجُون

---

(١) ذكره أبو حيان في «البحر المحيط» (٧/ ٤٣٣)، وذكره دون نسبة: مقاتل في «تفسيره» (٣/ ٨١)، والواحدي في «البسيط» (١٥/ ٨٤)، وابن الجوزي في «زاد المسير» (٣/ ١٩١).

(٢) وقد عوملوا معاملة العقلاء لأن الكفار يزعمون أنها تعقل وتضر وتنفع، وقد تقدم نحوه في تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْ﴾.

نصرَها، بل وسَّعنا عليهم ما يَعيشون به وعلى آبائهم مِن قبلِهم، وطوَّلنا أعمارَهم فغرَّهم ذلك، وتركوا التَّدبُّر في آياتنا فصاروا كفَّاراً.

ثم استأنف فقال: ﴿أَفَلَا يَرَوْنَ أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا﴾: نفتحُها على محمَّدٍ ﷺ ونُخرِجُها من أيدي المشركين، ونَزيدُها في أرضِ المسلمين ﴿أَفَهُمُ الْغَالِبُونَ﴾ رسولَ الله والمؤمنين.

وقيل: ﴿نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا﴾: نُميت الواحدَ بعدَ الواحدِ، والقَرْنَ بعد القَرْن. وجاء مرفوعاً: أنَّ نقصانَها موتُ علمائها[1].

وقيل: جَوْرُ وُلاتها[2].

***

(٤٥) - ﴿قُلْ إِنَّمَا أُنذِرُكُم بِالْوَحْيِ ۚ وَلَا يَسْمَعُ الصُّمُّ الدُّعَاءَ إِذَا مَا يُنذَرُونَ﴾.

﴿قُلْ إِنَّمَا أُنذِرُكُم بِالْوَحْيِ﴾؛ أي: أُنذركم عذابَ اللهِ بأمرِه وبما أُوحِيَ إليَّ، ﴿وَلَا يَسْمَعُ الصُّمُّ الدُّعَاءَ إِذَا مَا يُنذَرُونَ﴾ نزَّلهم مَنزلةَ الأصمِّ؛ لقلَّةِ الانتفاع بما يَسمعون.

---

(١) ذكره السمرقندي في «تفسيره» (٢/ ٢٣٢)، ورواه الحاكم في «المستدرك» (٣٣٣٤) عن ابن عباس رضي الله عنهما موقوفًا عليه، وصححه، وخالفه الذهبي فقال: «طلحة بن عمرو قال أحمد: متروك». وهو الذي ذكره المصنف في تفسير قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا﴾، وذكر غير هذه الأقوال ثمة.

وروى البخاري (١٠٠)، ومسلم (٢٦٧٣) عن عبد الله بن عمرو قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن الله لا يقبض العلم انتزاعاً ينتزعه من العباد، ولكن يقبض العلم بقبض العلماء، حتى إذا لم يُبْقِ عالماً اتَّخذ الناس رؤوساً جهالاً، فسئلوا فأفتوا بغير علم، فضلوا وأضلوا».

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٥٧٢)، واستغربه.

(٤٦) ـ ﴿وَلَئِن مَّسَّتْهُمْ نَفْحَةٌ مِّنْ عَذَابِ رَبِّكَ لَيَقُولُنَّ يَٰوَيْلَنَآ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ﴾.

﴿وَلَئِن مَّسَّتْهُمْ نَفْحَةٌ مِّنْ عَذَابِ رَبِّكَ لَيَقُولُنَّ يَٰوَيْلَنَآ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ﴾؛ أي: إن نالهم أدنى عذابٍ من الله ذلُّوا وخضَعوا ودَعَوا بالويلِ على أنفُسهم مُقرِّين بأنَّهم كانوا ظالمين.

والنَّفحةُ: الدَّفعة من الشَّيء، تقول: أعطِني نفحةً؛ أي: شيئاً يسيراً.

وقيل: النَّفحةُ: الزَّمهرير، وأصلُها من النَّفحة، وهي: الرِّيحُ اللَّيِّنةُ، وكذلك نفحُ الطِّيب، ويجوزُ أن يكونَ مِن نَفَحَتِ الدَّابَّةُ: إذا رَمَحت.

ابن عبَّاسٍ رضي الله عنهما: ﴿نَفْحَةٌ﴾: طَرَفٌ[1].

قتادةُ: عقوبةٌ[2].

***

(٤٧) ـ ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا ۖ وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ﴾.

﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ﴾: جمع ميزانٍ، وهو: ما يُوزَنُ به الشَّيءُ فيُعرَف كمِّيَّتُه، وله لسانٌ وكِفَّتان. وقيل: هي عبارةٌ عن العدل، وقد سبقَ[3].

ويَحتمِلُ أنَّه جمعُ موزونٍ.

﴿ٱلْقِسْطَ﴾: القسطُ: العدلُ، وهو مصدرٌ.

﴿لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾: لجزاءِ يومِ القيامة، وقيل: لأهلِ القيامة، وقيل: في يومِ القيامة.

---

(١) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (١٨/ ١٣٣)، والواحدي في «تفسيره» (١٥/ ٩٢).

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (١٦/ ٢٨٤)، وذكره الثعلبي في «تفسيره» (١٨/ ١٣٣).

(٣) انظر ما تقدم في تفسير قوله تعالى: ﴿فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ﴾.

﴿فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا﴾ من حقِّه، وقيل: شيئاً من الظُّلم[١].

﴿وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ﴾؛ أي: وإن كان الشَّيءُ مثقالَ حبَّةٍ، وقيل: وإن كان الظُّلامةُ. ومَن رَفَع[٢] جعَل ﴿كَانَ﴾ بمعنى: وقَع؛ أي: وإنْ وقَع وحَصَلَ مثقالُ حبَّةٍ من خردلٍ ﴿أَتَيْنَا بِهَا﴾: أحضرناها إيَّاه ﴿وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ﴾: لا مزيدَ على عَدْلِنا وحسابنا.

* * *

(٤٨) ـ ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ٱلْفُرْقَانَ وَضِيَآءً وَذِكْرًا لِّلْمُتَّقِينَ﴾.

﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ٱلْفُرْقَانَ﴾: التَّوراةَ الفارِقَ بين الحقِّ والباطل، وقيل: هو النَّصرُ والنَّجاةُ من آلِ فرعون، وقيل: ﴿ٱلْفُرْقَانَ﴾: انْفِراقُ البحر.

﴿وَضِيَآءً﴾: نوراً يُستضاءُ به. وقيل: الواوُ زيادةٌ، وإليه ذهبَ ابنُ عبَّاسٍ رضي الله عنهما، وقرأ به[٣]. وقيل: تقديرُه: وآتيناهُ ضياءً.

﴿وَذِكْرًا لِّلْمُتَّقِينَ﴾: يَذْكُرون ما لهم وعليهم.

* * *

(٤٩) ـ ﴿ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ وَهُم مِّنَ ٱلسَّاعَةِ مُشْفِقُونَ﴾.

﴿ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ﴾: يَخافونه ويعظِّمونه في سريرتهم وخَلَواتهم، وقيل: يخشَوْنه ولم يرَوْه بعدُ ﴿وَهُم مِّنَ ٱلسَّاعَةِ﴾: من القيامةِ ﴿مُشْفِقُونَ﴾: خائفون.

---

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٧٤٠)، واستغربه، و(شيئاً) مفعول به على القول الأول، ونائب مصدر مفعول مطلق على الثاني.

(٢) قرأ نافع (مثقالُ) بالرفع، والباقون: ﴿مِثْقَالَ﴾ بالنصب. انظر: «السبعة» (ص: ٤٢٩)، و«التيسير» (ص: ١٥٥).

(٣) رواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٨/ ٢٤٥٤)، وانظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ٩٤)، و«المحتسب» (٢/ ٦٣).

(٥٠) ـ ﴿وَهَٰذَا ذِكْرٌ مُّبَارَكٌ أَنزَلْنَٰهُ أَفَأَنتُمْ لَهُۥ مُنكِرُونَ﴾.

﴿وَهَٰذَا ذِكْرٌ﴾ يعني: القرآنَ ﴿مُّبَارَكٌ﴾: كثيرُ الخيرِ دائمُ النَّفْع ﴿أَنزَلْنَٰهُ﴾ على محمَّدٍ ﷺ ﴿أَفَأَنتُمْ لَهُۥ مُنكِرُونَ﴾ استفهامُ توبيخٍ؛ أي: أتُنْكِرون أنَّه من الله وتَنْسُبونه إليه؟!

***

(٥١) ـ ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَآ إِبْرَٰهِيمَ رُشْدَهُۥ مِن قَبْلُ وَكُنَّا بِهِۦ عَٰلِمِينَ﴾.

﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَآ إِبْرَٰهِيمَ رُشْدَهُۥ﴾: هُداه وتوفيقَه، وقيل: نبوَّته، وقيل: الكُتُبَ والحكمةَ.

﴿مِن قَبْلُ﴾: قبلِ موسى وهارون.

وقيل: ﴿مِن قَبْلُ﴾؛ أي: في صِغَره حيث قال: ﴿إِنِّى وَجَّهْتُ وَجْهِىَ لِلَّذِى فَطَرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ حَنِيفًا ۖ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ الآيات [الأنعام: ٧٩].

وقيل: قبل محمَّدٍ ﷺ.

﴿وَكُنَّا بِهِۦ عَٰلِمِينَ﴾: بإبراهيمَ، وقيل: ﴿بِهِۦ﴾ يعودُ إلى الرُّشد؛ أي: عَلِمْنا أنَّه أهلٌ لِمَا آتيناه.

***

(٥٢) ـ ﴿إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَا هَٰذِهِ ٱلتَّمَاثِيلُ ٱلَّتِىٓ أَنتُمْ لَهَا عَٰكِفُونَ﴾.

﴿إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَا هَٰذِهِ ٱلتَّمَاثِيلُ ٱلَّتِىٓ أَنتُمْ لَهَا عَٰكِفُونَ﴾: جمعُ تمثالٍ، وهو شيءٌ يُعمَلُ مُشبِهاً لغيرِه في الشَّكل.

والعُكوفُ: إطالةُ الإقامة.

وكانت تماثيلَ على صورِ السِّباع والطُّيور والإنسان، وقيل: على صورِ هياكلِ الكواكب، يعبدون الله بوساطةِ عبادةِ الكواكب، ثم اعتقَدوا أنَّها في أنفُسِها آلهةٌ.

(٥٣) ـ ﴿ قَالُوا وَجَدْنَا ءَابَاءَنَا لَهَا عَابِدِينَ ﴾.

﴿ قَالُوا وَجَدْنَا ءَابَاءَنَا لَهَا عَابِدِينَ ﴾؛ أي: اتَّبَعْنا آباءَنا في ذلك واقتدَيْنا بهم.

* * *

(٥٤) ـ ﴿قَالَ لَقَدْ كُنتُمْ أَنتُمْ وَءَابَاؤُكُمْ فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴾.

﴿قَالَ لَقَدْ كُنتُمْ أَنتُمْ وَءَابَاؤُكُمْ فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴾: خطأٍ بيِّنٍ وعدولٍ عن الصَّواب.

* * *

(٥٥) ـ ﴿ قَالُوٓا أَجِئْتَنَا بِٱلْحَقِّ أَمْ أَنتَ مِنَ ٱللَّٰعِبِينَ ﴾.

﴿ قَالُوٓا أَجِئْتَنَا بِٱلْحَقِّ ﴾: بالجِدِّ ﴿أَمْ أَنتَ مِنَ ٱللَّٰعِبِينَ ﴾؛ أي: أبجِدٍّ منك هذا الكلامُ أم تلعبُ بهذا المقال؟!

* * *

(٥٦) ـ ﴿ قَالَ بَل رَّبُّكُمْ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلَّذِى فَطَرَهُنَّ وَأَنَا۠ عَلَىٰ ذَٰلِكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴾.

﴿ قَالَ بَل رَّبُّكُمْ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلَّذِى فَطَرَهُنَّ ﴾؛ أي: لستُ بلاعبٍ، وإنَّما ربُّكم وخالقُكم الذي يجبُ عليكم عبادتُه هو ربُّ السَّماواتِ والأرضِ وفاطرُهما(١).

ويحتمِلُ أنَّ الضَّمير في ﴿فَطَرَهُنَّ ﴾ يعودُ إلى التَّماثيل، واللهُ أعلمُ.

﴿وَأَنَا۠ عَلَىٰ ذَٰلِكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴾: أنَّه ربُّكم، وتقديرُه: وأنا شاهدٌ على ذلكم من الشَّاهدين، ولا يجوزُ تعلُّقُ ﴿عَلَىٰ ﴾ بـ﴿ٱلشَّٰهِدِينَ ﴾، وقد سبَقَ في سورة يوسف عليه السَّلام(٢).

---

(١) في (ف): «وفاطرها».

(٢) إن امتنع تعليق الجار والمجرور بـ﴿ٱلشَّٰهِدِينَ ﴾؛ لأنه اسم فاعل، والألف واللام التي دخلت عليه بمثابة الموصول، ولا يتقدم شيء من العلة على الموصول، وانظر ما تقدم عند تفسير قوله تعالى: =

(٥٧) ـ ﴿ وَتَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَٰمَكُم بَعْدَ أَن تُوَلُّوا۟ مُدْبِرِينَ ﴾.

﴿ وَتَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَٰمَكُم بَعْدَ أَن تُوَلُّوا۟ مُدْبِرِينَ ﴾: لأَكْسِرنَّها بعد ذهابكم عنها إلى عيدٍ لكم، وسمَّاه كيداً لأنَّه مَكَر بذلك عابدِيها، وقيل: معناه: أدبِّرُ عليها سوءاً.

وأصل ﴿تالله﴾: والله، قُلب الواو تاءً، وخُصَّ اسمُ الله به، وقد سبق[1].

***

(٥٨) ـ ﴿فَجَعَلَهُمْ جُذَٰذًا إِلَّا كَبِيرًا لَّهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ﴾.

﴿فَجَعَلَهُمْ جُذَٰذًا﴾؛ أي: قِطَعاً، والجَذُّ: القطعُ ﴿إِلَّا كَبِيرًا لَّهُمْ﴾ للأصنام، وقيل: للكفَّار؛ فكسر الأصنامَ وجعل الفأسَ في عُنق الصَّنم الأكبر ﴿لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ﴾ قيل: إلى الكبير، وقيل: إلى الله، وقيل: إلى إبراهيم فيحاجَّهم، وقيل: إلى الجذِّ، وفيه بعدٌ[2].

***

(٥٩) ـ ﴿ قَالُوا۟ مَن فَعَلَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَآ إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾.

﴿ قَالُوا۟ ﴾؛ أي: الكفَّارُ بعضُهم لبعضٍ حين رجَعوا من عيدهم ورأوا ذلك ﴿مَن فَعَلَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَآ إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ بفعلِه هذا.

= ﴿وَكَانُوا۟ فِيهِ مِنَ ٱلزَّٰهِدِينَ﴾ [يوسف: ٢٠]، وقال المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٧٤١): «وقيل: الألف واللام إذا كان للتعريف جاز تقديم ما بعده عليه».

(١) في تفسير قوله تعالى: ﴿ قَالُوا۟ تَاللَّهِ لَقَدْ عَلِمْتُم مَّا جِئْنَا لِنُفْسِدَ فِى ٱلْأَرْضِ ﴾ [يوسف: ٧٣]، وتقدم ذكر اختصاصه بلفظ الجلالة في (الفاتحة)، وهو مذهب سيبويه والمبرد والفراء، وخالف فيه الأخفش.

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٧٤١)، واستغربه.

وقيل: من الظَّالمين لنفسِه؛ لأنَّه يُقتَلُ لو عُلِم به[١].

* * *

(٦٠) ـ ﴿قَالُوا سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُۥٓ إِبْرَٰهِيمُ﴾.

﴿قَالُوا سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ﴾: يَعِيبُهم، فلعلَّه الذي فَعَل هذا، قيل: سُمِع منه قولُه: ﴿وَتَٱللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَٰمَكُم﴾ [الأنبياء: ٥٧].

﴿يُقَالُ لَهُۥٓ إِبْرَٰهِيمُ﴾ أي: يُسمَّى إبراهيمَ، وهو رفعٌ بالخبر؛ أي: هو إبراهيمُ.

وقيل: ضمٌّ بالنِّداء؛ أي: يقالُ له: يا إبراهيمُ[٢].

* * *

(٦١) ـ ﴿قَالُوا فَأْتُوا بِهِۦ عَلَىٰٓ أَعْيُنِ ٱلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ﴾.

﴿قَالُوا فَأْتُوا بِهِۦ عَلَىٰٓ أَعْيُنِ ٱلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ﴾؛ أي: اجْعَلوه حيث تقعُ عيونُ النَّاس على ما يُفعَلُ به من العذابِ والعِقاب فينكُلُ غيرُه[٣] عن مِثْلِ ما فَعَل هو إذا رأى ما يُفعل به.

وقيل: معناه: لعلَّهم يشهدون عليه بفِعْله أو بقوله، فيكونَ حجَّةً عليه، كرهوا أن يأخذوه بغير بيِّنةٍ.

وقيل: ﴿عَلَىٰٓ أَعْيُنِ ٱلنَّاسِ﴾ معناه: ظاهراً.

وقيل: ﴿عَلَىٰٓ أَعْيُنِ ٱلنَّاسِ﴾: خواصِّ الملكِ وأوليائه[٤].

---

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٧٤١)، واستغربه.

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٧٤١)، واستغربه.

(٣) قوله: «فينكل غيره» من قولهم: نكل عن الأمر؛ أي: نكص وجبن. انظر: «القاموس» مادة: (ن ك ل).

(٤) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٧٤١)، واستغربه.

(٦٢) ـ ﴿قَالُوٓاْ ءَأَنتَ فَعَلْتَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَا يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ﴾.

﴿قَالُوٓاْ ءَأَنتَ فَعَلْتَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَا يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ﴾ فأحضروه فسُئل عن ذلك.

***

(٦٣) ـ ﴿قَالَ بَلْ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا فَسْـَٔلُوهُمْ إِن كَانُواْ يَنطِقُونَ﴾.

﴿قَالَ بَلْ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا فَسْـَٔلُوهُمْ إِن كَانُواْ يَنطِقُونَ﴾ اختلف المفسِّرون في تأويل هذه الآية؛ فقال بعضُهم: إنَّ إبراهيم عليه السَّلام كذَب، وإنَّ الكذِبَ في بعض المواضع أحسنُ من الصِّدق، وهو[1]: إذا تعلَّق بالكذب نفعٌ لا فسادَ معه ألبتَّة، وقيَّدوا ذلك بما رُوي عن النَّبيِّ ﷺ أنَّه قال: «لإبراهيمَ ثلاثُ كذباتٍ: أحدُها: قوله: ﴿فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمْ﴾، والثَّاني: قولُه: ﴿إِنِّى سَقِيمٌ﴾، والثَّالثُ: قولُه لسارةَ: هي أُختي»[2].

قال بعضُهم: ليس ببعيدٍ أن يأذَنَ اللهُ له في ذلك لِمَا في ضِمْنه من الاحتجاج لإبراهيمَ؛ كما أَذِنَ ليوسفَ في قوله: ﴿إِنَّكُمْ لَسَٰرِقُونَ﴾ [يوسف: ٧٠][3].

وقال بعضُهم: إنَّ ذلك على طريقِ الشَّرطِ والجزاء؛ أي: فَعَله كبيرُهم إنْ كانوا يَنْطِقون، وقولُه: ﴿فَسْـَٔلُوهُمْ﴾ اعتراضٌ بينهما، وحقُّه التَّأخيرُ، فعُدِم الشَّرطُ وعُدِم الجزاءُ.

وحمَل بعضُهم على الشَّرطِ والجزاء من وجهٍ آخَرَ فقال: تقديرُه: إنْ كانوا آلهةً كما تزعُمون فهذا الذي هو أكبرُهم فَعَل بها ذلك ليكونَ وحده إلهاً؛ قال:

---

(١) في (ن): «وقيل».

(٢) رواه البخاري (٣٣٥٨)، ومسلم (٢٣٧١) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٧٤٢)، وعدَّه من العجائب.

وبيانُ ذلك في قوله: ﴿فَسْـَٔلُوهُمْ إِن كَانُوا۟ يَنطِقُونَ﴾، وهذا شرطٌ وجزاءٌ آخرُ.

وقيل: خرج هذا مخرجَ الخبر وليس بخبرٍ، وإنَّما هو إلزامٌ؛ أي: ما تُنْكِرون أن يكونَ فَعَله كبيرُهم.

وقال الكسائيُّ ـ حكاه الثَّعلبيُّ[1] ـ: إنَّ الوقف على قوله: ﴿بَلْ فَعَلَهُۥ﴾[2]، قال: ومعناه: فَعَلَه مَن فَعَلَه.

ويحتمِلُ على هذا الوجه أن يكونَ أُسنِدَ الفعلُ إلى الفتى المذكور في قوله: ﴿قَالُوا۟ سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ﴾، ويحتمِلُ أيضاً أنَّه أُسند إلى إبراهيمَ في قولهم: ﴿يَـٰٓإِبْرَٰهِيمُ ﴿٦٢﴾ قَالَ بَلْ فَعَلَهُۥ﴾ المنادى، وفي المعاريضِ مندوحةٌ عن الكذب وسَعَةٌ.

ثمَّ قال: ﴿كَبِيرُهُمْ هَـٰذَا﴾ مبتدأٌ وخبرٌ، ﴿فَسْـَٔلُوهُمْ إِن كَانُوا۟ يَنطِقُونَ﴾ شرطٌ، والجزاء مضمرٌ دلَّ عليه ما تقدَّم.

***

(٦٤) ـ ﴿فَرَجَعُوٓا۟ إِلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ فَقَالُوٓا۟ إِنَّكُمْ أَنتُمُ ٱلظَّـٰلِمُونَ﴾.

﴿فَرَجَعُوٓا۟ إِلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ فَقَالُوٓا۟ إِنَّكُمْ أَنتُمُ ٱلظَّـٰلِمُونَ﴾: راجعوا عقولَهم وظهَر لهم أنَّهم ظلَموا أنفسَهم بعبادةِ ما لا يَنطِقُ ولا يدفعُ عن نفسه.

وقيل: معناه: أنتم الظَّالمون بسؤالكم إبراهيمَ.

وقيل: أنتم الظَّالمون إذ لم تحفظوا الأصنامَ مِن مِثْلِ ما نزل بها.

***

---

(١) انظر: «تفسير الثعلبي» (١٨/ ١٤٥).

(٢) بعدها في (ن): «جائز».

(٦٥) ـ ﴿ثُمَّ نُكِسُوا عَلَىٰ رُءُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَٰؤُلَاءِ يَنطِقُونَ﴾.

﴿ثُمَّ نُكِسُوا عَلَىٰ رُءُوسِهِمْ﴾ قتادةُ: أدرك القومَ حيرةٌ(١).

وقيل: أَطرقوا حَيَارَى خَجِلين.

ابن عبَّاسٍ رضي الله عنهما: رجَعوا إلى شركهم بعد المعرفة(٢).

وقيل: معناه: رُدُّوا، تقولُ: نكَسْتُ الأمر؛ إذا أَعَدْتَه إلى أوَّله.

وقيل: انقلبتْ آراؤهم.

مجاهدٌ: ردَّت السَّفِلةُ على الرُّؤساء(٣)؛ أي: رجع بعضُهم إلى بعضٍ.

ويحتمِلُ أنَّ المعنى: ثمَّ ردُّوا إلى رأسِ أمرِهم وقالوا: ﴿لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَٰؤُلَاءِ يَنطِقُونَ﴾ فكيف تأمُرُنا بسؤالها؟!

* * *

(٦٦ ـ ٦٧) ـ ﴿قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكُمْ شَيْئًا وَلَا يَضُرُّكُمْ ﴿٦٦﴾ أُفٍّ لَّكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾.

﴿قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكُمْ شَيْئًا وَلَا يَضُرُّكُمْ ﴿٦٦﴾ أُفٍّ لَّكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾؛ أي: قُبحاً لكم ونَتْناً، وقد سبق(٤).

* * *

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (١٦/ ٣٠٢).

(٢) ذكره الواحدي في «تفسيره» (١٥/ ١١٦) عن الكلبي، وقال: «وهذا معنى قول السدي: نكسوا في الكفر، ومعنى قول ابن عباس: نكسوا في الفتنة».

(٣) ذكره أبو حيان في «البحر المحيط» (٧/ ٤٤٩) عن مجاهد، وفي «تفسير مقاتل» (٣/ ٨٥) عن الحسن: «﴿ثُمَّ نُكِسُوا عَلَىٰ رُءُوسِهِمْ﴾: يعني على الرؤساء والأشراف».

(٤) في تفسير قوله تعالى: ﴿فَلَا تَقُل لَّهُمَا أُفٍّ﴾ [الإسراء: ٢٣].

(٦٨) ـ ﴿ قَالُواْ حَرِّقُوهُ وَٱنصُرُوٓاْ ءَالِهَتَكُمْ إِن كُنتُمْ فَٰعِلِينَ ﴾.

فلمَّا لَزِمَتْهم[١] الحجَّةُ وعجزوا عن الجواب ﴿ قَالُواْ حَرِّقُوهُ ﴾؛ أي: حرِّقوه بالنَّار ﴿وَٱنصُرُوٓاْ ءَالِهَتَكُمْ﴾ بالانتقامِ لها منه ﴿إِن كُنتُمْ فَٰعِلِينَ﴾ للانتصارِ، وجوابُ الشَّرطِ محذوفٌ دلَّ عليه قولُه: ﴿حَرِّقُوهُ﴾.

ورُوي في التَّفاسير عن ابن عمر رضي الله عنهما: أنَّ الذي أشار بتحريقِ إبراهيمَ رجلٌ من أعراب فارس ـ أي: أكرادِها ـ يسمَّى هيون، خَسَفَ الله به الأرضَ، فهو يَتجلْجَلُ فيها إلى يومِ القيامة[٢].

وهبٌ: قاله نمروذ[٣].

***

(٦٩) ـ ﴿ قُلْنَا يَٰنَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ﴾.

﴿ قُلْنَا يَٰنَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ﴾ ثم إنَّ نمروذَ اللَّعين أجَّجَ ناراً عظيماً وبنَى بنياناً، فرفعوا إبراهيمَ على البنيان وقيَّدوه، ثم اتَّخذوا مَنْجَنيقاً ووضَعوه فيه ورمَوا به إلى النَّار من مَضْربٍ شاسعٍ، وهو يقولُ: حسبيَ اللهُ ونِعْمَ الوكيلُ، فاستَقْبَله جبريلُ عليه السَّلامُ، فقال: يا إبراهيمُ، ألك حاجةٌ؟ فقال: أمَّا إليك فلا، قال: فسَلْ ربَّك، قال إبراهيم: حَسْبي مِن سؤالي عِلْمُه بحالي، فقال الله: ﴿يَٰنَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ﴾[٤].

---

(١) في (ق): «ألزمهم».

(٢) رواه دون تسمية الذي أشار: الطبري «تفسيره» (١٦/ ٣٠٥). وفيه عنعنة ابن إسحاق وضعف ليث بن أبي سليم. ورواه الطبري أيضًا عن مجاهد، وروى عن شعيب الجبائي قال: «إن الذي قال: ﴿حَرِّقُوهُ﴾ (هيزن) فخسف الله به الأرض، فهو يتجلجل فيها إلى يوم القيامة».

(٣) ذكره الواحدي في «البسيط» (١٥/ ١٢٠) عن الكلبي.

(٤) ذكره الثعلبي في «عرائس المجالس» (ص: ١١٦) عن المعتمر عن أبي بن كعب عن أرقم، والبغوي =

السُّدِّيُّ: قال ذلك جبريلُ عليه السَّلام[1].

قال: والمعنى: كوني ذاتَ بردٍ وسلامةٍ، و(كان) بمعنى: وقع، و﴿بَرۡدٗا وَسَلَٰمًا﴾ نصبٌ على الحال، ويحتمِلُ أنْ يُجعَلَ (كان) هاهنا بمعنى: صار؛ لأنَّه يُفيدُ الانتقالَ من حالٍ إلى حالٍ، فبردَتْ نفسُ النَّار ورُفعتْ عنه الحرارة.

وقيل: جَعَلَ اللهُ بينَهما ما مَنَعه[2] من إحراقِه وإيذائِه.

ورُوي عن ابن عبَّاسٍ رضي الله عنهما أنَّه قال: لو لم يُتْبِع بَرْدَها سلاماً لمات إبراهيمُ من بردها[3].

الحسن: هو تسليمٌ من الله عزَّ وجلَّ عليه[4].

= في «تفسيره» (٥/ ٣٢٧) عن أبي بن كعب قوله، والقرطبي في «تفسيره» (١٤/ ٢٢٧) عن أبي بن كعب عن النبي ﷺ. ولعله كله وهم، وصوابه: المعتمر عن ابن كعب عن أرقم، هكذا جاء في «تفسير الثعلبي» (١٨/ ١٥٢)، وهكذا روى الطبري في «تفسيره» (١٦/ ٣٠٩) بعض هذه القصة، انظر التعليق الآتي.

وقوله: (حسبي من سؤالي علمُه بحالي) ذكره ابن عراق في «تنزيه الشريعة» (١/ ٢٥٠) بلفظ: «علمه بحالي يغني عن سؤالي» وقال: «قال ابن تيمية: موضوع».

وجاء في «مجموع الفتاوى» لابن تيمية (١/ ١٨٣): «ليس له إسناد معروف، وهو باطل، بل الذي ثبت في الصحيح [البخاري (٤٥٦٣)] عن ابن عباس أنه قال: «حسبي الله ونعم الوكيل»».

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (١٦/ ٣٠٦)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٩/ ٣٠٤٨).

(٢) كذا في النسخ الخطية، والجارة: «منعها»، والله أعلم.

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (١٦/ ٣٠٦)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٩/ ٣٠٤٨).

(٤) الكلام على هذا جملتان الأولى (يا نار كوني برداً)، والثانية (سلاماً على إبراهيم)، والواو على هذا العطف الجمل، و(سلاماً) نائب مصدر، وهذا القول كالردِّ على ما قبله، وقد ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٧٤٣)، واستغربه.

قال النَّقَّاش في «تفسيره»: لو كان كما قال الحسنُ لكان رفعاً ولم يكن نصباً[١].

قلتُ: لا يدفعُ كونُه نصباً تأويلَ الحسن؛ ألَا ترى إلى قوله: ﴿قَالُواْ سَلَـٰمًا﴾ [هود: ٦٩]؛ أي: سلِّموا سلاماً؟! كذلك هاهنا؛ أي: سلَّم الله سلاماً على إبراهيم، ومثلُه في المعنى: ﴿سَلَـٰمٌ عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ﴾ [الصافات: ١٠٩] في السُّورة الأخرى.

فلم تُحرق النَّار من إبراهيم إلَّا وثاقه.

الكلبيُّ: بنَوا له أتُوناً وألقَوْه فيه وأَوْقَدوا عليه النَّار[٢].

***

(٧٠) ـ ﴿فَلَمَّا رَءَآ أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُواْ لَا تَخَفْ إِنَّآ أُرْسِلْنَآ إِلَىٰ قَوْمِ لُوطٍ﴾.

﴿وَأَرَادُواْ بِهِۦ كَيْدًا﴾: ضرراً، وقيل: مَكْراً ﴿فَجَعَلْنَـٰهُمُ ٱلْأَخْسَرِينَ﴾؛ أي: أَخْسَرَ مِن كلِّ خاسرٍ.

***

(٧١) ـ ﴿وَٱمْرَأَتُهُۥ قَآئِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَـٰهَا بِإِسْحَـٰقَ وَمِن وَرَآءِ إِسْحَـٰقَ يَعْقُوبَ﴾.

﴿وَنَجَّيْنَـٰهُ وَلُوطًا إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِى بَـٰرَكْنَا فِيهَا لِلْعَـٰلَمِينَ﴾؛ أي: خلَّصناه وخلَّصنا لوطاً وهو ابنُ عمِّ إبراهيمَ عليهما السّلام، وقيل: ونجَّيناه وأرسَلْنا لوطاً.

عن الزَّجَّاج: من أرضِ بابلَ إلى أرض الشَّام[٣].

---

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٧٤٣).

(٢) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٣/ ٤٥٣).

(٣) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٣/ ٣٩٨)، وفيه: «جاء في التفسير أنها من أرض الشام إلى العراق»، وفي «غرائب التفسير» (٢/ ٧٤٣) أن هذا قول الجمهور.

وهي الأرضُ المباركةُ كثيرةُ المياهِ والأشجار، فيها ربوةٌ ذاتُ قرارٍ ومَعِينٍ.

وقيل: سمِّيت مباركةً لأنَّ الله تعالى ينزِّل من السَّماء الماءَ العذبَ إلى صخرةِ بيتِ المقدِس، ومنها يتفرَّقُ في سائر الأرض.

وقيل: سمِّيت مباركةً؛ لأنَّ أكثرَ الأنبياءِ منها.

وقيل: ﴿إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِي بَٰرَكْنَا فِيهَا﴾ مكَّةَ، وهذا عن ابن عبَّاسٍ رضي الله عنهما أيضاً[١].

* * *

(٧٢) ـ ﴿وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً ۖ وَكُلًّا جَعَلْنَا صَٰلِحِينَ﴾.

﴿وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً﴾ فيه ثلاثةُ أقوالٍ[٢]:

أحدها: أنَّ النَّافلة: العطيَّةُ؛ فيعودُ إليهما جميعاً.

والثَّاني: النَّافلةُ: الزِّيادةُ على الشَّيء كالنَّافلة من الصَّلَوات، ويعودُ إلى يعقوبَ وحده؛ أي: سأل ولداً فأعطاه إيَّاه ـ وهو إسحاقُ ـ وزاده يعقوبَ من غيرِ مسألةٍ.

والثَّالث: أنَّ النَّافلة: ولدُ الولدِ، فيكون التَّقدير: وهَبْنا له إسحاقَ ولداً ويعقوبَ ولدَ الولد.

وقيل: هي مصدرٌ من غيرِ لفظِ الفعلِ السَّابق؛ أي: وَهَبْنا له هبةً[٣].

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (١٦/ ٣١٤)، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٧٤٣)، واستغربه.

(٢) انظر: «تهذيب اللغة» للأزهري (١٥/ ٢٥٦)، و«البسيط» للواحدي (١٥/ ١٢٥).

(٣) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٧٤٤)، واستغربه.

﴿وَكُلًّا جَعَلْنَا صَٰلِحِينَ﴾؛ أي: إبراهيمَ ولوطاً وإسحاقَ ويعقوبَ جعَلْناهم أنبياءَ.

وقيل: أمرناهم بالصَّلاح فصَلَحوا.

***

(٧٣) - ﴿وَجَعَلْنَٰهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِمْ فِعْلَ ٱلْخَيْرَٰتِ وَإِقَامَ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءَ ٱلزَّكَوٰةِ ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا عَٰبِدِينَ﴾.

﴿وَجَعَلْنَٰهُمْ أَئِمَّةً﴾: أنبياءَ، والإمامُ: الذي يُقتدَى به.

﴿يَهْدُونَ﴾؛ أي: النَّاس ﴿بِأَمْرِنَا﴾: بوَحْينا وإذْنِنا.

﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِمْ فِعْلَ ٱلْخَيْرَٰتِ وَإِقَامَ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءَ ٱلزَّكَوٰةِ﴾: أنِ افْعَلوا الخيراتِ وأقيموا الصَّلاةَ وآتوا الزَّكاة.

وقيل: وألزَمْناهم فعلَ الخيراتِ وإقامَ الصَّلاة وإيتاءَ الزَّكاة.

وحُذف الهاءُ من (إقامة الصَّلاة)؛ لأنَّ الإضافةَ تَنوبُ عنه؛ كما قالوا: ليت شِعْري؛ أي: شِعْرتي[1]، و: فلانٌ أبو عُذْرِها؛ أي: عُذْرَتها.

﴿وَكَانُوا۟ لَنَا عَٰبِدِينَ﴾: مطيعِينَ موحِّدين.

***

---

(١) هذا مذهب سيبويه في «كتابه» (٤/ ٤٤)، وكما صرّح السيرافي وابن سيده والرضي. انظر: «شرح الكتاب» للسيرافي (٤/ ٤٢٧)، و«المحكم» لابن سيده (١/ ٣٦٣)، و«المخصص» له (٤/ ٢٩٨)، و«شرح المفصل» لابن يعيش (٤/ ٧٠)، و«شرح الرضي على الكافية» (٤/ ٣٧٨).

(٧٤) - ﴿وَلُوطًا ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَنَجَّيْنَٰهُ مِنَ ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِى كَانَت تَّعْمَلُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ ۗ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمَ سَوْءٍ فَٰسِقِينَ﴾.

﴿وَلُوطًا﴾: أرسَلْنا لوطاً، وقيل: واذكُرْ، وقيل: وآتَيْنا لوطاً[1]، وكذلك انتصابُ مَن بعدَه مِن الأنبياء عليهم السَّلام.

﴿ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا﴾: نبوَّةً ﴿وَعِلْمًا﴾: كتاباً.

وقيل: الحكمُ: القضاءُ بين النَّاس، والعلمُ: الفَتْوَى.

﴿وَنَجَّيْنَٰهُ مِنَ ٱلْقَرْيَةِ﴾؛ أي: من أهلِها، وهي سَدُومُ ﴿ٱلَّتِى كَانَت تَّعْمَلُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ﴾: ما كَرِهَه اللهُ من اللِّواط، وقَطْعِ السَّبيل، وإتيانِ المنكَرِ من التَّضارُطِ وحَذْفِ البنادق.

وقيل: ونجَّيناه ممَّا عُذِّبوا به.

﴿إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمَ سَوْءٍ﴾: شرارٍ ﴿فَٰسِقِينَ﴾: خارجين عن طاعة الله.

* * *

(٧٥) - ﴿وَأَدْخَلْنَٰهُ فِى رَحْمَتِنَآ ۖ إِنَّهُۥ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾.

﴿وَأَدْخَلْنَٰهُ فِى رَحْمَتِنَآ ۖ إِنَّهُۥ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾.

* * *

(٧٦) - ﴿وَنُوحًا إِذْ نَادَىٰ مِن قَبْلُ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ فَنَجَّيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥ مِنَ ٱلْكَرْبِ ٱلْعَظِيمِ﴾.

﴿وَنُوحًا إِذْ نَادَىٰ﴾: دعا اللهَ على قومِه بالهلاك ﴿مِن قَبْلُ﴾: قبلَ قومِ لوطٍ ﴿فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ﴾: أجاب اللهُ دعاءه؛ يعني: قوله: ﴿لَا تَذَرْ عَلَى ٱلْأَرْضِ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ دَيَّارًا﴾ [نوح: ٢٦].

---

(١) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٣/ ٣٩٩).

﴿فَنَجَّيْنَـٰهُ وَأَهْلَهُۥ مِنَ ٱلْكَرْبِ ٱلْعَظِيمِ﴾؛ أي: أهلَ بيته.

والكربُ: أقصَى الغمِّ الآخذِ بالنَّفس، وهو هاهنا: الغرقُ[(١)]، وقيل: أذى قومِه.

***

(٧٧) ـ ﴿وَنَصَرْنَـٰهُ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَآ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمَ سَوْءٍ فَأَغْرَقْنَـٰهُمْ أَجْمَعِينَ﴾.

﴿وَنَصَرْنَـٰهُ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَآ﴾؛ أي: على القوم، وقيل: منَعْناه منهم.

﴿إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمَ سَوْءٍ﴾: شرارٍ ﴿فَأَغْرَقْنَـٰهُمْ﴾: أهلَكْناهم بالماء ﴿أَجْمَعِينَ﴾: صغيرَهم وكبيرَهم، ذكَرَهم وأُنثاهم.

***

(٧٨) ـ ﴿وَدَاوُۥدَ وَسُلَيْمَـٰنَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِى ٱلْحَرْثِ إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ ٱلْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَـٰهِدِينَ﴾.

﴿وَدَاوُۥدَ وَسُلَيْمَـٰنَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِى ٱلْحَرْثِ﴾ قتادةُ في جماعةٍ: كان زرعاً[(٢)].

ابن مسعودٍ رضي الله عنه في جماعةٍ: كان كَرْماً تدلَّتْ عناقيدُه[(٣)].

﴿إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ ٱلْقَوْمِ﴾؛ أي: رَعَتْه ليلاً، والنَّفْشُ: الرَّعْي باللَّيلِ من غيرِ راعٍ، والهَمَلُ: بالنَّهار بلا راعٍ.

﴿وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَـٰهِدِينَ﴾: عالِمين، والضَّميرُ يعودُ إلى داودَ وسليمانَ والخَصْمَين.

---

(١) ذكر أبو حيان في «البحر المحيط» (٧/ ٤٥٣) عبارة المصنف، وفي المطبوع منه: «أقصى الغم والأخذ بالنفس...».

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (١٦/ ٣٢٥)، وذكره الثعلبي في «تفسيره» (١٨/ ١٦٥).

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (١٦/ ٣٢١)، وذكره الثعلبي في «تفسيره» (١٨/ ١٦٦).

وقيل: إلى ﴿ٱلۡقَوۡمِ﴾ في قوله: ﴿غَنَمُ ٱلۡقَوۡمِ﴾(١).

وقيل: إلى داودَ وسليمانَ، فجُمِع كما جُمِع في قوله: ﴿فَإِن كَانَ لَهُۥٓ إِخۡوَةٞ﴾ [النساء: ١١](٢).

***

(٧٩) - ﴿فَفَهَّمۡنَٰهَا سُلَيۡمَٰنَۚ وَكُلًّا ءَاتَيۡنَا حُكۡمٗا وَعِلۡمٗاۚ وَسَخَّرۡنَا مَعَ دَاوُۥدَ ٱلۡجِبَالَ يُسَبِّحۡنَ وَٱلطَّيۡرَۚ وَكُنَّا فَٰعِلِينَ﴾.

﴿فَفَهَّمۡنَٰهَا سُلَيۡمَٰنَ﴾: القضيَّةَ والحكومةَ.

أجمع المفسِّرون على أنَّ داودَ قضَى بالغنمِ لصاحبِ الحَرْث، وقيل(٣): قيمةُ الغنمِ كانت مثلَ قيمةِ الحَرْث، وإنَّ سليمان قال: غيرُ هذا أرفَقُ بالفريقين؛ تُدْفَعُ الغنمُ إلى صاحبِ الحرثِ لينتفِعَ بنَسْلها ودرِّها وشعرِها، ويُدْفَعُ الحرثُ إلى صاحبِ الغنمِ ليقومَ بعِمَارته، حتَّى إذا كان من القابِلِ وعاد إلى مِثْلِ حاله ردَّ كلُّ واحدٍ إلى صاحبه ما كان له(٤).

ثم اختلف المفسِّرون في ذلك:

فقال بعضُهم: إنَّ داود أفتى في الأوَّل، ولمَّا سمع من سليمان حَكَم به.

وقال بعضُهم: كان ذلك بالاجتهادِ والرَّأي، وللأنبياء الاجتهادُ كغيرهم، وكلُّ مجتهدٍ مصيبٌ.

---

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٧٤٤)، واستغربه.

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٧٤٤)، وعدَّه من العجائب.

(٣) «وقيل»: ليس في (ف).

(٤) رواه الطبري في «تفسيره» (١٦/ ٣٢٢) وما بعدها عن ابن مسعود وابن عباس ومجاهد والزهري وابن زيد وغيرهم.

وقال بعضُهم: لا يجوزُ للأنبياء الاجتهاد؛ لأنَّ الاجتهاد عند عَدَم النَّصِّ، وهم لا يُعْدَمون النَّصَّ، وقالوا: عَمِل داودُ بنصٍّ ثمَّ نُسخ ذلك بنصٍّ نَزَلَ على سليمان(١).

ولولا إجماعُ المفسِّرين على ما حكيتُ لاحْتَمَل أن يقال: ﴿إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ﴾ هاهنا مثلُ ما في قوله: ﴿يَحْكُمُ بِهِۦ ذَوَا عَدْلٍ﴾ [المائدة: ٩٥]، وقولُه: ﴿فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ﴾؛ أي: سليمانَ وداودَ، بدليلِ قوله: ﴿وَكُلًّا ءَاتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا﴾ وليس في الآيةِ ما يدلُّ على ردِّ قولِ داود، وخصَّ سليمانَ بالذِّكر شَرَفاً له ولأبيه؛ أي: أُوتيِ ابنُه الحكمَ صبيًّا، وكان له يومئذٍ إحدى عَشْرةَ سنةً، والله أعلم.

ومذهبُ أهلِ العراق في ذلك: أنَّ النَّبيَّ ﷺ قال: «جُرْحُ العَجْماءِ جُبارٌ»(٢)، فلا يَلْزمُ صاحبَ الماشية ضمانٌ إذا لم يَقْصِدْ(٣).

ومذهبُ أهلِ المدينة: أنَّ النَّبيَّ ﷺ لمّا دخلتْ ناقةُ البراء بنِ عازبٍ حائطاً فأفسدَتْه، فقضى أنَّ على أهل الأموالِ حفظُها بالنَّهار، وعلى أهلِ الماشيةِ حفظُها باللَّيل(٤).

ومذهبُ الحسن: أنَّ حُكمَ سليمانَ عليه السَّلامُ اليومَ ثابتٌ يُعملُ به(٥).

---

(١) ذكر هذا القول الأخير عن الجبائي، وهو قول المعتزلة، والذي قبله قول الجمهور من أهل السنة، وانظر في المسألة: «التبصرة» للشيرازي (ص: ٥٢١)، و«الاجتهاد» للجويني (ص: ٧٧)، و«تفسير البغوي» (٣/ ٢٩٩ ـ ٣٠٠)، و«تفسير الرازي» (٢٢/ ١٦٤).

(٢) رواه البخاري (١٤٩٩)، ومسلم (١٧١٠)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) انظر: «المبسوط» لمحمد بن الحسن (٤/ ٥٥٩)، و«بدائع الصنائع» (٦/ ١٧٠)، و«الهداية» (٤/ ٤٨٣).

(٤) رواه الإمام مالك في «الموطأ» (٢/ ٧٤٧) مرسلاً، ووصله أبو داود (٣٥٦٩)، وابن ماجه (٢٣٣٢). وانظر: «الأم» للشافعي (٦/ ٢٥٦)، و«مختصر اختلاف العلماء» لابن المنذر (٥/ ٢١٢).

(٥) فقد ذكر عنه أنه قال: «هذه الآية محكمة، والقضاة بذلك يقضون إلى يوم القيامة» انظر: «تفسير الرازي» (٢٢/ ١٦٧).

﴿وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُودَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَالطَّيْرَ﴾؛ أي: ذلَّلْنا الجبالَ والطَّير تسيرُ معه حيث سار، ويسبِّحْنَ تسبيحاً يسمعُه النَّاس.

وقيل: كانت تصلِّي مع داود.

وقيل: تسخيرُ الجبال بالسَّير هو تسبيحُها؛ لدلالتِها على الله وحملِ غيرها على التّسبيح.

وقيل: هو تفعيلٌ من السِّباحة.

الحسن: جميعُ ما خَلَق اللهُ من الجبال والطَّير كانت تسبِّح مع داودَ بالغَداةِ والعشيِّ(١).

﴿وَكُنَّا فَاعِلِينَ﴾: قادرِينَ على ذلك.

* * *

(٨٠) ـ ﴿وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَكُمْ لِتُحْصِنَكُمْ مِنْ بَأْسِكُمْ فَهَلْ أَنْتُمْ شَاكِرُونَ﴾.

﴿وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَكُمْ﴾: عمَلَ الدُّروع، وهو أوَّلُ مَن عَمِل الدُّروع، وكان قبل ذلك صفائح(٢).

وقيل: اللَّبوس: السِّلاحُ كلُّه مِن درعٍ وسيفٍ وسهمٍ.

﴿لِتُحْصِنَكُمْ﴾: لتَدْفعَ السِّلاحَ عنكم.

النُّون للهِ سبحانه، والياءُ لله، ويجوزُ أن تكونَ لـ﴿لَبُوسٍ﴾، والتَّاءُ للصَّنعة أو الدِّرع على المعنى(٣).

---

(١) لم أجده عن الحسن، وذكره يحيى بن سلام في «تفسيره» (١/ ٣٣٠) عن السدي، وذكره ابن أبي زمنين في «تفسيره» (٣/ ١٥٥) بلا نسبة.

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (١٦/ ٣٢٩) عن قتادة.

(٣) قرأ ابن عامر وحفص: ﴿لِتُحْصِنَكُمْ﴾ بالتَّاء، وأبو بكر بالنُّون، والباقون بالياء. انظر: «السبعة» (ص: ٤٣٠)، و«التيسير» (ص: ١٥٥).

﴿مِّنۢ بَأۡسِكُمۡۖ فَهَلۡ أَنتُمۡ شَٰكِرُونَ﴾ فاشكُروا اللهَ على ذلك.

***

(٨١) ـ ﴿وَلِسُلَيۡمَٰنَ ٱلرِّيحَ عَاصِفَةٗ تَجۡرِي بِأَمۡرِهِۦٓ إِلَى ٱلۡأَرۡضِ ٱلَّتِي بَٰرَكۡنَا فِيهَاۚ وَكُنَّا بِكُلِّ شَيۡءٍ عَٰلِمِينَ﴾.

﴿وَلِسُلَيۡمَٰنَ ٱلرِّيحَ﴾؛ أي: وسخَّرْنا لسليمانَ الرِّيح ﴿عَاصِفَةٗ﴾: شديدةَ الهُبوب ﴿تَجۡرِي بِأَمۡرِهِۦٓ﴾: بأمرِ سليمانَ ﴿إِلَى ٱلۡأَرۡضِ ٱلَّتِي بَٰرَكۡنَا فِيهَا﴾: هي الشَّامُ، وكان يَغْدو مسيرةَ شهرٍ ويَرُوحُ مسيرةَ شهرٍ إليها، وكان يَستوطِنُها، وإذا أراد أن يَغزوَ أَمَرَ الرِّيح فحملَتْه إلى الموضع وعادتْ به.

ابنُ جُبيرٍ: كان يوضعُ لسليمانَ ستَّ مئة ألفِ كرسيٍّ، فيجلسُ على ما يليه المؤمنون من الإنس، ثم مِن دونِ الإنسِ المؤمنون من الجنِّ فيظلِّلُهم الطَّير، ثم يأمرُ الرِّيح فتحملُه إلى حيث شاء مسيرةَ شهرٍ غُدوةً ومثلَها عَشيَّةً، وهو قولُه: ﴿غُدُوُّهَا شَهۡرٞ وَرَوَاحُهَا شَهۡرٞ﴾ [سبأ: ١٢][(١)].

وذكر المفسِّرون أنَّه وُجد مكتوباً في منزلٍ بناحيةِ دِجلةَ: نحن نَزَلْناه وما بنَيْناه، ومبنيًّا وجَدْناه، غدَوْنا من إصْطَخْرَ فقِلْناه، ونحن رائحونَ منه إليها إنْ شاء الله. فقيل: إنَّ أصحاب سليمانَ كتبوه[(٢)].

﴿وَكُنَّا بِكُلِّ شَيۡءٍ عَٰلِمِينَ﴾؛ أي: نعلم ما يصلح لكلِّ أحدٍ، وما يصلح هو له.

***

---

(١) رواه مختصرًا ابن أبي شيبة في «مصنفه» (٦/ ٣٣٦)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٩/ ٢٨٥٥).
ورواه ابن أبي شيبة في «مصنفه» (٣١٨٥٢) من طريق سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (١٦/ ٣٣١) و(١٩/ ٢٢٧)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٩/ ٢٨٥٦) عن وهب بن منبه، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٧٤٥)، واستغربه.

(٨٢) ـ ﴿وَمِنَ ٱلشَّيَٰطِينِ مَن يَغُوصُونَ لَهُۥ وَيَعْمَلُونَ عَمَلًا دُونَ ذَٰلِكَ ۖ وَكُنَّا لَهُمْ حَٰفِظِينَ﴾.

﴿وَمِنَ ٱلشَّيَٰطِينِ مَن يَغُوصُونَ لَهُۥ﴾؛ أي: سخَّرنا له[1] من الشَّياطينِ مَن يَنزلون له إلى قعرِ البحر ويُخرِجون نفائسَ البحر.

﴿وَيَعْمَلُونَ عَمَلًا دُونَ ذَٰلِكَ﴾ سوى الغوصِ، وهو بناءُ المحاريبِ والتَّماثيل.

﴿وَكُنَّا لَهُمْ حَٰفِظِينَ﴾: حَفِظْناهم على سليمان.

وقيل: حافظينَ من أنْ يُفسِدوا ما عَمِلوه.

* * *

(٨٣) ـ ﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَسَّنِىَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾.

﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَسَّنِىَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾ وهبٌ: هو أيُّوب بنُ أَموصَ بن تارخ[2]، غيره: أيُّوبُ بن أقشر[3].

وزوجتُه ماخير بنت ميشا بن يوسف، وقيل: رحمة بنت أفراييم بن يوسف، حكاه الثّعلبيّ[4]. النَّقَّاش: لَيَّا بنتُ يعقوب[5].

وكان ملكاً في أرضه، وقيل: كان رجلاً من الرُّوم وله أموالٌ كثيرةٌ من كلِّ جنسٍ

---

(١) «له»: ليس في (ف).

(٢) ذكره بهذا اللفظ البغوي في «تفسيره» (٣/ ٣٠٣)، وذكره المطهر بن طاهر في «البدء والتاريخ» (٣/ ٧٢) بلفظ: «أيوب بن موص بن رعويل».

(٣) وقد اختلفوا في نسبه كما ذكر العيني في «عمدة القاري» (١٥/ ٢٨٢) ونقل فيه أقوالًا كثيرة.

(٤) انظر: «تفسير الثعلبي» (١٨/ ١٨٨).

(٥) ذكره الجرجاني في «درج المدرر» (٢/ ٦٤٤) بلا نسبة.

من صُنوف الأموال، وكان له أولادٌ رجالٌ ونساءٌ، وكان برًّا تقيًّا رحيماً بالمساكين، فحسده إبليسُ، فسأل اللهَ أن يسلِّطه على ماله ليُجرِّبه، فأجابه إلى ذلك، فأهلَكَ ما كان له من الأموال عن آخرها، فبلغَ الخبرُ أيُّوبَ، فقال: هو الذي أعطَى وهو الذي أَخذ، ثمَّ سأل الله أن يسلِّطه على أولاده، وكان له سبعةُ بنينَ وثلاثُ بناتٍ ـ وقيل: سبعةٌ وسبعٌ ـ، فأجابه إلى ذلك فأهلكهم إبليسُ أسوأ إهلاكٍ، فبلَغه ذلك فقال: هو الذي أعطى وهو الذي أخذ.

وذكر وهبٌ: أنَّ إبليس جاءه على صورة معلِّمِ أولادِه، فجعَل يَصِفُ ما حلَّ بأولاده، فلم يتمالَكْ حتّى رَفع قبضةً من التُّراب، فجعل على رأسه، ثمَّ ندم من ساعته وتاب فغُفر له.

ثمَّ إنَّ إبليسَ سأل الله أن يسلِّطه على بدنه، فقال الله تعالى: لك ذلك، إلَّا قَلْبَه فإنَّه محلَّ المعرفة والفِكْر، ولسانَه فإنَّه محلُّ التّسبيح والذِّكر، فأتاه إبليسُ وهو في صلاته، فنفخَ في منخرِه فظهر في جميع بدنه قروحٌ يسيلُ منها الصَّديد، ووقع فيها الدُّود، فتفرَّق عنه النَّاسُ وهجروه ورمَوه على كناسةٍ لبني إسرائيلَ، ولا يَقْربُه أحدٌ إلّا امرأتُه، وأتَى على ذلك سِنونَ[1]، قيل: ثمانِ عشرةَ سنةً[2]، وقيل: سبعُ سنين، وقيل: ثلاثُ سنين.

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (١٦/ ٣٣٤) وما بعدها عن وهب بن منبه.

(٢) روى البزار (٢٣٥٧ ـ كشف)، وأبو يعلى في «مسنده» (٣٦١٦)، والطبري في «تفسيره» (٢٠/ ١٠٩)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٨/ ٢٤٦٠)، وابن حبان في «صحيحه» (٢٨٩٨)، والضياء في «المختارة» (٢٦١٧)، عن أنس بن مالك: أن رسول الله ﷺ قال: «إنَّ نبيَّ الله أيوبَ لَبِثَ به بلاؤهُ ثماني عشرة سنة، فرَفَضه القريبُ والبعيدُ إلا رجلانِ مِن إخوانه...» الحديث. قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٨/ ٢٠٨): «رواه البزار وأبو يعلى ورجال البزار رجال الصحيح». وقال ابن كثير: «رفع هذا الحديث غريب جدًّا». ورواه الحاكم في «المستدرك» (٤١١٥)، ووقع فيه: «خمس عشرة سنة».

وكانت زوجتُه تدخُلُ على النَّاس وتَخدمُهم وتأخُذُ ما تُنْفِقُ عليه، ثم إن إبليسَ أتاها فقال لها: إن أردتِ أن يَبْرأَ زوجُك من علَّته فلْيَذْبحْ شاةً على اسمي، وأتاها بشاةٍ، فأخبرَتْه امرأتُه بذلك، فقال لها: ذلك إبليسُ، فألحَّتْ عليه، فغضب فقال: إن بَرِئْتُ لأضربنَّكِ مئةً، فقالت: متى تبرأُ؟! فعندها قال: ﴿مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ﴾.

وقيل: باعت ذؤابتَها برغيفٍ فأتَتْه به، فعندها قال: ﴿مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ﴾. قيل: المرض، وقيل: البلاء، وقيل: ﴿ٱلضُّرُّ﴾: الشَّيطان؛ لقوله في الآية الأخرى: ﴿مَسَّنِيَ ٱلشَّيْطَٰنُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ﴾ [ص: ٤١].

وقيل: بلغت الأكلةُ لسانَه فخاف أن يضعُفَ عن ذكر الله.

وقيل: خاف شماتةَ الأعداء.

وقيل: سقطت منه دودةٌ فردَّها إلى بدنه، فعضَّته عضَّةً زاد ألمُها على ما قاساه من قبلُ.

وقيل: انقطعَ الوحي عنه أيَّاماً.

وقيل: أراد الصّلاة فلم يقدر عليها فقال: ﴿مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾ مخبِراً لا شاكياً[1].

---

(١) وكل هذه الأقوال لم يصح منه شيء كما نقل القرطبي في «تفسيره» (١٥/ ٢١٠) عن أبي بكر بن العربي قوله: «ولم يصح عن أيوب في أمره إلا ما أخبرنا الله عنه في كتابه في آيتين؛ الأولى قوله تعالى: ﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ﴾ [الأنبياء: ٨٣]، والثانية: ﴿أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلشَّيْطَٰنُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ﴾ [ص: ٤١] وأما النبي ﷺ فلم يصح عنه أنه ذكره بحرف واحد إلا قوله: «بينا أيوب يغتسل إذ خرَّ عليه رِجلٌ من جراد من ذهب» الحديث. وإذ لم يصح عنه فيه قرآن ولا سنة إلا ما ذكرناه، فمن الذي يوصل السامع إلى أيوب خبره، أم على أي لسان سمعه؟ والإسرائيليات مرفوضة عند العلماء على البتات، فأعرض عن سطورها بصرك، وأصمَّ عن سماعها أذنيك؛ فإنها لا تعطي فكرك إلا خيالاً، ولا تزيد فؤادك إلا خبالًا».

(٨٤) ـ ﴿فَٱسۡتَجَبۡنَا لَهُۥ فَكَشَفۡنَا مَا بِهِۦ مِن ضُرٍّۖ وَءَاتَيۡنَٰهُ أَهۡلَهُۥ وَمِثۡلَهُم مَّعَهُمۡ رَحۡمَةً مِّنۡ عِندِنَا وَذِكۡرَىٰ لِلۡعَٰبِدِينَ﴾.

﴿فَٱسۡتَجَبۡنَا لَهُۥ فَكَشَفۡنَا مَا بِهِۦ مِن ضُرٍّ﴾: فأجاب الله دعاءه وأَوْحَى إليه: ﴿ٱرۡكُضۡ بِرِجۡلِكَۖ هَٰذَا مُغۡتَسَلُۢ بَارِدٞ وَشَرَابٞ﴾ [ص: ٤٢]، فركَضَ رجلَه فانفجَرتْ عينُ ماءٍ، فاغتَسَل منها فصحَّ بدنُه، ثم نُودي: اركُضْ برجلك، فركَضَ رجلَه فخرجت عينٌ أخرى، فشربَ منها فصحَّ ما في جوفه، وكان هذا في غيبةِ زوجته، فلمَّا رجعَتْ إليه لم تعرِفْه وقالت: هل رأيتَ نبيَّ الله المبتلَى؟ فضحك في وجهها فعرفَتْه بثغره.

﴿وَءَاتَيۡنَٰهُ أَهۡلَهُۥ وَمِثۡلَهُم مَّعَهُمۡ﴾ ابن عبَّاسٍ رضي الله عنهما: أحيَا الله أولادَه بأعيانهم وأموالَه ومواشيَه ومِثْلُها ومِثْلُهم معهم[(١)].

وقيل: ردّ الله أولاده وأبقاهم حتّى جعل من نسلهم مثلهم.

وقيل: أعطاه مثلَهم في الدُّنيا ويُعطيهِ في الجنَّة مَن ماتوا.

﴿رَحۡمَةً مِّنۡ عِندِنَا﴾؛ أي: نعمةً عليه ﴿وَذِكۡرَىٰ لِلۡعَٰبِدِينَ﴾: يَقتدون به في الصَّبر على البلاء والشُّكر على النَّعْماء.

عقبةُ بنُ عامرٍ عن النَّبيِّ ﷺ قال: «أوحَى اللهُ إلى أيُّوبَ: تدري ما ذنبُكَ عندي حتَّى ابتلَيْتُك؟ قال: لا يا ربِّ، قال: دخلتَ على فرعونَ فأَدْهَنْتَ له بكلمتين»[(٢)].

ورُوي أنَّه مُطِر على أيُّوب جرادٌ من ذهبٍ، فجعَل يجمعُه ويجعلُه في ثوبه، فقال: يا أيُّوبُ، أمَا تَشبعُ؟ فقال: ومَن يَشْبَعُ مِن رحمتك[(٣)]؟!

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (١٦/ ٣٦٦). وإسناده ضعيف جداً.

(٢) رواه ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (١٠/ ٦٠). قال سبط ابن الجوزي في «مرآة الزمان» (٢/ ١٠): «قلت: ولا يصح هذا الحديث مرفوعًا، وإنما هو موقوف؛ وأيوب لم يفارق الشام ولا دخل مصر باتفاق الرواة».

(٣) رواه البخاري (٢٧٩) عن أبي هريرة رضي الله عنه ولفظه: «بينا أيوب يغتسل عريانًا، فخر عليه جراد =

(٨٥) ـ ﴿وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِدۡرِيسَ وَذَا ٱلۡكِفۡلِۖ كُلّٞ مِّنَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾.

﴿وَإِسۡمَٰعِيلَ﴾: هو ابنُ إبراهيم ﴿وَإِدۡرِيسَ﴾: هو ابنُ شيثِ بنِ آدم، وهو أخنوخ ﴿وَذَا ٱلۡكِفۡلِ﴾؛ أي: اذكُرْهم.

قال ابن عبَّاسٍ رضي الله عنهما: ذو الكفلِ هو: إلياسُ(١).

الحسن: هو نبيٌّ اسمُه ذو الكفل(٢).

وقيل: هو يوشعُ بن نونٍ. والكفلُ: الحظُّ، واللهُ ضاعَفَ ثوابَه لأنَّه ضاعَفَ عمَلَه.

المبرِّد: كان رجلاً صالحاً عَبَدَ اللهَ في غارِ جبلٍ(٣). والكفلُ: الجبلُ.

وقيل: كان رجلاً صالحاً اسمُه عُوَيْبٌ، ولم يكن نبيًّا، بل تكفَّلَ للهِ بأمورٍ فوفَى بها. والكفلُ: الكفالة.

وقيل: هو زكريَّا.

﴿كُلّٞ مِّنَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾؛ أي: كلُّ هؤلاء المذكورين، كلُّهم موصوفون بالصَّبر.

* * *

(٨٦) ـ ﴿وَأَدۡخَلۡنَٰهُمۡ فِي رَحۡمَتِنَآۖ إِنَّهُم مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾.

﴿وَأَدۡخَلۡنَٰهُمۡ فِي رَحۡمَتِنَآ﴾ قيل: هي النُّبوَّة، وقيل: هي النِّعمةُ في الآخرة ﴿إِنَّهُم

= من ذهب، فجعل أيوب يحتثي في ثوبه، فناداه ربه: يا أيوب، ألم أكن أغنيتك عما ترى؟ قال: بلى وعزتك، ولكن لا غنى بي عن بركتك».

(١) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (١٨/ ٢٣٠) بلا نسبة.

(٢) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٣/ ٤٦٤)، والواحدي في «البسيط» (١٥/ ١٥٣).

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (١٦/ ٣٧١ ـ ٣٧٣) عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه وعن مجاهد.

﴿مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾: من الأنبياء، وسُمُّوا صالحين؛ لأنَّ صلاحَهم لا يشوبُه كدَرُ الفساد.

ومعنى: ﴿وَأَدْخَلْنَٰهُمْ فِى رَحْمَتِنَآ﴾: غمَرَتْهم الرَّحمةُ، فهو أبلغُ مِن: رَحِمْناهم(١).

***

(٨٧) - ﴿وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَىٰ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّى كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾.

﴿وَذَا ٱلنُّونِ﴾ أجمعَ المفسِّرون على أنَّه يونسُ عليه السَّلام، والنُّونُ: الحوتُ؛ لتسميةِ اللهِ إيَّاه في السُّورة الأخرى: (صاحب الحوت)(٢).

﴿إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبًا﴾ فيه أقوالٌ:

أحدها: مغاضباً لقومه حين دعاهم إلى اللهِ مدَّةً مديدةً فلم يُجيبوه، فأَوْعَدهم بالعذاب، ثم خرج مِن بينِهم على عادة الأنبياء عند نزولِ العذاب بالقوم قبلَ أن أَذِنَ اللهُ له في الخروج.

وقيل: مغاضباً للملِك، واسمه: حِزقيا، وذلك أنَّ يونسَ كان يسكنُ فلسطين، فغزاهم ملكٌ، فسبَى منهم تسعةَ أسباطٍ ونصفَ سبطٍ، وبقيَ سبطانِ ونصفُ سِبطٍ، فأَوْحَى الله إلى شَعْياء النَّبيِّ عليه السَّلامُ أنْ سِرْ إلى حزقيا الملك، وقل له حتَّى يوجِّه نبيًّا قويًّا أميناً، فإنِّي أُلقي في قلوب أولئك حتّى يُرسلوا معه بني إسرائيل، قال له الملِكُ: فمَن تَرَى؟ وكان في مملكته خمسةٌ من الأنبياء، قال: يونسُ، فإنَّه قويٌّ

---

(١) ذكره الواحدي في «البسيط» (١٥/ ١٥٣) ونسب لأهل المعاني. وقد جاء هذا المعنى من حرف الجر (في) الذي أفاد أن الرحمة صارت لهم ظرفاً محيطاً غامراً، ويظهر من لفظ (أدخلناهم) معنى لطيف، وهو أن الرحمة خاصة بهؤلاء، فلا يمكن الدخول فيها إلا بإدخال من الله سبحانه وتعالى وإذن منه سبحانه.

(٢) وذلك في سورة القلم، في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَكُن كَصَاحِبِ ٱلْحُوتِ إِذْ نَادَىٰ وَهُوَ مَكْظُومٌ﴾ [القلم: ٤٨].

أمينٌ، فدعا الملِكُ يونسَ فأمره بالخروج، فقال يونسُ: هل أَمَرك اللهُ بإخراجي؟ قال: لا، قال: فهل سمَّاني لك؟ قال: لا، قال: هاهنا غيري أنبياءُ، فألحُّوا عليه فخرج مغاضباً للملك(١).

وقيل: ذهب مغاضباً لربِّه؛ لأنَّه وعدَهم بالعذابِ فلم يأتهم لميعاده، ولم يَعرِفْ أنَّ الله صَرَف عنهم العذابَ لتوبتِهم وإنابَتِهم وأنَّهم آمنوا، وكرِهَ أن يعودَ إليه(٢) كذَّاباً(٣).

وقيل: خاف أن يقتلوه، وهذا بعيدٌ.

وقيل: ﴿مُغَـٰضِبًا﴾ بمعنى: غضبان؛ لأنَّ المفاعلةَ قد يأتي من واحدٍ؛ كطارَقْتُ وسافَرْتُ، ومعنى غضبانَ: إِنِفاً(٤) أن يعودَ إليهم فيكذِّبوه.

الحسن: إنَّما غاضَبَ ربَّه من أجلِ أنَّه أُمِرَ بالمصير إلى قومه ليُنذرَهم، فسأل ربَّه أن يُنظِرَه ليتأهَّب للشُّخوص إليهم، فقيل له: الأمرُ أسرعُ من ذلك، ولم يُنظَرْ، حتَّى سأل أن يأخُذَ نعلاً يَلبسُها، فقيل له: الأمرُ أسرعُ من ذلك، وكان رجلاً في خُلُقه ضِيقٌ، فقال: أَعْجَلَني ربِّي، فخرج مغاضباً(٥).

ورُوي عن وهبٍ أنَّه قال: إنَّ يونسَ عليه السَّلامُ كان عبداً صالحاً، وكان في

---

(١) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (١٨/ ٢٣٢)، والواحدي في «البسيط» (١٥/ ١٥٤) من طريق عطية العوفي عن ابن عباس رضي الله عنهما. وعطية ضعيف.

(٢) كذا، ولو قال: «أن يعود إليهم»، لكان أظهر.

(٣) رواه بأتم من هذا الطبري في «تفسيره» (١٦/ ٣٧٥) من طريق سعيد بن جبير عن ابن عباس.

(٤) في هامش (ف): «أي: أنف».

(٥) رواه الطبري في «تفسيره» (١٦/ ٣٧٦)، وذكره الثعلبي في «تفسيره» (١٨/ ٢٣٦) وعنه نقل المصنف.

خُلُقه ضِيقٌ، فلمَّا حُمِّل أثقالَ النُّبوَّة قذفَها وخرج هارباً منها(١)، فأخرجَه الله مِن أُولي العزم، فقال: ﴿فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُن كَصَاحِبِ الْحُوتِ إِذْ نَادَىٰ وَهُوَ مَكْظُومٌ﴾ [القلم: ٤٨]، وقال: ﴿فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُوا الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ﴾ [الأحقاف: ٣٥](٢).

﴿فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ﴾ فيه أقوالٌ:

أحدها: لن نضيِّقَ عليه، من قوله: ﴿وَمَن قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُۥ﴾ [الطلاق: ٧]، ومصدرُه: القَدْرُ، بالسُّكون.

وقيل: لن نَقدِرَ عليه بالعقوبة، من القَدَر بالفتح؛ أي: لن نَقْضِيَ عليه، وهو بمعنى التَّشديد، وقد قُرِئ بالتَّشديد(٣).

وقيل: لن نقدِّرَ عليه الرِّسالةَ.

وقيل: لن نقدِّرَ عليه كونَه في بطنِ الحوت.

وقيل: استزلَّه الشَّيطانُ فظنَّ أنْ لن يَقدرَ عليه ربُّه، من القُدرة، وهذا فاسدٌ.

وقيل: تقديره: أفظنَّ أنْ لن نقدِرَ عليه.

وقيل: فَعَلَ فِعْلَ مَن ظنَّ أنْ لن نقدِرَ عليه؟

---

(١) في ما بين يدي من النسخ الخطية: «منه»، والتصويب من مصادر التخريج.

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (١٦/ ٣٧٦) وابن أبي حاتم في «تفسيره» (١٠/ ٣٢٢٩)، وذكره الثعلبي في «تفسيره» (١٨/ ٢٣٦)، وفي قوله ـ إن صح الخبر ـ: «فلمَّا حُمِّل أثقالَ النُّبوَّة قذفَها وخرج هارباً» نكارة عظيمة لا تليق بأنبياء الله، بل ولا بتنزيه الخالق الذي اختارهم لحمل رسالته، ولا حاجة لأمثال هذه التعسفات والمبالغات، وليت المفسرين ينزهون كتبهم عن مثل هذه الأقوال الخارجة عن الصواب، والتي لم يرد بها الكتاب ولا السنة.

(٣) نسبت لابن أبي ليلى وأبي شرف والكلبي ويعقوب في غير المشهور عنه. انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ٩٥).

وقُرئ: ﴿يُقْدَرَ﴾ على المجهول[1].

وقيل: لن نُقْدِر عليه الملك حزقيا.

﴿فَنَادَىٰ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ﴾ ذهب من قومِه وسار حتَّى بلَغ السَّفينةَ فركبها، فساهَم فسُهِم، فألْقَى نفسَه في البحر فالْتَقَمه الحوتُ، ﴿فَنَادَىٰ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ﴾: اللَّيلِ والبحرِ وبطنِ الحوت، وقيل: ظُلمةِ الأمعاءِ، وظُلمةِ البطنِ، وظُلمةِ البحرِ، وظُلمةِ اللَّيل.

وروى المفسِّرون: أنَّ سالم بن أبي الجَعْدِ قال: الْتَقَمَ ذلك الحوتَ حوتٌ آخَرُ[2]. فتكون الظُّلماتُ ستًّا.

﴿أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ لنفسي في خروجي من قومي قبلَ أنْ تأذَنَ لي.

***

(٨٨) ـ ﴿فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَنَجَّيْنَٰهُ مِنَ ٱلْغَمِّ ۚ وَكَذَٰلِكَ نُـۨجِى ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾.

﴿فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ﴾ جاء في التَّفسير: لمّا الْتَقَمه الحوتُ سار به إلى بحرِ النِّيل، ثم إلى[3] بحرِ فارسَ، ثم إلى بحرِ دجلة، ثم ألقاه بنَصِيبِينَ بعد أربعين يوماً وليلةً.

وقيل: سار به البحارَ كلَّها ثم ألقاه بنَصِيبِينَ.

وكان حَبْسُه في بطنِ الحوتِ تأديباً له، وبقاؤه فيه معجزةً له.

قيل: لبثَ فيه ثلاثةَ أيّامٍ، وقيل: من ارتفاع النَّهار إلى آخره، وقيل: أربعَ ساعاتٍ.

---

(١) هي قراءة يعقوب من العشرة. انظر: «النشر» (٢/ ٣٢٤).

(٢) رواه ابن أبي شيبة في «مصنفه» (٣١٨٦٨)، والإمام أحمد في «الزهد» (١٨٤)، والطبري في «تفسيره» (١٦/ ٣٨٣).

(٣) في (ف): «سار به على بحر النيل ثم على».

ففتح الحوتُ فاه، فرأى يونسُ ضوءَ الشَّمس فقال: ﴿سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾، فلَفَظه الحوتُ.

وعن سعيد بن المسيِّب يرفعُه: أنَّ رسولَ الله ﷺ قال: «اسمُ الله الذي إذا دُعي به أجابَ، وإذا سُئلَ به أَعطَى: دعوةُ يونسَ النَّبيِّ»، قال الرَّاوي: قلتُ: يا رسول الله، أله خاصَّةً؟ فقال: «له خاصَّةً ولجميعِ المؤمنين عامَّةً إذا دَعَوا بها، ألم تسمعْ قولَ الله: ﴿وَكَذَلِكَ نُنجِي الْمُؤْمِنِينَ﴾»[1].

وعن ابن عبَّاسٍ رضي الله عنهما: أنَّ رسالةَ يونس بعد أن نبذَه الحوت إلى العراء، قال: والدَّليل على ذلك قولُه في قصَّته بعد ذلك: ﴿وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَى مِائَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ﴾ [الصافات: ١٤٧][2]. والجمهورُ على ما سبق.

وعن النَّبيِّ ﷺ: أنَّ يونسَ لمَّا استقرَّ به الحوتُ في قرارِ البحر حرَّك رجليه، فلمَّا تحرَّكتَا سجَد مكانه وقال: يا ربِّ، اتَّخذتُ لك مسجداً في موضعٍ ما اتَّخذه أحدٌ[3].

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (١٦/ ٣٨٦) من طريق سعيد بن المسيب عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه. ورواه عن سعد رضي الله عنه من طريق آخر: الترمذي (٣٥٠٥)، والنسائي في «الكبرى» (١٠٤١٦)، والإمام أحمد في «المسند» (١٤٦٢)، والحاكم في «المستدرك» (٤١٢١) ـ وصححه ـ بلفظ: «دعوة ذي النون إذ دعا وهو في بطن الحوت: لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين، فإنه لم يدع بها رجل مسلم في شيء قط إلا استجاب الله له».

(٢) رواه النحاس في «معاني القرآن» (٦/ ٦٣)، ورواه الطبري في «تفسيره» (١٩/ ٦٣٩) دون قوله: «والدليل...».

(٣) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٧٤٦) عن النبي عليه السلام، ورواه الطبري في «تفسيره» (١٦/ ٣٨٤) من قول عوف الأعرابي، ورواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (١٠/ ٣٢٢٩)، والحاكم في «المستدرك» (٤١٢٩) من طريق عوف الأعرابي عن الحسن قوله، ولم أقف عليه مرفوعاً عند غير المصنف.

﴿وَنَجَّيۡنَٰهُ مِنَ ٱلۡغَمِّۚ﴾: غمِّ الخطيئة، وقيل: تغطيةِ الظُّلمات: ظلمةِ الخطيئةِ، وظلمةِ الشِّدَّة، وظلمةِ الوحدة.

﴿وَكَذَٰلِكَ نُـۨجِي ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ أي: كما نجَّيناه نُنْجي مَن اقتَدَى به ودعا اللهَ بإخلاصٍ، وكتب ﴿نُـۨجِي ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ في الإمام بنونٍ واحدةٍ، وقرأت الجماعة بالإخفاء، وقرأ ابن عامرٍ وأبو بكرٍ عن عاصمٍ: ﴿نجِّي﴾ مشدَّدة الجيم[1]، واضطرب النُّحاة فيه؛ فذهب بعضُهم إلى أنَّه خطأٌ، وذهب بعضُهم إلى أنَّ المراد بالتَّشديد الإخفاء، وذهب بعضُهم إلى أنَّ التَّقدير: نُجِّيْ، والفعل للمجهول، والمصدرُ اسمه، وسكَّن الياء تخفيفاً[2].

والأوجه الثّلاثة فيها ضعفٌ:

أمَّا قولُ مَن قال: «هو خطأٌ» فإنَّه لم يَعرف الأسانيد، وأنَّ هذا ثَبَتَ بطرقٍ ثبت بها جميعُ القرآن فلا يمكنُ دفعُها.

ومَن قال: «إنَّما هو إخفاءٌ» بعيدٌ؛ إذ لو كان كذلك لم يكن بين القرَّاء خلافٌ.

وقولُ مَن قال: «مبنيٌّ للمجهول» بعيدٌ من وجهين:

أحدهما: أنَّه أَسندَ الفعلَ إلى المصدر مع وجودِ المفعول، وهذا لا يجوزُ في الإعراب.

والثّاني: تسكينُ الياء، وبابُه للضَّرورات.

ويحتمِلُ أن يقال: أصله: (نُنَجِّي) من التَّنجية، فحذفَ النّونُ الثَّانيةُ لاجتماعِ النُّونات كما حُذف في مواضعَ لا تُحصى[3].

---

(١) انظر: «السبعة» (ص: ٤٣٠)، و«التيسير» (ص: ١٥٥).

(٢) وعلى هذا القول الأخير خرَّج القراءة ابن خالويه في «الحجة في القراءات السبع» (ص: ٢٥٠).

(٣) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٧٤٧)، واستغربه.

(٨٩) ـ ﴿وَزَكَرِيَّآ إِذۡ نَادَىٰ رَبَّهُۥ رَبِّ لَا تَذَرۡنِي فَرۡدٗا وَأَنتَ خَيۡرُ ٱلۡوَٰرِثِينَ﴾.

﴿وَزَكَرِيَّآ إِذۡ نَادَىٰ رَبَّهُۥ رَبِّ لَا تَذَرۡنِي فَرۡدٗا وَأَنتَ خَيۡرُ ٱلۡوَٰرِثِينَ﴾؛ أي: فرداً بلا ولدٍ ولا وارثٍ، وأنت خيرُ مَن يرثُ العبادَ من الأهلِ والأولاد.

وقيل: فرداً عن عصمتِكَ(١).

وقيل: تقديره: إنْ رزَقْتَني ولداً وارثاً، وإنْ لا فأنتَ خيرُ الوارثين(٢).

***

(٩٠) ـ ﴿فَٱسۡتَجَبۡنَا لَهُۥ وَوَهَبۡنَا لَهُۥ يَحۡيَىٰ وَأَصۡلَحۡنَا لَهُۥ زَوۡجَهُۥٓۚ إِنَّهُمۡ كَانُواْ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِ وَيَدۡعُونَنَا رَغَبٗا وَرَهَبٗاۖ وَكَانُواْ لَنَا خَٰشِعِينَ﴾.

﴿فَٱسۡتَجَبۡنَا لَهُۥ وَوَهَبۡنَا لَهُۥ يَحۡيَىٰ وَأَصۡلَحۡنَا لَهُۥ زَوۡجَهُۥٓ﴾ وكانت عاقراً عقيماً.

وقيل: كانت سيِّئة الخلق.

وقيل: كانت عجوزاً، فردَّ إليها ماءَ الشَّباب.

﴿إِنَّهُمۡ﴾: زكريَّا ويحيى وزوجته.

وقيل: هم الذين تقدَّم ذكرهم(٣).

﴿كَانُواْ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِ﴾: يبادِرونَ إليها ﴿وَيَدۡعُونَنَا رَغَبٗا﴾ في الثَّواب ﴿وَرَهَبٗا﴾ من العقاب.

---

(١) أي: خليّاً عنها، بعيداً عن الطاعة. انظر: «تفسير العزّ بن عبد السلام» (٢/ ٣٣٦).

(٢) ذكر أبو جعفر النحاس في «إعراب القرآن» (٣/ ٥٦) أنه سمع نحوه من علي بن سليمان الأخفش الصغير)، وأنه أحسن ما سمعه في تأويل هذه القراءة. ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٧٤٧)، واستغربه.

(٣) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٧٤٧)، واستغربه.

وقيل: ﴿رَغَبًا﴾ في الطَّاعة ﴿وَرَهَبًا﴾ عن المعصية.

وقيل: ﴿رَغَبًا﴾ ببطنِ الأَكُفِّ ﴿وَرَهَبًا﴾ بظهر الأَكُفّ[1].

﴿وَكَانُوا۟ لَنَا خَٰشِعِينَ﴾: متواضِعِينَ خائفِينَ، راغِبِينَ راهِبِين.

وقيل: هو وضعُ اليُمنى على اليسرى، والنَّظرُ إلى موضع السُّجود.

* * *

(٩١) ـ ﴿وَٱلَّتِىٓ أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهَا مِن رُّوحِنَا وَجَعَلْنَٰهَا وَٱبْنَهَآ ءَايَةً لِّلْعَٰلَمِينَ﴾.

﴿وَٱلَّتِىٓ أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا﴾ يريد: مريمَ؛ أي: حَفِظَتْه ومَنَعَتْه من الأزواج.

وقيل: منعَتْه من جبريلَ لمّا قَرُبَ منها ليَنْفُخَ فيه قبلَ أن تَعلَمَ أنّه رسول الله.

وقيل: ﴿فَرْجَهَا﴾: جيبَ قميصها، حفِظَتْه ومنَعَتْه وضيَّقَتْه.

﴿فَنَفَخْنَا فِيهَا﴾ مدَّ جيبَ درعها بأصبعيه، ثم نفخَ فيها فحملت بعيسى، والتَّأنيث للنَّفس[2].

قوله: ﴿مِن رُّوحِنَا﴾؛ أي: أَمْرِنا، أي: نَفَخ فيها جبريلُ بأَمْرِنا، وأضافه سبحانه إلى ذاته تشريفاً، وقد سبق في سورة (مريم).

﴿وَجَعَلْنَٰهَا وَٱبْنَهَآ ءَايَةً لِّلْعَٰلَمِينَ﴾؛ أي: آيةً توجِبُ العلمَ اليقينَ لِمَن تأمَّل، ووحَّد ﴿ءَايَةً﴾ لأنَّ الأعجوبةَ فيهما واحدةٌ، وقيل: قصَّتهما آيةً.

* * *

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٧٤٧)، واستغربه.

(٢) انظر: «درة التنزيل» للخطيب الإسكافي (١/ ٩١٢)، و«البرهان» للمصنف (ص: ١٨٠).

(٩٢) ـ ﴿ إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمۡ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ وَأَنَا۠ رَبُّكُمۡ فَٱعۡبُدُونِ ﴾.

﴿ إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمۡ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ ﴾؛ أي: ملَّتُكم. والأمَّة: الملَّة؛ يعني بها: الإسلام، وهي ملَّةُ جميعِ الأنبياء والمؤمنين.

وقيل: هذه جماعتُكم ـ والأمَّةُ: الجماعة ـ جماعةً واحدةً في أنَّها مخلوقةٌ لله ومملوكةٌ له، واللهُ خالقُها ومالكُها.

وقيل: ﴿ إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمۡ ﴾: مقصودٌ بها دينٌ واحدٌ، والأَمُّ: القَصْد.

وقيل: طريقتُكم وسيرتُكم؛ أي: أنتم وآباؤكم طريقةٌ في الكفر بالله.

وهي نصبٌ على الحال؛ أي: متوحِّدةً غيرَ متفرِّقةٍ[1]، وقيل: بدلٌ من اسم ﴿ إِنَّ ﴾.

﴿وَأَنَا۠ رَبُّكُمۡ فَٱعۡبُدُونِ ﴾: وحِّدوني وأطيعوني.

وقيل: عدَّد الله في هذه السّورة عِدَّةً من الأنبياء[2]، ثم جمعَهم في خصلةٍ واحدةٍ، وهي عبادةُ الله.

* * *

(٩٣) ـ ﴿وَتَقَطَّعُوٓاْ أَمۡرَهُم بَيۡنَهُمۡۖ كُلٌّ إِلَيۡنَا رَٰجِعُونَ ﴾.

﴿وَتَقَطَّعُوٓاْ أَمۡرَهُم بَيۡنَهُمۡ﴾: تفرَّقوا في الدِّين فصاروا فِرَقاً ﴿كُلٌّ إِلَيۡنَا رَٰجِعُونَ ﴾: فنَجزِيهم بأعمالهم.

* * *

(١) أي: هذه أمتكم في حال اجتماعها على الحق، فإذا افترقت فليس من خالف الحق داخلًا فيها. انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٣/ ٤٠٤).

(٢) في هامش (ن): «أربعة عشر نبيا».

(٩٤) ـ ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا كُفْرَانَ لِسَعْيِهِۦ وَإِنَّا لَهُۥ كَٰتِبُونَ﴾.

﴿فَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ﴾ بمحمَّـدٍ والقـرآن؛ لأنّ البـرَّ مـن غيـرِ إيمـانٍ باطلٌ.

﴿فَلَا كُفْرَانَ لِسَعْيِهِۦ﴾: لا نُبْطِلُ عملَه ولا نَجحَدُ، بل نجازيهِ أحسنَ الجزاء ﴿وَإِنَّا لَهُۥ كَٰتِبُونَ﴾: حافظونَ ما عَمِلَ إلى يومِ الجزاء.

و﴿مِنَ﴾ في الآية صلةٌ. ويحتمِلُ التَّبعيضَ والمفعولُ محذوفٌ؛ أي: بِرًّا.

والصّالحاتُ: أبوابُ البِرِّ.

***

(٩٥) ـ ﴿وَحَرَٰمٌ عَلَىٰ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَٰهَآ أَنَّهُمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾.

﴿وَحَرَٰمٌ عَلَىٰ قَرْيَةٍ﴾؛ أي: أهلِ قريةٍ ﴿أَهْلَكْنَٰهَآ﴾: حكَمْنا بإهلاكها، وقيل: وجَدْناها هالكةً، الثَّوابُ ﴿أَنَّهُمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾: لأنَّهم لا يرجعون إلى التَّوبة.

وقيل: حرامٌ عليهم أن يرجعوا إلى الدّنيا، و﴿لَا﴾ صلةٌ، والحرامُ: المنعُ والعزم.

وقيل: تقديره: عزمٌ عليهم ومُوجَبٌ عليهم تركُ الرُّجوع إلى الدنيا[1]، فيكون ﴿لَا﴾ واقعاً موقعَه.

وقيل: هو متَّصلٌ بقوله: ﴿كُلٌّ إِلَيْنَا رَٰجِعُونَ﴾، وحرامٌ عليهم تركُ الرُّجوع إلى الحساب والثَّواب والعقاب؛ لأنَّهم إذا مُنِعوا من أنْ لا يرجعوا فقد حُمِلوا على أنْ يرجعوا[2].

---

(١) في النسختين: «النار»، والمثبت من «غرائب التفسير» (٢/ ٧٤٨)، وعدَّه من الغريب.

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٧٤٨)، واستغربه.

ويحتمِل أنَّ التَّقدير: ومَن يعملْ من الصَّالحات وهو مؤمنٌ فلا كفرانَ لسعيه، وحرامٌ ذلك على الكفَّار؛ لأنَّهم لا يرجعون إلى الإيمان.

* * *

(٩٦) ـ ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا فُتِحَتۡ يَأۡجُوجُ وَمَأۡجُوجُ وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٖ يَنسِلُونَ ﴾.

﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا فُتِحَتۡ يَأۡجُوجُ وَمَأۡجُوجُ ﴾؛ أي: سدُّهما بأنْ يَخرُجَا منه، وقد سبق ذكرُهما في (الكهف).

﴿وَهُم﴾ يعني: يأجوجَ ومأجوجَ، وقيل: الخلق جميعاً.

﴿مِّن كُلِّ حَدَبٖ﴾: مِن كلِّ نَشَزٍ وارتفاعٍ ﴿يَنسِلُونَ﴾: يخرُجون، مِن نَسَل شعرُه.

وقيل: يُسرعون، من نَسَلان الذِّئب، وهو عَدْوُه.

وعن أمِّ سلمة رضي الله عنها: أنَّ النَّبيَّ ﷺ كان نائماً في بيتي، فاستيقظَ محمرًّا عيناه فقال: «لا إلهَ إلَّا اللهُ ـ ثلاثاً ـ ويلٌ للعربِ من أمرٍ قد اقترَب، قد فُتِح اليومَ من ردمِ يأجوجَ ومأجوجَ مثلُ هذا» وأشار بيده إلى عَقْدِ تسعين[1].

وقيل: إنَّ ملك الرُّوم يبعثُ كلَّ يومٍ خيلاً يخرجون إلى الرَّدم ويحرسونه، فإذا عادوا قالوا: مازلنا نسمعُ من وراء السَّدِّ جَلَبةً وأمراً شديداً، كأنَّهم يسمعون قرعَ فؤوسهم.

---

(١) رواه البخاري (٧٠٥٩)، ومسلم (٢٨٨٠) من طريق سفيانَ بنِ عُيَيْنَةَ، عن الزُّهريِّ، عن عروة، عن زينب بنت أم سلمة، عن أم حبيبة بنت أبي سفيان، عن زينب بنت جحش رضي الله عنهن. وفيهما أن الذي عقد بيده هو سفيان، وجاء في رواية البخاري: وعَقَد سفيانُ تِسعِين أو مئةً. وفي رواية مسلم: وعَقَد سفيانُ بيده عَشَرةً. وروى البخاري (٧١٣٦)، ومسلم (٢٨٨١) من طريق وُهَيْبٍ، عن عبد الله بن طاوسٍ، عن أبيه، عن أبي هريرةَ، عن النبيِّ ﷺ قال: «فُتح اليومَ من ردم يأجوج ومأجوج مِثْلُ هذه» وعَقَد وُهيبٌ بيده تِسعين.

وقوله: ﴿حَتَّىٰٓ﴾ غايةُ الرُّجوع، وفي جوابِ ﴿إِذَا﴾ أقوالٌ:

أحدها: ﴿وَٱقۡتَرَبَ ٱلۡوَعۡدُ﴾ والواو مقحمةٌ زائدةٌ.

وقيل: تقديره: قالوا: يا ويلنا.

وقيل: جوابُه: شَخَصَتْ أبصارُ الذين كفروا(١).

وقيل: جوابُه مضمَرٌ؛ أي: رَجَعوا.

* * *

(٩٧) ـ ﴿وَٱقۡتَرَبَ ٱلۡوَعۡدُ ٱلۡحَقُّ فَإِذَا هِيَ شَٰخِصَةٌ أَبۡصَٰرُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يَٰوَيۡلَنَا قَدۡ كُنَّا فِي غَفۡلَةٖ مِّنۡ هَٰذَا بَلۡ كُنَّا ظَٰلِمِينَ﴾.

﴿وَٱقۡتَرَبَ ٱلۡوَعۡدُ ٱلۡحَقُّ﴾؛ أي: القيامةُ، والحقُّ: الذي لا خُلْفَ فيه.

﴿فَإِذَا هِيَ﴾ (إذا) للمفاجأة، وهي كنايةٌ عن القصَّة تجري مَجرى الأمرِ والشَّأن مع المذكَّر(٢).

وقيل: كنايةٌ عن الأبصار، ومثلُها: ﴿فَإِنَّهَا لَا تَعۡمَى ٱلۡأَبۡصَٰرُ﴾ [الحج: ٤٦].

وقيل: كنايةٌ عن العيون، وشُخوصها: امتدادُها فلا تَطْرُف.

وعن بعض القرَّاء الوقفُ على ﴿هِيَ﴾، كأنَّه جعلَها كنايةً عن السَّاعة؛ أي: فإذا هي قائمةٌ، ثمَّ استأنف فقال: ﴿شَٰخِصَةٌ أَبۡصَٰرُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾(٣)؛ أي: أبصارُ

---

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٧٤٩)، واستغربه.

(٢) ضمير الشأن أو الأمر أو القصة أو الحديث خبر هو ضمير لا يعود على شيء متقدّم ذكره، وإنما يتصل بالجملة التالية له، فيكون هو كناية عنها، وتكون هي خبراً له، ويسميه الكوفيون المجهول، ويرون جواز الإخبار عنه المفرد أيضاً. انظر: «الأصول» لابن السراج (١/ ١٨٢)، و«شرح الكتاب» للسيرافي (١/ ٣٤٨)، و«التعليقة» لأبي علي الفارسي (٢/ ٢٧٣).

(٣) انظر: «منار الهدى في الوقف والابتدا» للأشموني (٢/ ٤٢).

الذين كفروا شاخصةٌ، يقولون: ﴿يَٰوَيْلَنَا قَدْ كُنَّا فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا﴾؛ أي: لم نعلم أنَّه حقٌّ ﴿بَلْ كُنَّا ظَٰلِمِينَ﴾ لأنفُسِنا بترك الإيمان به.

* * *

(٩٨) - ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمْ لَهَا وَٰرِدُونَ﴾.

﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾؛ أي: الأوثانَ ﴿حَصَبُ جَهَنَّمَ﴾ فيه قولان:

أحدهما: أنَّه متَّصلٌ بالأوَّل؛ أي: وقُلْنا لهم: إنَّكم.

والثَّاني: استئنافٌ.

و﴿حَصَبُ جَهَنَّمَ﴾: ما يُهَيَّجُ به النَّار، والحَصَبُ: ما يُحصَبُ؛ أي: يُرْمَى به، تقول: حَصَبه يَحْصِبُه: رماه بالحَصْباء.

وقيل: ﴿حَصَبُ جَهَنَّمَ﴾: حطبُ جهنَّم بلغةِ حَبَشَةَ[1].

ويقال: ﴿حَصَبُ جَهَنَّمَ﴾: ما تُرفَعُ النَّارُ به، تقولُ: حَصَبَ النَّارَ؛ إذا رَفَعَها، وتقولُ: حَصَب في الأرض؛ إذا ذَهَب فيها.

﴿أَنتُمْ لَهَا وَٰرِدُونَ﴾: داخلون، و﴿لَهَا﴾ بمعنى: إليها.

وقيل: ﴿وَٰرِدُونَ﴾ مُشْرِفون عليها، وقد سَبَق في سورة (مريم).

* * *

(١) ذكره السجستاني في «غريب القرآن» (ص: ١٩٤)، وفي «معاني القرآن» للفراء (٢/ ٢١٢) أنها لغة أهل اليمن، وفي «تأويلات أهل السنة» للماتريدي (٧/ ٣٧٧) عن ابن عباس أنها بالزنجية، وذكر ابن سمنون في «اللغات في القرآن» (ص: ٣٧) أنها لغة قريش، وقد قرئ (حَصْب) و(حَضَب) و(حَضْب)، و(حَطَب). انظر: «المحتسب» لابن جني (٢/ ٦٧).

(٩٩ ـ ١٠٠) ـ ﴿لَوْ كَانَ هَٰٓؤُلَآءِ ءَالِهَةً مَّا وَرَدُوهَا ۖ وَكُلٌّ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٩٩﴾ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَهُمْ فِيهَا لَا يَسْمَعُونَ﴾.

﴿لَوْ كَانَ هَٰٓؤُلَآءِ ءَالِهَةً﴾ كما زعمتم ﴿مَّا وَرَدُوهَا﴾: ما دخلوا النَّار، ﴿وَكُلٌّ﴾: العابدُ والمعبودُ ﴿فِيهَا﴾: في النَّار ﴿خَٰلِدُونَ﴾.

﴿لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ﴾: أنينٌ وتنفُّسٌ شديدٌ وبكاءٌ وعَوِيلٌ ﴿وَهُمْ فِيهَا لَا يَسْمَعُونَ﴾ حين صاروا صُمًّا عُمياً بُكماً.

وقيل: لا يسمعون ما يَسُرُّهم.

وقيل: لأنَّهم في توابيتَ من نارٍ(١).

***

(١٠١) ـ ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا ٱلْحُسْنَىٰٓ أُو۟لَٰٓئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ﴾.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا ٱلْحُسْنَىٰٓ﴾ في سبب النُّزول: عن أبي بكرِ بنِ عيَّاشٍ، عن عاصمٍ بروايته، عن ابن عبَّاسٍ رضي الله عنهما قال: آيةٌ لا يسألُني النَّاسُ عنها، لا أدري أَعَرَفوها فلم يَسألوا عنها، أم جَهِلوها فلا يَسألون عنها؟ قيل له: وما هي؟ قال: لمّا نزلت: ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمْ لَهَا وَٰرِدُونَ﴾ شقَّ على قريشٍ فقالوا: شتَم آلهتنا، فجاء ابنُ الزِّبَعْرَى فقال: ما لكم؟ قالوا: شتَم آلهتَنا، قال: فما قال؟ قالوا: قال: ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ

---

(١) رواه ابن أبي الدنيا في «صفة النار» (١٠٣)، والطبري في «تفسيره» (١٦/ ٤١٥)، والطبراني في «الكبير» (٩٠٨٧)، وعبد بن حميد وابن أبي حاتم كما في «الدر المنثور» (٥/ ٦٨١)، عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: إذا ألقي في النار من يخلد فيها جعلوا في توابيت من نار، ثم جعلت تلك التوابيت في توابيت أخرى، ثم جعلت التوابيت في توابيت أخرى فيها مسامير من نار، فلا يرى أحد منهم أن في النار أحداً يعذّب غيره، ثم قرأ: ﴿لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَهُمْ فِيهَا لَا يَسْمَعُونَ﴾.

﴿حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمْ لَهَا وَٰرِدُونَ﴾، قال: ادعُوه لي، فلمَّا دُعي عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ قال: يا محمَّد؛ هذا شيءٌ لآلهتنا خاصَّةً أو لكلِّ مَن عُبِد من دون الله؟ قال: «لا، بل لكلِّ مَن عُبد من دون الله»، فقال ابنُ الزِّبَعْرَى: خَصَمْتُ[1] وربِّ هذه البَنِيَّة ـ يعني: الكعبةَ ـ ألستَ تزعُمُ أنَّ الملائكةَ عبادٌ صالحون، وأنَّ عيسى عبدٌ صالحٌ، وأنَّ عزيراً عبدٌ صالحٌ، وهذه بنو مَليحٍ يعبدون الملائكة، وهذه النَّصارى يعبدون عيسى، وهذه اليهودُ يعبدون[2] عزيراً، قال: فضجَّ أهلُ مكَّة، فأنزل الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا ٱلْحُسْنَىٰٓ أُوْلَٰٓئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ﴾[3].

﴿ٱلْحُسْنَىٰٓ﴾: السَّعادةُ، وقيل: العِدَةُ، وقيل: بِشارةُ الله بالجنَّة، وقيل: الجنَّةُ، وقيل: الطَّاعة التي يُجازَون عليها، وقيل: التَّوبة.

﴿أُوْلَٰٓئِكَ عَنْهَا﴾: عن جهنَّم ﴿مُبْعَدُونَ﴾.

الحسين بن الفضل[4]: إنَّما أراد بقوله: ﴿وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ الأصنامَ؛ لأنَّه لو أراد النَّاسَ لقال: ومَن تَعبُدون.

---

(١) هكذا ضبطت في النسختين، ومعناه: غلبتُ في الخصومة. انظر: «طلبة الطلبة» للنسفي (ص: ١٢٦).

(٢) في (ف): «تعبد».

(٣) رواه الطحاوي في «شرح مشكل الآثار» (٣/ ١٥)، والطبراني في «المعجم الكبير» (١٢٧٣٩)، والواحدي في «أسباب النزول» (ص: ٣٠٥)، من حديث ابن عباس رضي الله عنهما. قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٧/ ٦٩): «فيه عاصم بن بهدلة وقد وثِّق وضعفه جماعة». ورواه بنحوه دون ذكر الآية الإمام أحمد في «المسند» (٢٩١٨). وهو في «السيرة النبوية» لابن هشام (١/ ٣٥٨ـ٣٥٩) عن ابن إسحاق، ورواه عنه الطبري في «تفسيره» (١٦/ ٤١٧ ـ ٤١٨).

(٤) في النسختين: «الحسن بن فضل» والتصويب من «تفسير الثعلبي» (١٨/ ٢٦٧)، والحسين بن الفضل مفسر معمَّر، كان رأساً في معاني القرآن، أصله من الكوفة، انتقل إلى نيسابور، توفي سنة (٢٨٢هـ) وهو ابن مئة وأربع سنين. انظر: «سير أعلام النبلاء» (١٣/ ٤١٤). وقد كثر النقل عنه في كتب التفسير.

وقيل: أراد بقوله: ﴿سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا ٱلْحُسْنَىٰٓ﴾: جميعَ المؤمنين(١).

وعن عليٍّ رضي الله عنه: أنَّه خَطَب فقرأ هذه الآية، ثم قال: عثمانُ منهم(٢).

* * *

(١٠٢) - ﴿لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا ۖ وَهُمْ فِى مَا ٱشْتَهَتْ أَنفُسُهُمْ خَٰلِدُونَ﴾.

﴿لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا﴾: صوتَها، هذه مبالغةٌ في الإبعادِ عنها؛ أي: لا يَقْرَبونها فيَسمعوا صوتَها وصوتَ مَن فيها.

﴿وَهُمْ فِى مَا ٱشْتَهَتْ أَنفُسُهُمْ خَٰلِدُونَ﴾؛ أي: في غايةِ التَّنعُّم ونعيمِ الجنَّة وملاذِّها.

* * *

(١٠٣) - ﴿لَا يَحْزُنُهُمُ ٱلْفَزَعُ ٱلْأَكْبَرُ وَتَتَلَقَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ هَٰذَا يَوْمُكُمُ ٱلَّذِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾.

﴿لَا يَحْزُنُهُمُ ٱلْفَزَعُ ٱلْأَكْبَرُ﴾ قيل: حين يُذبح الموت، وقيل: إذا أُطْبقتِ النَّار، وقيل: عند النَّفخة الثَّانية إذا خرجوا من قبورهم.

﴿وَتَتَلَقَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾: تستقبلُهم بالبُشرى ﴿هَٰذَا يَوْمُكُمُ ٱلَّذِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾ في الدُّنيا، فأَبْشِروا بالأمنِ والفوز.

* * *

(١٠٤) - ﴿يَوْمَ نَطْوِى ٱلسَّمَآءَ كَطَىِّ ٱلسِّجِلِّ لِلْكُتُبِ ۚ كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ ۚ وَعْدًا عَلَيْنَآ ۚ إِنَّا كُنَّا فَٰعِلِينَ﴾.

﴿يَوْمَ نَطْوِى ٱلسَّمَآءَ﴾: نطوِيها بعد نشرِها، وقيل: طيُّها: إبطالُها وإفناؤها، وقيل: طيُّها: تبديلُها.

---

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٧٤٩)، واستغربه.

(٢) رواه ابن أبي شيبة في «مصنفه» (٣٢٠٥٢)، والطبري في «تفسيره» (١٦/ ٤١٥).

﴿كَطَيِّ ٱلسِّجِلِّ﴾؛ أي: نَطْويها كما يُطْوَى السِّجلُّ، والسِّجلُّ: الصَّحيفة.

﴿لِلْكُتُبِ﴾[١]: علـى ما كُتِب فيه؛ كي لا يُطَّلعَ عليه. وقيـل: كطيِّ الصَّحيفة لأجـلِ الكتـاب الذي فيهـا. وقيل: الـلَّام زائـدةٌ، والكتابُ بدلٌ مـن ﴿ٱلسِّجِلِّ﴾؛ أي: كطيِّ الكتاب.

وقيل: السِّجِلُّ: الرَّجلُ بلغة حبشةَ[٢].

ابن عبَّاسٍ رضي الله عنهما: اسمُ كاتبٍ لرسول الله ﷺ[٣].

السُّدِّيُّ: اسمُ ملكٍ يكتبُ بالنُّور استغفارَ الخلق[٤].

وقيل: هو الملك الذي إذا مات الإنسان دفع إليه صحيفته فيطويها.

---

(١) في (ف): «للكتاب». وهما قراءتان سبعيتان، قرأ حمزة والكسائي وعاصم في رواية حفص: ﴿للكُتُب﴾ على الجمع، والباقون: ﴿للكِتَاب﴾ على الواحد. انظر: «السبعة» (ص: ٤٣١)، و«التيسير» (ص: ١٥٥).

(٢) ذكره الزجاج في «معاني القرآن» (٣/ ٤٠٦)، وفي المطبوع منه: «الجيش» وصوابه: «الحبش». ورواه ابن مردويه عن ابن عباس وذكر السيوطي في «المهذب» (ص: ٩٥)، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٧٤٩)، وعدَّه من العجائب.

(٣) رواه أبـو داود (٢٩٣٥)، والطبـري في «تفسيره» (١٦/ ٤٢٤). قال ابن كثير فـي «البداية والنهاية» (٨/ ٣٤٠): «وقـد عرضـت هـذا الحديث على شـيخنا الحافـظ الكبير أبي الحجـاج المزي فأنكره جـدًّا، وأخبرتـه أن شـيخنا العلامـة أبـا العباس ابن تيميـة كان يقول: هـو حديث موضـوع وإن كان فـي «سـنن أبـي داود» فقـال شـيخنا المـزي: وأنا أقولـه». وذكـره المصنف فـي «غرائب التفسـير» (٢/ ٧٤٩)، واستغربه.

(٤) رواه الطبري في «تفسيره» (١٦/ ٤٢٣) من قول ابن عمر رضي الله عنهما. وروى عقبه عن السدي قوله: السجل ملك. وضعف هذا القول والذي قبله الطبري بقوله: «ولا يعرف لنبينا ﷺ كاتب كان اسمه السجل، ولا في الملائكة ملك ذلك اسمه».

ومن هنا إلى قسم من الآية رقم ٤ من سورة الحج سقط من (ق).

فعلى هـذه الوجوه ﴿ٱلسِّجِلِّ﴾ فاعلٌ، والمصدرُ مضافٌ إليه، وعلى الوجهِ الأوَّل مفعولٌ؛ أي: كطيِّ السّجلِّ المجعولِ للكتابة.

﴿كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ﴾؛ أي: إذا أَفْنَيْنا الخلقَ أَعَدْناهم خلْقاً كما بدأناه؛ أي: قدرتُنا في الإعادة كقدرتِنا في الابتداء.

وقيل: خلَقْناهم من الماء ثم نُعيدُهم من التُّراب.

وقيل: نُعيدهم حفاةً عراةً غُرْلاً كيومَ ولدَتْه أمُّه.

وقيل: المراد بالإعادة: السَّماوات؛ أي: نُفنِيْها ثمَّ نُعيد خَلْقَها في الآخرة كما خلَقْناها في الدُّنيا.

﴿وَعْدًا عَلَيْنَآ﴾؛ أي: وَعَدْنا وَعْداً علينا إنجازُه ﴿إِنَّا كُنَّا فَٰعِلِينَ﴾: لا خُلْفَ لوعدِنا وقولِنا، وقيل: إنَّا فعَلْنا أوَّلاً وآخِراً لا فاعلَ للخلق غيرُنا.

* * *

(١٠٥) - ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِى ٱلزَّبُورِ مِنۢ بَعْدِ ٱلذِّكْرِ أَنَّ ٱلْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِىَ ٱلصَّٰلِحُونَ﴾.

﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِى ٱلزَّبُورِ﴾: في كتابِ داودَ عليه السّلام.

و(الزَّبورُ) بالفتح: كتابُ داود، والضَّمُّ لغةٌ فيه[1]، وقيل: الضَّمُّ جمعُ زَبْرٍ، وهو الكتاب، مِن زَبَرْتُه؛ إذا كَتَبْتَه.

﴿مِنۢ بَعْدِ ٱلذِّكْرِ﴾ الذِّكْرُ: التَّوراة.

وقيل: الزّبورُ: كُتُب الله المتقدِّمةُ، والذِّكرُ: اللَّوحُ المحفوظ.

وقيل: ولقد كتَبْنا في زبورِ داودَ (بعد الذِّكر): بعدَ العِظَة.

وقيل: الزَّبورُ: كتابُ داودَ، والذِّكرُ: القرآن، و(بعدَ) بمعنى: قبلَ؛ كقوله:

---

(١) قرأ حمزة بضم الزاي والباقون بفتحها. انظر: «السبعة» (ص: ٤٣١)، و«التيسير» (ص: ٩٨).

﴿وَٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ ذَٰلِكَ دَحَىٰهَآ﴾ [النازعات: ٣٠]؛ أي: قبل ذلك، ومثلُه في الظَّرف: (وراءَ) يُستعمَلُ لهما[1].

﴿أَنَّ ٱلۡأَرۡضَ﴾؛ أي: أرض الجنَّة ﴿يَرِثُهَا عِبَادِيَ ٱلصَّٰلِحُونَ﴾: المؤمنون.

وقيل: الأرضَ المقدَّسةَ يرثُها بنو إسرائيل.

وقيل: ﴿ٱلۡأَرۡضَ﴾ الغبراءَ كلَّها ﴿يَرِثُهَا عِبَادِيَ ٱلصَّٰلِحُونَ﴾ أمَّةُ محمدٍ ﷺ[2].

***

(١٠٦) - ﴿إِنَّ فِي هَٰذَا لَبَلَٰغٗا لِّقَوۡمٍ عَٰبِدِينَ﴾.

﴿إِنَّ فِي هَٰذَا﴾؛ أي: في القرآنِ ﴿لَبَلَٰغٗا﴾: سببَ بلوغٍ إلى المقصود ﴿لِّقَوۡمٍ عَٰبِدِينَ﴾: موحِّدين مطيعين.

وقيل: (بلاغاً): مَقْنعاً ومُكتفًى.

وقيل: (بلاغاً): يبلغون رضوان الله وجزيلَ ثوابه.

وقيل: فيما تعبَّدْنا أمَّةَ محمَّدٍ ﷺ من الصَّوم والصَّلاة وغيرِ ذلك بلاغٌ في عبادةِ الله تعالى.

وقيل: في توريث الجنَّة للصَّالحين بلاغٌ في الـمُجازاة؛ أي: كفايةٌ.

***

(١٠٧) - ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾.

﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ﴾ يا محمَّد ﴿إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾: نعمةً تشملُهم.

---

(١) انظر: «الأضداد» للأنباري (ص: ١٠٧ - ١٠٨)، وانظر: (ص: ٦٨) أيضاً.

(٢) القول الأول قول سعيد بن جبير، والثاني قول الكلبي، والثالث قول ابن عباس، كما في «النكت والعيون» للماوردي (٣/ ٤٧٥).

قيل: هي للمؤمنين خاصَّةً، وإليه ذهب ابنُ عبَّاسٍ رضي الله عنهما[١].

وقيل: عامٌّ فيهم، أَمِنوا من الخسفِ والمسخِ والعذاب.

وقيل: هو تعريضُهم للنَّعيم الدَّائم، لكنْ فوَّتوه على أنفسِهم بكُفْرِهم.

* * *

(١٠٨) ـ ﴿ قُلْ إِنَّمَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ فَهَلْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾.

﴿ قُلْ إِنَّمَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ فَهَلْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾؛ أي: أسلِموا.

* * *

(١٠٩) ـ ﴿ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقُلْ ءَاذَنتُكُمْ عَلَىٰ سَوَآءٍ وَإِنْ أَدْرِيٓ أَقَرِيبٌ أَم بَعِيدٌ مَّا تُوعَدُونَ ﴾.

﴿ فَإِن تَوَلَّوْاْ ﴾ فلم يُؤمنوا ﴿فَقُلْ ءَاذَنتُكُمْ عَلَىٰ سَوَآءٍ﴾: أعلَمْتُكم ما أُمِرْتُ به، وسوَّيْتُ بينكم في الإعلام، لم أُخْفِ عن بعضِكم شيئاً وأُظهرنَّهُ[٢] لغيره.

وقيل: ﴿ءَاذَنتُكُمْ﴾ أنَّا وإيَّاكم حربٌ لا صُلحَ بيننا.

وقيل: ﴿ءَاذَنتُكُمْ﴾ أنَّا ﴿عَلَىٰ سَوَآءٍ﴾: على عدلٍ.

و﴿عَلَىٰ سَوَآءٍ﴾ صفةُ مصدرٍ محذوفٍ؛ أي: إيذاناً على سواءٍ، وقيل: حالٌ من الفاعل، أو من المفعول، أو منهما جميعاً.

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (١٦/ ٤٤١) عن ابن زيد، وذكره عنه الثعلبي في «تفسيره» (١٨/ ٢٨١).
والمروي عن ابن عباس رضي الله عنهما القول الذي بعده، وهو أنه عام كما رواه الطبري في «تفسيره» (١٦/ ٤٤٠) بلفظ: «من آمن بالله واليوم الآخر كتب له الرحمة في الدنيا والآخرة، ومن لم يؤمن بالله ورسوله عوفي مما أصاب الأمم من الخسف والقذف». وذكره النحاس في «إعراب القرآن» (٣/ ٥٩) بلفظ: «كان محمد عليه السلام رحمة لجميع الناس...»، وانظر: «تفسير الثعلبي» (١٨/ ٢٨١).

(٢) في (ن): «وأظهرته»، والمثبت من «غرائب التفسير» (٢/ ٧٥٠).

﴿وَإِنْ أَدْرِي﴾: مـا أدري ﴿أَقَرِيبٌ أَم بَعِيدٌ مَّا تُوعَدُونَ﴾؛ أي: لا أدري متـى يكـونُ يـومُ القيامة.

وقيل: لا أدري متى يَحِلُّ بكم العذابُ إن لم تؤمنوا.

* * *

(١١٠) - ﴿إِنَّهُۥ يَعْلَمُ ٱلْجَهْرَ مِنَ ٱلْقَوْلِ وَيَعْلَمُ مَا تَكْتُمُونَ﴾.

﴿إِنَّهُۥ يَعْلَمُ ٱلْجَهْرَ مِنَ ٱلْقَوْلِ﴾ يعني: العَلَانِيَةَ من القولِ ﴿وَيَعْلَمُ مَا تَكْتُمُونَ﴾: ما تُسِرُّون.

* * *

(١١١) - ﴿وَإِنْ أَدْرِي لَعَلَّهُۥ فِتْنَةٌ لَّكُمْ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ﴾.

﴿وَإِنْ أَدْرِي﴾ يعني: وما أدري ﴿لَعَلَّهُۥ﴾: لعلَّ تأخيرَ العذابِ عنكم في الدُّنيا ﴿فِتْنَةٌ لَّكُمْ﴾: بلاءٌ واختبارٌ؛ لأنَّهم كانوا يقولون: لو كان التَّوحيد حقًّا لنزَل عذابٌ بنا.

﴿وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ﴾: لتُمتَّعوا بحياتكم إلى الأجلِ المعلوم، وهو الموتُ.

وقيل: إلى يوم بدرٍ.

وقيل: إلى يوم القيامة.

* * *

(١١٢) - ﴿قَٰلَ رَبِّ ٱحْكُم بِٱلْحَقِّ وَرَبُّنَا ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ﴾.

﴿قُلْ رَبِّ احْكُمْ بِالْحَقِّ﴾: اقضِ بيننا وبين أهلِ مكَّة بالعدل.

وقيل: بما يَستحِقُّ الكفَّارُ على كفرهم.

وقيل: عجِّلْ.

وقُرئ: ﴿قَلَ﴾ على الخبر[1].

وقُرئ: (أَحْكَمُ) على التَّفضيل[2].

تُعُبِّدوا بهذا الدُّعاء، واللهُ لا يَحْكُم إلَّا بالعدلِ والحقّ.

﴿وَرَبُّنَا ٱلرَّحۡمَٰنُ﴾: العاطفُ على خلقه ﴿ٱلۡمُسۡتَعَانُ﴾: المطلوبُ منه المعونةُ والنصر.

وقيل: معناه: نسألُه أن يُعينَنا على قتالكم.

﴿عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ﴾: تقولون وتكذِبون، والله أعلم.

***

(١) قرأ بها عاصم في رواية حفص، والباقون: ﴿قل﴾. انظر: «السبعة» (ص: ٤٣١)، و«التيسير» (ص: ١٥٦).

(٢) نسبت لابن عباس والجحدري وعكرمة والضحاك وابن محيصن. انظر: «المختصر في شواذ القراءات» لابن خالويه (ص: ٩٦)، و«المحتسب» (٢/ ٦٧).

سُورَةُ الحَجِّ

سُورَةُ الحَجِّ

ثمانٌ وسبعونَ آيةً.

مكِّيَّةٌ إلَّا ثلاثَ آياتٍ من قوله: ﴿هَٰذَانِ خَصْمَانِ ٱخْتَصَمُوا۟﴾ [٢٠ ـ ٢٢][1].

وقيل: مدنيَّةٌ إلَّا أربعَ آياتٍ من قوله: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ﴾ [٥٢ ـ ٥٥][2].

وقيل: مكِّيَّةٌ إلى قوله: ﴿كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ﴾ [٣٨][3].

بسم الله الرّحمن الرّحيم

(١) ـ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمْ ۚ إِنَّ زَلْزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَىْءٌ عَظِيمٌ﴾.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ﴾ هذه اللَّفظةُ تدلُّ على أنَّها نزلت بمكَّةَ، لِمَا سَبَق أنَّ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ﴾ خطابٌ لأهلِ مكَّةَ.

---

(١) وهو قول مجاهد. انظر: «البيان في عد آي القرآن» للداني (ص: ١٨٩). وذكره الداني عن ابن عباس وعطاء بن يسار، قال: إلَّا أن ابن عبَّاس لم يذكر إلى أين ينتهين، وذكر عطاء: أنه إلى قوله تعالى: ﴿وَهُدُوٓا۟ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْحَمِيدِ﴾. قلت: فهي على قول عطاء ست آيات.

(٢) وهو قول قتادة. انظر المصدر السابق.

(٣) قول الجمهور في الحج أنها مختلطة؛ بعضها مكي وبعضها مدني، كما ذكره القرطبي وصححه في «تفسيره» (١٢/ ١)، وذكره الدمياطي في «إتحاف فضلاء البشر» (ص: ٣٩٦)، ويندرج تحت قول الجمهور ما ذكره المصنف هنا، وقد ذكر نحوه ابن الجوزي عن أبي سليمان الدمشقي، إلا أنه جعل آخر المكي قوله تعالى: ﴿وَبَشِّرِ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [الحج: ٣٧]. انظر: «زاد المسير» (٣/ ٢٢٠).

﴿ٱتَّقُواْ رَبَّكُمْ﴾: أَطِيعوه واحْذَروا عقابَه.

﴿إِنَّ زَلْزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ﴾ فيها قولان:

أحدهما: أنَّها تقعُ في يومِ القيامة[1]، فأضافَ إلى الظَّرف.

وقيل: إنَّما تكونُ في الدُّنيا في آخرِ الزَّمان، ويَتْبَعُها طلوعُ الشَّمس من مَغْربها[2]، وأُضيفَ إلى السَّاعة لأنَّها من أشراطها.

---

(١) وهذا هو الصواب، فقد روي مرفوعاً بأسانيد صحيحة، رواه الترمذي (٣١٦٩)، والنسائي في «الكبرى» (١١٢٧٧)، والطبري في «تفسيره» (١٦/ ٤٥٠)، من طريق الحسن عن عمران بن حصين رضي الله عنه قال: كنَّا مع النبي ﷺ في مسيرٍ، فتَفاوَتَ بين أصحابه في السَّير، فرَفَع رسول الله ﷺ صوته بهاتين الآيتين: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمْۚ إِنَّ زَلْزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ﴾ إلى قوله: ﴿وَلَٰكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٌ﴾، فلمَّا سمع ذلك أصحابُه حثُّوا المطي وعرَفوا أنه عند قولٍ يقوله، فقال: «هل تدرون أيُّ يومٍ ذلك؟» قالوا: اللهُ ورسولُه أعلمُ، قال: «ذلك يومٌ يُنادِي اللهُ فيه آدم فيناديهِ ربُّه فيقولُ: يا آدمُ ابْعَثْ بَعْثَ النار، فيقولُ: أي ربِّ، وما بَعْثُ النار؟ فيقولُ: مِن كلِّ ألفٍ تسعُ مئةٍ وتسعةٌ وتِسعون إلى النار وواحدٌ في الجنة» فيئس القومُ، حتى ما أبدَوْا بضاحكةٍ... الحديث. قال الترمذي: حسن صحيح، وقد روي من غير وجه عن عمران.

ورواه الطبري في «تفسيره» (١٦/ ٤٥٠)، والطبراني في «الكبير» ١٨/ (٥٤٦) من طريق سعيد بن أبي عروبة، عن قتادة، عن العلاء بن زياد العدوي، عن عمران. وهذا إسناد صحيح أيضاً، وبه يزول محذور عدم سماع الحسن من عمران رضي الله عنه.

ورواه عبد الرزاق في «تفسيره» (١٨٩٥)، والطبري في «تفسيره» (١٦/ ٤٥٢)، وابن حبان في «صحيحه» (٧٣٥٤)، والحاكم في «المستدرك» (٧٩) وصححه، من حديث أنس رضي الله عنه.

(٢) رواه نعيم بن حماد في «الفتن» (١٧٨٠)، والطبري في «تفسيره» (١٦/ ٤٤٦)، وابن المنذر وابن أبي حاتم كما في «الدر المنثور» (٦/ ٧)، عن علقمة قال: «الزلزلة قبل الساعة». وبنحوه رواه ابن أبي شيبة في «المصنف» (٣٤٨٩٤).

ورواه الطبري في «تفسيره» (١٦/ ٤٤٧)، وابن المنذر كما في «الدر المنثور» (٦/ ٧)، عن الشعبي بلفظ: «هذا في الدنيا من آيات الساعة». =

والتَّقدير في الوجهين: زلزلةُ الأرض، وهي تحرُّكُها بشدَّةٍ وعنفٍ.

﴿شَيْءٌ عَظِيمٌ﴾: هائلٌ فظيعٌ.

الحسن: أشدُّ الزَّلزال ما يكونُ مع قيامِ السَّاعة[1].

وقيل: ﴿زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ﴾ استعارةٌ، والمراد: شدَّتُها[2].

***

(٢) ـ ﴿يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُم بِسُكَارَى وَلَكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ﴾.

﴿يَوْمَ تَرَوْنَهَا﴾ قيل: الزَّلزلةَ، وقيل: السَّاعةَ ﴿تَذْهَلُ﴾: تَغْفُلُ، والذُّهولُ: الغَفْلةُ، وقيل: تَسْلُو، وقيل: تَنْسَى ﴿كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ﴾ المرضعةُ: هي التي تُرْضِعُ، والمرضِعُ: ذاتُ الولدِ الرَّضيع[3]، والمراد هاهنا: ذاتُ الولد، ودخلتِ التَّاءُ لمعنيَيْنِ:

أحدهما: ازدواجاً، كقوله: ﴿أَرْضَعَتْ﴾[4].

= قال الطبري: «وهذا القول الذي ذكرناه عن علقمة والشعبيّ ومن ذكرنا ذلك عنه قولٌ لولا مجيء الصحاح من الأخبار عن رسول الله ﷺ بخلافه، ورسول الله ﷺ أعلم بمعاني وحي الله وتنزيله، والصواب من القول في ذلك ما صح به الخبر عنه».

(١) ذكره أبو حيان في «البحر المحيط» (٧/ ٤٨).

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٧٥١)، واستغربه.

(٣) ذكره الفراء في «معاني القرآن» (٢/ ٢١٤)، وذكر أنه لو قيل في الأم: رضع، وفي ذات الولد: الرضعة، لكان صواباً، ولا حاجة على قوله لتعليل دخول التاء في الآية، والمراد أنه إن أريد وصف المرأة قيل: مرضع، وإن أريد ذكر فعلها قيل: مرضعة. انظر: «المذكر والمؤنث» للأنباري (٢/ ٨٩).

(٤) قاله المبرد في «المقتضب» (٣/ ١٦٣).

والثَّاني: لكونها في المستقبل، كما تقولُ: حائضةٌ غداً وطالقةٌ بعد غدٍ[1].

﴿وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمۡلٍ حَمۡلَهَا﴾: محمولَها وهو ولدُها، والجمهورُ على أنَّ هذا في القيامة، وذهب بعضُهم إلى هذا في الدُّنيا مع الزَّلزلة التي من أشراطِ السَّاعة، وقال: لا يكون يومَ القيامة حاملٌ ولا مرضعٌ؛ لأنَّ الخلقَ خارجون من قبورهم، والوجهُ القولُ الأوَّل؛ لقوله ﷺ: «كما تكونون تُبْعَثون»، ويُروى: «كما تموتون تُبْعثون»[2].

﴿وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَٰرَىٰ﴾ من الفَزَع والخوف ﴿وَمَا هُم بِسُكَٰرَىٰ﴾ من الشَّراب.

وقيل: وتَرى النَّاسَ كالسُّكارى زائلةً عقولُهم مضطربةً نفوسُهم، وما هم بسكارى عن شرابٍ ﴿وَلَٰكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٌ﴾ فهم يخافون.

وقرئ ﴿سَكْرَى﴾[3]، ولها وجهان:

أحدهما: أنه نزَّل (السُّكرَ)[4] منزلةَ العِلَل، فجمع فَعْلان على فَعْلَى، نحو: مريضٍ ومرضَى، وصَريعٍ وصَرعَى.

والثَّاني: أنَّها صفةٌ مفردةٌ، كقوله: ﴿حَدَآئِقَ ذَاتَ بَهۡجَةٖ﴾ [النمل: ٦٠]، وكقولهم: القومُ غَضْبى[5].

---

(١) انظر: «تصحيح الفصيح» لابن درستويه (ص: ٤١٩ ـ ٤٢٠)، و«شرح الكتاب» للسيرافي (٤/ ١٣٣).

(٢) ذكره النيسابوري في «تفسيره» (٦/ ٩٢)، والقاري في «مرقاة المفاتيح» (٦/ ٢٤٨٩)، ولم أقف له على إسناد. وبمعناه ما رواه مسلم (٢٨٧٨) عن جابر رضي الله عنهما قال: سمعت النبي ﷺ، يقول: «يبعث كل عبد على ما مات عليه».

(٣) وهي قراءة حمزة والكسائي. انظر: «السبعة» (ص: ٤٣٤)، و«التيسير» (ص: ١٥٦).

(٤) في (ن): «السكرى»، والتصويب من «غرائب التفسير» (٢/ ٧٥١).

(٥) ذكر الوجهين الواحدي في «البسيط» (١٥/ ٢٥٠)، والأول هو قول سيبويه، قال قال في «الكتاب» (٣/ ٦٤٩): «قالوا: رجل سكران وقوم سَكرى، ذلك لأنهم جعلوه كالمرضى».

(٣) ـ ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَـٰدِلُ فِى ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيْطَـٰنٍ مَّرِيدٍ﴾.

﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَـٰدِلُ فِى ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾؛ أي: بجهلٍ منه.

نزلت في النَّضر بن الحارث، وكان كثيرَ الجِدَال يَزْعُمُ أنَّ القرآن أساطيرُ الأوَّلين، وأنْ لا بعثَ بعد الموتِ ولا حسابَ، وأنَّ الملائكةَ بناتُ الله(١).

وقيل: نزلتْ فيه وفي الوليدِ بن المغيرة(٢).

﴿وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيْطَـٰنٍ مَّرِيدٍ﴾؛ أي: يتَّبعُ في مجادَلَتِه إبليسَ، وقيل: المَرِيدُ: الغاوي، وقيل: المتجرِّدُ للفساد، وأصله: العُرْي والمَلاسةُ.

* * *

(٤) ـ ﴿كُتِبَ عَلَيْهِ أَنَّهُۥ مَن تَوَلَّاهُ فَأَنَّهُۥ يُضِلُّهُۥ وَيَهْدِيهِ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ﴾.

﴿كُتِبَ عَلَيْهِ﴾: كَتَب الله على ذلك الشَّيطانِ.

وقيل: كُتِبَ فيما تقدَّم من الكتبِ الإخبارُ بذلك.

﴿أَنَّهُۥ﴾: أنَّ الأمرَ والشَّأن ﴿مَن تَوَلَّاهُ﴾: تَبِعَه(٣)؛ أي: تَبِعَ الشَّيطانَ وأحبَّه ونصَرَه.

﴿فَأَنَّهُۥ﴾ يجوزُ أن يكونَ العائدُ إلى الشَّيطان، ويجوزُ أن يكونَ العائدُ إلى ﴿مَن﴾، ويجوز أن يكون للأمر.

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (١٦/ ٤٥٩) عن ابن جريج، وذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٤/ ٦) عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٢) ذكر الواحدي في «التفسير البسيط» (١٥/ ٢٥٠) في رواية عطاء عن ابن عباس رضي الله عنهما أنها نزلت في الوليد وعتبة بن ربيعة.

(٣) هنا آخر السقط في (ف).

﴿يُضِلُّهُۥ﴾؛ أي: عن سواءِ الصِّراط ﴿وَيَهۡدِيهِ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ﴾: النَّار.

وقيل: تقديره: مَن تولَّى الشَّيطانَ يُضلُّه الله.

قال الزَّجَّاج: الفاءُ للعطف، و(أنَّ) مكرَّرةٌ للتَّأكيد(١).

وردَّ عليه أبو عليٍّ في «إصلاح الإغفال» وقال: ﴿مَن﴾ هاهنا إمَّا أنْ تكونَ شرطاً، وإمَّا أن تكونَ بمعنى (الذي)؛ فإنْ جعَلْتَه للشَّرط فالفاءُ دخل لجزاءِ الشَّرط، وإنْ جعَلْتَه بمعنى الذي فالفاءُ دخل على خبرِ المبتدأ، والتَّقدير: فالأمرُ أنَّه يضلُّه، قال: والعطفُ والتَّأكيدُ يكونان بعد تمام الأوَّل، والمعنى: كُتب على الشَّيطان إضلالُ مَن تولَّاه وهدايتُه إلى النَّار(٢).

***

(٥) - ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمۡ فِي رَيۡبٖ مِّنَ ٱلۡبَعۡثِ فَإِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن تُرَابٖ ثُمَّ مِن نُّطۡفَةٖ ثُمَّ مِنۡ عَلَقَةٖ ثُمَّ مِن مُّضۡغَةٖ مُّخَلَّقَةٖ وَغَيۡرِ مُخَلَّقَةٖ لِّنُبَيِّنَ لَكُمۡۚ وَنُقِرُّ فِي ٱلۡأَرۡحَامِ مَا نَشَآءُ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗى ثُمَّ نُخۡرِجُكُمۡ طِفۡلٗا ثُمَّ لِتَبۡلُغُوٓاْ أَشُدَّكُمۡۖ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرۡذَلِ ٱلۡعُمُرِ لِكَيۡلَا يَعۡلَمَ مِنۢ بَعۡدِ عِلۡمٖ شَيۡـٔٗاۚ وَتَرَى ٱلۡأَرۡضَ هَامِدَةٗ فَإِذَآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡهَا ٱلۡمَآءَ ٱهۡتَزَّتۡ وَرَبَتۡ وَأَنۢبَتَتۡ مِن كُلِّ زَوۡجِۭ بَهِيجٖ﴾.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ﴾: أيُّها الشَّاكُّون في البعث ﴿إِن كُنتُمۡ فِي رَيۡبٖ مِّنَ ٱلۡبَعۡثِ﴾: في شكٍّ في قدرةِ الله على البعث وفي شكٍّ مِن صدق محمَّدٍ ﷺ ﴿فَإِنَّا خَلَقۡنَٰكُم﴾؛ أي: فانظُروا في ابتداءِ خَلْقِكم فإنَّا خلقناكم ﴿مِّن تُرَابٖ﴾ يعني: آدمَ عليه السَّلام ﴿ثُمَّ مِن نُّطۡفَةٖ﴾ ثم أولادَه من منيٍّ، والنَّطْفُ: الصَّبُّ، والنُّطفة: المصبوبُ، وقيل: هي الماءُ القليل، وقيل: هي الماءُ الصَّافي.

---

(١) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٣/ ٤١١).

(٢) انظر: «الإغفال» لأبي علي الفارسي (٢/ ٤٢٠ - ٤٢٥).

﴿ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ﴾ وهي: الدَّمُ الجامدُ قبلَ أن ييْبَس ﴿ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ﴾ وهي: القطعةُ من اللَّحم مقدارَ ما يُمْضَغُ ﴿مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ﴾: تامٍّ وساقطٍ، وقيل: مصوَّرةٍ وغيرِ مصوَّرةٍ، وقيل: لتمامِ الشَّهر ونقصانه، وقيل: تامِّ الأعضاء وناقصِها.

والمخلَّقةُ: المخلوقة، والتَّشديدُ لتكرارِ الفعل من السَّمع والبصرِ والأنفِ والفم وغيرِ ذلك[1].

﴿لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ﴾ رشدَكم وضلالَكم.

وقيل: نقَلْناكم في ابتداءِ الخلق من حالٍ إلى حالٍ مع قُدرتنا على إنشائكم دفعةً واحدةً؛ لنبيِّن لكم قدرتَنا على ما نَشاءُ.

﴿وَنُقِرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ﴾ استئنافٌ ﴿إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ وهو وقتُ الولادة، وقيل: إلى التَّمام.

﴿ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا﴾ والطِّفلُ يقعُ على الجمعِ كقوله: ﴿أَوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ﴾ [النور: ٣١].

وقيل: يُخرجُ كلَّ واحدٍ طفلاً، وقيل: أصلُه مصدرٌ ولهذا لم يُجمع. و﴿طِفْلًا﴾ نصبٌ على الحال.

﴿ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ﴾ هاهنا فعلٌ مضمرٌ؛ تقديره: ثم نربِّيكم ﴿لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ﴾ حدَّ البلوغ، وقيل: أربعين سنةً، وكلاهما من القرآن[2]، وقد سبق[3].

---

(١) انظر: «تأويلات أهل السنة» للماتريدي (٧/ ٣٩١).

(٢) أما أن الأشدَّ أربعون سنة فمن قوله تعالى: ﴿إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً﴾ [الأحقاف: ١٥]، وأما أنه البلوغ فحملت عليه عدة آيات منها قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ﴾ [الأنعام: ١٥٢].

(٣) في تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ﴾ [الأنعام: ١٥٢]. =

وقيل: ﴿أَشُدَّكُمْ﴾ تمامَ فَهْمِكم وعقلِكم.

﴿وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ﴾ عند بلوغِ الأشُدِّ أو قبلَه أو بعدَه ﴿وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرْذَلِ ٱلْعُمُرِ﴾: الهَرَمِ، وهو أهونُه وأخسُّه عند أهله؛ لأنَّه يَصيرُ كلًّا عليهم.

وقيل: أرذلُ العمر: الشَّيبُ؛ لأنَّه لا يرجو بعدَه قوَّةً ولا بقاءً.

وأفاد قولُه: ﴿يُرَدُّ﴾ الرُّجوعَ إلى حالةٍ كان عليها قبلُ، وهي الضَّعفُ زمنَ الطُّفولة وقلَّةُ الفهم.

﴿لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنۢ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْـًٔا﴾: لا يستفيدَ علماً، ويَنْسَى ما كان عالماً به.

وقيل: لا يَعْقِلُ بعد عَقْلِه شيئاً.

وقيل: لا يَفهمُ.

وقيل: لا يعملُ بعد عَمَله، حكاه الماورديُّ(١).

والمعنى: ردَدْناه إلى حالِه الأولى في حياته ليَعْلَمَ قدرتَنا على ردِّه بعدَ موتِه.

﴿وَتَرَى ٱلْأَرْضَ هَامِدَةً﴾: يابسةً ساكنةً ميتةً، مِن هَمَدتِ النَّار؛ إذا صارتْ رماداً لم يَبْقَ فيها حرارةٌ، وقيل: أصلُه الدُّروسُ.

﴿فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ﴾: المطرَ ﴿ٱهْتَزَّتْ﴾: تحرَّكت لإخراج النَّباتِ منها ﴿وَرَبَتْ﴾: زادتْ وانتفخَتْ ونَمَتْ.

وقيل: اهتزَّ نباتُها، فحُذِف المضاف.

الحسن: فيه تقديمٌ وتأخيرٌ؛ أي: ربَتْ واهتزَّتْ(٢).

= وقوله: ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥٓ ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًا﴾ [يوسف: ٢٢].

(١) انظر: «النكت والعيون» (٣/ ٢٠٠).

(٢) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٤/ ٩).

﴿وَأَنْبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍ﴾: صنفٍ ونوعٍ، وقيل: كلِّ لونٍ ﴿بَهِيجٍ﴾: حسنٍ رائقٍ.

والمعنى: حياةُ الأرضِ بنباتها بعد موتها بهمودِها دالَّةٌ على قدرتِنا على إحياء الموتى[1].

***

(٦) ـ ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّهُ يُحْيِي الْمَوْتَى وَأَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾.

﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ﴾؛ أي: فعَلَ ذلك ـ وهو ما سَبَق ـ بسببِ أنَّ الله.

أبو عليٍّ: ﴿ذَلِكَ﴾ مبتدأٌ ﴿بِأَنَّ اللَّهَ﴾ خبرُه[2].

الزَّجَّاج: الأمرُ ذلك[3]. وردَّ عليه أبو عليٍّ وقال: يَبْقَى الجارُّ غيرَ متعلِّقٍ بشيءٍ[4].

﴿هُوَ الْحَقُّ﴾: المستحِقُّ لكمالِ الصِّفات ﴿وَأَنَّهُ يُحْيِي الْمَوْتَى﴾ كما أَحْيا الأرضَ ﴿وَأَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾: قادرٌ.

***

(٧) ـ ﴿وَأَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لَا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَن فِي الْقُبُورِ﴾.

﴿وَأَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لَا رَيْبَ فِيهَا﴾ لا تَرْتابوا فيها ﴿وَأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَن فِي الْقُبُورِ﴾ فقد قام الدَّليلُ على ذلك.

***

---

(١) في (ف) زيادة: «فيها».

(٢) انظر: «الإغفال» لأبي علي (٢/ ٤٢٨ ـ ٤٢٩).

(٣) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٣/ ٤١٣)، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٧٥٣)، وعدَّه من العجائب.

(٤) انظر: «الإغفال» (٢/ ٤٢٩).

(٨) ـ ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِي ٱللَّهِ بِغَيۡرِ عِلۡمٖ وَلَا هُدٗى وَلَا كِتَٰبٖ مُّنِيرٖ﴾.

﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِي ٱللَّهِ﴾ في صفاتِه فيَصِفُه بغيرِ ما هو له، نزلَتْ في النَّضْر بنِ الحارث كما سبق[1].

وقيل: نزلتْ في أبي جهلٍ[2].

وقيل: في المشركين.

﴿بِغَيۡرِ عِلۡمٖ﴾: حجَّةٍ وبرهانٍ وعقلٍ ﴿وَلَا هُدٗى﴾: سُنَّةٍ متَّبعةٍ ﴿وَلَا كِتَٰبٖ مُّنِيرٖ﴾: واضحٍ مُبِينٍ أُنزل من عند الله. وحصولُ علمِ الإنسان من هذه الوجوهِ الثَّلاثة.

***

(٩) ـ ﴿ثَانِيَ عِطۡفِهِۦ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۖ لَهُۥ فِي ٱلدُّنۡيَا خِزۡيٞۖ وَنُذِيقُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ عَذَابَ ٱلۡحَرِيقِ﴾.

﴿ثَانِيَ عِطۡفِهِۦ﴾؛ أي: متكبِّراً، والعِطْفُ: الجِيْدُ.

قتادةُ: لاوِياً عُنقَه[3].

وقيل: لاوياً رأسَه مُعرِضاً عن استماعِ ما قيلَ له.

وقيل: هو إدبارُه وإعراضُه عن الحقِّ استخفافاً به.

﴿لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾؛ أي: يجادلُ ليُضِلَّ عن دِينه.

﴿لَهُۥ فِي ٱلدُّنۡيَا خِزۡيٞ﴾ قيل: يومَ بدرٍ ﴿وَنُذِيقُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ عَذَابَ ٱلۡحَرِيقِ﴾ وهو النَّارُ، أي: جُمعَ له عذابُ الدُّنيا وعذابُ الآخرة.

---

(١) في تفسير قوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِي ٱللَّهِ﴾ [الحج: ٣].

(٢) ذكره الواحدي في «البسيط» (١٥/ ٢٧٧) من رواية عطاء عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٣) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (١٩٠٢)، والطبري في «تفسيره» (١٦/ ٤٧٠).

(١٠) - ﴿ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ يَدَاكَ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ﴾.

﴿ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ يَدَاكَ﴾؛ أي: يقالُ له يومَ القيامة: هذا التَّعذيبُ بكُفرِك وتكذيبِك محمَّداً ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ﴾ بل يجازِيْهم على أعمالهم، وذُكر الظَّلَّامُ بلفظِ المبالغةِ لمَّا اقترن بالعبيد وهو اسمُ الجمع[١].

***

(١١) - ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعْبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍۖ فَإِنْ أَصَابَهُۥ خَيْرٌ ٱطْمَأَنَّ بِهِۦۖ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ ٱنقَلَبَ عَلَىٰ وَجْهِهِۦ خَسِرَ ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةَۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْخُسْرَانُ ٱلْمُبِينُ﴾.

﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعْبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ﴾ في سبب النُّزول: أنَّها نزلت في أعرابٍ كانوا يَقْدَمون على رسول الله ﷺ المدينة مهاجرين من بادِيَتهم، وكان الواحدُ منهم إذا قَدِم المدينة فإنْ صحَّ بها جسمُه، ونُتِجَتْ فرسُه مُهْراً حَسَناً، وولَدَتِ امرأتُه غلاماً، وكثُر مالُه ومواشيه، رضي به واطمأنَّ، وقال: ما أَصَبْتُ مُذْ دخلتُ في دِيني هذا إلَّا خيراً، وإنْ أصابه وجعُ المدينة، وولدَتِ امرأتُه جاريةً، وأَجْهَضَتْ رِماكُه[٢]، وذهب مالُه، أتاه الشَّيطان فقال له: واللهِ ما أَصبتَ مُذْ دَخَلْتَ في دِينكَ هذا إلَّا شرًّا، فينَقلِبُ عن دِينه[٣].

---

(١) أي: قوله: ﴿لِّلْعَبِيدِ﴾ هو جمع، وهو محلًّى بلام الاستغراق، فإذا وُزع نفي الظلم عن كلِّ فردٍ فردٍ من أفراد هذا العامِّ يكون الأنسب فيه صيغة تناسب هذا التكثير وهي صيغة المبالغة، فصح أن يُقال: ﴿لَيْسَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ﴾، وقيل: إنَّ نفي كثير الظلم يستلزم نفي قليله، وقيل: إنَّ صيغة المبالغة لا تدلُّ إلا على ما يدل عليه اسم الفاعل في سياق النفي، وقيل: إن صيغة المبالغة فيها بمعنى الصفة المشبهة، فمعنى ظلَّام: ذو ظلم، انظر: «معترك الأقران» للسيوطي (١/ ٣٢٦)، و«فتوح الغيب» للطيبي (٧/ ١٣٢).

(٢) جمع رَمَكَةٍ، وهي الفرس أو البرذونة التي تُتَّخذ للنَّسل. انظر: «العين» مادة، (ر م ك) (٥/ ٣٧٠)، و«تاج العروس» مادة: (ر م ك) (٢٧/ ١٧٧).

(٣) ذكره بهذا اللفظ الثعلبي في «تفسيره» (١٨/ ٣٠٤) دون نسبة، وعزاه تلميذه الواحدي في «البسيط» =

وعـن عطيَّـة عـن أبي سـعيدٍ الخُدْريِّ رضـي الله عنه قال: أسـلم يهـوديٌّ فذهب بصـرُه ومالُـه وولـدُه، فتشـاءمَ بالإسـلام، فأتـى النَّبـيَّ ﷺ وقـال: أَقِلْنـي، قـال: «إنَّ الإسـلامَ لا يُقـال»، قـال: إنِّـي لـم أُصِـبْ فـي دِيني هـذا خيـراً؛ ذهبِ بصـري ومالي ولـدي، فقـال: «يـا يهـوديُّ، إنَّ الإسـلامَ لَيَسْـبِكُ الرِّجـالَ كمـا تَسْـبِكُ النَّـارُ خَبَثَ الحديـد والفضَّـة والذَّهـب»، فنزلـت: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعۡبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرۡفٖ﴾[1]؛ أي: علـى حـدٍّ مـن دِينه غيـرِ متوغِّـلٍ فيه.

وقيل: على طَرَفٍ، وحرفُ الشَّيء: طَرَفه.

وقيل: على شكٍّ.

وقيل: على ضعفٍ كضعفِ القائمِ على حرفٍ.

وقيل: على لَونٍ واحدٍ، وهو تتبُّعُ مُراده.

وقيـل: هـو المنافـقُ؛ يؤمِـنُ بلسـانه دون قلبـه[2]، والمؤمِـنُ يعبـدُ الله علـى حرفيـنِ؛ لسـانِه وقلبِـه.

= (١٥/ ٢٨٨) للكلبي وغيره من المفسرين، وفي «أسباب النزول» (ص: ٣٠٧) للمفسرين، ورواه باختلاف يسير الطبري في «تفسيره» (١٦/ ٤٧٢ ـ ٤٧٤) عن ابن عباس رضي الله عنهما، وإسناده ضعيف، لكنه صح عن ابن عباس رضي الله عنهما مختصراً عند البخاري (٤٧٤٢) بلفظ: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعۡبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرۡفٖ﴾ قال: «كان الرجل يقدم المدينة، فإن ولدت امرأته غلامًا، ونتجت خيله، قال: هذا دين صالح، وإن لم تلد امرأته ولم تنتج خيله، قال: هذا دين سوء».

(١) رواه ابن مردويه كما في «الكافي الشاف» (ص: ١١٢)، وذكره الواحدي في «أسباب النزول» (ص: ٣٠٧)، قال ابن حجر: «وإسناده ضعيف». وأخرج العقيلي نحوه في «الضعفاء» (٣/ ٣٦٨) من رواية عنبسة بن سعيد عن أبي الزبير عن جابر ولم يذكر فيه نزول الآية. قال الحافظ: «وعنبسة ضعيف جدًّا».

(٢) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (١٨/ ٣٠٦) عن الحسن، وذكر اللذَين قبله بلا نسبة.

وقيل: الحرفُ عند العرب ما لا تمكُّن له ولا حقيقةَ لشأنه، قال:

رِكابــي علــى حَــرْفٍ وَقَلْبــي مُشَيَّعٌ وغيــرُ بِــلادِ الباخِلِــيْنَ بِــلادُ[(١)]

الكلبيُّ: على حرفِ دينٍ[(٢)].

وقيل: هو كقوله: ﴿مُّذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَالِكَ﴾ [النساء: ١٤٣][(٣)].

﴿فَإِنْ أَصَابَهُۥ خَيْرٌ﴾: صحَّةٌ ومالٌ ومحبوبٌ ﴿ٱطْمَأَنَّ بِهِۦ﴾: سكَنَ واستقرَّ به بسبب الخيرِ الذي أصابه، وقيل: ﴿بِهِۦ﴾ أي: بالدِّين فيَعْبُدُ الله.

﴿وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ﴾: مرضٌ وفقرٌ ومكروهٌ ﴿ٱنقَلَبَ عَلَىٰ وَجْهِهِۦ﴾؛ أي: انْقَلَب إلى الكفر، وقيل: قَلَب وجهَه عمَّا كان عليه، وقيل: معناه: تغيَّر عمَّا كان عليه؛ كما يقال: قلَبَ ظَهْرَ المِجَنّ[(٤)].

﴿خَسِرَ ٱلدُّنْيَا وَٱلْأَخِرَةَ﴾: خسرَ الدُّنيا حيث لم يَعمل فيها خيراً، والآخرةَ حيث لا يَنالُ نعيماً.

وقيل: قُتل في الدُّنيا وحُرم الجنَّة في العُقبى.

وقيل: معناه: لم يظفر بمراده.

﴿ذَالِكَ﴾؛ أي: خسرانُ الدُّنيا والآخرةِ ﴿هُوَ ٱلْخُسْرَانُ ٱلْمُبِينُ﴾: الظَّاهرُ حالُه، لا خُسرانَ أَخْسَرُ منه.

---

(١) البيت لبشار بن برد. انظر: «ديوانه» (٣/ ٤٩)، و«الأغاني» للأصفهاني (٣/ ١٤١)، و«الدر الفريد» للمستعصمي (٢/ ٢١٩)، و«خزانة الأدب» للبغدادي (٣/ ٢٢٩).

(٢) لم أقف عليه عن الكلبي. وبه فسره كثير من المفسرين؛ منهم مكي في «الهداية» (٧/ ٤٨٥٢)، والبغوي في «تفسيره» (٥/ ٣٦٨)، والزمخشري في «الكشاف» (٣/ ١٢٦)، وكذا متابعوه: الرازي والبيضاوي والنسفي والنيسابوري والآلوسي.

(٣) انظر: «تفسير الرازي» (٢٣/ ٢٠٨)، و«المفردات» للراغب (ص: ٢٢٨).

(٤) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٧٥٣)، واستغربه.

(١٢) ـ ﴿ يَدْعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُۥ وَمَا لَا يَنفَعُهُۥۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلضَّلَٰلُ ٱلْبَعِيدُ ﴾.

﴿ يَدْعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُۥ وَمَا لَا يَنفَعُهُۥ ﴾: يَعبُدُ ما لا نَفْعَ فيه ولا ضرَّ ﴿ذَٰلِكَ﴾؛ أي: ذلك الفعلُ ﴿هُوَ ٱلضَّلَٰلُ ٱلْبَعِيدُ﴾: العُدولُ عن الصَّواب.

***

(١٣) ـ ﴿ يَدْعُواْ لَمَن ضَرُّهُۥٓ أَقْرَبُ مِن نَّفْعِهِۦۚ لَبِئْسَ ٱلْمَوْلَىٰ وَلَبِئْسَ ٱلْعَشِيرُ ﴾.

﴿ يَدْعُواْ لَمَن ضَرُّهُۥٓ أَقْرَبُ مِن نَّفْعِهِۦ ﴾؛ أي: لَمَن ضَرُّ دعائه أقربُ مِن نَفْعِه؛ لأنَّه يُوجب القتلَ في الدُّنيا، والنَّارَ في الأُخرى[١].

﴿لَبِئْسَ ٱلْمَوْلَىٰ﴾ الصَّنمُ ﴿وَلَبِئْسَ ٱلْعَشِيرُ﴾ الصَّاحبُ والخليطُ، وأصلُه الجمع، ومنه: العشيرةُ والعَشْرُ والعِشْرةُ، وبُرْمةٌ أعشارٌ[٢].

وقيل: ﴿ٱلْمَوْلَىٰ﴾ هاهنا: ابنُ العمِّ، و﴿ٱلْعَشِيرُ﴾: الخليط.

وقيل: ﴿ٱلْمَوْلَىٰ﴾: ابنُ العمِّ، و﴿ٱلْعَشِيرُ﴾: العشيرة؛ أي: بئسَ ابنُ العمِّ هذا الذي يَعبدُ اللهَ على حرفٍ.

وفي لامِ ﴿ يَدْعُواْ لَمَن ضَرُّهُۥٓ ﴾ أقوالٌ:

قيل: هي زيادةٌ، و(مَن) مفعولُ ﴿يدعو﴾.

وقيل: اللَّامُ مقدَّمٌ والنِّيَّة به التَّأخيرُ؛ أي: يدعو مَن لضرُّه أقربُ من نَفْعِه، وهو[٣]

---

(١) في (ف): «العقبى».

(٢) البرمة: القدر، و«برمة أعشار»: إذا انكسرت قطعًا. انظر: «الصحاح» مادة: (ع ش ر).

(٣) في (ف): «وهذا».

قول الزَّجَّاج[١]، وزيَّفه أبو عليٍّ[٢].

وقيل: هو جوابُ قسمٍ.

وقيل: ﴿يدعو﴾ بمعنى: يقولُ، و﴿لَمَن ضَرُّهُۥٓ﴾ مبتدأٌ، وخبرُه مضمرٌ تقديره: لَمَن ضرُّه أقربُ من نَفْعه مولايَ[٣].

وقيل: ﴿يدعو﴾ تكرارٌ للأوَّل، ومفعولُه هو مفعولُ الأوَّل، ﴿لَمَن ضَرُّهُۥٓ﴾ مبتدأٌ خبرُه ﴿لَبِئْسَ ٱلْمَوْلَىٰ﴾.

وقيل: ﴿يدعو﴾ حالٌ من ﴿ٱلضَّلَٰلُ ٱلْبَعِيدُ﴾.

وقيل: ﴿ذَٰلِكَ﴾ هاهنا موصولٌ ﴿هُوَ ٱلضَّلَٰلُ ٱلْبَعِيدُ﴾ صلتُه، وهو نصبٌ بـ﴿يدعو﴾[٤]، ويجوز أن يكون رفعاً و﴿يدعو﴾ خبرُه، على تقدير: يدعوه.

***

(١٤) - ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدْخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ﴾.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدْخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ﴾ لا دافعَ لإرادته ولا مانعَ.

---

(١) ونسبه للبصريين والكوفيين انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٣/ ٤١٥)، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٧٥٣)، وعدَّه من العجائب.

(٢) انظر: «الإغفال» لأبي علي الفارسي (٢/ ٤٣٧) وما بعدها.

(٣) هذا القول ذكره الزجاج أيضاً، وارتضاه أبو علي. انظر «معاني القرآن» للزجاج (٣/ ٤١٦)، و«الإغفال» لأبي علي (٢/ ٤٤٣).

(٤) ذكر المصنف هذا القول في «غرائب التفسير» (٢/ ٧٥٤)، واستغربه، وذكر الثلاثة التي سبقته بلا إنكار، وذكر الثلاثة الأول راداً الثاني منها، مستبعداً الأول والثالث.

(١٥) ـ ﴿مَن كَانَ يَظُنُّ أَن لَّن يَنصُرَهُ ٱللَّهُ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ إِلَى ٱلسَّمَآءِ ثُمَّ لْيَقْطَعْ فَلْيَنظُرْ هَلْ يُذْهِبَنَّ كَيْدُهُۥ مَا يَغِيظُ﴾.

﴿مَن كَانَ يَظُنُّ أَن لَّن يَنصُرَهُ ٱللَّهُ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ﴾ قيل: نزلت الآيةُ ابتداءً من الله عزَّ وجلَّ من غيرِ سببِ ذكرٍ كأكثرِ القرآن.

وقيل: هو متَّصلٌ بقوله: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعْبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ﴾.

وقيل: نزلت في قومٍ من أسدٍ وغطفانَ تباطَؤوا عن الإسلام، وقالوا: نخافُ أن لا يُنصَرَ محمَّدٌ فيُقطَعَ الذي بيننا وبين حلفائنا من اليهود فلا يُجيروننا ولا يُؤْوُوننا[١].

وقيل: كان قومٌ من المسلِمين لشدَّة غيظِهم على المشركين يستبطِئُون ما وُعد لهم من النُّصرة، وآخَرون من المشركين يريدون اتِّباعه، ويَخْشَون أنْ لا يَتِمَّ أمرُه، فنزلت الآية[٢].

فـ﴿مَن﴾ في قوله: ﴿مَن كَانَ يَظُنُّ﴾ عامٌّ على قولِ مَن لَمْ يَحْكِ للآية سببَ نزولٍ، وخاصٌّ في قولِ مَن يَحْكِي له سبباً.

---

(١) أورده السمرقندي في «تفسيره» (٢/ ٤٥٢) عن ابن عباس رضي الله عنهما، وهو في «تفسير مقاتل» (٣/ ١١٩)، وذكره بلا نسبة الطبري في «تفسيره» (١٦/ ٤٨٤)، والثعلبي في «تفسيره» (١٨/ ٣١١)، والواحدي في «البسيط» (١٥/ ٣١٣).

(٢) ذكره ابن قتيبة في «تأويل مشكل القرآن» (ص: ٢١١)، وعنه السمرقندي في «تفسيره» (٢/ ٤٥٢)، والواحدي في «البسيط» (١٥/ ٣١٠). والظاهر من المصادر السابقة أنه ليس خبراً مرويّاً في سبب نزول الآية بل هو من شرح ابن قتيبة للآية، فقد جاء عنده بدل قول المؤلف: «فنزلت»: «فقال تعالى: ﴿مَن كَانَ يَظُنُّ أَن لَّن يَنصُرَهُ ٱللَّهُ﴾...»، وقدَّم الواحديُّ لما نقله عن ابن قتيبة بقوله: «وشرح ابن قتيبة هذه الآية على هذا القول بأبلغ بيان فقال...».

والهاءُ في ﴿يَنصُرَهُ﴾ يعودُ إلى محمَّدٍ ﷺ وإنْ لم يتقدَّم ذكرُه في هذه السُّورة؛ لأنَّ القرآن كلَّه كسورةٍ واحدةٍ[١].

وقيل: يعود إلى ﴿مَن﴾، والمعنى: ينصرَه اللهُ على أعدائه، وقيل: معناه: يرزقَه بكثرةِ الأمطار ورُخْصِ الأسعار، من قولهم: أرضٌ منصورةٌ؛ أي: ممطورةٌ[٢].

قوله: ﴿فِي ٱلدُّنْيَا﴾؛ أي: بالغَلَبة والحجَّة، ﴿و﴾ في ﴿الآخرةِ﴾ بالحُجَّة والشَّفاعة والثَّواب.

﴿فَلْيَمْدُدْ﴾: فليَطْرحْ وليَشْدُد ﴿بِسَبَبٍ﴾: بحبلٍ ﴿إِلَى ٱلسَّمَآءِ﴾: إلى سقفِ البيت، وقيل: إلى الهواءِ جهةَ السّماء، وقيل: إلى السَّماء الدّنيا.

﴿ثُمَّ لْيَقْطَعْ﴾ قيل: معناه: فلْيَختنِقْ، والعرب تقول: قَطَع فلانٌ؛ إذا اخْتنَق، حكاه المحقِّقون منهم.

وقيل: فلْيَقْطعِ الحَبْلَ. وقيل: فلْيَقطَعْ مَسافةَ السَّماء. وقيل: فلْيَقطعِ الأرض، وهذا كما خاطبَه بقوله: ﴿أَن تَبْتَغِيَ نَفَقًا فِي ٱلْأَرْضِ أَوْ سُلَّمًا فِي ٱلسَّمَآءِ﴾ [الأنعام: ٣٥].

وقيل: فلْيَقْطَعْ تلك المادَّةَ[٣]. وقيل: فلْيَقطَعْ عُنقَه. وقيل: فلْيَقْطَعِ الحبلُ عنقه.

---

(١) هذه العبارة مروية عن الحسن، كما في «تأويلات أهل السنة» للماتريدي (١٠/ ١٨٦)، وذكرها مكي في «الهداية» (١٢/ ٧٨٥٠)، لكن المصنف كرَّرها مرَّات، منها ما تقدم في مطلع سورة الأنفال، وما سيأتي في الشعراء، وربما يدل هذا على أن المصنف ينظر إلى القرآن الكريم نظرة كلية، وكأنه يمهد الطريق للتفسير الموضوعي للقرآن الكريم.

(٢) هذا مذهب أبي عبيدة في تفسير الآية. انظر: «مجاز القرآن» (٢/ ٤٦)، وانظر: «تأويل مشكل القرآن» لابن قتيبة (ص: ٢١٢).

(٣) أوضح المصنف هذه العبارة في «غرائب التفسير» (٢/ ٧٥٤) فقال: «فليقطع مادة النُّصرة منَّا؛ فإن النصرة ثابتة من السماء».

وقوله: ﴿فَلْيَنظُرْ﴾ مَن جَعَل (فليقطع) أو ﴿فَلْيَمْدُدْ﴾ كنايةً عن مُهْلِكٍ جَعَل ما بعدَه من الفعلِ على سبيل التَّوهُّم؛ أي: لِيَتوهَّمْ هذه الحالةَ في نَفْسه، وليس بأمرٍ حَتْمٍ.

قوله: ﴿هَلْ يُذْهِبَنَّ كَيْدُهُۥ﴾: خَنْقُه وقَطْعُه على ما فُصِّل ﴿مَا يَغِيظُ﴾: الذي يَغِيظُه ويَسُوءه، وقيل: ﴿مَا﴾ للمصدر؛ أي: غيظَه.

وفي معنى الآيةِ أقوالٌ:

أحدها: مَن ظنَّ أنْ لن يَنصُرَ اللهُ محمَّداً في الدُّنيا والآخرة، وغاظه نصرُ الله إيَّاه فلْيَخْتَنِقْ وليمت غيظاً، كما يقال: مَن لم يحبَّ هذا فلْيَخْتَنِقْ، ومَن لم يَرْضَ هذا فرأسُه والجدار.

وقيل: معناه: فلْيَمْدُدْ بحبلٍ إلى السَّماء فلْيَرْتَقِ فيه ثم لْيَقْطَعِ الحبلَ حتى يَخِرَّ فيَهْلِكَ فيَنْظُرَ هل يَنفعُه ذلك.

وقيل: مَن ظنَّ أنْ لن يَنصُرَ اللهُ محمَّداً فلْيَمُتْ غيظاً.

وقيل: مَن ظنَّ أنْ لن يَنصرَ اللهُ محمّداً وأراد قَطْعَ مادَّة النُّصرة والوحيِ منه فلْيَمدُدْ بحبلٍ إلى السَّماء ولْيَعْرُجْ إليها ولْيَقْطَعْ تلك المادَّة، فإنَّها تأتيهِ من السَّماء مع الملائكة.

وقيل: معناه: مَن لم يثِقْ بوعدِ محمَّدٍ واستَعْجَلَ فلْيَخْتَنِقْ ولْيَجْتهِدْ جُهْدَه.

وقيل: معناه: مَن كان يَحسَبُ أنْ لن يَرْزُقَ اللهُ محمَّداً وأمَّتَه فيوسِّعَ عليهم مِن فضلِه في الدُّنيا والآخرةِ من جزيلِ عطائهِ فلْيُهْلِكْ نفسَه، فإنَّ ذلك كائنٌ لا محالةَ.

وقيل: معناه: مَن كان يظنُّ أنْ لن يَرزُقَه اللهُ فلْيَمْدُدْ حبلاً يَختَنِقُ به، هل يأتيه ذلك الرِّزق؟ فيكونُ العائدُ إلى ﴿مَن﴾ والنُّصرة: الرِّزق، كما سبق.

وقيل: معناه: مَن استَبْطأَ رِزقَ الله ونصرَه وطلَبَ الموعودَ عاجلاً فلْيُهْلِكْ نفسه بخنقٍ أو خُرورٍ من الهواء، فإنَّ لذلك وقتاً لا يجوزُ إيقاعُه إلَّا فيه، واللهُ أعلم.

***

(١٦) ـ ﴿وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَٰهُ ءَايَٰتٍ بَيِّنَٰتٍ وَأَنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يُرِيدُ﴾.

﴿وَكَذَٰلِكَ﴾؛ أي: كما بيَّنَّا ابتداءَ الخلقِ والمعادَ ﴿أَنزَلْنَٰهُ ءَايَٰتٍ بَيِّنَٰتٍ﴾: واضحاتٍ؛ يريد: جميعَ القرآن.

وقيل: كما بيَّنَّا قدرتَنا على الخَلْقِ عقلاً أنزلنا آياتٍ؛ أي: في القرآن آياتٌ واضحاتٌ بصحَّةِ ذلك.

﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يُرِيدُ﴾؛ أي: ولأنَّ اللهَ يَهْدي إلى النُّبوَّة مَن يريدُ، وقيل: إلى التَّوبة.

الحسن: يَهْدِي مَن يهتدِي بهُداه(١).

***

(١٧) ـ ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلْمَجُوسَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ﴾.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلْمَجُوسَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ فيه قولان:

أحدهما: يَحْكُم بينهم؛ لأنَّ كلَّ واحدٍ يدَّعي أنَّه على الحقِّ وصاحبُه مُبْطِلٌ.

والثَّاني: يفرِّقُ بينهم، فالمؤمنون في الجنَّة والكافرون في النَّار.

---

(١) ذكر نحوه الرازي في «تفسيره» (٢٣/ ٢١١) بلفظ: «إن الله يهدي مَن قبل، لا مَن لم يقبل».

وخبر ﴿إِنَّ﴾ الأوَّلِ ﴿إِنَّ﴾ الثَّاني؛ كما تقول: إنَّ زيداً إنَّ أباه قائمٌ.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ﴾: عالمٌ به حافظٌ له.

* * *

(١٨) ـ ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَسْجُدُ لَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ وَٱلنُّجُومُ وَٱلْجِبَالُ وَٱلشَّجَرُ وَٱلدَّوَآبُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ ٱلنَّاسِ ۖ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ ٱلْعَذَابُ ۗ وَمَن يُهِنِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّكْرِمٍ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ﴾.

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَسْجُدُ لَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ هو على العموم، وسجودُهم سجودُ طاعةٍ، وقيل: طبعاً، وفيه بُعْدٌ.

﴿وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ﴾ خصوصٌ في المؤمنين.

﴿وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ وَٱلنُّجُومُ وَٱلْجِبَالُ وَٱلشَّجَرُ وَٱلدَّوَآبُّ﴾ في سجودِها ثلاثةُ أقوالٍ:

أحدها: أنَّها تسجدُ لكنَّا لا نَقِفُ على سجودِها كما لا نَقِفُ على تسبيحها، من قوله: ﴿وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾ [الإسراء: ٤٤].

وقيل: سجودُها بظلالها كما في الآية الأخرى[١].

وقيل: سجودُها: دلالتُها على وحدانيَّةِ اللهِ، وحملُ غيرِها على السُّجود عند الاستدلالِ، وتأتِّيها لمراده.

﴿وَكَثِيرٌ مِّنَ ٱلنَّاسِ﴾ هو عطفٌ على الأوَّل؛ أي: يسجدُ كثيرٌ من النَّاس، وهم المؤمنون.

وقيل: استئنافٌ؛ أي: وكثيرٌ من النَّاس حَقَّ له الثَّوابُ، ودلَّ عليه ما بعدَه من قوله: ﴿وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ ٱلْعَذَابُ﴾ بكفرِه وإبائه السُّجودَ.

---

(١) وهي قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَظِلَٰلُهُم بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْءَاصَالِ﴾ [الرعد: ١٥].

وقيل: ﴿وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ ٱلْعَذَابُ﴾ أيضاً معطوفٌ على الأوّل إذا أردت بالسُّجود سجودَ الظِّلِّ أو سجودَ الدَّلالةِ؛ لأنَّ ذَيْنِكَ موجودان في الكفَّار، و﴿حَقَّ عَلَيْهِ ٱلْعَذَابُ﴾ صفتُه.

والجمهورُ على أنَّ قوله: ﴿وَكَثِيرٌ﴾ مبتدأٌ ﴿حَقَّ عَلَيْهِ ٱلْعَذَابُ﴾ خبرُه.

﴿وَمَن يُهِنِ ٱللَّهُ﴾ بالشَّقاوة وإدخالِ النَّار ﴿فَمَا لَهُۥ مِن مُّكْرِمٍ﴾: يُكرِمُه بالسَّعادة وإدخالِ الجنَّة، وقرئ في الشَّواذِّ: (من مُكْرَمٍ) بالفتح[1]؛ أي: إكرام.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ﴾ من الإهانةِ والإكرام.

***

(١٩) - ﴿هَٰذَانِ خَصْمَانِ ٱخْتَصَمُوا۟ فِى رَبِّهِمْ ۖ فَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِّن نَّارٍ يُصَبُّ مِن فَوْقِ رُءُوسِهِمُ ٱلْحَمِيمُ﴾.

﴿هَٰذَانِ خَصْمَانِ﴾ في سببِ النُّزول: رواه البخاريُّ في «صحيحه»: أنَّ أبا ذرٍّ رضي الله عنه كان يقول: أُقْسِمُ باللهِ لقد نزلَتْ هذه الآيةُ في هؤلاء السِّتَّة: حمزةَ وعليٍّ وعبيدةَ وعُتبةَ وشيبةَ والوليدِ بنِ عُتبةَ[2].

وعن عليٍّ رضي الله عنه أنَّه قال: فينا نزلَتْ هذه الآيةُ وفي مبارَزَتِنا يومَ بدرٍ[3].

ابن عبَّاسٍ رضي الله عنهما: هم أهلُ الكتاب قالوا للمؤمنين: نحن أولى بالله

(١) قرأ بها أبو معاذ كما في «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ٩٧)، وهي قراءة ابن أبي عبلة، كما في «المحرر الوجيز» لابن عطية (٤/ ١١٣).

(٢) رواه البخاري (٣٩٦٩)، ومسلم (٣٠٣٣).

(٣) رواه البخاري (٣٩٦٧).

منكم؛ كتابُنا ونبيُّنا قبل كتابِكُم ونبيِّكم، وقال المؤمنون: نحن أحقُّ بالله آمنَّا بنبيِّنا ونبيِّكم وما أَنْزَلَ اللهُ من كتابٍ(١).

الحسن: هما جملةُ المؤمنين والكافرين اختصَموا في دين الله(٢).

قوله: ﴿هَٰذَانِ خَصْمَانِ﴾ يريد: جمعَ الكفَّار وجمعَ المؤمنين، وهو مصدرٌ فلا يثنَّى ولا يُجمَعُ مع التَّثنية والجمع(٣).

وقيل: جمعُ خاصمٍ كراكِبٍ ورَكْبٍ(٤).

﴿ٱخْتَصَمُوا۟ فِى رَبِّهِمْ﴾ فجُمع حملاً على المعنى(٥).

عكرمةُ: الخصمان: الجنَّة والنَّار(٦)، روى أبو هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ أنَّه قال: «تحاجَّتِ الجنَّةُ والنَّارُ، فقالت النَّار: أُوْثِرْتُ بالمتكبِّرين والمتجبِّرين، وقالت الجنَّةُ: ما لي لا يَدْخُلُني إلّا ضعفاءُ النَّاس؟ فقال اللهُ للجنَّة: إنَّما أنت رحمتي أَرحمُ بكِ مَن أشاءُ مِن عبادي، وقال للنَّار: إنَّما أنتِ عذابي أعذِّبُ بكِ مَن أشاءُ من عبادي، ولكلٍّ واحدةٍ منكما مَلْؤُها»(٧).

﴿فَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ قُطِّعَتْ﴾ هـذا أحـدُ الخصمين، ومعنـى ﴿قُطِّعَتْ﴾: قُدِّرت

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (١٦/ ٤٩١) عن ابن عباس بإسناد ضعيف.

(٢) ذكره مكي بن أبي طالب في «الهداية» (٧/ ٤٨٦٢).

(٣) إلا إذا اختلف النوعان، كما في «غرائب التفسير» (٢/ ٧٥٥).

(٤) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٧٥٥)، واستغربه.

(٥) لأن كل واحد من الخصمين جمع، ولذلك لم يقل: اختصما. انظر: «تصحيح الفصيح» لابن درستويه (ص: ٢٥٤)، و«تفسير السمرقندي» (٢/ ٤٥٤).

(٦) رواه الطبري في «تفسيره» (١٦/ ٤٩٣).

(٧) رواه البخاري (٤٨٥٠)، ومسلم (٢٨٤٦).

وجُعِلت وسوِّيت ﴿لَهُمْ ثِيَابٌ مِّن نَّارٍ﴾؛ أي: النَّارُ أحاطت بهم كإحاطةِ الثِّياب المقطوعة.

وقيل: يذابُ النُّحاس عليهم فيَصيرُ مثلَ الثِّياب عليهم.

سعيدُ بن جُبيرٍ: ﴿ثِيَابٌ مِّن نَّارٍ﴾؛ أي: نحاسٍ، وليس شيءٌ أشدَّ حرًّا منه إذا أُحمي(1). ومثلُه قولُه: ﴿سَرَابِيلُهُم مِّن قَطِرَانٍ﴾ [إبراهيم: ٥٠] وهو النُّحاس.

﴿يُصَبُّ مِن فَوْقِ رُءُوسِهِمُ الْحَمِيمُ﴾: الماءُ الحارُّ الشَّديدُ الحرارة المحرِقُ مِن حرارته.

***

(٢٠) ـ ﴿يُصْهَرُ بِهِۦ مَا فِى بُطُونِهِمْ وَالْجُلُودُ﴾.

﴿يُصْهَرُ بِهِۦ﴾: بالحَميم؛ أي: يُذابُ، تقول: صَهَرَتْه الشَّمس؛ أي: أذابَتْه، والصُّهارة: الأَلْيَةُ المُذابةُ.

﴿مَا فِى بُطُونِهِمْ﴾: أجوافِهم من الأحشاء ﴿وَالْجُلُودُ﴾ هي: عطفٌ على ﴿مَا فِى بُطُونِهِمْ﴾؛ أي: إذا بلَغ الحميمُ رؤوسَهم أذابَ اللَّحمَ والعَظم، ووصلَ إلى الجوف فأذاب الأمعاء، ثم سالت جلودُهم.

***

(٢١) ـ ﴿وَلَهُم مَّقَامِعُ مِنْ حَدِيدٍ﴾.

﴿وَلَهُم مَّقَامِعُ مِنْ حَدِيدٍ﴾: يُعذَّبون بها، جمعُ مِقْمَعةٍ، وهي: سلاحٌ كالمِدَقَّة، وقيل: هي السِّياط، وحقيقتُها ما يُقْمَعُ به؛ أي: يُكَفُّ بعُنفٍ.

وقيل: فيه تقديمٌ وتأخيرٌ، وتقديرُه: ولهم مقامعُ من حديدٍ يُثْقَبُ بها رؤوسُهم ثم يُصَبُّ فيها مِن فوق رؤوسِهم الحميمُ.

---

(1) رواه الطبري في «تفسيره» (١٦/ ٤٩٤)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٨/ ٢٤٨١).

وقال بعض المفسِّرين: مقامعُ جمعُ مِقْمَعٍ، وهو القِمْعُ(١) واحدُ الأقماع، وفي الآيةِ تقديمٌ وتأخيرٌ كما حَكَيْتُ.

***

(٢٢) - ﴿كُلَّمَآ أَرَادُوٓاْ أَن يَخۡرُجُواْ مِنۡهَا مِنۡ غَمٍّ أُعِيدُواْ فِيهَا وَذُوقُواْ عَذَابَ ٱلۡحَرِيقِ﴾.

﴿كُلَّمَآ أَرَادُوٓاْ أَن يَخۡرُجُواْ مِنۡهَا﴾: من النَّار ﴿مِنۡ غَمٍّ﴾: من غمِّها وحُزنها.

وقيل: الغمُّ هاهنا: تغطيةُ العذابِ لهم والأخذُ بكَظَمهم(٢)؛ لأنَّ ما هم فيه أعظمُ من الحزن.

﴿أُعِيدُواْ فِيهَا﴾: بالمقامع ﴿وَذُوقُواْ﴾؛ أي: يقالُ لهم: ذوقوا ﴿عَذَابَ ٱلۡحَرِيقِ﴾ النَّارَ. ثم ذَكَر الخصمَ الآخرَ فقال:

(٢٣) - ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدۡخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ يُحَلَّوۡنَ فِيهَا مِنۡ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٖ وَلُؤۡلُؤٗاۖ وَلِبَاسُهُمۡ فِيهَا حَرِيرٞ﴾.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدۡخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ يُحَلَّوۡنَ فِيهَا﴾: يَلْبَسون فيها ﴿مِنۡ أَسَاوِرَ﴾: جمعُ أَسْوِرَةٍ، وأَسْوِرَةٌ جمعُ سِوارٍ، وهو: ما يُلْبَس في الذِّراع ﴿مِن ذَهَبٖ﴾ أو فضَّةٍ ﴿وَلُؤۡلُؤٗا﴾: مَن جرَّه(٣) جعَله عطفاً على ﴿ذَهَبٖ﴾ والمعنى: مرصَّعةً، وقيل: جعَلَه عطفاً على ﴿أَسَاوِرَ﴾، ومَن نَصَبَه

---

(١) قال الزبيدي في «تاج العروس» مادة: (ق م ع) (٢٢/ ٩٧): «والقَمْعُ بالفتح والكسر وكعِنَب... والعامة تقول بالضم، وهو غلط».

(٢) ذكر هذا القول الخطيب الإسكافي في «درة التنزيل» (١/ ٩٢٤)، والكَظَمُ، محركةً: الحَلْقُ أو مَخْرَجُ النَّفَس. انظر: «النهاية» مادة: (ك ظ م).

(٣) قرأ نافع وعاصم بالنصب، وباقي السبعة بالجر. انظر: «السبعة» (ص: ٤٣٥)، و«التيسير» (٦/ ٧٥).

جَعَله عطفاً على ﴿أَسَاوِرَ﴾ في المعنى؛ أي: يحلَّون أساورَ ويحلَّون لؤلؤاً.

وكرَّر ﴿مِنْ﴾ لأنَّ الأوَّلَ للتَّبعيض والثَّاني للتَّبيين.

و﴿فِيهَا﴾ ظرفُ ﴿يُحَلَّوْنَ﴾، وقيل: صفةٌ لـ﴿أَسَاوِرَ﴾ تقدَّمتْ عليها فهي حالٌ لها(٤)، وأفاد أنَّها معدَّةٌ.

﴿وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ﴾: ثيابُهم من إبريسم.

* * *

(٢٤) ـ ﴿وَهُدُوٓاْ إِلَى ٱلطَّيِّبِ مِنَ ٱلْقَوْلِ وَهُدُوٓاْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْحَمِيدِ﴾.

﴿وَهُدُوٓاْ إِلَى ٱلطَّيِّبِ مِنَ ٱلْقَوْلِ﴾: أُرْشِدوا إليه ودُلُّوا عليه في الدُّنيا.

و﴿ٱلطَّيِّبِ مِنَ ٱلْقَوْلِ﴾: لا إلهَ إلَّا الله محمَّدٌ رسول الله.

وقيل: القرآن.

وقيل: سبحان الله والحمد لله.

وقيل: إلى البشاراتِ التي تأتيهم من الله في الجنَّة، وإلى التَّحيَّة والسَّلام من الله؛ كقوله: ﴿تَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَٰمٌ﴾ [إبراهيم: ٢٣].

﴿وَهُدُوٓاْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْحَمِيدِ﴾؛ أي: الإسلام، و﴿ٱلْحَمِيدِ﴾ هو الله سبحانه، بمعنى: حامدٍ، وقيل: محمودٍ، وقيل: طالبِ حمدٍ.

وقيل: ﴿ٱلْحَمِيدِ﴾ الإسلام. أي: إلى صراط الإسلام، وقيل: هُدُوا إلى طريق الجنَّة.

* * *

---

(٤) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٧٥٥)، واستغربه.

(٢٥) ـ ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ٱلَّذِى جَعَلْنَٰهُ لِلنَّاسِ سَوَآءً ٱلْعَٰكِفُ فِيهِ وَٱلْبَادِۚ وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍۭ بِظُلْمٍ نُّذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ نزلتْ في أبي سفيانَ وأصحابِه حين صَدُّوا رسولَ الله عن البيت[1]، والمعنى: إنَّ الذين كفروا فيما مضَى ويَصدُّون عن سبيل الله الآن.

وقيل: ﴿يصدّون﴾ بمعنى: صَدُّوا؛ أي: يَمنَعون ويَمتنِعون[2] من الدُّخول في الإسلام.

﴿وَٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ﴾؛ أي: ويصدُّون عن المسجدِ الحرام والدُّخولِ فيه والطَّوافِ بالبيت ﴿ٱلَّذِى جَعَلْنَٰهُ لِلنَّاسِ سَوَآءً ٱلْعَٰكِفُ فِيهِ وَٱلْبَادِ﴾: ﴿ٱلْعَٰكِفُ﴾: مَن كان مِن أهله، ﴿وَٱلْبَادِ﴾: مَن نَزَع إليه بحجٍّ أو عمرةٍ.

وقيل: المقيمُ وغيرُ المقيم، والعُكوفُ: الإقامةُ، ﴿وَٱلْبَادِ﴾: نازلُ بدوٍ.

وقرئ ﴿سَوَاء﴾ بالرَّفع والنَّصب[3]؛ الرَّفعُ على أنَّه خبرٌ والمبتدأُ مؤخَّرٌ؛ أي: العاكفُ فيه والبادِ سواءٌ، ومَن نَصَب جَعَله مفعولاً ثانياً أو حالاً، وارتَفَع به ﴿العاكف﴾ و﴿الباد﴾.

والمعنى: هما سواءٌ في النُّزول به، وليس أحدُهما أحقَّ به مِن الآخر. وقيل: هما سواءٌ في قضاء النُّسك وتعظيمِ الحُرمة وأداءِ الواجب فيه عليهما.

﴿وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ﴾: الباءُ زيادةٌ؛ أي: إلحاداً، وقيل: تقديرُه: ومَن يُرِدْ

(١) ذكره الجرجاني في «درج الدرر» (٣/ ١٢٥٢) عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٢) «ويمتنعون» من (ق).

(٣) قرأ حفص بالنصب، والباقون بالرفع. انظر: «السبعة» (ص: ٤٣٥)، و«التيسير» (ص: ١٥٧).

إرادةً بإلحادٍ. وقيل: الفعلُ محمولٌ على المصدر؛ أي: مَن إرادتُه بإلحادٍ[1]، كما سبق في اللَّام[2]. وباءُ ﴿بِظُلْمٍ﴾ متَّصلٌ بالإرادة.

والإلحادُ: الميلُ عن الصَّواب، والظُّلمُ هاهنا: الشِّركُ، وقيل: ركوبُ الآثامِ واستحلالُ الحرام.

وجاء مرفوعاً: أنَّه الاحتكار[3].

وكان ابن عمر[و] رضي الله عنهما يقول: من الإلحادِ فيه أن يقولَ الرَّجلُ: كلَّا واللهِ، و: بَلَى والله[4].

وقيل: مَن همَّ بذنبٍ فيه كُتب عليه.

---

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٧٥٧)، واستغربه.

(٢) في تفسير قوله تعالى: ﴿لِلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ﴾ [الأعراف: ١٥٤]، وانظر: «غرائب التفسير» (١/ ٤٢٤).

(٣) رواه أبو داود (٢٠٢٠) من طريق جعفر بن يحيي بن ثوبان، عن عُمارة بن ثوبان، عن موسى بن باذان، عن يعلى بن أمية عن النبي ﷺ قال: «احتكارُ الطعامِ في الحَرَمِ إلحادٌ فيه». وهذا إسناد ضعيف؛ لأن جعفر بن يحيى بن ثوبان وعمارة بن ثوبان وموسى بن باذان ثلاثتهم مجهولون كما قال ابن القطان في «بيان الوهم والإيهام» (٣/ ١٦٧). وقال الذهبي في «الميزان» في ترجمة جعفر بن يحيى: «هذا حديث واهي الإسناد».

وقد روي هذا الحديث موقوفاً على عمر بن الخطاب رضي الله عنه وهو الصحيح، فقد رواه البخاري في «التاريخ الكبير» (٧/ ٢٥٥) والأزرقي في «أخبار مكة» (٢/ ١٣٥)، والفاكهي في «أخبار مكة» (١٧٧٦)، من طريق عبيد الله بن عياض بن عمرو القاري، عن يعلى بن منية ـ وهو ابن أمية نفسه ـ أنه سمع عمر بن الخطاب يقول: «احتكار الطعام بمكة إلحاد». وإسناده حسن.

(٤) رواه الأزرقي في «تاريخ مكة» (٢/ ١٣١)، والطبري في «تفسيره» (١٦/ ٥١٠)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٨/ ٢٤٨٤)، والثعلبي في «تفسيره» (١٨/ ٣٣٩)، جميعهم عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما. ووقع في النسختين: «ابن عمر»، والمثبت من المصادر.

وقيـل: هـو القتـلُ؛ نزلت في ابن خَطَـلٍ، بَعَث معـه[١] رجليـن أحدُهما مهاجرٌ والآخـرُ أنصـاريٌّ، فافتَخَـروا، فغضـبَ ابـنُ خَطَـلٍ وقتَل الأنصـاريَّ وارتـدَّ ولَحِقَ بمكَّـة كافراً[٢].

وقيل: هو ما نُهِيَ عنه فيه.

قوله: ﴿نُّذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾؛ أي: في الآخرة.

واختلف النَّحاة في خبر ﴿إِنَّ﴾:

فقال بعضُهم: الواوُ في ﴿وَيَصُدُّونَ﴾ زيادةٌ، وهو الخبرُ[٣].

وقيـل: ﴿نُّذِقْهُ﴾، وهـو قـولُ الزَّجَّاج[٤]، وزيَّفـه النَّحَّاس[٥]، ووجـهُ ذلك[٦] أنَّ الموصـول فيـه معنى الشَّـرط، فجاز وقـوعُ المجزوم خبـراً عنه[٧].

---

(١) أي: النبيُّ صلى الله عليه وسلم؛ فهو الذي بعث معه الرجلين، كما في مصادر التخريج.

(٢) انظر: «تفسير مقاتل» (٣/ ١٢١ ـ ١٢٢)، و«تفسير السمرقندي» (٢/ ٤٥٥).

(٣) ذكره النحاس في «إعراب القرآن» (٣/ ٦٦)، ومكي في «مشكل إعرابه» (٢/ ٤٨٩)، وقال أبو حيان في «البحر» (٧/ ٤٩٩): «وهو قول كوفي مرغوب عنه».

(٤) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٣/ ٤٢٠)، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٧٥٧)، وعدَّه من العجائب. وقال: «وهو مزيف من وجهين: أحدهما: أنه مجزوم، وخبر (إن) لا يأتي مجزوماً. والثاني: أن الشرط يبقى من غير جزاء».

(٥) انظر: «إعراب القرآن» للنحاس (٣/ ٦٦)، وتزييفه له بالوجهين السابقين.

(٦) أي: وجه قول الزجاج الذي زيفه النحاس، ولم يرتضه المصنف.

(٧) وهذا التوجيه لم يرتضه المؤلف في «غرائب التفسير» (٢/ ٧٥٧) فقال: «فإن قيل: كما يجوز إدخال الفاء في خبر (إنَّ) إذا كان اسمه موصولاً بفعلٍ أو ظرفٍ ـ لتضمُّن الموصول معنى الشرط ـ جاز الجزم أيضاً. قيل له: لا يجوز في الآية؛ لأن قوله: ﴿مَن يُرِدْ﴾ مجزوم بـ﴿مَن﴾، ولا يجوز عطفه على اسم ﴿إِنَّ﴾؛ لأن (إنَّ) لا تدخل على (مَن) إذا كان شرطاً».

وقيل: الخبرُ محذوفٌ؛ أي: هَلَكوا(١).

وقيل: خبره: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ﴾ [الحج: ٣٨] وإنْ طال؛ لأنَّ الكلَّ صفةُ المسجد والحجِّ وما يتعلَّق بذلك(٢).

***

(٢٦) - ﴿وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَٰهِيمَ مَكَانَ ٱلْبَيْتِ أَن لَّا تُشْرِكْ بِى شَيْـًٔا وَطَهِّرْ بَيْتِىَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْقَآئِمِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ﴾.

﴿وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَٰهِيمَ مَكَانَ ٱلْبَيْتِ﴾؛ أي: واذكُرْ يا محمَّدُ كيف كان بدءُ بناء البيت، وقيل: فيه مضمرٌ تقديره: وأَوْصَينا إذ ﴿بَوَّأْنَا لِإِبْرَٰهِيمَ مَكَانَ ٱلْبَيْتِ﴾، تقول: تبوَّأ الرَّجلُ منزلاً: اتَّخذه، وبوَّأ غيره منزلاً: أعطاه، وأصله: باءَ؛ إذا رجع، وبوَّأْتُه: جعَلْتُ له منزلاً يَرجعُ إليه.

واللَّام في ﴿لِإِبْرَٰهِيمَ﴾ زيادةٌ؛ كقوله: ﴿بَوَّأْنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ [يونس: ٩٣]، وقوله: ﴿تُبَوِّئُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٢١].

﴿مَكَانَ ٱلْبَيْتِ﴾: موضعَ الكعبة(٣)، وكان البيتُ قد رُفع.

﴿أَن لَّا تُشْرِكْ بِى شَيْـًٔا﴾؛ أي: وأَمَرْنا، وقيل: وقُلْنا: لا تشرك بي شيئاً.

﴿وَطَهِّرْ بَيْتِىَ﴾ من الأوثان وأنْ لا يُعْبَدَ فيه غيري.

وقيل: من الأقذار، وأن يُجرَى فيه ما يُجرَى في سائر البيوت.

﴿لِلطَّآئِفِينَ﴾: لمن يطوفُ به، ﴿وَٱلْقَآئِمِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ﴾؛ أي: المصلِّين؛

---

(١) ذكره الزجاج، وهو اختيار النحاس. انظر: «إعراب القرآن» للنحاس (٣/ ٦٦).

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٧٥٧)، واستغربه.

(٣) في (ف): «البيت».

فإنَّ الصَّلاة قيامٌ وركوعٌ وسجودٌ، ﴿وَٱلرُّكَّعِ﴾: جمعُ راكعٍ، و﴿ٱلسُّجُودِ﴾: جمعُ ساجدٍ.

ولم يُذْكَر الواوُ بين الرُّكوع والسُّجود وذُكِر بين القيام والرُّكوع؛ لأنَّ الصَّلاة قاعداً جائزةٌ، ولا تجوزُ بغير الرُّكوع والسُّجود.

وقيل: ﴿وَٱلْقَآئِمِينَ﴾ بمعنى: المقيمين فيه.

***

(٢٧) ـ ﴿وَأَذِّن فِى ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ﴾.

﴿وَأَذِّن فِى ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ﴾ هذا عطفٌ على ما قبله؛ أي: أَمَرْنا إبراهيمَ وقُلنا له: أذِّنْ في النَّاس بالحجِّ: أَعْلِمْهم ونادِ فيهم.

الحسن: هذا استئنافٌ وخطابٌ لمحمَّدٍ ﷺ(١).

والأوَّلُ أظهر؛ لأنَّ جلَّ المفسِّرين رَوَوْا أنَّ إبراهيمَ عليه السَّلام قال لمَّا أَمَره الله بالتَّأذين: يا ربِّ، وما يَبْلُغُ صوتي؟ فقال الله: عليك الأذانُ وعليَّ الإبلاغ، فقام إبراهيم على المقام ـ وقيل: على أبي قبيسٍ ـ ونادى: يا أيُّها النَّاس، إنَّ ربَّكم بنَى بيتاً فحُجُّوه، فأَسْمعَ اللهُ ذلك مَن في أصلاب الرِّجال وأرحامِ النِّساء، وما بين المشرقِ والمغربِ، والبحرِ والبرِّ، ممَّن سَبَق في علم الله أنْ يحجَّ إلى يوم القيامة، فأجابوه وقالوا: لبَّيك اللَّهمَّ لبَّيك(٢).

---

(١) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (١٨/ ٣٤٢)، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٧٥٨)، واستغربه.

(٢) روى نحوه ابن أبي شيبة في «المصنف» (٣١٨١٨)، والطبري في «تفسيره» (١٦/ ٥١٤ ـ ٥١٥)، والحاكم في «المستدرك» (٣٤٦٤) وصححه، عن ابن عباس رضي الله عنهما.

وروى نحوه مرفوعًا الفاكهي في «أخبار مكة» (٩٧٣)، والكلاباذي في «معاني الأخبار» =

ورُوي عن ابن عبَّاسٍ رضي الله عنهما أنَّه قال: (النَّاس) هاهنا: أهلُ القِبلة[١].

قولـه[٢]: ﴿يَأْتُوكَ رِجَالًا﴾؛ أي: ماشـينَ على أقدامهم، جمعُ راجـلٍ، والرَّاجل: هـو الذي يمشـي علـى رجليـه، وكذلـك رَجْـلٌ[٣] ورَجْـلان، وامـرأة رَجْلَـى، حكاهُ سيبويه[٤].

﴿وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ﴾؛ أي: بعيرٍ مهزولٍ أَتْعَبَه السَّفَرُ لبُعْدِه.

وقيل: ﴿كُلِّ ضَامِرٍ﴾ الضُّمَّر: الصِّلَاب الأقوياء.

﴿يَأْتِينَ﴾ جُمِع حَمْلاً على معنى ﴿كُلِّ ضَامِرٍ﴾.

﴿مِن كُلِّ فَجٍّ﴾: طريقٍ ﴿عَمِيقٍ﴾: بعيدٍ، وأصلُ العمق: البُعْدُ سفلاً، تقول: بئرٌ عميقٌ؛ أي: بعيدةُ الغَورِ، والفعلُ عَمِقَ وعَمُقَ[٥].

﴿لِّيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ﴾: ليَحْضُـروا منافـعَ دِينهـم، وقيـل: متاجِـرَ، وقيـل: الأسـواقَ، وقيـل: منافـعَ الدِّيـن والدُّنيـا معـاً.

وقيل: معنى ﴿لِّيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ﴾: ليشهَدوا مكَّةَ ومَشاهِدَها للحجِّ والعمرة.

= (ص: ١٨٤)، عن أبي هريرة رضي الله عنه.

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (١٦/ ٥١٧)، وذكره الثعلبي في «تفسيره» (١٨/ ٣٤٢).

(٢) «قوله» من (ف).

(٣) بسكون الجيم وبكسرها وضمها. انظر: «القاموس» مادة: (ر ج ل).

(٤) انظر: «الكتاب» (٣/ ٦٤٦).

(٥) ضبطت في (ن): عَمَقَ وعَمُقَ، والضم فيها مشهور، وهو الذي ذكره أكثر أئمة اللغة، فهو عندهم من باب كرُم، وذكر محمد بن عمر في «فتح الأقفال» (ص: ٤٢ و٥٦) أنه من باب سمِع أيضاً، وأما الفتح فذُكر في الاسم؛ يقال: عَمْقُ البئر وعُمْقها، كما في «إصلاح المنطق» لابن السكيت (ص: ٧٤)، ولم أقف على من ضبط (عَمَقَ) بفتح الميم، والله أعلم.

وقيل: العفوَ والمغفرة.

﴿وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَّعْلُومَاتٍ﴾ يريد: ذكرَ اسمِ الله عند الذَّبح.

والأيامُ المعلومات: قيل: هي عشرُ ذي الحجَّة، وقيل: يومُ النَّحر، وقيل: يومُ التَّروية وأربعةٌ بعده، والأحسنُ أن تُجعَلَ أيَّامَ النَّحر؛ لأنَّ المرادَ بذكرِ اسمِ الله: ذكرُ اسمِه على القَرَابين، وأنَّها تكون في أيَّام النَّحر.

﴿عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّن بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ﴾؛ أي: فلْيُضَحُّوا الضَّحايا من الإبلِ والبقرِ والغَنم، واذكُروا اسمَ الله عندَ الذَّبح، وأضافَ البَهِيمةَ إلى الأنعام لأنَّها قد تكونُ من غيرِ الأنعام؛ لأنَّ كلَّ ما لا يَعْقِلُ بهيمةٌ، فصار من باب: (ثوبُ خَزٍّ)[١].

﴿فَكُلُوا مِنْهَا﴾؛ أي: من لحومِها ﴿وَأَطْعِمُوا الْبَائِسَ الْفَقِيرَ﴾: الزَّمِنَ المحتاجَ، و﴿الْبَائِسَ﴾: الذي في بؤسٍ وشدَّةٍ من العيش، و﴿الْفَقِيرَ﴾: الذي كأنَّه أصيبَ فَقَارُه.

وفي الأكلِ والإطعامِ ثلاثةُ أقوالٍ: أحدها: أنَّهما واجبان، والثَّاني: أنَّهما مستحَبَّان، والثَّالث: أنَّ الأكلَ مستحَبٌّ والإطعامَ واجبٌ، وهذا فيما كان تطوُّعاً، فأمَّا إذا كان واجباً فلا يجوزُ الأكلُ منه[٢].

***

---

(١) أي: من باب إضافة الشيء إلى جنسه، وبعض الشيء إلى كلِّه. انظر: «المقتضب» (٤/ ٢٤)، و«الأصول» لابن السراج (١/ ٥٣).

(٢) انظر: «الإشراف» لابن المنذر (٣/ ٣٤٥)، و«الأشباه والنظائر» للسبكي (٢/ ١٩٤)، و«التمهيد» للإسنوي (ص: ٢٧٤)، و«الفوائد السنية» للبرماوي (٥/ ١٩١).

(٢٩) - ﴿ ثُمَّ لْيَقْضُواْ تَفَثَهُمْ وَلْيُوفُواْ نُذُورَهُمْ وَلْيَطَّوَّفُواْ بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ ﴾.

﴿ ثُمَّ لْيَقْضُواْ تَفَثَهُمْ ﴾: أَخْذُ الشَّارب، وحَلْقُ العانةِ، ونَتْفُ الإبط، والأخذُ من الشَّعر وتقليمُ الأظفار، كأنَّه الخروجُ من الإحرام إلى الإحلال.

وقيل: هو ما يَلْزمُ المُحْرِمَ من إماطةِ الأذى.

وقيل: التَّفَثُ: سائرُ المناسك.

ابنُ عمرَ رضي الله عنه: التَّفَثُ: الآثام[1].

وقيل: هو رميُ الجِمَار.

وأصلُ التَّفَثِ: الوَسَخُ، وكلُّ قاذورةٍ تَلحَقُ الإنسان، وحكَى قطربٌ: تَفِثَ الرَّجلُ؛ إذا كَثُرَ وسخُه في سفَره[2].

أبو محمَّدٍ البصريُّ: أصل التَّفَث: من التَّفِّ، وهو وسخُ الأظفار، قُلِبَ الفاءُ ثاءً كجَدَثٍ ومُغْثُورٍ[3].

الزَّجَّاج: معنى التَّفَثِ لا يعرفُه أهلُ اللُّغة إلَّا من التَّفسير[4].

---

(١) لم أقف عليه عن ابن عمر رضي الله عنه، وروى الطبري في «تفسيره» (١٦/ ٥٢٥) عن ابن عمر رضي الله عنه: ﴿ ثُمَّ لْيَقْضُواْ تَفَثَهُمْ ﴾ قال: «ما هم عليه في الحج».

(٢) ذكره أبو حيان في «البحر المحيط» (٧/ ٤٧٨)، و«الدر المصون» للسمين الحلبي (٨/ ٢٦٨).

(٣) الجدث والجدف: القبر. والمغثور والمغفور: شَيْء كالصمغ يسيل من بعض الشّجر حُلْو كالعسل وَله رَائِحَة كريهة، جمعها: المغاثير والمغافير. انظر: «المعجم الوسيط» مادة: (غ ث ر).

وهذا القول ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٧٥٩)، واستغربه، وذكره أبو حيان في «البحر المحيط» (٧/ ٤٧٩).

(٤) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٣/ ٤٢٣)، ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٧٥٩)، وعدَّه من العجائب.

﴿وَلْيُوفُوا۟ نُذُورَهُمْ﴾؛ أي: فلْيُتِمُّوا، وإيفاؤها: الإتيانُ بها عن آخرها.

وقيل: فلْيُوْفوا اللهَ بما نَذَروا من هَدْيٍ وبَدَنةٍ وغيرِ ذلك.

وقيل: هي إراقة الدِّماء.

﴿وَلْيَطَّوَّفُوا۟ بِٱلْبَيْتِ ٱلْعَتِيقِ﴾ يريد: طوافَ الزِّيارة بعد الحَلْق أو القصر.

والطَّواف: أن يَدورَ حولَ البيت.

والبيتُ العتيق: الكعبةُ، وفي تسميتِه عتيقاً أقوالٌ:

أحدها: أنَّه القديم؛ لأنَّ آدمَ بناهُ وجدَّده إبراهيمُ عليهما السّلام.

وقيل: العتيقُ: الذي لم يَمْلِكه أحدٌ.

وقيل: أُعْتِق من الطُّوفان فلَمْ يَهْدِمْه.

وقيل: أُعْتِق من الهُلْك، فلم يَغْلِبْ عليه مَلِكٌ.

وقيل: العتيقُ: الكريمُ.

* * *

(٣٠) - ﴿ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ حُرُمَٰتِ ٱللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ ۗ وَأُحِلَّتْ لَكُمُ ٱلْأَنْعَٰمُ إِلَّا مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ ۖ فَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلرِّجْسَ مِنَ ٱلْأَوْثَٰنِ وَٱجْتَنِبُوا۟ قَوْلَ ٱلزُّورِ﴾.

﴿ذَٰلِكَ﴾؛ أي: الأمرُ ذلك، وهو خبرُ مبتدأٍ محذوفٍ.

وقيل: ﴿ذَٰلِكَ﴾ الأمرُ والشّأن، فهو مبتدأٌ محذوفُ الخبر.

وقيل: تقديرُه: ليَفْعَلوا ذلك[1].

---

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٧٥٩)، واستغربه. ذكر التستري في «تفسيره» (ص: ١٠٧) =

﴿وَمَن يُعَظِّمْ حُرُمَٰتِ ٱللَّهِ﴾: دِينَ الله، وقيل: هي ما وَجَب القيامُ به.

وقيل: هي تعظيمُ الكعبة، وحجُّها بالإتيانِ بما أُمِر والكفِّ عمَّا نُهِي.

ابن زيدٍ: ﴿حُرُمَٰتِ ٱللَّهِ﴾: البيتِ الحرامِ، والمشعرِ الحرام، والشَّهرِ الحرام[١].

﴿فَهُوَ﴾؛ أي: التَّعظيم ﴿خَيْرٌ لَّهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ﴾: ثوابٌ له مدَّخرٌ.

﴿وَأُحِلَّتْ لَكُمُ ٱلْأَنْعَٰمُ إِلَّا مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ﴾؛ أي: مباحٌ أكلُها إلّا ما ذُكر في قوله: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةُ﴾ الآية [المائدة: ٣].

وقيل: أحلَّ لكم في حالِ إحرامِكُم أكلُ لحومِ الأنعام إلَّا ما يُتْلى عليكم من الصَّيد في الإحرام.

﴿فَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلرِّجْسَ مِنَ ٱلْأَوْثَٰنِ﴾؛ أي: اجتَنِبوا الأوثانَ كما يُجتَنَبُ الشَّيءُ القَذِر؛ أي: دَعُوا عبادةَ الأوثان.

وقيل: هي ما كانوا يَنحرون عليها هَدْيَهم ويَصُبُّون عليها الدِّماء، ومع رِجْسِها يمسحونها، فنهَى الله عن ذلك. والأوَّل أظهر.

والرِّجسُ على وجهين؛ الرِّجسُ القَذِرُ المُنْتِنُ في النِّهاية، والرِّجسَ: القبيحُ في النِّهاية[٢].

و﴿مِنَ﴾ فيه للتَّبيين، وقيل: لابتداء الغاية؛ أي: من عبادةِ الأوثان[٣].

= عن الحسن أنه قال: «إنما سمّاه عتيقاً تكرمةً له»، وذكر الزجاج في «معاني القرآن» (٣/ ٤٢٤) عن الحسن أنه القديم.

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (١٦/ ٥٣٤).

(٢) انظر: «النهاية في غريب الحديث» لابن الأثير (٢/ ٢٠٠).

(٣) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٧٥٩)، واستغربه.

وقيل: واجتنِبوا من الأوثانِ الرِّجْسَ، وهو عبادةُ الأوثان[١].

﴿وَٱجۡتَنِبُواْ قَوۡلَ ٱلزُّورِ﴾: الكذبَ، قال رسول الله ﷺ: «إيَّاكم والزُّورَ، فإنَّ الله تعالى جعلَه عديلاً للشِّرك، وجَمَع بينهما في النَّهي عنهما»[٢].

وقيل: الزُّور: الشِّرك، وقولُهم: الملائكةُ بناتُ الله، وأنَّه حرَّم البَحيرة وأخواتِها.

***

(٣١) - ﴿حُنَفَآءَ لِلَّهِ غَيۡرَ مُشۡرِكِينَ بِهِۦۚ وَمَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَتَخۡطَفُهُ ٱلطَّيۡرُ أَوۡ تَهۡوِي بِهِ ٱلرِّيحُ فِي مَكَانٖ سَحِيقٖ﴾.

﴿حُنَفَآءَ لِلَّهِ﴾: على ملَّة إبراهيم، وقيل: مخلِصين بالتَّلبية ﴿غَيۡرَ مُشۡرِكِينَ بِهِۦ﴾ لأنَّهم كانوا يقولون: لبَّيك لا شريك لك، إلَّا شريكاً هو لك، تملكُه وما مَلَك.

---

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٧٥٩)، وعدَّه من العجائب.

(٢) روى نحوه أبو داود (٣٥٩٩)، والترمذي (٢٣٠٠)، وابن ماجه (٢٣٧٢)، عن خُريم بنِ فاتكٍ، عن النبي ﷺ: «عدلت شهادة الزور بالإشراك بالله» ثلاث مرار، ثم قرأ: ﴿فَٱجۡتَنِبُواْ ٱلرِّجۡسَ مِنَ ٱلۡأَوۡثَٰنِ وَٱجۡتَنِبُواْ قَوۡلَ ٱلزُّورِ﴾. قال ابن حجر في «التلخيص الحبير» (٤/ ٣٤٩): «إسناده مجهول».

ورواه الترمذي (٢٢٩٩) من طريق مروان بن معاوية الفزاري، عن سفيان العصفري، عن فاتك بن فضالة، عن أيمن بن خُريم مرفوعاً. وقال: «هذا حديث غريب، إنما نعرفه من حديث سفيان بن زياد، واختلفوا في رواية هذا الحديث عن سفيان بن زياد، ولا نعرف لأيمن بن خريم سماعاً من النبي ﷺ».

وفي الباب ما يغني عنه عن أبي بكرة عند البخاري (٢٦٥٤)، ومسلم (٨٧)، ولفظه: «ألا أنبئكم بأكبر الكبائر؟ - ثلاثاً -: الإشراك بالله، وعقوق الوالدين، وشهادة الزور، أو قول الزور». وعن أنس بن مالك عند البخاري (٥٩٧٧)، ومسلم (٨٨).

﴿وَمَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ الزَّجَّاج: أي: بُعْدُ مَن أَشْركَ به من الحقِّ كبُعْدِ مَن خرَّ من السَّماء ﴿فَتَخۡطَفُهُ ٱلطَّيۡرُ أَوۡ تَهۡوِي بِهِ ٱلرِّيحُ فِي مَكَانٖ سَحِيقٖ﴾[1] فذَهَب به الطَّير، أو هَوَتْ به الرِّيحُ في مكانٍ بعيدٍ من السَّماء[2].

وقيل: معناه: مَن كَفَر فلا اعتصامَ له؛ كمَن خرَّ من السَّماء ولا شيءَ له يَتعلَّقُ به فيَنْجُوَ.

وقيل: معناه: بُعْدُ مَن أَشركَ باللهِ من الخَلَاص كبُعْدِ مَن خرَّ من السَّماء فاختطَفَتْه الطَّيرُ من الخلاص[3]، أو الهُوِيِّ[4] من مكانٍ بعيدٍ مُهْلِك.

وقيل: مَن أَشْركَ بالله بَعُدَ في القيامة مِن الخير كبُعْدِ مَن اختطَفَتْه الطَّيرُ بمخالبها، أو حملَتْه الرِّيحُ فلا يَقْدرُ على استمساكٍ.

وقيل: أعمالُه باطلةٌ كعملِ مَن هذه حالُه.

وقوله: ﴿أَوۡ تَهۡوِي بِهِ ٱلرِّيحُ فِي مَكَانٖ سَحِيقٖ﴾ عطفٌ على ﴿خَرَّ﴾، وتقديره: فكأنَّما تهوي به الرِّيح من مكانٍ مرتفعٍ إلى مكانٍ منخفضٍ بعيدٍ.

والخُرور: السُّقوط على الوجه، والخَطْفُ والتَّخَطُّفُ: السَّلْبُ بسرعةٍ، والهُوِيُّ: السُّقوط، والسَّحيقُ: البعيدُ، تقول: (سَحُقَ) بالضَّمِّ: بَعُدَ، و(سَحَقَه) بالفتح: أَبْعَدَه، و(سَحِقَ) بالكسر: هَلَكَ.

***

---

(١) لم تذكر الآية هنا في (ن).

(٢) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٣/ ٤٢٥).

(٣) في (ن): «فتخطفه الطير: فاختطفته الطير، فبعد من الخلاص».

(٤) قوله: «أو الهوي» كذا في النسختين، والضبط من (ف) ولم يضبط في (ن)، ولعلّه معطوف على (بعد)؛ أي: أو كالهويِّ، والله أعلم.

(٣٢ ـ ٣٣) ـ ﴿ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ ﴿٣٢﴾ لَكُمْ فِيهَا مَنَٰفِعُ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ مَحِلُّهَآ إِلَى ٱلْبَيْتِ ٱلْعَتِيقِ﴾.

﴿ذَٰلِكَ﴾؛ أي: الأمرُ ذلك، وقد سبَق.

﴿وَمَن يُعَظِّمْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ﴾ في الشَّعائر ثلاثةُ أقوالٍ:

أحدها: ﴿شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ﴾: جمعُ شعيرةٍ، وهي: البُدْنُ أُشْعِرَتْ بالدَّمِ وقُلِّدتْ بلِحَاءِ الشَّجر أو بالنَّعْل ﴿لَكُمْ فِيهَا مَنَٰفِعُ﴾؛ أي: اللَّبَنُ والوبَرُ والحَمْلُ عليها والرُّكوب والكِرَاء[1] ﴿إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾: إلى أن تُشْعَرَ، فإذا أُشْعِرتْ لا يجوزُ ركوبها إلَّا عند الضَّرورة ﴿ثُمَّ﴾ أي: بعدَ أنْ تُشْعِرَ ﴿مَحِلُّهَآ﴾: موضعُ نَحْرِها ﴿إِلَى ٱلْبَيْتِ ٱلْعَتِيقِ﴾: الحَرَمِ كلِّه، ومنهم مَن جوَّز الانتفاعَ بها بعدَ أنْ تُشْعَرَ إلى أنْ تُنْحَرَ، وتعظيمُها على هذا القولِ: تحسينُها وتَسْمينُها، ﴿فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ﴾؛ أي: أصحاب القلوب.

والثَّاني: ﴿شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ﴾: فرائضَ الحجِّ، ومواضع[2] نُسكه ﴿لَكُمْ فِيهَا مَنَٰفِعُ﴾ بالتِّجارات والمعامَلات في الأسواق ﴿إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾: وقتِ الخروجِ من هذه المواضع ﴿ثُمَّ مَحِلُّهَآ إِلَى ٱلْبَيْتِ ٱلْعَتِيقِ﴾: إلى طوافِ الزِّيارة والخروجِ من الإحرام.

والثَّالث: ﴿شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ﴾: دِينَه كلَّه وفروضَه، وتمَّ الكلام على ﴿ٱلْقُلُوبِ﴾ ثم عاد إلى حديث الأنعام.

وقيل: بل الضَّميرُ يعودُ إلى ﴿شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ﴾ وهي الدِّين، ومنافعُ الدِّين لا تخفى ﴿إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾: الموتِ، ﴿ثُمَّ مَحِلُّهَآ﴾ يُشْكِلُ على هذا التَّأويل؛ فقيل: الإيمانُ به والتَّوجُّهُ إليه بالصَّلاة، وكذلك القصدُ بالحجِّ والعمرة، ولو قيل على هذا التَّأويل: إنَّ البيت العتيقَ الجنَّةُ، لم يَبعُدْ، واللهُ أعلم.

---

(١) في (ن): «والكرى».

(٢) في (ن): «وهو مواضع».

(٣٤) - ﴿ وَلِكُلِّ أُمَّةٖ جَعَلۡنَا مَنسَكٗا لِّيَذۡكُرُواْ ٱسۡمَ ٱللَّهِ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنۢ بَهِيمَةِ ٱلۡأَنۡعَٰمِۗ فَإِلَٰهُكُمۡ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞ فَلَهُۥٓ أَسۡلِمُواْۗ وَبَشِّرِ ٱلۡمُخۡبِتِينَ ﴾.

﴿ وَلِكُلِّ أُمَّةٖ ﴾؛ أي: ولكلِّ أهلِ دِينٍ قبلكم ﴿جَعَلۡنَا مَنسَكٗا ﴾: ذبائحَ يتقرَّبون بها إلى الله.

والنُّسكُ: الذَّبْحُ، والنَّسيكةُ: الذَّبيحةُ على وجهِ التَّقرُّب.

وقيل: النُّسك: العبادة، والمنسَكُ: موضعُها، الفتحُ الأصلُ، والكسرُ على الشُّذوذ[1]، كالمطلِع والمغرِب.

وقيل: ﴿مَنسَكٗا ﴾ عيداً وقرباناً. وقيل: إراقةَ دمٍ.

﴿لِّيَذۡكُرُواْ ٱسۡمَ ٱللَّهِ ﴾ دونَ غيره ﴿عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنۢ بَهِيمَةِ ٱلۡأَنۡعَٰمِۗ فَإِلَٰهُكُمۡ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞ ﴾؛ أي: مرجعُ الأديانِ إلى توحيد الله ﴿فَلَهُۥٓ أَسۡلِمُواْ﴾؛ أي: استَسْلِموا لمحمَّدٍ وآمِنوا به وانقادوا له واخضَعوا للهِ وأَطيعوه ﴿وَبَشِّرِ ٱلۡمُخۡبِتِينَ ﴾: المتواضِعِين، وقد سبَق اشتقاقُه[2].

* * *

(١) قرأ حمزة والكسائي بكسر السين والباقون بفتحها. انظر: «السبعة» (ص: ٤٣٦)، و«التيسير» (ص: ١٥٧). وقول المؤلف: «على الشذوذ» لا يريد به شذوذ القراءة؛ لأنها قراءة متواترة، بل يريد أنها جاءت على خلاف القياس في اللغة، فالأصل أن ما كن مضارعه (يفعُل) أن يكون اسم المكان والزمان منه (مفعَل)، قال السيرافي في «شرح الكتاب» (٤/ ٤٦٥): «وقد جاءت عن العرب أحد عشر حرفاً على (مفعِل) مما فعله على (فعل يفعُل)، وهي: منسِك ومحرز ومنبت ومطلع ومشرق ومغرب ومفرق ومسقط ومسكن ومرفق ومسجد».

(٢) في تفسير قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَأَخۡبَتُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّهِمۡ ﴾، واشتقاقه من (الخبت)، وهو الأرض المنخفضة.

(٣٥) - ﴿ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَٱلصَّٰبِرِينَ عَلَىٰ مَآ أَصَابَهُمْ وَٱلْمُقِيمِى ٱلصَّلَوٰةِ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴾.

﴿ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ ﴾ هيبةً منه وخوفاً، والوَجَلُ: الخوف.

﴿وَٱلصَّٰبِرِينَ عَلَىٰ مَآ أَصَابَهُمْ ﴾ في اللهِ وفي مَرَازئهم.

﴿وَٱلْمُقِيمِى ٱلصَّلَوٰةِ ﴾؛ أي: يقيمونها في مواقيتِها.

﴿وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴾: يزكُّون ويتصدَّقون.

* * *

(٣٦) - ﴿ وَٱلْبُدْنَ جَعَلْنَٰهَا لَكُم مِّن شَعَٰٓئِرِ ٱللَّهِ لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ فَٱذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَيْهَا صَوَآفَّ فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا فَكُلُوا۟ مِنْهَا وَأَطْعِمُوا۟ ٱلْقَانِعَ وَٱلْمُعْتَرَّ كَذَٰلِكَ سَخَّرْنَٰهَا لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾.

﴿ وَٱلْبُدْنَ جَعَلْنَٰهَا لَكُم﴾ البُدْنُ: جمعُ بَدَنةٍ كخَشَبةٍ وخُشْبٍ، وأصلُه الضَّمُّ، ثم خفِّف. وقيل: بُدْنٌ وبُدُنٌ كأُسْدٍ وأُسُدٍ. وقيل: بادِنٌ وبُدْنٌ كفارِهٍ وفُرْهٍ. وأصلُها من الضَّخامة، يقالُ: بَدُنَ بَدانةً.

والبُدْنُ: الإبلُ، وقيل: الإبلُ والبقرُ، وقيل: المرادُ به: ما يَصْلُحُ للأُضْحِية.

﴿مِّن شَعَٰٓئِرِ ٱللَّهِ ﴾: مُتعبَّداتِه، وقيل: من أعلامِ دِينه.

﴿لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ﴾: في نحرِها وذبحِها ثوابٌ.

وقيل: ﴿فِيهَا خَيْرٌ﴾: مَن احتاجَ إلى ظهرها رَكِب، وإنِ احتاجَ إلى لَبَنِها شَرِب.

﴿ فَٱذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَيْهَا ﴾ يريد: عند ذَبْحِها.

قال ابنُ عبَّاسٍ رضي الله عنهما: هو أن يقول: بسمِ اللهِ واللهُ أكبرُ، لا إلهَ إلَّا اللهُ واللهُ أكبرُ[١].

﴿صَوَآفَّ﴾؛ أي: قِفُوها مَصفوفةً وانحَرُوها قائمةً؛ يعني: الإبلَ خاصَّةً، والسُّنَّة أن يَنْحَر الإبلَ قائمةً.

وقرئ: (صَوَافِنَ)[٢]، وهي: التي عُقِلَتْ إحدى قوائمِها تشبيهاً بالفرسِ الصَّافِن.

وقرئ: (صوافي)[٣]؛ أي: خالصةً لله وحدَه لا يُذْكَر معه الوثنُ.

﴿فَإِذَا وَجَبَتۡ جُنُوبُهَا﴾: سقطَتْ على الأرض، وهذا يدلُّ على قيامِها.

وقيل: هو عبارةٌ عن الموتِ.

﴿فَكُلُواْ مِنۡهَا﴾: أمرُ إباحةٍ، ومن السُّنَّة أكلُ لحمِ الأُضْحِيَة، وكان المشركون لا يأكلون من ذبائحِهم.

﴿وَأَطۡعِمُواْ ٱلۡقَانِعَ﴾: السَّائل، قَنَع قُنوعاً؛ إذا سَأَل. وقيل: القانعُ: الزَّاهدُ، مِن قَنِعَ قَناعةً. وقيل: القانعُ: المسكين.

مجاهدٌ: جارُكَ وإن كان غنيًّا[٤].

وقيل: القانعُ: الذي إذا أَعطيتَه شيئاً قَنِعَ وقَبِلَ.

---

(١) روى الحاكم في «المستدرك» (٧٥٧١) وصححه عن ابن عباس رضي الله عنهما أنَّه قال في الآية: «قيامًا على ثلاث قوائم معقولة، بسم الله، والله أكبر، اللَّهمَّ منك وإليك».

(٢) نسبت لابن مسعود وابن عباس وابن عمر رضي الله عنهم وغيرهم. انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ٩٧ ـ ٩٨)، و«المحتسب» (٢/ ٨١)، و«البحر» (١٥/ ٣٦٠).

(٣) نسبت لأبي موسى الأشعري والحسن وزيد بن أسلم وجمع. انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ٩٧) و«المحتسب» (٢/ ٨١)، و«البحر» (١٥/ ٣٥٩).

(٤) رواه الطبري في «تفسيره» (١٦/ ٥٦٦).

الحسن: القانعُ: الذي يُقْنِعُ إلى الرَّجل فيسأله[١]، كما قال: ﴿مُقْنِعِي رُءُوسِهِمْ﴾ [إبراهيم: ٤٣]، وهذا يقتضِي: المُقْنِعَ[٢].

أبو عبيدةَ: القانعُ: السَّائلُ الذي يَقْنَعُ إليك؛ أي: يَخْضَعُ[٣].

﴿وَالْمُعْتَرَّ﴾ المعترُّ: الذي يتعرَّضُ للمعروف، اعْتَرَّه وعَرَّه وعَرَاه واعْتَرَاه بمعنًى.

وقُرِئ: (المُعْتَرِ)[٤]؛ أي: المعتَرِيَ.

وقيل: المعترُّ: السَّائلُ.

﴿كَذَٰلِكَ سَخَّرْنَٰهَا لَكُمْ﴾؛ أي: كما أَمَركم بنحرِها سخَّرها لكم.

وقيل: هو كقوله: ﴿ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ﴾ [الحج: ٣٠] ﴿ذَٰلِكَ وَمَن﴾ [الحج: ٣٢] فيما سبق[٥]، ثم استأنفَ فقال: ﴿سَخَّرْنَٰهَا لَكُمْ﴾: ذلَّلناها لكم مع قوَّتها وعِظَم أَجْرامِها ﴿لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾: لكي تَشْكُروا نِعْمَتي.

* * *

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (١٦/ ٥٦٥).

(٢) لأن فعله (أقنعَ)، وأقنعَ رأسَه: نصبه لا يلتفت يميناً ولا شمالًا. انظر: «تاج العروس» مادة: (ق ن ع) (٢٢/ ٩٥).

(٣) انظر: «مجاز القرآن» (٢/ ٥١). ووقع في (ف): «قنع إليك؛ أي: خضع».

(٤) بكسر الراء وتخفيفه. انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ٩٨) عن عمرو وإسماعيل، و«شواذ القراءات» لشمس القراء الكرماني (ص: ٣٢٩) عن الحسن وأبي رجاء وعمرو بن عبيد.

(٥) أي: (كذلك) مبتدأ خبره محذوف، أو خبر لمبتدأ محذوف، فهو جملة اسمية تامة، وما بعدها جملة جديدة.

(٣٧) ـ ﴿ لَن يَنَالَ ٱللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَآؤُهَا وَلَٰكِن يَنَالُهُ ٱلتَّقْوَىٰ مِنكُمْ ۚ كَذَٰلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمْ لِتُكَبِّرُوا۟ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾.

﴿ لَن يَنَالَ ٱللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَآؤُهَا ﴾: كانوا في الجاهليَّة إذا ذَبحوا القَرابينَ لطَّخوا جدار الكعبة بدمائها، فهمَّ المسلمون بمثل ذلك فأنزل الله: ﴿ لَن يَنَالَ ٱللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَآؤُهَا ﴾[1].

﴿وَلَٰكِن يَنَالُهُ ٱلتَّقْوَىٰ مِنكُمْ ﴾ قيل: معناه: لن يَقْبَلَ اللهُ اللحمَ والدَّم وإنَّما يقبلُ التَّقوى، وقيل: لن يَصْعَد إليه اللَّحمُ والدَّم، ولكنْ يَصْعَدُ إليه التَّقوى، ومثلُه: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ ﴾ [فاطر: ١٠].

وقيل: معنى ﴿يَنَالُهُ ٱلتَّقْوَىٰ ﴾: يَعْتَدُّ ذلك[2] منكم ويَحْسُنُ موقعُها عندَه.

وقيل: معناه: ينفعُكم ذلك[3].

وقيل: لن ينالَ رضا اللهِ اللَّحمُ والدَّمُ، ولكنْ ينالُ رضا اللهِ التَّقوى[4].

﴿كَذَٰلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمْ ﴾؛ أي: البُدْنَ ﴿لِتُكَبِّرُوا۟ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ ﴾ يريد: التَّسمية عندالذَّبحِ، وقيل: هو التَّكبيرُ عندَ الإحلال، كالتَّلبيةِ عندَ الإحرام، والمعنى: لتعظِّموا اللهَ على ما أَرْشدَكم إليه.

﴿وَبَشِّرِ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾: الممتثِلينَ أوامرَه ونواهِيَه بالقَبول، وقيل: بالجنَّة.

* * *

---

(١) رواه ابن المنذر وابن مردويه كما في «الدر المنثور» (٦/ ٥٥ ـ ٥٦) عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٢) في (ن): «بذلك».

(٣) كذا في (ف)، وفي (ن): «ينفعكم ذلك التقوى»، وقد ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٧٦٠) بلفظ: «﴿يَنَالُهُ ٱلتَّقْوَىٰ ﴾؛ أي: ينفعكم التقوى» واستغربه.

(٤) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٧٦٠)، واستغربه.

(٣٨) - ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٖ كَفُورٍ﴾.

﴿إنَّ اللهَ يَدْفَعُ عنِ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ يريدُ: غائلةَ المشركين عن الدِّين.

وقرئ: ﴿يُدَٰفِعُ﴾[1]، وهو بمعنَى ﴿يدفع﴾.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ﴾ في أمانةِ الله ﴿كَفُورٍ﴾ نعمةَ ربِّه.

وقيل: هو خبرُ ﴿إِنَّ﴾ [الحج: ٢٥] كما سَبَق، وهو[2] من تمامِ الكلام في الحجِّ[3].

***

(٣٩) - ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُواْۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ﴾.

﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ﴾ في سبب النُّزول: أنَّ أهل مكَّةَ كانوا يؤذُون أصحابَ رسولِ اللهِ ﷺ ولا يزالُون يَجيئُون مِن بينِ مضروبٍ ومشجوجٍ، ويَشْكُون إلى رسولِ اللهِ ﷺ فيقولُ لهم: «اصْبِروا؛ فإنِّي لم أُؤْمَرْ بالقتالِ»، حتَّى هاجَرَ رسولُ اللهِ ﷺ فأَنْزل اللهُ هذه الآية[4].

ابن عبَّاسٍ رضي الله عنهما: لمّا أُخْرِج رسولُ الله عليه السَّلامُ من مكَّةَ قال أبو بكرٍ رضي الله عنه: أَخْرَجوا نبيَّهم، إنَّا لله [وإنَّا إليهِ راجِعُون]، ليَهْلِكُنَّ، فأنزل الله

---

(١) قرأ ابن كثير وأبو عمرو: (يَدْفَعُ)، والباقون: ﴿يُدَٰفِعُ﴾. انظر: «السبعة» (ص: ٤٣٧)، و«التيسير» (ص: ٨٢).

(٢) في (ن): «وهذا».

(٣) وقد تقدم الكلام على هذا الوجه، وأن المصنف استغربه في «غرائب التفسير» (٢/ ٧٥٧)، والأظهر أن هذا استئناف، والله أعلم.

(٤) انظر: «تفسير الثعلبي» (١٨/ ٢٥) وعزاه للمفسرين، وكذا الواحدي في «البسيط» (١٥/ ٤٢٣) وذكره ابن حجر في «العجاب في بيان الأسباب» (٢/ ٩١٨) عن قتادة ومقاتل.

تعالى: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ﴾ الآية، قال أبو بكرٍ رضي الله عنه: فعَرَفْتُ أنَّه سيكونُ قتالٌ(١).

مجاهدٌ: نزلت في أقوامٍ بأعيانهم أرادوا الخروج من مكَّةَ إلى المدينةِ للهجرة، فمُنعوا، فأَذِنَ اللهُ لهم في قتالِ الذين يمنعونهم من الهجرة(٢).

والمعنى(٣): أَذِن اللهُ للمؤمنين الذين يَصْلُحون للقتال في قتالِ الكفَّار، ﴿بِأَنَّهُمْ ظُلِمُواْ﴾: بسببِ أنَّهم ظُلموا، ومِن أَجْلِ أنَّهم ظلموا. ومَن فتَح التَّاءَ(٤) فالمعنى: أُذِنَ لِمَن يقاتَلُ بأنْ يقاتِلَ؛ لأنَّهم ظُلموا بالقتال والإخراجِ من ديارهم.

ابن عبَّاسٍ رضي الله عنهما: هذه أوَّلُ آيةٍ نزلتْ في القتال(٥)، نُسِخَتْ بها كلُّ آيةٍ أُمِر فيها بالكفِّ عن القتال.

﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ﴾: على نصرِ المؤمنين وقهرِ الكفَّار ﴿لَقَدِيرٌ﴾: قادرٌ، وهذه بشارةٌ للمؤمنين بالنُّصرة.

***

---

(١) رواه الإمام أحمد في «المسند» (١٨٦٥)، والترمذي (٣١٧١) وحسنه، والنسائي (٣٠٨٥)، والطبري في «تفسيره» (١٦/ ٥٧٣ ـ ٥٧٤)، وابن حبان في «صحيحه» (٤٧١٠). وما بين معكوفتين من المصادر.

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (١٦/ ٥٧٥)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٨/ ٢٤٩٦).

(٣) على قراءة (ويقاتِلون) بكسر التاء.

(٤) قرأ نافع وابن عامر وحفص: ﴿يُقَٰتَلُونَ﴾ بفتح التاء، والباقون بكسرها. انظر: «السبعة» (ص: ٤٣٧)، و«التيسير» (ص: ١٥٧).

(٥) رواه الإمام أحمد في «مسنده» (١٨٦٥)، والنسائي (٣٠٨٥).

(٤٠) ـ ﴿ٱلَّذِينَ أُخْرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّآ أَن يَقُولُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُۗ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَٰتٌ وَمَسَٰجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا ٱسْمُ ٱللَّهِ كَثِيرًاۗ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾.

﴿ٱلَّذِينَ أُخْرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ﴾؛ أي: أُخرجوا من مكَّةَ ظُلماً ﴿بِغَيْرِ حَقٍّ﴾ أَوْجَبَ إخراجَهم، وقيل: ﴿بِغَيْرِ حَقٍّ﴾؛ أي: مِن غيرِ حقٍّ[1] استحَقُّوا ذلك.

﴿إِلَّآ أَن يَقُولُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ﴾ هذا استثناءٌ منقطعٌ؛ أي: لكنَّهم يقولون: ربُّنا الله.

وقيل: محلُّه جرٌّ بدلاً من قوله: ﴿بِغَيْرِ حَقٍّ﴾ أي: أُخرجوا بأنْ يقولوا: ربُّنا الله؛ أي: بسببِ قولهم[2].

﴿وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ﴾؛ أي: يَدفَعُ الكفَّارَ عن المسلِمين وديارِهم ومتعبَّداتهم بالمسلمين وبأمثالهم من الكفَّار.

وقيل: ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ﴾ عن المؤمنين بالنَّبيِّين، وعن القاعِدين بالمجاهِدين.

وقيل: دفعُ الله بأصحابِ رسولِ الله ﷺ عمَّن بعدَهم من التَّابعين.

وقيل: ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ﴾ عن النُّفوس بالقصاص، وعن المنكَر بالمعروف.

﴿لَّهُدِّمَتْ﴾: لخُرِّبَتْ ﴿صَوَٰمِعُ﴾؛ أي: صوامعُ الرُّهبان.

قتادةُ: مصلَّى الصَّابئين[3].

الحسن: صوامعُ المؤمنين[4]؛.........................

---

(١) قوله: «أي: مِن غيرِ حقٍّ» ليس في (ن).

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٧٦٠)، واستغربه.

(٣) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (١٩٣٨)، والطبري في «تفسيره» (١٦/ ٥٨١).

(٤) روى ابن أبي شيبة في «مصنفه» (٣٥٣٠٧)، وأبو نعيم في «حلية الأولياء» (٣/ ١٩) عن الحسن =

لقوله ﷺ: «نِعْمَ صَوْمَعَةُ المُؤمِنِ بيتُه»[١]، واشتقاقُها من (الصَّمع) وهو الصِّغَرُ في الأُذُن، تقول: أذنٌ صَمْعاءُ[٢].

﴿وَبِيَعٌ﴾؛ أي: بيع النَّصارى.

مجاهدٌ: كنائس اليهود[٣].

الحسن: هي مواضعُ يتَّخذُها المؤمنون للصَّلاة.

واحدُها بِيْعةٌ.

= قال: «صوامع المؤمنين بيوتهم». ولعل هذا اللفظ هو مراد المؤلف لما أتبعه من الحديث المرفوع.

(١) رواه القضاعي في «مسند الشهاب» (١٣٢٢)، والشجري في «الأمالي الخميسية» (٢١٨٥)، من طريق عفير بن معدان عن سليم بن عامر عن أبي أمامة رضي الله عنه مرفوعًا. وعفير هذا قال عنه أبو حاتم كما في «الجرح والتعديل» لابنه (٧/ ٣٦): «يكثر الرواية عن سليم بن عامر عن أبي أمامة عن النبي ﷺ بالمناكير ما لا أصل له، لا يشتغل بروايته».

ورواه ابن حبان في «المجروحين» (٢/ ٣٠٥)، وابن عدي في «الكامل» (٧/ ٥٣٢)، من حديث أنس رضي الله عنه، وفيه محمد بن سليمان بن هشام الخزاز، ابنُ بنت مطر الوراق، قال عنه ابن حبان: «منكر الحديث بين الثقات كأنه يسرق الحديث، يعمد إلى أحاديث معروفة لأقوام بأعيانهم حدث بها شيوخهم، لا يجوز الاحتجاج به بحال».

ورواه ابن المبارك في «الزهد» (١٤)، والإمام أحمد في «الزهد» (٧٢١)، وابن أبي شيبة في «مصنفه» (٣٤٥٩٥)، وهناد في «الزهد» (١٢٣٥)، والخرائطي في «مكارم الأخلاق» (٧٤٨)، من قول أبي الدرداء رضي الله عنه، ولفظه: «نعم صومعة المرء المسلم بيته، يحفظ عليه نفسه وسمعه وبصره، وإياكم ومجالس السوق؛ فإنها تلهي وتطغي».

(٢) هذا مذهب سيبويه وغيره. انظر: «الكتاب» (٤/ ٣١٤)، و«المخصص» لابن سيده (٤/ ٦٧)، و«المصباح المنير» مادة: (ص م ع) (١/ ٣٤٧).

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (١٦/ ٥٨٣).

﴿وَصَلَوَٰتٌ﴾ الضَّحَّاك: كنائسُ اليهود، قال: ويسمُّونها: صَلُوتا[١].

وقيل: مواضعُ صلواتِ المؤمنين[٢]، فحُذف المضاف.

الحسن: هي عينُ الصَّلاة، وقال: هدمُها بقَتْلِ مَن عليها ومَنْعِهم عنها[٣].

ويَحتمِلُ: وتُرِكَتْ صلواتٌ، كقول الشاعر:

يا ليتَ زَوْجَكِ قد غدَا … مُتَقلِّداً سيْفاً ورُمحاً[٤]

أي: وحاملاً رمحاً.

ورُوي عن الحَجَّاج: (وصُلُوب)[٥]، جمعُ صَليبٍ، ومثلُه: ظَرِيفٌ وظُرُوفٌ[٦]، وعَنَاقٌ وعُنوقٌ[٧]، وهما أختان.

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (١٦/ ٥٨٤)، وذكره السيوطي في «المهذب» (ص: ١٠٧ ـ ١٠٨).

(٢) في (ف): «المسلمين».

(٣) لم أجده بهذا اللفظ، وذكر النحاس في «معاني القرآن» (٤/ ١٤٨)، ومكي في «الهداية» (٧/ ٤٩٠١) عن الحسن قال «هدمها: تركها».

(٤) لعبد الله بن الزِّبَعْرى، وهو في ديوانه (ص: ٣٢)، و«مجاز القرآن» لأبي عبيدة (٢/ ٦٨)، و«معاني القرآن» للفراء (١/ ١٢١)، و«معاني القرآن» للأخفش (١/ ٢٧٧)، و«الكامل» للمبرد (١/ ٢٩١) و(٢/ ٢٠٤)، و«الخصائص» لابن جني (٢/ ٤٣١) و«تفسير الطبري» (١/ ١٣٧). ويروى الشطر الأول:

ورأيتُ زوجَكِ في الوغى

(٥) انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ٩٨)، و«شواذ القراءات» لشمس القراء الكرماني (ص: ٣٣٠).

(٦) قال أبو حيان في «البحر المحيط» (٧/ ٥١٧): «وهو جمع شاذٌّ؛ أعني: جمع فَعيل على فُعُول».

(٧) العناق: الاثنين من أولاد المعزى إذا أتت عليها السنة، وجمعها: عنوق، وهذا جمع نادر. انظر: «الكتاب» (٣/ ٦٠٥)، و«تهذيب اللغة» مادة (ع ن ق) (١/ ١٦٩).

﴿ وَمَسَٰجِدُ ﴾: هي مساجدُ المسلمين.

﴿يُذْكَرُ فِيهَا ٱسْمُ ٱللَّهِ كَثِيرًا ﴾؛ أي: في المساجد، وقيل: في جميع ما تقدَّم.

الزَّجَّاج: ﴿لَّهُدِّمَتْ صَوَٰمِعُ﴾ في أيَّامِ شريعةِ عيسى، ﴿ وَبِيَعٌ ﴾ في أيَّام شريعةِ موسى، ﴿ وَمَسَٰجِدُ ﴾ في أيَّام شريعةِ محمَّدٍ عليهم السَّلام، والمعنى: لهدِّمَ في أيَّام كلِّ شريعةٍ موضع عبادتهم(١).

﴿ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ ﴾؛ أي: ينصُرُ دينَه ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴾.

* * *

(٤١) - ﴿ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُوا۟ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا۟ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ ﴾.

﴿ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُوا۟ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا۟ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ﴾ الحسن: هم هذه الأمَّة(٢).

وقيل: هذه صفةُ الذين أُخرجوا من ديارهم.

﴿وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ ﴾: مرجعُ الأمور كلِّها إليه، فيجازي كلًّا بعمله.

* * *

---

(١) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٣/ ٤٣١)، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٧٦١)، واستغربه.

(٢) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (١٨/ ٣٧٨) عن الحسن وأبي العالية، وفي (ن) «هم جميع هذه الأمة».

(٤٢ ـ ٤٤) ـ ﴿ وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَثَمُودُ ﴿٤٢﴾ وَقَوْمُ إِبْرَٰهِيمَ وَقَوْمُ لُوطٍ ﴿٤٣﴾ وَأَصْحَٰبُ مَدْيَنَ وَكُذِّبَ مُوسَىٰ فَأَمْلَيْتُ لِلْكَٰفِرِينَ ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴾.

﴿وَإِن يُكَذِّبُوكَ ﴾ في هذه الآياتِ تسليةٌ لمحمَّدٍ ﷺ من تكذيبِ أهلِ مكَّة إيَّاه؛ أي: لستَ بأوَّل مَن نُسِب إلى الكذب من الأنبياء، بل كذَّب كلُّ قومٍ نبيَّهم أوَّلَ ما أتاهم، فأَمْهَلهم اللهُ ولم يُهْمِلْهم، فلك بهم أسوةٌ واقتداءٌ.

وظاهرُه شرطٌ، والجزاءُ مضمَرٌ تقديرُه: وإنْ يكذِّبوك فلا تحزنْ، والفاءُ في قوله: ﴿فَقَدْ كَذَّبَتْ ﴾ لعطفِ جملةٍ على جملةٍ بينهما اتِّصالٌ شديدٌ، وليس بجزاء الشَّرط؛ لوقوع التَّكذيب منهم.

﴿قَبْلَهُمْ﴾: قبلَ قومِكَ ﴿قَوْمُ نُوحٍ﴾ نوحاً ﴿وَعَادٌ﴾ هوداً ﴿وَثَمُودُ﴾ صالحاً ﴿ وَقَوْمُ إِبْرَٰهِيمَ﴾ إبراهيمَ ﴿وَقَوْمُ لُوطٍ﴾ لوطاً ﴿وَأَصْحَٰبُ مَدْيَنَ ﴾ شعيباً ﴿وَكُذِّبَ مُوسَىٰ ﴾ كذَّبه فرعونُ وقومُ فرعون، ولم يقل: قومُ موسى؛ لأنَّ قومَ موسى بنو إسرائيل وكانوا قد آمنوا به[1].

﴿فَأَمْلَيْتُ لِلْكَٰفِرِينَ ﴾: أخَّرْتُ آجالَهم ﴿ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ﴾: عاقَبْتُهم على كفرِهم وأهلَكْتُهم؛ يعني: قومَ نوحٍ بالطُّوفان، وعاداً بالرِّيح، وثموداً بالصَّيحة، ونمروذَ ببعوضةٍ، وقومَ لوطٍ بالخسف وإمطارِ الحجارةِ عليهم، وأصحابَ مديَنَ بالظُّلَّة، وأعداءَ موسى بالغرق، ﴿فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴾: إنكاري بالعذاب والهلاك.

* * *

---

(١) انظر: «تفسير الطبري» (١٦/ ٥٨٩)، و«تفسير الرازي» (١٣/ ٢٣١).

(٤٥) ـ ﴿فَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ فَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَبِئْرٍ مُّعَطَّلَةٍ وَقَصْرٍ مَّشِيدٍ﴾.

﴿فَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ﴾: أهلِ قريةٍ ﴿أَهْلَكْنَاهَا﴾: أهلَكْناهم ﴿وَهِيَ ظَالِمَةٌ﴾ أهلُها مشركون ﴿فَهِيَ﴾؛ أي: القريةُ ﴿خَاوِيَةٌ﴾ فيها قولان:

أحدهما: ساقطةٌ ﴿عَلَىٰ عُرُوشِهَا﴾: سُقوفِها؛ أي: سقطَتْ ثم سقطَتْ عليها الجُدُر، وقيل: على عروشِ كُرومِها.

والثَّاني: ﴿خَاوِيَةٌ﴾: خاليةٌ من أهلِها باقيةٌ على حالها، وفي العروشِ على هذا الوجه قولان: أحدهما: ما سبق، والثَّاني: جمعُ عرشٍ، وهو: سريرُ المُلْك[1].

﴿وَبِئْرٍ مُّعَطَّلَةٍ﴾: مُبْطَلَةٍ بهلاكِ أهلها.

وقيل: بتركِ الاستقاءِ منها، وفَقْدِ دَلْوِها ورِشائها، ورَفْضِ تفقُّدِها وعمارتها.

وقيل: غارَ ماؤها فيَبِسَت.

وتعطيلُ الشَّيء: إبطالُ عملِه. والبئرُ: من بَأَرْتُ؛ أي: حفَرْتُ، وهي مؤنَّثةٌ.

﴿وَقَصْرٍ مَّشِيدٍ﴾ قيل: حَصينٍ، وقيل: رَفيعٍ، مِن قولِ العرب: شادَهُ؛ إذا رفعَه.

وقيل: ﴿مَّشِيدٍ﴾ مبنيٍّ بالشِّيد، وهو الجِصُّ.

عُطف بهما على ﴿قَرْيَةٍ﴾؛ أي: وكأيِّن من قريةٍ وبئرٍ وقصرٍ. وقيل: عُطِفا على ﴿عُرُوشِهَا﴾، وإنما يكونُ ذلك على مَن جعَل معنى ﴿خَاوِيَةٌ﴾: خاليةً باقيةً.

والمعنيُّ بهما: الباديةُ والحاضرةُ، وهما النَّاسُ جميعاً[2].

وفي البئرِ والقصرِ قولان:

---

(١) انظر ما تقدم في تفسير قوله تعالى: ﴿أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا﴾ [البقرة: ٢٥٩].

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٧٦٢)، واستغربه.

أحدهما: أنَّهما للعموم، وهو الأظهَرُ والأَوْلَى.

وقيل: للخصوص[١]، وفيه قولان:

أحدهما: أنَّهما بحضرموتَ من أرض البحر، وهما معروفان، والقصرُ مشرفٌ على قُلَّةِ جبلٍ لا يُرْتَقَى إليه بحالٍ، والبئرُ في سفحِه لا تُقِرُّ الريحُ شيئاً يَسقطُ فيها.

والثَّاني: قال الضَّحَّاك: هذه كانت بحضرموتَ في بلدةٍ يقال لها: حاضُورا، نزل بها أربعةُ آلافٍ ممَّن آمَنَ بصالحٍ، أَتَوا حضرموتَ ومعهم صالحٌ، فلمَّا حَضَروه مات صالحٌ فسمَّوا المكانَ حضرموت، ثمَّ إنَّهم كَثُروا وكَفَروا وعَبَدُوا الأصنامَ، فبَعَث اللهُ إليهم نبيًّا يقال له: حنظلةُ بنُ صفوانَ، وكان حمَّالاً ـ وقيل: اسمُه: شريحُ بنُ صفوانَ ـ فقتَلوه في السُّوق، فأهلَكهم الله عن آخرهم، وعطَّل بئرَهم وخرَّب قصرَهم[٢].

وقال ابن عبَّاسٍ رضي الله عنهما: أمَّا البئرُ المعطَّلةُ فإنَّها كانت لأهلِ عَدَنَ من اليمن وهي الرَّسُّ، قال: وكذلك قال الله تعالى لهم: ﴿أصحابُ الرَّسِّ﴾[٣].

ورَوَى الواقديُّ بإسناده عن نوفٍ البِكَاليِّ عن كعبِ الأحبار: أنَّ القصر بناه عادٌ الثَّاني، وهو منذرُ بنُ عادِ بنِ إرَمَ بنِ عادٍ، حكاه النَّقَّاش، ووصَفَ البناءَ بما لا فائدةَ في وصفه، ثم قال: فكذَّبوه فأهلَكهم الله، وإنَّه لَيَخْرُجُ منها دخانٌ أسودُ مُنْتِنٌ، فمَن دنا اليومَ من القصر سمع أنينَ القوم[٤].

***

---

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٧٦٢)، وعدَّه من العجائب، وأشار للقولين الآتيين محيلًا إلى تفسيره هنا.

(٢) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (١٨/ ٣٨٢)، وأبو بكر النقاش في «تفسيره» كما في «التعريف والإعلام» للسهيلي (ص: ١١٨).

(٣) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (١٩/ ٤١٣) بلا نسبة.

(٤) ذكره مختصرًا أبو حيان في «البحر المحيط» (٧/ ٥٢٠)، ولعله نقله من المصنف.

(٤٦) ـ ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾.

﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ﴾ فيَرَوا آياتِ عذابِ اللهِ في الذين كذَّبوا الأنبياءَ، فيَحْذَروا وقوعَ مِثْلِ ذلك بهم.

وقيل: معناه: قد ساروا ورأَوا فهلَّا أَعْمَلوا عقولَهم واعتبَروا.

﴿فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا﴾ ما يرادُ بهم؛ أي: يعلَمون بها.

والعقلُ: علمٌ غريزيٌّ يُكتسَبُ به العلم الاختياريُّ(١).

﴿أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا﴾ ما يُوعَظون به؛ أي: يَنْتَفِعون بما يَسمعون.

﴿فَإِنَّهَا﴾ قيل: هي القصَّةُ، كالأمرِ والشَّأن، وقيل: كنايةٌ عن الأبصار بشريطةِ التَّفسير ﴿لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ﴾؛ أي: عن النَّظر ﴿وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾ عن الاعتبارِ.

وقيل: معناه: ليس العَمَى عَمَى البصرِ، ولكنَّ العَمَى عَمَى القلبِ.

ابن عبَّاسٍ رضي الله عنهما ومقاتلٌ: لمّا نزل: ﴿وَمَنْ كَانَ فِي هَذِهِ أَعْمَى فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمَى﴾ [الإسراء: ٧٢] جاء ابنُ أمِّ مكتومٍ ـ وهو عبدُ الله بن زائدةَ ـ إلى النَّبيِّ ﷺ فقال: يا رسولَ الله، أنا في الدُّنيا أعمى، أفأكونُ في الآخرةِ أعمى؟ فأنزل اللهُ هذه الآيةَ(٢).

---

(١) ذكر الماوردي أن العقل علم، وذكر السمعاني أنه علم غريزي، وخصه العسكري فقال: «العقل هو العلم الأول الذي يزجر عن القبائح». انظر: «الفروق اللغوية» للعسكري (ص: ٨٣)، و«النكت والعيون» للماوردي (٤/ ٣٠٢)، و«تفسير السمعاني» (٣/ ٤٤٥).

(٢) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (١٨/ ٣٨٣) عن ابن عباس رضي الله عنهما ومقاتل، ورواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٨/ ٢٤٩٨) عن قتادة. وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٧٦٢)، واستغربه.

وأكَّد القلبَ بالصَّدرِ تأكيداً، ونَفْياً لمجازٍ يُستعمل القلبُ له[١].

ابنُ عيسى: القلبُ اسمٌ مشتركٌ، فقيِّد بالصَّدر[٢].

قال المفسِّرون: وفي الآية دليلٌ على أنَّ القلبَ محلُّ العقلِ والعلمِ لا الدِّماغَ[٣].

* * *

(٤٧) ـ ﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِٱلْعَذَابِ وَلَن يُخْلِفَ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥ وَإِنَّ يَوْمًا عِندَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ﴾.

﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِٱلْعَذَابِ﴾؛ أي: استهزاءً، نزلت في النَّضر بن الحارث[٤].

﴿وَلَن يُخْلِفَ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥ﴾: لا يجوزُ عليه الخُلْفُ، فهو يأتيهم به للوقتِ الذي عيِّن له، وقيل: ولن يُخْلِفَ اللهُ وعدَه في النَّظِرة[٥] لهم.

﴿وَإِنَّ يَوْمًا عِندَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ﴾؛ أي: عذابُ يومٍ من أيَّام الآخرة يقومُ مَقامَ عذابِ ألفِ سنةٍ من سِنِيْ الدُّنيا، فهم يَستعجلون ما هذه صفتُه.

وذهب ابن مسعودٍ رضي الله عنه في جماعةٍ إلى أنَّ كلَّ يومٍ هناك في قَدْرِ ألفِ سنةٍ من الدُّنيا[٦].

وقيل: عذابُ يومٍ في الآخرةِ منزَّلٌ[٧] منزلةَ عذابِ ألفِ سنةٍ، وكذلك

---

(١) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٣/ ٤٣٢).

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٧٦٢).

(٣) انظر البحث في هذه المسألة في: «تفسير الماتريدي» (٩/ ٣٦٦)، و«تفسير الرازي» (٢٤/ ٥٣١).

(٤) ذكره مقاتل في «تفسيره» (٣/ ١٣١)، وذكره الثعلبي في «تفسيره» (٧/ ٢٧) بلا نسبة.

(٥) النظرة: التأخير، قال تعالى ﴿فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ﴾. انظر «تاج العروس» مادة: (ن ظ ر) (١٤/ ٢٤٩).

(٦) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٤/ ٣٣) عن مجاهد، وروى معناه الطبري في «تفسيره» (١٦/ ٥٩٧ ـ ٥٩٨) عن ابن عباس وأبي هريرة وعكرمة ومجاهد.

(٧) في (ف): «ينزل».

نعيمُ يومٍ في الآخرةِ يقومُ مقامَ لذَّاتِ الدُّنيا ونعيمِها ألفَ سنةٍ لو عاش فيها.

وقيل: معناه: لا فوتَ، وأنَّ يوماً عنده وألفُ سنةٍ سواءٌ[١].

ابن عبّاسٍ رضي الله عنهما في جماعةٍ: أنّ كلّ يومٍ من الأيّام السّتّة التي خلق الله فيها السّماوات والأرض كألف سنةٍ ممّا تعدّون[٢].

***

(٤٨) ـ ﴿وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ أَمْلَيْتُ لَهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ ثُمَّ أَخَذْتُهَا وَإِلَيَّ ٱلْمَصِيرُ﴾.

﴿وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ أَمْلَيْتُ لَهَا﴾: أمهلتُها بتأخير عقوبتها ﴿وَهِيَ ظَالِمَةٌ﴾: كافرةٌ ﴿ثُمَّ أَخَذْتُهَا﴾ بالعذاب[٣] ﴿وَإِلَيَّ ٱلْمَصِيرُ﴾: مرجعُ الجميع، فلا يفوتني شيءٌ.

***

(٤٩) ـ ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّمَآ أَنَا۠ لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾.

﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ﴾: يا أهل مكّة ﴿إِنَّمَآ أَنَا۠ لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾؛ أي: بشيرٌ ونذيرٌ.

ثم بشَرَ فقال:

(٥٠) ـ ﴿فَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾.

﴿فَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾: الجنّةُ، والكريمُ من الأشياء: هو الذي جمع فضائل متنوّعةً.

وقيل: ﴿كَرِيمٌ﴾: حسنٌ. وقيل: ﴿كَرِيمٌ﴾[٤]: شريفٌ واسعٌ. وقيل: ﴿رزقٌ

(١) أي: لا يفوته شيء، وإنَّ يومًا عنده في الإمهال وألف سنة سواء؛ لأنَّه قادرٌ عليهم متى شاء أخذهم. انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٢/ ٤٣٣)، و«البسيط» للواحدي (١٥/ ٤٤٧).

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (١٦/ ٥٩٦).

(٣) في (ف): «بالعقوبة».

(٤) «كريم»: ليس في (ف).

﴿كَرِيمٌ﴾ لا يكتسب بالدّنيّات من التّذلّل للخلق والأخذ من المنّان وارتكاب الظّلم.

ثم أنذر فقال:

(٥١) ـ ﴿وَٱلَّذِينَ سَعَوْاْ فِىٓ ءَايَٰتِنَا مُعَٰجِزِينَ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ﴾.

﴿وَٱلَّذِينَ سَعَوْاْ فِىٓ ءَايَٰتِنَا﴾: يجتهدون في ردّ القرآن وإبطاله ﴿مُعَٰجِزِينَ﴾: مقدّرين أنّهم يعجزوننا ظانّين ذلك، ﴿ومُعَجِّزين﴾[١]: مثبّطين النّاس عن الإيمان بمحمّدٍ عليه السّلام.

وقيل: ﴿مُعَٰجِزِينَ﴾: يغالبون النّبيَّ طامعِين في إعجازه.

﴿أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ﴾: النَّارِ الموقَدةِ، وقيل: الجحيمُ: إحدى الطَّبقات.

***

(٥٢) ـ ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِىٍّ إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ أَلْقَى ٱلشَّيْطَٰنُ فِىٓ أُمْنِيَّتِهِۦ فَيَنسَخُ ٱللَّهُ مَا يُلْقِى ٱلشَّيْطَٰنُ ثُمَّ يُحْكِمُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾.

﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ﴾ ﴿مِن﴾ لابتداء الغاية.

﴿مِن رَّسُولٍ﴾ ﴿مِن﴾: زيادةٌ لعموم النَّفي.

﴿وَلَا نَبِىٍّ﴾: اختلَفوا في الرَّسول والنَّبيِّ[٢]:

فقال بعضُهم: كلُّ رسولٍ نبيٌّ، وكلُّ نبيٍّ رسولٌ[٣].

---

(١) هي قراءة ابن كثير وأبي عمرو، وقرأ الباقون ﴿معاجزين﴾ بالألف. انظر: «السبعة» (ص: ٤٣٩)، و«التيسير» (ص: ١٥٨).

(٢) انظر: «معجم الفروق اللغوية» (ص: ٥٣٠ ـ ٥٣١)، و«تفسير الثعلبي» (١٨/ ٣٩٠)، و«الهداية» لمكي (٧/ ٤٩١٣ ـ ٤٩١٦)، و«تفسير الرازي» (٢٣/ ٢٣٦) وما بعدها.

(٣) نسب هذا القول للمعتزلة، ومال إليه مكي في «الهداية» (٧/ ٤٩١٣)، وانظر: «تفسير الرازي» (٢٣/ ٢٣٦).

وقال بعضُهم: الرَّسولُ أعلى شأناً؛ لأنَّ كلَّ رسولٍ نبيٌّ، وليس كلُّ نبيٍّ رسولاً.

وقال بعضُهم: الرَّسول: صاحبُ الشَّرع، والنَّبيُّ: هو الذي يؤمَرُ باتِّباعِ شرعٍ سابقٍ.

وقال بعضُهم: الرَّسولُ: الذي يأتيهِ الملَكُ بالوحي، والنَّبيُّ: الذي يَرَى في المنام ما يوحَى إليه.

وقيل: النَّبيُّ: المحدَّثُ الذي لم يُرْسَلْ(١).

وقيل: المرادُ بالرَّسول هاهنا: الملَكُ، وبالنَّبيِّ: الإنسُ، وفيه ضعفٌ؛ لأنَّ ما بعدَه ليس مِن وَصْفِ الملَكِ(٢).

﴿إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ أَلْقَى ٱلشَّيْطَٰنُ فِىٓ أُمْنِيَّتِهِۦ﴾ فيها قولان:

أحدهما: ﴿تَمَنَّىٰٓ﴾ حدَّث به نفسه.

والثاني: تلا، وأُنشد:

تَمَنَّى كتابَ الله آخرَ لَيْلِهِ ... تمنِّيَ داوُدَ الزَّبُورَ على رِسْلِ(٣)

---

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٧٦٣)، واستغربه.

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٧٦٣)، وعدَّه من العجائب.

(٣) البيت برواية المؤلف دون نسبة في «السيرة النبوية» لابن هشام (١/ ٥٣٨)، و«المنجد في اللغة» لكراع النمل (ص: ١٥٤)، و«الزاهر» لابن الأنباري (٢/ ١٥١)، و«تفسير القرآن» لابن أبي زمنين (٣/ ١٨٩)، و«الغريبين» للهروي مادة: (م ن ا)، (٦/ ١٧٨٢) و«المحرر الوجيز» (٤/ ١٢٨)، و«المحكم» لابن سيده (١٠/ ٥١١). وعزاه الآلوسي في «روح المعاني» (١٧/ ٣٦٠) لحسان، وليس في ديوانه. و«رِسْل» بكسر فسكون بمعنى: تؤدَةٍ وهِينةٍ.

وذكروا بيتاً آخر بهذا المطلع، وتتمته مختلفة كما في «العين» (٨/ ٣٩٠)، و«السيرة النبوية» لابن هشام (١/ ٥٣٨)، و«المنجد في اللغة» لكراع النمل (ص: ١٥٤)، و«معاني القرآن» للزجاج =

وأصلُ الكلمة من: مَنَى الله كذا؛ أي[1]: قدَّر، وتَمنِّي الإنسان: تقديرُه بلوغَه.

والتَّمنِّي: التِّلاوة؛ لأنَّ التَّاليَ يُقدِّر الحروفَ ويذكرُها شيئاً فشيئاً.

﴿أَلْقَى ٱلشَّيْطَٰنُ فِىٓ أُمْنِيَّتِهِۦ﴾ في سببِ النُّزول: أنَّ النَّبيَّ ﷺ لمّا رأى تولِّيَ قومه عنه شقَّ عليه ما رأى من مُباعَدَتهم عمَّا جاءهم به، تمنَّى في نفسه أن يأتيَه من الله ما يُقاربُ به بينَه وبينَ قومه، وذلك لحِرْصِه على إيمانهم، فجلسَ ذاتَ يومٍ في نادٍ من أندية قريشٍ كثيرٍ أهلُه، وأحبَّ أنْ لا يأتيَه من الله شيءٌ يَنْفِرون به عنه، وتمنَّى ذلك، فأنزلَ اللهُ سورةَ: ﴿وَٱلنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ﴾ [النجم: ١] فقرأها رسولُ الله ﷺ حتَّى بلَغ: ﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ ﴿١٩﴾ وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلْأُخْرَىٰٓ﴾ [النجم: ١٩ ـ ٢٠] ألقى الشَّيطانُ على لسانه بما كان يحدِّثُ به نفسَه ويَتمنَّاه: «تلك الغرانيقُ العُلَى وإنَّ شفاعتهنَّ لتُرْتَجى».

ورُوي: «تلك الغرانقةُ العُلى».

= (٣/ ٤٣٥)، و«الزاهر» لابن الأنباري (٢/ ١٥٠)، و«أمالي الزجاجي» (ص: ٢٠)، و«تفسير السمرقندي» (٢/ ٤٦٤)، و«الوجوه والنظائر» لأبي هلال العسكري (ص: ١٥٠)، و«الغريبين» للهروي مادة: (م ن ا) (٦/ ١٧٨٢)، و«تفسير الثعلبي» (١٨/ ٣٢٢)، و«المحكم» لابن سيده (١٠/ ٥١١)، و«المحرر الوجيز» (٤/ ١٢٨). وتتمته:

..................أوّلَ ليلةٍ وآخرَه لاقَى حِمَامَ المَقادِرِ

وذكر بعضهم كابن الأنباري والهروي والثعلبي: أنه في رثاء عثمان رضي الله عنه.

ووقع في النسخ: «ليلةٍ»، والمثبت من أكثر المصادر وهو أصح، قال الشهاب في «الحاشية على البيضاوي» (٢/ ١٨٩): و«ليله» قيل: مضاف إلى ضمير الغائب، لا بتاء التأنيث للوحدة على ما في بعض النسخ، يعرف ذلك بالتأمل، ويؤيده أنّ ابن الأنباري وغيره أنشد تمامه: «وآخره لاقى..»، ولم يرو: وآخرها.

(١) في (ف): «إذا».

ويروى: «الغرانيقُ الأولى منها الشَّفاعةُ تُرْتَجى».

والغرانيقُ والغرانقةُ: جمع غُرنوقٍ وغِرْناقٍ. وهو الحسن.

وقيل: جمع غِرنيقٍ، وهو الطَّيرُ العظيم، كانوا يدَّعون أنَّها تَصْعَدُ إلى السَّماء وتعلمُ الغيوبَ.

وقيل: عَنَوا أنَّها كالملائكة.

فلمَّا سمعتْ قريشٌ ذلك فرحوا، ومضى رسولُ الله ﷺ في قراءته، فقرأ السُّورة، فسَجَدَ المسلمون بسجوده وسَجَد جميعُ مَن في المسجدِ من المشركين، فلم يَبْقَ في المسجد مؤمنٌ ولا كافرٌ إلَّا سَجَد، إلَّا الوليدَ بنَ المغيرةِ وأبا أحيحةَ سعيدَ بن العاص، فإنَّ كلَّ واحدٍ منهما أَخَذ كفًّا من ترابِ البطحاء ورفَعَه إلى جبهتِه وسجَد عليها؛ لأنَّهما كانا شيخين كبيرين لم يستطيعا السُّجود، وتفرَّقت قريشٌ وقد سرَّهم ما سمعوا، وقالوا: قد ذَكَر محمَّدٌ آلهتَنا فأَحْسَنَ الذِّكر، وقالوا: قد عرفنا أنَّ الله يُحْيِي ويُميتُ ويَخْلُقُ ويَرزقُ، ولكنَّ آلهتَنا هذه تَشْفعُ لنا عنده، فإذا جعَل معه لها محمَّدٌ نصيباً فنحن معه، فلمَّا أمسى رسولُ الله ﷺ أتاه جبريلُ فقال: ماذا صنعتَ؟ تلوتَ على النَّاس ما لم آتِكَ به عن الله، وقلتَ ما لم أَقُلْ لك! فحَزِن رسولُ ﷺ حزناً شديداً وخاف مِن الله خوفاً كثيراً، فأنزل الله هذه الآية، فقالت قريشٌ: نَدِم محمَّدٌ على ما ذَكَر من منزلةِ آلهتِنا عند الله، فازدادوا شرًّا إلى ما كانوا عليه.

قال قتادة: ﴿أَلْقَى ٱلشَّيْطَٰنُ﴾ في تلاوته وهو ناعسٌ.

وقيل: ﴿أَلْقَى ٱلشَّيْطَٰنُ﴾ في تلاوته بقراءةِ الشَّيطانِ رافعاً صوتَه، فظنَّ النَّاس السَّامعون أنَّه من قراءةِ النَّبيِّ ﷺ(١).

(١) قصة الغرانيق معروفة، ولا يصح فيها شيء، فقد رويت فيها مرسلات عن قتادة والضحاك وأبي =

ابن عيسى: تلاوةُ منافقٍ من شياطين الإنس، فخُيِّل إلى النَّاس أنَّه من تلاوةِ النَّبيِّ عليه السّلام[1].

الحسن: تلك الغرانيقُ العُلَى بزَعْمِكم أيُّها المشركون[2].

= العاليـة وأبـي بكـر بـن عبـد الرحمن بن الحـارث بـن هشـام وغيرهـم، وروي فيها خبر مـن طريق عطيـة العوفي عـن ابن عباس، لكن إسـناده ضعيف جداً. وتنظـر هذه الأخبار في «تفسـير الطبري» (١٦/ ٦٠٤ ـ ٦١٢).

وقد تكلم العلماء المحققون في توهين ما روي في هذه القصة وردها عقلاً ونقلاً فلا داعي للإطالة في ذلك. ويكفي في ردها ما قاله القاضي عياض: «فيكفيك أنّ هذا حديث لم يُخَرِّجه أحد من أهل الصحَّة، ولا رواه ثقة بسند سليم متصل، وإنما أُولِع به وبمِثْله المفسرون والمؤرخون المُولَعون بكلِّ غريب، المتلقِّفون من الصحف كلّ صحيح وسَقيم، وصَدَق القاضي بكرُ بن العلاء المالكيّ حيث قال: لقد بُلِي الناس ببعض أهل الأهواء والتفسير، وتعَلَّق بذلك المُلحِدون مع ضَعْف نَقَلَتِه واضطراب رواياتِه وانقطاع إسنادِه واختلاف كلماتِه...». انظر: «الشفا» (٢/ ١٢٥).

وممن تكلم في توهين هذه القصة الإمام أبو حفص النسفي في «التيسير في التفسير» عند هذه الآية، فذكر ثلاثة وجوه في إبطالها بحيث لا يبقى شك في ذلك لمن طالع كلامه. ثم ختم ذلك بقوله: فبَطَلت الوجوه كلُّها، ولم يبق إلا وجهٌ واحد، وهو أن النبي ﷺ سكت عند قوله: ﴿وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلْأُخْرَىٰٓ﴾ والشيطانُ حاضرٌ، فتكلَّم الشيطان بهذه الكلمات متَّصلاً بقراءة النبيِّ ﷺ، فوقع عند بعضهم أن النبيَّ ﷺ هو الذي تكلَّم بها، ويكون هذا إلقاءً في قراءة النبي ﷺ، وكان الشيطان يتكلَّم في زمن النبي ﷺ ويُسمَع كلامه؛ كما ذُكر عنه في اليوم الذي مكَروا بالنبيِّ ﷺ في دار الندوة، وإبليس ظهر يوم أحدٍ على صورة شيخ نجديٍّ... إلى آخر ما قال.

قلت: وهذا الذي رجحه النسفي سيشير إليه المؤلف لاحقاً.

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفاسير» (٢/ ٧٦٤)، واستغربه.

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٧٦٤)، وعدَّه من العجائب، وفيه: «كان قرآنًا فنسخ».

وبعضُ المفسِّرين أنكرَ هذا أصلاً، وقال: النَّبيُّ عليه السَّلام معصومٌ من أن يَجريَ على لسانه ما هو كفرٌ.

وبعضهم قال: هذا من الأخبار الآحاد التي لا تُوجب علماً.

ويحتمِل أنَّه حكى كلامَهم ثمَّ أنْكَر عليهم، وتقديرُها: تلك الغرانيقُ العُلَى[١] بزَعْمِكم ـ كما قال الحسن ـ أَمِنْها الشَّفاعةُ ترتجَى، وكم مَلَكٍ في السّماوات لا تُغْني شفاعتُهم شيئاً؟! والله أعلم.

﴿فَيَنسَخُ ٱللَّهُ مَا يُلْقِى ٱلشَّيْطَٰنُ﴾: فيبيِّن بطلانَ ذلك ويُخبِرُ أنَّه من الشَّيطان ﴿ثُمَّ يُحْكِمُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦ﴾؛ أي: يُنْزِلُها مُحْكَمةً مثبتةً[٢] لا يَجِدُ أحدٌ إلى بُطلانها سبيلاً.

﴿وَٱللَّهُ عَلِيمٌ﴾ بوَحْيه ﴿حَكِيمٌ﴾ بخَلْقه.

* * *

(٥٣) ـ ﴿لِّيَجْعَلَ مَا يُلْقِى ٱلشَّيْطَٰنُ فِتْنَةً لِّلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ ۗ وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَفِى شِقَاقٍۭ بَعِيدٍ﴾.

﴿لِّيَجْعَلَ مَا يُلْقِى ٱلشَّيْطَٰنُ فِتْنَةً﴾: ضَلالاً. وقيل: امتحاناً. وقيل: عذاباً؛ أي: سببَ عذابٍ.

﴿لِّلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾: شكٌّ ونفاقٌ، وهم المنافقون ﴿وَٱلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ﴾ هم المشركون ﴿وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾: المنافقينَ والمشركينَ ﴿لَفِى شِقَاقٍ﴾: خلافٍ ﴿بَعِيدٍ﴾: عن الحقِّ.

---

(١) في (ف) زيادة: «أيها المشركون».

(٢) في (ف): «مبينة».

وقيل: ﴿شِقَاقٍ بَعِيدٍ﴾: خلافٍ طويلٍ مع النَّبيِّ والمؤمنين.

***

(٥٤) ـ ﴿وَلِيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَيُؤْمِنُوا۟ بِهِۦ فَتُخْبِتَ لَهُۥ قُلُوبُهُمْ ۗ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾.

﴿وَلِيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ﴾: الإيمانَ والتَّوحيد، وهم المؤمنون، وقيل: العقل والتَّمييز ﴿أَنَّهُ﴾: أنَّ القرآنَ ﴿ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَيُؤْمِنُوا۟ بِهِۦ﴾: بالقرآنِ وبالله ﴿فَتُخْبِتَ لَهُۥ قُلُوبُهُمْ﴾: فيتواضعوا لله ﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ يُثبِّتُهم عليه.

***

(٥٥) ـ ﴿وَلَا يَزَالُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى مِرْيَةٍ مِّنْهُ حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ ٱلسَّاعَةُ بَغْتَةً أَوْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابُ يَوْمٍ عَقِيمٍ﴾.

﴿وَلَا يَزَالُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى مِرْيَةٍ مِّنْهُ﴾: شكٍّ لا يفارقُهم أبداً من سجود النّبيِّ عليه السّلام، وقيل: ممَّا تلاه، وقيل: مِن القرآن.

﴿حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ ٱلسَّاعَةُ﴾: القيامةُ، وقيل: الموت ﴿بَغْتَةً﴾: مباغتاً؛ أي: مفاجئاً.

﴿أَوْ يَأْتِيَهُمْ﴾ قيل: هو لأحدِ الشَّيئين على أصله، وقيل: بمعنى الواو[1].

---

(١) الأول مذهب البصريين، والثاني مذهب الكوفيين، والبصريون يرون هذا شاذاً لا يُحمل عليه القرآن الكريم، وقد ذهب إليه قطرب، وارتضاه ابن مالك، وتبعه عامة المتأخرين. انظر: «حروف المعاني والصفات» للزجاجي (ص: ٥٢)، و«شرح الكتاب» للسيرافي (٣/ ٤٣٢)، و«الزاهر» للأزهري (ص: ٣٦)، و«الخصائص» لابن جني (٢/ ٤٦٢)، و«الإنصاف» للأنباري (٢/ ٣٩١)، و«شرح التسهيل» لابن مالك (٣/ ٣٦٤).

﴿عَذَابُ يَوْمٍ عَقِيمٍ﴾: يومِ القيامة؛ لأنَّه لا يَعْقُبُ بعدَه يومٌ.

وقيل: عقيمٍ على الكفَّار فلا يكونُ لهم فيه خيرٌ.

وقيل: ﴿يَوْمٍ عَقِيمٍ﴾: يوم بدرٍ، سمِّي عقيماً لأنَّ نسلَهم انْقَطَع فيه، وقيل: لأنَّهم لم ينظروا إلى اللَّيل، وقيل: عقيمٌ لعِظَم أمره، وأنَّه لا مِثْلَ له؛ لقتالِ الملائكة فيه.

***

(٥٦ ـ ٥٧) ـ ﴿ٱلْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فِى جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٥٦﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا فَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾.

﴿ٱلْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ﴾: يومَ القيامة، كقوله: ﴿لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ ۖ لِلَّهِ﴾ [غافر: ١٦] ﴿يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ﴾: يقضي بينهم.

ثم بيَّن حكمَه فيهم فقال: ﴿فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فِى جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٥٦﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا فَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾؛ أي: عذابٌ معه ذلَّةٌ وهوانٌ.

وقيل: ﴿يَوْمَئِذٍ﴾: يومَ بدرٍ، فحَكَم لنبيِّه بالنُّصرة، وللمؤمنين بالجنَّة، ولأعدائه بالقتلِ والهزيمةِ والنَّار.

***

(٥٨) ـ ﴿وَٱلَّذِينَ هَاجَرُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ قُتِلُوٓا۟ أَوْ مَاتُوا۟ لَيَرْزُقَنَّهُمُ ٱللَّهُ رِزْقًا حَسَنًا ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ﴾.

﴿وَٱلَّذِينَ هَاجَرُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾: خرجوا من أوطانهم مجاهِدين ﴿ثُمَّ قُتِلُوٓا۟﴾ في الجهادِ ﴿أَوْ مَاتُوا۟﴾ حتْفَ أَنْفِهم ﴿لَيَرْزُقَنَّهُمُ ٱللَّهُ رِزْقًا حَسَنًا﴾: الجنَّةَ ونعيمَها.

وقيل: الشَّهادةَ ثم الجنَّة.

وقيل: العلمَ والحكمةَ في الدُّنيا.

﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ﴾ لأنَّه يرزقُهم إلى غيرِ نهايةٍ.

* * *

(٥٩) ـ ﴿لَيُدْخِلَنَّهُم مُّدْخَلًا يَرْضَوْنَهُۥ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَعَلِيمٌ حَلِيمٌ﴾.

﴿لَيُدْخِلَنَّهُم مُّدْخَلًا﴾: مكاناً: الجنَّةَ، وقيل: هو مصدرٌ، ومَن قرأ بالفتح فعلى هذين الوجهين[١].

﴿يَرْضَوْنَهُۥ﴾: الجنَّةَ يرضاها كلُّ أحدٍ لا يبتغِي عنها[٢] حِوَلاً ﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ لَعَلِيمٌ﴾ بأحوالهم ﴿حَلِيمٌ﴾ لم يُعجلْهم بالعقوبة والعذاب.

* * *

(٦٠) ـ ﴿ذَٰلِكَ وَمَنْ عَاقَبَ بِمِثْلِ مَا عُوقِبَ بِهِۦ ثُمَّ بُغِىَ عَلَيْهِ لَيَنصُرَنَّهُ ٱللَّهُ إِنَّ ٱللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ﴾.

﴿ذَٰلِكَ﴾؛ أي: الأمرُ ذلك ﴿وَمَنْ عَاقَبَ بِمِثْلِ مَا عُوقِبَ بِهِۦ﴾ نزلتْ في قومٍ من المشركين أرادوا قتالَ قوم من المسلمين لِلَيلتَينِ بَقِيَتا من المحرَّم، فكره المسلمون القتال فيه وسألوهم أن يكفُّوا عن قتالِهم؛ للشَّهر الحرام، فأبى المشركون إلَّا القتالَ، فقاتَلَهم المسلمون ونصَر اللهُ المسلمين[٣].

وقيل: نزلت في أحدٍ[٤].

---

(١) قرأ نافع: (مَدْخَلًا) بفتح الميم، والباقون بضمها. انظر: «السبعة» (ص: ٤٣٩)، و«التيسير» (ص: ٩٥).

(٢) في (ف): «يرضاه... لا يبتغي عنه».

(٣) انظر: «تفسير مقاتل» (٣/ ١٣٥).

(٤) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (١٥١٥) عن قتادة، وابن أبي شيبة في «مصنفه» (٣٦٧٤٤) عن =

ومثلُه: ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُواْ بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِۦ﴾ [النحل: ١٢٦]، فسمَّى الأوَّل عقاباً ازْدِواجاً للكلام، ومثلُه قولُهم: «كما تَدِينُ تُدانُ»، والأوَّلُ ليس بمجازاةٍ.

﴿ثُمَّ بُغِيَ عَلَيْهِ﴾؛ أي: حارَبُوه بعد ذلك، وقيل: ﴿ثُمَّ بُغِيَ عَلَيْهِ﴾ بعد أَخْذِ حقِّه.

﴿لَيَنصُرَنَّهُ ٱللَّهُ﴾ أَوْجَبَ اللهُ على نفسه نصرةَ المبغيِّ عليه.

مجاهدٌ: ﴿ثُمَّ بُغِيَ عَلَيْهِ﴾ يعني: محمَّداً ﷺ، وعَدَه اللهُ أنْ يَنْصُرَه[(١)].

الحسن: ﴿ثُمَّ بُغِيَ عَلَيْهِ﴾: أُخْرِجَ مِن مَنزله[(٢)].

﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ﴾ للمنتصِرِ من الظَّالم.

***

(٦١) ـ ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِي ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِي ٱلَّيْلِ وَأَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعُۢ بَصِيرٌ﴾.

﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِي ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِي ٱلَّيْلِ﴾ فيكونُ النَّهارُ خمسَ عَشْرةَ ساعةً، واللَّيل تسعَ ساعاتٍ.

وقيل: اللَّيلُ والنَّهار أبداً اثنتا عشرةَ ساعةً، تَطُولُ وتَقْصُرُ السَّاعات[(٣)].

والمعنى: فلا يخفَى عليه شيءٌ فيهما ولا يَعجزُ عن شيءٍ أرادَه.

﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعُۢ﴾ متَّصلٌ بالآيةِ الأولى؛ أي: سَمِع قولَ المعاقِبِ والباغي ﴿بَصِيرٌ﴾: أبصرَ فِعْلَهم، فيَجْزِيهم.

= الشعبي، كلاهما في قوله تعالى: ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُواْ بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِۦ﴾.

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (١٦/ ٦٢٠) عن ابن جريج.

(٢) ذكره الواحدي في «البسيط» (١٥/ ٤٨١).

(٣) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٧٦٦)، وعدَّه من العجائب.

(٦٢) ـ ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلْبَٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْكَبِيرُ﴾.

﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ﴾؛ أي: ذو الحقِّ. وقيل: هو المستحِقُّ للعبادة. وقيل: الثَّابتُ الموجودُ، لا أوَّلَ لوجوده ولا آخِرَ.

﴿وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ﴾: الأصنامَ، وقيل: الشَّيطان ﴿هُوَ ٱلْبَٰطِلُ﴾: الزَّائلُ لا وجودَ لوصفِ الإلهيَّة له ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْكَبِيرُ﴾.

* * *

(٦٣) ـ ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَتُصْبِحُ ٱلْأَرْضُ مُخْضَرَّةً إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ﴾.

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً﴾: مطراً، هذا استفهامٌ معناه الخبرُ، ولهذا رُفِع بعدَه: ﴿فَتُصْبِحُ ٱلْأَرْضُ مُخْضَرَّةً﴾[١].

قيل: أَنْزَلَ فأَصْبَحَ، ويُنْزِلُ فيُصْبِحُ، فاقتُصِر من كلٍّ بلفظةٍ[٢]، ومنه قول الشَّاعر:

ولقَد أَمرُّ على اللَّئيمِ يَسُبُّني فمضيتُ ثُمَّتَ قلتُ لا يعنيني[٣]

---

(١) ذكر سيبويه في «الكتاب» (٣/ ٤٠): أنه سأل الخليل عن هذه الآية فقال: «هذا واجب، وهو تنبيه، كأنك قلت: أتسمع أن الله أنزل من السماء فكان كذا وكذا. وإنما خالف الواجب النفي؛ لأنك تنقض النفي إذا نصبت وتغير المعنى....». فليس اخضرار الأرض واقعاً من أجل الرؤية وبسببها، وإنما هو واقع في كل حال.

(٢) أي: تقدير الآية: أَنزلَ من السماء ماء فأصبحت الأرض مخضرة، ويُنزل فتصبح، فاكتفى عن كلِّ زمانٍ بذكر لفظ واحد، كما في البيت الآتي. انظر: «غرائب التفسير» (٢/ ٧٦٦).

(٣) أي: أمرُّ فيسبني فأمضي، كما مررت فسبني فمضيت، واستغرب المؤلف هذا القول في «غرائب التفسير» (٢/ ٧٦٦)، وقد ذهب أبو علي في «الحجة» (٢/ ٢٠٨)، وابن جني في «الخصائص» =

قوله: ﴿فَتُصْبِحُ ٱلْأَرْضُ مُخْضَرَّةً﴾ بالنَّبات بعد أن كانتْ مسودَّةً يابسةً.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ﴾: لا يَخْفى عليه شيءٌ.

وقيل: ﴿لَطِيفٌ﴾ باستخراج النَّبات منها ﴿خَبِيرٌ﴾: عالمٌ به.

* * *

(٦٤) ـ ﴿لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ﴾.

﴿لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ﴾؛ أي: لغنيٌّ عن خَلْقه حميدٌ على فِعْله.

* * *

(٦٥) ـ ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ وَٱلْفُلْكَ تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِأَمْرِهِۦ وَيُمْسِكُ ٱلسَّمَآءَ أَن تَقَعَ عَلَى ٱلْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾.

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ﴾: تستعملونه فيما احتَجْتُم إليه.

﴿وَٱلْفُلْكَ﴾: السُّفُنَ ﴿تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِأَمْرِهِۦ﴾، فهي[1] عطفٌ على ﴿مَّا﴾، و﴿تَجْرِى﴾ حالٌ لها.

وقيل: عطفٌ على اسم ﴿أَنَّ﴾.

﴿وَيُمْسِكُ ٱلسَّمَآءَ أَن تَقَعَ عَلَى ٱلْأَرْضِ﴾: يحفظُها مِن أنْ تَقَع، وقيل: كراهةَ أن تقع، وقيل: لئلَّا تقع ﴿إِلَّا بِإِذْنِهِۦٓ﴾: بأمره وإرادته ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ تفضَّلَ عليهم بما عدَّ في الآية.

= (٣/ ٣٣٤) إلى أن المراد بالمضارع الماضي؛ أي: ولقد مررت. والبيت لشمر بن عمر الحنفي كما في «الأصمعيات» (ص: ١٢٦).

(١) أي: لفظة (الفلك).

(٦٦) ـ ﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْۗ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَكَفُورٌ﴾.

﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَحْيَاكُمْ﴾؛ أي: في الأرحام ﴿ثُمَّ يُمِيتُكُمْ﴾ عند الموت ﴿ثُمَّ يُحْيِيكُمْ﴾ للبعثِ والنُّشور ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَكَفُورٌ﴾ قيل: عامٌّ، والمراد به: كفرانُ النِّعمة.

وقيل: أراد بـ﴿ٱلْإِنسَٰنَ﴾ الكفَّارَ.

* * *

(٦٧) ـ ﴿لِّكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكًا هُمْ نَاسِكُوهُۖ فَلَا يُنَٰزِعُنَّكَ فِى ٱلْأَمْرِۚ وَٱدْعُ إِلَىٰ رَبِّكَۖ إِنَّكَ لَعَلَىٰ هُدًى مُّسْتَقِيمٍ﴾.

﴿لِّكُلِّ أُمَّةٍ﴾: أهلِ دِينٍ، وقيل: دِينٍ ﴿جَعَلْنَا مَنسَكًا﴾ قيل: عيداً، وقيل: موضعَ عبادةٍ، وقيل: إراقةَ دمٍ، وقيل: شريعةً تُعبِّدُوا بها، وقيل: ذبيحةً.

﴿هُمْ نَاسِكُوهُ﴾؛ أي: يَنْسُكونَ تلك المناسكَ ﴿فَلَا يُنَٰزِعُنَّكَ فِى ٱلْأَمْرِ﴾؛ أي: ليس لليهود وغيرهم من ذوي الأديان والمشركين بأنْ يُنازِعُوك في شريعةِ قومِكَ وذبائحهم.

﴿وَٱدْعُ إِلَىٰ رَبِّكَ﴾: ادعُ النَّاسَ إلى عبادةِ الله ﴿إِنَّكَ لَعَلَىٰ هُدًى مُّسْتَقِيمٍ﴾: طريقٍ واضحٍ.

* * *

(٦٨ ـ ٦٩) ـ ﴿وَإِن جَٰدَلُوكَ فَقُلِ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿٦٨﴾ ٱللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾.

﴿وَإِن جَٰدَلُوكَ﴾ ولم يَقْبلوا منك ﴿فَقُلِ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾.

﴿ٱللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾: أَوْعدهم بحُكْمِه فيهم يومَ القيامة، ويجوزُ أن يكون استئنافاً.

وقيل: جادلوكَ في أكلِ الميتة، فقالوا: تأكلونَ ما قَتلتُم ولا تأكلونَ ما قَتَله الله[١]؟ والآيةُ منسوخةٌ بآية السَّيف[٢].

***

(٧٠) ـ ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّ ذَلِكَ فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾.

﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾ فيعلمَ أعمالَكم فيجازِيَكُم على ذلك.

﴿إِنَّ ذَلِكَ فِي كِتَابٍ﴾ يريد: اللَّوحَ المحفوظ ﴿إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ يكوِّنه بقوله: كنْ، فيكون[٣].

وقيل: إنَّ الحكم بينكم يسيرٌ على الله.

***

---

(١) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (١٨/ ٤٠٣) دون سند ولا راوٍ. وروي نحو هذا في نزول قوله تعالى: ﴿وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ﴾ [الأنعام: ١٢١]، رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٨٥٠) عن قتادة، ورواه الطبري في «تفسيره» (٩/ ٥٢٢ ـ ٥٢٦) عن ابن عباس وعكرمة وقتادة ومجاهد والضحاك وغيرهم.

(٢) ذكر ابن حزم في «الناسخ والمنسوخ» (ص: ١٧) أن قوله تعالى: ﴿وَإِن جَادَلُوكَ﴾ من المنسوخ قوله تعالى ﴿فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ﴾، وقال الواحدي في «البسيط» (١٥/ ٤٩٢): «قال الكلبي ومقاتل: نسختها آية السيف. وهذا النسخ الذي قالا لا يرجع إلى الحكم؛ لأن الله يحكم يوم القيامة بين المحق والمبطل فيدخل المحق الجنة والمبطل النار، ولكن النسخ يعود إلى النبي ﷺ لمَّا أمر بالقتال كان يقاتل من خالفه ولم يصدقه، ولا يدفع بالقول والمداراة كما أمر في هذه الآية بأن يقول إذا جادلوه: ﴿اللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ﴾».

(٣) «فيكون»: ليس في (ف).

(٧١) ـ ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا وَمَا لَيْسَ لَهُم بِهِۦ عِلْمٌ ۗ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِن نَّصِيرٍ﴾.

﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا﴾؛ أي: حُجَّةً وبرهاناً على عبادته ﴿وَمَا لَيْسَ لَهُم بِهِۦ عِلْمٌ﴾؛ أي: يَعبدونه تقليداً وجهلاً، لا عن عقلٍ وسمعٍ.

﴿وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِن نَّصِيرٍ﴾: مانعٍ من عذابِ الله.

* * *

(٧٢) ـ ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٍ تَعْرِفُ فِى وُجُوهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلْمُنكَرَ ۖ يَكَادُونَ يَسْطُونَ بِٱلَّذِينَ يَتْلُونَ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِنَا ۗ قُلْ أَفَأُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكُمُ ۗ ٱلنَّارُ وَعَدَهَا ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ﴾.

﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ﴾: على أهلِ مكَّة ﴿ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٍ﴾ بالفرائضِ والأحكام، والحلالِ والحرام؛ يريد: القرآنَ ﴿تَعْرِفُ فِى وُجُوهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلْمُنكَرَ﴾: الكراهيَةَ والعُبوسَ والإنكارَ على تاليهِ، و﴿ٱلْمُنكَرَ﴾ مصدرٌ، ويجوز أن يكون مفعولاً؛ أي: الذي تنكره[1].

﴿يَكَادُونَ يَسْطُونَ بِٱلَّذِينَ يَتْلُونَ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِنَا﴾: يَقْرُبون من الوثوبِ عليهم بالقتلِ والضَّرب، وقيل: يَبْطُشون، يقال: سطا به وعليه يسطو سَطْواً وسطوةً؛ إذا حَمَل عليه وبَطَش به.

ابنُ عيسى: السَّطوةُ: إظهارُ الحالِ الهائلة للإخافة[2].

﴿قُلْ أَفَأُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكُمُ﴾: بشرٍّ عليكم وأكرهَ إليكم من الذي تسمعون؛

---

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٧٦٦)، واستغربه.

(٢) ذكره أبو حيان في «البحر المحيط» (٧/ ٥١٣) بلفظ: «إظهار ما يهول للإخافة».

أي: إنْ ساءكم سماعُ كلامِ الله وفيه إبطال دينكم، وحَسِبْتُموه شرًّا لكم، فأنا أنبِّئكم بشرٍّ من ذلكم، ثم فسّر فقال: ﴿ٱلنَّارُ﴾؛ أي: هي النارُ ﴿وَعَدَهَا ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْۖ وَبِئۡسَ ٱلۡمَصِيرُ﴾ النَّارُ.

وقيل: بأشدَّ(١) من سطوتكم.

وقيل: بشرٍّ عليكم(٢) من غيظِكم على مَن تلاه.

وقيل: بشرٍّ عليكم ممَّا يَلحَقُ التَّاليَ منكم.

***

(٧٣) ـ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٞ فَٱسۡتَمِعُواْ لَهُۥٓۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَن يَخۡلُقُواْ ذُبَابٗا وَلَوِ ٱجۡتَمَعُواْ لَهُۥۖ وَإِن يَسۡلُبۡهُمُ ٱلذُّبَابُ شَيۡـٔٗا لَّا يَسۡتَنقِذُوهُ مِنۡهُۚ ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ وَٱلۡمَطۡلُوبُ﴾.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٞ﴾؛ أي: جُعِل مَثَلٌ، مِن قوله: ﴿ضُرِبَتۡ عَلَيۡهِمُ ٱلذِّلَّةُ﴾ [آل عمران: ١١٢].

الأخفشُ: ليس هاهنا مَثَلٌ، وإنَّ المعنى: جَعَل الكفَّار لله مثلاً؛ أي: مثلاً وشبيهاً في عبادةِ غيرِه معه(٣).

---

(١) كذا في النسختين الخطيتين، والظاهر أنها: «بشرٍّ من سطوتكم» والله أعلم.

(٢) في (ف): «بشر لكم».

(٣) انظر: «معاني القرآن» للأخفش (٢/ ٤٥٢)، وفيه: «فان قيل: فأينَ المثَل؟ قلتُ: ليس هاهنا مثل؛ لأنه تبارك وتعالى قال: ضُرِبَ لِي مَثَلٌ فَجُعِلَ مَثَلاً عندهم لي، فاستمعوا لهذا المثل الذي جعلوه مثلي في قولهم واتخاذهم الآلهة وأنهم لن يقدروا على خلق ذباب ولو اجتمعوا له وهم أضعف لو سلبهم الذباب شيئاً فاجتمعوا جميعاً ليستنقذوه منه لم يقدروا على ذلك، فكيف تضرب هذه الآلهة مثلاً لربها وهو رب كل شيء الواحد الذي ليس كمثله شيء، وهو مع كل شيء، وأقرب من كل =

وقيل: هو مَثَلٌ من حيث المعنى؛ لأنَّه ضَرَبَ مَثَلَ مَن يَعبُدُ الأصنامَ بمَن يَعبُدُ ما لا يخلُقُ ذباباً.

قوله: ﴿فَٱسۡتَمِعُواْ لَهُۥٓۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَن يَخۡلُقُواْ ذُبَابٗا وَلَوِ ٱجۡتَمَعُواْ﴾ قيل: الأوثان، وقيل: الشَّياطين، وقيل: الرُّؤساء ﴿لَهُۥ﴾: لخَلْق الذُّباب، وجوابُ ﴿لو﴾ مضمرٌ؛ أي: لعَجزوا عنه.

وخصَّ الذُّباب لمهانتِه وضعفِه واستقذاره، وسمِّي الذُّباب ذباباً لأنَّه يُذبُّ استقذاراً واحتقاراً، وجمعُه: أَذِبَّةٌ وذُبَّانٌ[1].

﴿وَإِن يَسۡلُبۡهُمُ ٱلذُّبَابُ شَيۡـٔٗا لَّا يَسۡتَنقِذُوهُ مِنۡهُۚ﴾؛ أي: إنْ يَسلُبْهم من الطَّعام الذي كانوا يضعونه لها[2].

وقيل: من العسل الذي كانوا يَطْلُون رؤوسَها.

وقيل: من العطر الذي كانوا يمسَحُونها به.

وقيل: أراد إفسادَ الذُّباب ثمارَ النَّاس وطعامَهم.

وقيل: هو الألمُ الذي يمسُّ الإنسانَ في عضِّ الذُّباب أو قَرْصِه.

﴿لَّا يَسۡتَنقِذُوهُ مِنۡهُۚ﴾ لم يتهيَّأْ لهم تخليصُه منه، تقول: أَنْقَذَه واستَنْقَذَه؛ إذا خَلَّصه.

والمعنى: كيف يَصْلُح للإلهيَّة ما لا يَقدرُ على دفعِ أذيَّة ذبابٍ ضعيفٍ صغيرٍ

= شيء، وليس له شبه ولا مثل ولا كفء».

(١) انظر: «أدب الكاتب» لابن قتيبة (ص: ٤١٠)، و«جمهرة اللغة» مادة: (ذ ب ب) (٢/ ١٠٠٠)، و«الصحاح» (١/ ١٢٦)، و«تحرير ألفاظ التنبيه» للنووي (ص: ١٦٨).

(٢) في (ف): «يصنعونه لها». والمراد: الأصنام.

عن نفسه ﴿ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ﴾: الصَّنم يَطْلُبُ ما سُلِب منه ﴿وَٱلْمَطْلُوبُ﴾: الذُّبابُ يُطْلَبُ ما سَلَب.

وقيل: ﴿ٱلطَّالِبُ﴾: الكافر، ﴿وَٱلْمَطْلُوبُ﴾ إليه: الصَّنم.

وقيل: معناه التَّعجُّبُ؛ أي: ما أَضْعفَ هذا الطَّالبَ وهذا المطلوبَ[1]؟!

***

(٧٤) ـ ﴿مَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ﴾.

﴿مَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ﴾ ابن عبَّاسٍ رضي الله عنهما: نزلت في مالكِ بن الصَّيفِ وكعبِ بن الأشرف وجماعةٍ من اليهود قالوا: خَلَق الله السَّماواتِ وأَعْيا مِن خَلْقِها، فاستَلْقَى واستراحَ يومَ السَّبت، فوضعَ إحدى رجليهِ على الأُخرى[2].

والمعنى: ما عظَّموه حقَّ عظَمتِه.

وقيل: ما عَرَفوه حقَّ معرفته.

وقيل: ما وَصَفوه حقَّ صِفَته.

وقيل: ما اعتَقَدوا في الله ما يجبُ اعتقاده.

أي: الذين جعلوا هذا الصَّنم الضعيفَ شريكاً لله ما قَدَروا الله حقَّ قَدْره ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ﴾: لا يَعْيَا ولا يُغْلَبُ.

---

(١) يعني الضرب الفعل على صيغة (فَعُل)، وتضمَّنه معنى المدح والذم، وذلك بشرط أن يكون ذلك الفعل يمكن التعجب منه بقياس، ولو لم يكن معناه التعجب لما لزم ذلك فيه، وقد حمل بعض النحاة قوله تعالى: ﴿كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ﴾ على ذلك. انظر: «شرح التسهيل» لابن مالك (٣/ ٢٨)، و«تحصيد القواعد» لناظر الجيش (٦/ ٢٦٢٤).

(٢) ذكره الواحدي في «البسيط» (١٥/ ٥٠٢) عن الكلبي.

وقيل: متَّصلٌ بالأوَّل؛ أي: لا يقدرُ أحدٌ على سَلْب شيءٍ من مملكته ولا على مُغالبته.

* * *

(٧٥) ـ ﴿ٱللَّهُ يَصۡطَفِي مِنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلٗا وَمِنَ ٱلنَّاسِۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعُۢ بَصِيرٞ﴾.

﴿ٱللَّهُ يَصۡطَفِي﴾: يختارُ ﴿مِنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلٗا﴾ مثلَ جبريلَ وميكائيلَ عليهما السَّلامُ وغيرُهما، فهم رسلُ اللهِ إلى أنبيائه.

﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ﴾؛ أي: ومِن النَّاس رسلاً؛ يعني: محمَّداً وموسى وعيسى عليهم السَّلام، وغيرَهم من الأنبياء والمرسلين.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعُۢ﴾ لمقالَتِهم ﴿بَصِيرٞ﴾ بأفعالهم ومَن هو خيرٌ لهم[1].

* * *

(٧٦) ـ ﴿يَعۡلَمُ مَا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَمَا خَلۡفَهُمۡۗ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرۡجَعُ ٱلۡأُمُورُ﴾.

﴿يَعۡلَمُ مَا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ﴾: أمرَ الدُّنيا ﴿وَمَا خَلۡفَهُمۡ﴾: أمرَ الآخرة.

وقيل: ما مضَى وما لم يأتِ.

وقيل: ما كان قبلَ خلقِ[2] الملائكةِ والنَّبيِّين ﴿وَمَا خَلۡفَهُمۡ﴾ بعد فنائهم.

وقيل: ما قدَّموه وما أخَّروه.

﴿وَإِلَى ٱللَّهِ تُرۡجَعُ ٱلۡأُمُورُ﴾؛ أي: مَرْجِعُ جميعِ الأمورِ إليه.

* * *

(١) أي: من الناس والملائكة، فيصطفيه إليهم رسولًا.

(٢) «خلق» من (ف).

(٧٧) ـ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱرۡكَعُواْ وَٱسۡجُدُواْۤ وَٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمۡ وَٱفۡعَلُواْ ٱلۡخَيۡرَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ﴾.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱرۡكَعُواْ وَٱسۡجُدُواْۤ﴾ الكلبيُّ: كانوا أوَّلَ الإسلام يصلُّون بغيرِ ركوعٍ ولا سجودٍ فأُمروا بهما[1].

وقيل: معناه: صلُّوا، وقيل: ولا تَقْصِدوا بالرُّكوع والسُّجود غيرَ الله من صنمٍ أو رياءٍ.

﴿وَٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمۡ﴾ يريد: سائرَ العبادات والفروض.

وقيل: وادعوا ربَّكم في صلاتِكم؛ فإنَّها موضعُ رجائكم.

﴿وَٱفۡعَلُواْ ٱلۡخَيۡرَ﴾ أراد: النَّوافل وسائرَ أبواب البِرِّ.

﴿لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ﴾: كي تُفلِحوا وتَفُوزوا وتبْقَوا في الجنَّة.

وقيل: لتكونوا على رجاءِ الفلاح.

عليٌّ رضي الله عنه: إذا فعلتُم ذلك ظَفِرْتُم بالمراد[2].

***

(١) ذكر نحوه الفراء في «معاني القرآن» (٢/ ٢٣١) بلا نسبة، وفيه: «كان الناس يسجدون بلا ركوع، فأمروا أن تكون صلاتهم بركوع قبل السجود»، ذكر السمرقندي في «تفسيره» (٢/ ٤٧١) عن ابن عباس رضي الله عنهما نحوه، وقال الآلوسي في «روح المعاني» (١٧/ ٤٢٣): «لم نره في أثر يعتمد عليه».

(٢) لم أجده.

(٧٨) - ﴿وَجَٰهِدُواْ فِي ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦۚ هُوَ ٱجۡتَبَىٰكُمۡ وَمَا جَعَلَ عَلَيۡكُمۡ فِي ٱلدِّينِ مِنۡ حَرَجٖۚ مِّلَّةَ أَبِيكُمۡ إِبۡرَٰهِيمَۚ هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلۡمُسۡلِمِينَ مِن قَبۡلُ وَفِي هَٰذَا لِيَكُونَ ٱلرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيۡكُمۡ وَتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِۚ فَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱعۡتَصِمُواْ بِٱللَّهِ هُوَ مَوۡلَىٰكُمۡۖ فَنِعۡمَ ٱلۡمَوۡلَىٰ وَنِعۡمَ ٱلنَّصِيرُ﴾.

﴿وَجَٰهِدُواْ﴾؛ أي: جاهدوا الكفَّارَ في نُصرةِ الإسلام ﴿فِي ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦ﴾، وحقُّ جهاده: أنْ لا تخافوا لومةَ لائمٍ.

وقيل: اعمَلوا للهِ حقَّ عمله.

وقيل: حتَّى لا يُعْبَدَ غيرُه.

وقيل: هي كقوله: ﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسۡتَطَعۡتُمۡ﴾ [التغابن: ١٦]، و﴿ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

ابن المبارك: هو جهادُ النَّفس والهوى، وهو الجهادُ الأكبر(١).

﴿هُوَ ٱجۡتَبَىٰكُمۡ﴾: اختاركُم لهذا الدِّين.

وقيل: اختاركم لجهادِ عدوِّه ونصرةِ نبيِّه.

وقيل: معناه: هداكم.

﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيۡكُمۡ فِي ٱلدِّينِ مِنۡ حَرَجٖ﴾: ضِيقٍ؛ أي: لم يضيِّقْ عليكم ولم يكلِّفْكم بما يَشتدُّ القيامُ به عليكم، بل رخَّص لكم في جميع ما كلَّفكم من الصَّلاة والصَّوم وغيرِ ذلك، وكذلك الخروجُ من الأيمان بالكفَّارات.

وقيل: معناه: جَعَل لكم من كلِّ ذنبٍ مَخرجاً بالتَّوبة وردِّ المَظْلِمة(٢)، فليس في

---

(١) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (١٨/ ٤١٣)، والواحدي في «البسيط» (١٥/ ٥٠٦).

(٢) اللام فيه مثلثة على ما نقله الزبيدي في «تاج العروس» مادة: (ظ ل م) (٣٣/ ٣٥).

دِين الإسلامِ ما لا سبيلَ إلى الخلاص، فلا عُذرَ لأحدٍ في تركِ الاستعدادِ للقيامة.

﴿مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَٰهِيمَ﴾ في نصبِ الملَّة أقوالٌ:

أحدها: خذُوها واتَّبعوها.

وقيل: وسَّع عليكم كملَّةِ إبراهيم؛ لأنَّ العرب من ذرِّيَّته. وقيل: لأنَّ النَّبيَّ أبو المؤمنين.

﴿هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ وَفِى هَٰذَا﴾ ابن عبَّاسٍ رضي الله عنهما في جماعةٍ: ﴿هُوَ﴾؛ أي: اللهُ سمَّاكم المسلمينَ في التَّوراةِ والإنجيلِ وسائرِ كتبه[1].

﴿وَفِى هَٰذَا﴾؛ أي: في القرآن، وقيل: في هذا الزَّمان.

الحسن: ﴿هُوَ﴾؛ أي: إبراهيمُ سمَّاكم المسلمين[2]؛ يريد: قولَه: ﴿وَٱجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ﴾ [البقرة: ١٢٨].

ويحتمِلُ على هذا التَّأويلِ أنْ يكونَ تقديرُ قوله: ﴿وَفِى هَٰذَا﴾؛ أي: في القرآنِ بيانُ تسميته إيَّاكم مسلمين، وهو قولُه: ﴿وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ﴾ [البقرة: ١٢٨][3].

﴿لِيَكُونَ ٱلرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ﴾ بالطَّاعةِ والقبول.

وقيل: ﴿شَهِيدًا عَلَيْكُمْ﴾ في إبلاغِ رسالة ربِّه إليكم.

وقيل: ﴿شَهِيدًا عَلَيْكُمْ﴾ يزكِّيكم.

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (١٦/ ٦٤٥) عن ابن عباس رضي الله عنهما بلفظ: «اللهُ سماكم المسلمين من قبلُ».

(٢) ذكره مكي بن أبي طالب في «الهداية» (٧/ ٤٩٣٨) عن الحسن وابن زيد، ورواه الطبري في «تفسيره» (١٦/ ٦٤٦)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٨/ ٢٥٠٧) عن ابن زيد.

(٣) ذكر هذا الاحتمال المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٧٦٨)، واستغربه.

﴿وَتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾ بتبليغِ الرُّسل رسالاتِ الله إليهم.

وقيل: شهداءَ على مَن بعدَكم بأنْ قد بلَّغتم إليهم ما بَلَّغ إليكم الرَّسولُ.

﴿فَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ بشرائطها ﴿وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ بفرائضها ﴿وَٱعْتَصِمُوا۟ بِٱللَّهِ﴾: تمسَّكوا بدِينه وامتَنِعوا بطاعته عن معصيته، واجعَلُوه عصمةً لكم ممَّا تحذرون.

وقيل: تمسَّكوا بقولِ: لا إلهَ إلَّا اللهُ.

﴿هُوَ مَوْلَىٰكُمْ﴾: مالكُكُم وناصرُكم ومتولِّي أموركم وخالقُكم ﴿فَنِعْمَ ٱلْمَوْلَىٰ﴾ لِمَن تولَّاه ونعمَ المولى لا يمنعُ الرِّزقَ بالعصيان ﴿وَنِعْمَ ٱلنَّصِيرُ﴾: نعمَ النَّاصرُ لمن استَنْصَره بلزومِ عبادته.

***

سُورَةُ المُؤۡمِنُونَ

سُورَةُ المؤمنون

مئةٌ وثماني عشْرةَ آيةً[1]، مكّيَّةٌ بالإجماعِ[2].

بسمِ اللّهِ الرَّحمنِ الرَّحيمِ

(١) ـ ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ﴾.

﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ﴾؛ أي: قد ظفِروا بالأُمنيةِ، والفَلاحُ: الظَّفَرُ بالأُمنيةِ.

وقيل: فازُوا، والفلاحُ: الفَوزُ.

وقيل: بقُوا، والفلاحُ: البقاءُ.

وقيل: رشَدُوا، والفلاحُ: الرُّشْدُ وصلاحُ أمرِ الدِّينِ والدُّنيا.

وأفاد ﴿قَدْ﴾ تقريبَ الماضي منَ الرّاهنِ وإثباتَ الفلاحِ لهم في الحالِ[3].

* * *

(٢) ـ ﴿الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ﴾.

﴿الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ﴾ في سببِ النُّزولِ: عن محمَّدِ بنِ سيرينَ، عن أبي هريرةَ رضي الله عنه: كانَ رسولُ الله ﷺ ينظرُ في الصَّلاةِ إلى السَّماءِ،

---

(١) في الكوفي، وتسع عشرة آية في عدد الباقين. انظر: «البيان» للداني (ص: ١٩١).

(٢) في (ف): «سورة المؤمنين مكية».

(٣) ذكره ابن فورك في «تفسيره» (١/ ٦٢)، وقد تقدمت الإشارة إلى هذا المعنى في التعليق على تفسير قوله تعالى: ﴿وَقَد دَّخَلُوا بِالْكُفْرِ وَهُمْ قَدْ خَرَجُوا بِهِ﴾.

فأنزلَ اللهُ هذه الآيةَ، فجعلَ رسولُ الله ﷺ وجهَه حيثُ يسجُدُ[١].

وأكثرُ المُفسِّرين على أنَّ الخشوعَ في الصَّلاةِ هو: أن ينظُرَ إلى موضعِ سُجودِه إذا كان قائمًا.

ومنهم مَن قال: إلَّا بمكَّةَ؛ فإنَّه يُستَحبُّ أن ينظُرَ إلى البيتِ.

وقيل: ﴿خَٰشِعُونَ﴾: خائفون.

وقيل: مُتواضِعون.

عطاءٌ: هو ألَّا تعبَثَ بشيءٍ من جسدِكَ في الصَّلاةِ[٢]؛ فإنَّ النَّبيَّ ﷺ أبصرَ رجلًا يعبَثُ بلحيتِه في الصَّلاةِ فقال: «لو خشَعَ قلبُ هذا لخشَعَتْ جوارِحُه»[٣].

---

(١) رواه الحاكم في «المستدرك» (٣٤٨٣) من طريق محمد بن سيرين عن أبي هريرة رضي الله عنه، وقال: «صحيح على شرط الشيخين لولا خلاف فيه على محمد، فقد قيل عنه مرسلاً». وقال الذهبي: «الصحيح مرسل».

والمرسل رواه عبد الرزاق في «المصنف» (٣٢٦١)، وأبو داود في «المراسيل» (٤٥)، والطبري في «تفسيره» (١٧/ ٧)، والبيهقي في «السنن الكبرى» (٢/ ٢٨٣) وقال: «هذا هو المحفوظ مرسل».

(٢) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (١٨/ ٤٣٥)، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٧٦٩)، واستغربه.

(٣) رواه الترمذي الحكيم في «نوادر الأصول» (٣/ ٢١٠) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعًا، وسنده ضعيف كما قال العراقي في «تخريج أحاديث الإحياء» (١/ ١٠٥).

وفيه سليمان بن عمرو، قال الزيلعي في «تخريج أحاديث الكشاف» (٢/ ٤٠٠): «وسليمان بن عمرو هذا يشبه أن يكون هو أبو داود النخعي فإني لم أجد أحداً في هذه الطبقة غيره، وقد اتفقوا على ضعفه، قال ابن عدي: أجمعوا على أنه يضع الحديث.

وقال العراقي: والمعروف أنه من قول سعيد بن المسيب». قلت: روى هذه القصة عن سعيد بن المسيب: ابنُ المبارك في «الزهد» (١١٨٨)، وعبد الرزاق في «المصنف» (٣٣٠٨)، وابن أبي شيبة في «المصنف» (٦٧٨٧)، والمروزي في «تعظيم قدر الصلاة» (١٥١).

وروى مثله المروزي أيضًا (١٥٠) عن حذيفة رضي الله عنه.

والخشوعُ في اللُّغةِ: التَّذلُّل والإخباتُ.

***

(٣) ـ ﴿وَٱلَّذِينَ هُمۡ عَنِ ٱللَّغۡوِ مُعۡرِضُونَ﴾.

﴿وَٱلَّذِينَ هُمۡ عَنِ ٱللَّغۡوِ﴾ ابنُ عبَّاسٍ رضي الله عنهما: اللَّغْوُ: الباطلُ(١).

الحسَنُ: جميعُ المعاصي(٢).

السُّدِّيُّ: الكذبُ(٣).

وقيل: الشَّتمُ(٤).

وقيل: مجالسُ المُبتَدِعين.

الكلبيُّ: الحلِفُ(٥).

واللَّغوُ: ما حقُّه أن يُطَّرَحَ ويُلْغَى.

﴿مُعۡرِضُونَ﴾ الإعراضُ عن الشَّيءِ: أن يكونَ في عُرْضٍ غيرِ عُرْضِه؛ أي: ناحيتِه وجانبِه(٦).

***

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (١٧/ ١١).

(٢) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (١٩٥٦)، والطبري في «تفسيره» (١٧/ ١١).

(٣) ذكره عن السدي ابن الجوزي في «زاد المسير» (٣/ ٢٥٦)، وذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٤/ ٤٦) عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٤) انظر: «تفسير مقاتل» (٣/ ١٥٢).

(٥) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٧/ ٣٩)، والواحدي في «البسيط» (١٥/ ٥٢٢)، عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٦) تقدم نحوه في تفسير قوله تعالى: ﴿ٱقۡتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمۡ وَهُمۡ فِي غَفۡلَةٖ مُّعۡرِضُونَ﴾.

(٤) ـ ﴿ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَوٰةِ فَٰعِلُونَ ﴾.

﴿ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَوٰةِ فَٰعِلُونَ ﴾ الزَّكاةُ في الشَّرعِ: أداءُ الصَّدقةِ الواجبةِ في المالِ بالحولِ، وهو المرادُ في الآيةِ.

وقيل: صدقةُ الفِطرِ.

وقيل: هي الصَّدقةُ؛ لأنَّ هذه السُّورةَ نزلَتْ قبل فرضِ الزَّكاةِ.

واستُعملَ[1] لفظُ الفعلِ لعمومِه في جميعِ الأفعالِ وكلِّ ما يُحدَثُ، قال أميَّةُ:

المُطعِمـونَ الطَّعـامَ فـي السَّـنةِ الأَزمةِ والفاعِلُـونَ للزَّكَواتِ[2]

ودخلَ اللَّامُ لتقدُّمِ المفعولِ، ولأنَّ اسمَ الفاعلِ لا يبلُغُ قوَّتَه في العملِ قوَّةَ الفعلِ، تقولُ: هذا ضاربٌ لزيدٍ، ولا يجوزُ: ضَرَبَ لزيدٍ[3].

ويحتمِلُ أن يكونَ المفعولُ محذوفًا، واللامُ لامُ العلَّةِ، والمعنى: يفعلون ما يفعلون للزَّكاةِ؛ أي: ليصيرُوا عندَ الله أزكياءَ.

* * *

(٥) ـ ﴿ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَٰفِظُونَ ﴾.

﴿ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَٰفِظُونَ ﴾ لا يبذُلونَها في المُحرَّمِ.

---

(١) في (ف): «ويستعمل».

(٢) انظر: «ديوان أمية» (ص: ٣٠)، و«تفسير الثعلبي» (١٨/ ٤٤٤)، و«البسيط» (١٥/ ٥٣٣).

(٣) لأن تأخر العامل عن المعمول يكسبه ضعفاً، فتأتي هذه اللام لتقوي هذا الضعف، تقول: لك ضربت، فإذا قدمت قلت: ضربتك، وكذا إذا كان العامل فربما قوي بهذه اللام. انظر: «المقتضب» (٢/ ٣٧)، و«شرح التسهيل» لابن مالك (٣/ ١٤٨)، و«شرح الرضي على الكافية» (٢/ ٢٠٣) و(٤/ ٢٨٤).

الحسَنُ: ﴿لِفُرُوجِهِمْ﴾: لثيابهم[١].

دخلَ اللَّامُ لتقدُّمِ المفعولِ وضَعْفِ اسمِ الفاعلِ، كما سبقَ.

***

(٦) - ﴿إِلَّا عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ﴾.

﴿إِلَّا عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ﴾ أرادَ: إلَّا على نسائِهم وإمائِهم، و﴿مَا﴾ بمعنى (مَن)[٢].

و﴿عَلَىٰٓ﴾ هاهنا بمعنى (مِن)؛ أي: يحفَظُونَها إلَّا مِنَ الأزواجِ والإماءِ[٣].

وقيل: ضدُّ الحفظِ الاسترسالُ والتَّخليةُ، وذلك يقتَضي (على).

المُبرِّدُ: في الحفظِ معنى الامتناعِ، والتَّقديرُ عندَه: امتنعَتْ إلَّا على أزواجِهم[٤].

وذهبَ الزَّجَّاجُ إلى أنَّ المعنى: يُلامون في إطلاقِ ما حُظِرَ عليهم إلَّا على أزواجِهم[٥].

والعبدُ والأمةُ يُسمَّيانِ مِلْكَ اليمينِ دونَ العَقارِ والدَّارِ.

﴿فَإِنَّهُمْ﴾؛ أي: الحافظينَ فُروجَهم ﴿غَيْرُ مَلُومِينَ﴾ لا يُلامُونَ على استرسالِها على الأزواجِ والإماءِ.

---

(١) في (و) و(ن): «لنسائهم». والمثبت من (ف) و«غرائب التفسير» (٢/ ٧٧٠)، وفيه: «لثيابهم حافظون فلا يكشفونها على محرم»، واستغربه.

(٢) ذكر هذا المبرد في «المقتضب» (١/ ٤٢)، وذكر وجهاً آخر، وهو أن تكون (ما) مصدرية. انظر: (٢/ ٥٢)، وانظر: «شرح الكافية الشافية» لابن مالك (١/ ٢٧٦).

(٣) ذكره الفراء في «معاني القرآن» (٢/ ٢٣١).

(٤) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٧٧١).

(٥) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٤/ ٦)، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٧٧١)، واستغربه.

(٧) ـ ﴿فَمَنِ ٱبْتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْعَادُونَ﴾.

﴿فَمَنِ ٱبْتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ﴾؛ أي: طلبَ سواها ﴿فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْعَادُونَ﴾؛ أي: مَن طلبَ من غيرِ الأزواجِ والإماءِ قضاءَ شهوتِه فهو مُتجاوِزٌ ما حُدَّ له منَ الحلالِ إلى الحرامِ.

ومَن استَمْنَى بيدِه فهو منَ العادِين، وسُئِل ابنُ عبَّاسٍ رضي الله عنهما عن ذلك فقال: هو ناكحُ يدِه[1].

***

(٨) ـ ﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ لِأَمَٰنَٰتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَٰعُونَ﴾.

﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ لِأَمَٰنَٰتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَٰعُونَ﴾ الأمانةُ: ما ائتُمِنُوا فيه من أمرِ الدِّينِ والدُّنيا، منَ الصَّلاةِ والزَّكاةِ والصَّومِ والاغتسالِ منَ الحدَثِ والجَنابةِ، وكذلك أمانةُ بعضِهم لبعضٍ منَ الودائعِ والبضائعِ، وكذلك ما عُوهِدوا عليه في الدِّينِ والدُّنيا، وما عقَدَ بعضُهم لبعضٍ منَ العقودِ والعهودِ التي يجبُ الوفاءُ بها.

وأصلُ المُراعاةِ: قيامُ الرَّاعي بإصلاحِ ما يتولَّاه.

***

(٩) ـ ﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَٰتِهِمْ يُحَافِظُونَ﴾.

﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَٰتِهِمْ يُحَافِظُونَ﴾ يريدُ: الصَّلواتِ الخمسَ؛ أي: يُحافِظون أوقاتَها ووُضوءَها ورُكوعَها وسُجودَها.

---

(١) لم أقف عليه عن ابن عباس رضي الله عنه، وقد استدل الإمام الشافعي رحمه الله على تحريم الاستمناء باليد بهذه الآية الكريمة. انظر: «الأم» (٥/ ١٠٢، ١٥٥).

وأعادَ ذِكرَ الصَّلاةِ وقد بدأ بها تأكيدًا لحفظِ الصَّلاةِ، ولأنَّ(١) الخشوعَ فيها غيرُ المُحافظةِ عليها(٢).

وقيل: يُريدُ: التَّطوُّعَ(٣).

***

(١٠) ـ ﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡوَٰرِثُونَ﴾.

﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡوَٰرِثُونَ﴾؛ أي: الذين اجتمَعَتْ فيهم هذه الخصالُ ﴿هُمُ ٱلۡوَٰرِثُونَ﴾ ثمَّ بيَّنَ ما يرِثُونَ فقالَ:

(١١) ـ ﴿ٱلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلۡفِرۡدَوۡسَ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾.

﴿ٱلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلۡفِرۡدَوۡسَ﴾ في الوراثةِ أقوالٌ:

أحدُها: أنَّها بمعنى العاقبةِ وإنْ لم يكُنْ لمَن تقدَّمَه.

والثَّاني: أنَّهم يرِثُونَ منَ الكفَّارِ منازِلَهم حيثُ فوَّتَها الكفَّارُ على أنفسِهم بكُفرِهم؛ لأنَّ اللهَ خلَقَ لكلِّ إنسانٍ منزلًا في الجنَّةِ ومنزلًا في النَّارِ.

والثَّالثُ: الوراثةُ أقوى سببٍ يقعُ في ملكِ الشَّيءِ، لا يَتعقَّبُه ردٌّ ولا فَسْخٌ ولا إقالةٌ ولا نَقْضٌ(٤).

والفردوسُ: البستانُ يَجمعُ محاسِنَ النَّباتِ والأشجارِ، والعربُ تُسمِّي البستانَ الذي فيه الكَرْمُ فردوسًا، وكَرْمٌ مُفَرْدَسٌ: مَعْروشٌ.

---

(١) في (ف): «ونهى».

(٢) انظر: «تفسير الثعلبي» (١٨/ ٤٤٩).

(٣) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٧٦٩)، واستغربه.

(٤) تقدم هذا القول والذي قبله في تفسير قوله تعالى: ﴿تِلۡكَ ٱلۡجَنَّةُ ٱلَّتِي نُورِثُ مِنۡ عِبَادِنَا مَن كَانَ تَقِيّٗا﴾.

وقيل: أصلُه روميٌّ فعُرِّبَ[1].

الحسنُ في جماعةٍ: هي اسمُ الجنَّةِ[2].

وقيل: أفضلُ الجنانِ وأوسطُها، وعن أبي هريرةَ رضي الله عنه: «إنَّ في الجنَّةِ مئةَ درجةٍ، بينَ كلِّ درجتَينِ كما بينَ السَّماءِ والأرضِ، وإذا سألتُم اللهَ فاسألوه الفردوسَ فإنَّها أعلى الجنَّةِ، وفوقَها عرشُ الرَّحمنِ، ومنها تُفجَّرُ أنهارُ الجنَّةِ»[3].

﴿هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾.

***

(١٢ ـ ١٣) ـ ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن طِينٍ ﴿١٢﴾ ثُمَّ جَعَلْنَٰهُ نُطْفَةً فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ﴾.

﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٍ﴾ في الإنسانِ هاهنا قولانِ:

أحدُهما: أنَّه آدمُ عليه السَّلامُ، والسُّلالةُ: كلُّ لطيفٍ استُخرِجَ من كثيفٍ.

وقيل: السُّلالةُ: ما يخرجُ بين الأُصبُعَين منَ الشَّيءِ إذا عُصِرَ.

ابنُ عيسى: السُّلالةُ: صَفوةُ الشَّيءِ التي تخرجُ منه؛ كأنَّها تُسَلُّ منه[4].

والمعنى: خلَقْنا آدمَ من تربةٍ سُلَّتْ ونُزِعَتْ من طينٍ؛ أي: من هاهنا وهاهنا.

---

(١) ذكر هذا السيوطي في «المهذب» (ص: ١٢٠ ـ ١٢١) عن مجاهد وسعيد بن جبير، وذكر عن السدي أنها الكرم بالنبطية، وعن كعب أنها جنات الأعناب بالسريانية.

(٢) ذكره يحيى بن سلام في «تفسيره» (١/ ٣٩٤)، والماوردي في «النكت والعيون» (٤/ ٤٧).

(٣) رواه البخاري (٢٧٩٠). وقد تقدم الكلام على (الفردوس) في تفسير قوله تعالى: ﴿كَانَتْ لَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلْفِرْدَوْسِ نُزُلًا﴾.

(٤) ذكره ابن فورك في «تفسيره» (١/ ٧٠) بلا نسبة.

وأجمَعوا على أنَّ اللهَ خلقَ آدمَ عليه السَّلامُ من تُرابٍ.

واختلَفُوا في حوَّاءَ؛ والجمهورُ على أنَّها خُلِقَتْ من ضِلَعٍ من أضلاعِه.

وقيل: خُلِقَتْ من بقيَّةِ طينِ آدمَ.

﴿ ثُمَّ جَعَلْنَهُ ﴾؛ أي: نسلَه، فحُذِفَ المُضافُ وأُقيمَ المضافُ إليه مُقامَه؛ لأنَّ آدمَ لم يُصيَّرْ نُطفةً، والمعنى: خلَقْنا نسلَه من نطفةٍ، ومثلُه قولُه: ﴿ ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُۥ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ ﴾ [السجدة: ٨].

والثّاني: أنَّ الإنسانَ عامٌّ في بني آدمَ، والسُّلالةُ على هذا القولِ: النُّطفةُ، والطِّينُ: آدمُ عليه السَّلامُ؛ لأنَّه خُلِقَ منه، وتقديرُه: خلَقْنا بني آدمَ من نُطفةِ آدمَ؛ فإنَّ ابنَ عبَّاسٍ رضي الله عنهما في جماعةٍ ذهبوا إلى أنَّ السُّلالةَ هاهنا: ماءُ الفحلِ الذي هو آدمُ(١).

﴿نُطْفَةً﴾؛ أي: قدَّرْنا ذلك الماءَ نُطفةً، فذكَّرَ الكنايةَ عن السُّلالةِ(٢) حملًا على المعنى؛ لأنَّها الماءُ.

وقيل: يعودُ إلى الإنسانِ على تقديرِ ذكرِ بدءِ الخلقِ، وبنو آدمَ كلُّهم من نُطفةٍ إلّا عيسى عليه السَّلامُ؛ فإنَّه خُلِقَ منَ الرُّوحِ، وقيل: منَ التُّرابِ كآدمَ.

عطاءٌ الخراسانيُّ: بلَغَني أنَّه يذرُّ على النُّطفةِ منَ التُّربةِ التي يُدفَنُ فيها(٣).

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (١٧/ ١٩) عن ابن عباس رضي الله عنهما بلفظ: «صفوة الماء»، وذكره الثعلبي في «تفسيره» (١٨/ ٤٦٠) بلفظ: «أي: من صفوة ماء آدم ـ الذي هو من الطين ـ ومنيه».

(٢) فقال: جعلناه؛ بضمير المذكر.

(٣) رواه ابن عبد البر في «التمهيد» (٢٤/ ٤٠٠)، وعزاه السيوطي في «الدر المنثور» (٥/ ٥٨٤) إلى عبد بن حميد وابن المنذر، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٧٧٢)، وعدَّه من العجائب.

الحسَنُ: أي: خلَقْنا آدمَ منَ الطِّينِ ونسلَه منَ النُّطفةِ(١).

المُبرِّدُ: النُّطفةُ: الماءُ الصَّافي يبقَى في الشَّيءِ وإنْ كثُرَ كدجلةَ وأشباهِها، ونُطفةُ الرَّجلِ مُشبَّهةٌ بذلك الماءِ(٢).

قولُه: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَٰهُ نُطْفَةً﴾: صيَّرناه وقدَّرْناه ﴿فِى قَرَارٍ﴾ القَرارُ: مصدرُ قرَّ يَقِرُّ قرارًا، ثمَّ يُسمَّى الموضعُ الذي يَقِرُّ فيه: قرارًا، والمُرادُ به: الرَّحِمُ.

﴿مَّكِينٍ﴾: حَصينٍ منيعٍ؛ أي: مَكُنَ لاستقرارِه فيه إلى التَّمامِ.

* * *

(١٤) ـ ﴿ثُمَّ خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا ٱلْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا ٱلْمُضْغَةَ عِظَٰمًا فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَٰمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ﴾.

﴿ثُمَّ خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ عَلَقَةً﴾؛ أي: صيَّرْناها وقدَّرْناها، بدلالةِ تعدِّيه إلى مفعولَين والخلقُ يتعدَّى إلى مفعولٍ واحدٍ(٣)، والمعنى: أحَلْنا النُّطفةَ البيضاءَ علقةً حمراءَ، والعلَقةُ: القِطعةُ منَ الدَّمِ.

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (١٨/ ٦٠٠) عن قتادة بنحوه.

(٢) في «الصحاح» مادة: (ن ط ف): النطفة: الماء الصافي قل أو كثر، والجمع: النطاف، والنطفة: ماء الرجل، والجمع: نُطَف.

(٣) ذكر المصنف أن (جعل) يأتي بمعنى: خلق، وصيّر، وسمَّى، وحكم. ذكر ذلك في تفسير قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ءَايَتَيْنِ﴾، وذكر هنا أن (خلق) بمعنى: صيَّر، وأنها تنصب لذلك مفعولين، وقال أبو حيان في «ارتشاف الضرب» (٤/ ٢١٠٦): «وقال بعض الناس: يصح أن يكون خلق بمعنى جعل، فيكسبها ذلك قوة التعدي إلى اثنين، فيكون (ضعيفاً) من قوله تعالى: ﴿وَخُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ ضَعِيفًا﴾ مفعولاً ثانياً. اهـ. ولا أعلم نحوياً ذهب إلى أن (خلق) يتعدّى إلى اثنين، فيكون من هذا الباب». وقد نقل القرطبي في «تفسيره» (١٨/ ٢٠٨) عن سيبويه أنه جعل (طباقاً) في قوله تعالى: ﴿خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ طِبَاقًا﴾ مفعولاً ثانياً، فيكون (خلق) بمعنى: جعل وصيَّر ولم أقف على هذا النقل في «الكتاب»، والله أعلم.

﴿فَخَلَقْنَا ٱلْعَلَقَةَ مُضْغَةً﴾: أحَلْنا العلَقةَ مُضغةً، وهي القِطعةُ منَ اللَّحمِ مقدارَ ما يُمضغُ ﴿فَخَلَقْنَا ٱلْمُضْغَةَ﴾: أحَلْناها وصيَّرْناها عظامًا ﴿فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَٰمَ لَحْمًا﴾: أنبَتْنا عليها اللَّحمَ فصارَ لها كاللِّباسِ.

﴿ثُمَّ أَنشَأْنَٰهُ﴾ الهاءُ يعودُ إلى الإنسانِ.

وقيل: إلى المذكورِ؛ أي: أنشأنا ذلك.

﴿خَلْقًا ءَاخَرَ﴾ عن ابنِ عبَّاسٍ رضي الله عنهما في جماعةٍ: أنَّه نفْخُ الرُّوحِ[(١)].

قتادةُ والضَّحَّاكُ: إنشاؤُه خلقًا آخرَ بعد الولادةِ في الطُّفولةِ والكهولةِ والاغتذاءِ ونباتِ الشَّعرِ والسِّنِّ[(٢)].

مجاهدٌ: أنَّه حينَ استوَى شبابُه[(٣)].

الحسَنُ: جعلَه ذكرًا أو أُنثى[(٤)].

﴿فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ﴾ أي: المُقدِّرين؛ أي: أعلَمُهم وأصنَعُهم، والعربُ تُسمِّي كلَّ صانعٍ خالقًا.

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (١٧/ ٢٢)، وذكره الثعلبي في «تفسيره» (١٨/ ٤٦٣) عن ابن عباس ومجاهد والشعبي وعكرمة وأبي العالية والضحاك وابن زيد.

(٢) ذكره عنهما الواحدي في «البسيط» (١٥/ ٥٤٠) بلفظ: «هو نبات الشعر والأسنان»، ورواه عنهما بنحو هذا الطبري في «تفسيره» (١٧/ ٢٤)، ورواه الطبري أيضاً عن ابن عباس بمعنى لفظ المؤلف، لكن إسناده ضعيف.

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (١٧/ ٢٤)، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٧٧٣)، واستغربه.

(٤) ذكره الماتريدي في «تأويلات أهل السنة» (٧/ ٤٥٦)، وابن أبي زمنين في «تفسيره» (٣/ ١٩٦)، والماوردي في «النكت والعيون» (٤/ ٤٨)، وابن الجوزي في «زاد المسير» (٣/ ٢٥٧).

وقيل: خلْقُه حقيقةٌ، وخلْقُ غيرِه مَجازٌ وتمثيلٌ وباطلٌ، من قولِه: ﴿وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا﴾ [العنكبوت: ١٧]، الحُسْنُ متعلِّقٌ بالخلقِ.

ورُوِيَ أنَّ عمرَ رضي الله عنه كان حاضِرًا، فلمَّا سمعَ الآيةَ قال: فتباركَ اللهُ أحسنُ الخالقين، فوافقَ قراءتَه وحيُ جبريلَ عليه السَّلامُ، فقالَ النَّبيُّ ﷺ: «هكذا أُنزِلَ»[١]، ويُقالُ: كان قائلُ هذا الكلامِ معاذَ بنَ جبلٍ رضي الله عنه[٢].

ورُوِيَ عن ابنِ عبَّاسٍ رضي الله عنهما قال: كانَ عبدُ اللهِ بنُ أبي سَرْحٍ يكتُبُ هذه الآيةَ لرسولِ اللهِ ﷺ، فلمَّا انتهى إلى قولِه: ﴿خَلْقًا ءَاخَرَ﴾ عجِبَ من تفصيلِ خلقِ الإنسانِ فقالَ: تباركَ اللهُ أحسَنُ الخالقين، فقالَ النَّبيُّ ﷺ: «اكتبْ، هكذا أُنزِلَتْ»،

(١) رواه أبو داود الطيالسي في «مسنده» (٤١)، والآجري في «الشريعة» (١٣٢٩)، وابن أبي حاتم كما في «تفسير ابن كثير» عند هذه الآية، من طريق أنس عن عمر رضي الله عنهما.
ورواه الطبراني في «المعجم الكبير» (١٢٢٤٤)، و«الأوسط» (٥٦٦٢)، عن ابن عباس رضي الله عنهما. قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٩/ ٦٨): «رواه الطبراني في «الكبير» و«الأوسط»، وفيه أبو عبيدة بن الفضيل بن عياض، وهو لين، وبقية رجاله ثقات».
وليس في هذه الروايات: «هكذا أنزل»، لكن رَوَى ابن أبي شيبة وعبد بن حميد وابن المنذر ـ كما في «الدر المنثور» (٦/ ٩٢) ـ وابن شاهين في «شرح مذاهب أهل السنة» (١٣٧) عن صالح أبي الخليل قال: نزلت هذه الآية على النبي ﷺ: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن طِينٍ﴾ إلى قوله: ﴿ثُمَّ أَنشَأْنَٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ﴾ قال عمر: ﴿فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ﴾ فقال: «وَالَّذي نَفسِي بِيَدِهِ إِنَّهَا ختمت بِالَّذِي تَكَلَّمت يَا عمر».
وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٧٧٣)، واستغربه.

(٢) رواه الطبراني في «المعجم الأوسط» (٤٦٥٧)، وابن أبي حاتم في كما في «تفسير ابن كثير» (٥/ ٤٠٩)، من حديث زيد بن ثابت رضي الله عنه، قال ابن كثير: «وفي إسناده جابر بن يزيد الجعفي ضعيف جداً، وفي خبره هذا نكارة شديدة، وذلك أن هذه السورة مكية، وزيد بن ثابت إنما كتب الوحي بالمدينة، وكذلك إسلام معاذ بن جبل إنما كان بالمدينة أيضاً، فالله أعلم».

فشَكَّ عندَ ذلك وقالَ: إنْ كانَ محمَّدٌ صادِقًا فيما يقولُ: إنَّه يُوحَى إليه، فقد أُوحِيَ إليَّ كما أُوحِيَ إليه، وإنْ قالَ من ذاتِ نفسِه فقد قلتُ مثلَ ما قالَ، فكفرَ بالله[1].

وقيل: هذه الحكايةُ غيرُ صحيحةٍ؛ لأنَّ ارتدادَه كان بالمدينةِ، وهذه السُّورةُ مكِّيَّةٌ.

***

(١٥) - ﴿ثُمَّ إِنَّكُم بَعْدَ ذَلِكَ لَمَيِّتُونَ﴾.

﴿ثُمَّ إِنَّكُم بَعْدَ ذَلِكَ﴾: بعدَ الخلقِ.

وقيل: بعد ما ذكَرْنا من أمرِكم.

﴿لَمَيِّتُونَ﴾ أي: صائرون إليه، فنُزِّلَ منزلةَ الكائنِ؛ إذ لا بدَّ من كونِه.

***

(١٦) - ﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ تُبْعَثُونَ﴾.

﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ تُبْعَثُونَ﴾: تُحيَون بعدَ المماتِ للجزاءِ والحسابِ.

***

---

(١) ذكره السمرقندي في «تفسيره» (٢/ ٤٧٦)، والواحدي في «أسباب النزول» (ص: ٢٢٤) من رواية الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس، ومعلوم أنه طريق ساقط، وقال الزيلعي في «تخريج أحاديث الكشاف» (٢/ ٤٠١): «غريب»، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٧٧٣)، وعدَّه من العجائب.

وأصل القصة رواها أبو داود (٤٣٥٨)، والنسائي (٤٠٦٩)، ولفظه: «عن ابن عباس قال: كان عبد الله بن سعد بن أبي سرح يكتب لرسول الله ﷺ، فأزله الشيطان، فلحق بالكفار، فأمر به رسول الله ﷺ أن يقتل يوم الفتح، فاستجار له عثمان بن عفان، فأجاره رسول الله ﷺ».

(١٧) ـ ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعَ طَرَآئِقَ وَمَا كُنَّا عَنِ ٱلْخَلْقِ غَٰفِلِينَ ﴾.

﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعَ طَرَآئِقَ ﴾ أجمعَ المُفسِّرون على أنَّ المُرادَ بها: السَّماواتُ، جمعُ طريقةٍ، وهي من قولِ العربِ: طارَقْتُ النَّعلَ؛ أي: جعَلْتُ بعضَها فوقَ بعضٍ[1].

وقيل: لأنَّها طُرُقُ الملائكةِ يسيرون فيها ويقِفُون عليها[2].

وقيل: لأنَّ كلَّ واحدةٍ منها طريقةٌ[3]؛ أي: حالٌ وهيئةٌ وصِبغةٌ غيرُ صِبغةِ[4] الأُخرَى.

﴿وَمَا كُنَّا عَنِ ٱلْخَلْقِ غَٰفِلِينَ ﴾ أي: كُنَّا حافظين لِمَا خلَقْنا.

وقيل: ﴿وَمَا كُنَّا عَنِ ٱلْخَلْقِ غَٰفِلِينَ ﴾ فحفِظْناها عنِ السُّقوطِ عليهم.

وقيل: وما كنَّا عمَّن تحتَها منَ الخلقِ غافلين.

وقيل: وما كنَّا عن خلقِ السَّماواتِ غافلين فيقعَ فيها التَّفاوُتُ والفطورُ[5].

الحسَنُ: لم يَغْفُلْ عن إنزالِ ما يُحييهم عليهم منَ المطرِ[6].

وقيل: لم تحجُبْنا السَّماواتُ عمَّا تحتَها.

وقيل: ما كنَّا عن أرزاقِهم غافلين، ويحتمِلُ: عن شكرِهم وكفرِهم.

والغُفولُ: ذَهابُ المعنى عن النَّفسِ، ومثلُه السَّهوُ.

---

(١) هذا قول الخليل وابن قتيبة، ونسب للفراء والزجاج. انظر: «العين» مادة: (ط ر ق) (٥/ ٩٧)، و«معاني القرآن» للفراء (٢/ ٢٣٢)، و«غريبه» لابن قتيبة (ص: ٢٩٦)، و«معانيه» للزجاج (٤/ ٩) و(٥/ ١٩٨)، و«اللباب» لابن عادل (١٤/ ١٨٥).

(٢) هذا قول علي بن عيسى الرقاني. انظر: «اللباب» لابن عادل (١٤/ ١٨٥).

(٣) في (ف): «لأنَّ لكلِّ واحدةٍ منها طريقةً».

(٤) في (ف): «وصيغة غير صيغة».

(٥) في (ف): «والفتور».

(٦) ذكره ابن أبي زمنين في «تفسيره» (٣/ ١٩٧)، والثعلبي في «تفسيره» (١٨/ ٤٧٣)، والماوردي في «النكت والعيون» (٤/ ٤٩)، ولو أخر المصنف كلمة (عليهم)، لكان أظهر، وكذا لو لم يذكرها.

(١٨) - ﴿وَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَّاهُ فِي الْأَرْضِ وَإِنَّا عَلَى ذَهَابٍ بِهِ لَقَادِرُونَ﴾.

﴿وَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ﴾ أي: من جانبِ السَّماءِ.

وقيل: منَ السَّحابِ.

وقيل: من عينِ السَّماءِ.

﴿مَاءً﴾: مطرًا ﴿بِقَدَرٍ﴾: قَدْرَ ما يكفيهم لشُربِهم وزَرعِهم.

وقيل: بقدرٍ معلومٍ لا يزيدُ عليه ولا يُنقَصُ منه.

ورُوِيَ عن ابنِ مسعودٍ رضي الله عنه أنَّه قال: ليست سَنَةٌ بأمطرَ من سنةٍ، ولكنَّ اللهَ يُصرِّفُه حيثُ يشاءُ(١).

وقيل: ﴿بِقَدَرٍ﴾: بوزنٍ، والجارُّ والمجرورُ صفةٌ للماءِ.

وقيل: هذا الماءُ غيرُ المطرِ، وإنَّما هو أنهارٌ أربعةٌ تخرجُ منَ الجنَةِ: سَيْحانُ نهرُ الهندِ، وجَيْحانُ نهرُ بلْخَ، ودِجْلةُ والفُراتُ نهرا عراقٍ، وزاد بعضُ المُفسِّرين خامسًا وهو نيلُ مصرَ(٢).

وقيل: جميعُ مياهِ الأرضِ منَ المطرِ، وهو قولُه: ﴿فَأَسْكَنَّاهُ فِي الْأَرْضِ﴾؛ أي: جعَلْناه ثابتًا في الأرضِ لينتفِعَ به عبادُه في شُربِهم ومعاشِهم، ﴿وَإِنَّا عَلَى ذَهَابٍ بِهِ لَقَادِرُونَ﴾؛ أي: كما قدَرْنا على إنزالِه نقدرُ على إذهابِه، فيُصبِحُ ماؤُكم غورًا.

* * *

(١) رواه ابن أبي الدنيا في «المطر والرعد» (٧٦)، والطبري في «تفسيره» (١٤/ ٤٠)، ورواه العقيلي في «الضعفاء» (٣/ ٢٢٨) مرفوعًا وموقوفًا، وقال: «الموقوف أولى».

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٧٧٤)، واستغربه.

(١٩) ـ ﴿فَأَنشَأْنَا لَكُم بِهِۦ جَنَّٰتٍ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَٰبٍ لَّكُمْ فِيهَا فَوَٰكِهُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ﴾.

﴿فَأَنشَأْنَا لَكُم بِهِۦ﴾: فخلَقْنا لكم بالماءِ ﴿جَنَّٰتٍ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَٰبٍ﴾ خُصّا بالذِّكرِ لكثرتِهما بالحجازِ. النَّخْلُ بمكَّةَ، والعِنَبُ بالطَّائفِ[١].

﴿لَّكُمْ فِيهَا﴾: في الجنَّاتِ ﴿فَوَٰكِهُ كَثِيرَةٌ﴾ سوى النَّخيلِ والأعنابِ.

وقال بعضُ المفسِّرين: التَّمرُ والعِنَبُ ليسا منَ الفواكهِ، ولهذا أفردَ الفواكهَ بالذِّكرِ[٢].

﴿وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ﴾ قيل: منَ النَّخيلِ والأعنابِ.

وقيل: منَ الجنَّاتِ؛ أي: من ثمارِها وزُروعِها.

وقيل: منَ الفواكهِ[٣]، على تقديرِ: لتتفكَّهوا بها فتأكلوا منها؛ لأنَّ الواوَ تمنعُ من أن يكونَ الضَّميرُ منَ الفواكهِ إلَّا بإضمارٍ كما ذكرتُ[٤].

* * *

(٢٠) ـ ﴿وَشَجَرَةً تَخْرُجُ مِن طُورِ سَيْنَآءَ تَنۢبُتُ بِٱلدُّهْنِ وَصِبْغٍ لِّلْءَاكِلِينَ﴾.

﴿وَشَجَرَةً تَخْرُجُ مِن طُورِ سَيْنَآءَ﴾ أي: وأنشأنا شجرةً، وهي شجرةُ الزَّيتونِ، وخُصَّ بالذِّكرِ لبركتِه وكثرةِ الانتفاعِ به منَ الاستصباحِ به والاصطِباغِ.

﴿تَخْرُجُ﴾: تنبُتُ، والطُّورُ: الجبلُ.

---

(١) ذكر نحوه الطبري في «تفسيره» (١٧/ ٢٨)، لكنه ذكر المدينة لا مكة، وذكر مكة سهو؛ فمكة في واد غير ذي زرع، والله أعلم.

(٢) قال الأزهري في «تهذيب اللغة» (٦/ ١٨): «وما علمت أحداً في العرب قال في النخيل والكروم وثمارهما: إنها ليست من الفاكهة»، وذهب إلى أنها إنما ذكرت بعد الفاكهة تنبيهاً على فضلها.

(٣) ذكره الطبري في «تفسيره» (١٧/ ٢٨)، ونبَّه المصنف على وجه جوازه في اللغة.

(٤) ذكر الزمخشري وجهاً آخر للإضمار، فقال: «لا يجوز أن يكون قوله: ﴿وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ﴾ من قولهم: يأكل فلان من حرفة يحترفها، ومن ضيعة يغتلّها، ومن تجارة يتربَّح بها، يعنون أنها طعمته وجهته التي منها يحصل رزقه...». انظر: «الكشاف» (٣/ ١٨٠).

عكرمةُ: هو الجبلُ بالسُّريانيَّةِ، والسَّيناءُ: الحسَنُ بالحبشيَّةِ[١].

الكلبيُّ: كلُّ جبلٍ ذي شجرٍ: سيناءُ[٢].

الضَّحَّاكُ: ﴿طُورِ سَيْنَآءَ﴾: الجبلُ الحسَنُ بالنَّبَطِيَّةِ[٣].

ابنُ عبَّاسٍ رضي الله عنهما في جماعةٍ: السَّيناءُ: المُبارَكُ[٤].

وقيل: ﴿سَيْنَآءَ﴾: حجارةٌ[٥]. وقيل: ﴿سَيْنَآءَ﴾ اسمُ المكانِ، والجمهورُ على أنَّه جبلُ موسى عليه السَّلامُ بينَ مصرَ وأيلةَ.

ابنُ جريرٍ: ﴿سَيْنَآءَ﴾: اسمُ علمٍ أُضيفَ إليه الطُّورُ فتعرَّفَ به[٦].

وقيل: ﴿سَيْنَآءَ﴾ فَيْعالَ منَ السَّنَا، وهو الارتفاعُ.

وقيل: الطُّورُ أيضًا من الارتفاعِ، ومنه قولُهم: عَدا طَوْرَه: إذا جاوَزَ الحدَّ[٧].

﴿تَنۢبُتُ بِٱلدُّهۡنِ﴾ مَن فتحَ فالباءُ للتَّعدِّي؛ أي: تُخرِجُ الدُّهنَ، وسُمِّيَ الزَّيتونُ دُهنًا بما يَؤُولُ إليه، ومَن ضمَّ[٨] فله ثلاثةُ أوجهٍ:

أحدُها: أن تكونَ الباءُ زيادةً؛ كقولهم:

---

(١) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٣٠/ ١٥)، والواحدي في «البسيط» (١٥/ ٥٤٨).

(٢) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٢/ ٤١٤)، وذكره السمرقندي في «تفسيره» (٢/ ٤٧٧).

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (١٧/ ٣٠)، وذكره الثعلبي في «تفسيره» (١٨/ ٤٧٦)، والواحدي في «البسيط» (١٥/ ٥٤٨)، وذكره السيوطي في «المهذب» (ص: ١٠٣).

(٤) هو مستفاد من كلام ابن عباس الذي رواه الطبري في «تفسيره» (١٧/ ٢٩) بلفظ: «هو جبل بالشام مبارك».

(٥) ذكره الماتريدي في «تأويلات أهل السنة» (٧/ ٤٦١)، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٧٧٤)، واستغربه.

(٦) انظر: «تفسير الطبري» (١٧/ ٣١).

(٧) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٧٧٤) مع ما قبله، جعله قولاً واحداً، وعدَّه من العجائب.

(٨) قرأ ابن كثير وأبو عمرو بضم التاء وكسر الباء، والباقون بفتح التاء وضم الباء. انظر: «السبعة» (ص: ٤٤٥)، و«التيسير» (ص: ١٥٩).

نضـربُ بالسَّـيفِ ونرجـو بالفَـرَجْ[١]

والثّاني: أن تكونَ للحالِ والمفعولُ محذوفٌ؛ أي: تُنبِتُ الزَّيتونَ ومعه الدُّهنُ، كما تقولُ: خرجَ بثيابِهِ؛ أي: معه ثيابُه، يُريدُ: تشربُ الماءَ وتُخرِجُ الدُّهنَ.

والثّالثُ: أن يكونَ (أنبتَ) لازمًا[٢]، ومنه قولُ الشّاعرِ:

رَأَيْـتُ بَنِـي الحاجـاتِ حَـوْلَ بُيُوتِهِمْ ... قَطِينًـا لَهُـمْ حَتَّـى إذا أَنْبَـتَ البَقْـلُ[٣]

والزَّيتونُ: المعروفُ، والزَّيتُ دُهنُه، والدُّهنُ: عصارةُ اللَّوزِ والزَّيتونِ وغيرِهما، والدَّهْنُ بالفتحِ: مَسحُ الشَّيءِ بالدُّهْنِ.

وقيل: ﴿تَنۢبُتُ بِٱلدُّهۡنِ﴾ بالمطرِ اللَّيِّنِ، حكاه أقضَى القُضاةِ، وهو غريبٌ[٤].

﴿وَصِبۡغٖ لِّلۡأٓكِلِينَ﴾: إدامٍ لهم، والصِّبغُ: المائعُ مـنَ الإدامِ يُغمَسُ فيه الخبزُ، والقياسُ: أن يكونَ الصِّبغُ غيرَ الدُّهنِ؛ لأنَّ المعطوفَ غيرُ المعطوفِ عليه[٥].

---

(١) الرجز للنابغة الجعدي. انظر: «ديوانه» (ص: ٢١٦)، وفيه: نضرب بالبيض، وقبله:

نحـن بنـو جعـدة أصحـاب الفلـج

وقد ذكره بلفظ المصنف أبو عبيدة في «مجاز القرآن» (٢/ ٢٦٤)، وابن قتيبة في «أدب الكاتب» (ص: ٥٢٢)، وكراع النمل في «المنتخب» (١/ ٧١١)، والطبراني في «تفسيره» (٢٣/ ١٥٤)، وغيرهم.

(٢) فهو بمعنى: نبت. انظر: «المخصص» لابن سيده (٤/ ٣٥٣)، و«ما جاء على فعلت وأفعلت بمعنى واحد» للجواليقي (ص: ٧٢).

(٣) البيت لزهير بن أبي سلمى من قصيدة في مدح هرم بن سنان وقومه. انظر: «ديوان زهير» بشرح الشنتمري (ص: ٢٢)، و«معاني القرآن» للفراء (٢/ ٢٣٣)، و«تفسير الطبري» (١٧/ ٣٣)، و«معاني القرآن» للزجاج (٤/ ١٠)، و«معاني القرآن» للنحاس (٤/ ٤٥٣)، و«المحتسب» (٢/ ٨٩).

قطيناً؛ أي: مقيماً، جمع قاطن، يقولُ: رأيت ذوي الحاجات مقيمين حول بيوتهم لقضاء حوائجهم، حتى إذا نبت البقلُ وظهر الخصبُ فينتجعون وينفضون من حولها. انظر: «فتوح الغيب» (١٠/ ٥٦٧).

(٤) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٤/ ٥٠) عن محمد بن درستويه، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٧٧٥)، واستغربه.

(٥) انظر: «شرح الكتاب» للسيرافي (٣/ ١٧٩)، وقد نقل أبو حيان في «البحر المحيط» (٧/ ٥٥٥) =

الفرَّاءُ: الصِّبغُ: الزَّيتُ بعينِه(١).

***

(٢١) - ﴿وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً نُسْقِيكُمْ مِمَّا فِي بُطُونِهَا وَلَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ﴾.

﴿وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ﴾: جمعُ نَعَمٍ، وهو الإبلُ.

وقيل: الإبلُ والبقرُ والغنمُ، وقد سبقَ(٢).

﴿لَعِبْرَةً﴾: اتِّعاظًا.

﴿نُسْقِيكُمْ﴾ يعني: اللَّبنَ، (سقَى) و(أسقى) لُغتانِ(٣)، وقُرِئَ بالتَّاءِ(٤)، فيكونُ الفعلُ لـ﴿الْأَنْعَامِ﴾.

﴿مِمَّا فِي بُطُونِهَا﴾: منَ العَلَفِ والكلأِ والحشيشِ؛ فإنَّ اللَّبنَ منه يكونُ.

وقيل: قولُه: ﴿مِمَّا فِي بُطُونِهَا﴾ كقولِه: ﴿مِنْ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ﴾ [النحل: ٦٦].

﴿وَلَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ كَثِيرَةٌ﴾ في ظُهورِها ورُكوبِها وأوبارِها وأصوافِها وأشعارِها، ﴿وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ﴾ يعني: لحومَها.

***

(٢٢) - ﴿وَعَلَيْهَا وَعَلَى الْفُلْكِ تُحْمَلُونَ﴾.

﴿وَعَلَيْهَا وَعَلَى الْفُلْكِ﴾ يعني: الإبلَ تركبونَ عليها في البرِّ، وعلى الفُلكِ في

= كلام المصنف هذا.

(١) انظر: «معاني القرآن» للفراء (٢/ ٢٣٣).

(٢) في تفسير قوله تعالى: ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ﴾ وقوله: ﴿أُحِلَّتْ لَكُمْ بَهِيمَةُ الْأَنْعَامِ﴾.

(٣) انظر: «العين» مادة: (س ق ي) (٥/ ١٩٠)، و«معاني القرآن» للزجاج (٣/ ٢٠٨)، و«الحجة» لأبي علي (٥/ ٢٩٣).

(٤) هي قراءة أبي جعفر، وقرأ نافع وابن عامر وعاصم في رواية أبي بكر ويعقوب بفتح النون من السَّقي، والباقون بضمها من الإسقاء. انظر: «السبعة» (ص: ٤٤٥)، و«التيسير» (ص: ١٣٨)، و«النشر» (٢/ ٣٠٤).

البحرِ ﴿تُحۡمَلُونَ﴾ تقـولُ: حمَلتُـه حُمْلانًـا: أركَبْتُه، وقد سـبَقَ(١).

***

(٢٣) ـ ﴿وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوۡمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥٓۚ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾.

﴿وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوۡمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ﴾: وحِّدُوه وأطيعُـوه ﴿مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ﴾: معبـودٍ ﴿غَيۡرُهُۥٓۚ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾: أفـلا تخافـونَ أن يُهلِكَكُـم فـي الدُّنيـا بعـذابِ الاستِئصالِ، ثـمَّ فـي الآخـرةِ بعـذابِ النَّارِ؟

***

(٢٤) ـ ﴿فَقَالَ ٱلۡمَلَؤُاْ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَوۡمِهِۦ مَا هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٞ مِّثۡلُكُمۡ يُرِيدُ أَن يَتَفَضَّلَ عَلَيۡكُمۡ وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ لَأَنزَلَ مَلَٰٓئِكَةٗ مَّا سَمِعۡنَا بِهَٰذَا فِيٓ ءَابَآئِنَا ٱلۡأَوَّلِينَ﴾.

﴿فَقَالَ ٱلۡمَلَؤُاْ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَوۡمِهِۦ﴾ أي: أشرافُهم لعوامِّهم ﴿مَا هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٞ﴾: آدميٌّ ﴿مِّثۡلُكُمۡ﴾ يأكلُ ويشربُ ﴿يُرِيدُ أَن يَتَفَضَّلَ عَلَيۡكُمۡ﴾ يسودَكم ويرأسَكُم. وقيل: يتكلَّفَ أن يكونَ أفضلَ منكم فتُطيعوه فيما يأمُرُكم به وينهاكُم عنه.

﴿وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ لَأَنزَلَ مَلَٰٓئِكَةٗ﴾ أي: لو شاءَ اللهُ إرسالَ رسولٍ لأرسلَ ملائكةً.

﴿مَّا سَمِعۡنَا بِهَٰذَا فِيٓ ءَابَآئِنَا ٱلۡأَوَّلِينَ﴾ فيه أقوالٌ:

أحدُها: ما سمِعْنا آدميًّا بعثَه اللهُ رسولًا.

والثَّاني: ما سمِعْنا بما يأمرُنا به منَ التَّوحيدِ.

والثَّالثُ: ما سمِعْنا سبَّ آلهتِنا وإنكارَ عبادتِها كما يسُبُّه هذا وينكِرُ عبادتَه.

وقولُـه: ﴿فِيٓ ءَابَآئِنَا ٱلۡأَوَّلِينَ﴾ قيـل: هـو الأبُ الأدنـى؛ لأنَّه هو الأقـربُ، فصارَ هو الأوَّلَ.

---

(١) في تفسير قوله تعالى: ﴿قُلۡتَ لَآ أَجِدُ مَآ أَحۡمِلُكُمۡ عَلَيۡهِ﴾.

وقيل: هو الأبُ الأبعدُ؛ لأنَّه أوَّلُ أبٍ[1].

***

(٢٥) ـ ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌۢ بِهِۦ جِنَّةٌ فَتَرَبَّصُواْ بِهِۦ حَتَّىٰ حِينٍ﴾.

﴿إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌۢ بِهِۦ جِنَّةٌ﴾: ما هو إلَّا رجلٌ به جُنونٌ: سوداءُ تغلبُ على دماغه فتُنقِصُ من عقلِه ورأيه، ولجنونِه يأتي بمثلِ هذا. وقيل: لجنونِه طمعَ فيما طمعَ.

﴿فَتَرَبَّصُواْ بِهِۦ حَتَّىٰ حِينٍ﴾: فانتظِروا حتَّى يموتَ فتَنْجُوا منه ولا تقتلوه، أو يُفيقَ من جنونِه فيَدَعُ هذا، أو يستبينَ جنونُه فيُعذَرُ.

***

(٢٦) ـ ﴿قَالَ رَبِّ ٱنصُرْنِي بِمَا كَذَّبُونِ﴾.

﴿قَالَ رَبِّ ٱنصُرْنِي بِمَا كَذَّبُونِ﴾ أي: فلمَّا أَيِسَ من إيمانِهم قال: يا ربِّ انتقِمْ لي فأهلِكْهم بسببِ تكذيبِهم إيَّايَ.

***

(٢٧) ـ ﴿فَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِ أَنِ ٱصْنَعِ ٱلْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا فَإِذَا جَآءَ أَمْرُنَا وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ فَٱسْلُكْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ ٱلْقَوْلُ مِنْهُمْ وَلَا تُخَٰطِبْنِي فِي ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ﴾.

﴿فَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِ أَنِ ٱصْنَعِ ٱلْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا﴾: بحفظِنا ﴿وَوَحْيِنَا﴾: أمرِنا.

وقيل: ﴿وَحْيِنا﴾ تعليمِنا إيَّاكَ صَنْعتَها.

﴿فَإِذَا جَآءَ أَمْرُنَا﴾: عذابُنا ﴿وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ﴾: وطلَعَ الصُّبحُ، وقيل: وحمِيَ الوطيسُ[2]، وقد سبقَ في (هودٍ).

---

(١) ذكر الوجهين الماوردي في «النكت والعيون» (٤/ ٥٢).

(٢) هذا قول ابن بحر، ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٤/ ٥٢)، وذكره المصنف في «غرائب =

﴿فَٱسۡلُكۡ فِيهَا﴾: أدخِلْ في السَّفينةِ، و(سلَكَ) مُتعدٍّ؛ كقولِه: ﴿مَا سَلَكَكُمۡ فِي سَقَرَ﴾ [المدثر: ٤٢].

﴿مِن كُلٍّ زَوۡجَيۡنِ ٱثۡنَيۡنِ﴾: من كلِّ نوعٍ منَ الحيوانِ ذكرًا وأُنثى.

﴿وَأَهۡلَكَ﴾: نساءَك وأولادَك. وقيل: مَن آمنَ معك.

﴿إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيۡهِ ٱلۡقَوۡلُ مِنۡهُمۡ﴾ أي: سبقَ القولُ من الله بهلاكِه، وهو ابنُه وإحدى زوجتَيه.

وقيل: سبقَ القولُ بأنَّه لا يؤمنُ.

وقيل: ﴿وَأَهۡلَكَ﴾ من الإهلاكِ[1]، فيكونُ سبقَ القولُ بخَلاصِه.

﴿وَلَا تُخَٰطِبۡنِي فِي ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ إِنَّهُم مُّغۡرَقُونَ﴾؛ أي: لا تسألْني إنجاءَهم، فإنِّي أُغرِقُهم.

* * *

(٢٨) ـ ﴿فَإِذَا ٱسۡتَوَيۡتَ أَنتَ وَمَن مَّعَكَ عَلَى ٱلۡفُلۡكِ فَقُلِ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي نَجَّىٰنَا مِنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾.

﴿فَإِذَا ٱسۡتَوَيۡتَ أَنتَ وَمَن مَّعَكَ عَلَى ٱلۡفُلۡكِ﴾ أي: إذا علَوْتَ أنت ومَن معك مُستوِيًا.

وقيل: إذا استقرَّ الفُلكُ على وجهِ الماءِ.

﴿فَقُلِ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي نَجَّىٰنَا مِنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾: من أذى الكفَّارِ.

وقيل: الحمدُ للهِ على أنْ أهلكَهُم ولم يُهلِكْنا.

* * *

(٢٩) ـ ﴿وَقُل رَّبِّ أَنزِلۡنِي مُنزَلٗا مُّبَارَكٗا وَأَنتَ خَيۡرُ ٱلۡمُنزِلِينَ﴾.

﴿وَقُل رَّبِّ أَنزِلۡنِي مُنزَلٗا مُّبَارَكٗا﴾ أي: إنزالًا، وقيل: مكانًا، ومَن فتحَ[2] جعلَه مكانًا

= التفسير» (٢/ ٧٧٥)، وعدَّه من العجائب.

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٧٧٥)، وعدَّه من العجائب.

(٢) قرأ عاصم في رواية أبي بكر بفتح الميم وكسر الزاي، والباقون بضم الميم وفتح الزاي. انظر: «السبعة» (ص: ٤٤٥)، و«التيسير» (ص: ١٥٩).

مُبـاركًا بالسَّـلامةِ والنَّجـاةِ. قالها عنـد الرُّكوبِ في السَّـفينةِ. وقيل: قالَها عنـد النُّزولِ عنها والخـروجِ منها(١).

﴿وَأَنتَ خَيۡرُ ٱلۡمُنزِلِينَ﴾.

* * *

(٣٠) - ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ وَإِن كُنَّا لَمُبۡتَلِينَ﴾.

﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ﴾ فيما فُعِلَ بنوحٍ وقومِه ﴿لَأٓيَٰتٖ﴾ لعِبَرًا ومواعظَ ﴿وَإِن كُنَّا لَمُبۡتَلِينَ﴾ مُمتحِنين عبادَنا بالغرقِ والإهلاكِ.

وقيل: باتِّخاذِ السُّفنِ، وكانت أوَّلَ سفينةٍ صُنعِتَ(٢).

﴿وَإِن﴾ هي المُخفَّفةُ منَ المُحقَّقةِ، واللَّامُ للفرقِ(٣).

* * *

(٣١) - ﴿ثُمَّ أَنشَأۡنَا مِنۢ بَعۡدِهِمۡ قَرۡنًا ءَاخَرِينَ﴾.

﴿ثُمَّ أَنشَأۡنَا﴾: خلقْنا وأظهرْنا ﴿مِنۢ بَعۡدِهِمۡ﴾: بعد قومِ نوحٍ ﴿قَرۡنًا﴾: قومًا ﴿ءَاخَرِينَ﴾.

* * *

(٣٢) - ﴿فَأَرۡسَلۡنَا فِيهِمۡ رَسُولٗا مِّنۡهُمۡ أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥٓۚ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾.

﴿فَأَرۡسَلۡنَا فِيهِمۡ﴾ أي: إليهم، وأفادَ ﴿فِيهِمۡ﴾ أنَّه لـم يأتِهم من مكانٍ غيرِ مكانِهم، وإنَّما

---

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٧٧٥)، واستغربه.

(٢) ذكر ذلك المصنف في «البرهان» (ص: ١٢١)، و«غرائب التفسير» (١/ ٤١٠)، وذكره أبو حيان في «البحر المحيط» (٥/ ٨١)، والسمين الحلبي في «الدر المصون» (٥/ ٣٥٤)، وذكره ابن عطية في «المحرر الوجيز» (٤/ ١٤١) وقال: «إن صحَّ».

(٣) وهي التي تلزم دخول خبر (إنْ) المخففة؛ لتمييزها عن (إنْ) النافية، وتسمى لام الفصل. انظر: «الأصول» لابن السراج (١/ ٢٣٥)، و«اللامات» للزجاجي (ص: ١٥٠)، و«البديع» لابن الأثير (١/ ٥٥٦).

أُوحيَ إليه وهو فيما بينَهم ﴿رَسُولًا مِّنْهُمْ﴾ أي: من قومِهم، وفي الرَّسولِ والقومِ قولانِ:

ابنُ جريرٍ: الرَّسولُ صالحٌ عليه السَّلامُ، والقومُ ثمودُ(١).

غيرُه: الرَّسولُ هودٌ عليه السَّلامُ، والقومُ عادٌ.

﴿أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾.

* * *

(٣٣) ـ ﴿وَقَالَ الْمَلَأُ مِن قَوْمِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِلِقَاءِ الْآخِرَةِ وَأَتْرَفْنَاهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا مَا هَٰذَا إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يَأْكُلُ مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ وَيَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ﴾.

﴿وَقَالَ الْمَلَأُ مِن قَوْمِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِلِقَاءِ الْآخِرَةِ﴾ ذُكِرَ بالواوِ لأنَّه ليس بجوابٍ للنَّبيِّ مُتَّصلٍ بكلامِه، وفي قصَّةِ نوحٍ عليه السَّلامُ بالفاءِ لأنَّه جوابٌ لقولِه: ﴿فَقَالَ يَا قَوْمِ﴾ [المؤمنون: ٢٣] واقعٌ عقيبَه، وقُدِّمَ ﴿مِن قَوْمِهِ﴾ كراهةَ الإحالةِ بين المعطوفِ والمعطوفِ عليه في الصِّلةِ، وذلك ممتنعٌ مع الصِّلةِ، وأُخِّرَ في الأُخرى حيثُ لم تَطُلِ الصِّلةُ(٢).

ومعنى ﴿وَكَذَّبُوا بِلِقَاءِ الْآخِرَةِ﴾ أنكروا البعثَ والنُّشورَ.

﴿وَأَتْرَفْنَاهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ بكثرةِ المالِ والأولادِ فتنعَّموا فيها، والتَّرفُّهُ: النِّعمةُ. وقيل: التُّحفةُ.

﴿مَا هَٰذَا﴾ أي: النَّبيُّ ﴿إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يَأْكُلُ مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ وَيَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ﴾ فمِن أين يدَّعي رسالةَ اللهِ من بينِكم، وليس هو بأولى بها من غيرِه؟

* * *

(٣٤) ـ ﴿وَلَئِنْ أَطَعْتُم بَشَرًا مِّثْلَكُمْ إِنَّكُمْ إِذًا لَّخَاسِرُونَ﴾.

---

(١) انظر: «تفسير الطبري» (١٧/ ٣٩).

(٢) انظر: «درة التنزيل» للخطيب الإسكافي (٣/ ٩٣٤ ـ ٩٣٦).

﴿وَلَئِنْ أَطَعْتُم بَشَرًا مِّثْلَكُمْ﴾ فيما يأمركم به وينهاكم عنه ﴿إِنَّكُمْ إِذًا لَّخَاسِرُونَ﴾ عقولكم، ومغبونون رأيكم.

***

(٣٥) ـ ﴿أَيَعِدُكُمْ أَنَّكُمْ إِذَا مِتُّمْ وَكُنتُمْ تُرَابًا وَعِظَامًا أَنَّكُم مُّخْرَجُونَ﴾.

﴿أَيَعِدُكُمْ أَنَّكُمْ إِذَا مِتُّمْ وَكُنتُمْ تُرَابًا وَعِظَامًا﴾ أي: إذا صِرتُم تُرابًا وعظامًا لا لحمَ عليها ولا جلدَ ﴿أَنَّكُم مُّخْرَجُونَ﴾: مبعوثون للسُّؤالِ والحسابِ والثَّوابِ والعقابِ.

وكرَّرَ ﴿أَنَّكُمْ﴾ لمَّا طالَ الكلامُ دون الخبرِ، وتقديرُه: أيعِدُكم أنَّكم مُخرَجون إذا مِتُّم وكنتُم ترابًا وعظامًا[1].

وقيل: ﴿أَنَّكُم مُّخْرَجُونَ﴾ في تقديرِ المصدرِ، وقولُه: ﴿إِذَا مِتُّمْ﴾ خبرُه تقدَّمَ عليه، وتقديرُ: أنَّكم إخراجُكم إذا متُّم، والجملةُ خبرُ (أنَّ)، وهذا رأيُ أبي عليٍّ[2].

***

(٣٦) ـ ﴿هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ لِمَا تُوعَدُونَ﴾.

﴿هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ لِمَا تُوعَدُونَ﴾ ابنُ عبَّاسٍ رضي الله عنهما: بعيدٌ بعيدٌ ما تُوعدون[3].

وقيل: بُعدًا بُعدًا.

والمُحقِّقون على أنَّه من الأسماءِ التي سُمِّيت الأفعالُ بها، وأنَّها وقعَتْ في الخبرِ كسُرعانَ وشَتَّانَ[4]، وتقديرُه: بَعُدَ إخراجُكم بَعُدَ إخراجُكم لوعدِكم.

---

(١) ذكره الخطيب الإسكافي في «درة التنزيل» (٢/ ٥٥٩)، وذكره المصنف في «البرهان» (ص: ١٦٣).

(٢) انظر: «المسائل البصريات» لأبي علي الفارسي (١/ ٦٦٨ ـ ٦٧١).

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (١٧/ ٤٢)، وذكره البخاري بعد حديث (٤٧٤٤) معلقًا.

(٤) انظر: «المقتضب» للمبرد (٣/ ١٨٢)، و«الإيضاح» لأبي علي (ص: ١٦٥)، و«المسائل العسكريات» له أيضاً (ص: ٦٧).

(٣٧) - ﴿إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ﴾.

﴿إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا﴾ أي: ما الحياةُ إلَّا حياتُنا الدُّنيا التي نحنُ فيها ودنَتْ منَّا، والحياةُ التي تدَّعي بعد الموتِ باطلةٌ، و(هي) كنايةٌ عن الحياةِ.

وقيل: (هي) كنايةٌ عن النِّهايةِ؛ أي: ما نهايتُنا ومدَّةُ بقائِنا إلَّا حياتُنا الدُّنيا، ولا بعثَ بعدَها ولا حياةَ[١].

وقيل: هي كنايةٌ عن الأحوالِ؛ أي: ما أحوالُنا إلّا حياتُنا التي نحنُ فيها، ثمَّ نموتُ وقد انقضى الأمرُ وانقطعَ النِّظامُ[٢].

﴿نَمُوتُ وَنَحْيَا﴾ أي: يموتُ الآباءُ ويحيا الأولادُ ثمَّ يموتون.

وقيل: يموتُ قومٌ ويُولَدُ قومٌ.

وقيل: فيها تقديمٌ وتأخيرٌ، وتقديرُه: إن هي إلّا حياتُنا الدُّنيا نحيا ونموتُ ﴿وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ﴾ بعد الموتِ.

* * *

(٣٨) - ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا وَمَا نَحْنُ لَهُ بِمُؤْمِنِينَ﴾.

﴿إِنْ هُوَ﴾: ما هو ﴿إِلَّا رَجُلٌ افْتَرَى﴾: اختلَقَ ﴿عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾ في دَعواه الرِّسالةَ والبعثَ بعد الموتِ ﴿وَمَا نَحْنُ لَهُ بِمُؤْمِنِينَ﴾: بمُصدِّقين فيما يدَّعيه ولا نُؤمنُ به.

* * *

(٣٩) - ﴿قَالَ رَبِّ انْصُرْنِي بِمَا كَذَّبُونِ﴾.

﴿قَالَ رَبِّ انْصُرْنِي بِمَا كَذَّبُونِ﴾ أي: أهلِكهم بسببِ تكذيبِهم إيَّاي وانتقِمْ لي منهم. دَعا الرَّسولُ عليهم فأجابَه اللهُ بقولِه:

---

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٧٧٧)، واستغربه.

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٧٧٧)، وعدَّه من العجائب.

(٤٠) ـ ﴿ قَالَ عَمَّا قَلِيلٍ لَّيُصْبِحُنَّ نَادِمِينَ ﴾.

﴿ قَالَ عَمَّا قَلِيلٍ ﴾ أي: عن قليلٍ منَ الزَّمانِ، و(ما) صلةٌ.

﴿ لَّيُصْبِحُنَّ نَادِمِينَ ﴾ إذا عايَنوا ما يحلُّ بهم ثمَّ لا ينفعُهم ندمُهم.

* * *

(٤١) ـ ﴿ فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ بِالْحَقِّ فَجَعَلْنَاهُمْ غُثَاءً فَبُعْدًا لِّلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴾.

﴿ فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ ﴾ صاحَ بهم جبريلُ صيحةً هائلةً تصدَّعَتْ قلوبُهم فماتوا بها؛ وذلك أنَّ قومَ صالحٍ أُهلِكوا بالصَّيحةِ.

وقيل: هي عبارةٌ عن أيِّ عذابٍ كانَ.

﴿ بِالْحَقِّ ﴾ أي: لا دافعَ لها.

وقيل: بما استَحَقُّوه بفعلِهم.

ويحتمِلُ معنى ﴿ بِالْحَقِّ ﴾: بالوعدِ الصِّدقِ.

﴿ فَجَعَلْنَاهُمْ غُثَاءً ﴾ ابنُ عبَّاسٍ رضي الله عنهما: باليًا[١].

وقيل: مَوْتَى صَرْعَى كالغُثاءِ، وهو: ما يحمِلُه السَّيلُ ممَّا قد بَلِي وتغيَّرَ منَ القصبِ والوَرَقِ وغيرِ ذلك.

وقيل: هي كقولِ العربِ لمَن ذهبَ وهَلَكَ: سالَ به السَّيلُ؛ لأنَّ ما حملَه السَّيلُ يُسمَّى غُثاءً[٢].

وقيل: هو كقولِه: ﴿ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ ﴾ [الحاقة: ٧][٣].

﴿ فَبُعْدًا لِّلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴾.

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (١٧/ ٤٦) ولفظه: «جعلوا كالشيء الميت البالي من الشجر».

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٧٧٧)، واستغربه.

(٣) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٧٧٧)، وعدَّه من العجائب.

(٤٢) ـ ﴿ثُمَّ أَنشَأْنَا مِنۢ بَعْدِهِمْ قُرُونًا ءَاخَرِينَ﴾.

﴿ثُمَّ أَنشَأْنَا مِنۢ بَعْدِهِمْ﴾: بعد قومِ صالحٍ ﴿قُرُونًا ءَاخَرِينَ﴾ بعد أعصارٍ.

***

(٤٣) ـ ﴿مَا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجَلَهَا وَمَا يَسْتَـْٔخِرُونَ﴾.

﴿مَا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجَلَهَا وَمَا يَسْتَـْٔخِرُونَ﴾ قيل: أجلُ الموتِ.

وقيل: أجلُ العذابِ.

***

(٤٤) ـ ﴿ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرَا ۖ كُلَّ مَا جَآءَ أُمَّةً رَّسُولُهَا كَذَّبُوهُ ۚ فَأَتْبَعْنَا بَعْضَهُم بَعْضًا وَجَعَلْنَٰهُمْ أَحَادِيثَ ۚ فَبُعْدًا لِّقَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ﴾.

﴿ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرَا﴾ أي: تواترتِ الرُّسلُ بعدَهم إلى زمنِ موسى، وفي ﴿تَتْرَا﴾ قولانِ:

أحدُهما: يتلو بعضُهم بعضًا، وبينَ كلِّ اثنين فترةٌ.

والثّاني: مُتتابعةً لا فُتورَ فيها.

وأصلُه منَ الوِتْرِ؛ أي: واحدًا بعدَ واحدٍ. وقيل: من الوَتَرِ واتِّصالِه. وأصلُه: وَتْرَى، قُلِبت الواوُ تاءً كتُخَمةٍ وتُراثٍ، فمَن نوَّنَ جَعَلَ ألفَه للإلحاقِ كأَرْطَى ومِعْزَى، أو بدلًا من التَّنوينِ فيمَن لم يُمِلْها، ومَن لم ينوِّنْ(١) قال: الألفُ للتَّأنيثِ(٢).

﴿كُلَّ مَا جَآءَ أُمَّةً رَّسُولُهَا كَذَّبُوهُ ۚ فَأَتْبَعْنَا بَعْضَهُم بَعْضًا﴾ بالإهلاكِ ﴿وَجَعَلْنَٰهُمْ أَحَادِيثَ﴾ عِبرًا

---

(١) قرأ ابن كثير وأبو عمرو: ﴿تترًا﴾ بالتنوين، والباقون: ﴿تترى﴾. انظر: «السبعة» (ص: ٤٤٦)، و«التيسير» (ص: ١٥٩).

(٢) انظر: «العين» مادة: (و ت ر) (٨/ ١٣٣)، و«سر صناعة الإعراب» لابن جني (١/ ١٥٦).

﴿فَبُعْدًا لِّقَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ﴾ أي: أبعدَهم اللهُ، ونُكِّرَ[١] لأنَّ التَّقديرَ: ومَن لا يُؤمِنُ كمَن لم يُؤمِنوا.

* * *

(٤٥) ـ ﴿ثُمَّ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ وَأَخَاهُ هَٰرُونَ بِـَٔايَٰتِنَا وَسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ﴾.

﴿ثُمَّ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ وَأَخَاهُ هَٰرُونَ بِـَٔايَٰتِنَا﴾ التِّسعِ، وقيل: بالتَّوراةِ ﴿وَسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ﴾: حُجَّةٍ ظاهرةٍ.

* * *

(٤٦) ـ ﴿إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِۦ فَٱسْتَكْبَرُوا۟ وَكَانُوا۟ قَوْمًا عَالِينَ﴾.

﴿إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِۦ فَٱسْتَكْبَرُوا۟﴾ عن قَبولِ الإيمانِ تعظُّمًا وترفُّعًا ﴿وَكَانُوا۟ قَوْمًا عَالِينَ﴾ قاهِرين مُتكبِّرين.

* * *

(٤٧) ـ ﴿فَقَالُوٓا۟ أَنُؤْمِنُ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنَا وَقَوْمُهُمَا لَنَا عَٰبِدُونَ﴾.

﴿فَقَالُوٓا۟ أَنُؤْمِنُ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنَا وَقَوْمُهُمَا﴾ يعني: بني إسرائيلَ ﴿لَنَا عَٰبِدُونَ﴾؛ أي: هم لنا كالخَوَلِ والعبيدِ، يخدُموننا طائِعين خاضِعين.

الحسَنُ: كانت بنو إسرائيلَ يعبُدون فرعونَ، وفرعونُ كان يعبدُ الصَّنمَ[٢].

وقيل: يعبدُ العجلَ.

* * *

(٤٨) ـ ﴿فَكَذَّبُوهُمَا فَكَانُوا۟ مِنَ ٱلْمُهْلَكِينَ﴾.

---

(١) أي: لفظ (قوم)، وتنكيره أفاد العموم، فدخل فيه الأقوام الذين ذُكر عدم إيمانهم، ومن كان على صنعتهم ممّن لم يُذكر.

(٢) ذكره ابن أبي زمنين في «تفسيره» (٢/ ١٣٧)، والماوردي في «النكت والعيون» (٤/ ٥٥).

﴿فَكَذَّبُوهُمَا﴾ أي: موسى وهارونَ ﴿فَكَانُوا﴾ قومُ فرعونَ ﴿مِنَ الْمُهْلَكِينَ﴾ بالغرقِ في بحرِ قُلْزُمَ[١].

* * *

(٤٩) ـ ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ﴾.

﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ﴾ أي: التَّوراةَ ﴿لَعَلَّهُمْ﴾ أي: بني إسرائيلَ ﴿يَهْتَدُونَ﴾ به إلى الحلالِ والحرامِ.

* * *

(٥٠) ـ ﴿وَجَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ آيَةً وَآوَيْنَاهُمَا إِلَى رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ﴾.

﴿وَجَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ﴾ يعني: عيسى عليه السَّلامُ ﴿وَأُمَّهُ آيَةً﴾ تدلُّ على قُدرتِه على ما يشاءُ؛ لأنَّه خُلقَ من غيرِ مادَّةِ نطفةٍ، ووحَّدَ[٢] لأنَّ الأعجوبةَ فيهما واحدةٌ.

وقيل: وجعَلْنا قصَّةَ ابنِ مريمَ.

﴿وَآوَيْنَاهُمَا﴾ أي: جعَلْنا مأواهما؛ أي: منزلَهما ﴿إِلَى رَبْوَةٍ﴾ قتادةُ: هي بيتُ المقدسِ[٣]، وسُمِّيت رَبوةً لأنَّها أقربُ الأرضِ إلى[٤] السَّماءِ بثمانيةَ عشرَ ميلًا[٥].

سعيدُ بنُ المسيِّبِ: هي دمشقُ[٦].

---

(١) وهو البحر الأحمر. انظر: «المعجم الوسيط» مادة: (ق ل ز م).

(٢) فقال: آية، ولم يقل: آيتين. وقد تقدم كلام المصنف على هذا في تفسير قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَاهَا وَابْنَهَا آيَةً لِلْعَالَمِينَ﴾.

(٣) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (١٩٦٨)، والطبري في «تفسيره» (١٧/ ٥٥).

(٤) في (ف): «من».

(٥) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (١٩٧٠)، والطبري في «تفسيره» (١٧/ ٥٥)، من قول كعب الأحبار. وهذا التقدير بالأميال من خرافات الإسرائيليات.

(٦) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (١٩٦٩)، وابن أبي شيبة في «المصنف» (٣٢٤٦٣)، والطبري في =

وقيل: غوطةُ دمشقَ.

ابنُ زيدٍ: هي مصرُ، قال: ولولا أنَّ قُراها على رُبًى لغَرِقت تلك القُرى[١].

أبو هريرةَ رضي الله عنه: فلسطينُ[٢].

ابنُ عبَّاسٍ رضي الله عنهما: هي أرضٌ مستويةٌ فيها ماءٌ[٣].

﴿ذَاتِ قَرَارٍ﴾ مستويةٍ بسيطةٍ يمكنُ الاستقرارُ عليها.

وقيل: فيها منازلُ يستقرُّون فيها.

وقيل: القرارُ: مُستقَرُّ الماءِ.

﴿وَمَعِينٍ﴾: ماءٍ ظاهرٍ، من قولِك: عانَتِ الرَّكِيَّةُ؛ إذا خرجَ ماؤُها.

وقيل: ﴿معين﴾ من المَعْنِ؛ أي: مُنتفَعٍ به[٤].

وقيل: من عِنْتُه؛ إذا نظَرْتَ إليه، وهذا لا يصِحُّ؛ لأنَّه لم يأتِ بمعنى النَّظرِ، وإنَّما جاءَ بمعنى: أصبتُه بعيني، ومنه:

أنَّك سيِّدٌ معيونٌ[٥]

= «تفسيره» (١٧/ ٥٤).

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (١٧/ ٥٥)، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٧٧٨)، واستغربه.

(٢) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (١٩٧٢)، ومن طريقه الطبري في «تفسيره» (١٧/ ٥٤)، بلفظ: «هي الرَّملة من فلسطين»، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٧٧٨)، وعدَّه من العجائب.

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (١٧/ ٥٦) بلفظ: «الربوة: المستوية».

(٤) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٧٧٨)، واستغربه.

(٥) قطعة من بيت لعباس بن مرداس يخاطب كليب بن عهمة أخا بني سليم بن منصور. انظر: «شرح نقائض جرير والفرزدق» لأبي عبيدة (٣/ ١٠٠٩)، و«الألفاظ» لابن السكيت (ص: ٤٠٣)، و«الحيوان» (٢/ ٣٢٧)، و«الصحاح» مادة: (ع ي ن). وتمامه:

قد كان قَومُكَ يَحسبُونَكَ سَيِّدًا ... وإخالُ أنَّكَ سَيِّدٌ مَعْيُونُ

(٥١) ـ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُواْ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعْمَلُواْ صَٰلِحًاۖ إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُواْ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ﴾ فيه ثلاثةُ أقوالٍ:

أحدُها: أنَّه خطابٌ لعيسى عليه السَّلامُ بلفظِ التَّعظيمِ؛ لاتِّصالِ الآيةِ بذكرِه، وكان يأكلُ من غَزْلِ أمِّه، وهو أحلُّ الأشياءِ وأطيبُ الطَّيِّباتِ(١).

والثَّاني: أنَّه خطابٌ لمحمَّدٍ ﷺ وكان يأكلُ منَ الغنائمِ، وذُكرَ بلفظِ الجمعِ لأنَّ تقديرَه: اقتدِ بما اقتَدَى به الأنبياءُ قبلَكَ(٢).

والثَّالثُ: أنَّه خطابٌ لجميعِ الأنبياءِ الذين تقدَّمَ ذِكرُهم بإضمارِ القولِ؛ أي: وقلنا لهم: كُلوا منَ الطَّيِّباتِ(٣).

﴿وَٱعْمَلُواْ صَٰلِحًا﴾ يُوافقُ رضايَ ﴿إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾ فأُجازِيْكُم على أعمالِكم.

***

(٥٢) ـ ﴿وَإِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱتَّقُونِ﴾.

﴿وأن هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً﴾ عطفٌ على موضعِ (ما)؛ أي: بما تعمَلُون وبأنَّ هذه، هذا قولُ الزَّجَّاجُ(٤).

غيرُه: ولأنَّ هذه أمَّتُكم.

وكذلك مَن خفَّفَ، ومَن كسرَ فهو استئنافٌ(٥)، وفي المعنى قولان:

---

(١) هذا اختيار الطبري في «تفسير» (١٧/ ٥٩)، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٧٧٨)، واستغربه.

(٢) ذكر الواحدي أن هذا قول الحسن ومجاهد وقتادة والسدي والكلبي ومقاتل، وأنه اختيار الفراء وابن قتيبة والزجاج. انظر: «البسيط» (١٥/ ٦٠٣).

(٣) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٧٧٨)، وعدَّه من العجائب، وهو اختيار الواحدي في «البسيط» (١٥/ ٦٠٢).

(٤) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٣/ ٤٠٤)، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٧٧٩)، واستغربه.

(٥) قرأ حمزة والكسائي وعاصم بكسر الألف، وقرأ ابن كثير وأبو عمرو ونافعٌ بفتحها، وخفف ابن =

أحدُهما: وإنَّ الدِّينَ أيُّها الرُّسلُ دينٌ واحدٌ، وهو الإسلامُ، ومثلُه: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلۡإِسۡلَٰمُ﴾ [آل عمران: ١٩] ﴿وَأَنَا۠ رَبُّكُمۡ﴾ وإنَّ الإلهَ إلهٌ واحدٌ، وهو اللهُ سبحانَه.

وقيل: ﴿وَأَنَا۠ رَبُّكُمۡ﴾ شَرَعْتُها لكم.

والثّاني: وإنَّ هذه الجماعةَ واحدةٌ، كلُّهم عبادُ اللهِ، واللهُ خالقُهم ومُربِّيهم.

ونصبُ ﴿أُمَّةً﴾ على الحالِ، والمعنى: أنَّها ما دامَت مُتوحِّدةً فهي مَرْضيَّةٌ، فإذا تفرَّقَت فلا.

﴿فَٱتَّقُونِ﴾ فخافونِ في شقِّ العصا وتفريقِ كلمتِكم.

***

(٥٣) ـ ﴿فَتَقَطَّعُوٓاْ أَمۡرَهُم بَيۡنَهُمۡ زُبُرٗاۖ كُلُّ حِزۡبِۢ بِمَا لَدَيۡهِمۡ فَرِحُونَ﴾.

﴿فَتَقَطَّعُوٓاْ أَمۡرَهُم بَيۡنَهُمۡ زُبُرٗا﴾ تقطَّعَ بمعنى قطَّعَ؛ أي: قطَّعُوا أمرَ دينِهم.

وقيل: فرَّقوا ما أُمِروا به[1] أن يكونَ دينًا واحدًا، والمعنى: جعلوا دينَهم أديانًا.

و﴿زُبُرٗا﴾: جمعُ زَبورٍ؛ أي: كتبًا مختلفةً، آمَنُوا ببعضٍ وكفَرُوا ببعضٍ.

وقيل: فِرَقًا مختلفةً، واحدُها زَبورٌ.

وقُرِئَ في الغريبِ: (زُبَرًا) بفتحِ الباءِ[2]، جمع زُبرةٍ؛ أي: فِرَقًا[3].

= عامر النُّون مع فتح الهمزة. انظر: «السبعة» (ص: ٤٤٦)، و«التيسير» (ص: ١٥٩).

(١) «به» من (ف).

(٢) نسبها الداني في «جامع البيان» لابن عامر (٢/ ٣٠٣) لكن بخلاف بين أصحاب هشام راوية ابن عامر، ونسبت لأبي عمرو في «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ١٠١).

(٣) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٧٧٩)، وعدَّه من العجائب.

﴿كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ﴾ منَ الكتابِ والدِّينِ، وقيل: بالمالِ والأولادِ ﴿فَرِحُونَ﴾ مسرورونَ مُعجَبون، والمحِقُّ واحدٌ.

***

(٥٤) ـ ﴿فَذَرْهُمْ فِي غَمْرَتِهِمْ حَتَّىٰ حِينٍ﴾.

﴿فَذَرْهُمْ﴾ دَعْهم ﴿فِي غَمْرَتِهِمْ﴾ في جَهالتِهم وضَلالتِهم السَّاترةِ وجهَ الصَّوابِ، وأصلُه السَّترُ.

وقيل: فيما غمرَهم من دُنياهم ﴿حَتَّىٰ حِينٍ﴾ قيل: الموتِ. وقيل: العذابِ. وقيل: القتلِ يومَ بدرٍ.

وقيل: الآيةُ منسوخةٌ.

وقيل: مُحكَمةٌ؛ لأنَّها مؤقَّتةٌ وجاريةٌ مَجرى التَّهديدِ.

***

(٥٥ ـ ٥٦) ـ ﴿أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِۦ مِن مَّالٍ وَبَنِينَ ۝٥٥ نُسَارِعُ لَهُمْ فِي ٱلْخَيْرَٰتِ ۚ بَل لَّا يَشْعُرُونَ﴾.

﴿أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِۦ مِن مَّالٍ وَبَنِينَ ۝٥٥ نُسَارِعُ لَهُمْ فِي ٱلْخَيْرَٰتِ﴾ جزاءً على حُسنِ صنيعِهم ﴿بَل﴾ ليس الأمرُ على ما توهَّموا ﴿لَّا يَشْعُرُونَ﴾ أنَّ ذلك امتحانٌ واستدراجٌ، وفي ﴿أَنَّمَا﴾ قولان:

أحدُهما: أنَّ (ما) اسمُ (أنَّ)، و﴿نُسَارِعُ﴾ خبرُه، والتَّقديرُ: نُسارعُ لهم بذلك في الخيراتِ.

والثَّاني: أنَّ (ما) كافَّةٌ، و﴿بِهِۦ﴾ يعودُ إلى الفرحِ، و﴿نُسَارِعُ﴾ حالٌ من الضَّميرِ من اسمِ اللهِ تعالى(١).

---

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٧٧٩)، واستغربه، وفيه: «... حال من ضمير اسم الله تعالى»، والمراد بالضمير المذكور الضمير (نحن) المستتر في ﴿نحدّهم﴾.

(٥٧) ـ ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ هُم مِّنْ خَشْيَةِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ﴾.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ هُم مِّنْ خَشْيَةِ رَبِّهِم﴾ من خوفِ عذابِ اللهِ ﴿مُّشْفِقُونَ﴾: حَذِرون، والخشيةُ: الخوفُ مع تعظيمِ المخشيِّ عنه، والشَّفَقُ: الحذرُ منَ المكروهِ[١].

* * *

(٥٨) ـ ﴿وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ﴾.

﴿وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ﴾ قيل: بالكتبِ. وقيل: بالدَّلائلِ.

* * *

(٥٩) ـ ﴿وَٱلَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ﴾.

﴿وَٱلَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ﴾ أي: الأصنامَ. وقيل: لا يُراؤونَ.

* * *

(٦٠) ـ ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَوا۟ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَٰجِعُونَ﴾.

﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَوا۟﴾ يُعطُون ما أعطَوا منَ الصَّدقةِ، وقيل: منَ الزَّكاةِ ﴿وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ﴾ خائفةٌ ألَّا يُقبلَ منهم لتقصيرِهم ﴿أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَٰجِعُونَ﴾ الجمهورُ على أنَّ التَّقديرَ: لأنَّهم.

وقيل: هو مفعولُ الوَجَلِ؛ أي: وَجِلةٌ الرُّجوعَ[٢] إلى اللهِ.

والمعنى[٣]: أي: يعمَلُون على وَجَلٍ، والواوُ للحالِ.

* * *

---

(١) ذكر الراغب في «تفسيره» (١/ ١٦٣) أن الشفقة خوف مع محبة، فتكون مقابلًا للخشية، وهو خوف مع تعظيم، ولكن أنكر العسكري في «الفروق اللغوية» (ص: ٢٤١) أن تكون الشفقة من الخوف.

(٢) في (ن): «للرجوع».

(٣) بعدها في (ن): «وجلهم».

(٦١) ـ ﴿أُوْلَٰٓئِكَ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِ وَهُمۡ لَهَا سَٰبِقُونَ﴾.

﴿أُوْلَٰٓئِكَ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِ﴾ يُبادِرونَ إلى الطَّاعاتِ ويعمَلونها عَجِلين، وقيل: يستكثِرون منها. وهذا خبرُ (إنَّ)[1].

﴿وَهُمۡ لَهَا سَٰبِقُونَ﴾ أي: لأجلِ الخيراتِ سابقون إلى الجنَّاتِ.

وقيل: اللَّامُ بمعنى: إلى؛ أي: إلى الخيراتِ سابقون[2].

وقيل: هم للسَّعادةِ سابقون إلى الجنَّةِ[3].

* * *

(٦٢) ـ ﴿وَلَا نُكَلِّفُ نَفۡسًا إِلَّا وُسۡعَهَاۖ وَلَدَيۡنَا كِتَٰبٌ يَنطِقُ بِٱلۡحَقِّۚ وَهُمۡ لَا يُظۡلَمُونَ﴾.

﴿وَلَا نُكَلِّفُ نَفۡسًا إِلَّا وُسۡعَهَا﴾؛ أي: لا نُحمِّلُها فوقَ طاقتِها، والوُسعُ: ما في القدرةِ، وهو مصدرُ (وَسِعَ).

﴿وَلَدَيۡنَا كِتَٰبٌ يَنطِقُ بِٱلۡحَقِّ﴾ يُريدُ: كتُبَ السَّفرةِ. وقيل: اللَّوحُ المحفوظُ، والمعنى: يُفهَمُ من جهتِه بقراءةِ ذلك بالحقِّ من غيرِ زيادةٍ ولا نقصانٍ.

﴿وَهُمۡ لَا يُظۡلَمُونَ﴾ بزيادةِ عقابٍ أو نُقصانِ ثوابٍ. وقيل: بتكليفِ ما لا يسَعُه.

* * *

(٦٣) ـ ﴿بَلۡ قُلُوبُهُمۡ فِي غَمۡرَةٖ مِّنۡ هَٰذَا وَلَهُمۡ أَعۡمَٰلٞ مِّن دُونِ ذَٰلِكَ هُمۡ لَهَا عَٰمِلُونَ﴾.

﴿بَلۡ قُلُوبُهُمۡ﴾ قلوبُ الكفَّارِ ﴿فِي غَمۡرَةٖ﴾ غطاءٍ ﴿مِّنۡ هَٰذَا﴾ قيل: من هذا الذي وُصِفَ به المؤمنون.

---

(١) في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ هُم مِّنۡ خَشۡيَةِ رَبِّهِم مُّشۡفِقُونَ﴾.

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٧٧٩)، واستغربه.

(٣) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٧٧٩)، وعدَّه من العجائب.

وقيل: من كتابِ الحفَظةِ.

وقيل: منَ القرآنِ.

وقيل: منَ الحقِّ.

﴿وَلَهُمْ أَعْمَٰلٌ مِّن دُونِ ذَٰلِكَ﴾؛ أي: لهم أعمالٌ خبيثةٌ دونَ الشِّركِ.

وقيل: دونَ الحقِّ.

وقيل: دونَ أعمالِ أهلِ الإيمانِ.

وقيل: معنى: ﴿دُونِ ذَٰلِكَ﴾: سوى ذلك.

وقال الحسنُ في جماعةٍ: لهم أعمالٌ من دونِ ما هم عليه لا بدَّ من أن يعمَلُوها[١].

وقيل: الضَّميرُ في قوله: ﴿بَلْ قُلُوبُهُمْ﴾ يعودُ إلى المؤمنين، وقولُه: ﴿فِي غَمْرَةٍ مِّنْ هَٰذَا﴾ أي: مغمورةٌ بالإشفاقِ مع هذه الأفعالِ الحسنةِ، ﴿وَلَهُمْ﴾؛ أي: للمُؤمنين ﴿أَعْمَٰلٌ مِّن دُونِ ذَٰلِكَ﴾ يريدُ بالأوَّلِ: الفرائضَ، وبالثَّاني: النَّوافلَ[٢].

﴿هُمْ لَهَا عَٰمِلُونَ﴾ وعليها مُقيمون.

***

(٦٤) ـ ﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذْنَا مُتْرَفِيهِم بِٱلْعَذَابِ إِذَا هُمْ يَجْـَٔرُونَ﴾.

﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذْنَا مُتْرَفِيهِم﴾ مُتنعِّميهم ورُؤسائِهم ﴿بِٱلْعَذَابِ﴾ عذابِ الدُّنيا، وهو: القَحْطُ سبعَ سنينَ.

وقيل: القتلُ يومَ بدرٍ.

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (١٧/ ٧٦)، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٧٨٠)، واستغربه.

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٧٨٠)، واستغربه.

وقيل: عذابُ الآخرةِ.

﴿إِذَا هُمْ يَجْـَٔرُونَ﴾: يصرَخُون صُراخَ الثَّورِ، ويتضرَّعون إلى اللهِ ليقبلَ توبتَهم، فقال لهم:

(٦٥) ـ ﴿لَا تَجْـَٔرُوا الْيَوْمَ إِنَّكُم مِّنَّا لَا تُنصَرُونَ﴾.

﴿لَا تَجْـَٔرُوا الْيَوْمَ﴾: لا تتضرَّعوا، وهذا يأسٌ لهم منَ النَّجاةِ لا نهيٌ.

﴿إِنَّكُم مِّنَّا لَا تُنصَرُونَ﴾ أي: إنَّكم من عذابِ اللهِ لا تُمنعون.

وقيل: لا تُنصَرون بقَبولِ التَّوبةِ؛ أي: لا ينصرُكُم أحدٌ منَّا.

* * *

(٦٦) ـ ﴿قَدْ كَانَتْ ءَايَٰتِى تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَكُنتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ تَنكِصُونَ﴾.

﴿قَدْ كَانَتْ ءَايَٰتِى﴾ أي: القرآنُ ﴿تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَكُنتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ تَنكِصُونَ﴾: تُعرِضُونَ مدبِرين عن الإيمانِ بها وسماعِها والعملِ بما فيها، والنُّكوصُ: رُجوعُ القَهْقَرى، وهو أقبحُ مِشيةٍ؛ لأنَّه لا يَرى ما وراءَه.

وقيل: تستأخِرُون.

* * *

(٦٧) ـ ﴿مُسْتَكْبِرِينَ بِهِۦ سَٰمِرًا تَهْجُرُونَ﴾.

﴿مُسْتَكْبِرِينَ﴾ مُتكبِّرين على المسلمين ﴿بِهِۦ﴾ ابنُ عبَّاسٍ رضي الله عنهما في جماعةٍ: ﴿بِهِۦ﴾ بالبيتِ أو بالحرمِ[1]؛ أي: يقولون: لا يظهرُ علينا أحدٌ[2]، فهي كنايةٌ من غيرِ مذكورٍ.

---

(١) في النسختين: «بالحرام»، والصواب المثبت، كما في «غرائب التفسير» (٢/ ٧٨٠).

(٢) رواه بهذا اللفظ الطبري في «تفسيره» (١٧/ ٨٠ ـ ٨١) عن ابن عباس رضي الله عنهما، وفيه: «لا يظهرُ علينا فيه أحدٌ»، ورواه الطبري بنحوه عن مجاهد والحسن وسعيد بن جبير وقتادة والضحاك، وفيها جميعاً: «بالحرم».

وقيل: بمحمَّدٍ ﷺ[١].

وقيل: بالقرآنِ؛ أي: يتكبَّرون عن الإيمانِ به.

الزَّجَّاجُ: يجوزُ أن تكونَ الهاءُ كنايةً عن الكتابِ المتلوِّ[٢].

والباءُ[٣] متَّصلٌ بقولِه: ﴿مُسْتَكْبِرِينَ﴾. وقيل: متَّصلٌ بما بعدَه[٤].

﴿سَٰمِرًا تَهْجُرُونَ﴾ هو فاعلٌ منَ السَّمَرِ، وهو: التَّحدُّثُ ليلًا، وأصلُه منَ السَّمَرِ، وهو ظِلُّ القمرِ. وقيل: السَّمَرُ: القمرُ[٥].

وكانوا يجتمِعون عندَ الكعبةِ ويتحدَّثون عندَها باللَّيلِ، ويُسيئون القولَ في محمَّدٍ ﷺ، والسَّامِرُ صفةُ القومِ كالحيِّ الحاضرِ والباقرِ والجاملِ[٦].

وقيل: اكتفَى بذِكرِ الواحدِ عن الجمعِ[٧].

وقيل: (سامرٌ) من صفةِ البيتِ، فيكونُ نصبًا على الحالِ من الهاءِ في ﴿بِهِۦ﴾ يعني: مسمورًا فيه[٨].

---

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٧٨٠)، واستغربه.

(٢) أي: يحدث لكم بتلاوته عليكم استكبار. انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٤/ ١٨).

(٣) في (ف): «والهاء»، والمثبت هو الصواب. انظر: التعليق الآتي.

(٤) انظر: «غرائب التفسير» (٢/ ٧٨١)، وفيه: «والباء في ﴿بِهِۦ﴾ متصل بـ ﴿مُسْتَكْبِرِينَ﴾، وقيل: متصل بـ﴿سَٰمِرًا﴾، وقيل: متصل بـ﴿تَهْجُرُونَ﴾».

(٥) كذا ذكره المصنف هنا وفي القمر «غرائب التفسير» (٢/ ٧٨٠)، والقول المقابل لظل القمر في تفسير السمره هو ضوء القمر، لا تضر نفسه، والله أعلم. انظر: «تاج العروس» (١٢/ ٧٣).

(٦) أي: هو اسم مفرد بمعنى الجمع، فهو كالحاضر: وهم القوم النازلون على الماء، والباقر: جمع البقر، والجامل: جمع الإبل ذكورها وإناثها، ومنه قوله تعالى: ﴿ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا﴾ [الحج: ٥]. انظر: «تفسير القرطبي» (١٢/ ١٣٧)، و«تاج العروس» مادة: (س م ر) (١٢/ ٧٣).

(٧) ذكر الواحدي أن هذا مذهب المفضل وأبي عبيدة. انظر: «البسيط» (١٦/ ٢٧).

(٨) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٧٨١)، وعدَّه من العجائب.

وقيل: السَّامرُ: اللَّيلُ، كقولِه: السَّاهِرة، وهو قولُ المبرِّدِ[١].

وقيل: السَّامرُ: المجلسُ باللَّيلِ، والنَّدِيُّ بالنَّهارِ.

﴿تَهۡجُرُونَ﴾؛ أي: القرآنَ والدِّينَ.

وقيل: تهجُرونَ منَ (الهُجْرِ)، وهو: القبيحُ منَ الكلامِ.

وقُرِئَ: ﴿تُهۡجِرُون﴾ بضمِّ التَّاءِ[٢]: تقولون الهُجْرَ لا غيرُ، وهو وصفُهم النَّبيَّ صلَّى اللهُ عليه بالقبيحِ، والطَّعنُ فيه، والتَّكلُّمُ بالشِّركِ.

وقيل: تَهذُونَ كالمريضِ إذا هذَى[٣].

***

(٦٨) ـ ﴿أَفَلَمۡ يَدَّبَّرُواْ ٱلۡقَوۡلَ أَمۡ جَآءَهُم مَّا لَمۡ يَأۡتِ ءَابَآءَهُمُ ٱلۡأَوَّلِينَ﴾.

﴿أَفَلَمۡ يَدَّبَّرُواْ ٱلۡقَوۡلَ﴾ أي: أفلم يتدبَّروا ولم يتفكَّروا في القرآنِ فيعرِفوا أنَّه منَ اللهِ، فهذا نفيٌ لتدبُّرِهم.

وقيل: القولُ هاهنا كلامُ النَّبيِّ ﷺ؛ أي[٤]: قد فهِمُوا قولَه ودعوتَه.

ويحتمِلُ أنَّ التَّدبُّرَ هاهنا هو الفهمُ، فيكونُ المعنى: أفلم يفهَمُوا القرآنَ؛ أي: قد فَهِموه، لأنَّه بلغةٍ يعرِفونَها[٥].

---

(١) ذكر المبرد في «الكامل» (٢/ ١٨٤) أنَّ السمر جمع السامر، وهم الجماعة يتحدثون ليلاً، وذكر في «الفاضل» (ص: ١٠) أن الساهرة وجه الأرض، وما ذكره المصنف هنا ذكره في «غرائب التفسير» (٢/ ٧٨١) بلا نسبة، واستغربه.

(٢) وهي قراءة نافع. انظر: «السبعة» (ص: ٤٤٦)، و«التيسير» (ص: ١٥٩).

(٣) والهَجر ـ بالفتح ـ: الهذيان. انظر: «الكشاف» للزمخشري (٣/ ١٩٤).

(٤) «أي»: ليس في (ف).

(٥) فالاستفهام خرج إلى معنى النفي على التقدير الأول، لكنه يحتمل التقرير على هذا التقدير، وهو على معنى التقرير أيضاً على القول الثاني.

﴿أَمْ جَاءَهُم مَّا لَمْ يَأْتِ ءَابَاءَهُمُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾؛ أي: ليس محمَّدٌ ﷺ بِدْعًا منَ الرُّسلِ، فقد جاءَ آباءَهم رسلٌ من قبلِه.

وقيل: معناه: أم جاءَهُم أمانٌ منَ العذابِ(١).

عكرمةُ عن ابنِ عبَّاسٍ رضي الله عنهما: أنَّ ﴿أَمْ﴾ في معنى: (بل)؛ أي: جاءَهُم ما لم يأتِ آباءهم الأوَّلين(٢)؛ كقولِه: ﴿لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أُنذِرَ ءَابَآؤُهُمْ﴾ [يس: ٦] فيمَن جعلَ ﴿مَّآ﴾ نفيًا، وتقديرُه: أوَلم يأتِهم ما لم يأتِ آباءَهُم، والمعنى: قد جاءَهم رسولٌ وكتابٌ مفهومٌ.

* * *

(٦٩) - ﴿أَمْ لَمْ يَعْرِفُوا۟ رَسُولَهُمْ فَهُمْ لَهُۥ مُنكِرُونَ﴾.

﴿أَمْ لَمْ يَعْرِفُوا۟ رَسُولَهُمْ﴾ بالصِّدقِ والأمانةِ ووُفورِ العقلِ وصحَّةِ النَّسبِ وحُسنِ الأخلاقِ؛ أي: عرَفُوه بهذه الأوصافِ ﴿فَهُمْ لَهُۥ مُنكِرُونَ﴾ بغيًا وحسدًا.

* * *

(٧٠) - ﴿أَمْ يَقُولُونَ بِهِۦ جِنَّةٌۢ ۚ بَلْ جَآءَهُم بِٱلْحَقِّ وَأَكْثَرُهُمْ لِلْحَقِّ كَٰرِهُونَ﴾.

﴿أَمْ يَقُولُونَ بِهِۦ جِنَّةٌۢ﴾ لأنَّه طمِعَ في اتِّباعِنا إيَّاه، وذلك طمعٌ في غيرِ مَطمعٍ.

وقيل: ليُنفِّروا عنه النَّاسَ(٣).

﴿بَلْ جَآءَهُم بِٱلْحَقِّ﴾ أي: الأمرُ على خلافِ ما توهَّموا به، فإنَّه جاءهم بالقرآنِ

---

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٧٨١)، وعدَّه من العجائب.

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (١٧/ ٨٧) بلفظ: «لعمري لقد جاءهم ما لم يأت آباءهم الأولين، ولكن أو لم يأتهم ما لم يأت آباءهم الأولين»، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٧٨١)، واستغربه.

(٣) دل كلام المصنف هنا، كما قال في تفسير قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا۟ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِى نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ﴾ [الحجر: ٦] إلى أن كفار قريش لم يعتقدوا جنون النبي ﷺ، وإنما اتهموه بذلك تنفيراً عنه، أو قالوه له مجادلة؛ فقد كانت دلائل كمال عقله أظهر من أن تخفى.

والإسلامِ ﴿وَأَكْثَرُهُمْ لِلْحَقِّ كَٰرِهُونَ﴾ أي: كرِهوا اتِّباعَه والتَّصديقَ به.

***

(٧١) - ﴿وَلَوِ ٱتَّبَعَ ٱلْحَقُّ أَهْوَآءَهُمْ لَفَسَدَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ۚ بَلْ أَتَيْنَٰهُم بِذِكْرِهِمْ فَهُمْ عَن ذِكْرِهِم مُّعْرِضُونَ﴾.

﴿وَلَوِ ٱتَّبَعَ ٱلْحَقُّ﴾ هو اللهُ سُبحانَه ﴿أَهْوَآءَهُمْ﴾: مُرادَهم ومُشتَهاهم ﴿لَفَسَدَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ﴾ لأنَّهم يدَّعونَ آلهةً شتَّى، فلو كان فيهما آلهةٌ إلَّا اللهُ لفَسَدَتا، وقد سبقَ.

وقيل: ﴿ٱلْحَقُّ﴾: ضدُّ الهوى، ومحالٌ الجمعُ بينهما.

وقيل: ﴿ٱلْحَقُّ﴾: التَّنزيلُ.

وقيل: لفسَدَتْ أحوالُ السَّماواتِ والأرضِ ومَن فيهنَّ.

وقولُه: ﴿وَمَن فِيهِنَّ﴾ خَصَّ العقلاءَ بالذِّكرِ لأنَّ غيرَهم تَبَعٌ.

وقيل: فسادُ الملائكةِ بأنْ يُعبَدوا من دونِ اللهِ، وفسادُ الإنسِ بأنْ يَعبُدوا غيرَ اللهِ، وفسادُ الجنِّ بأن يُطاعوا فيطغَوا.

﴿بَلْ أَتَيْنَٰهُم بِذِكْرِهِمْ﴾ في الذِّكرِ قولان:

ابنُ عبَّاسٍ رضي الله عنهما: الذِّكرُ بيانُ الحقِّ(١)، وهو القرآنُ.

غيرُه: ﴿بِذِكْرِهِمْ﴾: بشرفِهم؛ لأنَّ الرَّسولَ منهم والقرآنَ بلسانِهم.

﴿فَهُمْ عَن ذِكْرِهِم مُّعْرِضُونَ﴾؛ أي: يُعرِضون عن القرآنِ والشَّرفِ.

***

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (١٧/ ٨٩).

(٧٢) - ﴿أَمْ تَسْئَلُهُمْ خَرْجًا فَخَرَاجُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾.

﴿أَمْ تَسْئَلُهُمْ﴾ يرجعُ إلى قولِه: ﴿أَم بِهِۦ جِنَّةٌ﴾ ﴿خَرْجًا﴾: أجرًا وجُعْلًا على أداءِ الرِّسالةِ.

وقُرِئَ: ﴿خراجًا﴾(١)، وهو ما تُخرِجُه الرَّعيَّة من أموالِهم إلى الأمراءِ.

ابنُ عيسى: ما يُخرجُ منَ الغَلَّةِ على سبيلِ الوظيفةِ.

﴿فَخَرَاجُ رَبِّكَ﴾ رزقُ ربِّكَ في الدُّنيا.

وقيل: ثوابُ ربِّك في العُقبى.

﴿خَيْرٌ﴾ لأنَّه أبقى وأدوَمُ ﴿وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾: خيرُ المعطينَ.

* * *

(٧٣) - ﴿وَإِنَّكَ لَتَدْعُوهُمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾.

﴿وَإِنَّكَ لَتَدْعُوهُمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾: دينِ الإسلامِ.

* * *

(٧٤) - ﴿وَإِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ عَنِ الصِّرَٰطِ لَنَٰكِبُونَ﴾.

﴿وَإِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ عَنِ الصِّرَٰطِ﴾ أي: الصِّراطِ المذكورِ، وهو: الصِّراطُ المستقيمُ ﴿لَنَٰكِبُونَ﴾: عادِلون عنه مائلون إلى غيرِه.

وقيل: طريقُ الجنَّةِ.

---

(١) قرأ حمزة والكسائي: ﴿خَرَاجاً فخَرَاجُ﴾، وابن عامر: ﴿خَرْجاً فخَرْجُ﴾، وباقي السبعة: ﴿خَرْجاً فخَرَاجُ﴾. انظر: «السبعة» (ص: ٤٤٧)، و«التيسير» (ص: ١٤٦). وقد تقدم كلام للمصنف على الفرق بين الخرج والخراج في تفسير قوله تعالى: ﴿فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا﴾ [الكهف: ٩٤].

وقيل: الصِّراطُ الذي يكونُ في الآخرةِ ﴿لَنَٰكِبُونَ﴾ نأخذُهم يمنةً ويسرةً إلى النّارِ، تقولُ: نكَبَ عنِ الطَّريقِ، و(نَكَّبَ) بمعناه[1].

* * *

(٧٥) - ﴿وَلَوْ رَحِمْنَٰهُمْ وَكَشَفْنَا مَا بِهِم مِّن ضُرٍّ لَّلَجُّوا۟ فِى طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾.

﴿وَلَوْ رَحِمْنَٰهُمْ وَكَشَفْنَا مَا بِهِم مِّن ضُرٍّ﴾: قَحْطٍ وجُوعٍ ﴿لَّلَجُّوا۟ فِى طُغْيَٰنِهِمْ﴾: لأقاموا وثبَتُوا على كفرِهم ﴿يَعْمَهُونَ﴾ يترَدَّدون مُتحيِّرين.

وقيل: إنْ أخرَجْناهم منَ النّارِ إلى الدُّنيا لعادُوا إلى الكفرِ، كقولِه: ﴿وَلَوْ رُدُّوا۟ لَعَادُوا۟ لِمَا نُهُوا۟ عَنْهُ﴾ [الأنعام: ٢٨].

* * *

(٧٦) - ﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَٰهُم بِٱلْعَذَابِ فَمَا ٱسْتَكَانُوا۟ لِرَبِّهِمْ وَمَا يَتَضَرَّعُونَ﴾.

في سببِ النُّزولِ: عن ابنِ عبَّاسٍ رضي الله عنهما قال: جاءَ أبو سفيانَ إلى رسولِ اللهِ ﷺ فقال: «يامحمَّدُ، أنشُدُكَ اللهَ والرَّحِمَ لقد أكلْنا العِلْهِزَ»، يعني: الوبرَ بالدَّمِ[2]، فأنزلَ اللهُ: ﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَٰهُم بِٱلْعَذَابِ فَمَا ٱسْتَكَانُوا۟ لِرَبِّهِمْ وَمَا يَتَضَرَّعُونَ﴾[3]؛ أي: بالقحطِ والجوعِ.

وقيل: بالقتلِ يومَ بدرٍ، وقد سبقَ اشتقاقُ الاستكانةِ والتَّضرُّعِ[4].

---

(١) انظر: «الصحاح» مادة: (ن ك ب) (١/ ٢٢٨). وهما لغتان صحيحتان؛ بتخفيف الكاف وتشديدها، وذكر الصقلي في «تثقيف اللسان» (ص: ١٢٨) أن الصواب التخفيف، والحق أنهما لغتان، كما ذكر الجوهري والمصنف وأبو حيان في «البحر المحيط» (٧/ ٥٤٥).

(٢) وهو طعام كانوا يتخذونه زمن المجاعة. انظر: «الصحاح» (٣/ ٨٨٧).

(٣) رواه النسائي في «الكبرى» (١١٢٨٩)، والطبري في «تفسيره» (١٧/ ٩٣)، وابن حبان في «صحيحه» (٩٦٧)، والحاكم في «المستدرك» (٣٤٨٨) وصححه.

(٤) تكلم المصنف في اشتقاق الاستكانه عند تفسير قوله تعالى: ﴿فَمَا وَهَنُوا۟ لِمَآ أَصَابَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا۟ وَمَا ٱسْتَكَانُوا۟﴾ [آل عمران: ١٤٦]، وتكلم في اشتقاق التضرع عند تفسير قوله تعالى: ﴿تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً﴾ [الأعراف: ٥٥].

(٧٧) ـ ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا ذَا عَذَابٍ شَدِيدٍ إِذَا هُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ ﴾.

﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا ذَا عَذَابٍ شَدِيدٍ ﴾؛ أي: أنزلْنا عليهم عذابًا.

الزَّجَّاجُ: العذابُ الأوَّلُ: القَحْطُ، والثَّاني: القتلُ(١).

وقيل: العذابُ الأوَّلُ: همومُ الدُّنيا وابتلاؤُها وغمُّها، والثَّاني: عذابُ الآخرةِ.

﴿إِذَا هُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ ﴾: آيِسون من كلِّ خيرٍ مُتحيِّرين.

* * *

(٧٨) ـ ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۚ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴾.

﴿ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَ ﴾: خلقَ ﴿لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۚ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴾؛ أي: تشكُرونَ شكرًا قليلًا، و﴿مَّا﴾ صِلةٌ(٢).

وقيل: معناه: قليلًا مَن يشكُرُ(٣).

* * *

(٧٩) ـ ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى ذَرَأَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴾.

﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى ذَرَأَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴾ أي: منه المبدأُ وإليه المَعادُ.

* * *

(٨٠) ـ ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ وَلَهُ ٱخْتِلَٰفُ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾.

﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ وَلَهُ ٱخْتِلَٰفُ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ ﴾: مجيءُ أحدِهما عقيبَ الآخرِ.

وقيل: اختلافُهما بالظُّلمةِ والنُّورِ.

---

(١) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٤/ ١٩).

(٢) انظر: «التبيان» للعكبري (١/ ٩٠).

(٣) وناصب (قليلاً) مضمر على هذا القول، والتقدير: صاروا قليلاً يشكرون. وقد تقدم كلام المصنف على نحوه في تفسير قوله تعالى: ﴿فَقَلِيلًا مَّا يُؤْمِنُونَ﴾ [البقرة: ٨٨].

وقيل: معناه: وله ملكُ اختلافِهما وله التَّدبيرُ فيهما.

﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ فتعرِفوا قُدرَتَنا على البعثِ.

* * *

(٨١ ـ ٨٢) ـ ﴿بَلْ قَالُوا۟ مِثْلَ مَا قَالَ ٱلْأَوَّلُونَ ﴿٨١﴾ قَالُوٓا۟ أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ﴾.

﴿بَلْ قَالُوا۟ مِثْلَ مَا قَالَ ٱلْأَوَّلُونَ﴾؛ أي: آباؤُهم، ثمَّ بيَّن ما قالوا فقال: ﴿قَالُوٓا۟ أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ﴾ استبطَؤُوا أمرَ البعثِ.

* * *

(٨٣) ـ ﴿لَقَدْ وُعِدْنَا نَحْنُ وَءَابَآؤُنَا هَٰذَا مِن قَبْلُ إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾.

﴿لَقَدْ وُعِدْنَا نَحْنُ وَءَابَآؤُنَا هَٰذَا مِن قَبْلُ﴾؛ أي: هذا الذي تعِدُنا منَ البعثِ، فقد وُعِدْنا نحنُ وآباؤُنا فما صدقَ وعدُهم ولا شاهَدْنا ذلك، ﴿إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾: أكاذيبُهم، وقد سبقَ بيانُ الآيةِ قبلُ[1].

* * *

(٨٤ ـ ٨٥) ـ ﴿قُل لِّمَنِ ٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهَآ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٤﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾.

﴿قُل لِّمَنِ ٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهَآ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٤﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾؛ أي: قل لهم: لِمَنْ خلْقُ الأرضِ؟ فإنَّهم سيقولون: لله؛ لأنَّهم مقِرُّون بأنَّ اللهَ هو الخالقُ، فإذا قالوها قُلْ لهم: أفلا تذكَّرون أنَّ مالكَ الشَّيءِ يقدرُ على التَّصرُّفِ في الشَّيءِ، والأمواتُ مملوكةٌ للهِ، فهو قادرٌ على إحيائِها بعد

(١) في تفسير سورة (الأنعام).

المـوتِ قُدرتَـه عليهـا فـي المـرّةِ الأولـى، فإنَّهـا كانـت أمواتًـا فأحياها.

***

(٨٦ ـ ٨٧) ـ ﴿ قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلسَّبْعِ وَرَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٨٦﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴾.

﴿ قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلسَّبْعِ وَرَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ﴾؛ أي: سلْهُم عن أعظمَ مِن الأرضِ ومَن فيها وهي السَّماواتُ السَّبعُ والعرشُ العظيمُ، فإنَّهم لا يُنكِرون أنَّ اللهَ خالقُها مع عِظَمِ أجزائِها وعلوِّ مكانها، وهو قولُه:

﴿ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ ﴾ لهم ﴿ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴾ عقابَ مَن هذه كلُّها ملكُه ومقدورُه بإنكارِ شيءٍ حقيرٍ، وهو إعادةُ الموتى أحياءً.

***

(٨٨ ـ ٨٩) ـ ﴿ قُلْ مَنۢ بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٨﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ فَأَنَّىٰ تُسْحَرُونَ ﴾.

﴿ قُلْ مَنۢ بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾؛ أي: سَلْهم عن أحوالِها فقد أَقرُّوا ذواتَها للهِ.

والملكوتُ: الملكُ بأبلغِ لفظٍ كالرَّحَـموتِ والرَّهَبُوتِ[١].

وقيل: الملكوتُ: الخزائنُ.

﴿ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ فَأَنَّىٰ تُسْحَرُونَ ﴾: فمِن أينَ تُصرَفون عن رُشدِكم؟

---

(١) والتاء والواو زيدت للمبالغة؛ لما تقرر من أن زيادة المبني تدل على زيادة المعنى، وقد قيل: إن الملك عالم الشهادة، والملكوت عالم الغيب. انظر: «شرح الكتاب» للسيرافي (٥/ ١٥٩)، و«معجم الفروق اللغوية» (ص: ٥١١).

وقيل: تُخدَعون.

وقيل: كيف تَعْمَونَ[١]؟ من قولِه: ﴿سَحَرُوٓاْ أَعۡيُنَ ٱلنَّاسِ﴾ [الأعراف: ١١٦].

وقيل: من أينَ يلحقُكم التَّمويهُ والسِّحرُ؟

وقيل: من أيِّ جهةٍ يُخيَّلُ إليكم الباطلُ حقًّا والكذبُ صدقًا؟

ومعنى ﴿وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيۡهِ﴾: يمنعُ المكروهَ من أوليائِه ولا يمنعُ أحدٌ السُّوءَ ممَّن أرادَه اللهُ به.

﴿إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ﴾: إنْ كان لكم عقلٌ فقد قامَتِ الحجَّةُ عليكم بإقرارِكم.

والأوَّلُ ﴿لِلَّهِ﴾ بإجماعٍ؛ لقولِه في السُّؤالِ: ﴿لِّمَنِ﴾، والثَّاني والثالثُ مُختلَفٌ فيهما؛ فمَن قرأَ باللَّامِ حملَ على المعنى، ومَن قرأَ بحذفِه[٢] فعلى ظاهرِ اللَّفظِ.

* * *

(٩٠) ـ ﴿بَلۡ أَتَيۡنَٰهُم بِٱلۡحَقِّ وَإِنَّهُمۡ لَكَٰذِبُونَ﴾.

﴿بَلۡ أَتَيۡنَٰهُم بِٱلۡحَقِّ وَإِنَّهُمۡ لَكَٰذِبُونَ﴾؛ أي: بيَّنَّا لهم الحقَّ فظهرَ كذبُهم، وإنَّهم لمُصِرُّون عليه.

وقيل: لكاذِبون بقولِهم: ﴿ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدٗا﴾ [البقرة: ١١٦].

* * *

(١) هذا قول أبي عبيدة في «مجاز القرآن» (٢/ ٦١).

(٢) هي قراءة أبي عمرو، قرأ: ﴿سيقولون اللهُ﴾ بالألف ورفع الهاء، والباقون باللام وكسر الهاء. انظر: «السبعة» (ص: ٤٤٧)، و«التيسير» (ص: ١٦٠).

(٩١) ـ ﴿مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنْ إِلَٰهٍ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾.

﴿مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٍ﴾ لأنَّه مُنزَّهٌ عن النَّوعِ والجنسِ، وولدُ الرَّجلِ من جنسِه.

﴿وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنْ إِلَٰهٍ﴾: شريكٍ في الإلهيَّةِ ﴿إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍ بِمَا خَلَقَ﴾؛ أي: لَـمَيَّزَ كلُّ واحدٍ مخلوقَه كي لا يَلتبِسَ بمخلوقِ غيرِه، ولا تميُّزَ بين المخلوقاتِ بعلامةٍ يُعلمُ أنَّ هذا للهِ وهذا لشريكِه، فصحَّ أنَّه لا شريكَ له ومعه.

﴿وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾: غلبَه وقهرَه ومنعَه عن مُرادِه، وليس بإلهٍ مَن يُغلَبُ ويُمنَعُ، واللهُ سبحانه يفعلُ ما يريدُ من غيرِ مُغالبٍ ومُدافعٍ.

﴿سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ من اتِّخاذِ الولدِ والشَّريكِ.

* * *

(٩٢) ـ ﴿عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾.

﴿عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ﴾: ما كانَ وما يكونُ ﴿وَٱلشَّهَٰدَةِ﴾: ما هو حاضرٌ، وقيل: السِّرُّ والعلانيةُ، وليس فيهما[1] للهِ ولدٌ ولا شريكٌ ﴿فَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ هو أعلى من أن يتَّخذَ ولدًا أو شريكًا.

* * *

(٩٣ ـ ٩٤) ـ ﴿قُل رَّبِّ إِمَّا تُرِيَنِّى مَا يُوعَدُونَ ﴿٩٣﴾ رَبِّ فَلَا تَجْعَلْنِى فِى ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾.

﴿قُل رَّبِّ إِمَّا تُرِيَنِّى مَا يُوعَدُونَ﴾: إنْ أريتَني عذابَهم ﴿رَبِّ فَلَا تَجْعَلْنِى فِى ٱلْقَوْمِ

---

(١) أي: في الغيب والشهادة.

ٱلظَّٰلِمِينَ﴾؛ أي: أخرِجْني منهم ولا تُعذِّبْني معهم، والفاءُ جوابُ الشَّرطِ، وقولُه: ﴿رَّبِّ﴾ اعتراضٌ بينهما للتَّأكيدِ.

والجمهورُ على أنَّ هذا العذابَ في الدُّنيا، وقيل: في الآخرةِ.

الحسنُ: أخبرَ اللهُ نبيَّه أنَّ له في أمَّتِه نقمةً ولـم يُطلِعْه على وقتِها، فأمرَه بهذا الدُّعاءِ(١).

***

(٩٥) ـ ﴿وَإِنَّا عَلَىٰٓ أَن نُّرِيَكَ مَا نَعِدُهُمۡ لَقَٰدِرُونَ﴾.

﴿وَإِنَّا عَلَىٰٓ أَن نُّرِيَكَ مَا نَعِدُهُمۡ لَقَٰدِرُونَ﴾: إخبارٌ بقُدرتِه على إنزالِ العذابِ، قيل: هو يومُ بدرٍ.

وقيل: هو فتحُ مكَّةَ.

وقيل: إنَّ اللهَ أخَّرَه لعلَّهم يؤمنون.

***

(٩٦) ـ ﴿ٱدۡفَعۡ بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ ٱلسَّيِّئَةَۚ نَحۡنُ أَعۡلَمُ بِمَا يَصِفُونَ﴾.

﴿ٱدۡفَعۡ بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ ٱلسَّيِّئَةَ﴾ التي هي أحسنُ: كلمةُ لا إلهَ إلّا اللهُ، والسَّيِّئةُ: الشِّركُ.

وقيل: ادفَعْ بحِلْمِك جهلَهم.

وقيل: ادفَعْ أذاهُم إيَّاك بالسَّلامِ عليهم.

وقيل: بالإغضاءِ والصَّفحِ عن إساءةِ المُشركين.

وقيل: ادفَع المنكرَ بالأمرِ بالمعروفِ.

﴿نَحۡنُ أَعۡلَمُ بِمَا يَصِفُونَ﴾؛ أي: نحنُ أعلمُ بما يستحقُّون منَ الجزاءِ وبوقتِ العذابِ. وهذا قبلَ أن أُمِرَ بالقتالِ.

---

(١) ذكره ابن أبي زمنين في «تفسيره» (٢/ ٣٥٩)، والزمخشري في «الكشاف» (٣/ ٢٠١).

(٩٧) ـ ﴿وَقُل رَّبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَٰتِ ٱلشَّيَٰطِينِ﴾.

﴿وَقُل رَّبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَٰتِ ٱلشَّيَٰطِينِ﴾: شرِّ الشَّياطين.

وقيل: وساوِسه الدَّاعيةِ إلى الضَّلالِ والمعاصي.

وقيل: نزغاتِه.

وقيل: إغوائِه.

ورُوِيَ مرفوعًا: أنَّ همْزَه المُوتةُ التي تأخذُ ابنَ آدمَ[1]. وقيل: الجنونُ.

***

(٩٨) ـ ﴿وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَن يَحْضُرُونِ﴾.

﴿وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَن يَحْضُرُونِ﴾ في الصَّلاةِ، وعندَ القراءةِ.

وقيل: عندَ الموتِ.

---

(١) قطعة من حديث رواه الإمام أحمد في «المسند» (١٦٧٣٩) عن جبير بن مطعم مرفوعاً، وفيه: «... اللهم إني أعوذ بك من الشيطان الرجيم، من همزه ونفثه ونفخه» قلت: يا رسول الله، ما همزه ونفثه ونفخه؟ قال: «أما همزه فالموتة التي تأخذ ابن آدم، وأما نفخه الكِبْر، ونفثه الشِّعْر». وإسناده ضعيف، وقد روي الشرح المذكور من قول ابن مسعود، رواه عبد الرزاق في «المصنف» (٢٥٨١)، ومن طريقه الطبراني في «الكبير» (٩٣٠٣)، عن ابن مسعود قال: «همزه الموتة؛ يعني: الجنون، ونفخه: الكبر، ونفثه: الشعر».
ورواه عبد الله بن الإمام أحمد في زوائده على «المسند» (١٦٧٦٠) من طريق حُصَينٍ، عن عمرِو بن مُرَّة، عن عَبَّاد بن عاصم، عن نافع بن جبير بن مُطْعِمٍ، عن أبيه، وفيه: «قال حصين (هو ابن عبد الرحمن السلمي): همزه الموتة التي تأخذ صاحب المس، ونفثه الشعر، ونفخه الكبر».
ورواه أبو داود (٧٦٤)، وابن ماجه (٨٠٧)، وفي رواية ابن ماجه التصريح بأن القائل هو عمرو بن مرة.

وقيل: أن يُصيبوني بسوءٍ منهم، من قولِ العربِ: اللَّبنُ محضُورٌ؛ أي: يُصابُ منه(١).

***

(٩٩) ـ ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ٱرْجِعُونِ﴾.

﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ٱرْجِعُونِ﴾ أي: إذا حضرَه ملَكُ الموتِ، قال: يا ربِّ ارجِعوني: رُدُّوني إلى الدُّنيا، وذُكِرَ بلفظِ الجمعِ تعظيمًا للمُخاطَبِ.

وقيل: خاطبَ ملكَ الموتِ وأعوانَه به(٢).

وقيل: تقديرُه: يا ربِّ مُرْهُم ليُرجِعُوني(٣).

وقيل: عدَلَ عن خطابِ اللهِ إلى خطابِ الملائكةِ(٤).

***

(١٠٠) ـ ﴿لَعَلِّيٓ أَعْمَلُ صَٰلِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّآ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَآئِلُهَا وَمِن وَرَآئِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾.

﴿لَعَلِّيٓ أَعْمَلُ صَٰلِحًا فِيمَا تَرَكْتُ﴾ خالصًا في الدُّنيا؛ لأنَّه تركَ الدُّنيا(٥) وصارَ إلى العُقبى.

وقيل: ﴿أَعْمَلُ صَٰلِحًا﴾ أقولُ: لا إلهَ إلَّا اللهُ.

---

(١) ذكر هذا القول ابن فارس في «الصاحبي» (ص: ١٩١)، «مقاييس اللغة» مادة: (ح ض ر) (٢/ ٧٦) ولكنه ذكر بأن معنى قول العرب: لبن محضور؛ أي: كثير الآفة، وتصيبه الآفات، ولكن ذكره الواحدي في «البسيط» (١٦/ ٥٩٠) بلفظ المصنف، وقد ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٧٨٣)، واستغربه.

(٢) «به»: ليس في (ف).

(٣) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٧٨٣)، واستغربه.

(٤) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٧٨٣)، وعدَّه من العجائب.

(٥) وذلك لأنهم كانوا يعملون أعمالاً، ولكن كانوا يشركون بها

﴿كَلَّآ﴾؛ أي: لا يكونُ ما سألتَ منَ الرُّجوعِ.

وقيل: معناه: حقًّا.

﴿إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَآئِلُهَا﴾ يعني بالكلمةِ قولَه: ﴿رَبِّ ٱرۡجِعُونِ﴾.

وقيل: معناه ﴿كَلِمَةٌ هُوَ قَآئِلُهَا﴾: لا أصلَ لها؛ لأنَّه لو رجعَ إلى الدُّنيا لم يَفِ بها[1].

الزَّجَّاجُ: الضَّميرُ في ﴿إِنَّهَا﴾ يعودُ إلى قولِه: ﴿إِذَا جَآءَ أَجَلُهُمۡ﴾ الآيةَ [يونس: ٤٩]؛ أي: اللهُ قائلُ هذه الكلمةِ، فلا يدخلُه خُلْفٌ[2].

﴿وَمِن وَرَآئِهِم﴾؛ أي: بينَ أيديهم، وقيل: قُدَّامَهم[3].

﴿بَرۡزَخٌ﴾ حاجزٌ حائلٌ، وهو ما بين الموتِ والبعثِ.

وقيل: حاجزٌ بين الدُّنيا والآخرةِ.

وقيل: حاجزٌ بين الميِّتِ والرُّجوعِ إلى الدُّنيا.

وقيل: ﴿وَمِن وَرَآئِهِم بَرۡزَخٌ﴾: إمهالٌ ﴿إِلَىٰ يَوۡمِ يُبۡعَثُونَ﴾ إلى يومِ القيامةِ.

وقيل: البرزخُ: القبرُ.

وقيل: ما بين النَّفختَين، وهو أربعون سنةً.

وقيل: بقيَّةُ الدُّنيا.

* * *

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٧٨٣)، واستغربه.

(٢) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٤/ ٢١)، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٧٨٣)، وعدَّه من العجائب.

(٣) فلفظ (وراء) من الأضداد كما تقدم في تفسير قوله تعالى: ﴿مِّن وَرَآئِهِۦ جَهَنَّمُ﴾. وانظر: «الأضداد» للأنباري (ص: ٦٨).

(١٠١) - ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَلَآ أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَآءَلُونَ﴾.

﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي ٱلصُّورِ﴾ يَنفخُ فيه إسرافيلُ لقيامِ السَّاعةِ.

الحسَنُ: الصُّورُ: جمعُ صُورةٍ(١).

﴿فَلَآ أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ﴾ أي: لا أنسابَ بينَهم تنفعُهم، ولا يعطِفُ ذو رَحِمٍ على ذي(٢) رَحِمِه؛ لاشتغالِه بنفسِه.

وقيل: لا يتناسبون للمُفاخرةِ كما كانوا يفعلون في الدُّنيا.

وقيل: لا يتواصَلون بالأنسابِ.

﴿وَلَا يَتَسَآءَلُونَ﴾: لا يسألُ بعضُهم بعضًا تقويةً(٣)؛ لعلمِه بأنَّه مشغولٌ بنفسِه.

وقيل: لا يسألُ بعضُهم بعضًا عن حالِه.

وليس بينَ هذا وبينَ قولِه: ﴿وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَآءَلُونَ﴾ [الصافات: ٢٧] تناقضٌ؛ لأنَّ هذا في بعضِ المواقفِ، وفي القيامةِ(٤) مواقفُ، قال ابنُ عبَّاسٍ رضي الله عنهما: لا يُسألونَ عندَ النَّفخةِ الأولى(٥).

---

(١) ذكره المصنف في «تفسيره» قوله تعالى: ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَجَمَعْنَٰهُمْ جَمْعًا﴾ [الكهف: ٩٩]، وقد نسبه هنالك للحسن وقتادة وأبي عبيدة، وقد ذكره الحسن ابن فورك في تصبح الجملة في «تفسيره» انظر: «تفسيره» (١/ ١٠١)، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٧٨٣)، واستغربه. وفي «الكشاف» (٢/ ٣٠٩) عن الحسن أنه قرأ: (الصُّوَر) بفتح الواو.

(٢) «ذي»: ليس في (ف).

(٣) سيذكر المصنف مثل هذه العبارة في تفسير قوله تعالى: ﴿فَعَمِيَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْأَنۢبَآءُ يَوْمَئِذٍ فَهُمْ لَا يَتَسَآءَلُونَ﴾ [القصص: ٦٦]، ولفظه ثمة: «لا يسأل بعضهم بعضاً استعانة» وهو المراد هنا، وقد نسب نحوه الماوردي في «النكت والعيون» (٤/ ٦٧) ليحيى بن سلام.

(٤) في (ف): «وللقيامة».

(٥) رواه الطبري في «تفسيره» (١٧/ ١١١)، وابن المنذر في «تفسيره» (٢/ ٧١٦).

وقيل: ما داموا في المُحاسبةِ لا يتساءلون؛ لأنَّهم لا يتفرَّغون، فإذا فرَغُوا فدخَلُوا الجنَّةَ أو النَّارَ تساءَلُوا[1].

***

(١٠٢ ـ ١٠٣) ـ ﴿فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ۝١٠٢ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمْ فِى جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ﴾.

﴿فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ﴾ بالعملِ الصَّالحِ ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ يعني: المؤمنين ﴿وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ﴾ يعني: الكفَّارَ ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمْ﴾ غبَنُوا أنفسَهم ﴿فِى جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ﴾ لا يخرُجونَ ولا يموتونَ.

والجمهورُ على أنَّه يُنصَبُ في عَرْصةِ القيامةِ ميزانٌ له كِفَّتان ولسانٌ يُوزَنُ به الحسناتُ والسَّيِّئاتُ.

وقيل: هو مَثَلٌ للحسناتِ والسَّيِّئاتِ، فمَن كثُرتْ حسناتُه فهو مُفلحٌ، ومَن كثُرتْ سيِّئاته فهو خاسرٌ[2].

وقيل: الموازينُ: الأعمالُ، وثِقَلُها أن تكونَ حسنةً ويكونَ لها خطرٌ ومقدارٌ ووزنٌ، والسَّيِّئةُ لا خطرَ لها ولا وزنَ[3].

والأوَّلُ هو المُعتقَدُ، وإنَّما جُمِع لاختلافِ الموزوناتِ، كالأهلَّةِ لاختلافِ الأوقاتِ، ويحتمِلُ أنَّها جمعُ موزونٍ[4].

---

(١) انظر: «الانتصار للقرآن» للباقلاني (٢/ ٥٩٦ ـ ٥٩٨ و٧٢٠ و٧٥٢).

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٧٨٤)، واستغربه.

(٣) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٧٨٤)، وعدَّه من العجائب.

(٤) انظر ما تقدم من كلام المصنف والتعليق عليه في تفسير قوله تعالى: ﴿وَٱلْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ﴾ الآيتين [الأعراف: ٨ ـ ٩].

(١٠٤) ـ ﴿ تَلْفَحُ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ وَهُمْ فِيهَا كَٰلِحُونَ ﴾.

﴿ تَلْفَحُ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ ﴾ أي: تحرِقُ فلا يَبْقَى عليه لحمٌ ﴿ وَهُمْ فِيهَا كَٰلِحُونَ ﴾ الكُلوحُ: بُسُورُ الوجهِ. وقيل: تقلُّصُ الشَّفتَينِ عن الأسنانِ حتَّى تبدوَ الأسنانُ.

* * *

(١٠٥) ـ ﴿ أَلَمْ تَكُنْ ءَايَٰتِى تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَكُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ ﴾.

﴿ أَلَمْ تَكُنْ ءَايَٰتِى تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ ﴾ أي: فيقالُ لهم: ﴿ أَلَمْ تَكُنْ ءَايَٰتِى ﴾ يعني: القرآنَ ﴿ تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ ﴾ في الدُّنيا، وفيه الأمرُ والنَّهيُ، ﴿ فَكُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ ﴾؟

* * *

(١٠٦) ـ ﴿ قَالُوا۟ رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَآلِّينَ ﴾.

﴿ قَالُوا۟ رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا ﴾ التي كتَبْتَ علينا في اللَّوحِ المحفوظِ.

وقيل: الشِّقوةُ: الهوى.

وقيل: غلَبَتْ علينا سيِّئاتُنا التي أوجَبَتْ لنا الشَّقاوةَ[١].

وقيل الشِّقوةُ: حُسْنُ الظَّنِّ بالنَّفسِ وسوءُ الظَّنِّ بالغيرِ[٢].

وقُرِئ: ﴿ شِقْوَتُنَا ﴾ بالكسرِ، و﴿ شَقَاوَتُنَا ﴾ بالفتحِ والألفِ[٣]، وكلاهما مصدرانِ.

﴿ وَكُنَّا قَوْمًا ضَآلِّينَ ﴾ عن الهدى والحقِّ.

* * *

---

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٧٨٤)، واستغربه.

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٧٨٤)، وعدَّه من العجائب.

(٣) قرأ بالثانية حمزة والكسائي، والباقون بالأولى. انظر: «السبعة» (ص: ٤٤٨)، و«التيسير» (ص: ١٦٠).

(١٠٧) ـ ﴿رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَٰلِمُونَ﴾.

﴿رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا مِنْهَا﴾: منَ النَّارِ ﴿فَإِنْ عُدْنَا﴾ إلى الكفرِ والتَّكذيبِ ﴿فَإِنَّا ظَٰلِمُونَ﴾ لأنفُسِنا.

الحسنُ: هذا آخرُ كلامٍ يتكلَّمُ به أهلُ النّارِ(١).

***

(١٠٨) ـ ﴿قَالَ ٱخْسَـُٔواْ فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ﴾.

﴿قَالَ ٱخْسَـُٔواْ فِيهَا﴾ اسكتُوا سكوتَ ذلَّةٍ وهَوانٍ ﴿وَلَا تُكَلِّمُونِ﴾ في دفعِ العذابِ؛ فإنِّي لا أدفعُه عنكم.

وقيل: هذا على جهةِ الغضبِ اللَّازمِ لهم تقولُ: خسأْتُ الكلبَ؛ إذا زجرتَه، فخَسَأَ(٢).

***

(١٠٩) ـ ﴿إِنَّهُۥ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْ عِبَادِى يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾.

﴿إِنَّهُۥ﴾: إنَّ الأمرَ والشَّأنَ ﴿كَانَ فَرِيقٌ مِّنْ عِبَادِى يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾ يعني: المُؤمنين.

***

(١١٠) ـ ﴿فَٱتَّخَذْتُمُوهُمْ سِخْرِيًّا حَتَّىٰٓ أَنسَوْكُمْ ذِكْرِى وَكُنتُم مِّنْهُمْ تَضْحَكُونَ﴾.

﴿فَٱتَّخَذْتُمُوهُمْ سِخْرِيًّا﴾ أي: سخِرْتُم منهم وهزِئتُم بهم.

وقيل: اتَّخذتُموهم سُخْرةً وعُبودةً(٣).

---

(١) ذكره ابن فورك في «تفسيره» (١/ ١٠٦)، والثعلبي في «تفسيره» (١٨/ ٥٦٧).

(٢) انظر: «العين» مادة: (خ س أ) (٤/ ٢٨٨)، و«أدب الكاتب» لابن قتيبة (ص: ٤٥٥).

(٣) العبودة: مصدر (عَبُدَ)، كالعبودية. انظر: «المحكم» مادة: (ع ب د) (٢/ ٢٥) والسخرةُ: استخدام =

﴿حَتَّىٰٓ أَنسَوۡكُمۡ﴾؛ أي: أنساكُم الهُزءُ بهم ﴿ذِكۡرِي﴾: طاعَتي ﴿وَكُنتُم مِّنۡهُمۡ تَضۡحَكُونَ﴾ استهزاءً بهم.

* * *

(١١١) ـ ﴿إِنِّي جَزَيۡتُهُمُ ٱلۡيَوۡمَ بِمَا صَبَرُوٓاْ أَنَّهُمۡ هُمُ ٱلۡفَآئِزُونَ﴾.

﴿إِنِّي جَزَيۡتُهُمُ ٱلۡيَوۡمَ بِمَا صَبَرُوٓاْ أَنَّهُمۡ هُمُ ٱلۡفَآئِزُونَ﴾ يجوزُ أن يكون التَّقديرُ: جزيتُهم الجنَّةَ بصبرِهم لأنَّهم هم الفائزون.

ويجوزُ أن يكونَ ﴿أَنَّهُمۡ هُمُ ٱلۡفَآئِزُونَ﴾ المفعولَ الثَّانيَ؛ أي: جزيتُهم اليومَ الفوزَ[١].

ومَن كسرَ[٢] فعلى الابتداءِ؛ أي: إنَّهم هم الفائزون لا أنتم، ومعنى فازَ: نالَ ما أرادَ.

* * *

(١١٢) ـ ﴿قَٰلَ كَمۡ لَبِثۡتُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ عَدَدَ سِنِينَ﴾.

﴿قَٰلَ كَمۡ لَبِثۡتُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ قيل: في القبرِ. وقيل: في الدُّنيا.

﴿عَدَدَ سِنِينَ﴾ أي: كم عددَ سنينَ لبِثتُم؟ و﴿عَدَدَ﴾ نصبٌ بـ﴿كَمۡ﴾، و﴿كَمۡ﴾ نصبٌ بـ﴿لَبِثۡتُمۡ﴾، وإنَّما سُئِلوا عن هذا؛ لأنَّهم كانوا يقولون: نحنُ ندومُ ولا نفنَى.

وقيل: لو عرفتُم مدَّةَ ما تلبثون في القُبورِ لَمَا أنكرتُم البعثَ.

ومَن قرأ: ﴿قُلۡ﴾[٣] فتقديرُه: قولوا يا أهلَ النَّارِ.

= الخادم أو الدابة بلا أجر أو ثمن. انظر: «العين» مادة: (س خ ر) (٤/ ١٩٦).

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٧٨٥)، واستغربه.

(٢) قرأ حمزة والكسائي بالكسر، والباقون بالفتح. انظر: «السبعة» (ص: ٤٤٨ ـ ٤٤٩)، و«التيسير» (ص: ١٦٠).

(٣) هي قراءة ابن كثير وحمزة والكسائي، والباقون: ﴿قَٰلَ﴾. انظر: «السبعة» (ص: ٤٤٩)، و«التيسير» (ص: ١٦٠).

(١١٣) ـ ﴿قَالُوا۟ لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ فَسْـَٔلِ ٱلْعَآدِّينَ﴾.

﴿قَالُوا۟ لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ﴾ استقصَروا مدَّةَ لُبثِهم لِمَا دُفِعوا إليه منَ الشَّدائِدِ.

وقيل: إنَّهم كانوا عالِمين أنَّهم مكثُوا أكثرَ من يومٍ ويومَين، ولكنَّهم أرادُوا: لبثنا[1] قليلًا.

﴿فَسْـَٔلِ ٱلْعَآدِّينَ﴾ قيل: الملائكةَ.

وقيل: ملَكَ الموتِ وأعوانَه.

وقيل: الحفظةَ.

وقيل: الحُسَّابَ[2].

***

(١١٤) ـ ﴿قَٰلَ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا ۖ لَّوْ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾.

﴿قَٰلَ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا﴾ أي: أنتم وإنْ أخطأتُم فيما أجَبْتُم به فما لبثتُم فيها إلَّا قليلًا بالإضافةِ[3].

وقيل: إلَّا قليلًا؛ لأنَّه انقَضَى، وكلُّ مُنقَضٍ قليلٌ[4].

﴿لَّوْ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ هذا ما اشتَغَلْتُم بالمعاصي.

***

(١) في (ن): «لبثاً».

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٧٨٥)، واستغربه.

(٣) يعني هو قليل بالنسبة لما سيأتي عليهم من عذاب دائم في النار، وقد ذُكر نحو هذا في قوله تعالى: ﴿إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ﴾، وقوله: ﴿مَّا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِّنْهُمْ﴾ انظر: «التصاريف» ليحيى بن سلام (ص: ٣٣٩).

(٤) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٧٨٥)، واستغربه.

(١١٥) ـ ﴿ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَٰكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴾.

﴿ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَٰكُمْ عَبَثًا ﴾ فيه قولان:

أحدُهما: للعبثِ؛ أي: لتعبَثُوا وتغفُلوا وتلهُوا.

والثَّاني: بالعبثِ والباطلِ، لا نَحكُمُ للمطيعِ بالثَّوابِ وللعاصي بالعقابِ.

﴿ وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴾ بعد الموتِ.

* * *

(١١٦) ـ ﴿ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْكَرِيمِ ﴾.

﴿ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ﴾؛ أي: جلَّ عن أن يخلقَ عبثًا.

وقيل: علَتْ صفتُه فوقَ كلِّ صفةٍ لغيرِه.

﴿ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ ﴾: المُستحِقُّ للمملكةِ، وغيرُه منَ الملوكِ مملوكون.

﴿ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْكَرِيمِ ﴾ السَّريرِ الكبيرِ.

وقيل: العرشُ: السَّماواتُ.

وقيل: المُلْكُ الكريمُ حيثُ يُنالُ من جهتِه الكراماتُ[1].

* * *

(١١٧) ـ ﴿ وَمَن يَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ لَا بُرْهَٰنَ لَهُۥ بِهِۦ فَإِنَّمَا حِسَابُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦٓ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴾.

﴿ وَمَن يَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ لَا بُرْهَٰنَ لَهُۥ بِهِۦ ﴾: مَن أشركَ مع اللهِ إلهًا آخرَ من غيرِ برهانِ حجَّةٍ وبيانٍ ﴿ فَإِنَّمَا حِسَابُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦٓ ﴾ هذا جوابُ الشَّرطِ؛ أي: فجزاؤُه على اللهِ، وهو يُجازيه لا محالةَ.

---

(١) تقدمت الأقوال الثلاثة في تفسير قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ﴾.

وقيل: معرفةُ مقدارِ ما يستحقُّه منَ الجزاءِ عندَ ربِّه فيُجازيه بمقدارِه.

﴿إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ بدأ بالسُّورةِ بقولِه: ﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ وختمَ بقولِه: ﴿لَا يُفْلِحُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾[1].

***

(١١٨) ـ ﴿وَقُل رَّبِّ ٱغْفِرْ وَٱرْحَمْ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾.

﴿وَقُل﴾ يا محمَّدُ: ﴿رَّبِّ ٱغْفِرْ وَٱرْحَمْ﴾ لي ولأمَّتي.

وقيل: ادعُ ليقتديَ بكَ المؤمنون.

﴿وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾؛ أي: أرحمُ الرَّاحمين.

***

(١) نبَّه المصنف على هذا في «غرائب التفسير» (٢/ ٧٦٩) أيضاً، وقال الزمخشري في «الكشاف» (٣/ ٢٠٧): «جعل فاتحة السورة ﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ وأورد في خاتمتها ﴿إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ فشتان ما بين الفاتحة والخاتمة»؛ وقد عقد الزركشي في «البرهان» (١/ ١٨٥ ـ ١٨٦).

سُورَةُ النُّورِ

سُورَةُ النُّورِ

أربعةٌ وستُّونَ آيةً[١]، مدنيَّة.

وعن عائشةَ رضي الله عنها قالتْ: قالَ رسولُ اللهِ ﷺ في حقِّ البناتِ: «لا تُنزِلُوهُنَّ الغُرَفَ، ولا تُعلِّمُوهُنَّ الكتابةَ، وعلِّموهنَّ الغزلَ وسورةَ النُّورِ»[٢].

بسم الله الرَّحمَنِ الرَّحيم

(١) ـ ﴿سُورَةٌ أَنزَلْنَاهَا وَفَرَضْنَاهَا وَأَنزَلْنَا فِيهَا آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾.

﴿سُورَةٌ أَنزَلْنَاهَا﴾ ابنُ عيسى: السُّورةُ: الجامعةُ لجملةِ آياتٍ بفاتحةٍ لها وخاتمةٍ[٣].

واشتِقاقُها من سورِ المدينةِ، وقيل: من سُؤرِ الماءِ[٤]، وقد سبقَ[٥].

أي: هذه سورةٌ، فهي خبرُ مبتدأٍ محذوفٍ، و﴿أَنزَلْنَاهَا﴾ صفةٌ لها، ولا يَحسُنُ

---

(١) «أربعةٌ وستُّونَ آيةً»: ليس في (ف).

(٢) رواه الطبراني في «المعجم الأوسط» (٥٧١٣)، والحاكم في «المستدرك» (٣٤٩٤)، وصححه، وخالفه الذهبي فقال: «بل موضوع». وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٤/ ٩٣): «رواه الطبراني في «الأوسط»، وفيه محمد بن إبراهيم الشامي قال الدارقطني: كذاب».

(٣) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٧٨٧) بلا نسبة.

(٤) انظر: «تفسير الطبري» (١/ ١٠٣).

(٥) لم يسبق الكلام في اشتقاق السورة وإنما سبق أنها كانت سورة على عهد رسول الله عليه السلام، ولها ـ بناء على ذلك ـ فاتحة وخاتمة، وذلك في تفسير قوله تعالى ﴿وَإِذَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ أَنْ آمِنُوا بِاللَّهِ وَجَاهِدُوا مَعَ رَسُولِهِ﴾.

ارتفاعُها بالابتداءِ لكونِها نكرةً(١)، وقُرِئَ في الشَّواذِّ بالنَّصبِ(٢) على تقديرِ: أنزَلْنا سورةً أنزلناها، أو اتلُ سورةً.

ومعنى ﴿أَنزَلْنَٰهَا﴾: أمَرْنا جبريلَ أنْ يَنزِلَ بها.

﴿وَفَرَضْنَٰهَا﴾؛ أي: فرَضْنا فرائضَها، فحُذِفَ المُضافُ، ومَن شدَّدَ(٣) فلكثرةِ ما فيها منَ الفرائضِ، والتَّخفيفُ يصلُحُ للقليلِ والكثيرِ، وأصلُه من الفَرْضِ، وهو الحزُّ وفصلُ الشَّيءِ من الشَّيءِ. وقيل: معناه: وفرَضْناها عليكم وعلى مَن بعدكم(٤).

﴿وَأَنزَلْنَا فِيهَآ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ﴾؛ أي: دلائلَ واضحاتٍ، وقيل: فرائضَ وأحكامًا.

﴿لَّعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾: لكي تذكَّروا وتعتَبِروا. ثمَّ فصَّلَ أحكامَها فقال:

(٢) ـ ﴿ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِى فَٱجْلِدُوا۟ كُلَّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا مِا۟ئَةَ جَلْدَةٍ ۖ وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِى دِينِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۖ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَآئِفَةٌ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾.

﴿ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِى﴾ أي: فيها حكمُ الزَّانيةِ والزَّاني، فهما رفعٌ بالابتداءِ، والخبرُ مُقدَّرٌ. وقيل: الخبرُ ﴿فَٱجْلِدُوا۟﴾(٥)، وجازَ دخولُ الفاءِ لأنَّ التَّقديرَ: التي زنَتْ والذي زَنَى، وجازَ بلفظِ الأمرِ كما تقولُ: زيدٌ اضرِبْه؛ أي: زيدٌ أقولُ لكَ في حقِّه: اضرِبْه.

---

(١) وأجاز قوام السنة في «إعراب القرآن» (ص: ٢٦٨) أن تكون مبتدأة على إضمار الخبر، والتقدير: فيما يُتلى عليكم سورة أنزلناها، قال: «ولا يجوز أن نقدر هذا الخبر متأخراً؛ لأن خبر النكرة تقدم عليها».

(٢) نسبت لأم الدرداء وعيسى الثقفي وعيسى الهمداني وعمر بن عبد العزيز ومجاهد. انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ١٠١)، و«المحتسب» (٢/ ٩٩).

(٣) قرأ ابن كثير وأبو عمرو: ﴿وفرَّضْناها﴾ بتشديد الراء، والباقون بتخفيفها. انظر: «السبعة» (ص: ٤٥٢)، و«التيسير» (ص: ١٦١).

(٤) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٧٨٧)، واستغربه.

(٥) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٧٨٧)، واستغربه.

وقدَّمَ الزّانيةَ بخلافِ السَّارقِ؛ لأنَّ أثرَ الزِّنى يبدو عليها منَ الحبَلِ وزوالِ البكارةِ[١].

والزِّنى: الوَطْءُ في الفرجِ من غيرِ عَقْدٍ، أو غالبِ ظنٍّ بعقدٍ يصحُّ به الوطءُ.

﴿فَٱجْلِدُواْ﴾ الخطابُ للأئمَّةِ ومَن يلي مِن قِبَلِ الإمامِ.

﴿كُلَّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا مِاْئَةَ جَلْدَةٍ﴾ يريدُ: البِكرَين الحرَّين؛ لأنَّ الثَّيِّبين حكمُهما الرَّجمُ بالإجماعِ، ولِمَا رُوِيَ عن ابنِ عبَّاسٍ رضي الله عنهما قال: خطَبَنا عمرُ بنُ الخطّابِ رضي الله عنه فقال: كنَّا نقرأُ: (الشَّيخُ والشَّيخةُ إذا زَنَيا فارجُموهما ألبتَّةَ بما قَضَيا منَ اللَّذَّةِ نكالًا من اللهِ واللهُ عزيزٌ حكيمٌ)[٢].

ولم يُخالفْ هذا أحدٌ إلّا الخوارجَ، فإنَّهم زعَمُوا أنَّ الرَّجمَ لـم يصحَّ فيه النَّقلُ، وأنَّ الجلدَ عامٌّ في البِكرَين والثَّيِّبين، وعلى العبدِ نصفُ ما على المُحصناتِ منَ العذابِ؛ يعني: خمسينَ جلدةً[٣].

---

(١) ذكر السمرقندي في «بحر العلوم» (٢/ ٤٩٥): أن سبب تقديم الزانية على الزاني أن الزنى في النساء أكثر، أو أنها أحرص على الزنى من الرجال؛ لأن الفعل ينتهي إليها ولا يكون إلا برضاها.

(٢) رواه ابن ماجه (٢٥٥٣)، والنسائي في «السنن الكبرى» (٧١١٨)، وأبو عوانة في «مستخرجه» (٦٢٥٧). قال النسائي: «لا أعلم أن أحداً ذكر في هذا الحديث: (الشيخ والشيخة فارجموهما ألبتة) غير سفيان، وينبغي أن يكون وهم والله أعلم».

وأصل الحديث رواه البخاري (٦٨٣٠)، ومسلم (١٦٩١) دون العبارة المذكورة، ولفظه: «إن الله بعث محمَّدًا ﷺ بالحق، وأنزل عليه الكتاب، فكان مما أنزل الله آية الرجم، فقرأناها وعقلناها ووعيناها، رجم رسول الله ﷺ ورجمنا بعده، فأخشى إن طال بالناس زمان أن يقول قائل: والله ما نجد آية الرجم في كتاب الله، فيضلوا بترك فريضة أنزلها الله، والرجم في كتاب الله حق على من زنى إذا أحصن من الرجال والنساء، إذا قامت البينة، أو كان الحبل أو الاعتراف».

(٣) انظر: «المحلى» لابن حزم (١٢/ ١٧٠)، و«الإقناع في مسائل الإجماع» لابن القطان (٢/ ٢٥٦)، و«الإعلام بفوائد عمدة الأحكام» لابن الملقن (٩/ ١٥٩). وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٧٨٨)، واستغربه.

والجَلـدُ: الضَّـربُ على الجِلـدِ، كما تقولُ: رأَسْـتُه وجبَهْتُه ورجَلْتُـه؛ إذا أصبتَ أحـدَ هذه(١).

﴿وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ﴾ أي: رحمةٌ، والفتحُ لغةٌ(٢)، وكذلك المدُّ(٣).

وقيل: الرَّأفةُ في دفعِ المكروهِ، والرَّحمةُ في إيصالِ المحبوبِ(٤).

والنَّهيُ في الظَّاهرِ للرَّأفةِ، والمُرادُ بها: عمَّا(٥) تدعو إليه الرَّحمةُ، وهو تعطيلُ الحدودِ أو نُقصانُها.

الحسَنُ: رأفةٌ في تخفيفِ الضَّربِ(٦).

والوجهُ الأوَّلُ؛ لأنَّ عمرَ رضي الله عنه قال للجالدِ: لا ترفعْ إبطَك(٧)، وجاءَ عن النَّبيِّ ﷺ أيضًا(٨).

---

(١) انظر: «تهذيب اللغة» مادة: (ج ل د)، و«البسيط» للواحدي (١٦/ ٩٤).

(٢) قرأ ابن كثير: ﴿رأَفةٌ﴾ بفتح الهمزة، والباقون بتسكينها. انظر: «السبعة» (ص: ٤٥٢)، و«التيسير» (ص: ١٦١).

(٣) نسبت قراءة المد لابن جريج. انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ١٠٢).

(٤) ذكره السمرقندي في «بحر العلوم» (٢/ ٤٩٥).

(٥) كذا في النسختين الخطيتين، ولو قال: «والمراد به ما تدعوا إليه الرحمة» لكان أظهر، والله أعلم.

(٦) رواه الطبري في «تفسيره» (١٧/ ١٤٣)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٨/ ٢٥١٩) بلفظ: «الجلد الشديد»، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٧٨٨)، واستغربه.

(٧) رواه عبد الرزاق في «مصنفه» (١٣٥١٦)، وابن أبي شيبة في «مصنفه» (٢٨٦٧٣) عن أبي عثمان النهدي بلفظ: «أتي عمر برجل في حد، فأمر بسوط فجيء بسوط فيه شدة، فقال: أريد ألين من هذا. فأتي بسوط فيه لين، فقال: أريد أشد من هذا. قال: فأتي بسوط بين السوطين فقال: اضرب به، ولا يرى إبطك، وأعط كل عضو حقه». ورواه ابن عبد البر في «التمهيد» (٥/ ٣٣٤) عن أبي وائل قال: «أدركت عمر جلد رجلًا فقال للجلاد: لا ترني إبطك».

(٨) روى الإمام مالك في «الموطأ» (٢/ ٨٢٥) عن زيد بن أسلم أن رجلاً اعترف على نفسه بالزنى على =

ولا خلافَ أنَّه يُفرَّقُ على جسمِه إلَّا مواضعَ يشينُ فيها.

﴿فِى دِينِ ٱللَّهِ﴾: طاعتِه.

﴿إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ﴾ شرطٌ جوابُه مُضمَرٌ؛ أي: فاجلِدوا ولا تُعطِّلوا الحدَّ.

﴿وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَآئِفَةٌ﴾: وليحضُرْ موضعَ جلدِهما طائفةٌ ﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾.

ابنُ عبَّاسٍ رضي الله عنهما في جماعةٍ: أنَّ الطَّائفةَ رجلٌ واحدٌ[1].

عكرمةُ: اثنانِ فصاعدًا[2]؛ لأنَّ اسمَ الجمعِ قد يُطلَقُ على الاثنينِ.

الزُّهريُّ: ثلاثةٌ[3]؛ لأنَّه الجمعُ الصَّحيحُ.

ابنُ زيدٍ: أربعةٌ[4]؛ اعتبارًا بالشُّهودِ، ويحتمِلُ أنَّه أرادَ بهم الشُّهودَ.

وقيل: الطَّائفةُ عشَرةٌ.

وقيل: ليس بمحصورٍ.

***

= عهد رسول الله ﷺ فدعا له رسول الله ﷺ بسوط، فأتي بسوط مكسور فقال: «فوق هذا»، فأتي بسوط جديد لم تقطع ثمرته فقال: «دون هذا»، فأتي بسوط قد ركب به ولان فأمر به رسول الله ﷺ فجلد.

(١) رواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٨/ ٢٥٢٠).

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (١٧/ ١٤٧) عنه وعن عطاء، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٨/ ٢٥٢٠) عن سعيد بن جبير.

(٣) رواه ابن أبي شيبة في «المصنف» (٢٨٦٢٥)، والطبري في «تفسيره» (١٧/ ١٤٧)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٨/ ٢٥٢١).

(٤) رواه الطبري في «تفسيره» (١٧/ ١٤٨) عن ابن زيد. وقال الإمام مالك في «الموطأ ـ رواية أبي مصعب الزهري» (٢/ ٢٦): «وإن الطائفة أربعة شهداء فصاعدًا؛ لأنه لا يكون في الزنى شهادة تقطع دون أربعة شهداء».

(٣) ـ ﴿ٱلزَّانِى لَا يَنكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَٱلزَّانِيَةُ لَا يَنكِحُهَآ إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ ۚ وَحُرِّمَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾.

﴿ٱلزَّانِى لَا يَنكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَٱلزَّانِيَةُ لَا يَنكِحُهَآ إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ ۚ وَحُرِّمَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ في هذه الآيةِ أربعةُ أقوالٍ:

أحدها: وهو قولُ مجاهدٍ: أنَّها نزلَتْ بسببٍ، وذلك أنَّها كانت في المدينةِ بيوتٌ تُسمَّى: المواخيرَ، وكانت عليها راياتٌ كراياتِ البيطارِ تسكنُها بغايا يُكرِيْنَ أنفُسَهنَّ للفُجورِ، وكنَّ منَ اليهودِ ـ وقيل: منَ المُشركاتِ ـ فهمَّ ضعَفةُ المُهاجرين أن يتزوَّجوا منهنَّ لتُنفِقَ كلُّ واحدةٍ على زوجِها من كسبِها، فاستأذَنُوا رسولَ اللهِ ﷺ في ذلك، فأنزلَ اللهُ هذه الآيةَ(١). والصِّيغةُ صيغةُ الخبرِ والمُرادُ بها النَّهيُ.

وقيل: نزلَتْ في مَرْثَدٍ الغنَوِيِّ، أرادَ أن يتزوَّجَ عَناقَ، وكانت زانيةً مُشركةً(٢).

وقيل: نزلَتْ في امرأةٍ تُدعى أمَّ مِهْزَمٍ، وفي أُخرى: أمَّ مَهْزولٍ(٣)، وكانت بأجيادَ تُسافِحُ، فأرادَ رجلٌ منَ المسلمين أن يتزوَّجَها، فأنزلَ اللهُ هذه الآيةَ(٤).

والقولُ الثّاني: أنَّ الآيةَ منسوخةٌ، وهو قولُ سعيدِ بنِ المسيِّبِ(٥).

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (١٧/ ١٥٢ ـ ١٥٣)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٨/ ٢٥٢٢).

(٢) رواه أبو داود (٢٠٥١)، والترمذي (٣١٧٧)، والنسائي (٣٢٢٨) من طريق عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده، وقال الترمذي: «هذا حديث حسن غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه».

(٣) ذكر ابن عطية في «المحرر الوجيز» (٤/ ١٦٣) أن أم مهزم يقال لها: أم مهزول.

(٤) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٦٤٨٠)، والنسائي في «السنن الكبرى» (١١٢٩٥)، والطبري في «تفسيره» (١٧/ ١٥٠)، والطبراني في «المعجم الأوسط» (١٧٩٨)، و«الكبير» (١٤١٨٨)، والبيهقي في «السنن الكبرى» (١٣٨٥٩)، عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما. قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٧/ ٧٣): «رواه أحمد والطبراني في الكبير والأوسط بنحوه، ورجال أحمد ثقات».

(٥) رواه الإمام مالك في «الموطأ ـ رواية محمد بن الحسن» (ص: ٣٤٤)، والشافعي في «مسنده» (ص: ٢٨٩)، ويحيى بن سلام في «تفسيره» (١/ ٤٢٧)، وعبد الرزاق في «تفسيره» (٢٠٠٣)، وابن =

وعـن ابنِ عمرَ رضي الله عنهما: أنَّها نُسِخَتْ بالتي بعدَها: ﴿وَأَنكِحُوا۟ ٱلْأَيَٰمَىٰ مِنكُمْ﴾ [النور: ٣٢]، فدخلَتِ الزَّانيةُ في أيامَى المسلمين، ومَن زَنى بامرأةٍ فله أن يتزوَّجَها ولغيرِه أن يتزوَّجَها[١].

وعن عائشةَ وابنِ مسعودٍ والبراءِ رضي الله عنهم أنَّه لا يجوزُ، وأنَّهما زانيانِ ما اصطحبا[٢] ما اجتَمَعا ما عاشا[٣].

والثَّالثُ: أنَّ النِّكاحَ هاهنا الجماعُ، وهو قولُ ابنِ عبَّاسٍ رضي الله عنهما[٤]، وذهبَ إليه جماعةٌ منَ المُفسِّرين، واحتجُّوا بأنَّ الزَّانيةَ منَ المسلمين لا يجوزُ لها أن تتزوَّجَ مُشركًا بحالٍ، وكذلك الزَّاني منَ المشركين لا يجوزُ له أن يتزوَّجَ بمسلمةٍ ﴿وَحُرِّمَ ذَٰلِكَ﴾ أي: الزِّنى ﴿عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾.

= أبي شيبة في «مصنفه» (١٦٩٢٢)، وأبو عبيد في «الناسخ والمنسوخ» (١٧١)، وسعيد بن منصور في «السنن» (٨٦٢)، والطبري في «تفسيره» (١٧/ ١٥٩ ـ ١٦٠)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٨/ ٢٥٢٤)، والنحاس في «الناسخ والمنسوخ» (ص: ٥٨٢).

(١) قال النحاس في «الناسخ والمنسوخ» (ص: ٥٨٢): «وهذا القول الذي عليه أكثر العلماء وأهل الفتيا يقولون: إن من زنى بامرأة فله أن يتزوجها ولغيره أن يتزوجها، وهو قول ابن عمر...». وقال ابن المنذر في «الإشراف» (٥/ ١٠٥): «واختلفوا في الرجل يزني بالمرأة، ثم يريد تزويجها، فرخص فيه أهل العلم، روينا الرخصة فيه عن أبي بكر الصديق، وعمر بن الخطاب، وابن عباس، وابن عمر».

(٢) في (ن) و(و): «ما اضجعا».

(٣) رواه سعيد بن منصور في «سننه» (٨٩٧)، وابن أبي شيبة في «مصنفه» (١٦٧٩٩) عن عائشة رضي الله عنها. ورواه سعيد بن منصور في «سننه» (٨٩٦)، وابن أبي شيبة في «مصنفه» (١٦٧٩٨) عن ابن مسعود رضي الله عنه. ورواه سعيد بن منصور في «سننه» (٨٩٨)، وابن أبي شيبة في «مصنفه» (١٦٨٠١) عن البراء رضي الله عنه. وذكره عنهم ابن المنذر في «الإشراف» (٥/ ١٠٥)، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٧٨٩)، واستغربه.

(٤) رواه عبد الرزاق في «مصنفه» (٢٠٠٥)، وابن أبي شيبة في «مصنفه» (١٦٩٣١)، والحاكم في «المستدرك» (٢٧٨٦).

والرَّابعُ: أنَّ الزَّانيَ هو المجلودُ في الزِّنى، لا ينكِحُ إلَّا زانيةً مجلودةً في الزِّنى، وهو قولُ الحسَنِ(١)، ورُوِيَ أنَّ عليًّا رضي الله عنه فرَّقَ بين مجلودٍ تزوَّجَ غيرَ مجلودةٍ(٢).

وقال صاحبُ «النَّظمِ»: المشركُ وصفُ الزَّاني، وتقديرُه: الزَّاني لا ينكِحُ إلَّا زانيةً مُشركةً، والزَّانيةُ لا ينكِحها إلَّا زانٍ مشركٌ(٣)، وفيه بُعدٌ، واللهُ أعلمُ.

وقيل: في قولِه: ﴿وَحُرِّمَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ أي: نكاحُ الزَّانيةِ.

***

(٤) ـ ﴿وَٱلَّذِينَ يَرْمُونَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا۟ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَآءَ فَٱجْلِدُوهُمْ ثَمَٰنِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا۟ لَهُمْ شَهَٰدَةً أَبَدًا ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ﴾.

﴿وَٱلَّذِينَ يَرْمُونَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ﴾ الرَّمْيُ: الشَّتيمةُ والنِّسبةُ إلى القبيحِ، وأصلُه من رَمْيِ الأعيانِ؛ كالحجرِ والسِّهامِ.

والمُحْصَناتُ: المسلماتُ، الحرائرُ، العفائفُ، البالغاتُ، العاقلاتُ(٤).

والتَّقديرُ: يرمُونَ المُحصَناتِ بالزِّنى، فحُذفَ؛ لأنَّ الآيةَ الأولى تدلُّ عليه.

والرِّجالُ داخلون في حكمِ الآيةِ بالإجماعِ.

---

(١) رواه الحاكم في «المستدرك» (٢٧٨٤)، والبيهقي في «السنن الكبرى» (١٣٨٨١).
وروي مرفوعًا؛ رواه أبو داود (٢٠٥٢)، والحاكم في «المستدرك» (٢٧٠٠) وصححه، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، ولفظه: «لا ينكح الزاني المجلود إلا مثله».

(٢) رواه عبد الرزاق في «مصنفه» (١٠٦٩٦) عن حنش بن المعتمر، والبيهقي في «السنن الكبرى» (١٣٨٨٢) وقال: «حنش غير قوي». ورواه البيهقي أيضاً من طريق آخر منقطعٍ كما قال.
وذكر المصنف هذا القول في «غرائب التفسير» (٢/ ٧٨٩)، واستغربه.

(٣) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٧٨٩)، وعدَّه من العجائب.

(٤) في (ن): «الغافلات»، وقد بيّن الإمام الشافعي أن الإحصان اسم جامع لمعاني مختلفة. انظر: «الرسالة» (ص: ١٤٧).

سعيدُ بنُ جبيرٍ: الآيةُ نزلَتْ في إفكِ عائشةَ رضي الله عنها[١]، غيرُه: عامٌّ.

﴿ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ﴾ أي: لـم يأتوا على تصديقِهم إلى الإمامِ بأربعةِ شهودٍ رجالٍ عدولٍ يشهَدون على زِنى المقذوفِ، ﴿فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً﴾ يعني: الأحرارَ منهم؛ فإنَّ حدَّ المملوكِ على النِّصفِ أربعون، والخطابُ للإمامِ والحكَّامِ، و﴿ثَمَانِينَ﴾ نصبٌ على المصدرِ[٢]، و﴿جَلْدَةً﴾ نصبٌ على التَّمييزِ.

﴿وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً﴾؛ أي: لا تقبلُوا شهادتَهم، ويحتمِلُ أنَّه إنَّما نكَّره لأنَّ المعنى: شهادتَهم هذه وكلَّ شهادةٍ يشهَدون بها؛ لأنَّ النَّكرةَ في النَّفيِ تعمُّ.

قولُه: ﴿أَبَدًا﴾ أي: إلى آخرِ عمرِه.

وقيل: أبدُ كلِّ شيءٍ بقَدْرِ قضيَّته[٣] وصفتِه، تقولُ: الكافرُ نجِسٌ أبدًا؛ أي: ما دامَ كافرًا.

﴿وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾؛ أي: الخارجون مـن أمرِ اللهِ.

علَّقَ اللهُ وجوبَ الحدِّ والتَّفسيقَ وسقوطَ الشَّهادةِ بالقذفِ؛ صيانةً لأعراضِ المسلمين وذبًّا عن حُرَمِهم، وشَرَطَ في الشُّهودِ أربعةً واكتفى في سائرِ الأحكامِ بالاثنين والواحدِ.

* * *

(٥) ـ ﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾.

﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ﴾ أي: بعدَ القَذْفِ واستقاموا على التَّوبةِ.

---

(١) رواه ابن شبة في «تاريخ المدينة» (١/ ٣٣٨)، والطبري في «تفسيره» (١٧/ ١٦٢)، والطبراني في «المعجم الكبير» (٢٣/ ١٥١)، ورواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٨/ ٢٥٥٦)، والحاكم في «المستدرك» (٦٧٣١) من طريق سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٢) أي: نائب مصدر مفعول مطلق.

(٣) في (ف): «قصته».

﴿وَأَصۡلَحُواْ﴾ أعمالَهم وسرائرَهم ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ﴾ لِمَن تابَ ﴿رَّحِيمٞ﴾ رخَّصَ في التَّوبةِ، وفي التَّوبةِ قولان:

أحدُهما: توبتُه أن يُكذِّبَ نفسَه.

والثَّاني: ندَمُه على قولِه، واستغفارُه من ذنبِه.

وفي الاستثناءِ ثلاثةُ أقوالٍ:

أحدُها: منَ الفاسقين.

وقيل: من قولِه: ﴿لَهُمۡ﴾ ومحلُّه نصبٌ. وقيل: محلُّه جرٌّ بدلًا من (هُمْ).

﴿وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ﴾ حالٌ لقولِه: ﴿لَهُمۡ﴾، وقيل: صفةٌ، وفيه بُعدٌ.

والثَّالثُ: أنَّه استثناءٌ منقطعٌ بمعنى: لكِن، ولا تعلُّقَ له بالجملِ المتقدِّمةِ، وهو متَّصلٌ بما بعده، وهو قولُه: ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾، وله نظائرُ في القرآنِ؛ منها: ﴿إِلَّا مَن تَوَلَّىٰ وَكَفَرَ ٢٣ فَيُعَذِّبُهُ ٱللَّهُ ٱلۡعَذَابَ ٱلۡأَكۡبَرَ﴾ [الغاشية: ٢٣ ـ ٢٤]، ﴿إِلَّا مَن ظَلَمَ ثُمَّ بَدَّلَ حُسۡنَۢا بَعۡدَ سُوٓءٖ فَإِنِّي﴾ [النمل: ١١]، ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنۡهُمۡ فَلَا تَخۡشَوۡهُمۡ﴾ [البقرة: ١٥٠].

ولم يذهَبْ أحدٌ إلى أنَّ الاستثناءَ من قولِه: ﴿فَٱجۡلِدُوهُمۡ﴾[1].

وفي قَبولِ الشَّهادةِ أربعةُ أقوالٍ:

أحدُها: لا تُقبَلُ شهادتُه بعد الحدِّ؛ ليَبْقَى لردِّ شهادتِه تأثيرٌ، وتوبتُه تُزيلُ اسمَ الفسقِ عنه فحَسبُ، وهو قولُ ابنِ عبَّاسٍ رضي الله عنهما والحسنِ في جماعةٍ[2].

---

(١) ذكر النحاس في «معاني القرآن» (٤/ ٥٠٢) قولاً عن الشعبي: أن الاستثناء من الأحكام الثلاثة؛ فإذا تاب وظهرت توبته، لم يحدَّ، وقبلت شهادته، وزال عنه التفسيق.

(٢) رواه عن ابن عباس رضي الله عنهما أبو عبيد في «الناسخ والمنسوخ» (٢٦٩).

ورواه عن الحسن عبد الرزاق في «مصنفه» (٢٠٠٧)، والطبري في «تفسيره» (١٧/ ١٧٢)، ورواه الطبري أيضاً عن شريح وسعيد بن المسيب وإبراهيم، وذكره النحاس في «معاني القرآن» =

والثَّاني: أنَّه تُقبَلُ شهادتُه إذا تابَ بعد الحدِّ كما لو كان كافرًا فحُدَّ في القذفِ ثمَّ أسلمَ، وهو قولُ الزُّهريِّ وابنِ المسيِّبِ في جماعةٍ[1].

والثَّالثُ: تُقبَلُ شهادتُه بعد الحدِّ إذا تابَ، ولا تُقبلُ قبل الحدِّ، وهو قولُ إبراهيمَ النَّخَعِيِّ[2].

والرَّابعُ: لا تُقبَلُ قبل الحدِّ ولا بعد الحدِّ، وهو قولُ شُرَيحٍ[3].

* * *

= (٤/ ٥٠١) عن الحسن وشريح وإبراهيم والكوفيين.

أما ما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما في هذا فهو من طريق عطاء الخراساني عنه، وإسناده منقطع؛ فإن عطاء لم يسمع من ابن عباس، وقد روي عن ابن عباس قبول الشهادة بعد التوبة، رواه أبو عبيد في «الناسخ والمنسوخ» (٢٧٥)، والطبري في «تفسيره» (١٧/ ١٧٢)، من طريق علي بن أبي طلحة عنه قال في الآية: «فمن تاب وأصلح فشهادته في كتاب الله تقبل» وهو منقطع أيضاً؛ علي بن أبي طلحة لم يسمع من ابن عباس ولم يره، لكن الإمام أحمد بن حنبل أثنى على روايته عنه في التفسير كما ذكر النحاس في «إعراب القرآن» (٣/ ٧٣)، وهذا مذهب الأوزاعي كما في «مختصر اختلاف العلماء» (٣/ ٣٢٩).

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (١٧/ ١٦٨) عن ابن المسيب والزهري، وذكره النحاس في «معاني القرآن» (٤/ ٥٠٢) عن مسروق وعطاء ومجاهد وطاوس وأهل المدينة.

(٢) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٤/ ٧٥)، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٧٩٠)، واستغربه. وهو مذهب الليث والشافعي. انظر: «مختصر اختلاف العلماء» (٣/ ٣٢٨).
ورُوي عن إبراهيم النخعي أنه لا تجوز شهادته أبدًا. رواه أبو يوسف في «الآثار» (٧٤٥)، والطبري في «تفسيره» (١٧/ ١٧١)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٨/ ٢٥٣٢).

(٣) ذكره الماوردي هكذا في «النكت والعيون» (٤/ ٧٥)، وتبعه المصنف هنا وفي «غرائب التفسير» (٢/ ٧٩٠)، لكنه استغربه، ورواه عبد الرزاق في «مصنفه» (٢٠٠٧)، والطبري في «تفسيره» (١٧/ ١٧٠)، وليس فيه تعرض لما قبل الحد، فهو كالقول الأول، وقد أشرنا إليه فيه ثمة.

(٦) ـ ﴿وَٱلَّذِينَ يَرۡمُونَ أَزۡوَٰجَهُمۡ وَلَمۡ يَكُن لَّهُمۡ شُهَدَآءُ إِلَّآ أَنفُسُهُمۡ فَشَهَٰدَةُ أَحَدِهِمۡ أَرۡبَعُ شَهَٰدَٰتِۭ بِٱللَّهِ إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾.

﴿وَٱلَّذِينَ يَرۡمُونَ أَزۡوَٰجَهُمۡ﴾ في سببِ النُّزولِ عن ابنِ عبَّاسٍ رضي الله عنهما قال: لـمَّا نزلَتْ: ﴿وَٱلَّذِينَ يَرۡمُونَ ٱلۡمُحۡصَنَٰتِ ثُمَّ لَمۡ يَأۡتُواْ بِأَرۡبَعَةِ شُهَدَآءَ﴾ إلى قولِه: ﴿ٱلۡفَٰسِقُونَ﴾ قال سعدُ بنُ عبادةَ وهو سيِّدُ الأنصارِ: أهكذا أُنزِلَتْ يا رسولَ اللهِ؟ فقال رسولُ اللهِ ﷺ: «ألَا تسمَعُونَ يا معشرَ الأنصارِ إلى ما يقولُ سيِّدُكم؟» قالوا: يا رسولَ اللهِ، إنَّه رجلٌ غيورٌ، واللهِ ما تزوَّجَ امرأةً إلَّا بِكرًا، وما طلَّقَ امرأةً قطُّ فاجترأَ رجلٌ منَّا على أن يتزوَّجَها من شدَّةِ غَيرتِه، فقال سعدٌ: واللهِ يا رسولَ اللهِ إنِّي لأعلَمُ أنَّها حقٌّ، وأنَّها من عندِ اللهِ، وإنِّي قد تعجَّبتُ أنْ لو وجَدْتُ لَكاعِ قد تفخَّذَها رجلٌ لـم يكُنْ لي أن أَهِيجَه ولا أحرِّكَه حتَّى آتيَ بأربعةِ شُهداءَ، فواللهِ إنِّي لا آتي بهم حتَّى يقضيَ حاجتَه، قال: فما لبثوا إلَّا يسيرًا حتَّى جاءَ هلالُ بنُ أميَّةَ من أرضِه عشاءً، فوجدَ عند أهلِه رجلًا، فرأى بعينَيه وسمعَ بأذُنَيه، فلم يَهجُدْ حتَّى أصبحَ فغدا على رسولِ اللهِ ﷺ فقال: يا رسولَ اللهِ، إنِّي جئتُ أهلي عشاءً فوجدتُ عندَها رجلًا، فرأيتُ بعينَيَّ وسمعتُ بأذنيَّ، فكرِهَ رسولُ اللهِ ﷺ ما جاءَ به واشتدَّ عليه، فقال سعدٌ: الآنَ يضرِبُ رسولُ اللهِ ﷺ هلالَ بنَ أميَّةَ ويُبطِلُ شهادتَه في المسلمين، فقال هلالٌ: واللهِ إنِّي لأرجو أن يجعلَ اللهُ لي منها مخرجًا، فقال هلالٌ: يا رسولَ اللهِ؛ إنِّي قد أرى ممَّا قد اشتدَّ عليك ممَّا جئتُك به، واللهُ يعلمُ أنِّي لصادقٌ، فواللهِ إنَّ رسولَ اللهِ يريدُ أن يأمرَ بضربِه إذ نزلَ عليه الوحيُ، وكان إذا نزلَ عليه الوحيُ عرَفُوا ذلك في تربُّدِ جلدِه، فأمسكوا عنه حتَّى فرغَ من الوحي، فنزلَتْ ﴿وَٱلَّذِينَ يَرۡمُونَ أَزۡوَٰجَهُمۡ وَلَمۡ يَكُن لَّهُمۡ شُهَدَآءُ إِلَّآ أَنفُسُهُمۡ﴾ الآياتِ كلَّها، فسُرِّيَ عن رسولِ اللهِ ﷺ فقال: «أبشِرْ يا هلالُ، قد جعلَ اللهُ لك فرجًا ومخرجًا»، فقال هلالٌ: قد كنتُ أرجو ذلك من ربِّي، فأنزلَ: ﴿وَٱلَّذِينَ يَرۡمُونَ أَزۡوَٰجَهُمۡ﴾[1] أي: بالزِّنى.

---

(١) رواه أبو داود الطيالسي في «مسنده» (٢٧٨٩)، والإمام أحمد في «المسند» (٢١٣١)، وأبو يعلى =

﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُمْ شُهَدَآءُ﴾ أي: لم يكُنْ لهم على صدقِ قولِهم مَن يشهدُ لهم به ﴿إِلَّآ أَنفُسُهُمْ﴾ أي: إلّا هم، و﴿أَنفُسُهُمْ﴾ يرتفعُ بالبدلِ من الشُّهداءِ.

﴿فَشَهَٰدَةُ أَحَدِهِمْ أَرْبَعُ شَهَٰدَٰتٍۭ بِٱللَّهِ ۙ إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ أي: فشهادةُ أحدِهم أربعُ مرَّاتٍ أنَّه صادقٌ فيما قذفَها به، قُرِئَ ﴿أَرْبَعُ﴾ بالرَّفعِ والنَّصبِ(١)؛ فمَن رفعَ فهو الخبرُ، والمبتدأُ ﴿فَشَهَٰدَةُ أَحَدِهِمْ﴾، ومَن نصبَه جعلَه مفعولًا، والعاملُ فيه المصدرُ، والخبرُ ﴿إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾.

وقيل: فحكمُه شهادةُ أحدِهم، فهي خبرُ مبتدأٍ محذوفٍ.

وقولُه: ﴿بِٱللَّهِ﴾ متَّصلٌ بالشَّهاداتِ فيمَن نصبَ، وجازَ أن يتَّصلَ بالشَّهادةِ، ومَن رفعَ فبالشَّهاداتِ لا غيرُ، ولا يتعلَّقُ بالشَّهادةِ؛ لأنَّه حيلَ بين المصدرِ وصلتِه بالخبرِ، وذلك ممتنعٌ، وجازَ تعليقُ الشَّهادةِ من (إنَّ) لمكانِ اللَّامِ؛ لأنَّ الشَّهادةَ تجري مَجرى العلمِ(٢).

* * *

(٧) - ﴿وَٱلْخَٰمِسَةُ أَنَّ لَعْنَتَ ٱللَّهِ عَلَيْهِ إِن كَانَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ﴾.

﴿وَٱلْخَٰمِسَةُ أَنَّ لَعْنَتَ ٱللَّهِ عَلَيْهِ إِن كَانَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ﴾ لا خلافَ في رفعِ ﴿الْخامِسَةُ﴾

= في «مسنده» (٢٧٤٠)، وقصة هلال بن أمية رواها البخاري (٤٧٤٧) عن ابن عباس رضي الله عنهما دون كلام سعد بن عبادة.

(١) قرأ بالرفع حمزة والكسائي وعاصم في رواية حفص، والباقون بالنصب. انظر: «السبعة» (ص: ٤٥٢)، و«التيسير» (ص: ١٦١).

(٢) تقدم التعريف بالتعليق وأحكامه، وقد ذكر سيبويه أن الشهادة تعلق، وذلك لأن هذه اللام في الآية لا تلحق إلا إذا كان الكلام مستأنفاً. انظر: «الكتاب» (٣/ ١٤٦)، و«شرح الرضي على الكافية» (٤/ ٣٦١).

على تقديرِ: والشَّهادةُ الخامسةُ أنَّ لعنةَ اللهِ عليه، فهي مبتدأٌ وخبرٌ، فإذا قال الزَّوجُ هذا؛ سقطَ عنه الحدُّ ووجبَ عليها.

***

(٨) ـ ﴿ وَيَدْرَؤُاْ عَنْهَا ٱلْعَذَابَ أَن تَشْهَدَ أَرْبَعَ شَهَٰدَٰتٍۭ بِٱللَّهِ ۙ إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴾.

﴿ وَيَدْرَؤُاْ عَنْهَا ﴾: يدفعُ عنها ويمنعُ ﴿ٱلْعَذَابَ﴾: الحدَّ ﴿أَن تَشْهَدَ أَرْبَعَ شَهَٰدَٰتٍۭ بِٱللَّهِ ۙ إِنَّهُۥ﴾: إنَّ الزَّوجَ ﴿لَمِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ﴾ فيما قذفَني به.

***

(٩) ـ ﴿ وَٱلْخَٰمِسَةَ أَنَّ غَضَبَ ٱللَّهِ عَلَيْهَآ إِن كَانَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴾.

﴿والْخامِسَةُ أَنَّ غَضَبَ اللَّهِ عَلَيْهـا إِنْ كانَ﴾؛ أي: الزَّوجُ ﴿مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ و﴿الْخامِسَةُ﴾ رفعٌ بالابتداءِ، و﴿أَنَّ غَضَبَ ٱللَّهِ﴾ خبرُه.

وقيل: عطفٌ على الفاعلِ، وهو ﴿أَن تَشْهَدَ﴾ لأنَّه الدَّارِئُ[1].

ونصبَ حفصٌ ﴿الخمسة﴾[2] عطفًا على ﴿أَرْبَعَ﴾ من قولِه: ﴿أَن تَشْهَدَ أَرْبَعَ شَهَٰدَٰتٍۭ﴾.

وخفَّفَ نافعٌ: ﴿أَنْ لَعْنَةُ اللهِ﴾ ﴿أَنْ غَضِبَ اللهُ﴾[3]، وهما في حُكمِ المُثقَّلةِ، والاسمُ مُقدَّرٌ بعدهما، و﴿غَضِبَ اللهُ﴾ جارٍ مَجرى الدُّعاءِ[4].

***

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٧٩١)، واستغربه.

(٢) وقرأ الباقون برفعها. انظر: «السبعة» (ص: ٤٥٣)، و«التيسير» (ص: ١٦١).

(٣) انظر: «السبعة» (ص: ٤٥٣)، و«التيسير» (ص: ١٦١). وقرأ يعقوب مثل نافع في الأول، وقرأ في الثاني: ﴿أَنَّ غَضَبَ ٱللَّهِ﴾. انظر: «النشر» (٢/ ٣٣٠).

(٤) هذا على قراءة نافع. انظر: «الحجة» لأبي علي الفارسي (٥/ ٣١٥ ـ ٣١٦).

(١٠) ـ ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ وَأَنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٌ حَكِيمٌ﴾.

﴿وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ وَأَنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٌ حَكِيمٌ﴾ جوابُه مُضمَرٌ؛ أي: لَفضَحَكم، وقيل: لَعاجلَكُم بالعقوبةِ، وهذا موضعٌ أنطَقُ ما يكونُ المتكلِّمُ إذا سكتَ.

* * *

(١١) ـ ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ ۚ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم ۖ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۚ لِكُلِّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُم مَّا ٱكْتَسَبَ مِنَ ٱلْإِثْمِ ۚ وَٱلَّذِى تَوَلَّىٰ كِبْرَهُۥ مِنْهُمْ لَهُۥ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلْإِفْكِ﴾ رَوى الزُّهريُّ عن جماعةٍ من الصَّحابةِ[1]: أنَّ عائشةَ رضي الله عنها زوجَ النَّبيِّ ﷺ قالت: كانَ رسولُ اللهِ ﷺ إذا أرادَ سفرًا أقرعَ بين نسائِه، فأيَّتهنَّ خرجَ سهمُها خرجَ بها رسولُ اللهِ ﷺ معه، قالت عائشةُ: فأقرَعَ بيننا في غزوةٍ غزاها، فخرجَ فيها سهمي، فخرجتُ مع رسولِ اللهِ ﷺ، وذلك بعدَما نزلَتْ آيةُ الحجابِ، فأنا أُحْمَلُ في هَودَجي وأُنزَلُ فيه مسيرَنا، حتَّى فرغَ رسولُ اللهِ ﷺ من غزوِه وقفَلَ، ودَنَونا منَ المدينةِ أُذِّنَ ليلةً بالرَّحيلِ، فقُمْتُ حين آذَنوا بالرَّحيلِ، فمشيتُ حتَّى جاوزتُ الجيشَ، فلمَّا قَضيتُ شأني أقبلتُ إلى الرَّحلِ، فلمَسْتُ صدري فإذا عِقْدٌ من جَزْعِ ظَفَارِ[2] قد انقطَعَ، فرجَعْتُ فالتمسْتُ عِقْدي، فحبَسَني ابتغاؤُه، وأقبلَ الرَّهطُ الذين كانوا يُرَحِّلونَني فحَمَلُوا هَوْدَجي، فرحَلُوه على بعيري الذي كنتُ أركَبُ وهم يحسَبُونَ أنِّي فيه، قالت: وكانتِ النِّساءُ إذ ذاك خِفافًا لم يُهبِّلْهُنَّ ولم يغْشَهُنَّ اللَّحمُ، إنَّما يأكُلْنَ العُلْقَةَ منَ الطَّعامِ، فلم يستنكرِ القومُ ثِقَلَ الهودجِ حينَ رحَلُوه ورَفعُوه، وكنتُ جاريةً حديثةَ السِّنِّ، فبعَثُوا الجملَ وساروا،

---

(١) كذا قال، والصواب: «من التابعين»؛ فإن الزهري روى هذا الحديث عن سعيد بن المسيب وعروة بن الزبير وعلقمة بن وقاص وعبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود كما في «البخاري» و«مسلم».

(٢) اسم مدينة نسب إليها، وهي مبنية على الكسر. انظر: «فتح الباري» لابن حجر (١/ ١٥١) و(٨/ ٤٥٩).

ووجدْتُ عِقْدي بعدَما استمرَّ الجيشُ، فجئتُ منازِلَهم وليس بها داعٍ ولا مُجيبٌ، فتيمَّمْتُ منزلي الذي كنتُ فيه، وظننتُ أنَّ القومَ سيفقِدونَني ويرجِعُونَ إليَّ، فبينا أنا جالسةٌ في منزلي غلبَتْني عينايَ فنِمْتُ.

وكانَ صفوانُ بنُ المُعطَّلِ السُّلَميُّ ثمَّ الذَّكْوانيُّ قد عرَّسَ من وراءِ الجيشِ، فأدلَجَ فأصبحَ عندَ منزلي، فرأى سوادَ إنسانٍ نائمٍ، فأتاني فعرفَني حين رآني وقد كانَ يراني قبل أن يُضرَبَ عليَّ الحجابُ، فاستيقَظْتُ باسترجاعِه حينَ عرَفَني، فخمَّرتُ وجهي بجِلْبابي، وواللهِ ما كلَّمَني بكلمةٍ ولا سمِعْتُ منه كلمةً غيرَ استرجاعِه حتَّى أناخَ راحلتَه، فوَطِئَ على يدِها فركِبتُها، فانطلقَ يقودُ بي الرّاحلةَ حتَّى أتينا الجيشَ بعدَما نزلوا مُوغِرينَ في نحرِ الظَّهيرةِ، وقد هلَكَ مَن هلَكَ فيَّ، وكان الذي تولَّى كِبْرَه منهم عبدُ اللهِ بنُ أبيٍّ ابنُ سلولَ، فقدِمْنا المدينةَ، فاشتكَيْتُ حين قدِمْتُها شهرًا والنَّاسُ يُفيضُونَ في قولِ أهلِ الإفكِ ولا أشعرُ بشيءٍ من ذلك، وكان يزيدُ في وجَعي أنْ لا أرى مِن رسولِ اللهِ ﷺ اللُّطفَ(١) الذي كنتُ أرى منه حينَ أشتكي، إنَّما يدخُلُ رسولُ اللهِ فيُسلِّمُ فيقولُ: «كيفَ تِيكُم؟» فذلك يُحزِنُني ولا أشعرُ بالشَّرِّ، حتَّى خرَجْتُ بعدما نَقَهْتُ وخرَجَتْ معي أمُّ مِسْطَحٍ قِبَلَ المناصِعِ، وهو مُتبرَّزُنا ولا نخرجُ إلَّا ليلًا إلى ليلٍ، وذلك قبلَ أن نتَّخِذَ(٢) الكُنُفَ قريبًا من بُيوتِنا، وأمْرُنا أمرُ العربِ الأُوَلِ في التَّنزُّهِ، وكنَّا نتأذَّى بالكُنُفِ أن نتَّخِذَها عندَ بُيوتِنا، فانطلَقْتُ أنا وأمُّ مِسْطَحٍ وهي بنتُ أبي رُهْمِ بنِ عبدِ المطَّلبِ بنِ عبدِ منافٍ، وأمُّها بنتُ صخرِ بنِ عامرٍ، خالةُ أبي بكرٍ الصِّدِّيقِ رضي الله عنه، وابنُها مِسْطَحُ بنُ أثاثةَ بنِ عبَّادِ بنِ المطَّلبِ(٣)، فأقبلْتُ أنا

---

(١) «اللطف»: ليس في (ف).

(٢) في (ف): «يتخذ».

(٣) في النسختين: «عبد المطلب»، والمثبت من الصحيحين، وهو الصواب.

وابنةُ أبي رُهْمٍ قِبَلَ بيتي حينَ فرَغْنا من شأنِنا، فعَثَرَتْ أمُّ مِسْطَحٍ في مِرْطِها، فقالَتْ: تعِسَ مِسْطَحٌ، فقلتُ لها: بئسَ ما قلتِ، أتسُبِّين رجلًا قد شهِدَ بدرًا؟ فقالت: أي هَنْتاه، أوَلَـم تسمَعي ما قالَ؟ قلتُ: وماذا قالَ؟ فأخبرَتْني بقولِ أهلِ الإفكِ، فازدَدْتُ مرضًا إلى مرضٍ، فلمَّا رجعتُ إلى بيتي دخلَ عليَّ رسولُ اللهِ ﷺ، ثمَّ قال: «كيفَ تِيكُم؟» فقلتُ: تأذَنُ لي أن آتيَ أبوَيَّ؟ قالَتْ: وأنا أُريدُ حينَئذٍ أن أتيقَّنَ الخبرَ مِن قِبَلِهما، فأذِنَ لي رسولُ اللهِ ﷺ، فجِئْتُ أبويَّ فقلتُ: يا أمَّه، ما يتحدَّثُ النَّاسُ؟ قالت: يا بُنيَّةُ، هوِّني عليكِ، فواللهِ لقلَّما كانت امرأةٌ قطُّ وضيئةٌ عند رجلٍ لها ضرائرُ إلَّا أكثَرْنَ عليها حسَدًا، قالت: فقلتُ: سُبحانَ اللهِ، أوَقَد تحدَّثَ النَّاسُ بهذا؟! قالت: فبكَيْتُ تلك اللَّيلةَ حتَّى أصبحتُ أبكي.

ودعا رسولُ اللهِ ﷺ عليَّ بنَ أبي طالبٍ رضي الله عنه وأسامةَ بنَ زيدٍ حينَ استلبَثَ الوحيُ يستشيرُهما في فراقِ أهلِه، فأمَّا أسامةُ بنُ زيدٍ فأشارَ على رسولِ اللهِ صلَّى عليه وسلَّمَ بالذي يعلَمُ من براءةِ أهلِه وبالذي في نفسِه لهم منَ الوُدِّ، فقال: يا رسولَ اللهِ هم أهلُك، وما نعلَمُ فيهم إلَّا خيرًا، وأمَّا عليُّ بنُ أبي طالبٍ فقال: لـم يُضيِّقِ اللهُ عليك، والنِّساءُ سواها كثيرٌ، وإن تسألِ الجاريةَ تَصْدُقْكَ، قالَتْ: فدَعا رسولُ الله ﷺ بريرةَ فقال: «يا بريرةُ، هل رأيتِ شيئًا يَريبُكِ من عائشةَ؟» قالت بريرةُ: والذي بعثَكَ بالحقِّ، إن رأيتُ عليها أمرًا قطُّ أَغْمِصُه عليها أكثَرَ من أنَّها جاريةٌ حديثةُ السِّنِّ، تنامُ عن عجينِ أهلِها، ويأتي الدَّاجنُ فيأكلُه، قالت: فقامَ رسولُ اللهِ ﷺ فاستعذَرَ من عبدِ اللهِ بن أُبيٍّ ابنِ سلولَ فقالَ وهو على المنبرِ: «يا معشرَ المسلمين، مَن يعذُرُني من رجلٍ قد بلَغَني أذاه في أهلِ بيتي، فواللهِ ما علمتُ على أهلي إلَّا خيرًا، ولقد ذكروا رجلًا ما علمتُ عليه إلَّا خيرًا، وما كان يدخلُ على أهلي إلَّا معي»، فقامَ سعدُ بنُ معاذٍ الأنصاريُّ فقال: يا رسولَ الله، أنا أعذُرُكَ منه، إنْ كانَ منَ الأوسِ

ضربتُ عُنقَه، وإن كانَ من إخوانِنا منَ الخزرجِ أمرْتَنا ففعَلْنا أمرَك، فقامَ سعدُ بنُ عبادةَ وهو سيِّدُ الخزرجِ، وكان رجلًا صالحًا ولكن احتمَلَتْه الحمِيَّةُ فقال لسعدِ بنِ معاذٍ: كذبتَ لعَمْرُ اللهِ، واللهِ لا تقتُلُه ولا تقدرُ على قتلِه، فقامَ أُسيدُ بنُ حضيرٍ ـ وهو ابنُ عمِّ سعدِ بنِ معاذٍ ـ فقال لسعدِ بنِ عبادةَ: كذبتَ، لعَمْرُ اللهِ لنقتُلَنَّه، فإنَّك مُنافقٌ تُجادِلُ عن المُنافقين، فثارَ الحيَّانِ الأوسُ والخزرجُ حتَّى هَـمُّوا أن يقتَتِلُوا، ورسولُ اللهِ على المنبرِ، فلم يزَلْ رسولُ اللهِ ﷺ يُخفِّضُهم حتَّى سكَتُوا وسكَتَ، قالت: وبكَيْتُ يومي ذلك لا يرقَأُ لي دمعٌ ولا أكتَحِلُ بنومٍ، وأبوايَ يظُنَّانِ أنَّ البكاءَ فالقٌ كبدي، قالت: فبينَما هما جالسانِ عندي وأنا أبكي استأذنَتْ عليَّ امرأةٌ منَ الأنصارِ فأذِنْتُ لها، فجلَسَتْ تبكي معي، قالت: فبينا نحنُ على ذلك دخلَ علينا رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليه فسلَّمَ ثمَّ جلَسَ، قالت: ولـم يجلِسْ عندي منذُ قيلَ فيَّ ما قيلَ(١)، وقد لبِثَ شهرًا لا يُوحَى إليه في شأني بشيءٍ، قالت: فتشهَّدَ رسولُ اللهِ ﷺ حتَّى جلسَ، ثمَّ قال: «أمَّا بعدُ، يا عائشةُ، فإنَّه بلَغني عنكِ كذا وكذا، فإن كنتِ بريئةً فسيُبرِّئُكِ اللهُ، وإن كنتِ ألمَمْتِ بذنبٍ فاستغفري اللهَ وتُوبي إليه، فإنَّ العبدَ إذا اعترفَ بذنبِه ثمَّ تابَ تابَ اللهُ عليه»، قالَتْ: فلمَّا قضى رسولُ اللهِ ﷺ مقالتَه قَلَصَ دمعي، حتَّى ما أُحِسُّ منه(٢) قطرةً، فقلتُ لأبي: أجِبْ عنِّي رسولَ اللهِ فيما قالَ، قال: واللهِ ما أدري ما أقولُ لرسولِ اللهِ ﷺ، فقلتُ لأمِّي: أجيبي عنِّي رسولَ اللهِ فيما قال، قالت: واللهِ ما أدري ما أقولُ لرسولِ اللهِ ﷺ، فقلتُ وأنا جاريةٌ حديثةُ السِّنِّ لا أقرأُ كثيرًا منَ القرآنِ: واللهِ قد عرفتُ أنَّكم قد سمعتُم بهذا حتَّى استقرَّ في أنفُسِكم وصدَّقتُم به، ولَئِنْ قلتُ لكم: إنِّي بريئةٌ ـ واللهُ يعلمُ أنِّي بريئةٌ ـ لا تصدِّقونَني بذلك،

---

(١) في (ف): «منذ قيل لي».

(٢) في النسختين: «منها»، والتصويب من مصادر التخريج.

ولَئِنِ اعترفتُ لكم بذنبٍ ـ واللهُ يعلمُ أنِّي بريئةٌ ـ لَتُصَدِّقُنِّي، واللهِ لا أجدُ لي ولكم مثلًا إلّا ما قال أبو يوسفَ: ﴿فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَٱللَّهُ ٱلْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ﴾ [يوسف: ١٨].

قالت: ثمَّ تحوَّلتُ واضطجَعْتُ على فراشي، قالت: وأنا واللهِ حينَئذٍ أعلمُ أنِّي بريئةٌ، وأنَّ اللهَ مبرِّئِي ببَراءَتي، ولكنْ واللهِ ما كنتُ أظنُّ أن ينزلَ في شأني وَحْيٌ يُتلى، ولكنَّني كنتُ أرجو أن يرى رسولُ اللهِ ﷺ رُؤيا يُبرِّئُني اللهُ بها، قالت: فواللهِ ما رامَ رسولُ اللهِ ﷺ منزلَه ولا خرجَ من أهلِ البيتِ أحدٌ حتَّى أنزلَ اللهُ على نبيِّه وأخذَه ما كان يأخذُه منَ البُرَحاءِ عندَ الوحيِ حتَّى إنَّه ليتحَدَّرُ منه مثلُ الجُمانِ منَ العرَقِ في اليومِ الشَّاتي من ثِقَلِ القولِ الذي أُنزل عليه، قالت: فلمَّا سُرِّيَ عن رسولِ اللهِ ﷺ سُرِّيَ عنه وهو يضحكُ، وكان أوَّلَ كلمةٍ تكلَّمَ بها أنْ قال: أبشِري يا عائشةُ، أما واللهِ فقد برَّأَكِ اللهُ، فقالَتْ لي أمِّي: قومي إليه، فقلتُ: واللهِ لا أقومُ إليه ولا أحمدُ إلّا اللهَ هو الذي أنزلَ براءَتي، قالت: فأنزلَ اللهُ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ﴾ الآياتِ العشرَ، فلمَّا أنزلَ اللهُ تعالى هذه الآياتِ في براءَتي قال أبو بكرٍ الصِّدِّيقُ رضي الله عنه ـ وكان يُنفِقُ على مِسْطَحٍ لقرابتِه وفقرِه ـ واللهِ لا أُنفِقُ عليه شيئًا أبدًا بعد الذي قال لعائشةَ ما قال، فأنزلَ اللهُ تعالى: ﴿وَلَا يَأْتَلِ أُوْلُواْ ٱلْفَضْلِ مِنكُمْ وَٱلسَّعَةِ أَن يُؤْتُوٓاْ أُوْلِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾ [النور: ٢٢] إلى قوله: ﴿أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْ﴾ [النور: ٢٢]، قال أبو بكرٍ رضي الله عنه: واللهِ إنِّي لأحبُّ أن يغفرَ اللهُ لي، فرجعَ إلى مِسْطَحٍ النَّفقةَ التي كان يُنفِقُ عليه، وقال: لا أنزِعُها منه أبدًا. رواه البخاريُّ ومسلمٌ كلاهما عن أبي الرَّبيعِ الزَّهرانيِّ(١).

قولُه: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلْإِفْكِ﴾ الإفكُ: الكذِبُ؛ لأنَّه مصروفٌ عن جهتِه، والإفكُ: الصَّرفُ.

---

(١) رواه البخاري (٢٦٦١) و(٤١٤١) و(٤٧٥٠)، ومسلم (٢٧٧٠). وإحدى روايات البخاري (٢٦٦١) فقط عن شيخه أبي الربيع الزهراني سليمان بن داود.

﴿عُصْبَةٌ﴾ العُصْبةُ: الجماعةُ يتعصَّبون؛ أي: يتشدَّدون، والعُصْبةُ والرَّهْطُ والنَّفَرُ: العشَرةُ وما دونَها، قاله أبو عليٍّ[١].

﴿مِّنكُمْ﴾؛ أي: هم جماعةٌ منَ المسلمين، ﴿لَا تَحْسَبُوهُ﴾؛ أي: الإفكَ.

وقيل: القذفَ.

وقيل: المجيءَ بالإفكِ.

وقيل: ما نالَكُم منَ الغمِّ.

﴿شَرًّا لَّكُم﴾ عندَ اللهِ وعندَ المؤمنين ﴿بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ لأنَّ اللهَ أثابكم عليه وأنزلَ براءَتَكُم من ذلك في ثماني عشرةَ آيةً.

قيل: الخطابُ لعائشةَ رضي الله عنها وصفوانَ.

وقيل: للنَّبيِّ ﷺ وأبي بكرٍ وعائشةَ ومَن اغتمَّ لهذا الحديثِ.

الحسَنُ: الخطابُ للقاذِفين[٢]؛ أي: لا تحسَبُوا هذا التَّأديبَ شرًّا لكم، بل هو خيرٌ لكم، فإنَّه يدعوكُم إلى التَّوبةِ ويمنعُكم منَ المُعاودةِ إلى مثلِه.

وقيل: إنَّما قال: ﴿خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ لأنَّ اللهَ بيَّنَ بسببِها حكمَ القذفِ فهو خيرٌ.

﴿لِكُلِّ امْرِئٍ مِّنْهُم مَّا اكْتَسَبَ مِنَ الْإِثْمِ﴾ معنى ﴿لِكُلِّ﴾: على كلِّ امرئٍ جزاءُ إثمِه

---

(١) لم أقف على كلام أبي علي، وما ذكره المصنف عنه مشهور في الرهط والنفر، ولكن المشهور في العُصبة أنها فوق العشرة. انظر: «أدب الكاتب» لابن قتيبة (ص: ١٧٥)، وقال أبو هلال العسكري في «التلخيص في أسماء الأشياء» (ص: ١٠١): «والنفر والرهط ما دون العشرة من الرجال. والعصبة، قالوا: هم نحو العشرة إلى الأربعين، والله أعلم. وفي القرآن: ﴿وَنَحْنُ عُصْبَةٌ﴾، والصحيح أن العصبة: الجماعة التي أمرها واحد قلوا أو كثروا».

(٢) ذكره الرازي في «التفسير الكبير» (٢٣/ ٣٣٨) دون نسبة، وضعفه فقال: «واعلم أن هذا القول ضعيف؛ لأنه تعالى خاطبهم بالكاف، ولما وصف أهل الإفك جعل الخطاب بالهاء».

بقَدْرِ ما خاضَ فيه؛ لأنَّ بعضَهم ضحِكَ، وبعضَهم سكتَ، وبعضَهم تكلَّمَ فيه.

﴿وَالَّذِي تَوَلَّىٰ كِبْرَهُۥ مِنْهُمْ﴾: بدأ به.

الزَّجَّاجُ: تولَّى الإثمَ فيه.

و﴿كُبْرَه﴾ بالضَّمِّ[1]: مُعظَمَه[2]، وقيل: هما لغتان.

﴿وَالَّذِي تَوَلَّىٰ كِبْرَهُۥ﴾ عبدُ اللهِ بنُ أبيٍّ ابنُ سلولَ ﴿لَهُۥ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ جهنَّمُ في الآخرةِ.

وقيل: هو حسّانُ بنُ ثابتٍ؛ عُذِّبَ في الدُّنيا بأن ذهبَ بصرُه وشُلَّتْ يداه[3]، وذُكِرَ أنَّه دخلَ على عائشةَ رضي الله عنها بعدما كُفَّ بصرُه وأنشدَ:

حَصَانٌ رَزانٌ ما تُزَنُّ بِرِيبَةٍ وَتُصْبِحُ غَرْثَى مِنْ[4] لُحُومِ الغَوافِلِ

فقالت عائشةُ: لكنَّكَ لستَ كذلك[5].

وقيل: هو مِسْطَحٌ، والعذابُ العظيمُ: ذهابُ بصرِه في الدُّنيا.

---

(١) هي قراءة يعقوب من العشرة. انظر: «النشر» (٢/ ٣٣١).

(٢) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٤/ ٣٥).

(٣) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٧٩٢)، واستغربه.

(٤) في (ف): «عن».

(٥) رواه البخاري (٤١٤٦)، ومسلم (٢٤٨٨)، وتتمته: «قال مسروق فقلت لها: لم تأذنين له يدخل عليك وقد قال الله: ﴿وَالَّذِي تَوَلَّىٰ كِبْرَهُۥ مِنْهُمْ لَهُۥ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [النور: ١١]؟ فقالت: فأي عذاب أشد من العمى؟ إنه كان ينافح ـ أو يهاجي ـ عن رسول الله ﷺ».

قوله: «لا تزن بريبة»؛ أي: لا تتهم بريبة، وقوله: «غرثى» يعني: جائعة، يريد أنها لا تغتاب الناس فتكونَ بمنزلةِ مَن تأكل لحومهم وتشبع منها، لكنها غرثى جائعة منها. انظر: «إكمال المعلم» (٧/ ٥٢٦).

قال الضَّحّاكُ: جلَدَ النَّبيُّ ﷺ حسَّانَ بنَ ثابتٍ، ومِسْطَحَ بنَ أُثاثَةَ، وامرأةً من قُرَيشٍ حين نزلَتْ براءتُها[1].

***

(١٢) - ﴿لَّوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا۟ هَٰذَآ إِفْكٌ مُّبِينٌ﴾.

﴿لَّوْلَآ﴾: هلَّا، وهي للتَّحريضِ ﴿إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا﴾؛ أي: بأمثالِـهم منَ المُؤمنين، والمؤمنون كلُّهم كنفسٍ واحدةٍ.

وقيل: معناه: هلَّا ظنُّوا بهما ما يُظَنُّ بالرَّجلِ لو خلا بأمِّه، وبالمرأةِ لو خلَتْ بابنِها؛ لأنَّ أزواجَ النَّبيِّ عليه السَّلامُ أمَّهاتُ المؤمنين ﴿وَقَالُوا۟ هَٰذَآ إِفْكٌ مُّبِينٌ﴾.

***

(١٣) - ﴿لَّوْلَا جَآءُو عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَآءَ ۚ فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا۟ بِٱلشُّهَدَآءِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ عِندَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْكَٰذِبُونَ﴾.

﴿لَّوْلَا جَآءُو عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَآءَ﴾ متَّصلٌ بقولِه: ﴿هَٰذَآ إِفْكٌ مُّبِينٌ﴾ والكلُّ متَّصلٌ

---

(١) لم أقف عليه عن الضحاك. وروى الإمام أحمد في «المسند» (٢٤٠٦٦)، وأبو داود (٤٤٧٤)، والترمذي (٣١٨١)، وابن ماجه (٢٥٦٧) عن عائشة رضي الله عنها قالت: «لما نزل عذري قام رسول الله ﷺ على المنبر، فذكر ذلك وتلا القرآن، فلما نزل، أمر برجلين وامرأة فضربوا حدهم». قال الترمذي: «هذا حديث حسن غريب لا نعرفه إلا من حديث محمد بن إسحاق». وفي رواية عند أبي داود (٤٤٧٥) عن محمد بن إسحاق ـ لم يذكر عائشة ـ قال: «فأمر برجلين وامرأة ممن تكلم بالفاحشة: حسان بن ثابت، ومسطح بن أثاثة، قال النفيلي: ويقولون: المرأة: حمنة بنت جحش».
وروى ابن شبة في «تاريخ المدينة» (١/ ٣٣٧) عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «جلد رسول الله ﷺ الذين قالوا لعائشة رضي الله عنها ما قالوا ثمانين ثمانين: حسان بن ثابت، ومسطح بن أثاثة، وحمنة بنت جحش». وهكذا رواه أبو يعلى في «مسنده» (٤٩٣٢) عن عروة بن الزبير مرسلاً، والطبراني في «المعجم الكبير» (٢٣/ ١٥٢) عن سعيد بن جبير، وهو مرسل أيضاً.

بـ﴿لَّوْلَا﴾؛ أي: هلَّا قالوا، والمعنى: هلَّا جاؤوا لو كانوا صادقين بأربعةِ شهداءَ ﴿فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا بِالشُّهَدَاءِ﴾؛ أي: الأربعةِ ﴿فَأُولَئِكَ عِندَ اللَّهِ﴾ أي: في حُكمِه ﴿هُمُ الْكَاذِبُونَ﴾.

***

(١٤) - ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ لَمَسَّكُمْ فِي مَا أَفَضْتُمْ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾.

﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ﴾؛ أي: في أمرِ الدُّنيا وفي أمرِ الآخرةِ بأنْ لم يُعاقِبْكم وأمهلَكم للتَّوبةِ ﴿لَمَسَّكُمْ فِي مَا أَفَضْتُمْ فِيهِ﴾: أسرَعْتُم إليه لقذفكم ﴿عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾.

***

(١٥) - ﴿إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُم مَّا لَيْسَ لَكُم بِهِ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّنًا وَهُوَ عِندَ اللَّهِ عَظِيمٌ﴾.

﴿إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِأَلْسِنَتِكُمْ﴾؛ أي: تتلقَّونه وتُسرِعون إلى الإفاضةِ فيه.

وقيل: يروي بعضُكم عن بعضٍ.

ورُوِيَ عن عائشةَ رضي الله عنها: (تَلِقُونَه)[1]، الزَّجَّاجُ: وَلَقَ يَلِقُ؛ إذا أسرعَ في الكذبِ[2].

ابنُ الأنباريِّ: وَلَقَ الحديثَ؛ إذا أنشأَه[3].

---

(١) رواه البخاري (٤١٤٤) عن ابن أبي مليكة عن عائشة رضي الله عنها، ولفظه: «كانت تقرأ: إذ تَلِقُونه بألسنتكم، وتقول: الوَلْق الكذب»، قال ابن أبي مليكة: «وكانت أعلم من غيرها بذلك لأنه نزل فيها». وهي قراءة شاذة. انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ١٠٢)، و«المحتسب» (٢/ ١٠٤).

(٢) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٤/ ٣٨).

(٣) في «الزاهر» لابن الأنباري (١/ ٥٠٠): «وقرأت عائشة: (إِذْ تَلِقُونَهُ بألسنتِكم) بفتح التاء وكسر =

﴿وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُم مَّا لَيْسَ لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ﴾ منَ الفِريةِ؛ أي: تتجرَّؤون على النُّطقِ به في أهلِ النَّبيِّ ﷺ ﴿وَتَحْسَبُونَهُۥ هَيِّنًا﴾ يعني: تظنُّون عقوبتَه هيِّنةً ﴿وَهُوَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمٌ﴾ في الوزرِ والعقوبة.

وقيل: تحسَبُونَ ذلك أمرًا خفيفًا يسيرًا، وذلك عندَ الله ذنبٌ عظيمٌ فيه أذى رسولِ اللهِ ﷺ ورَمْيُ البريءِ.

***

(١٦) ـ ﴿وَلَوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُم مَّا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّتَكَلَّمَ بِهَٰذَا سُبْحَٰنَكَ هَٰذَا بُهْتَٰنٌ عَظِيمٌ﴾.

﴿وَلَوْلَآ﴾؛ أي: هلَّا ﴿إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُم مَّا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّتَكَلَّمَ بِهَٰذَا﴾؛ أي: لا يحلُّ لنا أن نخوضَ في هذا الحديثِ ﴿سُبْحَٰنَكَ هَٰذَا بُهْتَٰنٌ عَظِيمٌ﴾ وهلَّا قُلتُم عند ذلك: ﴿سُبْحَٰنَكَ﴾؛ أي: العجبُ ممَّن يقولُ ذلك، هذا كذبٌ عظيمٌ يَبْهَتُ مَن سمِعَه، والبُهتانُ: الكذبُ يُواجَه به المُؤمنُ فيتحيَّرُ منه.

وقيل: معنى ﴿سُبْحَٰنَكَ﴾ هاهنا: تعالَيْتَ عن أن يُقالَ في رسولِكَ هذا البُهتانُ العظيمُ.

***

(١٧) ـ ﴿يَعِظُكُمُ ٱللَّهُ أَن تَعُودُوا۟ لِمِثْلِهِۦٓ أَبَدًا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾.

﴿يَعِظُكُمُ ٱللَّهُ أَن تَعُودُوا۟﴾: كي لا تعودُوا، وكراهةَ أن تعودُوا ﴿لِمِثْلِهِۦٓ﴾ إلى مثلِ هذا الحديثِ منَ القذفِ والخوضِ فيه والجلوسِ مع القاذفِ واستماعِ حديثِه ﴿أَبَدًا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ جزاؤُه مُضمَرٌ؛ أي: فاتَّعِظُوا ولا تَعُودوا.

***

= اللام، على معنى: إذ تستمر ألسنتكم بالخوض في ذلك، والكذب فيه».

(١٨) ـ ﴿وَيُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ ۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾.

﴿وَيُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ﴾ الدَّلالاتِ الواضِحاتِ. وقيل: الفرائضَ والأحكامَ.

﴿وَٱللَّهُ عَلِيمٌ﴾ بمصالحِكم ﴿حَكِيمٌ﴾ بتدبيرِكم.

* * *

(١٩) ـ ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلْفَٰحِشَةُ فِى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ﴾ يُريدونَ ﴿أَن تَشِيعَ ٱلْفَٰحِشَةُ﴾ والفاحشةُ: ما قبُحَ جدًّا، والمرادُ بها هاهنا: الزِّنى، والشُّيوعُ: الانتشارُ والتَّفرُّقُ.

وقيل: الفاحشةُ مصدرٌ كالعافيةِ.

﴿فِى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ﴾ هم الذين بدؤُوا بالإفكِ وأتَوا به، والعذابُ الأليمُ في الدُّنيا: الجلدُ والقتلُ والقتالُ، من قوله: ﴿جَٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْ﴾ [التوبة: ٧٣]، وفي(١) الآخرةِ: جهنَّمُ والنَّارُ.

﴿وَٱللَّهُ يَعْلَمُ﴾ إنَّهم لكاذبون ﴿وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ لأنَّه غيبٌ.

* * *

(٢٠) ـ ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ وَأَنَّ ٱللَّهَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾.

﴿وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ وَأَنَّ ٱللَّهَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ لعجَّلَ لهم العذابَ، وقيل: جوابُه جوابُ الثَّاني.

* * *

---

(١) في (ف): «وعذاب».

(٢١) ـ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ وَمَن يَتَّبِعۡ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِ فَإِنَّهُۥ يَأۡمُرُ بِٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِۚ وَلَوۡلَا فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ وَرَحۡمَتُهُۥ مَا زَكَىٰ مِنكُم مِّنۡ أَحَدٍ أَبَدٗا وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يُزَكِّي مَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٞ﴾.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِ﴾ بإشاعةِ الفاحشةِ في الذين آمنُوا.

وقيل: خُطواتُه: وَساوِسُه.

وقيل: هي النُّذورُ بالمعاصي، وسلوكُ سبُلِ الشَّيطانِ واقتِفاءُ آثارِه.

﴿وَمَن يَتَّبِعۡ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِ فَإِنَّهُۥ يَأۡمُرُ بِٱلۡفَحۡشَآءِ﴾: بالمعصيةِ ﴿وَٱلۡمُنكَرِ﴾ الذي لا يعرِفُه الشَّرعُ ولا العقلُ ﴿وَلَوۡلَا فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ وَرَحۡمَتُهُۥ مَا زَكَىٰ مِنكُم مِّنۡ أَحَدٍ أَبَدٗا﴾ ما تطهَّرَ من دَنَسِ ذُنوبِه أبدًا.

وقيل: ما أسلَمَ.

وقيل: ما اهتَدَى.

﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يُزَكِّي مَن يَشَآءُ﴾ يحمِلُه على ما يصيرُ به زاكيًا. وقيل: يُثْني عليه.

﴿وَٱللَّهُ سَمِيعٌ﴾ لمقالتِكُم ﴿عَلِيمٞ﴾ بنيَّاتِكُم وأعمالِكُم.

* * *

(٢٢) ـ ﴿وَلَا يَأۡتَلِ أُوْلُواْ ٱلۡفَضۡلِ مِنكُمۡ وَٱلسَّعَةِ أَن يُؤۡتُوٓاْ أُوْلِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينَ وَٱلۡمُهَٰجِرِينَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۖ وَلۡيَعۡفُواْ وَلۡيَصۡفَحُوٓاْۗ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغۡفِرَ ٱللَّهُ لَكُمۡۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٌ﴾.

﴿وَلَا يَأۡتَلِ﴾: لا يَحلِفْ ﴿أُوْلُواْ ٱلۡفَضۡلِ مِنكُمۡ وَٱلسَّعَةِ﴾ يعني: أبا بكرٍ الصِّدِّيقَ رضي الله عنه ﴿أَن يُؤۡتُوٓاْ﴾: أنْ لا يُؤتُوا ﴿أُوْلِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينَ وَٱلۡمُهَٰجِرِينَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ يعني: مِسْطَحًا، وكانَ ابنَ خالتِه، حلَفَ ألَّا يُنفِقَ عليه، كما سبَقَ[1].

(١) هو جزء من حديث الطويل عند البخاري (٤٧٥٧)، ومسلم (٢٧٧٠)، وقد تقدم قريباً.

الحسَنُ ومجاهدٌ: نزلَتِ الآيةُ في يتيمٍ كان في حِجرِ أبي بكرٍ رضي الله عنه حلَفَ ألّا يُنفِقَ عليه(١).

وقوله: ﴿وَلَا يَأْتَلِ﴾ هو يفتَعِلْ، من الأليَّةِ، وهو القَسَمُ، وقرأَ أبو جعفرٍ: ﴿ولا يَتَأَلَّ﴾(٢)، و(لا) مُضمَرٌ كما ذكرتُ(٣). وقيل: هو من قولِه: ﴿لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا﴾ [آل عمران: ١١٨] فلا يحتاجُ إلى إضمارِ (لا)(٤)، والوجهُ هو الأوَّلُ؛ لأنَّ أبا بكرٍ رضي الله عنه لمَّا سمعَ قولَه سُبحانَه: ﴿أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْ﴾ قال: بلى يا ربِّ، إنِّي لَأُحِبُّ أن يغفِرَ اللهُ لي، واللهِ لا أنزِعُها عنه أبدًا، وكفَّرَ عن يمينِه(٥).

وقولُه: ﴿وَلْيَعْفُوا۟ وَلْيَصْفَحُوٓا۟﴾ العفوُ: السَّترُ، والصَّفحُ: الإعراضُ.

وقيل: العفوُ عنِ الأفعالِ، والصَّفحُ عن الأقوالِ.

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (١٧/ ٢٢٦)، والطبراني في «المعجم الكبير» (٢٣/ ١٤٨)، وهو في «تفسير مجاهد» (ص: ٤٩٠). ولا يعارض هذا رواية الصحيحين؛ فقد جاء في بعض رواياته أن اليتيم هو مسطح، رواه الطبراني في «المعجم الكبير» (٢٣/ ١٤٩) من طريق ابن جريج عن مجاهد قال: «أبو بكر حلف لا ينفع يتيماً كان في حجره»، قال عبد الملك (هو ابن جريج): هو مسطح بن أثاثة بن عباد بن المطلب أشاع ذلك. ورجاله ثقات كما في «مجمع الزوائد» (٧/ ٧٩). وكونه كان يتيماً في حجره رواه البزار (٢٦٦٣ - كشف) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه بإسناد حسن كما قال السيوطي في «الدر المنثور» (٦/ ١٤٦). ورواه ابن شبة في «تاريخ المدينة» (١/ ٣٣٦) عن سفيان، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٨/ ٢٥٥٤) عن سعيد، والطبراني في «المعجم الكبير» (٢٣/ ١٠٦) عن عروة عن عائشة رضي الله عنها.

(٢) بهمزة مفتوحة بين التاء واللام مع تشديد اللام مفتوحة. انظر: «النشر» (٢/ ٣٣١).

(٣) فمعنى ﴿أَن يُؤْتُوٓا۟﴾: أن لا يؤتوا.

(٤) «لا» من (ف).

(٥) هو جزء من حديث عائشة رضي الله عنها المتقدم، رواه البخاري (٤٧٥٧)، ومسلم (٢٧٧٠)، وليس عندهما: «وكفر عن يمينه»، ووردت في رواية ابن شبة في «تاريخ المدينة» (١/ ٣٢٢)، والحارث بن أبي أسامة في «مسنده» (٩٩٨ - زوائد).

﴿أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾.

***

(٢٣) ـ ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَرْمُونَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ ٱلْغَٰفِلَٰتِ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ لُعِنُوا۟ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَرْمُونَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ ٱلْغَٰفِلَٰتِ﴾ عمَّا قُذِفْنَ.

وقيل: ﴿ٱلْغَٰفِلَٰتِ﴾: القليلاتِ الفِطنةِ للفُجورِ.

﴿ٱلْمُؤْمِنَٰتِ لُعِنُوا۟ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ فيه قولانِ:

أحدُهما: أنَّ هذا خاصٌّ في عائشةَ رضي الله عنها وفي سائرِ أزواجِ النَّبيِّ ﷺ.

وقيل: عامٌّ في المُحصَناتِ المُؤمناتِ، والحكمُ لعمومِ اللَّفظِ لا لخصوصِ السَّببِ.

وقولُه: ﴿لُعِنُوا۟ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْآخِرَةِ﴾ يُريدُ: إنْ لم يتوبوا، ورُوِيَ عن ابنِ عبَّاسٍ رضي الله عنهما أنَّه قال: لا توبةَ لقاذفِ أزواجِ النَّبيِّ ﷺ(١).

وقيل: عنَى به: عبدَ اللهِ بنَ أُبيٍّ، وكان مُنافقًا(٢).

***

(٢٤) ـ ﴿يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾.

﴿يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ﴾؛ أي: يُعذَّبون يومَ تشهدُ عليهم ﴿أَلْسِنَتُهُمْ﴾ بالقَذْفِ بالزِّنى ﴿وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾؛ أي: وسائرُ الأعضاءِ بسائرِ المعاصي عمِلوها بها.

وقيل: يُنكرون، فتشهدُ عليهم جوارِحُهم.

وشهادةُ الأعضاءِ بأن يُصيِّرَها اللهُ كاللِّسانِ في إمكانِ النُّطقِ بها. وقيل: يبنيها

---

(١) رواه ابن شبة في «تاريخ المدينة» (١/ ٣٣٨)، والطبري في «تفسيره» (١٧/ ٢٢٨).

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٧٩٣)، واستغربه.

بِنْيَةً أُخرى مُحتمِلةً للكلامِ(١). وقيل: تتكلَّمُ بكلامٍ يُحلُّه اللهُ فيها. وقيل: يكونُ هناك علامةٌ تقومُ مَقامَ النُّطقِ بالشَّهادةِ(٢). والوجهُ هو الأوَّلُ.

***

(٢٥) - ﴿يَوْمَئِذٍ يُوَفِّيهِمُ اللَّهُ دِينَهُمُ الْحَقَّ وَيَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ الْمُبِينُ﴾.

﴿يَوْمَئِذٍ يُوَفِّيهِمُ اللَّهُ دِينَهُمُ الْحَقَّ﴾؛ أي: الجزاءَ المُستحَقَّ.

ويحتمِلُ أن يكونَ ﴿الْحَقَّ﴾ وصفًا للهِ نُصبَ على المدحِ؛ لأنَّه قُرِئَ بالرَّفعِ(٣)، ولأنَّه في مُصحفِ أُبيٍّ: (يَوْمَئِذٍ يُوَفِّيهِمُ اللهُ الحَقُّ دِينَهُمْ)(٤).

﴿وَيَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ الْمُبِينُ﴾ لأنَّ في القيامةِ تزولُ الشُّكوكُ ويحصلُ العلمُ الضَّروريُّ.

***

(٢٦) - ﴿الْخَبِيثَاتُ لِلْخَبِيثِينَ وَالْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَاتِ وَالطَّيِّبَاتُ لِلطَّيِّبِينَ وَالطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَاتِ أُولَئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾.

﴿الْخَبِيثَاتُ لِلْخَبِيثِينَ وَالْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَاتِ وَالطَّيِّبَاتُ لِلطَّيِّبِينَ وَالطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَاتِ﴾ ابنُ عبَّاسٍ رضي الله عنهما في جماعةٍ: الخبيثاتُ منَ القولِ للخبيثين منَ الرِّجالِ،

---

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٧٩٣)، واستغربه.

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٧٩٣)، وعدَّه من العجائب.

(٣) هي قراءة شاذة رويت عن ابن عباس ومجاهد وأبي روق انظر: «المختصر في شواذ القراءات» لابن خالويه (ص: ١٠٣)، و«المحتسب» (٢/ ١٠٤).

(٤) رواه الطبري في «تفسيره» (١٧/ ٢٣٢) عن جرير بن حازم، وذكره الثعلبي في «تفسيره» (١٩/ ١١٩)، وانظر: «المختصر في شواذ القراءات» لابن خالويه (ص: ١٠٣).

والطَّيِّباتُ منَ القولِ للطَّيِّبين منَ الرِّجالِ[1]، وكلُّ إناءٍ يرشَحُ بما فيه.

ابنُ زيدٍ في جماعةٍ: الخبيثاتُ منَ النِّساءِ للخبيثينَ منَ الرِّجالِ، وكذلك الطَّيِّباتُ منَ النِّساءِ للطَّيِّبين منَ الرِّجالِ، ورسولُ اللهِ ﷺ طيِّبٌ وأزواجُه طيِّباتٌ طاهِراتٌ[2].

وقيل: الكلمةُ الخبيثةُ تَلْصَقُ بالخبيثِ، والطَّيِّبةُ بالطَّيِّبِ.

وقيل: هذه الآيةُ كالتي قبلَها ﴿ٱلزَّانِي لَا يَنكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَٱلزَّانِيَةُ لَا يَنكِحُهَآ إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ﴾ على ما سبقَ.

وقيل: معناه: مَن قذفَ عائشةَ رضي الله عنها فامرأتُه أَوْلَى بالقذفِ، فإنَّ عائشةَ رضي الله عنها كانت طيِّبةً ورسولُ اللهِ ﷺ طيِّبٌ طاهرٌ[3].

﴿أُوْلَٰٓئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَ﴾ يعني: عائشةَ رضي الله عنها.

وقيل: عائشةُ وصفوانُ، وكانَ حَصُورًا لا يأتي النِّساءَ، فوقعَ ﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾ موقعَ التَّثنيةِ، وله نظائرُ.

وقيل: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾ إشارةٌ إلى الطَّيِّبين، وتقديرُه: ممَّا يقولون فيهم.

﴿لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ رُوِيَ أنَّ ابنَ عبَّاسٍ رضي الله عنهما دخلَ على عائشةَ رضي اللهُ عنها في مرضِها الذي ماتَتْ فيه، فبكَتْ وقالت: أخافُ ما أَقدَمُ عليه، فقال ابنُ عبّاسٍ رضي الله عنهما: لا تخافي، فوالذي أنزَلَ الكتابَ على محَّمدٍ ﷺ لا تَقْدَمينَ إلَّا على مغفرةٍ ورزقٍ كريمٍ، فقالت: رحمَكَ اللهُ، أهذا شيءٌ أنبأكَ

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (١٧/ ٢٣٣)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٨/ ٢٥٦٢)، والطبراني في «المعجم الكبير» (٢٣/ ١٥٨ ـ ١٥٩).

(٢) رواه بنحوه الطبري في «تفسيره» (١٧/ ٢٣٧)، وذكره بلفظه دون قوله: «ورسولُ اللهِ ﷺ طيِّبٌ...» الثعلبي في «تفسيره» (١٩/ ١٢٠)، وجاء في (ف): «وأزواجه الطيبات الطاهرات».

(٣) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٧٩٣)، واستغربه.

به رسولُ اللهِ ﷺ؟ فقال: لا، بل هو شيءٌ نبَّأنيه كتابُ اللهِ، قالت: فاتلُ عليَّ، فتلا: ﴿وَالطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَاتِ أُولَئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾، فخرجَ من عندِها فصِيحَ عليها، فقال: ما لها؟ قالوا: غُشِيَ عليها فرَحًا ممَّا تلَوْتَ[١].

***

(٢٧) - ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْنِسُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَى أَهْلِهَا ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ﴾ أي: بيوتًا لستُمْ تملِكُونها ولا تسكُنونَها ﴿حَتَّى تَسْتَأْنِسُوا﴾ في سببِ النُّزولِ عن عديٍّ بنِ ثابتٍ قال: جاءتِ امرأةٌ منَ الأنصارِ فقالَتْ: يا رسولَ اللهِ، إنِّي أكونُ في بيتي على حالٍ لا أُحِبُّ أن يراني عليها أحدٌ؛ والدٌ ولا ولدٌ، فيأتي الأبُ فيدخلُ عليَّ، وإنَّه لا يزالُ يدخُلُ عليَّ رجلٌ من أهلي وأنا على تلك الحالةِ، فكيفَ أصنعُ؟ فنزلَتْ هذه الآيةُ: ﴿لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ﴾[٢].

قالوا[٣]: فلمَّا نزلَتْ هذه الآيةُ قال أبو بكرٍ رضي الله عنه: يا رسولَ اللهِ؛ أرأيتَ الخاناتِ والمساكنَ في طريقِ الشَّامِ ليس فيها ساكنٌ، فأنزلَ اللهُ: ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ مَسْكُونَةٍ﴾[٤].

وفي قوله: ﴿حَتَّى تَسْتَأْنِسُوا﴾ أقوالٌ:

ابنُ عبَّاسٍ رضي الله عنهما: معناه: حتَّى تستأذِنُوا، ورُوي عنه أنَّه كان يقرأُ:

---

(١) ذكره السمرقندي مختصرًا في «تفسيره» (٢/ ٥٠٦).

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (١٧/ ٢٤٢)، والواحدي في «أسباب النزول» (ص: ٣٢٤).

(٣) «قالوا» من (ف).

(٤) رواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٨/ ٢٥٧٠) عن مقاتل بن حيان، وهو في «تفسير مقاتل بن سليمان» (٣/ ١٩٥).

(حتَّى تستأذِنُوا)، وما رُوِيَ عنه أو عن سعيدِ بنِ جُبيرٍ أنَّه قال: أخطأَ الكاتبُ(٤) = فمحظورٌ، والقولُ به عظيمٌ.

والاستِئناسُ استفعالٌ بمعنى: العلمِ، من قوله: ﴿فَإِنْ ءَانَسْتُم﴾ [النساء: ٦] أي: علِمْتُم.

وقيل: بمعنى: الإبصارِ، من قولِه: ﴿ءَانَسْتُ نَارًا﴾ [النمل: ٧].

---

(١) رواه أبو عبيد في «فضائل القرآن» (ص: ٣٠٧)، والطبري في «تفسيره» (١٧/ ٢٤١)، من طريق سعيد بن جبير عن ابن عباس: أنه كان يقرؤها: (حتى تُسَلِّموا على أهلها وتَسْتَأْذِنُوا)، وقال: (وتَسْتَأْنِسُوا) وهمٌ من الكُتَّاب.

ورواه الطحاوي في «شرح مشكل الآثار» (٤/ ٢٤٩)، والحاكم في «المستدرك» (٣٤٩٦) من طريق مجاهد عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: أَخطأ الكاتبُ، إنَّمَا هو: (حتى تَسْتَأْذِنُوا). وهكذا ذكره ابن جني في «المحتسب» (٢/ ١٠٧). وكذا رواه يحيى بن سلام في «تفسيره» (١/ ٤٣٦ ـ ٤٣٧)، والطبري في «تفسيره» (١٧/ ٢٤٠)، لكن من طريق سعيد بن جبير عن ابن عباس.

ورده النحاس في «الناسخ والمنسوخ» (ص: ٥٨٧) بقوله: فأما ما روي عن ابن عباس ـ وبعضُ الناس يقول: عن سعيد بن جبير ـ أنه قال: أخطأ الكاتب، وإنما هو: (حتى تستأذنوا)، فعظيم محظورٌ القول به؛ لأن الله عز وجل قال: ﴿لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ﴾ [فصلت: ٤٢].

وقد رد الخبر بذلك أيضاً كثير من العلماء، منهم ابن العربي في «أحكام القرآن» (٣/ ٣٧٠) حيث قال: «وليس فيه خطأ من كاتب، ولا يجوز ان ينسب الخطأ إلى كتابٍ تولَّى الله حفظه وأجمعت الأمه على صحته، فلا يلتفت إلى راوي ذلك عن ابن عباس».

وقال ابن عطية في «المحرر الوجيز» (٤/ ١٧٦): «مصاحف الإسلام كلها قد ثبت فيها ﴿تَسْتَأْنِسُوا﴾ وصح الإجماع فيها من لدنْ مدةِ عثمان رضي الله عنه، فهي التي لا يجوز خلافها، والقراءة بـ(تستأذنوا) ضعيفة، وإطلاق الخطأ والوهم على الكتاب في لفظٍ أجمع الصحابة عليه لا يصح عن ابن عباس، والأشبه أن يقرأ: (تستأذنوا) على التفسير».

ورده أيضاً القرطبي في «تفسيره» (١٥/ ١٨٩)، وأبو حيان في «البحر» (١٦/ ٥٩)، بل جعله أبو حيان رحمه الله من الطعن في الإسلام، قال: «وابن عباس بريء من هذا القول».

وذكر هذا القول المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٧٩٤)، وعدَّه من العجائب.

الزَّجَّاجُ: معناه في اللُّغةِ: تستأذِنُوا، والاستِئذانُ استِعلامٌ، ويُقوِّيه قولُه: ﴿حَتَّىٰ يُؤْذَنَ لَكُمْ﴾ [النور: ٢٨][١].

مجاهدٌ: هو التَّنحنُحُ والتَّنخُّمُ[٢].

وقيل: حتَّى تجِدُوا الأُنسَ وتثِقُوا به ممَّن تدخُلونَ عليه[٣].

﴿وَتُسَلِّمُوا عَلَىٰ أَهْلِهَا﴾ ورُوِيَ عن ابنِ عبَّاسٍ رضي الله عنهما: أنَّ في الآيةِ تقديمًا وتأخيرًا تقديرُه: حتَّى تُسلِّموا وتستأذِنُوا[٤]؛ أي: حتَّى تقولوا: السَّلامُ عليكم أأدخُلُ؟ وقد جاء مرفوعًا أنَّه علَّمَ الرَّجُلَ الاستئذانَ فقال له: «قُلْ: السَّلامُ عليكم، أأدخُلُ عليكم؟»[٥].

والأكثرون على أنَّ السَّلامَ مسنونٌ بعد الإذنِ على ظاهرِ الآيةِ، ولأنَّ السَّلامَ تحيَّةُ اللِّقاءِ، واللِّقاءُ بعد الإذنِ، والسَّلامُ نَدْبٌ، والاستِئذانُ حَتْمٌ.

وقيل: إن وقعَتِ العينُ على العينِ قبل الإذنِ فالأَولى تقديمُ السَّلامِ على الاستِئذانِ، وإلّا قُدِّمَ الاستِئذانُ على السَّلامِ، ولا يستأذِنُ الرَّجلُ في دُخولِه منزلَه

---

(١) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٤/ ٣٩).

(٢) رواه ابن وهب في «جامعه - التفسير» (١٨)، والطبري في «تفسيره» (١٧/ ٢٤٣)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٨/ ٢٥٦٦).

(٣) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٧٩٤)، واستغربه.

(٤) رواه الفراء في «معاني القرآن» (٢/ ٢٤٩)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٨٤٥٢) من طريق الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس رضي الله عنهما. ورواه الطبري في «تفسيره» (١٧/ ٢٤١) من طريق سعيد عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٥) رواه أبو داود في (٥١٧٧)، والنسائي في «الكبرى» (١٠٠٧٥) عن ربعي بن حراش عن رجل من بني عامر. ورجال إسناده ثقات إلا أنَّ فيه انقطاعًا.

ورواه أبو داود (٥١٧٦)، والترمذي (٢٧١٠) عن كلدة بن حنبل، وقال الترمذي: «حديث حسن غريب».

لقولِه: ﴿غَيْرَ بُيُوتِكُمْ﴾، والأفضلُ أن يُعلِمَ بدُخولِه[1] بتنحنُحٍ أو غيرِه.

﴿ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ من أن تدخُلوا بغيرِ إذنٍ ﴿لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ ما يجبُ عليكم من طاعتِه.

* * *

(٢٨) ـ ﴿فَإِن لَّمْ تَجِدُوا فِيهَا أَحَدًا فَلَا تَدْخُلُوهَا حَتَّىٰ يُؤْذَنَ لَكُمْ ۖ وَإِن قِيلَ لَكُمُ ارْجِعُوا فَارْجِعُوا ۖ هُوَ أَزْكَىٰ لَكُمْ ۚ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾.

﴿فَإِن لَّمْ تَجِدُوا فِيهَا﴾ أي: في البيوتِ ﴿أَحَدًا﴾ يأذَنُ لكم ﴿فَلَا تَدْخُلُوهَا حَتَّىٰ يُؤْذَنَ لَكُمْ ۖ وَإِن قِيلَ لَكُمُ ارْجِعُوا﴾: انصرِفوا ﴿فَارْجِعُوا﴾ ولا تُلِحُّوا، ولا يسُؤْكُم ذلك؛ فإنَّ للنَّاسِ حاجاتٍ.

﴿هُوَ أَزْكَىٰ لَكُمْ﴾؛ أي: الانصرافُ أنفعُ لدينِكُم ودُنياكم، وأقربُ إلى التَّزكيةِ ﴿وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾.

* * *

(٢٩) ـ ﴿لَّيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ مَسْكُونَةٍ فِيهَا مَتَاعٌ لَّكُمْ ۚ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ﴾.

﴿لَّيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ مَسْكُونَةٍ﴾ يعني: الخاناتِ والمنازلَ التي ينزِلُها السَّفْرُ[2] ﴿فِيهَا مَتَاعٌ لَّكُمْ﴾ استِمتاعٌ يقيكُمُ الحرَّ والبردَ.

وقيل: هي: الخَرِباتُ التي يُؤوَى إليها للغائطِ والبولِ.

---

(١) في (ف): «قبل دخوله».

(٢) أي: المسافرون، فهو جمع سافر. انظر: «تاج العروس» مادة (س ف ر) (١٢/ ٢٨).

ابنُ زيدٍ: بيوتُ التُّجَّارِ التي فيها أمتعةُ النَّاسِ(١).

ابنُ الحنفيَّةِ: بيوتُ مكَّةَ(٢).

﴿وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مَا تُبۡدُونَ وَمَا تَكۡتُمُونَ﴾ يريدُ: إذا دخلتُم بيوتَ غيرِكم فاتَّقوا اللهَ، فإنَّه يعلمُ خائنةَ الأعينِ وما تُخفي الصُّدورُ(٣).

***

(٣٠) ـ ﴿قُل لِّلۡمُؤۡمِنِينَ يَغُضُّواْ مِنۡ أَبۡصَٰرِهِمۡ وَيَحۡفَظُواْ فُرُوجَهُمۡۚ ذَٰلِكَ أَزۡكَىٰ لَهُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا يَصۡنَعُونَ﴾.

﴿قُل لِّلۡمُؤۡمِنِينَ يَغُضُّواْ مِنۡ أَبۡصَٰرِهِمۡ﴾؛ أي: يُنقِصُوا من نظرِهم، والغضُّ والإغضاضُ: أن يُداني بين جفنَيه من غيرِ مُلاقاةٍ، و﴿مِنۡ﴾ للتَّبعيضِ، وهو تركُ النَّظرِ إلى ما لا يحِلُّ، وليس على أحدٍ أن يغُضَّ بصرَه كلَّه. وقيل: في بعضِ الأوقاتِ أُمِروا بالغضِّ.

﴿وَيَحۡفَظُواْ فُرُوجَهُمۡ﴾ مِن أن يراها أحدٌ، وهو(٤) منَ العانةِ إلى أعلى الرُّكبةِ.

أبو العاليةِ: كلُّ موضعٍ في القرآنِ ذُكِرَ فيه الفرجُ فالمُرادُ به: الزِّنى، إلّا في هذا الموضعِ، فإنَّ المُرادَ به السَّترُ(٥).

وقيل: يحفَظُونها منَ الزِّنى، وسُمِّيت فروجًا لأنَّها منافذُ الأجوافِ ومسالكُ الخارحاتِ(٦).

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (١٧/ ٢٥١)، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٧٩٥)، واستغربه.

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (١٧/ ٢٥٠)، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٧٩٥)، وعدَّه من العجائب.

(٣) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٧٩٥)، واستغربه.

(٤) في (ف): «هي».

(٥) رواه الطبري في «تفسيره» (١٧/ ٢٥٥)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٨/ ٢٥٧١).

(٦) في (ف): «الجارحات»، وهو تصحيف.

﴿ذَٰلِكَ﴾؛ أي: الغضُّ والحفظُ ﴿أَزْكَىٰ لَهُمْ﴾ أنفعُ لدِينِهم ودُنياهم ﴿إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا يَصْنَعُونَ﴾ لا يخفَى عليه فِعلُهم.

***

(٣١) - ﴿وَقُل لِّلْمُؤْمِنَٰتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَٰرِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا ۖ وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ ۖ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ ءَابَآئِهِنَّ أَوْ ءَابَآءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَآئِهِنَّ أَوْ أَبْنَآءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَٰنِهِنَّ أَوْ بَنِىٓ إِخْوَٰنِهِنَّ أَوْ بَنِىٓ أَخَوَٰتِهِنَّ أَوْ نِسَآئِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُنَّ أَوِ ٱلتَّٰبِعِينَ غَيْرِ أُو۟لِى ٱلْإِرْبَةِ مِنَ ٱلرِّجَالِ أَوِ ٱلطِّفْلِ ٱلَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا۟ عَلَىٰ عَوْرَٰتِ ٱلنِّسَآءِ ۖ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ ۚ وَتُوبُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾.

﴿وَقُل لِّلْمُؤْمِنَٰتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَٰرِهِنَّ﴾ فلا يحلُّ لهنَّ أن ينظُرْنَ منَ الرَّجلِ إلى ما ليس بعورةٍ إلَّا لغرضٍ دون طريقةِ الشَّهوةِ.

﴿وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ﴾ عن النَّظرِ إليها. وقيل: عن الزِّنى.

﴿وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا﴾ يُريدُ بالزِّينةِ: مواضعَ الزِّينةِ ﴿إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا﴾ ابنُ مسعودٍ رضي الله عنه: الثِّيابُ(١).

ابنُ عبَّاسٍ رضي الله عنهما: الكُحْلُ والخاتمُ(٢).

الحسنُ في جماعةٍ: الوجهُ والكفَّانِ(٣).

---

(١) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٢٠٢٥)، وابن أبي شيبة في «مصنفه» (١٧٠٠٤)، والطبري في «تفسيره» (١٧/ ٢٥٦).

(٢) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٢٠٦٦)، والطبري في «تفسيره» (١٧/ ٢٥٨).

(٣) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٤/ ٩١)، ورواه الطبري في «تفسيره» (١٧/ ٢٦١) بلفظ: «الوجه والثياب».

ابنُ جريرٍ: الوجهُ، والكُحْلُ، والخاتمُ، والخِضابُ، والثِّيابُ، والسِّوارُ(١).

ابنُ بحرٍ: الزِّينةُ تقعُ على محاسنِ الخلقِ التي فعَلَها اللهُ، وعلى ما يَتزيَّنُ به الإنسانُ من فضلِ لباسٍ وحُليٍّ، فنهاهُنَّ(٢) عن إبداءِ ذلك لمَن ليسَ بمحرَمٍ، واستثنى ما لا يُمكِنُ إخفاؤُه في بعضِ الأوقاتِ كالوجهِ والأطرافِ إذا كان على غيرِ التَّلذُّذِ والشَّهوةِ، وأمَّا رِجلُها فالقَدَمانِ ليستا بعورةٍ، وفيها اختلافٌ.

﴿وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ﴾: جمعُ خِمارٍ، أُمِرْنَ بإلقاءِ الخُمُرِ على الجيوبِ لكي يستُرَ عنقَها وموضعَ العِقْدِ منها.

وقيل: كان قُمُصُهنَّ مفروجةَ الجيبِ ـ كالدُّراعةِ(٣) ـ تبدو منها صُدُورُهنَّ، فأُمِرْنَ بسَتْرِها.

﴿وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ﴾ أي: مواضِعَها؛ أي: موضِعَ الدُّمْلُجِ والخَلْخالِ ﴿إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ﴾: جمعُ بَعْلٍ، فإنَّه المقصودُ بالزِّينةِ، ولَعَنَ النَّبيُّ ﷺ السَّلْتاءَ، وهي التي لا تخضِبُ، والمَرْهاءَ وهي التي لا تكتَحِلُ(٤).

﴿أَوْ ءَابَآئِهِنَّ أَوْ ءَابَآءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَآئِهِنَّ أَوْ أَبْنَآءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَٰنِهِنَّ

---

(١) انظر: «تفسير الطبري» (١٧/ ٢٦١).

(٢) في (ف): «فنهاهن الله».

(٣) الدراعة والمدرع: جبة مشقوقة المقدم. انظر: «معجم متن اللغة» مادة: (د ر ع).

(٤) رواه ابن أبي حاتم في «علل الحديث» (٤/ ٨٦) (١٢٦٢) بلفظ: «إني لأكره المرأة المرهاء السلتاء، فقالت عائشة: بأبي أنت وأمي! إني لأسمع منك الكلام! فقال: أنا أعرب العرب ولا فخر! أما المرأة المرهاء: فالتي لا كحل في عينيها، وأما المرأة السلتاء: التي لا خضاب في يديها»، وقال أبو حاتم: «يحيى بن أبي خالد مجهول، وابن أبي سعد مثله؛ وهو حديث ضعيف».

﴿أَوْ بَنِيٓ إِخْوَٰنِهِنَّ أَوْ بَنِيٓ أَخَوَٰتِهِنَّ﴾ ولـم يذكُـرِ الأعمـامَ والأخـوالَ فـي الآيـة لمكانِ أبنائِهم[١].

﴿أَوْ نِسَآئِهِنَّ﴾؛ أي: المُؤمناتِ؛ فإنَّ اليهوديَّةَ والنَّصرانيَّةَ والمجوسيَّةَ في حكمِ الأجانبِ منَ الرِّجالِ.

وقيل: أرادَ بهنَّ الحرائرَ؛ كقولِه: ﴿لِّلَّذِينَ يُؤْلُونَ مِن نِّسَآئِهِمْ﴾ [البقرة: ٢٢٦]، فيدخلُ فيها المُؤمنةُ والكافرةُ.

﴿أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَـٰنُهُنَّ﴾ أي: الإماءُ. وقيل: الإماءُ والعبيدُ.

﴿أَوِ ٱلتَّـٰبِعِينَ غَيْرِ أُوْلِي ٱلْإِرْبَةِ مِنَ ٱلرِّجَالِ﴾ الإِرْبةُ والأَرَبُ: الحاجةُ، واختلفوا فيهم:

ابنُ زيدٍ: هو الصَّغيرُ؛ لأنَّه لا أرَبَ له في النِّساءِ لصِغَرِه[٢].

الشَّعبيُّ: العِنِّينُ[٣].

ابنُ جبيرٍ: الأبلَهُ المعتوهُ الذي لا أرَبَ له في النِّساءِ لجهالتِه[٤].

وقيل: الصِّغارُ منَ العبيدِ الذين لـم يبلُغوا مبلغَ الشَّهوةِ.

وقيل: الشَّيخُ الـهِمُّ[٥]؛ لذهابِ أرَبِه.

---

(١) أي: لئلا يَصِفَها العمُّ عند ابنِه، والخالُ كذلك. رواه ابن أبي شيبة في «المصنف» (١٧٢٩٣) عن الشعبي وعكرمة.

(٢) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٤/ ٩٥).

(٣) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٤/ ٩٥) عن عكرمة والشعبي، ورواه الطبري في «تفسيره» (١٧/ ٢٦٩) عن الشعبي بلفظ: «الذي لا أرب له في النساء».

(٤) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٤/ ٩٥)، ورواه ابن أبي شيبة في «مصنفه» (١٧١٨٨)، والطبري في «تفسيره» (١٧/ ٢٦٩) بلفظ: «المعتوه».

(٥) هو المسنُّ جدّاً. انظر: «إصلاح المنطق» لابن السكيت (ص: ٢٩٨).

عكرمةُ: المُخنَّثُ الذي لا يقومُ زُبُّه(١).

ابنُ عبَّاسٍ رضي الله عنهما: الذي يتبعُك لينالَ من طعامِك، فهو مصروفُ الشَّهوةِ لذُلِّه ولا يُهِمُّه إلَّا بطنُه(٢).

قتادةُ: الأحمقُ الذي لا يَغارُ عليه الرِّجالُ(٣).

وقيل: المجبوبُ.

وقيل: الخَصِيُّ الذي لا رغبةَ له في النِّساءِ.

﴿أَوِ ٱلطِّفْلِ ٱلَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا۟ عَلَىٰ عَوْرَٰتِ ٱلنِّسَآءِ﴾ لعدَمِ تمييزِهم، ومعنى ﴿لَمْ يَظْهَرُوا۟﴾: لم يقوَوا على إتيانِ النِّساءِ.

وقيل: لم يعرِفُوا العورةَ من غيرِها.

ووقعَ الطِّفلُ موقعَ الجمعِ، وقيل: كان في الأصلِ مصدرًا، فلهذا لم يُجمَعْ، والطِّفلُ اسمٌ للمولودِ إلى أن يُراهِقَ.

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (١٧/ ٢٧٠)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٨/ ٢٥٧٩)، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٧٩٥)، واستغربه.

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (١٧/ ٢٦٧) عن ابن عباس رضي الله عنهما بلفظ: «فهذا الرجل يتبع القوم، وهو مغفل في عقله، لا يكترث للنساء، ولا يشتهيهن».

وأقرب منه للفظ المصنف ما رواه الطبري في «تفسيره» (١٧/ ٢٦٧)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٨/ ٢٥٧٨) عن مجاهد بلفظ: «الذين لا يهمهم إلا بطونهم، ولا يُخافون على النساء».

وروى هذا المعنى أيضاً الطبري في «تفسيره» (١٧/ ٢٦٩) عن ابن زيد قال: «هو الذي يتبع القوم حتى كأنه كان منهم ونشأ فيهم، وليس يتبعهم لإربة نسائهم، وليس له في نسائهم إربة، وإنما يتبعهم لإرفاقهم إياه».

(٣) ذكره يحيى بن سلام في «تفسيره» (١/ ٤٤٢)، وابن أبي زمنين في «تفسيره» (٣/ ٢٣١)، والماوردي في «النكت والعيون» (٤/ ٩٥).

﴿وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ﴾ قتادةُ: كانت المرأةُ تضرِبُ برِجلِها إذا مشَتْ لِيُسمَعَ قعقعةُ خَلْخالِها، فنُهِينَ عن ذلك(١).

﴿وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ منَ النَّظرِ إلى ما لا يحلُّ ﴿لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾: لتفُوزوا بالخيراتِ.

* * *

(٣٢) - ﴿وَأَنكِحُواْ ٱلْأَيَٰمَىٰ مِنكُمْ وَٱلصَّٰلِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَآئِكُمْۚ إِن يَكُونُواْ فُقَرَآءَ يُغْنِهِمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾.

﴿وَأَنكِحُواْ ٱلْأَيَٰمَىٰ مِنكُمْ وَٱلصَّٰلِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَآئِكُمْ﴾ الخطابُ للأولياءِ في تزويجِ الأيامى منَ النِّساءِ إذا طلَبْنَ، وذلك فرضٌ، وإذا لم يطلُبْنَ لم يجِبْ، وخطابُ الموالي في تزويجِ العبيدِ والإماءِ؛ أي: زوِّجوا مَن لا زوجَ لها منَ الأحرارِ والحرائرِ والعبيدِ والإماءِ.

تقولُ: رجلٌ أَيِّمٌ وامرأةٌ أَيِّمٌ وأَيِّمةٌ؛ إذا كانت مُطلَّقةً، أو متوفًّى عنها الزَّوجُ، أو بكرًا لم تتزوَّجْ، والفعلُ: آمَتْ تَئِيمُ أَيْمةً وإيامًا وأُيوماً.

وجمعُه: الأيامَى، ووزنُه عند الكوفيِّين: فَعالى كيَتامَى، جُمِعَ على المعنى؛ لأنَّ الأيِّمَ كاليتيمِ(٢).

وعند البصريِّين: (أَيِّمٌ) فَيْعِلٌ، جُمِعَ على فَعَالَى تشبيهًا بأَسِيرٍ وأَسارى، وربَّما قالوا: جُمِعَ على أيائمٍ، ثمَّ قُدِّمَ وأُخِّرَ فصارَتْ أَيَامي، ثمَّ قُلِبَت فصارَت أيامَى(٣).

---

(١) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٢٠٣٤)، والطبري في «تفسيره» (١٧/ ٢٧٣)، وذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٤/ ٩٦) وعنه نقل المصنف.

(٢) هذا ظاهر كلام سيبويه. انظر: «الكتاب» (٣/ ٦٥٠).

(٣) القول بالقلب هو مذهب منسوب للأخفش، وقد ضُعِّف لأنه خلاف الأصل. انظر: «شرح الشافية» =

﴿إِن يَكُونُواْ فُقَرَآءَ يُغۡنِهِمُ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦ﴾ هذا وعدٌ منَ اللهِ بالإغناءِ، وكان رسولُ اللهِ ﷺ يقولُ: «اطلُبوا الغِنَى في هذه الآيةِ»[1]، وكان عمرُ رضي الله عنه يقولُ: «التَمِسُوا الغِنَى في الباءةِ»[2].

وقيل: يُغنِهم اللهُ بقناعةِ الصَّالحين.

وقيل: يُغنِهم اللهُ باجتماعِ الرِّزقَين.

وقيل معناه: لا تمتنِعُوا من تزويجِ العبيدِ والإماءِ لفقرِهم، فإنَّ اللهَ يُغنِيهم من فضلِه.

= للرضي (٢/ ١٤٦)، و«ارتشاف الضرب» لأبي حيان (١/ ٤٥٣).

(١) كذا ذكره يحيى بن سلام في «تفسيره» (١/ ٤٤٥) عن عبد العزيز بن أبي رواد، ورواه الديلمي في «مسند الفردوس» (٢٨٢)، والثعلبي في «تفسيره» (١٩/ ٢٠٣) من طريق مسلم بن خالد، عن سعيد بن أبي صالح، عن ابن عباس رضي الله عنهما، عن النبي ﷺ.
قال السخاوي في «المقاصد الحسنة» (ص: ١٤٩): «ومسلم فيه لين وشيخُه، ولكن له شاهد أخرجه البزار (١٤٠٢ ـ كشف)، والدارقطني في «العلل» (١٥/ ٦١)، والحاكم (٢٦٧٩)، وابن مردويه والديلمي، كلهم من رواية أبي السائب سلم بن جنادة، عن أبي أسامة، عن هشام، عن أبيه، عن عائشة مرفوعًا: «تزوجوا النساء فإنهن يأتين بالمال». قال الحاكم: تفرد به سلم وهو ثقة.
وقال البزار والدارقطني: وغير سَلم يرويه عن هشام عن أبيه مرسلاً، والمرسل أصح».
قال السخاوي: «وهو كما قالا، فقد أخرجه أبو بكر بن أبي شيبة (١٥٩١٣) عن أبي أسامة فلم يذكر عائشة، وكذلك أخرجه أبو داود في «المراسيل» (٢٠٣) عن الربيع بن نافع عن أبي أسامة، ولا ينتقد عليهم بما أخرجه أبو القاسم حمزة بن يوسف السهمي في «تاريخ جرجان» (٣٩٣) من رواية الحسين بن علوان عن هشام موصولاً، فالحسين متهم بالكذب، لا اعتبار بمتابعته».

(٢) رواه عبد الرزاق في «المصنف» (١٠٣٨٥) و(١٠٣٩٣) بلفظ: «اطلبوا الفضل في الباه» وفي رواية: «ما رأيت مثل رجل لم يلتمس الفضل في الباه» قال: وتلا عمر: ﴿إِن يَكُونُواْ فُقَرَآءَ يُغۡنِهِمُ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦ﴾ [النور: ٣٢].

وقيل: هو يرجعُ إلى الأيامى الأحرارِ؛ لأنَّ العبدَ لا يُوصَفُ بالفقرِ ولا بالغِنى، لأنَّ مالَه لمالكِه.

قال أبو عليٍّ: إن يكونوا فقراءَ منَ الجِماعِ يُغنِهم اللهُ من فضلِه[١].

وقيل: يُغنِهم من الحرامِ[٢].

﴿وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ﴾ يُوسِّعُ على مَن يشاءُ ﴿عَلِيمٌ﴾ بمَن يستَحِقُّه.

* * *

(٣٣) ـ ﴿وَلْيَسْتَعْفِفِ ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّىٰ يُغْنِيَهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ۗ وَٱلَّذِينَ يَبْتَغُونَ ٱلْكِتَٰبَ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا ۖ وَءَاتُوهُم مِّن مَّالِ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ ءَاتَىٰكُمْ ۚ وَلَا تُكْرِهُوا۟ فَتَيَٰتِكُمْ عَلَى ٱلْبِغَآءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا لِّتَبْتَغُوا۟ عَرَضَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۚ وَمَن يُكْرِههُّنَّ فَإِنَّ ٱللَّهَ مِنۢ بَعْدِ إِكْرَٰهِهِنَّ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾.

﴿وَلْيَسْتَعْفِفِ ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا﴾؛ أي: أسبابَ النِّكاحِ منَ النَّفقةِ والمهرِ، فحُذِفَ المضاف، ومعنى ﴿وَلْيَسْتَعْفِفِ﴾: وليكُفَّ، والعِفَّةُ والاستِعفافُ والكفُّ: الامتِناعُ.

قولُه: ﴿نِكَاحًا﴾؛ أي: أسبابَه كما ذكرتُ.

وقيل: ﴿نِكَاحًا﴾ ما يُتزوَّجُ به منَ المهرِ والنَّفقةِ، وسُمِّيَ ذلك نكاحًا كما سُمِّيَ ما يُتلَحَّفُ به لِحافًا، وما يُرتَدَى به رِداءً.

﴿حَتَّىٰ يُغْنِيَهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ﴾؛ أي: يُوسِّعَ عليهم ويُعطيَهم مالًا يتزوَّجون به.

وقيل: يُغنِيَهم بقلَّةِ الرَّغبةِ[٣].

---

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٧٩٦) دون نسبة، وعده من العجائب.

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٧٩٦)، واستغربه.

(٣) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٧٩٦)، واستغربه.

﴿وَالَّذِينَ يَبْتَغُونَ الْكِتَٰبَ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ﴾ في سببِ النُّزولِ: أنَّها نزلت في غلامٍ لحُويطبِ بنِ عبدِ العُزَّى يُقالُ له: صُبَيحٌ، سألَ مولاه أن يُكاتِبَه فأبى عليه، فأنزَلَ اللهُ هذه الآيةَ، فكاتبَه حُويطبٌ على مئةِ دينارٍ، ووَهَبَ له منها عشرين دِينارًا فأدَّاها، وقُتِلَ يومَ حُنينٍ في الحربِ(١).

﴿الْكِتَٰبَ﴾: الكتابةَ، وهو: أن يقولَ الرَّجلُ لعبدِه أو أمَتِه: كاتَبْتُكَ على أن تُعطيَني كذا دينارًا في نجومٍ معلومةٍ على أنَّك إنْ أدَّيتَ ذلك حرٌّ، وكانوا يكتُبون ذلك بشرطِ التَّأجيلِ، فسُمِّيَ كتابًا.

قولُه: ﴿فَكَاتِبُوهُمْ﴾ أمرُ ندبٍ لا وجوبٍ.

﴿إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا﴾ ابنُ عبَّاسٍ رضي الله عنهما: القُدرةُ على الاحترافِ والكسبِ لأداءِ ما كوتِبُوا عليه(٢).

الحسَنُ: الصِّدقُ والأمانةُ والوفاءُ(٣).

مجاهدٌ: المالُ(٤).

---

(١) ذكره هكذا مقاتل في «تفسيره» (٣/ ١٩٧)، والواحدي في «أسباب النزول» (ص: ٣٢٥).
ورواه أبو نعيم في «معرفة الصحابة» (٣٨٨٢)، وابن منده كما في «أسد الغابة» (٣/ ٨)، عن محمد بن إسحاق، عن خاله عبد الله بن صبيح، عن أبيه ـ وكان جد محمد بن إسحاق أبا أمه ـ قال: كنت مملوكاً لحويطب فسألتُ الكتاب، وفيَّ نزلت: ﴿وَالَّذِينَ يَبْتَغُونَ الْكِتَٰبَ مِمَّا مَلَكَتْ﴾ الآية.

(٢) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٤/ ٩٩)، ورواه الطبري في «تفسيره» (١٧/ ٢٧٨)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٨/ ٢٥٨٣) بلفظ: «إن علمتم لهم حيلة، ولا تلقوا مؤنتهم على المسلمين».

(٣) رواه ابن أبي شيبة في «مصنفه» (٢٢٨٤٧) بلفظ: «دينًا وأمانة»، ورواه الطبري في «تفسيره» (١٧/ ٢٧٩) بلفظ: «صدقًا ووفاء وأداء وأمانة».

(٤) رواه عبد الرزاق في «مصنفه» (١٥٥٧١)، وابن الجعد في «مسنده» (٢٦١)، والطبري في «تفسيره» (١٧/ ٢٨١).

وقيل: الصَّلاحُ وإقامةُ الصَّلاةِ.

﴿وَءَاتُوهُم مِّن مَّالِ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ ءَاتَىٰكُمْ﴾ ابنُ عبَّاسٍ رضي الله عنهما في جماعةٍ: أمرَ صاحبَ المملوكِ المكاتَبِ أن يضعَ له من مالِ الكتابةِ شيئًا: ربعَ المالِ أو دونَه(١).

مجاهدٌ في جماعةٍ: هذا خطابٌ للوُلاةِ بأن يُعطوا المكاتَبين حقوقَهم مِن بيتِ المالِ(٢).

وقيل: خطابٌ لأهلِ الأموالِ أن يُعطوهم منَ الصَّدقاتِ المفروضةِ في أموالِهم سهمَهم، وهو قولُه: ﴿وَفِى ٱلرِّقَابِ﴾ [التوبة: ٦٠].

﴿وَلَا تُكْرِهُوا۟ فَتَيَـٰتِكُمْ عَلَى ٱلْبِغَآءِ﴾ في سببِ النُّزولِ: أنَّها نزلت في عبدِ اللهِ بنِ أبيٍّ ابنِ سَلُولَ، كانت له ستُّ جَوارٍ: مُعاذةُ، ومُسَيكةُ، وأُمَيمةُ، وعَمرةُ، وأَروى، وقُتيلةُ، فجاءَتْ إحداهُنَّ ذاتَ يومٍ بدينارٍ، وجاءَتْ أُخرى ببُردٍ، فقال لهما: ارجِعا فازنِيا، فقالتا: واللهِ لا نفعلُ، قد جاءَنا اللهُ بالإسلامِ وحرَّمَ الزِّنى، فأتَتا رسولَ اللهِ ﷺ وشكَتا، فأنزَلَ اللهُ هذه الآيةَ(٣).

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (١٧/ ٢٨٥)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٨/ ٢٥٨٧)، والبيهقي في «السنن الكبرى» (٢١٦٧٥) بلفظ: «ضعوا عنهم من مكاتبتهم».
وتحديده بالربع روي عن علي رضي الله عنه، رواه عبد الرزاق في «المصنف» (١٥٥٩٠)، والنسائي في «الكبرى» (٥٠١٩)، عنه موقوفاً. ورواه عبد الرزاق في «المصنف» (١٥٥٨٩)، والنسائي في «الكبرى» (٥٠١٧)، عن علي مرفوعاً، ورفعه منكر كما ذكر ابن كثير عند هذه الآية، قال: «والأشبه أنه موقوف على علي رضي الله عنه».

(٢) روى نحوه ابن وهب في «جامعه ـ التفسير» (١١٥)، والطبري في «تفسيره» (١٧/ ٢٨٨) عن زيد بن أسلم.

(٣) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (١٩/ ٢٣٣) عن مقاتل، ورواه مسلم (٣٠٢٩)، من حديث جابر رضي الله عنه بلفظ: «أن جارية لعبد الله بن أبي ابن سلول يقال لها: مسيكة، وأخرى يقال لها: أميمة، فكان يكرههما على الزنى، فشكتا ذلك إلى النبي ﷺ، فأنزل الله: ﴿وَلَا تُكْرِهُوا۟ فَتَيَـٰتِكُمْ عَلَى ٱلْبِغَآءِ﴾».

والْبِغاءِ: الزِّنى للنِّساءِ خاصَّةً.

﴿إِنۡ أَرَدۡنَ تَحَصُّنٗا﴾ تعفُّفًا، وهذا شرطٌ في الظَّاهرِ وليس بمُشترَطٍ، وكذلك ﴿إِنۡ عَلِمۡتُمۡ فِيهِمۡ خَيۡرٗا﴾ لأنَّه إنْ لـم يَعْلَم خيرًا صحَّتِ الكتابةُ.

وقال ابنُ عيسى: جاءَتْ[1] بصيغةِ الشَّرطِ لتفحيشِ الإكراهِ على ذلك[2].

وقيل: لأنَّها نزلَتْ على سببٍ، فوقعَ النَّهيُ على تلك الصِّفةِ.

وقيل: ﴿إِنۡ أَرَدۡنَ تَحَصُّنٗا﴾ متَّصلٌ بقولِه: ﴿وَأَنكِحُواْ ٱلۡأَيَٰمَىٰ مِنكُمۡ﴾ [النور: ٣٢][3]؛ أي: مَن أرادَ أن يلزمَ الحصانةَ فليتزوَّجْ.

وقيل: إنَّما جاء النَّهيُ في الآيةِ عن الإكراهِ لا عن البِغاءِ؛ لأنَّ حدَّ الزِّنى نزلَ بعدَ هذا.

﴿لِّتَبۡتَغُواْ عَرَضَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا﴾ أي: لتبتغوا بإكراهِهنَّ على الزِّنى أجورَهنَّ على الزِّنى.

﴿وَمَن يُكۡرِههُّنَّ فَإِنَّ ٱللَّهَ مِنۢ بَعۡدِ إِكۡرَٰهِهِنَّ غَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾؛ أي: لهنَّ، وكذلك هو في مُصحفِ ابنِ مسعودٍ رضي الله عنه: (مِنْ بَعْدِ إِكْراهِهِنَّ لهن غَفُورٌ رَحِيمٌ)[4].

وقيل: لمَن تابَ عن ذلك بعد نزولِ الآيةِ.

***

---

(١) في (ف): «جاء».

(٢) انظر: «البحر المحيط» لأبي حيان (٨/ ٤١).

(٣) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٧٩٦)، واستغربه.

(٤) رواها عن ابن مسعود عبد بن حميد في «تفسيره» كما في «الدر المنثور» (٥/ ٤٧). ورواها مسلم (٣٠٢٩)، وأبو عبيد في «فضائل القرآن» (ص: ٣٠٨)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٨/ ٢٥٩١) عن جابر رضي الله عنه. وذكرها ابن جني في: «المحتسب» (٢/ ١٠٨) عن ابن عباس وسعيد بن جبير.

(٣٤) - ﴿وَلَقَدْ أَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ ءَايَٰتٍ مُّبَيِّنَٰتٍ وَمَثَلًا مِّنَ ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلِكُمْ وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ﴾.

﴿وَلَقَدْ أَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ ءَايَٰتٍ﴾ يعني: القرآنَ ﴿مُّبَيِّنَٰتٍ﴾ بالدَّليلِ[1] والبرهانِ، وبالفرائضِ والأحكامِ ﴿وَمَثَلًا مِّنَ ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلِكُمْ﴾؛ أي: وأنزَلْنا بإنزالِ القرآنِ قصصَ مَن تقدَّمَكم وذِكْرَ أحوالِهم لتتجنَّبوا[2] ما سخطَ به عليهم، وتُقبِلُوا على ما رضيَ به منهم، ﴿وَمَوْعِظَةً﴾: وزَجْرًا عن المعاصي ﴿لِّلْمُتَّقِينَ﴾ فإنَّهم ينتفِعون بها.

***

(٣٥) - ﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشْكَوٰةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ ۖ ٱلْمِصْبَاحُ فِى زُجَاجَةٍ ۖ ٱلزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّىٌّ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِىٓءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ ۚ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ ۗ يَهْدِى ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَٰلَ لِلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾.

﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾؛ أي: ذو نورِ السَّماواتِ والأرضِ، فحُذِفَ المُضافُ، كما تقولُ: رجلٌ عدلٌ؛ أي: ذو عدلٍ.

ابنُ عبَّاسٍ رضي الله عنهما: معناه: هادي مَن فيهما[3]، فهم بنورِه يهتَدون.

الحسنُ: مصدرٌ وقعَ موقعَ الفعلِ؛ أي: نوَّرَ السَّماواتِ والأرضَ[4]، وقد قُرِئ

---

(١) في (ف): «بالدلائل».

(٢) في (ف): «لتجتنبوا».

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (١٧/ ٢٩٥)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٨/ ٢٥٩٣).

(٤) ذكره ابن فورك في «تفسيره» (١/ ١٤٤)، والماوردي في «النكت والعيون» (٤/ ١٠٢)، والواحدي في «البسيط» (١٦/ ٢٥٧).

به[١]؛ أي: نوَّرَهما بالشَّمسِ والقمرِ والنُّجومِ. وقيل: نوَّرَ السَّماواتِ بالملائكةِ، ونوَّرَ الأرضَ بالأنبياءِ.

أُبيُّ بنُ كعبٍ رضي الله عنه: معناه: ضياءُ السَّماواتِ والأرضِ[٢].

مجاهدٌ: مُدبِّرُ السَّماواتِ والأرضِ[٣].

وقيل: معناه: الأنوارُ كلُّها منه.

وقيل: معناه: المُنزَّهُ من كلِّ عيبٍ، مصدرٌ من قولهم: امرأةٌ نَوارٌ ونسوةٌ نُورٌ، حكاه الثَّعلبيُّ[٤]، والمعنى صحيحٌ، واللَّفظُ في حقِّ اللهِ بشعٌ.

ويحتمِلُ واللهُ أعلمُ معنًى آخر، وهو أنَّ النُّورَ: ما يُرى ويُرى به، فجاز وصفُ اللهِ تعالى به؛ لأنَّه يُرى ويُرى بسببِه مخلوقاتُه؛ لأنَّه خلقَها وأوجدَها[٥].

وقيل: معناه: اللهُ مدلولُ السَّماواتِ والأرضِ؛ لأنَّها كلَّها تدلُّ على وجودِه وعلى وَحدانيَّتِه وقُدرتِه.

---

(١) ذكرها ابن خالويه في «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ١٠٣) عن أبي جعفر المدني وعبد العزيز المكي، وذكرها شمس القراء الكرماني في «شواذ القراءات» (ص: ٣٤٢) عن زيد بن علي.

(٢) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٤/ ١٠٢)، وقال الطبري في «تفسيره» (١٧/ ٢٩٦): «وقالوا: معنى ذلك: ضياء السماوات والأرض، ذكر من قال ذلك» ثم روى من طريق أبي العالية عن أبي بن كعب، في قول الله: ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ قال: «فبدأ بنور نفسه فذكره، ثم ذكر نور المؤمن».

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (١٧/ ٢٩٦) عن مجاهد وابن عباس رضي الله عنهما بلفظ: «يدبر الأمر فيهما: نجومهما وشمسهما وقمرهما»، وذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٤/ ١٠٢).

(٤) انظر: «تفسير الثعلبي» (١٩/ ٢٣٩)، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١٩/ ٢٣٩)، وعدَّه من العجائب.

(٥) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١٩/ ٢٣٩)، واستغربه.

﴿مَثَلُ نُورِهِۦ﴾ اختلَفَ المُفسِّرون في هذا الضَّميرِ؛ فقيل: يعودُ إلى اللهِ عزَّ وجلَّ.

وقيل: إلى القرآنِ.

وقيل: إلى محمَّدٍ ﷺ.

وقيل: إلى المُؤمنِ.

ويحتمِلُ أنَّهم اختلفوا في النُّورِ؛ فقال بعضُهم: المُرادُ به: القرآنُ، وقال بعضُهم: المُرادُ به: النَّبيُّ ﷺ، وقال بعضُهم: المرادُ به: الإيمانُ به؛ لأنَّ الهاءَ يعودُ إلى ﴿ٱللَّهُ﴾ لا غيرُ، وأضافَ كلَّ واحدٍ من هذه إليه رفعةً لذلك الشَّيءِ وتعظيمًا، واللهُ أعلمُ.

قولُه: ﴿كَمِشْكَوٰةٖ فِيهَا مِصْبَاحٌۖ ٱلْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍۖ﴾ في المشكاةِ أقوالٌ:

أحدُها: أنَّها الكُوَّةُ لا منفذَ لها، فيكونُ أجمعَ لضوءِ السِّراجِ منَ البَرازِ، ويكونُ المصباحُ القِنديلَ.

والثّاني: أنَّها الأُنبوبةُ في وسطِ القِنديلِ، فيكونُ المصباحُ الفتيلةَ المُشعَلةَ.

والثّالثُ: أنَّها الحديدةُ التي عُلِّقَ عنها القِنديلُ، فيكونُ المصباحُ القِنديلَ(١).

والرابع: أنَّها القنديل(٢)، والمصباحُ السِّراجُ، وهو الضَّوءُ.

والزُّجاجةُ معروفةٌ، ويجوزُ فيها الفتحُ والكسرُ(٣).

﴿ٱلزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ﴾ قيل: المُرادُ به: الزُّهرةُ.

---

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٧٩٧)، وعدَّه من العجائب.

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٧٩٧)، واستغربه، وفيه: «الغريب: المشكاة: القنديل. والمصباح: الضوء في وسطه».

(٣) قال ابن خالويه: «فيها ثلاث لغات: زُجاجة، وزَجاجة، وزِجاجة، وروى ابن مجاهد عن نصر بن عاصم: (زَجاجة) بالفتح». انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ١٠٣).

وقيل: أحدُ الخمسةِ السَّيَّارةِ.

وقيل: أيُّ كوكبٍ كانَ بعد أن يكونَ موصوفًا بالدُّرِّيِّ.

قُرِئَ بالكسرِ والهمزِ، فِعِّيلٌ من دَرَأَ، إذا دفعَ؛ أي: ضوؤُه يتجاوزُه ويتعدَّاهُ. وقيل: من قولِـهم: «ملحٌ درَّانيٌّ» فيمَن رواه بالدَّالِ غيرِ معجمةٍ؛ أي: أبيضُ. وقُرِئَ بالضَّمِّ مهموزاً وغيرَ مهموزٍ[1]، وهو غريبٌ في العربيَّةِ ليس له نظيرٌ إلَّا (مُرِّيقٌ)، وهو العُصْفُرُ، و(العُلِّيَّةُ) لأنَّها مِن علا يعلو، وكذلك (السُّرِّيَّةُ) عند بعضِهم، حكاها أبو عليٍّ[2]، ومَن تركَ الهمزةَ جازَ أن يكونَ كالأوَّلِ، وجازَ أن يكونَ منسوبًا إلى (الدُّرِّ) لتلألُؤِ الدُّرِّ من بين الحبوبِ.

﴿يُوقَدُ﴾: يُشعَلُ؛ أي: المصباحُ، وكذلك فيمَن قرأ: ﴿تَوَقَّدَ﴾ بالفتحِ، ومَن قرأَ: ﴿تُوقدُ﴾ بالتَّأنيثِ[3]؛ أي: الزُّجاجةُ، والتَّقديرُ: مصباحُ الزُّجاجةِ، فحُذِفَ المُضافُ وأُقيمَ المضافُ إليه مكانَه، ثمَّ أُنِّثَ حملًا على المضافِ إليه.

﴿مِن شَجَرَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ زَيۡتُونَةٍ﴾؛ أي: من زيتِ زيتونةٍ شجرةٍ مباركةٍ، فـ﴿زَيۡتُونَةٍ﴾ بدلٌ مِن ﴿شَجَرَةٍ﴾، ووَصَفَها بالمباركةِ لكثرتِها بالشَّامِ.

وقيل: لكثرةِ أوراقِها وأغصانِها كالرُّمانِ.

---

(١) قرأ أبو عمرو والكسائي بكسر الدال مع المد والهمز، وقرأ حمزة وأبو بكر بضم الدال والمد والهمز، وقرأ الباقون بضم الدال من غير مد ولا همز. انظر: «السبعة» (ص: ٤٥٥)، و«التيسير» (ص: ١٦٢). والقراءة بالضم والهمز ذكرها المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٧٩٧)، واستغربها.

(٢) انظر: «الحجة» لأبي علي الفارسي (٥/ ٣٢٣).

(٣) قرأ ابن كثير والبصريان وأبو جعفر: ﴿تَوَقَّدَ﴾ بتاء مفتوحة وفتح الواو والدال وتشديد القاف، وقرأ نافع وابن عامر وحفص: ﴿يوقد﴾ بياء مضمومة وإسكان الواو وتخفيف القاف ورفع الدال على التذكير، وقرأ الباقون كذلك إلا أنهم بالتاء على التأنيث. انظر: «السبعة» (ص: ٤٥٦)، و«التيسير» (ص: ١٦٢)، و«النشر» (٢/ ٣٣٢).

وقيل: لكثرةِ ما فيها من المنفعةِ.

﴿لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ﴾ ليست منَ المشرقِ ولا منَ المغربِ، بل في الوسطِ منهما، وهو الشَّامُ.

وقيل: ليست بشرقيَّةٍ لا تقعُ الشَّمسُ عليها إلَّا غُدوةً، ولا غربيَّةٍ لا تقعُ الشَّمسُ عليها إلَّا عَشيَّةً، بل بينهما تقعُ الشَّمسُ عليها طولَ النَّهارِ، فزَيْتُها أجودُ ما يكونُ.

وقيل: يُصيبُها الشَّمسُ والظِّلُّ.

ابنُ عبَّاسٍ رضي الله عنهما: شجرةٌ وسطَ الأشجارِ، ليست من جانبِ الشَّرقِ ولا من جانبِ الغربِ(١).

الحسنُ: ليست هي من أشجارِ الأرضِ؛ لأنَّها لو كانت منها لكانت شرقيَّةً أو غربيَّةً، لكنَّها من شجرِ الجنّةِ(٢).

ورُوِيَ عنه أيضًا: أنها مَثَلٌ ضربَه اللهُ(٣).

وقولُه: ﴿يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيٓءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ﴾؛ أي: ضوءُ زيتِها كضوءِ النّارِ وإن لـم تمسَسْه نارٌ.

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (١٧/ ٣١٢)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٨/ ٢٦٠٠).

(٢) ذكره بهذا اللفظ الماوردي في «النكت والعيون» (٤/ ١٠٥). ورواه دون التصريح بأنها من شجر الجنة عبد الرزاق في «تفسيره» (٢٠٤٩)، والطبري في «تفسيره» (١٧/ ٣١٢)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٨/ ٢٦٠١)، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٧٩٨)، واستغربه. وانظر التعليق الآتي.

(٣) هذا تتمة قول الحسن السابق عند الطبري وابن أبي حاتم. ولفظه: «لو كانت في الأرض هذه الزيتونة كانت شرقية أو غربية، ولكن والله ما هي في الأرض، وإنما هو مثل ضربه الله لنوره». وفي رواية: «هذا مثل ضربه الله، ولو كانت هذه الشجرة في الدنيا لكانت إما شرقية وإما غربية».

قلت: وهذا يدل على أن من زاد: «من شجر الجنة» لعله وهم.

وقيل: معناه: يكادُ قلبُ المؤمنِ يَعرِفُ الحقَّ قبل أن يُبيَّنَ له.

وقيل: يكادُ العلمُ يَفيضُ من لسانِ العالِـمِ قبل أن يتكلَّمَ به.

وقيل: تكادُ أعلامُ النُّبوَّةِ تشهدُ لرسولِ اللهِ ﷺ قبل أن يدعوَ إليها.

﴿نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ﴾ عن ابنِ عمرَ رضي الله عنهما قال: المشكاةُ: جوفُ محمَّدٍ ﷺ، والزُّجاجةُ: قلبُه، والمصباحُ: النُّورُ الذي فيه، ﴿لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ﴾: لا نصرانيّةٍ ولا يهوديّةٍ؛ لأنَّ النَّصارى يُصلُّون إلى المشرقِ، واليهودَ يُصلُّونَ إلى المغربِ ﴿يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ﴾ إبراهيمَ عليه السَّلامُ؛ لأنَّ أكثرَ الأنبياءِ منه ﴿نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ﴾ الذي جُعِلَ في قلبِ إبراهيمَ كما جُعِلَ في قلبِ محمَّدٍ ﷺ[1].

محمَّدُ بنُ كعبٍ القُرَظيُّ: المشكاةُ: إبراهيمُ، والزُّجاجةُ: إسماعيلُ، والمصباحُ: محمَّدٌ ﷺ، ﴿يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ﴾ إبراهيمَ، ﴿لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ﴾ لـم يكن إبراهيمُ نصرانيًّا ولا يهوديًّا، ﴿يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيٓءُ﴾ تكادُ محاسنُ محمَّدٍ ﷺ تظهرُ للنَّاسِ قبل أن يُوحَى إليه[2].

وقيل: هذا مَثَلٌ للمؤمنِ؛ المِشكاةُ: نفسُه، والزُّجاجةُ: صدرُه، والمصباحُ: ما جعلَ اللهُ منَ الإيمانِ والقرآنِ في قلبِه.

﴿نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ﴾ ضوءُ النَّارِ على ضوءِ الزَّيتِ على ضوءِ الزُّجاجةِ.

وقيل: نبيٌّ من نَسلِ نبيٍّ.

وقيل: المُؤمنُ كلامُه نورٌ، وعملُه نورٌ، ومدخلُه نورٌ، ومخرجُه نورٌ، ومصيرُه إلى النُّورِ يومَ القيامةِ.

---

(١) رواه الطبراني في «المعجم الكبير» (١٣٢٢٦)، والثعلبي في «تفسيره» (١٩/ ٢٦٤). قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٧/ ٨٣): فيه الوازع بن نافع وهو متروك».

(٢) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (١٩/ ٢٦٥)، وابن الجوزي في «زاد المسير» (٣/ ٢٩٧).

﴿يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَن يَشَاءُ﴾: يهدي إلى الإيمانِ وإلى محمَّدٍ ﷺ والقرآنِ.

وقيل: يهدي اللهُ إلى نبوَّتِه مَن يشاءُ.

وقيل: إلى الاستدلالِ بالآياتِ.

﴿وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ﴾؛ أي: الأمثالَ التي فيها مصلحةُ النّاسِ ﴿وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ فيُبيِّنُ كلَّ شيءٍ بما يُمكنُ أن يُعلَمَ به.

* * *

(٣٦) - ﴿فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ﴾.

﴿فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَن تُرْفَعَ﴾ قيل: هي متَّصلةٌ بما قبلَها، والتَّقديرُ: كمشكاةٍ في بيوتٍ.

وقيل: مصباحٌ في بيوتٍ.

وقيل: زجاجةٌ في بيوتٍ.

وقيل: تُوقَدُ في بيوتٍ.

وقيل: هي استئنافٌ، والعاملُ فيها ﴿يُسَبِّحُ﴾[١].

وقيل: خبرُ المبتدأِ، والمبتدأُ قولُه: ﴿رِجَالٌ﴾، أو يرتفعُ بالظَّرفِ[٢].

---

(١) أي: يُسبِّح له رجالٌ في بيُوتٍ، و﴿فِيهَا﴾ تكريرٌ كقولك: زيد في الدار جالسٌ فيهَا. انظر: «الكشاف» (٣/ ٢٤٢).

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٧٩٩)، واستغربه، ولفظه: ﴿رِجَالٌ﴾ مبتدأ، ﴿في بيوت﴾ خبره، أو يرتفع ﴿رِجَالٌ﴾ بـ﴿في﴾ عند مِن يرفع بالظرف، أو يجعل ﴿فِي بُيُوتٍ﴾ صفة لشيء مما تقدم، فيرتفع ﴿رِجَالٌ﴾ به بالإجماع.

قلت: وهذا كله إنما يستقيم على قراءة ﴿يُسبَّح﴾ مبنيا للمجهول، وهي قراءة سبعية كما سيأتي، أما على القراءة بالمبني للمعلوم فلا؛ لأن ﴿رجال﴾ يكون فاعلاً لـ﴿يُسبِّح﴾، كما سيأتي.

وقيل: متَّصلٌ بقوله: ﴿أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ﴾ فيكونُ قولُه: ﴿فِيهَا﴾ تكرارًا للتأكيدِ.

والبيوتُ: المساجدُ عند بعضِهم، وعند بعضِهم عامٌّ في جميعِ البيوتِ.

ابنُ عبَّاسٍ رضي الله عنهما: المساجدُ بيوتُ اللهِ في الأرضِ، وهي تُضيءُ لأهلِ السَّماءِ كما تُضيءُ النُّجومُ لأهلِ الأرضِ(١).

وقيل: هي الكعبةُ، وبيتُ المقدسِ، ومسجدُ رسولِ اللهِ ﷺ، ومسجدُ قُباءَ.

السُّدِّيُّ: بيوتُ المدينةِ(٢).

وقوله: ﴿أَذِنَ ٱللَّهُ﴾: أمرَ اللهُ ﴿أَن تُرْفَعَ﴾: أن تُبنَى، من قوله: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ﴾ [البقرة: ١٢٧].

وقيل: يُرفَعَ قَدْرُها ويُصانَ.

وقيل: تُطهَّرَ منَ الأنجاسِ والمعاصي.

وقيل: تُرفعَ فيها الحوائجُ إلى اللهِ سبحانه(٣).

ويحتمِلُ: تُرفعَ فيها الأصواتُ بذِكرِ اللهِ وتلاوةِ القرآنِ، ويُقوِّيه ما بعدَه، وهو قوله:

﴿وَيُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ﴾: ويُتلَى فيها كتابُه.

---

(١) رواه الطبراني في «المعجم الكبير» (١٠٦٠٨)، والثعلبي في «تفسيره» (١٩/ ٢٧١)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٢٦٨٧). قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٢/ ٧): «رواه الطبراني في الكبير ورجاله موثقون».

(٢) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (١٩/ ٢٧٥)، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١٩/ ٢٧٥)، واستغربه.

(٣) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٧٩٩).

وقيل: هو توحيدُه لا إلهَ إلّا اللهُ.

وقيل: يُذكرَ فيها أسماؤُه الحسنى.

﴿يُسَبِّحُ لَهُۥ فِيهَا بِٱلۡغُدُوِّ وَٱلۡأٓصَالِ﴾ قيل: هو تنزيهُ اللهِ.

وقيل: هو الصَّلاةُ بالغداةِ والعشيِّ.

ابنُ عبَّاسٍ رضي الله عنهما: كلُّ تسبيحٍ في القرآنِ فإنَّه الصَّلاةُ(١).

وفي ﴿يُسَبِّحُ﴾ قراءتانِ(٢)؛ فمَن كسرَ الباءَ ارتفعَ به ﴿رِجَالٌ﴾ لا غيرُ، ومَن فتحَ الباءَ فارتفاعُ ﴿رِجَالٌ﴾ من أربعةِ أوجهٍ:

أحدها: أنَّه يرتفعُ بفعلٍ مضمرٍ دلَّ عليه ﴿يُسَبَّحُ﴾؛ أي: يسبِّحُه رجالٌ، قاله أبو عليٍّ، وأنشدَ:

لِيُبْكَ يَزِيدُ ضَارِعٌ لِخُصُومَةٍ ... وَمُخْتَبِطٌ مِمَّا تُطِيحُ الطَّوائِحُ(٣)

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (١٧/ ٣٢٠)، والضياء المقدسي في «المختارة» (١٠/ ٣١٤).

(٢) قرأ ابن عامر وشعبة بالبناء للمجهول، والباقون بالمبني للمعلوم. انظر: «السبعة» (ص: ٤٥٦)، و«التيسير» (ص: ١٦٢).

(٣) انظر: «الحجة» لأبي علي الفارسي (٥/ ٣٢٦).

والبيت لنهشل بن حري يرثي أخاه، كما في «مجاز القرآن» (١/ ٣٤٨)، و«تفسير الطبري» (١٤/ ٤٣)، و«البسيط» للواحدي (١٢/ ٥٧٨)، أو للحارث بين نهيك، كما في «كتاب سيبويه» (١/ ٢٨٨). وقال الشهاب الخفاجي في «الحاشية على البيضاوي» (٥/ ٢٨٩): «هو من شعر في رثاء يزيد النهشلي، واختلف في قائله؛ فقيل: لبيد، وقيل: نهشل بن حري، وقيل: الحارث بن نهيك النهشلي، وقيل: الحارث بن ضرار النهشلي، وقيل: مزرد».

قال: «والمختبط طالب العرف المحتاج، وأصله من خبط ورق الأشجار لتأكلها الدواب، وإنما يُفعل ذلك في الجدب وشدّة الاحتياج، وتطيح بمعنى: ترمي، والطوائح... بمعنى: السنين أو الجوائح الرامية له»

والثَّاني: بالمبتدأِ، وخبرُه ﴿فِي بُيُوتٍ﴾[1].

الثَّالثُ: بالظَّرفِ.

والرَّابعُ: خبرُ مبتدأٍ محذوفٍ؛ أي: هم رجالٌ.

***

(٣٧) - ﴿رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءِ ٱلزَّكَوٰةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلْقُلُوبُ وَٱلْأَبْصَـٰرُ﴾.

﴿رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ﴾: لا تَشْغلُهم ﴿تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ﴾.

قيل: التِّجارةُ في السَّفرِ، والبيعُ في الحضَرِ.

وقيل: التِّجارةُ: الشِّراءُ، من قولِه: ﴿وَإِذَا رَأَوْا تِجَـٰرَةً﴾ [الجمعة: ١١]؛ أي: شراءً، فيكونُ المعنى: لا يُلهيهم شراءٌ ولا بيعٌ[2]؛ أي: رفَضُوا الدُّنيا واشتغلوا بذِكرِ اللهِ.

وقيل: يبيعون ويشتَرون، وإذا حضرتِ الصَّلاةُ قاموا إليها غيرَ مُتثاقِلين.

وقيل: يبيعون ويشترون ويذكُرون اللهَ في خلالِ ذلك.

و(ذكرُ اللهِ) هاهنا: الصَّلاةُ. وقيل: ذكرُ أسمائِه. وقيل: الأذانُ.

﴿وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ﴾؛ أي: عن إقامةِ الصَّلاةِ، فحُذِفَ الهاءُ؛ لأنَّ الإضافةَ تنوبُ عنه، ومثله: ليتَ شِعْري؛ أي: شِعرَتي، و: المرأةُ لا تنسى أبا عُذرِها؛ أي: عُذرَتِها[3].

﴿وَإِيتَآءِ ٱلزَّكَوٰةِ﴾؛ أي: وعن إيتاءِ الزَّكاةِ الواجبةِ.

﴿يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلْقُلُوبُ وَٱلْأَبْصَـٰرُ﴾؛ أي: تتقلَّبُ على جمرِ جهنَّمَ من حالٍ إلى حالٍ.

---

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٧٩٩).

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٧٩٩)، واستغربه.

(٣) انظر: «غرائب التفسير» (٢/ ٧٩٩).

وقيل: تقلُّبُ القلوبِ: البلوغُ إلى الحناجرِ، وتقلُّبُ الأبصارِ: نظرُها إلى حيثُ يُؤتَى كتابُها، وإلى حيثُ يُساقُ إليه.

وقيل: تقلُّبُ القلوبِ: البلوغُ إلى الحناجرِ، وتقلُّبُ الأبصارِ: انقلابُها إلى الزُّرقةِ.

وقيل: تقلُّبُ القلوبِ: الإيمانُ بعد الكفرِ، وتقلُّبُ الأبصارِ: مُعاينةُ ما كان يَزعمُ أنَّه لا يراه؛ كقولِه: ﴿فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَآءَكَ فَبَصَرُكَ ٱلْيَوْمَ حَدِيدٌ﴾ [ق: ٢٢].

***

(٣٨) - ﴿لِيَجْزِيَهُمُ ٱللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُواْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۦۗ وَٱللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾.

﴿لِيَجْزِيَهُمُ ٱللَّهُ﴾؛ أي: يخافونَ ليجزيَهم اللهُ.

وقيل: لامُ القسمِ؛ أي: ليَجْزيَ اللهُ المؤمنين.

﴿أَحْسَنَ مَا عَمِلُواْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۦ﴾؛ أي: يجزيَهم[١] على قَدْرِ أعمالِهم، ثمَّ يزيدَهم من فضلِه على الأعمالِ أضعافًا مضاعفةً.

﴿وَٱللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾؛ أي: غيرَ مُقدَّرٍ بالكفايةِ بل فوقَها.

وقيل: ﴿بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ معناه: تفضُّلًا؛ لأنَّ الجزاءَ يكونُ بالحسابِ، ويكونُ التَّفضُّلُ بغيرِ حسابٍ.

وقيل: ﴿بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾؛ أي: لا يُحاسِبُه على ما يُعطيه في الدُّنيا.

وقيل: يُعطيه ما لا يأتي عليه الحسابُ.

وقيل: من غيرِ حسابٍ؛ أي: من حيثُ لا يحتسبُ[٢].

---

(١) في (ف): «يجازيهم».

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٨٠٠)، واستغربه.

(٣٩) - ﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَعۡمَٰلُهُمۡ كَسَرَابِۭ بِقِيعَةٖ يَحۡسَبُهُ ٱلظَّمۡـَٔانُ مَآءً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَهُۥ لَمۡ يَجِدۡهُ شَيۡـٔٗا وَوَجَدَ ٱللَّهَ عِندَهُۥ فَوَفَّىٰهُ حِسَابَهُۥۗ وَٱللَّهُ سَرِيعُ ٱلۡحِسَابِ ﴾.

﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَعۡمَٰلُهُمۡ كَسَرَابِۭ بِقِيعَةٖ ﴾ ابنُ عيسى: السَّرابُ: شعاعٌ يُتخيَّلُ كالماءِ على الأرضِ نصفَ النَّهارِ حين يشتدُّ الحرُّ، قال[1]: وسُمِّيَ سرابًا لأنَّه ينسرِبُ.

وقيل: السَّرابُ: بخارٌ يرتفعُ من قُعورِ القِيعانِ فيتكثَّفُ، فإذا اتَّصلَ بها ضوءُ الشَّمسِ أشبهَ الماءَ من بعيدٍ، فإذا دَنا منه الإنسانُ لـم يرَه كما كان يراهُ وهو منه بعيدٌ.

والقِيعةُ: القاعُ، وهو ما انبسطَ منَ الأرضِ.

وقيل: جمعُ قاعٍ كجارٍ وجِيرةٍ.

﴿يَحۡسَبُهُ ٱلظَّمۡـَٔانُ﴾: العطشانُ ﴿مَآءً﴾ والظَّمأُ: العطشُ، وخُصَّ الظَّمآن بالذِّكرِ لشدَّةِ حاجتِه إلى الماءِ.

﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَهُۥ﴾ أي: جـاءَ إلـى مـا توهَّمَه أنَّـه ماءٌ ﴿لَمۡ يَجِدۡهُ شَيۡـٔٗا﴾؛ أي: لـم يجـدْه كمـا ظنَّه.

وقيل: جاءَ إلى الموضعِ الذي ظنَّ أنَّ فيه الماءَ.

وقيل: لـم يجِدْ موضعَ السَّرابِ.

وقيل: ﴿شَيۡـٔٗا﴾ مصدرٌ؛ أي: لـم يجِدْه وجودًا.

﴿وَوَجَدَ ٱللَّهَ عِندَهُۥ﴾ يُريدُ: كذلك الكافرُ إذا جاءَ عملَه الذي ظنَّ أنَّه ينفعُه لـم يجِدْه نافعًا كما ظنَّ ﴿وَوَجَدَ ٱللَّهَ عِندَهُۥ﴾؛ أي: عند الكافرِ؛ أي: جزاءَ اللهِ. وقيل: وجدَ اللهَ مُحاسِبًا إياه. وقيل: ﴿وَوَجَدَ ٱللَّهَ عِندَهُۥ﴾ يريدُ: الموتَ، ووحَّد بعد تقدُّمِ الجمعِ حملًا على كلِّ واحدٍ من الكفَّارِ.

---

(١) في (ف): «قيل».

﴿فَوَفَّىٰهُ حِسَابَهُۥ﴾: أعطاه جزاءَه وافيًا كَمَلًا.

﴿وَٱللَّهُ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ﴾: إذا حاسبَ فحسابُه سريعٌ.

وقيل: هو تقريبُ زمانِ الحسابِ، وهو القيامةُ(١).

نزلت في شيبةَ بنِ ربيعةَ، وكان يترهَّبُ في الجاهليَّةِ، ويلبسُ الصُّوفَ، ويطلبُ الدِّينَ، فكفرَ في الإسلامِ(٢).

***

(٤٠) - ﴿أَوْ كَظُلُمَٰتٍ فِى بَحْرٍ لُّجِّىٍّ يَغْشَىٰهُ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِۦ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِۦ سَحَابٌ ظُلُمَٰتٌۢ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَآ أَخْرَجَ يَدَهُۥ لَمْ يَكَدْ يَرَىٰهَا ۗ وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورًا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ﴾.

﴿أَوْ كَظُلُمَٰتٍ﴾ (أو) للتَّخييرِ على تقديرِ: شبِّهْ أعمالَ الكفَّارِ بأيِّهما شئتَ، وتقديرُ الآيةِ: أو كصاحبِ ظُلماتٍ ﴿فِى بَحْرٍ لُّجِّىٍّ﴾ عظيمِ اللُّجَّةِ، وقيل: عميقٍ.

ولُـجَّةُ البحرِ: المكانُ الذي يكثرُ فيه الماءُ ويستديرُ.

ابنُ عيسى: البحرُ الواسعُ الذي لا يُرى ساحلُه.

الكلبيُّ: البحرُ الكثيرُ الموجِ(٣).

﴿يَغْشَىٰهُ﴾: يَغْشَى البحرَ، وقيل: صاحبَ الظُّلماتِ؛ أي: مَن فيها؛ يريدُ: يعلوه فيُغطِّيه ﴿مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِۦ مَوْجٌ﴾؛ أي: من فوقِ الموجِ موجٌ آخرُ.

وقيل: الموجُ الثَّاني: الرِّيحُ.

وقيل: تقديرُه: موجٌ من بعدِه موجٌ؛ أي: موجٌ يَتبعُ بعضُه بعضًا.

---

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٨٠٠)، واستغربه.

(٢) ذكره مقاتل في «تفسيره» (٣/ ٢٠٢)، والماوردي في «النكت والعيون» (٤/ ١١٠).

(٣) ذكر الماوردي في «النكت والعيون» (٤/ ١١٠) قول ابن عيسى والكلبي.

﴿مِّن فَوۡقِهِۦ سَحَابٞۚ﴾؛ أي: من فوقِ الموجِ الثَّاني سحابٌ قد غطَّى النُّجومَ التي يُهتَدَى بها.

﴿ظُلُمَٰتُۢ بَعۡضُهَا فَوۡقَ بَعۡضٍ﴾؛ أي: هذه ظلماتٌ بعضُها فوقَ بعضٍ، ومَن جرَّها فعلى البدلِ، ومَن أضافَ[1] فكما تقولُ: سحابُ رحمةٍ، وسحابُ عذابٍ.

وقيل: ﴿ظُلُمَٰتُۢ بَعۡضُهَا فَوۡقَ بَعۡضٍ﴾؛ أي: شدائدُ قد اجتمعَت.

﴿إِذَآ أَخۡرَجَ يَدَهُۥ﴾؛ أي: صاحبُ الظُّلماتِ، وهو الذي فيها، إذا أخرجَ يدَه، وهي أقربُ الأشياءِ إليه ﴿لَمۡ يَكَدۡ يَرَىٰهَاۗ﴾: لا يراها ولا يقرُبُ من رؤيتِها.

الفرَّاءُ: يراها بعدَ أنْ كادَ لا يراها[2].

وقيل: إذا قالَ مع الماضي فقد فعلَ، وهو إثباتٌ، وإذا قال مع المستقبلِ فلم يفعل فهو نفيٌ[3].

﴿وَمَن لَّمۡ يَجۡعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورٗا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ﴾ أي: مَن لم يهدِه اللهُ فلا هاديَ له.

وقيل: مَن لم يجعلِ اللهُ له هدايةً فما له ما يُفلِحُ به على وجهٍ منَ الوجوهِ.

وقيل: مَن لم يجعلِ اللهُ له في الآخرةِ سبيلًا ودلالةً إلى النَّجاةِ فلا سبيلَ ولا نجاةَ له.

---

(١) قرأ ابن كثير (سحابٌ ظلماتٍ)، وقرأ البزي (سحابُ ظلماتٍ)، وقرأ الباقون بالرفع والتنوين فيهما. انظر: «السبعة» (ص: ٤٥٧)، و«التيسير» (ص: ١٦٢).

(٢) انظر: «معاني القرآن» للفراء (٢/ ٧٢).

(٣) أي: إذا كان الفعل (كاد) بصيغة الماضي، وجاء منفياً، دلَّ على وقوع الفعل الذي بعده، نحو: ما كاد ينتصر؛ أي: هو انتصر بصوبة، أما إذا جاء بصيغة المضارع منفياً فيدل على عدم مقاربة الفعل، نحو: ما يكاد يرجع؛ أي: لا يرجع ولا يقارب الرجوع، وقد ذكر المصنف هذ القول وقول الفراء في «غرائب التفسير» (٢/ ٨٠٠)، واستغربهما.

وقيل: مَن لم يرزُقْه اللهُ هدًى منَ الضَّلالةِ ومعرفةً بكتابِه فما له إيمانٌ ومعرفةٌ.

والمعنى عند الزَّجَّاجِ: أنَّ أعمالَ الكفَّارِ؛ إنْ شُبِّهت بما لا يُوجدُ فهي كالسَّرابِ، وإن مُثِّلتْ بما يُرَى فهي كهذه الظُّلماتِ(١).

ابنُ عبَّاسٍ رضي الله عنهما: الظُّلماتُ: أعمالُ الكافرِ، والبحرُ اللُّجِّيُّ: قلبُه، يغشاهُ موجٌ: غِشاوةٌ على القلبِ والسَّمعِ والبصرِ(٢).

قتادةُ: الكافرُ يتقلَّبُ في خمسٍ مِن الظُّلَمِ: كلامُه ظلمةٌ، وعملُه ظلمةٌ، ومَدخلُه ظلمةٌ، ومَخرجُه ظلمةٌ، ومصيرُه إلى الظُّلماتِ(٣).

وقيل: معناه: هو في حَيرةٍ من كُفرِه كصاحبِ هذه الظُّلماتِ.

***

(٤١) ـ ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالطَّيْرُ صَافَّاتٍ كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ﴾.

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ﴾ ألـم تعلَمْ علمًا يقومُ مقامَ الرُّؤيةِ. وقيل: هذا تنبيهٌ؛ أي: تنبَّه.

﴿يُسَبِّحُ لَهُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾؛ أي: أهلُها.

والتَّسبيحُ: التَّمجيدُ والتَّنزيهُ. وقيل: الصَّلاةُ.

---

(١) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٤/ ٤٨).

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (١٧/ ٣٣٠) بلفظ قريب، ورواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٨/ ٢٦١٣) بلفظ: «﴿أَوْ كَظُلُمَاتٍ﴾ يعني: بالظلام الأعمال، وفي قوله: ﴿فِي بَحْرٍ لُّجِّيٍّ﴾ قال: البحر اللجي قلب الإنسان».

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (١٧/ ٣٣١)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٨/ ٢٦١٤)، والحاكم في «المستدرك» (٣٥١٠)، وأبو نعيم في «حلية الأولياء» (١/ ٢٥٤)، وصححه الحاكم ووافقه الذهبي.

﴿وَٱلطَّيۡرُ صَٰٓفَّٰتٖ﴾: باسطاتٍ أجنحتَها؛ يُريدُ: في تلك الحالةِ، فإنَّ الأُعجوبةَ فيها أكثرُ.

﴿كُلّٞ﴾؛ أي: كلُّ واحدٍ منهم ﴿قَدۡ عَلِمَ صَلَاتَهُۥ وَتَسۡبِيحَهُۥ﴾ فيه قولان:

أحدهما: لكلِّ واحدٍ منَ الطَّيرِ وغيرِها منَ البهائمِ والحشراتِ تسبيحٌ وصلاةٌ تليقُ به، يُسبِّحون اللهَ ويُصلُّون له، لا نقِفُ نحن على ذلك.

والثّاني: تسبيحُه وصلاتُه: دلالتُه على وحدانيَّة اللهِ، وحملُ غيرِه على التَّسبيح.

والمطيعون لهم تسبيحانِ: تسبيحُ عملٍ، وتسبيحُ دلالةٍ.

وقيل: صوتُ كلِّ شيءٍ تسبيحُه، وحركتُه صلاتُه[1].

وفي فاعلِ ﴿عَلِمَ﴾ وجهان:

أحدُهما: ضميرُ ﴿كُلّٞ﴾، والهاءُ[2] يعودُ إليه أيضًا؛ أي: ما يليقُ به، وقيل: الهاءُ يعودُ إلى اللهِ سبحانه وتعالى.

والثّاني: أنَّ فاعلَ ﴿عَلِمَ﴾ هو اللهُ، والضَّميرُ يعودُ إلى ﴿كُلّٞ﴾.

﴿وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ بِمَا يَفۡعَلُونَ﴾: لا يَخفى عليه شيءٌ.

* * *

(٤٢) ـ ﴿وَلِلَّهِ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلۡمَصِيرُ﴾.

﴿وَلِلَّهِ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾؛ أي: خالقُهما ومُكوِّنُهما، ومَن ملكَ أمرًا في الدُّنيا فبتمليكِه إيَّاه ﴿وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلۡمَصِيرُ﴾ مرجعُ كلِّ مُملَّكٍ ومخلوقٍ.

* * *

---

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٨٠١)، واستغربه.

(٢) في كلمة ﴿صَلَاتَهُۥ﴾.

(٤٣) - ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُزْجِى سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُۥ ثُمَّ يَجْعَلُهُۥ رُكَامًا فَتَرَى ٱلْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَٰلِهِۦ وَيُنَزِّلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن جِبَالٍ فِيهَا مِنۢ بَرَدٍ فَيُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ وَيَصْرِفُهُۥ عَن مَّن يَشَآءُ يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِۦ يَذْهَبُ بِٱلْأَبْصَٰرِ﴾.

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُزْجِى﴾: يُنشِئُ، وقيل: يَسُوقُ. وقيل: يُخرجُه شيئًا فشيئًا. و(بضاعةٌ مُزجاةٌ) يُمكِنُ تخريجُه على الأوجهِ الثَّلاثةِ(١).

﴿سَحَابًا﴾: جمعُ سحابةٍ.

﴿ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُۥ﴾؛ أي: يجمعُه، والتَّأليفُ: جمعُ الشَّيءِ إلى الشَّيءِ على استواءٍ ﴿بَيْنَهُۥ﴾ بين قِطَعِ السَّحابِ ﴿ثُمَّ يَجْعَلُهُۥ رُكَامًا﴾ يُرَكِّبُ بعضَه بعضًا، ويَجعلُ بعضَه فوقَ بعضٍ. وقيل: يجعلُه قِطعًا قِطعًا.

وقيل: فيه تقديمٌ وتأخيرٌ تقديرُه: يُزجي سحابًا ثمَّ يجعلُه رُكامًا ثمَّ يُؤلِّفُ بينه، تقولُ: رَكَمْتُ المتاعَ وغيرَه: إذا وضعتَ بعضَه فوقَ بعضٍ.

﴿فَتَرَى ٱلْوَدْقَ﴾: المطرَ، و(الوَدْقُ) المصدرُ أيضًا، تقولُ: وَدَقَ السَّحابُ يَدِقُ وَدْقًا.

وقيل: الوَدْقُ: الماءُ، ومنه: استَوْدَقتِ الفرسُ(٢).

وقيل: الوَدْقُ: البرقُ(٣).

﴿يَخْرُجُ مِنْ خِلَٰلِهِۦ﴾: من أثنائِه، قيل: هو واحدٌ، وقيل: هو جمعٌ، وخَلَلٌ وخِلالٌ كجَمَلٍ وجِمالٍ.

---

(١) وقد خرّجه المصنف في سورة (يوسف) على معنى: يسوق؛ قال: «وأصله من الدفع».

(٢) أي: اشتهت الفحل، يقال لذوات الحافر إذا أرادت الفحل: وَدَقَتْ تَدِقُ وَدْقاً، وأَوْدَقَتْ، واسْتَوْدَقَتْ. انظر: «الصحاح» مادة: (و د ق)، وقد ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٨٠١)، واستغربه.

(٣) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٨٠١)، وعدّه من العجائب.

﴿وَيُنَزِّلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ ﴿مِنَ﴾ لابتداءِ الغايةِ، ومحلُّه نصبٌ على الظَّرفِ ﴿مِن جِبَالٍ فِيهَا﴾ ﴿مِن﴾[1] هو لابتداءِ الغايةِ أيضًا، والجبالُ بدلٌ منَ ﴿ٱلسَّمَآءِ﴾ بدلُ البعضِ منَ الكلِّ، والضَّميرُ في ﴿فِيهَا﴾ يعودُ إلى ﴿ٱلسَّمَآءِ﴾، ﴿مِن بَرَدٍ﴾ ﴿مِن﴾ لتبيينِ أنَّ الجبالَ منَ البرَدِ، والمعنى: من السَّماءِ جبالٌ[2] من برَدٍ ينحدِرُ عنها البرَدُ على السَّحابِ ثمَّ على الأرضِ، فيكونُ المفعولُ محذوفًا؛ أي: يُنزِّلُ من جبالِ السَّماء برَدًا.

وقيل: الثّانيةُ للتَّبعيضِ في موضعِ المفعولِ به، والثَّالثةُ للتَّبيينِ، كأنَّه بيَّنَ من أيِّ شيءٍ تلك الجبالُ، ومحلُّه رفعٌ، كأنَّه قال: ويُنزِّلُ من السَّماءِ جبالًا فيها برَدٌ.

وذهب جماعةٌ منَ المُفسِّرين إلى أنَّ المُرادَ بالجبالِ: التَّكثيرُ والتَّعظيمُ، لا التي هي خلافُ السَّهلِ، وأنشَدُوا لابنِ مُقبلٍ:

إِذا متُّ عَنْ ذِكْرِ القَوافِي فَلَنْ تَرَى ... لَها شاعِرًا مِثْلِي أَطَبَّ وَأَشْعَرا

وَأَكْثَرَ بَيْتًا شاعِراً ضُرِبَتْ بِهِ ... بطونُ جِبالِ الشِّعْرِ حَتَّى تيسَّرا[3]

وقيل: السَّماءُ: السَّحابُ، والجبالُ: العِظامُ منَ السَّحابِ.

ابنُ عيسى: ﴿مِنَ﴾ الأولى لابتداءِ الغايةِ، والثّانيةُ للتَّبعيضِ، والثّالثةُ لتبيينِ الجنسِ[4].

---

(١) في (ف): «قيل: ﴿مِّن﴾».

(٢) في (ن): «والمعنى في السماء من جبال».

(٣) انظر: «ديوان ابن مقبل» (ص: ١١١)، و«الشعر والشعراء» (١/ ٤٨٨)، و«الموازنة بين شعر أبي تمام والبحتري» (٣/ ٧٠٢)، و«الحجة» للفارسي (٥/ ٣٣)، و«دلائل الإعجاز» (ص: ٥١٢). والرواية في بعض المصادر: «وأكثر بيتا مارداً» وفي بعضها: «سائراً»، وفي بعض المصادر: «حزون جبال الشعر».

(٤) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٨٠٢) قال: «يشكل على هذا العائد من ﴿فِيهَا﴾».

ابنُ بحرٍ: الجبالُ: ما جبلَه اللهُ منَ البرَدِ؛ أي: خلقَه، وكلُّ جسمٍ شديدٍ جبَلٌ، ومنه الجِبِلَّةُ[١].

والبَرَدُ: ماءٌ جامدٌ خلقَه اللهُ في السَّحابِ ثمَّ ينزلُ.

وقيل: يصيرُ في الهواءِ بَرَدًا.

ابنُ عبَّاسٍ رضي الله عنهما: البَرَدُ: الثَّلجُ[٢].

﴿فَيُصِيبُ بِهِۦ﴾؛ أي: بالبرَدِ ﴿مَن يَشَآءُ﴾؛ أي: يُصيبُ الإنسانَ وزَرْعَه ﴿وَيَصۡرِفُهُۥ عَن مَّن يَشَآءُ﴾ فلا يُصيبُه.

ويقالُ: ﴿يُصيبُ به مَن يشاءُ﴾، يُعذِّبُ به مَن يشاءُ، ﴿ويصرِفُه عمَّن يشاءُ﴾ فلا يعذِّبُه به.

﴿يَكَادُ سَنَا بَرۡقِهِۦ﴾: ضوءُه. قتادةُ: لمعانُ برقِه[٣].

وسنا كلِّ شيءٍ: ضوءُه، والسَّناءُ الممدودُ[٤]: المجدُ، وأصلُها منَ الرِّفعةِ، تقولُ: أسنَيْتُ النَّارَ إسناءً، وسَنا البرقُ يسنُو سَنًا، وسَنا الرَّجلُ سناءً.

وقيل: ﴿سَنَا بَرۡقِهِۦ﴾ صوتُ برقِه، فتكونُ قوَّةُ البرقِ دليلًا على تكاثُفِ السَّحابِ، ونذيرًا بقوَّةِ المطرِ، ومُحذِّرًا من نزولِ الصَّواعقِ.

﴿يَذۡهَبُ بِٱلۡأَبۡصَٰرِ﴾: يذهبُ بعيونِ النَّاظرين إليه، والنَّظرُ إلى عينِ الشَّمسِ وإلى البرقِ مُضِرٌّ بالبصرِ. وقراءةُ أبي جعفرٍ شاذَّةٌ[٥]، والباءُ زيادةٌ.

---

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٨٠٢)، وعدَّه من العجائب.

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٨٠٢) عن ابن عيسى، وعده من العجائب.

(٣) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٢٠٥٣)، والطبري في «تفسيره» (١٧/ ٣٣٨)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٨/ ٢٦١٩).

(٤) قرأ طلحة بن مصرف: (سناء برقه) وهي قراءة شاذة. انظر: «المحتسب» لابن جني (٢/ ١١٤)، و«شواذ القراءات» لشمس القراء الكرماني (٢/ ١١٤).

(٥) قرأ أبو جعفر: (يُذْهِبُ) بضم الياء وكسر الهاء. انظر: «النشر» (٢/ ٣٣٢).

(٤٤) ـ ﴿يُقَلِّبُ ٱللَّهُ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبۡرَةٗ لِّأُوْلِي ٱلۡأَبۡصَٰرِ﴾.

﴿يُقَلِّبُ ٱللَّهُ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ﴾ فيه ثلاثةُ أقوالٍ:

أحدُها: ما يزيدُ في أحدِهما ينقصُ مِنَ الآخرِ.

والثّاني: هو أن يأتيَ باللَّيلِ بعد النَّهارِ، وبالنَّهارِ بعد اللَّيلِ.

والثّالثُ: تغييرُ النَّهارِ بظُلمةِ السَّحابِ تارةً وبضوءِ الشَّمسِ تارةً[1] أُخرى، وتغييرُ اللَّيلِ بظُلمةِ السَّحابِ مرَّةً وبضوءِ القمرِ مرَّةً أخرى[2].

﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ﴾: فيما تقدَّمَ منَ السَّحابِ وما يظهرُ منه ﴿لَعِبۡرَةٗ لِّأُوْلِي ٱلۡأَبۡصَٰرِ﴾ لعِظَةً لذوي العقولِ.

***

(٤٥) ـ ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَآبَّةٖ مِّن مَّآءٖۖ فَمِنۡهُم مَّن يَمۡشِي عَلَىٰ بَطۡنِهِۦ وَمِنۡهُم مَّن يَمۡشِي عَلَىٰ رِجۡلَيۡنِ وَمِنۡهُم مَّن يَمۡشِي عَلَىٰٓ أَرۡبَعٖۚ يَخۡلُقُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ﴾.

﴿وَٱللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَآبَّةٖ﴾؛ أي: كلَّ حيوانٍ يَدِبُّ من عاقلٍ وبهيمةٍ ﴿مِّن مَّآءٖ﴾ يعني: النُّطفةَ، وهي: الماءُ الذي يخرجُ من بينِ الصُّلبِ والتَّرائبِ.

وقيل: يريدُ به: جميعَ المخلوقاتِ؛ لأنَّ اللهَ سبحانه خلقَ الماءَ أوَّلًا، ثمَّ قلبَ الماءَ نارًا وخلقَ منها الجنَّ، وقلبَه ريحًا وخلقَ الملائكةَ منها، ثمَّ أحالَه طينًا وخلقَ منه آدمَ[3].

---

(١) «تارة»: ليس في (ف).

(٢) «أخرى»: ليس في (ف).

(٣) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٨٠٢)، واستغربه.

وسألَ أبو هريرةَ رضي الله عنه رسولَ اللهِ ﷺ: ممَّ خَلَقَ اللهُ الخلقَ؟ فقال عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ: «مِنَ الماءِ»(١).

﴿فَمِنْهُم﴾ لمَّا اجتمعَ العاقلُ مع غيرِ العاقلِ جعلَ الغلبةَ للعاقلِ فقالَ: ﴿فَمِنْهُم﴾ بلفظِ جمعِ العقلاءِ، ثمَّ فصَّلَ تفصيلَ العقلاءِ فقال: ﴿مَّن يَمْشِى عَلَىٰ بَطْنِهِۦ﴾ وإنْ لم يكُنْ ذلك في العقلاءِ؛ ليُوافقَ التَّفصيلُ الجملةَ.

والمرادُ بالماشي على بطنِه: الحيَّةُ. وقيل: الحوتُ.

قال أبو عبيدةَ: لا يكونُ المشيُ بالبطنِ(٢).

الزَّجَّاجُ: يُقالُ لكلِّ مُستمرٍّ: ماشٍ، حتَّى يُقالَ: قد مشى هذا الأمرُ(٣).

﴿وَمِنْهُم مَّن يَمْشِى عَلَىٰ رِجْلَيْنِ﴾ كالإنسانِ والطَّيرِ وغيرِ ذلك.

﴿وَمِنْهُم مَّن يَمْشِى عَلَىٰٓ أَرْبَعٍ﴾ كالأنعامِ والوحوشِ والسِّباعِ.

وفي مصحفِ أُبيٍّ: (ومنهم مَن يمشي على أكثرَ من ذلك)(٤)، وقال الجمهورُ في قولِه عقيبَه: ﴿يَخْلُقُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ﴾: ذكرَ ما يمشي على أكثرَ مِن أربعٍ.

وقيل: ما زادَ رجلُه على أكثرَ من أربعٍ فاعتمادُه في مشيِه على أربعٍ في الجهاتِ الأربعِ(٥).

﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ﴾ ممَّا ذُكِرَ وبُيِّنَ ﴿قَدِيرٌ﴾ قادرٌ على الكمالِ.

---

(١) رواه الترمذي (٢٥٢٦)، وقال: «هذا حديث ليس إسناده بذاك القوي، وليس هو عندي بمتصل».

(٢) انظر: «مجاز القرآن» (٢/ ٦٨).

(٣) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٤/ ٥٠).

(٤) ذكره السمعاني في «تفسيره» (٣/ ٥٤٠)، وابن عطية في «تفسيره» (٤/ ١٩١)، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٨٠٣)، واستغربه.

(٥) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٨٠٣)، وعدَّه من العجائب.

(٤٦) ـ ﴿لَقَدْ أَنزَلْنَآ ءَايَٰتٍ مُّبَيِّنَٰتٍ ۚ وَٱللَّهُ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾.

﴿لَقَدْ أَنزَلْنَآ ءَايَٰتٍ مُّبَيِّنَٰتٍ﴾ أي: أحكامًا وفرائضَ.

وقيل: علاماتٍ ودلائلَ.

﴿وَٱللَّهُ يَهْدِى﴾: يُرشِدُ ﴿مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾: إلى دينِ الإسلامِ.

وقيل: إلى[1] طريقِ الجنَّةِ.

وقيل: هذه متَّصلةٌ بالأولى؛ أي: واللهُ يهدي مَن يشاءُ منَ المخلوقِ منَ الماءِ إلى الإسلامِ[2].

***

(٤٧) ـ ﴿وَيَقُولُونَ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلرَّسُولِ وَأَطَعْنَا ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ ۚ وَمَآ أُو۟لَٰٓئِكَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ﴾.

﴿وَيَقُولُونَ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلرَّسُولِ﴾ نزلت في بِشرٍ المُنافقِ، كان بينَه وبين يهوديٍّ خُصومةٌ، واليهوديُّ يدعوه إلى النَّبيِّ ﷺ وبِشرٌ يدعوه إلى كعبِ بنِ الأشرفِ، ويقولُ: محمَّدٌ يحيفُ علينا[3].

---

(١) «إلى»: ليس في (ف).

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٨٠٣)، واستغربه.

(٣) انظر: «تفسير مقاتل» (٣/ ٢٠٥)، وعن مقاتل ذكره السمرقندي في «تفسيره» (٢/ ٥١٩)، والواحدي في «البسيط» (١٦/ ٣٣٢)، وهو دون عزو في «تفسير الثعلبي» (١٩/ ٣٠٠)، و«أسباب النزول» للواحدي (ص: ٣٢٧).

ورواه الطبري في «تفسيره» (٧/ ١٩٣ ـ ١٩٤) عن مجاهد في سبب نزول قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ﴾ [النساء: ٦٠]، وكذا رواه الواحديُّ في «أسباب النزول» (ص: ١٦١)، عن قتادة والشعبي، وعن ابن عباس من رواية الكلبي عن أبي صالح عنه.

وروى الكلبيُّ: أنَّها نزلت في عثمانَ وعليٍّ رضي الله عنهما، تنازَعا في أرضٍ، وطعَنَ في هذا القولِ جماعةٌ منَ المفسِّرين(١).

وقيل: نزلت في المُغيرةِ بنِ وائلٍ مِن بني أميَّةَ، كانت بينَه وبين عليٍّ رضي الله عنه خُصومةٌ في ماءٍ وأرضٍ، فامتنعَ المغيرةُ أن يُحاكِمَ عليًّا رضي الله عنه إلى رسولِ اللهِ ﷺ فقال: إنَّه يُبغِضُني، فنزلت: ﴿وَيَقُولُونَ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلرَّسُولِ وَأَطَعْنَا﴾(٢)؛ أي: وأطَعْنا اللهَ والرَّسولَ، ﴿ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ﴾: يُعرِضُ عنِ الإيمانِ ﴿فَرِيقٌ مِّنْهُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ﴾؛ أي: بعدَ قولهم: ﴿ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلرَّسُولِ﴾.

﴿وَمَآ أُو۟لَٰٓئِكَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ قيل: المُخلِصين. وقيل: المُصدِّقين.

---

(١) ذكره السمرقندي في «تفسيره» (٢/ ٥١٩)، وقال: «قال بعضهم: هذا التفسير الذي ذكره الكلبي غير صحيح؛ لأن قوم عثمان كانوا مؤمنين من الذين هاجروا معه إلى المدينة، وقد ذكر أنهم ليسوا بمؤمنين».

وذكره الماتريدي في «تفسيره» (٧/ ٥٨٢) عن ابن عباس رضي الله عنهما، ولعله من رواية الكلبي عنه، وقد ورد في «تنوير المقباس من تفسير ابن عباس» للفيروزابادي (ص: ٢٩٨)، وعلى كل فالكلبي متروك، ورواياته ساقطة.

(٢) ذكره دون عزو الماوردي في «النكت والعيون» (٤/ ١١٥)، والقرطبي في «تفسيره» (١٥/ ٣١٥)، وعزاه الجرجاني في «درج الدرر» (٢/ ٣٧٢) والرازي في «تفسيره» (٢٤/ ٤١٠) للضحاك.

وأورد الخبر أيضاً بعض المتأخرين من المفسرين كابن عادل والنيسابوري والخطيب الشربيني وأبي السعود والآلوسي وابن عاشور وغيرهم، لكني لم أقف للمغيرة بن وائل هذا على ذكر في شيء من كتب السيرة والتاريخ والتراجم، ولم يعرِّف به أحد ممن أورد الخبر من المفسرين، سوى قول ابن عاشور عند ذكره لهذا الخبر: «وقيل: إن أحد المنافقين اسمُه المغيرةُ بنُ وائلٍ من الأوسِ من بني أُميَّةَ بن زيدٍ الأوسيِّ تَخاصَم مع عليِّ بن أبي طالبٍ في أرضٍ...». الخبر لم يرد من طريق يحتج بها.

والضَّميرُ يعودُ إلى المنافقين، وقد تقدَّمَ في السُّورةِ ذِكرُهم، وقيل: هو كنايةٌ عن غيرِ مذكورٍ.

***

(٤٨) ـ ﴿وَإِذَا دُعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحۡكُمَ بَيۡنَهُمۡ إِذَا فَرِيقٞ مِّنۡهُم مُّعۡرِضُونَ﴾.

﴿وَإِذَا دُعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحۡكُمَ بَيۡنَهُمۡ﴾؛ أي: ليحكُمَ النَّبيُّ، وحُكمُ النَّبيِّ حكمُ اللهِ، ﴿إِذَا فَرِيقٞ مِّنۡهُم مُّعۡرِضُونَ﴾ أي: فاجَأَ من فريقٍ منهم الإعراضُ.

***

(٤٩) ـ ﴿وَإِن يَكُن لَّهُمُ ٱلۡحَقُّ يَأۡتُوٓاْ إِلَيۡهِ مُذۡعِنِينَ﴾.

﴿وَإِن يَكُن لَّهُمُ ٱلۡحَقُّ﴾؛ أي: القضاءُ، لا عليهم ﴿يَأۡتُوٓاْ إِلَيۡهِ مُذۡعِنِينَ﴾: طائعين مُنقادين، والإذعانُ: الطَّاعةُ والانقيادُ.

***

(٥٠) ـ ﴿أَفِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَمِ ٱرۡتَابُوٓاْ أَمۡ يَخَافُونَ أَن يَحِيفَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمۡ وَرَسُولُهُۥۚ بَلۡ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾.

﴿أَفِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾ شكٌّ ونفاقٌ. وقيل: بغضٌ وعداوةٌ للهِ ورسولِه.

﴿أَمِ ٱرۡتَابُوٓاْ﴾: أم كانوا مُخلِصين ثمَّ رأوا منك أمرًا رابَهم وأورثَهم تُهمةً.

﴿أَمۡ يَخَافُونَ أَن يَحِيفَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمۡ وَرَسُولُهُۥ﴾: أم جوَّزوا في أنفُسِهم أن يميلَ رسولُ ﷺ في بعضِ حُكْمِه فخافوكَ وعدَلوا من حُكمِكَ لواحدٍ من هذه الثَّلاثِ؟

وجاءَ بلفظِ الاستفهامِ؛ لأنَّه أشدُّ في الذَّمِّ والتَّوبيخِ.

﴿بَلۡ﴾ أضربَ بـ﴿بَلۡ﴾ عن الحيفِ.

وقيل: أضربَ بـ﴿بَلۡ﴾ عن أن يكونَ رسولُ اللهِ ﷺ يَحيفُ على أحدٍ في حُكمِه.

﴿أُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾: المُنافقون الكافرون.

وقيل: معناه: ليس من جهةِ رسولِ اللهِ ﷺ ما يُرتابُ به، ولكنَّهم كافرون ظالمون لأنفُسِهم حين امتَنَعُوا منَ الإذعانِ لحكمِ اللهِ ورسولِه.

* * *

(٥١) ـ ﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَنْ يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾.

﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَنْ يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا﴾؛ أي: يحكمَ النَّبيُّ بينَهم بحُكمِ اللهِ الذي أمرَ به في القرآنِ؛ أن يقولوا: ﴿سَمِعْنَا﴾ قولَ النَّبيِّ ﴿وَأَطَعْنَا﴾ أمرَه.

﴿وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾: الفائزون الباقون في النَّعيمِ المقيمِ.

* * *

(٥٢) ـ ﴿وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَخْشَ اللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ﴾.

﴿وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾؛ أي: يُطعِ اللهَ في الفرائضِ ورسولَه في السُّننِ ﴿وَيَخْشَ اللَّهَ﴾؛ أي: عقابَه ﴿وَيَتَّقْهِ﴾ فيحترزْ أن يعصيَه.

وقيل: ﴿وَيَخْشَ اللَّهَ﴾ في الحالِ، ﴿وَيَتَّقْهِ﴾ في الاستقبالِ.

وقيل: الخشيةُ: خوفٌ مع اعتقادِ عِظَمِ المَخشيِّ، والاتِّقاءُ: الاحترازُ منَ العصيانِ والتَّقصيرِ في المأمورِ.

﴿فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ﴾ بالثَّوابِ، النَّاجونَ منَ العقابِ.

* * *

(٥٣) ـ ﴿وَأَقْسَمُوا۟ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَـٰنِهِمْ لَئِنْ أَمَرْتَهُمْ لَيَخْرُجُنَّ ۖ قُل لَّا تُقْسِمُوا۟ ۖ طَاعَةٌ مَّعْرُوفَةٌ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾.

﴿وَأَقْسَمُوا۟ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَـٰنِهِمْ لَئِنْ أَمَرْتَهُمْ لَيَخْرُجُنَّ﴾؛ أي: حلَفَ المُنافقون باللهِ ـ وهو جَهْدُ اليمينِ؛ لأنَّهم بذَلوا فيها مجهودَهم ـ: لَئِنْ أَمرَنا محمَّدٌ (ﷺ) بالخروجِ إلى الغزوِ لغزَوْنا.

وقيل: بالخروجِ منَ الدِّيارِ لخرَجْنا.

وقال الكلبيُّ: أقسمَ عثمانُ لَئِنْ أمرْتَني لأخرُجَنَّ منَ الأرضِ المُتنازَعِ فيها، ولأدفعَنَّها إلى عليٍّ رضي الله عنه، وقد سبقَ[١].

﴿قُل لَّا تُقْسِمُوا۟﴾ لأنَّكم تكذِبونَ في القَسَمِ، وذلك معصيةٌ.

﴿طَاعَةٌ مَّعْرُوفَةٌ﴾ فيها قولان:

أحدهما: طاعةٌ معروفةٌ أفضلُ وأولى من هذا القسَمِ.

والثَّاني: طاعةٌ معروفةٌ منكم؛ أي: أنَّها بالقولِ دونَ الاعتقادِ[٢].

وفي ارتفاعِه قولانِ:

أحدهما: بالخبرِ، والمُبتدأُ مقدَّرٌ؛ أي: هذه طاعةٌ.

والثَّاني: بالابتداءِ، والخبرُ مُقدَّرٌ؛ أي: أفضلُ.

وقيل: لِيكُنْ منكم طاعةٌ وقولٌ معروفٌ.

ابنُ بحرٍ: معناه: لا تحلِفوا على الطَّاعةِ؛ فإنَّها إذا وقعَت عُرِفَت.

---

(١) سبق قريبًا، وهو خبر ساقط.

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٨٠٣)، واستغربه.

وقيل: إنَّما وصفَها بالمعروفِ لأنَّه ﷺ كان يأمرُهم بالمعروفِ لا بالمُنكرِ.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ﴾: عالمٌ بما تُظهِرون وما تُضمِرون لا يخفَى عليه شيءٌ من أعمالِكم.

***

(٥٤) ـ ﴿قُلۡ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَۖ فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَإِنَّمَا عَلَيۡهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيۡكُم مَّا حُمِّلۡتُمۡۖ وَإِن تُطِيعُوهُ تَهۡتَدُواْۚ وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلۡبَلَٰغُ ٱلۡمُبِينُ﴾.

﴿قُلۡ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَۖ فَإِن تَوَلَّوۡاْ﴾: تُعرِضُوا عن طاعتِه ﴿فَإِنَّمَا عَلَيۡهِ مَا حُمِّلَ﴾؛ أي: على محمَّدٍ ﷺ تبليغُ الرِّسالةِ، وقد بلَّغَها ﴿وَعَلَيۡكُم مَّا حُمِّلۡتُمۡ﴾؛ أي: عليكم امتِثالُ ما يأمُركم ومُتابعتُه وطاعتُه.

﴿وَإِن تُطِيعُوهُ﴾ فيما يأمُركم وينهاكُم ﴿تَهۡتَدُواْ﴾ إلى الحقِّ والرُّشدِ والجنَّةِ.

﴿وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلۡبَلَٰغُ ٱلۡمُبِينُ﴾؛ أي: الإبلاغُ. وقيل: البلوغُ. وليس عليه مضرَّةٌ من معصيتِكُم.

***

(٥٥) ـ ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسۡتَخۡلِفَنَّهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ كَمَا ٱسۡتَخۡلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمۡ دِينَهُمُ ٱلَّذِي ٱرۡتَضَىٰ لَهُمۡ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعۡدِ خَوۡفِهِمۡ أَمۡنٗاۚ يَعۡبُدُونَنِي لَا يُشۡرِكُونَ بِي شَيۡـٔٗاۚ وَمَن كَفَرَ بَعۡدَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ﴾.

﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ قيل: المُرادُ به: المُهاجرون، ولهذا قال: ﴿مِنكُمۡ﴾[1]. وقيل: هو عامٌّ، و﴿مِنكُمۡ﴾ للتَّبيينِ.

﴿لَيَسۡتَخۡلِفَنَّهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ الاستِخلافُ: طلَبُ قيامِ اللَّاحقِ مَقامَ السَّابقِ، واللَّامُ لامُ جوابِ القسَمِ، واليمينُ مُضمَرٌ، والقولُ مُقدَّرٌ، وفي ﴿ٱلۡأَرۡضِ﴾ قولان:

---

(١) و(من) على هذا القول على أصلها؛ تدل على التبعيض.

أحدُهما: أرضُ مكَّة، وكان المُهاجرون يسألونَ اللهَ ذلك.

وقيل: جميعُ الأرضِ، رَوَى مقدادٌ عن النَّبيِّ ﷺ أنَّه قال: «لا يبقَى على الأرضِ بيتُ مَدَرٍ ولا وَبَرٍ إلَّا أدخلَه اللهُ كلمةَ الإسلامِ بعزِّ عزيزٍ وذلِّ ذليلٍ، إمَّا أن يُعِزَّهم اللهُ فيجعلَهم من أهلِها، وإمَّا أن يُذِلَّهم فيَدِينون لها»(١).

وعن النَّبيِّ ﷺ: «الخلافةُ بعدي ثلاثون سنةً ثمَّ تكونُ ملكًا»(٢).

﴿كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ فيه قولان:

أحدُهما: هم بنو إسرائيلَ، استخلَفَهم اللهُ أرضَ الشَّامِ بعد إهلاكِ الجبابرةِ.

والثَّاني: هو ما كان في زمنِ داودَ وسليمانَ عليهما السَّلامُ، وكان الغالبَ على الأرضِ المؤمنون.

﴿وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ﴾ يعني: الإسلامَ، وتمكينُه: إظهارُه على الدِّينِ كلِّه.

وقيل: إعزازُ أهلِه وإذلالُ الشِّركِ وأهلِه.

وقيل: تمكينُه: إظهارُ الإيمانِ بعد الإخفاءِ.

﴿وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا﴾ قيل: خوفُهم في الدُّنيا منَ الأعداءِ أمنًا فيها.

وقيل: بعد خوفِهم من عقابِ اللهِ في الدُّنيا أمنًا في الآخرةِ.

---

(١) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٢٣٨١٤)، وابن حبان في «صحيحه» (٦٦٩٩)، والحاكم في «المستدرك» (٨٣٢٤) وصححه. وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٦/ ١٤): «ورجال أحمد رجال الصحيح».

(٢) رواه أبو داود (٤٦٤٦)، والترمذي (٢٢٢٦)، عن سفينة رضي الله عنه. وقال الترمذي: «حديث حسن».

والتَّبديلُ: تغييرُ الحالِ مع بقاءِ الأصلِ، والإبدالُ: جعْلُ الشَّيءِ(١) مكانَ الشَّيءِ، وقد يُوضعُ كلٌّ واحدٍ مكانَ الآخرِ.

﴿يَعۡبُدُونَنِي لَا يُشۡرِكُونَ بِي شَيۡـٔٗا﴾ حالٌ؛ أي: عابدين للهِ غيرَ مشركِين به.

وقيل: ذلك استئنافٌ؛ أي: هم يَعبدونني.

﴿وَمَن كَفَرَ بَعۡدَ ذَٰلِكَ﴾؛ أي: بعد الوعدِ وارتدَّ، وقيل: مَن كفرَ بهذه النِّعمةِ ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ﴾: الكافرون.

وقيل: المُذنبون.

وقيل: معنى قولِه: ﴿لَا يُشۡرِكُونَ بِي شَيۡـٔٗا﴾: لا يخافون غيري.

* * *

(٥٦) - ﴿وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ﴾.

﴿وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ المفروضةَ ﴿وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ الواجبةَ ﴿وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ﴾ بإجابتِه إلى ما دعاكُم إليه ﴿لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ﴾ فإنَّها من مُوجِباتِ الرَّحمةِ.

﴿لَا تَحۡسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مُعۡجِزِينَ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾؛ أي: فائتين، وقيل: سابقين، تقولُ: أعجزَه: جعلَه عاجزًا، أو وجدَه عاجزًا، أو نسبَه إلى العجزِ.

* * *

(٥٧) - ﴿لَا تَحۡسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مُعۡجِزِينَ فِي ٱلۡأَرۡضِۚ وَمَأۡوَىٰهُمُ ٱلنَّارُۖ وَلَبِئۡسَ ٱلۡمَصِيرُ﴾.

مَن قرأَ بالتَّاءِ جعلَ ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ المفعولَ الأوَّلَ، و﴿مُعۡجِزِينَ﴾ المفعولَ الثَّانيَ، والتَّاءُ خطابٌ للنَّبيِّ ﷺ، وهو الفاعلُ.

---

(١) ذكره ابن فورك في «تفسيره» (١/ ١٦٠)، وفيه إشارة إلى اختلاف القراء في ﴿وَلَيُبَدِّلَنَّهُم﴾؛ فقد قرأها نافع وأبو عمرو وحمزة والكسائي وابن عامر وحفص عن عاصم مشددة من التبديل، وقرأها ابن كثير وعاصم في رواية أبي بكر مخففة من الإبدال. انظر: «السبعة» (ص: ٤٥٨)، و«التيسير» (ص: ١٦٣).

ومَن قرأ بالياءِ[(١)] فـ﴿ٱلَّذِينَ﴾ في محلِّ رفع بالفعلِ، والمفعولُ الأوَّلُ محذوفٌ على تقديرِ: أنفُسَهم، و﴿مُعۡجِزِينَ﴾ المفعولُ الثَّاني، وهذا قولُ البصريِّين، وفيه ضعفٌ.

وقال الكوفيُّون: ﴿مُعۡجِزِينَ﴾ المفعولُ الأوَّلُ، و﴿فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ الثَّاني، وهو خطأٌ[(٢)].

ويحتمِلُ أنَّ الياءَ لمن له التَّاءُ عدلَ من الخطابِ إلى الغيبةِ[(٣)].

﴿وَمَأۡوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ﴾: مرجعُهم ومنقلَبُهم، وهو استئنافُ كلامٍ ﴿وَلَبِئۡسَ ٱلۡمَصِيرُ﴾؛ أي: المرجعُ؛ يعني: النَّارَ.

***

(٥٨) - ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِيَسۡتَـٔۡذِنكُمُ ٱلَّذِينَ مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُكُمۡ وَٱلَّذِينَ لَمۡ يَبۡلُغُواْ ٱلۡحُلُمَ مِنكُمۡ ثَلَٰثَ مَرَّٰتٖۚ مِّن قَبۡلِ صَلَوٰةِ ٱلۡفَجۡرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُم مِّنَ ٱلظَّهِيرَةِ وَمِنۢ بَعۡدِ صَلَوٰةِ ٱلۡعِشَآءِۚ ثَلَٰثُ عَوۡرَٰتٖ لَّكُمۡۚ لَيۡسَ عَلَيۡكُمۡ وَلَا عَلَيۡهِمۡ جُنَاحُۢ بَعۡدَهُنَّۚ طَوَّٰفُونَ عَلَيۡكُم بَعۡضُكُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلۡأٓيَٰتِۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ﴾.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِيَسۡتَـٔۡذِنكُمُ ٱلَّذِينَ مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُكُمۡ﴾ في سببِ النُّزولِ: قال ابنُ عبَّاسٍ رضي الله عنهما: وجَّهَ رسولُ اللهِ ﷺ غلامًا منَ الأنصارِ يقالُ له: مُدلجُ بنُ عمرٍو وقتَ الظَّهيرةِ إلى عمرَ بنِ الخطَّابِ رضي الله عنه ليدعُوَه، فدخلَ فرأى عمرَ بحالةٍ كرِهَ عمرُ رُؤيتَه ذلك، فقال: يا رسولَ اللهِ؛ ودِدْتُ لو أنَّ اللهَ أمرَنا ونهانا في حالِ الاستئذانِ، فأنزلَ اللهُ هذه الآيةَ[(٤)].

---

(١) قرأ ابن عامر وحمزة بالياء، والباقون بالتاء. انظر: «السبعة» (ص: ٣٠٧)، و«التيسير» (ص: ١٦٣).

(٢) ذكره الفراء في «معاني القرآن»، (٢/ ٢٥٩) وضعَّفه، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٨٠٤)، وعدَّه من العجائب.

(٣) فالفاعل ضمير يعود إلى النبي ﷺ، وتكون قراءة الياء على هذا بمعنى قراءة التاء. انظر: «الحجة» لأبي علي (٢/ ٣٣٢).

(٤) ذكره السمرقندي في «تفسيره» (٢/ ٥٢٢)، والثعلبي في «تفسيره» (١٩/ ٣١٤)، والواحدي =

وعن مُقاتلٍ قال: نزلَتْ في أسماءَ بنتِ مُرشدٍ، كان لها غلامٌ كبيرٌ، فدخلَ عليها في وقتٍ كرِهَتْه، فأتَتْ رسولَ اللهِ ﷺ فقالت: إنَّ خدَمَنا وغلمانَنا يدخُلون علينا في حالٍ نكرَهُها، فأنزلَ اللهُ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِيَسْتَأْذِنكُمُ الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾ يعني: العبيدَ والإماءَ[1].

ابنُ عمرَ رضي الله عنه: هو على الذُّكورِ دونَ الإناثِ[2].

ابنُ عبَّاسٍ رضي الله عنهما: الإماءُ؛ لأنَّ على العبيدِ أن يستأذِنُوا في هذه الأوقاتِ وغيرِها[3].

= في «أسباب النزول» (ص: ٣٢٩)، والبغوي في «تفسيره» (٦/ ٦٠)، والرازي في «تفسيره» (٢٤/ ٤١٦)، وابن الجوزي في «زاد المسير» (٣/ ٣٠٥)، عن ابن عباس رضي الله عنهما دون سند.
وذكره الواحدي في «البسيط» (١٦/ ٣٥٢) عن الكلبي.
وهو من رواية السديّ الصغير، عن الكلبيّ، عن أبي صالح، عن ابن عباس؛ رواه كذلك ابن منده كما في «الإصابة» (٦/ ٥٠). والسدي الصغير هو محمد بن مروان: كذاب، والكلبي متروك، وأبو صالح لم يسمع من ابن عباس رضي الله عنهما.

(١) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٧/ ١١٦)، والواحدي في «أسباب النزول» (ص: ٣٢٩)، والبغوي في «تفسيره» (٦/ ٦٠)، وأبو حفص النسفي في «التيسير في التفسير» عند هذه الآية، وابن الجوزي في «زاد المسير» (٣/ ٣٠٥)، جميعهم عن مقاتل، وصرح النسفي بأنه مقاتل بن حيان، وكذا رواه بنحوه عن مقاتل بن حيان ابنُ أبي حاتم في «تفسيره» (٨/ ٢٦٣٣)، لكنه ورد أيضًا في «تفسير مقاتل بن سليمان» (٣/ ٢٠٧)، ولعله مروي عن كليهما، فقد جاء في «البسيط» للواحدي (١٦/ ٣٥٢): وقال المقاتلان... فذكره.
ووقع في اسم صاحبة القصة اختلاف كثير في المصادر، ولا طائل من الخوض فيه.

(٢) سيأتي قريباً تخريجه والكلام عليه.

(٣) روى أبو داود (٥١٩١)، وابن أبي شيبة في «المصنف» (١٧٦١١)، والجصاص في «أحكام القرآن» (٣/ ٤٢٦)، والنحاس في «معاني القرآن» (٤/ ٥٥٣)، والبيهقي في «الكبرى» (٧/ ٩٧)، عن ابنَ عباس قال: آية لم يُؤْمِنْ بها أكثرُ الناسِ آيةُ الإذنِ، وإني لآمُرُ جاريتي هذه تستأذِنُ عليَّ. وفي بعض =

والاستئذانُ: طلبُ الإذنِ، والإذنُ: إعلامٌ بجوازِ فعلٍ.

﴿وَالَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا الْحُلُمَ مِنكُمْ﴾؛ أي: الصِّبيانُ.

﴿ثَلَاثَ مَرَّاتٍ﴾؛ أي: ثلاثَ أوقاتٍ، ثمَّ فسَّرَها فقال: ﴿مِّن قَبْلِ صَلَاةِ الْفَجْرِ﴾: وقتَ مُفارقةِ الفراشِ والقيامِ من النَّومِ، ﴿وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُم مِّنَ الظَّهِيرَةِ﴾: وقتَ القيلولةِ، ﴿وَمِن بَعْدِ صَلَاةِ الْعِشَاءِ﴾: وقتَ النَّومِ والأُوِيِّ إلى الفراشِ.

﴿ثَلَاثُ عَوْرَاتٍ لَّكُمْ﴾؛ أي: هي ثلاثُ عوراتٍ، ومَن نصبَ فعلى البدلِ.

الزَّجَّاجُ: سُمِّيت عوراتٍ لأنَّها أوقاتُ العوراتِ[1].

صاحبُ «النَّظمِ»: لأنَّهم يضَعُونَ ثيابَهم فتبدو عوراتُهم.

وقيل: هذه الأوقاتُ أوقاتُ التَّجرُّدِ وظهورِ العورةِ، فصارت من عوراتِ الزَّمانِ، فجرَى مَجرَى عوراتِ الأبدانِ.

﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ وَلَا عَلَيْهِمْ﴾؛ أي: على الذين ملكَتْ أيمانُكم والذين لم يبلُغُوا الحلُمَ ﴿جُنَاحٌ﴾: إثمٌ ﴿بَعْدَهُنَّ﴾: بعد الأوقاتِ الثَّلاثةِ، ومعنى ﴿بَعْدَهُنَّ﴾: سِواهُنَّ، وليس (بعدَ) هاهنا لظرفِ الزَّمانِ ولا المكانِ، ﴿طَوَّافُونَ عَلَيْكُم بَعْضُكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾ وقيل: هو بمعنى «من»؛ أي: بعضُكم مِن بعضٍ.

﴿كَذَٰلِكَ﴾؛ أي: كبيانِ الأحكامِ في هذه الآيةِ ﴿يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ﴾ الأمرَ والنَّهيَ ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ﴾ فيما يأمُرُكم ﴿حَكِيمٌ﴾ فيما يُدبِّرُ.

* * *

= الروايات: «لم يؤمر بها» بالراء.

(١) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٤/ ٥٢).

(٥٩) ـ ﴿وَإِذَا بَلَغَ ٱلۡأَطۡفَٰلُ مِنكُمُ ٱلۡحُلُمَ فَلۡيَسۡتَـٔۡذِنُواْ كَمَا ٱسۡتَـٔۡذَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمۡ ءَايَٰتِهِۦۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ﴾.

﴿وَإِذَا بَلَغَ ٱلۡأَطۡفَٰلُ مِنكُمُ ٱلۡحُلُمَ﴾؛ أي: الأحرارُ، و﴿ٱلۡحُلُمَ﴾: الاحتلامَ، والمعنى: إذا بلَغُوا وأرادوا الدُّخولَ عليكم ﴿فَلۡيَسۡتَـٔۡذِنُواْ﴾ في جميعِ الأوقاتِ ﴿كَمَا ٱسۡتَـٔۡذَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ﴾؛ أي: كما استأذنَ الذين بلَغُوا ودخلوا من قبلِهم.

﴿كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمۡ ءَايَٰتِهِۦۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ﴾ كرَّرَ الكلامَ الأوَّلَ تأكيدًا، وأضافَ إليه سُبحانه تخصيصًا. في هذه الآيةِ ستَّة أقوالٍ:

سعيدُ بنُ المسيِّب: منسوخةٌ[١].

أبو قِلَابَةَ: نَدْبٌ[٢].

سفيانُ: ﴿ٱلَّذِينَ مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُكُمۡ﴾: النِّساءُ[٣].

ابنُ عمرَ رضي الله عنهما: في الرِّجالِ[٤].

---

(١) رواه النحاس في «الناسخ والمنسوخ» (ص: ٥٩١).

(٢) رواه النحاس في «الناسخ والمنسوخ» (ص: ٥٩٢) بلفظ: «إنما أمر بهذا نظراً لهم».

(٣) رواه ابن أبي شيبة في «مصنفه» (١٧٦١٣)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٨/ ٢٦٣٣)، والنحاس في «الناسخ والمنسوخ» (ص: ٥٩٢)، من طريق سفيان عن أبي حصين عن أبي عبد الرحمن السلمي.
قال النحاس: هذا القولُ بَيِّنُ الخطأ؛ لِأنَّ (الَّذين) لا يكونُ للنساء في كلام العرب إنَّما يكونُ للنساء: اللَّاتي واللَّائي.

(٤) رواه البخاري في «الأدب المفرد» (١٠٥٧)، والطبري في «تفسيره» (١٧/ ٣٥١)، والنحاس في «الناسخ والمنسوخ» (ص: ٥٩٣)، جميعهم من طريق ليث عن نافع عن ابن عمر.
قال النحاس: وهذا القولُ الرابعُ يَستحسنُه أهلُ النَّظر؛ لأنَّ (الذين) في كلام العرب للرجال، وإن كان يجوزُ أنْ يدخلَ معهم النساءُ، فإنَّما يقعُ ذلك بدليلٍ، والكلامُ على ظاهره غيرَ أنَّ في إسناده ليثُ بن أبي سُليم.

ابنُ عبَّاسٍ رضي الله عنهما: كان العملُ بها واجبًا لأنَّ القومَ لـم يكُنْ لهم أغلاقٌ ولا ستورٌ، فإنْ عادَ الأمرُ إلى ذلك كان العملُ بها واجبًا(١).

وأكثرُ أهلِ العلمِ على أنَّها مُحكَمَةٌ واجبةٌ غيرُ منسوخةٍ(٢).

***

(٦٠) - ﴿وَٱلْقَوَٰعِدُ مِنَ ٱلنِّسَآءِ ٱلَّٰتِي لَا يَرْجُونَ نِكَاحًا فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ أَن يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ غَيْرَ مُتَبَرِّجَٰتٍۭ بِزِينَةٍ ۖ وَأَن يَسْتَعْفِفْنَ خَيْرٌ لَّهُنَّ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾.

﴿وَٱلْقَوَٰعِدُ مِنَ ٱلنِّسَآءِ﴾: العجائزُ اللاتي قد قعَدْنَ عن الحيضِ والحبَلِ، وقيل: عن النِّكاحِ، جمعُ قاعدٍ(٣).

﴿ٱلَّٰتِي لَا يَرْجُونَ نِكَاحًا﴾: لا يطمَعْنَ في أن يتزوَّجْنَ لكِبَرِهنَّ، ﴿ٱلَّٰتِي﴾ في محلِّ رفعٍ صفةٌ لـ﴿الْقَواعِدُ﴾، ويجوزُ الجرُّ، والوجهُ الرَّفعُ لمكانِ الفاءِ.

﴿فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ﴾: إثمٌ ﴿أَن يَضَعْنَ﴾: في أن يضعْنَ ﴿ثِيَابَهُنَّ﴾: جلابيبَهنَّ. وقيل: الخُمُرَ والأرديةَ.

﴿غَيْرَ مُتَبَرِّجَٰتٍۭ﴾: غيرَ مُبدياتٍ ﴿بِزِينَةٍ﴾ والتَّبرُّجُ منها: إظهارُ محاسنِها التي ينبَغي أن تستُرَها كالشَّعرِ، والذِّراعِ، والنَّحْرِ، والسَّاقِ؛ أي: لا يقصِدْنَ بوضعِها أن يُظهِرنَ زينتَهُنَّ.

---

(١) رواه أبو داود (٥١٩٢)، والنحاس في «الناسخ والمنسوخ» (ص: ٥٩٣). قال النحاس: وهذا القولُ الخامس: مَتْنُه حسنٌ، وليس فيه دليلٌ على نسخ الآيةِ، ولكنْ على أنَّها كانت على حال ثم زالت، فإنْ كان مثلُ تلك الحال فحُكمُها قائمٌ كما كان.

(٢) انظر: «الناسخ والمنسوخ» للنحاس (ص: ٥٩٣)، وعنه نقل المؤلف هذا البحث. وفيه: والقولُ السادسُ: أنَّها محكمةٌ واجبةٌ ثابتةٌ على الرجال والنساء قولُ أكثر أهل العلمِ.

(٣) انظر: «العين» مادة: (ق ع د) (١/ ١٤٣)، و«إعراب القرآن» للنحاس (٣/ ١٠٢)، وقيل: إن حذف التاء المربوطة من آخر الكلمة للتفريق عن (القاعدة) بمعنى الجالسة.

﴿وَأَن يَسْتَعْفِفْنَ خَيْرٌ لَّهُنَّ﴾؛ أي: التَّلَبُّسُ خيرٌ لها منَ التَّكشُّفِ.

﴿وَٱللَّهُ سَمِيعٌ﴾ لِمَا يُقالُ ﴿عَلِيمٌ﴾ بما يُقصَدُ ويُنوى.

***

(٦١) - ﴿لَّيْسَ عَلَى ٱلْأَعْمَىٰ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْمَرِيضِ حَرَجٌ وَلَا عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ أَن تَأْكُلُوا۟ مِنۢ بُيُوتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ ءَابَآئِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أُمَّهَٰتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ إِخْوَٰنِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخَوَٰتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَعْمَٰمِكُمْ أَوْ بُيُوتِ عَمَّٰتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخْوَٰلِكُمْ أَوْ بُيُوتِ خَٰلَٰتِكُمْ أَوْ مَا مَلَكْتُم مَّفَاتِحَهُۥٓ أَوْ صَدِيقِكُمْ ۚ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَأْكُلُوا۟ جَمِيعًا أَوْ أَشْتَاتًا ۚ فَإِذَا دَخَلْتُم بُيُوتًا فَسَلِّمُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ تَحِيَّةً مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُبَٰرَكَةً طَيِّبَةً ۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾.

﴿لَّيْسَ عَلَى ٱلْأَعْمَىٰ حَرَجٌ﴾ في سببِ نُزولِه أقوالٌ:

قال ابنُ عبّاسٍ رضي الله عنهما: لـمَّا نزلَ قولُه: ﴿لَا تَأْكُلُوٓا۟ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ﴾ [النساء: ٢٩] تحرَّجَ المسلمون عن مُؤاكَلةِ المرضى والزَّمْنَى والعُمْيِ والعُرْجِ، وقالوا: الطَّعامُ أفضَلُ الأموالِ، وقد نهانا اللهُ عن أكلِ الأموالِ بالباطلِ، والأعمى لا يُبصِرُ موضعَ الطَّعامِ الطَّيِّبِ ﴿وَلَا عَلَى ٱلْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْمَرِيضِ حَرَجٌ﴾ والأعرجُ: لا يستطيعُ المُزاحمةَ على الطَّعامِ، والمريضُ لا يستطيعُ استيفاءَ الطَّعامِ، فأنزلَ اللهُ هذه الآيةَ(١)، وعلى هذا القولِ الآيةُ ناسخةٌ.

قالَ سعيدُ بنُ جبيرٍ والضَّحَّاكُ: كان النّاسُ يتقذَّرونَ العُرْجانَ والعُمْيانَ والمرضَى، ويكرَهون مُؤاكلتَهم، وكان أهلُ المدينةِ لا يُخالِطُهم في طعامِهم

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (١٧/ ٣٦٦)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٣/ ٩٢٧)، والنحاس في «الناسخ والمنسوخ» (ص: ٥٩٨)، وذكره الثعلبي في «تفسيره» (١٩/ ٣٢٤) واللفظ له.

أعمـى ولا أعـرجُ ولا مريـضٌ تقـذُّرًا، فأنـزلَ اللهُ هـذه الآيـةَ(١).

استبعدَ هذا القولَ جماعةٌ، وقالوا: لو كان كذلك لقالَ: ليس عليكم حرَجٌ أن تأكُلوا معَهم، ولـم يقُلْ: ﴿لَّيْسَ عَلَى ٱلْأَعْمَىٰ حَرَجٌ﴾.

وأجابَ عن هذا الاستبعادِ بعضُ النُّحاةِ بأنَّ ﴿عَلَى﴾ هاهنا بمعنى: في؛ أي: ليس في الأعمى حرَجٌ ولا في الأعرجِ حرَجٌ، والمعنى: في مُؤاكلةِ الأعمى والأعرجِ.

قال مجاهدٌ: كان قومٌ من أصحابِ رسولِ اللهِ ﷺ إذا لـم يكُنْ عندَهم ما يُطعِمون الأعمى والأعرَجَ والمريضَ ذهبُوا بهم إلى بيوتِ آبائِهم وأمَّهاتِهم أو بعضِ مَن سمَّى اللهُ في هذه الآيةِ، وكان أهلُ الزَّمانةِ يتحرَّجون مِن أن يَطعَمُوا ذلك الطَّعامَ؛ لأنَّه أطعمَهم غيرُ مالكيه، ويقولون: إنَّما يذهبُون بنا إلى بيوتِ غيرِهم، فأنزلَ اللهُ هذه الآيةَ ترخيصًا للمرضى والزَّمْنَى في الأكلِ معهم من بيوتِ مَن سمَّى في الآيةِ(٢)، اختلفوا؛ فمنهم مَن قال: أُبيحَ ذلك بإذنٍ، ومنهم مَن قال: بغيرِ إذنٍ.

سعيدُ بنُ المُسيَّبِ: نزلَتْ في أُناسٍ كانوا إذا خرجوا مع رسولِ اللهِ ﷺ وضعوا

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (١٧/ ٣٦٦)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٨/ ٢٦٤٣) عن الضحاك، ورواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٨/ ٢٦٤٤) عن سعيد بن جبير، وذكره الثعلبي في «تفسيره» (١٩/ ٣٢٦) عنهما.

(٢) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٢٠٦٦)، والطبري في «تفسيره» (١٧/ ٣٦٨)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٨/ ٢٦٤٥).

وضعفه الطبري في «تفسيره» (١٧/ ٣٧١) فقال: «لا معنى لقول من قال: إنما أنزلت هذه الآية من أجل كراهة المستتبَع أكل طعام غير المستتبِع؛ لأن ذلك لو كان كما قال مَن قال ذلك لقيل: ليس عليكم حرج أن تأكلوا من طعام غيرِ من أضافكم، أو: من طعام آباء من دعاكم، ولم يقل: ﴿أَن تَأْكُلُوا۟ مِنۢ بُيُوتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ ءَابَآئِكُمْ﴾».

مفاتيحَ بيوتِهم عندَ الأعمى والمريضِ والأعرَجِ وعندَ أقارِبِهم، وكانوا يأمُرونَهم أن يأكُلوا منها إذا احتاجُوا إلى ذلك، فكانوا يتَّقون أن يأكُلوا منها، ويقولون: نخشى أن لا تكونَ أنفسُهم بذلك طيِّبةً، فأنزلَ اللهُ هذه الآيةَ[1]، وهذا القولُ هو المرضيُّ عند أهلِ التَّأويلِ.

وقال الحسنُ وعبدُ الرَّحمنِ بنُ زيدٍ: انتهى الكلامُ على قوله: ﴿حَرَجٌ﴾، والمُرادُ: لا حرَجَ عليهم في القُعودِ عنِ الجهادِ وغيرِه ممَّا رُخِّصَ لهم فيه؛ كقولِه في الأُخرى: ﴿لَّيْسَ عَلَى ٱلْأَعْمَىٰ حَرَجٌ﴾ الآيةَ [الفتح: ١٧][2].

ثمَّ قال: ﴿وَلَا عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ﴾؛ أي: حرجٌ ﴿أَن تَأْكُلُوا۟﴾؛ أي: في أن تأكلوا ﴿مِنۢ بُيُوتِكُمْ﴾ الآيةَ.

وقال بعضُهم: ﴿وَلَا عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ﴾ إلى آخرِ الآيةِ منسوخةٌ.

وقال ابنُ زيدٍ: هذا شيءٌ قد انقطعَ، كانوا في أوَّلِ الأمرِ ليسَتْ على أبوابِهم أغلاقٌ، وكانتِ[3] السُّتورُ مُرخاةً، فربَّما جاءَ الرَّجلُ فدخلَ البيتَ وهو جائعٌ وليس فيه أحدٌ، فسوَّغَه اللهُ أن يأكلَه، ثمَّ صارَتِ الأغلاقُ على البيوتِ، فلا يحِلُّ لأحدٍ أن

---

(١) رواه النحاس في «الناسخ والمنسوخ» (ص: ٦٠٠)، الواحدي في «أسباب النزول» (ص: ٣٣٠).
ورواه البزار (٢٢٤١ ـ كشف)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٨/ ٢٦٤٦)، والنحاس في «الناسخ والمنسوخ» (ص: ٦٠١)، من حديث عائشة رضي الله عنها، ورجاله رجال الصحيح كما قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٧/ ٨٤).

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (١٧/ ٣٦٩) عن ابن زيد، ورواه النحاس في «معاني القرآن» (٦/ ٥٠٥) عن الحسن. وذكره الثعلبي في «تفسيره» (١٩/ ٣٢٨، ٣٢٩) عنهما، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٨٠٥)، واستغربه.

(٣) في (ف): «فكانت».

يفتَحَها، فذهبَ هذا وانقطعَ[١]، وصارتِ الآيةُ منسوخةً بقولِه سبحانَه: ﴿لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَن يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَىٰ طَعَامٍ﴾ [الأحزاب: ٥٣]، وبقولِه: ﴿لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّىٰ تَسْتَأْنِسُوا﴾ [النور: ٢٧].

وقيل: ليس عليهم حرَجٌ إذا دُعوا إلى وليمةٍ أن يأخُذوا معهم القائدَ.

فهذا هو الكلامُ في سببِ النُّزولِ، والقولُ في النَّاسخِ والمنسوخِ.

قولُه: ﴿لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَىٰ حَرَجٌ﴾ الأعمى: هو الذي فقدَ حِسَّ البصرِ لفسادِ العينِ.

﴿حَرَجٌ﴾: إثمٌ، وحقيقتُه: الضِّيقُ، مُشتقَّةٌ من الحَرَجةِ، وهو موضعُ الشَّجرِ المُلتفِّ، وجمعُها: حَرَجٌ وحَرَجاتٌ وحِراجٌ، وحَرِجَ فلانٌ: أَثِمَ، كأنَّه سلَكَ طريقًا ضيِّقَ المَخرجِ، وتحرَّجَ: اجتَنَبَ الإثمَ.

﴿وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرَجٌ﴾: هو الذي لا يقدرُ على القيامِ، وهو المُقعَدُ أيضًا.

﴿وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرَجٌ﴾: هو الذي خرَجَتْ نفسُه عنِ الاعتدالِ.

﴿وَلَا عَلَىٰ أَنفُسِكُمْ﴾؛ أي: حرَجٌ ﴿أَن تَأْكُلُوا مِن بُيُوتِكُمْ﴾ بيوتِ أنفسِكم.

وقيل: بيوتِ أولادِكم، نزَّلَ بيوتَ الأولادِ منزلةَ بيوتِ الآباءِ؛ لقولِه ﷺ: «أنتَ ومالُكَ لأبيكَ»[٢]، ولهذا لم يذكرِ الأولادَ في الآيةِ.

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (١٧/ ٣٦٩)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٨/ ٢٦٤٦).

(٢) رواه ابن ماجه (٢٢٩١) من حديث جابر رضي الله عنه، وإسناده صحيح على شرط البخاري كما قال البوصيري في «مصباح الزجاجة» (٣/ ٣٧)، وصححه البزار فيما نقله عنه ابن التركماني في «الجوهر النقي» (٧/ ٤٨١)، وصححه أيضًا ابن التركماني، وابن القطان في «بيان الوهم والإيهام» (٥/ ١٠٢ _ ١٠٣).

ورواه ابن حبان في «صحيحه» (٤١٠) من حديث عائشة رضي الله عنها، وإسناده صحيح كذلك.

ورواه أبو داود (٣٥٣٠) من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما، وإسناده حسن.

وقيل: بيوتِ أزواجِكم؛ لاجتماعِ الكلِّ فيها.

وقيل: بيوتِكم التي تسكُنونها خدمةً واتِّصالًا بأربابِها.

ويحتملُ أنَّ المعنى: لا حرجَ عليكم في الأكلِ من بيوتِ المذكورين كما لا حرَجَ عليكم في أكلِكم من بيوتِكم، مثلُ ما تقولُ: أكلُكَ من دارِكَ ومن[1] دارِ صديقِكَ واحدٌ، واللهُ أعلمُ.

﴿أَوْ بُيُوتِ ءَابَآئِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أُمَّهَٰتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ إِخْوَٰنِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخَوَٰتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَعْمَٰمِكُمْ أَوْ بُيُوتِ عَمَّٰتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخْوَٰلِكُمْ أَوْ بُيُوتِ خَٰلَٰتِكُمْ أَوْ مَا مَلَكْتُم مَّفَاتِحَهُۥٓ﴾: جمعُ مِفْتَحٍ، وهو: ما يُفتَحُ به المُغلَقُ، وكذلك المِفتاحُ.

ابنُ عبَّاسٍ رضي الله عنهما: هو وكيلُ الرَّجلِ، له أن يتناوَلَ منَ التَّمرِ ويشرَبَ منَ اللَّبنِ[2].

قتادةُ: يعني: العبدَ؛ لأنَّ مالَه لك[3].

مجاهدٌ: خزائنِ بيوتِكم إذا ملكتُم مفاتيحَها[4].

ابنُ جريرٍ: الزَّمْنَى ملكُوا التَّصرُّفَ في البيوتِ التي سُلِّمَت إليهم مفاتيحُها[5].

وقيل: هو وليُّ اليتيمِ، له أن يتناولَ من مالِه بقَدْرِ ما قالَ اللهُ: ﴿وَمَن كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِٱلْمَعْرُوفِ﴾ [النساء: ٦]، ومفاتيحُه بيدِه.

---

(١) في (ف): «أو من».

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (١٧/ ٣٧٠)، وابن أبي حاتم (٨/ ٢٦٤٨).

(٣) انظر: «تفسير ابن أبي زمنين» (٣/ ٢٤٧)، وقد ذكر نحو هذا القول عن بعضهم بعد ذكر كلام لقتادة في تفسير الآية، وذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٤/ ١٢٤) عن ابن عيسى.

(٤) رواه الطبري في «تفسيره» (١٧/ ٣٧١) بلفظ: «خزائن لأنفسهم ليست لغيرهم».

(٥) انظر: «تفسير الطبري» (١٧/ ٣٧١).

﴿أَوْ صَدِيقِكُمْ﴾ يريدُ: الأصدقاءَ، قال:

دَعْها فَما النَّحْويُّ مِنْ صَدِيقِها[(١)]

والصَّديقُ: هو الذي صدَقَكَ في[(٢)] مودَّتِه.

وقيل: هو الذي يُوافِقُك في ظاهِرِه وباطِنِه.

وعن ابنِ عبَّاسٍ رضي الله عنهما: الصَّديقُ أكبرُ منَ الوالدَين، ألا ترى أنَّ أهلَ النَّارِ لم يستغيثوا بالآباءِ والأمَّهاتِ، بل قالوا: ﴿فَمَا لَنَا مِن شَٰفِعِينَ ﴿١٠٠﴾ وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ﴾ [الشعراء: ١٠٠ ـ ١٠١][(٣)]؟

---

(١) الرجز لرؤبة. وقبله:

تنحَّ للعجوز عن طريقها

قد أقبلت رائحة من سوقها

انظر: «ملحق ديوانه» (ص: ١٨١)، و«جمهرة اللغة» (٢/ ٦٥٦)، و«الحجة» للفارسي (٢/ ١٣١)، و«المحكم» (٣/ ٢٩٣)، و«البسيط» (١٣/ ٤٨١).

قال ابن دريد: أخبرنا أبو عثمان عن التوزي قال: كان رؤبة يقعد بعد صلاة الجمعة في رَحْبَة بني تميم فينشد ويجتمع النَّاس إليه فازدحموا يومًا فضيَّقوا الطريق فأَقبلت عجوز معها شيء تحمله فقال رؤبة: تنَحَّ للعجوز...الأبيات.

وقيل: البيت لامرأة من العرب مرت بأبي زيد النحوي وأصحابه وقد ضيقوا الطريق، فلم يمكنها أن تجوز، فقالت لأبي زيد. كما في «الزاهر» (١/ ٢١٥)، و«الإبانة في اللغة» للعوتبي (٣/ ٣٤٢).

والشاهد فيه كما قال الرضي في «شرح الشافية» (٤/١٣٨): أن صديقاً فيه جمع؛ لأن «مِن» للتبعيض، ولا يصح أن يكون النحوي بعض صديق، بل يكون بعض الأصدقاء، كأنه قال: دعها فما النحوي من أصدقائها.

(٢) «في»: من (ف).

(٣) ذكره عن ابن عباس الماوردي في «النكت والعيون» (٤/ ١٢٤)، ابن عطية في «المحرر الوجيز» (٤/ ١٩٦) وفيه: «الصديق أوكد من القرابة»، وكذلك في «تفسير القرطبي» (١٢/ ٣١٦)، و«البحر المحيط» (٨/ ٧٢)، فلعل لفظ (أكبر) أو (أكثر) الذي ذكره الماوردي وتناقله عنه المفسرون محرّف =

وقال ﷺ: «قد جعَلَ اللهُ في الصَّديقِ البارِّ عِوَضًا عن الرَّحمِ المذمومةِ»(١).

فرخَّصَ أن يأكلَ من بيتِه بغيرِ إذنِه. وقيل: هو إذا دعاكَ إلى وليمةٍ فحَسْبُ.

﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَأْكُلُوا۟ جَمِيعًا أَوْ أَشْتَاتًا﴾ في سببِ النُّزولِ: قتادةُ والضَّحَّاكُ: نزلَتْ في حيٍّ من بني كنانةَ يُقالُ لهم: بنو ليثِ بنِ عمرٍو، كانوا يتحرَّجون أن يأكُلَ الرَّجلُ وحدَه، فربَّما قعدَ الرَّجلُ والطَّعامُ بين يدَيه مِن الصَّباحِ إلى الرَّواحِ، والأحوالُ مُنتظِمةٌ؛ تحرُّجًا من أن يأكلَ وحدَه، فإذا أمسى ولم يجِدْ أحدًا أكلَ، فأنزلَ اللهُ هذه الآيةَ(٢).

عكرمةُ: نزلَتْ في قومٍ منَ الأنصارِ كانوا لا يأكلون إذا نزلَ بهم ضيفٌ إلّا مع ضيفِهم، فرخَّصَ لهم أن يأكلوا كيف شاؤوا؛ مُجتمِعِينَ أو أشتاتًا مُتفرِّقين(٣).

النَّقَّاشُ: نزلَتْ في قومٍ كانوا يتحرَّجون أن يأكلوا جميعًا مخافةَ أن يأكلَ أكثرَ من صاحبِه، فنزلَت فيهم(٤).

وقيل: نزلَتْ في قومٍ سَفْرٍ اشتركوا في زادِهم، وكان إذا تأخَّرَ أحدُهم أمسَكَ الباقون عنِ الأكلِ حتَّى يحضُرَ، فنزلت فيهم ترخيصًا.

= عن (آكدُ) أو (أبرُّ)، والله أعلم.

(١) ذكره هكذا الماوردي في «النكت والعيون» (٤/ ١٢٤) مرفوعًا بلا سند، ورواه أبو عبد الرحمن السلمي في «آداب الصحبة» (٦٩)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٤٩/ ١٨٦) عن القاسم بن محمد من قوله بلفظ: «قد جعل الله تعالى في الصديق البار عوضاً عن الرحم المدبر».

(٢) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٢٠٧٠)، والطبري في «تفسيره» (١٧/ ٣٧٦) عن قتادة، ورواه الطبري في «تفسيره» (١٧/ ٣٧٦) عن الضحاك. وذكره الثعلبي في «تفسيره» (١٩/ ٣٣٢) عن قتادة والضحاك وابن جريج.

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (١٧/ ٣٧٧).

(٤) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٤/ ١٢٥).

و﴿أَشۡتَاتٗا﴾: جمعُ شَتٍّ؛ أي: مُتفرِّقين، وشتَّى جمعُ شتيتٍ، وشَتَّ الشَّيءُ يَشِتُّ شَتًّا وشَتاتًا، وتَشَتَّتَ بمعناه، وأشَتَّه غيرُه، وشَتَّانَ: اسمٌ للفعلِ بُنِيَ على الفتحِ، وقيل: نُصِبَ على المصدرِ، وحُكِيَ فيه الكسرُ أيضًا(٥).

﴿فَإِذَا دَخَلۡتُم بُيُوتٗا فَسَلِّمُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمۡ﴾ يعني: على مَن فيها منَ المؤمنين، والمؤمنون كلُّهم كنفسٍ واحدةٍ.

وقيل: على إخوانِكم وأقربائِكم؛ لأنَّهم بمنزلةِ نفسٍ واحدةٍ.

وقيل: إذا دخلتُم بيوتًا خاليةً فقولوا: السَّلامُ علينا من ربِّنا وعلى عبادِ اللهِ الصّالحين.

وقيل: إذا دخلتُم بيوتَ الكفَّارِ فسلِّموا على أنفُسِكم.

ابنُ عبَّاسٍ رضي اللهُ عنهما: إذا دخلتُم المساجدَ فسلِّموا على مَن فيها(٦).

وقيل: إذا دخلتُم بيوتَكم فسلِّموا على أولادِكم وعيالِكم.

ومعنى (السَّلامُ عليكم): حفِظَكُم اللهُ وسلَّمَكُم منَ الآفاتِ.

وقيل: معناه: لكم السَّلامةُ منِّي.

وقيل: السَّلامُ: اسمٌ من أسماءِ اللهِ عزَّ وجلَّ، والمعنى: اللهُ حفيظٌ عليكم.

---

(٥) انظر: «الأصول» لابن السراج (٢/ ١٣٣)، و«شرح الكتاب» للسيرافي (١/ ١٠٢)، والكسر حكاه الفراء، كما في «إسفار الفصيح» للهروي (٢/ ٨٢١).

(٦) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٢٠٧٤)، والفاكهي في «أخبار مكة» (١٢٩٠)، والطبري في «تفسيره» (١٧/ ٣٨١)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٨/ ٢٦٥٠) بألفاظ متقاربة، ولفظ عبد الرزاق: «هو المسجد إذا دخلته فقل: السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين»، وذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٤/ ١٢٦) واللفظ له.

﴿تَحِيَّةً مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ﴾ تُحيُّون أنفسَكم تحيَّةً، ويجوزُ أن يكونَ نصبًا على المصدرِ من قولِه: ﴿فَسَلِّمُواْ﴾ وإنْ لـم يكُنْ من لفظِه؛ كما تقولُ: قعَدَ القُرْفُصاءَ.

ومعنى ﴿مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ﴾: من أمرِ اللهِ؛ لأنَّه أمرَ به.

وقيل: لأنَ الملائكةَ يُحَيُّونَ بالسَّلامِ.

وقيل: هذا إذا قالوا: السَّلامُ علينا من ربِّنا.

﴿مُبَـٰرَكَةً﴾؛ أي: فليتبرَّكوا بها، فإنَّ اللهَ يستجيبُ دعاءَ بعضِهم لبعضٍ بالسَّلامةِ من الآفاتِ.

وقيل: جعلَها مباركةً لِـمَا فيها منَ الثَّوابِ العظيمِ.

وقيل: إذا لزِمْتُموها كثُرَ خيرُكم.

﴿طَيِّبَةً﴾ تطيبُ بها نفسُ المُستمِعِ؛ لِـمَا فيها مِن حُسنِ الثَّناءِ.

وقيل: لِـمَا فيها منَ التَّواصلِ.

وقيل: ﴿مُبَـٰرَكَةً﴾: ناميةً بالأجرِ، ﴿طَيِّبَةً﴾: هنيئةً بالمغفرةِ.

﴿كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْأَيَـٰتِ﴾؛ أي: كما بيَّنَّاها هاهنا نُبيِّنُها في غيرِه.

وقيل: كما دلَّكم.

وقيل: كما فصَّلَ لكم.

ابنُ بحرٍ: إذا أرادَ فَرْضَ شيءٍ عليكم بيَّنَه هذا البيانَ.

﴿لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾: لكي تعقِلوا وتفهَموا.

وقيل: لتكونوا عُقلاءَ صالحين.

***

(٦٢) ـ ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَإِذَا كَانُوا۟ مَعَهُۥ عَلَىٰٓ أَمْرٍ جَامِعٍ لَّمْ يَذْهَبُوا۟ حَتَّىٰ يَسْتَـْٔذِنُوهُ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَـْٔذِنُونَكَ أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۚ فَإِذَا ٱسْتَـْٔذَنُوكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ فَأْذَن لِّمَن شِئْتَ مِنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمُ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾.

﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾؛ أي: المؤمنُ: مَن آمنَ باللهِ ورسوله، وأطاعَ رسولَه في جليلِ الأمرِ ودقيقِه.

﴿وَإِذَا كَانُوا۟ مَعَهُۥ عَلَىٰٓ أَمْرٍ جَامِعٍ﴾ كالجمعةِ والعيدينِ وكلِّ اجتماعٍ فيه خطبةٌ.

وقيل: هو الجهادُ.

وقيل: في مجلسِ تشاوُرٍ وتدبيرِ حربٍ.

وقيل: في أمرٍ يجمعُهم نفعُه وضرُّه.

﴿لَّمْ يَذْهَبُوا۟﴾: لـم يخرُجوا عنه ﴿حَتَّىٰ يَسْتَـْٔذِنُوهُ﴾؛ أي: يستأذِنوا رسولَ اللهِ ﷺ تعظيمًا له.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَـْٔذِنُونَكَ أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾؛ أي: هم الذين جمَعُوا شرائطَ الإيمانِ ﴿فَإِذَا ٱسْتَـْٔذَنُوكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ﴾: أمرِهم ﴿فَأْذَن لِّمَن شِئْتَ مِنْهُمْ﴾؛ أي: لِمن علمْتَ أنَّ له عذرًا، نزلت في عمرَ بنِ الخطَّابِ رضي الله عنه، كان مع رسولِ اللهِ ﷺ في غزاةِ تبوكَ، فاستأذنَه في الرُّجوعِ إلى أهلِه، فقالَ له رسولُ اللهِ ﷺ: «انطلقْ؛ فواللهِ ما أنتَ بمُنافقٍ ولا مُرتابٍ»، حكاه جماعةٌ منَ المفسِّرين(١).

﴿وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمُ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾؛ أي: لِمن أذِنتَ له؛ ليزولَ عنهم بالاستغفارِ ملامةُ الانصرافِ.

---

(١) ذكره مقاتل في «تفسيره» (٣/ ٢١٠)، والماوردي في «النكت والعيون» (٤/ ٢٧)، والواحدي في «البسيط» (١٦/ ٣٨٦).

قتادةُ: هذه ناسخةٌ لقولِه: ﴿لِمَ أَذِنتَ لَهُمْ﴾ [التوبة: ٤٣][1].

***

(٦٣) - ﴿لَّا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُم بَعْضًا قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنكُمْ لِوَاذًا فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾.

﴿لَّا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُم بَعْضًا﴾ ابنُ عبَّاسٍ رضي الله عنهما: لا تتعرَّضوا لسُخْطِه، فإنَّ دُعاءَه عليكم مُوجِبٌ ليس كدعاءِ غيرِه[2].

مجاهدٌ في جماعةٍ: لا تنادوه: «يا محمَّدُ» كما يُنادي بعضُكم بعضًا، ولكنْ عظِّموه، مثلُه: ﴿وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ﴾ [الحجرات: ٢]؛ أي: قولوا: يا رسولَ اللهِ، يا نبيَّ اللهِ[3].

وقيل: معناه: إذا دعاكم لأمرٍ فعجِّلوا الإجابةَ وبادِروا إليه[4]؛ كقولِه: ﴿اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ﴾ [الأنفال: ٢٤].

﴿قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنكُمْ لِوَاذًا﴾ التَّسلُّلُ: الخروجُ منَ الشَّيءِ، وكذلك الانسِلالُ، واللِّواذُ مصدرُ لاوَذَ يُلاوِذُ مُلاوَذةً، وهو الاعتصامُ بالشَّيءِ

---

(١) رواه يحيى بن سلام في «تفسيره» (١/ ٤٦٦)، والطبري في «تفسيره» (١١/ ٤٧٩)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٦/ ١٨٠٥).

(٢) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (١٩/ ٣٤٧)، ورواه الطبري في «تفسيره» (١٧/ ٣٨٨)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٨/ ٢٦٥٥) بلفظ: «دعوة الرسول عليكم موجبة، فاحذروها».

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (١٧/ ٣٨٩)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٨/ ٢٦٥٥)، ورواه المروزي في «تعظيم قدر الصلاة» (٧٢٨) عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٤) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٨٠٥)، واستغربه.

بالدَّورِ معه حيثُ دارَ؛ أي: يلوذُ بعضُكم ببعضٍ، فينضَمُّ إليه استتارًا من رسولِ اللهِ ﷺ بالرِّجالِ والسَّارية؛ يُريدُ: الذين كانوا يُفارِقُونَ رسولَ اللهِ ﷺ إذا سمِعُوا ما يكرهون في الجمعةِ.

الحسنُ: ﴿لِوَاذًا﴾: فِرارًا منَ الجهادِ(١).

وقيل: هذا في حفرِ الخندقِ، وكان المُنافقون ينصرِفونَ بغيرِ إذنِ رسولِ اللهِ ﷺ، ﴿لِوَاذًا﴾ مُختَفين، حكاه الثَّعلبيُّ وغيرُه(٢).

﴿فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ﴾؛ أي: يُخالفون أمرَه، و﴿عَنْ﴾ زيادةٌ(٣).

وقيل: معناه: يُعرِضُونَ عن أمرِه.

وقيل: بعد أمرِه(٤)؛ كقولِه: ﴿أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ﴾ [قريش: ٤]؛ أي: بعدَ جوعٍ.

والهاءُ يعودُ إلى اللهِ، وقيل: إلى النَّبيِّ ﷺ.

والأمرُ: هو من أمورِ الدُّنيا، وقيل: من أمورِ الآخرةِ.

﴿أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ﴾: مكروهٌ من عدوِّهم.

وقيل: قتلٌ.

وقيل: عقوبةٌ شديدةٌ في الآخرةِ.

---

(١) ذكره ابن فورك في «تفسيره» (١/ ١٦٩)، والماوردي في «النكت والعيون» (٤/ ١٢٨).

(٢) انظر: «تفسير الثعلبي» (١٩/ ٣٤٩). ورواه البيهقي في «الدلائل» (٣/ ٤٠٨-٤٠٩) من طريق ابن إسحاق عن يزيد بن رومان، وعن يزيد بن زياد عن محمد بن كعب، وهو في «السيرة النبوية» لابن هشام (٢/ ٢١٦).

(٣) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٨٠٦)، واستغربه.

(٤) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٨٠٦)، واستغربه.

ابنُ جريرٍ: كفرٌ[١].

ابنُ عيسى: فتنةٌ تُخرجُ ما في الضَّميرِ[٢].

﴿أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ منَ اللهِ عزَّ وجلَّ في الآخرةِ.

وقيل: قتلٌ في الدُّنيا.

***

(٦٤) - ﴿أَلَآ إِنَّ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ قَدْ يَعْلَمُ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ وَيَوْمَ يُرْجَعُونَ إِلَيْهِ فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا۟ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌۢ﴾.

﴿أَلَآ إِنَّ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ قَدْ يَعْلَمُ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ﴾ مِن الخيرِ والشَّرِّ فاحذروا مخالفته ﴿وَيَوْمَ يُرْجَعُونَ إِلَيْهِ﴾: إلى موضعِ الجزاءِ ﴿فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا۟﴾؛ أي: يَجْزيهم على أعمالِهم في القيامةِ ويُعاقبُهم عليها.

﴿وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌۢ﴾: لا تخفى عليه خافيةٌ فيهما.

ورُوِيَ عن الأعمشِ عن شقيقِ بنِ سلمةَ قال: شهِدتُ ابنَ عبَّاسٍ رضي الله عنهما وليَ الموسمَ فقرأَ سورةَ النُّورِ على المنبرِ وفسَّرَها، فلو سمعَتِ الرُّومُ لأسلَمَتْ[٣].

***

(١) انظر: «تفسير الطبري» (١٧/ ٣٩١).

(٢) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٤/ ١٢٩).

(٣) رواه عبد الله بن الإمام أحمد في زوائده على «فضائل الصحابة» لأبيه (١٩٣٤)، ويعقوب بن سفيان في «المعرفة والتاريخ» (١/ ٢٦٧)، والطبري في «تفسيره» (١/ ٧٥)، والحاكم في «المستدرك» (٦٢٩٠)، وصحح إسناده الحافظ في «الفتح» (٧/ ١٠٠).

سُورَةُ الفُرقَانِ

سُورَةُ الفُرْقَانِ

سبعٌ وسبعونَ آيةً[1].

مكِّيَّةٌ؛ قال ابنُ عبَّاسٍ رضي الله عنهما وقتادةُ: إلا ثلاثَ آياتٍ من قولِه: ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَدۡعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ﴾ [الفرقان: ٦٨ ـ ٧٠][2].

بسمِ اللهِ الرَّحمنِ الرَّحيمِ

(١) ـ ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِي نَزَّلَ ٱلۡفُرۡقَانَ عَلَىٰ عَبۡدِهِۦ لِيَكُونَ لِلۡعَٰلَمِينَ نَذِيرًا﴾.

﴿تَبَارَكَ﴾: تعالى وارْتفعَ.

الحسنُ: هو الذي تجيءُ البركةُ من قِبَلِه[3].

وقيل: تبارَكَ على الشَّيءِ: واظَبَ عليه.

وهذه لفظةٌ لا تُستعملُ إلا لله وحدَه، ولا يُستَعملُ منه إلا الماضي فحسبُ، وأصلُه من دَوامِ الشَّيءِ وثباتِه، ومنه: البِرْكةُ؛ لدوامِ الماءِ فيها وبقائِه. وقيل: أصلُه الزِّيادةُ.

---

(١) «سبع وسبعون آية»: ليس في (ف). وقد نقل أبو عمرو الداني الإجماع عليه. انظر: «البيان في عد آي القرآن» (ص: ١٩٤).

(٢) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٤/ ١٣٠)، وابن الجوزي في «زاد المسير» (٣/ ٣١١).

(٣) ذكره ابن فورك في «تفسيره» (١/ ١٧٠)، والثعلبي في «تفسيره» (١٩/ ٣٥٥)، والماوردي في «النكت والعيون» (٤/ ١٣٠).

﴿ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ﴾: القرآنَ الفارِقَ بين الحقِّ والباطلِ والحلالِ والحرامِ.

﴿عَلَىٰ عَبْدِهِۦ﴾ محمَّدٍ ﷺ.

وقيل: ﴿ٱلْفُرْقَانَ﴾ هاهنا اسمٌ لجميعِ كتُبِ الله، ولا تحتمِلُ الآيةُ هذا القولَ إلا أن يُجعَلَ ﴿عَبْدِهِۦ﴾ للجنسِ، كقوله ﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ﴾ [إبراهيم: ٣٤]، أو يُجعَلَ القرآنُ مُشتمِلًا على جميع ما في سائرِ كتبِ الله.

﴿لِيَكُونَ﴾ العبدُ ﴿لِلْعَٰلَمِينَ﴾: الجنِّ والإنسِ ﴿نَذِيرًا﴾: مُنذِرًا يُعْلِمُ النَّاسَ خبرَ البَعثِ والنُّشورِ، والمُنذِرُ: المُخبِرُ بوقوعِ مكروهٍ.

وقيل: ليكونَ الفرقانُ نذيرًا لأهلِ كلِّ زمانٍ.

وقيل: ليكونَ الذي نزَّلَ الفرقانَ ـ وهو اللهُ سبحانَه ـ للخلائقِ كلِّها مُنذِرًا، وقد جاء في وصف الله: المُنذرُ[1]، نحوَ قولِه: ﴿إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ﴾ [الدخان: ٣]، فيَحسُنُ على هذا التَّأويلِ أن يكونَ ﴿ٱلْفُرْقَانَ﴾ جميعَ كتُبه و﴿عَبْدِهِۦ﴾ جميعَ رسلِه[2].

***

(٢) ـ ﴿ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا﴾.

﴿ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا﴾ كما زعَمَ النَّصارى.

﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ﴾ كما قال المُشرِكونَ والثَّنَويَّةُ.

وقيل: معنى ﴿لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا﴾: لم يُنزِّلْ أحدًا منزلةَ الولدِ؛ لأنَّ ما لا يجوزُ على الله على الحقيقةِ لا يجوزُ عليه على التَّشبيهِ.

---

(١) في (ف): «بالمنذر».

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٨٠٧)، واستغربه.

﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ﴾؛ أي: كلَّ شيءٍ يجوزُ وصفُه بالخَلْقِ.

وقيل: اللَّفظُ عامٌّ والمعنى ليس بعامٍّ؛ كقوله ﴿وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَيْءٍ﴾ [النمل: ٢٣].

﴿فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا﴾ على مُقتَضى الحكمةِ وتناسُبِ بعضِه إلى بعضٍ على اعتدالٍ.

وقيل: خلقَ ما خلقَ على مقدارٍ يعرفُه، ولم يخلُقْ شيئًا على سبيلِ سهوٍ وغفلةٍ.

وقيل: بيَّن مُدَّةَ بقائِه.

وقيل: كتبَه في اللَّوحِ المحفوظِ.

* * *

(٣) - ﴿وَاتَّخَذُوا مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً لَّا يَخْلُقُونَ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَوٰةً وَلَا نُشُورًا﴾.

﴿وَاتَّخَذُوا مِن دُونِهِۦٓ﴾ الواوُ ضميرُ الكفَّارِ، وهم مُندَرِجون في قولِه ﴿لِلْعَٰلَمِينَ﴾.

وقيل: لفظُ ﴿نَذِيرًا﴾ يُنبِئُ عنهم؛ لأنَّهم المُنذَرون[1].

﴿ءَالِهَةً﴾؛ أي: الأصنامَ، وقيل: عيسى والملائكةَ والأصنامَ.

﴿لَّا يَخْلُقُونَ شَيْـًٔا﴾: لا يقدِرُونَ أن يخلُقوا ذبابًا فضلًا عن غيرِه ﴿وَهُمْ يُخْلَقُونَ﴾ يعني: الأصنامَ. وقيل: عيسى والملائكةَ والأصنامَ. ويحتمِلُ: الكفَّارَ[2].

﴿وَلَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ﴾؛ أي: المعبودون ﴿ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا﴾: إماتةً ﴿وَلَا حَيَوٰةً﴾: ولا إحياءً ﴿وَلَا نُشُورًا﴾: إحياءً بعد الموتِ، تقولُ: أنشَرَ اللهُ الموتى فنشَرُوا.

* * *

---

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٨٠٨)، واستغربه.

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٨٠٨)، واستغربه.

(٤) ـ ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ إِفْكٌ ٱفْتَرَىٰهُ وَأَعَانَهُۥ عَلَيْهِ قَوْمٌ ءَاخَرُونَ فَقَدْ جَآءُو ظُلْمًا وَزُورًا﴾.

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِنْ هَٰذَآ﴾: ما هذا القرآنُ ﴿إِلَّآ إِفْكٌ﴾: كذبٌ مصروفٌ عن وجهِه، والإفكُ: أسوأُ الكذبِ.

﴿ٱفْتَرَىٰهُ﴾: اختلَقَه، وأصلُه: الفَرْيُ، وهو: القطعُ للإصلاح[1].

ابنُ عبَّاسٍ رضي الله عنهما قال: هذا كلامُ النَّضرِ بنِ الحارثِ وأتباعِه[2].

﴿وَأَعَانَهُۥ عَلَيْهِ قَوْمٌ ءَاخَرُونَ﴾ عَنَوا بهم اليهودَ؛ أي: هم يُلْقُون أخبارَ الأممِ إليه، وهو يكسوها عبارتَه.

وقيل: عَنَوا بهم جَبرًا ويسارًا، وقد سبقَ في قوله ﴿إِنَّمَا يُعَلِّمُهُۥ بَشَرٌ﴾ [النحل: ١٠٣].

المُبرِّدُ: عَنَوا بقولِهم: ﴿قَوْمٌ ءَاخَرُونَ﴾: المؤمنين؛ لأنَّ (آخَر) لا يكونُ إلا من جنسِ الأوَّلِ[3]، فأجابَهم الله وقالَ:

﴿فَقَدْ جَآءُو ظُلْمًا وَزُورًا﴾؛ أي: بظُلْمٍ وزورٍ، وظلَمُوا فيما قالوا وزوَّروا، والتَّزويرُ: الكذبُ في الشَّهادةِ والحديثِ.

وقيل: المُزوَّرُ منَ الكتابِ ما زِيدَ فيه ونُقِصَ.

وقيل: هذا من كلامِ الكفَّارِ[4]، والضَّميرُ يعودُ إلى قولِه: ﴿قَوْمٌ ءَاخَرُونَ﴾.

---

(١) انظر: «غريب الحديث» للقاسم بن سلام (٥/ ٢٤٠)، و«النهاية» لابن الأثير (٣/ ٤٤٢).

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (١٧/ ٣٩٩) مطولًا، وذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٤/ ١٣٢).

(٣) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٨٠٨)، واستغربه.

(٤) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٨٠٨)، واستغربه.

(٥) - ﴿ وَقَالُوٓا۟ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ٱكْتَتَبَهَا فَهِىَ تُمْلَىٰ عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴾.

﴿ وَقَالُوٓا۟ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴾؛ أي: هذه أحاديثُهم التي سطروها ﴿ٱكْتَتَبَهَا﴾: أمرَ بكَتْبِها.

وقيلَ: جمعَها، من قولهم: كتبتُ الشَّيءَ؛ أي: جمعتُه.

وقيل: كتبَها بيدِه، فيكونُ من جملةِ كذبِهم عليه[1]؛ لأنَّه عليه السَّلامُ لم يكُنْ يكتبُ، وسيأتي بيانُه في قولِه: ﴿وَلَا تَخُطُّهُۥ بِيَمِينِكَ﴾ [العنكبوت: ٤٨].

﴿فَهِىَ﴾؛ أي: الأساطيرُ ﴿تُمْلَىٰ عَلَيْهِ﴾: تُمَلُّ عليه ﴿بُكْرَةً﴾: أوَّلَ النَّهارِ ﴿وَأَصِيلًا﴾: آخرَه.

وقيل: عبارتان عن النَّهارِ واللَّيلِ.

* * *

(٦) - ﴿ قُلْ أَنزَلَهُ ٱلَّذِى يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾.

﴿ قُلْ ﴾ يا محمَّدُ: ﴿أَنزَلَهُ﴾؛ أي: القرآنَ ﴿ٱلَّذِى يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ السِّرُّ: إخفاءُ المعنى في القلبِ؛ أي: يُنزِلُه على ما يقتضيه علمُه بباطنِ الأمورِ ﴿إِنَّهُۥ كَانَ غَفُورًا﴾ عن جهلِ العبادِ فلا يَعْجلُ ﴿رَّحِيمًا﴾ لمَن آمنَ.

* * *

(٧) - ﴿وَقَالُوا۟ مَالِ هَٰذَا ٱلرَّسُولِ يَأْكُلُ ٱلطَّعَامَ وَيَمْشِى فِى ٱلْأَسْوَاقِ ۙ لَوْلَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونَ مَعَهُۥ نَذِيرًا ﴾.

﴿وَقَالُوا۟ مَالِ هَٰذَا ٱلرَّسُولِ يَأْكُلُ ٱلطَّعَامَ وَيَمْشِى فِى ٱلْأَسْوَاقِ﴾؛ أي: لِمَ يأكلُ كما نأكلُ؟ ولِمَ يمشي في الأسواقِ كما نمشي؟ فهلَّا امتازَ عنَّا بتركِ الأكلِ والمشيِ في

---

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٨٠٨)، واستغربه.

الأسواقِ، وهذا خطأٌ منهم؛ لأنَّ الامتيازَ والتَّفاضُلَ يُوجَدانِ مع بقاءِ صفةِ الجنسيَّةِ، وذلك إذا فُضِّلَ بالرِّسالةِ.

﴿لَوْلَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونَ مَعَهُۥ نَذِيرًا﴾؛ أي: هلَّا، ولهذا نُصِبَ الجوابُ، والمعنى: هلَّا كانَ معه مَلَكٌ يدلُّ على صدقِه ويكونُ مُعينًا له في الإنذارِ، وهذا أيضًا خطأٌ؛ لأنَّ ذلك يُؤدِّي إلى استصغارِ كلِّ واحدٍ منهما حيثُ لم يقُمْ بنفسِه في أداءِ الرِّسالةِ، ولأنَّ الجنسَ إلى الجنسِ أميَلُ وبه آنَسُ.

وقيل: ﴿مَعَهُۥ نَذِيرًا﴾ يرجعُ إلى رأيِه.

***

(٨) - ﴿أَوْ يُلْقَىٰٓ إِلَيْهِ كَنزٌ أَوْ تَكُونُ لَهُۥ جَنَّةٌ يَأْكُلُ مِنْهَا وَقَالَ الظَّٰلِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا﴾.

﴿أَوْ يُلْقَىٰٓ إِلَيْهِ كَنزٌ﴾ مالٌ.

قال الحسنُ: والله ما زَواها عن نبيِّه إلا اختيارًا، ولا بسَطَها لغيرِه إلا اغترارًا[1].

وحسَّنَ عطفَ ﴿يُلْقَىٰٓ﴾ و﴿تَكُونُ﴾ وهما مُضارِعانِ على ﴿أُنزِلَ﴾ وهو ماضٍ دخولُ المضارعِ بينهما ﴿فَيَكُونَ مَعَهُۥ﴾.

﴿أَوْ تَكُونُ لَهُۥ جَنَّةٌ﴾: بستانٌ ﴿يَأْكُلُ مِنْهَا﴾: من ثمرِها.

وقيل: يختصُّ بأكلِها حتى يتبيَّنَ في مأكلِه أيضًا، وهذا أيضًا خطأٌ حيثُ لا مُنافاةَ بين الفقرِ والرِّسالةِ.

وقُرِئَ: ﴿نَأْكُلُ﴾ بالنُّونِ[2]؛ أي: يأكل هو ويُؤكِلُنا، ويحتمِلُ أنَّهم قالوا: ﴿نأكلُ﴾ بالنُّونِ استهزاءً.

---

(١) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٤/ ١٣٣).

(٢) هي قراءة حمزة والكسائي، والباقون بالياء. انظر «السبعة» (ص: ٤٦٢)، و«التيسير» (ص: ١٦٣).

﴿وَقَالَ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ يعني: كفارَ قُريشٍ، وقيل: عبدُ الله بنُ الزِّبَعْرَى.

﴿إِن تَتَّبِعُونَ﴾: ما تُطيعونَ ﴿إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا﴾ سُحِرَ فجُنَّ.

وقيل: ﴿مَّسْحُورًا﴾: له سَحْرٌ[1].

وقيل: يُسْحَرُ بالطَّعامِ والشَّرابِ؛ أي: يُغْذَى.

وقيل: مخدوعٌ.

ويحتمِلُ: أُصيبَ سَحْرُه بعلَّةٍ، كما تقولُ: رأَسْتُه ورَجَلْتُه؛ أي: ضربتُ رأسَه ورِجْلَه[2].

وحكى الماوَرْدِيُّ: ﴿مَّسْحُورًا﴾: يسحرُكم فيما يقولُه[3]، وهذا يقتضي: ساحرًا، لا ﴿مَّسْحُورًا﴾.

* * *

(٩) ـ ﴿ٱنظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا۟ لَكَ ٱلْأَمْثَٰلَ فَضَلُّوا۟ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا﴾.

﴿ٱنظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا۟ لَكَ ٱلْأَمْثَٰلَ﴾؛ أي: وصَفُوكَ بغيرِ وصفِكَ ﴿فَضَلُّوا۟﴾ الهدى ﴿فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا﴾ إلى الرَّشادِ.

وقيل: ﴿فَضَلُّوا۟﴾؛ أي: أخطَؤوا في التَّشبيهِ حيثُ ناقَضُوا؛ فمرَّةً يقولون: هو بليغٌ فصيحٌ يتقوَّلُ القرآنَ من نفسِه ويفتَرِيهِ، ومرَّةً يقولون: مجنونٌ، ومرَّةً: ساحرٌ، ومرَّةً: مسحورٌ، ﴿فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا﴾ إلى حُجَّةٍ وبُرهانٍ على ما يقولون.

---

(١) أي: هو ذا سَحْرٍ وهُو الرِّئة، عَنَوا أنَّه بَشرٌ لا مَلَكٌ. انظر: «الكشاف» (٣/ ٢٦٦)، وقد ذكر المصنف هذا القول والذين بعده في تفسير قوله تعالى: ﴿إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا﴾ [الإسراء: ٤٧].

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٨٠٩)، واستغربه.

(٣) انظر: «النكت والعيون» للماوردي (٤/ ١٣٤)، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٨٠٩)، وعدَّه من العجائب.

(١٠) - ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِيٓ إِن شَآءَ جَعَلَ لَكَ خَيۡرٗا مِّن ذَٰلِكَ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ وَيَجۡعَل لَّكَ قُصُورَۢا﴾.

﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِيٓ إِن شَآءَ جَعَلَ لَكَ خَيۡرٗا مِّن ذَٰلِكَ﴾ إشارةٌ إلى قولِهم: ﴿أَوۡ تَكُونُ لَهُۥ جَنَّةٞ﴾ [الفرقان: ٨].

وقيل: إلى الكنزِ والجنَّةِ، ووحَّدَ كقولِه: ﴿بَيۡنَ ذَٰلِكَ﴾ [البقرة: ٦٨].

وعن ابنِ عبَّاسٍ رضي الله عنهما: خيرًا من أن تمشيَ في الأسواقِ لطلَبِ المعاشِ(١).

﴿جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ﴾ يعني: في الدُّنيا ﴿وَيَجۡعَل لَّكَ قُصُورَۢا﴾ مَن جزمَ جعلَه عطفًا على محلِّ جزاءِ الشَّرطِ، فتكونُ القصورُ في الدُّنيا، ومَن رفعَ(٢) فهو وعدٌ منَ الله لنبيِّه في الآخرةِ، وهي قُصورُ الجِنانِ.

وقيل: ﴿إِن شَآءَ﴾ بمعنى: قد شاءَ، وهو فاعلُه، فتكونُ الجنَّاتُ والقصورُ في الجنَّةِ.

والقَصْرُ: كلُّ بيتٍ رفيعٍ.

وقيل: القَصْرُ: المسكَنُ العالي ذو المجالسِ الرَّفيعةِ والشُّرُفاتِ المَشيدةِ.

وفي سببِ النُّزولِ عن ابنِ عبَّاسٍ رضي الله عنهما: أنَّ هذه الآيةَ أنزلَها رضوانُ لمَّا قالوا: ﴿مَالِ هَٰذَا ٱلرَّسُولِ يَأۡكُلُ ٱلطَّعَامَ﴾ [الفرقان: ٧] الآيات، وكان معه سفَطٌ من نورٍ يتلألأُ، فقالَ: يقولُ لك ربُّكَ: هذه مفاتيحُ خزائنِ الدُّنيا مع ما

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (١٧/ ٤٠٦).

(٢) هم ابن كثير وأبو بكر وابن عامر، وقرأ الباقون بالجزم. انظر «السبعة» (ص: ٤٦٢)، و«التيسير» (ص: ١٦٣).

لَـكَ عنـدي من غيـرِ نُقصـانٍ مثلَ جنـاحِ بعوضـةٍ، فقـال عليه السَّـلامُ: «يـا رضوانُ، لا حاجـةَ لـي فيها، الفقـرُ أحبُّ إلـيَّ، وأن أكونَ عبدًا شـكورًا صابرًا» فقـال رضوانُ: أصبـتَ أصـابَ اللهُ بك(١).

***

(١١) ـ ﴿بَلْ كَذَّبُوا بِالسَّاعَةِ وَأَعْتَدْنَا لِمَن كَذَّبَ بِالسَّاعَةِ سَعِيرًا﴾.

﴿بَلْ كَذَّبُوا بِالسَّاعَةِ﴾؛ أي: منعَهم عن الإيمانِ بك تكذيبُهم بالقيامةِ لا فقرُكَ ومشيُكَ في السُّوقِ، ثمَّ قالَ: ﴿وَأَعْتَدْنَا﴾: هيَّأنا، والعتيدُ: الشَّيءُ الحاضرُ.

وقيل: أصلُه: أعدَدْنا، قُلِبَ الدَّالُ تاءً(٢). وهذا بعيدٌ لاطِّرادِ كلٍّ واحدٍ منهما في المصدرِ وغيرِه.

﴿لِمَن كَذَّبَ بِالسَّاعَةِ﴾: بالبعثِ والنُّشورِ والثَّوابِ والعقابِ ﴿سَعِيرًا﴾: نارًا مُوقَدةً، فعيلٌ بمعنى مفعولٍ، تقولُ: سَعَرْتُ النَّارَ وأسْعَرْتُها، فتسَعَّرَتْ واستَعَرَتْ.

وقيل: ﴿سَعِيرًا﴾ اسمٌ لجهنَّمَ، وانصرافُه يدفعُ هذا القولَ.

***

---

(١) قطعة من حديث طويل رواه الثعلبي في «تفسيره» (١٩/ ٣٦٣)، والواحدي في «أسباب النزول» (ص: ٣٣٢) عن ابن عباس رضي الله عنهما، من طريق إسحاق بن بشر عن جويبر عن الضحاك عن ابن عباس رضي الله عنهما. وإسحاق بن بشر كذاب، وجويبر متروك، والضحاك لم يسمع من ابن عباس. وروى ابن أبي شيبة في «المصنف» (٣١٨٠٠)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٨/ ٢٦٦٦) من طريق حبيب بن أبي ثابت، عن خيثمة قال: قيل للنبي ﷺ: إن شئت أعطيناك مفاتح الأرض وخزائنها لا ينقصك ذلك عندنا شيئاً في الآخرة، وإن شئتَ جمعتها لك في الآخرة، قال: «لا بل اجمعها لي في الآخرة» فنزلت: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي إِن شَاءَ جَعَلَ لَكَ خَيْرًا مِّن ذَٰلِكَ جَنَّاتٍ﴾ الآية.

(٢) هذا قول بعض الكوفيين، وأجازه ابن عيسى، وقد تقدم الكلام عليه في تفسير سورة (النساء).

(١٢) ـ ﴿إِذَا رَأَتْهُم مِّن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ سَمِعُوا۟ لَهَا تَغَيُّظًا وَزَفِيرًا﴾.

﴿إِذَا رَأَتْهُم﴾ يعني: النارَ أو جهنَّمَ، ووصَفَ النَّارَ بالرُّؤيةِ كما وصفَها بالكلامِ في قولِه: ﴿يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ ٱمْتَلَأْتِ وَتَقُولُ هَلْ مِن مَّزِيدٍ﴾ [ق: ٣٠]، وكما وصَفَ السَّماواتِ والأرضَ بالكلامِ حيثُ قال: ﴿أْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَآ أَتَيْنَا طَآئِعِينَ﴾ [فصلت: ١١].

وقال بعضُهم: النَّارُ اسمٌ لحيوانٍ ناريٍّ يتكلَّمُ ويَرَى ويَسمعُ ويَتغيَّظُ ويَزْفِرُ.

وقال بعضُهم: هذه عبارةٌ عن المُقابلةِ والمُحاذاةِ، كما تقولُ: داري تَرَى دارَك، وداري تنظُرُ إلى دارِك.

وقيل: هذا مقلوبٌ؛ أي: إذا رأوها(١).

وقيل: المُضافُ محذوفٌ، وتقديرُه: إذا رأتهم خُزَّانُ جهنَّمَ وزبانيَتُها.

وقيل: هذا على المُبالغةِ؛ أي: كأنَّها تراهُم رُؤيةَ الغضبانِ يَزْفِرُ غيظًا.

وقيل: إذا ظهرَتْ لهم.

﴿مِّن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ﴾ قيل: مسيرةُ خمسِ مئةِ عامٍ. وقيل: مسيرةُ عامٍ.

﴿سَمِعُوا۟ لَهَا تَغَيُّظًا وَزَفِيرًا﴾؛ أي: صوتَ تغيُّظٍ وهو الهمْهَمةُ؛ فإنَّ التَّغيُّظَ لا يُسمَعُ.

وقيل: سمعوا لها زفيرًا ورَأوا لها تغيُّظًا، كقولِه:

يـا ليـتَ زوجَـكِ قـد غـدا ... مُـتـقـلِّدًا سـيفًا ورُمحًـا(٢)

---

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٨٠٩)، واستغربه.

(٢) لعبد الله بن الزِّبَعْرى، وهو في ديوانه (ص: ٣٢)، و«مجاز القرآن» لأبي عبيدة (٢/ ٦٨)، و«معاني القرآن» للفراء (١/ ١٢١)، و«معاني القرآن» للأخفش (١/ ٢٧٧)، و«الكامل» للمبرد (١/ ٢٩١) و(٢/ ٢٠٤)، و«الخصائص» لابن جني (٢/ ٤٣١) و«تفسير الطبري» (١/ ١٣٧). وتقدم عند تفسير الآية (٤٠) من سورة الحج.

وقيل: سمعوا غلَيانَ الغيظِ.

وقيل: سمعوا صوتَ لهبِها واشتعالِـها، وجاء في الحديثِ: «إنَّ جهنَّمَ لتزفِرُ زفرةً لا يبقى ملَكٌ ولا نبيٌّ إلا خرَّ تُرْعَدُ فرائصُه، حتَّى إنَّ إبراهيمَ عليه السَّلامُ ليجثُو على رُكبتِه ويقولُ: يا ربِّ لا أسألُكَ اليومَ إلا نفسي»[1].

والغَيظُ: حالةٌ للنَّفسِ عند شدّةِ الغضبِ، تقولُ: غاظَه واغتاظَه وغيَّظَه فتغَيَّظَ.

والزَّفيرُ: صوتٌ يُسمَعُ من جوفِ المُتغيِّظِ كصوتِ الحمارِ إذا همَّ بالنَّهيقِ.

* * *

(١٣) ـ ﴿وَإِذَآ أُلْقُوا۟ مِنْهَا مَكَانًا ضَيِّقًا مُّقَرَّنِينَ دَعَوْا۟ هُنَالِكَ ثُبُورًا﴾.

﴿وَإِذَآ أُلْقُوا۟ مِنْهَا﴾: منَ النّارِ ﴿مَكَانًا ضَيِّقًا﴾: في مكانٍ ضِيِّقٍ كضِيقِ الزُجِّ في الرُّمحِ ﴿مُّقَرَّنِينَ﴾: مشدودِينَ بالسَّلاسلِ والأغلالِ مع الشَّياطينِ في النَّارِ.

وقيل: قُرِنَتْ أيديهم وأعناقُهم بالأغلالِ وأرجلُهم بالسَّلاسلِ.

والتَّقرينُ: جمعُ شيءٍ إلى شيءٍ في قَرَنٍ، وهو الحَبْلُ.

﴿دَعَوْا۟ هُنَالِكَ﴾؛ أي: حينَئذٍ، وقيل: في ذلك المكانِ.

﴿ثُبُورًا﴾؛ أي: يقولون: ثَبَرْنا ثُبُورًا.

وقيل: هو دُعاؤُهم بالنَّدمِ: يا ثُبوراهُ يا وَيلَتاهُ، والثَّبْرُ: الإِهلاكُ، والثُّبورُ: الهلاكُ، كأنَّهم قالوا: يا هَلاكاهُ.

---

(١) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٢٠٧٩)، والطبري في «تفسيره» (١٧/ ٤٠٩)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٨/ ٢٦٦٨) من قول عبيد بن عمير.

وروى نحوه ابن المبارك في «الزهد» (٢٢٥)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٧/ ٢٣٠٥)، وأبو نعيم في «حلية الأولياء» (٥/ ٣٦٨) من قول كعب.

وقيل: يا انصِرافاهُ عن طاعةِ الله، تقولُ: ما ثبرَكَ عن هذا الأمرِ؛ أي: ما صرفَكَ، حكاهُ عليُّ بنُ عيسى[١].

***

(١٤) ـ ﴿لَّا تَدْعُواْ ٱلْيَوْمَ ثُبُورًا وَٰحِدًا وَٱدْعُواْ ثُبُورًا كَثِيرًا﴾.

﴿لَّا تَدْعُواْ ٱلْيَوْمَ ثُبُورًا وَٰحِدًا وَٱدْعُواْ ثُبُورًا كَثِيرًا﴾؛ أي: تُجيبُهم الملائكةُ: لا تقولوا ذلك مرَّةً واحدةً، بل مِرارًا كثيرةً لا يأتي عليها الإحصاءُ ولا ينتهي خلودُكم فيها.

***

(١٥) ـ ﴿قُلْ أَذَٰلِكَ خَيْرٌ أَمْ جَنَّةُ ٱلْخُلْدِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ ۚ كَانَتْ لَهُمْ جَزَآءً وَمَصِيرًا﴾.

﴿قُلْ أَذَٰلِكَ خَيْرٌ أَمْ جَنَّةُ ٱلْخُلْدِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ﴾ في ﴿ذلك﴾ قولانِ:

أحدُهما: أنَّه إشارةٌ إلى قولِه: ﴿أَوْ يُلْقَىٰٓ إِلَيْهِ كَنزٌ أَوْ تَكُونُ لَهُۥ جَنَّةٌ يَأْكُلُ مِنْهَا﴾ [الفرقان: ٨]، كما قُلنا في قولِه: ﴿جَعَلَ لَكَ خَيْرًا مِّن ذَٰلِكَ﴾ [الفرقان: ١٠].

والثّاني: إشارةٌ إلى ما فيه الكفَّارُ منَ الشَّدائدِ التي تقدَّمَتْ، وإنَّما قال: ﴿أَذَٰلِكَ خَيْرٌ﴾ ـ ولا خيرَ فيما تقدَّمَ للكفّارِ ـ توبيخًا، ومثلُه: ﴿أَحْسَنُ مَقِيلًا﴾ [الفرقان: ٢٤] وسيأتي ذكرُه إن شاءَ الله[٢]، وهذا كما تقولُ لمَن تركَ فسادًا وأقبلَ على صلاحٍ: أليسَ هذا خيرًا ممَّا أنتَ فيه؟! ولا تقولُ مُبتدئًا: الفسادُ خيرٌ أم الصَّلاحُ؟

---

(١) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٤/ ١٣٥)، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٨١٠)، واستغربه.

(٢) «إن شاء الله»: ليس في (ف).

وقولُه: ﴿وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ﴾؛ أي: دُخولَـها.

وقيل: وُعِدَها المُتقونَ، فحُذِفَ الضَّميرُ، وهو المفعولُ الثَّاني.

﴿كَانَتْ لَهُمْ جَزَآءً﴾: ثوابًا ﴿وَمَصِيرًا﴾: مرجِعًا.

***

(١٦) - ﴿لَّهُمْ فِيهَا مَا يَشَآءُونَ خَٰلِدِينَ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ وَعْدًا مَّسْـُٔولًا﴾.

﴿لَّهُمْ فِيهَا مَا يَشَآءُونَ﴾ من النَّعيمِ ﴿خَٰلِدِينَ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ وَعْدًا مَّسْـُٔولًا﴾ سأله المؤمنون في الدُّنيا بقولِـهم: ﴿رَبَّنَا وَءَاتِنَا مَا وَعَدتَّنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ﴾ [آل عمران: ١٩٤].

وقيل: سأَلَ لهم الملائكةُ بقولِـهم: ﴿رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّٰتِ عَدْنٍ﴾ [غافر: ٨].

وقيل: ﴿مَّسْـُٔولًا﴾: مطلوبًا.

وقيل: ﴿مَّسْـُٔولًا﴾: واجبًا؛ لأنَّ الكريمَ إذا سُئِلَ يَرى الإجابةَ واجبةً.

ابنُ عبَّاسٍ رضي الله عنهما: وعَدَهم بالجزاءِ فسألوه الوفاءَ، وكلُّ واجبٍ مسؤولٌ وإن لـم يُسألْ[1].

ابنُ عيسى: متى سألوه[2] شيئًا فهو لهم بوعدِ الله إياهُم؛ لقولِه لهم: ﴿وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ ٱلْأَنفُسُ وَتَلَذُّ ٱلْأَعْيُنُ﴾ [الزخرف: ٧١]، وأمَّا المعاصي فتُصرَفُ عن شهواتِهم.

***

---

(١) روى نحوه الطبري في «تفسيره» (١٧/ ٤١٤)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٨/ ٢٦٧١)، ولفظ الطبري: «فسألوا الذي وعدهم وتنجَّزوه»، ولفظ ابن أبي حاتم: «سلوا الذي واعدتكم أو قال: واعدناكم تُنْجزوه»، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٨١١)، واستغربه.

(٢) في (ف): «سألوا».

(١٧) ـ ﴿ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَقُولُ ءَأَنتُمْ أَضْلَلْتُمْ عِبَادِى هَٰٓؤُلَآءِ أَمْ هُمْ ضَلُّوا۟ ٱلسَّبِيلَ ﴾.

﴿ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ ﴾: هو حشرُ البعثِ عند الجمهورِ، وقال مجاهدٌ: هو حشرُ الموتِ(١)، ﴿وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾؛ أي: الأصنامَ. وقيل: عُزيرًا والمسيحَ والملائكةَ.

﴿فَيَقُولُ ءَأَنتُمْ أَضْلَلْتُمْ عِبَادِى هَٰٓؤُلَآءِ﴾ يعني: مَن عبدُوهم، ﴿أَمْ هُمْ ضَلُّوا۟ ٱلسَّبِيلَ ﴾: أخطَؤُوا الطَّريقَ، وهذا استفهامُ توبيخٍ للعابدين، كقولِه لعيسى: ﴿ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ﴾ [المائدة: ١١٦].

* * *

(١٨) ـ ﴿ قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ مَا كَانَ يَنۢبَغِى لَنَآ أَن نَّتَّخِذَ مِن دُونِكَ مِنْ أَوْلِيَآءَ وَلَٰكِن مَّتَّعْتَهُمْ وَءَابَآءَهُمْ حَتَّىٰ نَسُوا۟ ٱلذِّكْرَ وَكَانُوا۟ قَوْمًۢا بُورًا ﴾.

﴿ قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ ﴾: تنزيهًا لك عن أن يُعبدَ معك غيرُك، وفيه قولان:

أحدُهما: أنَّ هذا كلامُ الأصنامِ يُنطِقُهم الله كما يُنطِقُ الأعضاءَ فيقولون: ﴿مَا كَانَ يَنۢبَغِى لَنَآ أَن نَّتَّخِذَ مِن دُونِكَ مِنْ أَوْلِيَآءَ ﴾؛ أي: ما كانَ لنا كلامٌ، فكيف أمَرْناهم بطاعتِنا؟

والثّاني: أنَّه كلامُ عُزيرٍ والمسيحِ والملائكةِ.

﴿مَا كَانَ يَنۢبَغِى لَنَآ ﴾: ما كان يجبُ لنا إذ عبدَنا هؤلاءِ أن نتولَّاهم على ذلك.

وقيل: ﴿مَا كَانَ يَنۢبَغِى لَنَآ ﴾ أن نتولَّى غيرَك ليعبُدَنا.

وقيل: ما كان لنا أن نتولَّى المُشركين ولو عبدُونا.

وقيل: ما كان لنا أن نتَّخِذَ مَن يعبدُنا من دونِك؛ أي: ندَعَ عبادتَكَ إلى عبادتِنا.

---

(١) رواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٤/ ١٣٨٧)، وذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٤/ ١٣٦).

وقيل: هذا كلامُ العابدين والمعبودين: ما كان ينبَغي لنا أن نعبُدَ غيرَك، فكيف ندعو إلى عبادتِنا؟

أبو عُبيدةَ: ﴿مَا كَانَ يَنۢبَغِي لَنَآ﴾؛ أي: ما يكونُ لنا[1].

وقيل: ما كان يصلحُ.

وقرأ أبو جعفرٍ في جماعةٍ ﴿أن نُتَّخَذَ﴾ بضمِّ النُّونِ[2]، وهـذه القراءةُ رائقةٌ في الظَّاهرِ، وهو عند أكثرِ النُّحاةِ خطأ؛ لأنَّ (مِن) تدخُلُ المفعولَ الأوَّلَ نحو: «ما أعطَيتُ من أحدٍ درهمًا»، ولا يجوزُ: «ما أعطَيتُ أحدًا من درهمٍ»، وإذا أُقيمَ الضَّميرُ في ﴿نُتَّخَذَ﴾ مُقامَ المفعولِ الأوّلِ ورفعتَه صارَ (مِن) داخلًا على المفعولِ الثّاني، وهذا غيرُ جائزٍ، وأجازَه الفرَّاءُ على القلبِ[3].

﴿وَلَٰكِن مَّتَّعۡتَهُمۡ وَءَابَآءَهُمۡ﴾ بالأولادِ والأموالِ وطولِ العُمرِ والسَّلامةِ منَ العذابِ.

﴿حَتَّىٰ نَسُواْ ٱلذِّكۡرَ﴾: تركوا التذكُّرَ.

وقيل: تركوا كتابَ الله وتركوا التدبُّرَ فيه، وتركوا ما دَعاهُم إليه الرَّسولُ.

وقيل: أبطَرَتْهم نعمتُكَ فنَسُوا بها ذكرَكَ.

والتمتُّعُ: دوامُ اللَّذَّةِ بالشَّيءِ.

﴿وَكَانُواْ قَوۡمَۢا بُورٗا﴾: هالكين.

وقيل: فاسدين، من قولِـهم: أمرٌ بائرٌ؛ فاسدٌ، وبارَتِ البضاعةُ: كسَدَتْ، ومنه قولُه عليه السَّلامُ: «نعوذُ بالله من بَوَارِ الأيِّمِ»[4].

---

(١) انظر: «مجاز القرآن» (٢/ ٧١).

(٢) وهذه القراءة مروية عن أبي الدرداء وزيد بن ثابت وأبو رجاء ونصر بن علقمة وزيد بن عامر والباقر ومكحول والحسن وحفص بن عبيد وغيرهم انظر: «النشر» (٢/ ٣٣٣)، و«البحر المحيط» لأبي حيان (٨/ ٩٢).

(٣) انظر: «معاني القرآن» للفراء (٢/ ٢٦٤).

(٤) رواه ابن أبي شيبة في «مصنفه» (٢٩١٥١) عن مجاهد مرسلاً. =

وقيل: لا خيرَ فيهم، من قولِـهم: أرضٌ بورٌ، وهي المُتعطِّلةُ التي لا نباتَ فيها ولا خيرَ، وهو مصدرٌ لا يُثنَّى ولا يُجمَعُ.

وقيل: بورٌ: جمعُ بائرٍ، كحائلٍ وحُولٍ(١).

***

(١٩) ـ ﴿فَقَدْ كَذَّبُوكُم بِمَا تَقُولُونَ فَمَا تَسْتَطِيعُونَ صَرْفًا وَلَا نَصْرًا وَمَن يَظْلِم مِّنكُمْ نُذِقْهُ عَذَابًا كَبِيرًا﴾.

﴿فَقَدْ كَذَّبُوكُم بِمَا تَقُولُونَ﴾ الجمهورُ على أنَّه خطابٌ للعابدين، والمعنى: كذَّبوكم فيما تدَّعون من قولِكم: ﴿رَبَّنَا هَٰٓؤُلَآءِ أَضَلُّونَا﴾ [الأعراف: ٣٨] بقولِـهم: ﴿مَا كَانَ يَنبَغِي لَنَآ أَن نَّتَّخِذَ مِن دُونِكَ مِنْ أَوْلِيَآءَ﴾.

وقيل: ﴿كَذَّبُوكُم﴾: نسَبُوكُم إلى الكذبِ بسببِ ما تقولون أنَّهم دعَوكُم إلى عبادتِهم.

= ورواه الطبراني في «الدعاء» (١٣٥٤) من طريق الحارث عن علي رضي الله عنه، والحارث (وهو ابن عبد الله الأعور) كذبه الشعبي، وفي حديثه ضعف، كما في «التقريب».

ورواه الطبراني في «المعجم الكبير» (١١٨٨٢)، والخطيب في «تاريخ بغداد» (١٤/ ٤٦١) عن ابن عباس رضي الله عنه، قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١٠/ ١٤٣): «رواه الطبراني في «الصغير» و«الأوسط» و«الكبير»، وفيه عباد بن زكريا الصريمي ولم أعرفه، وبقية رجاله رجال الصحيح».

وروى سعيد بن منصور في «سننه» (٦٩١) عن حكيم بن عمير وضمرة بن حبيب: أن رسول الله ﷺ كان يتعوذ من كساد الأيامى ويدعو لهن بالنَّفاق. وهو مرسل ضعيف، فيه أبو بكر بن عبد الله بن أبي مريم.

وروى الديلمي في «مسند الفردوس» (٢٧٢) عن عمر رضي الله عنه: «استعيذوا بالله من ثلاث: من فزع المنزل، وكساد الأيم، ومعاداة العاقل».

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٨١٢)، واستغربه.

وذهبَ بعضُهم إلى أنَّ هذا خطابٌ للنَّبيِّ والمُؤمنين؛ أي: الكفَّارُ كذَّبوكم بما تقولون منَ التَّوحيدِ ونبوَّةِ محمَّدٍ عليه السَّلامُ، وسائرِ الأنبياءِ عليهم السَّلامُ.

﴿فَمَا يَسْتَطِيعُونَ﴾؛ أي: المعبودونَ ﴿صَرْفًا﴾: دفعًا للعذابِ عنكم ﴿وَلَا نَصْرًا﴾: ينصُرونكم، ومَن قرأ بالتاء[1] فهو خطابٌ للعابدين؛ أي: فلا تستطيعون أنتم انصِرافًا إلى غيرِ ما ادَّعَوا، ولا نصرًا من آلهتِكم حين كذَّبوكم.

وقيل: ﴿صَرْفًا﴾: حيلةً.

وقيل: دِيَةً.

وعلى القولِ الثاني: فما يستطيعُ هؤلاءِ الكفَّارُ لك يا محمَّدُ صَرْفًا عن الحقِّ الذي أنتَ عليه ولا نصرًا لأنفُسِهم منَ البلاءِ الذي استوجَبُوه بتكذيبِهم إيّاكَ.

﴿وَمَن يَظْلِم مِّنكُمْ﴾ بالكفرِ. وقيلَ: أيَّ ظُلمٍ كانَ، والخطابُ عامٌّ.

﴿نُذِقْهُ عَذَابًا كَبِيرًا﴾ وهو الخلودُ في النَّارِ.

***

(٢٠) - ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ إِلَّآ إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ ٱلطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِى ٱلْأَسْوَاقِ ۗ وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ ۗ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا﴾.

﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾؛ أي: وما أرسلنا أحدًا.

﴿إِلَّآ إِنَّهُمْ﴾ فيها أقوالٌ:

أحدها: إلَّا هم، و(إنَّ) زيادةٌ.

وقيل: (إلَّا) قيلَ: (إنّهم).

---

(١) قرأ بها حفص، وباقي السبعة بالياء. انظر: «التيسير» (ص: ١٦٣).

وقيل: إلا مَن إنَّهم، وهذا غيرُ جائزٍ عند البَصْريين؛ لأنَّه لا يجوزُ حذفُ الموصولِ وإقامةُ الصِّلةِ مُقامَه(١).

ويحتمِلُ: إلا رسلًا إنَّهم ليأكلون الطَّعامَ، فحُذِفَ الموصوفُ وأُقيمَ الصِّفةُ مُقامَه(٢).

﴿لَيَأْكُلُونَ ٱلطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِي ٱلْأَسْوَاقِ﴾؛ أي: لِطَلَبِ المعاشِ، هذا تسليةٌ للنَّبيِّ عليه السَّلامُ على قولِهم: ﴿مَالِ هَٰذَا ٱلرَّسُولِ يَأْكُلُ ٱلطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي ٱلْأَسْوَاقِ﴾ [الفرقان: ٧]؛ أي: كلُّ الرُّسلِ هذه حالتُهم.

﴿وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً﴾ كلُّ النَّاسِ مُبتلًى بعضُهم ببعضٍ، الفقيرُ بالغنيِّ، والمريضُ بالصَّحيحِ، والفتنةُ: البليَّةُ، والفتنةُ: الاختبارُ.

ابنُ عيسى: الفتنةُ: شدَّةٌ في التَّعبُّدِ يَظهرُ بها ما في العبدِ من خيرٍ أو شرٍّ(٣).

وقيل: ﴿وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ﴾؛ أي: الأنبياءَ ﴿لِبَعْضٍ﴾: الأممِ ﴿فِتْنَةً﴾: مِحنةً.

﴿أَتَصْبِرُونَ﴾ قيل: تقديرُه: أتصبرونَ أم لا تصبرونَ؟

وقيل: استفهامٌ بمعنى الأمرِ؛ أي: اصْبِروا.

وقيل: أتصبرونَ على هذا فتكونَ لكم الجنَّةُ.

﴿وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا﴾: عالِمًا بما يكونُ منكم.

وقيل: نزلَتْ في أصحابِ رسولِ الله ﷺ حين قالت قُريشٌ: انظُروا إلى أصحابِ محمَّدٍ هم مَوالِيْنا وعبيدُنا(٤).

---

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٨١٢)، وعدَّه من العجائب.

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٨١٢)، واستغربه.

(٣) ذكره نحوه ابن فورك في «تفسيره» (١/ ١٦٨) بلا نسبة.

(٤) ذكر نحوه مقاتل في «تفسيره» (٣/ ٢٣٠).

(٢١) - ﴿وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْنَا الْمَلَائِكَةُ أَوْ نَرَى رَبَّنَا لَقَدِ اسْتَكْبَرُوا فِي أَنفُسِهِمْ وَعَتَوْ عُتُوًّا كَبِيرًا﴾.

﴿وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا﴾: لا يطمَعون في الثَّوابِ على الأعمالِ، والرَّجاءُ: ترقُّبُ الخيرِ، ورَجا ورَجَّى وارتَجى: بمعنًى، ورجَّيْتُ غيري في كذا.

وقيـل: ﴿لَا يَرْجُونَ﴾: لا يخافونَ لقـاءَ الله[1]؛ لأنَّهم لا يُؤمنـون بالبعثِ، يعني: أهلَ مكّةَ.

﴿لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْنَا الْمَلَائِكَةُ﴾ فيُخبِرونا بصدقِ ما يقولُه محمَّدٌ.

﴿أَوْ نَرَى رَبَّنَا﴾: أو يَظْهرُ لنا ربُّنا ويقولُ: إنَّه رسولي فاتَّبِعوه.

وقيل: سألوا الملائكةَ رسلًا بدلًا من محمَّدٍ.

﴿لَقَدِ اسْتَكْبَرُوا فِي أَنفُسِهِمْ﴾: تعظَّموا عن الإيمانِ؛ حيثُ أرادوا لأنفُسِهم الرُّسلَ من الملائكةِ ورُؤيةَ الرَّبِّ.

وقيل: معناه: اجترَؤوا على الله اجتراءً كثيرًا في طلَبِ الرُّؤيةِ.

﴿وَعَتَوْ عُتُوًّا كَبِيرًا﴾: أفرَطُوا في الفسادِ.

وقيل: العتُوُّ الخروجُ إلى أفحشِ الظُّلمِ، وفيه لغتانِ: العُتُوُّ والعُتِيُّ.

* * *

(٢٢) - ﴿يَوْمَ يَرَوْنَ الْمَلَائِكَةَ لَا بُشْرَى يَوْمَئِذٍ لِّلْمُجْرِمِينَ وَيَقُولُونَ حِجْرًا مَّحْجُورًا﴾.

﴿يَوْمَ يَرَوْنَ الْمَلَائِكَةَ لَا بُشْرَى يَوْمَئِذٍ لِّلْمُجْرِمِينَ﴾ وهو يومُ الموتِ، وقيل: يومُ البعثِ؛ أي: لا يرَونَهم بشيءٍ يَسرُّهم بل ينعُونَ إليهم أنفسَهم ويُخبِرونهم بعذابٍ أليمٍ.

﴿يَوْمَ﴾ منصوبٌ بفعلٍ مُقدَّرٍ؛ أي: اذكُر، أو بفعلٍ مُضمَرٍ دلَّ عليه ﴿لَا بُشْرَى﴾ وهو: يحزَنون، ولا ينتصبُ بـ﴿يَرَوْنَ﴾؛ لأنَّ المُضافَ إليه لا يعملُ في المُضافِ، ولا

---

(١) فالرجاء يدل على الخوف، لا سيما إن كان في سياق النفي. انظر: «الأضداد» للأنباري (ص: ٩).

يعملُ فيه ﴿لَا بُشْرَىٰ﴾؛ لأنَّ ما بُنِيَ مع (لا) لا يعملُ فيما قبلَه، ولأنَّ المصدرَ لا يعملُ فيما قبلَه.

﴿وَيَقُولُونَ حِجْرًا مَّحْجُورًا﴾ ويقولُ الملائكةُ لهم: جعلَ البُشرى عليكم حرامًا مُحرَّمًا، والمحجورُ تأكيدٌ.

وقيل: كان في أوَّلِ الدَّهرِ إذا أرادَ الرَّجلُ حرمانَ غيرِه شيئًا يسألُه أو يطمعُ فيه يقولُ: حِجْرًا مَحْجُورًا، فيعلمُ السّائلُ أنَّه لا يُريدُ أن يُعطيَه.

وذهبَ جماعةٌ منَ القُرَّاءِ إلى أنَّ الوقفَ يحسُنُ على قولِه: ﴿حِجْرًا﴾؛ أي: ثمَّ قال الله: ﴿مَّحْجُورًا﴾ عليهم أن يُعاذُوا أو أن يُجازُوا[1].

وقيل: هذا من قولِ الكفَّارِ إذا سمعوا: ﴿لَا بُشْرَىٰ﴾ قالوا: ﴿حِجْرًا مَّحْجُورًا﴾[2].

وأصلُه الضِّيقُ عند بعضِهم، ومنه: الحجرةُ؛ لضيقِها، وكلُّ حرامٍ ضيِّقٌ.

وقيل: أصلُه المنعُ، وكلُّ حرامٍ ممنوعٌ، والحِجْرُ: العقلُ يمنعُ صاحبَه منَ الجهلِ.

***

(٢٣) - ﴿وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُوا۟ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا﴾.

﴿وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُوا۟ مِنْ عَمَلٍ﴾: قصَدْنا وعمَدْنا، وأصلُ قَدِمَ: رجعَ من سفرِه، وقدِمَ إلى هذا الأمرِ: عَجِلَ إليه عجلةَ الوُرَّادِ منَ السَّفرِ.

---

(١) ذكره أبو بكر الأنباري في «إيضاح الوقف والابتداء» (٢/ ٨٠٤)، والداني في «المكتفى في الوقف والابتدا» (ص: ١٤٧) عن الحسن، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٨١٢)، وعدَّه من العجائب.

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٨١٢)، واستغربه.

وقال النُّحاةُ: ﴿وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُواْ﴾ كقولهم: قامَ يشتِمُني، وليس ثَمَّ قيامٌ، وإنَّما المعنى: قصَدَ[١].

وقيل: هو قدومُ الملائكةِ.

وقيل: قدِمَ أمرُنا[٢].

وقيل: هو كقولِه: ﴿فَأَتَى ٱللَّهُ بُنْيَـٰنَهُم﴾ [النحل: ٢٦].

وقولُه ﴿إِلَىٰ مَا عَمِلُواْ﴾ يعني: الكفَّارَ ﴿مِنْ عَمَلٍ﴾ أي: خيرٍ تقرَّبُوا به إلى الله.

﴿فَجَعَلْنَـٰهُ هَبَآءً﴾؛ أي: أحبَطْناه لكُفرِهم، وفي الهباءِ أقوالٌ:

عليٌّ رضي الله عنه: أنَّه رَهْجُ الغبارِ[٣].

ابنُ عبّاسٍ رضي الله عنه: الماءُ المُهراقُ[٤].

قتادةُ: ما ذرَّتْه الرِّيحُ من يابسِ الوَرَقِ[٥].

وقيل: الرَّمادُ.

وقيل: هو ما يُرى في شعاعِ الشَّمسِ إذا طلَعَتْ في الكُوَّةِ.

---

(١) انظر: «معني القرآن» للزجاج (٤/ ٦٤).

(٢) ذكر المصنف هذين القولين في «غرائب التفسير» (٢/ ٨١٢)، واستغربهما.

(٣) ذكره بهذا اللفظ الماوردي في «النكت والعيون» (٥/ ٤٤٧). ورواه الطبري في «تفسيره» (٢٢/ ٢٨٥)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٨/ ٢٦٧٩)، وهو في «تفسير مجاهد» (ص: ٦٤٠)، جميعهم من طريق الحارث عن علي بلفظ: «رَهْج الدواب». والرَّهْج ـ ويحرك ـ: الغبار. انظر: «القاموس» مادة: (ر هـ ج).

(٤) رواه الطبري في «تفسيره» (١٧/ ٤٣٣)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٨/ ٢٦٧٩)، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٨١٣)، واستغربه.

(٥) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٢٠٨٤)، والطبري في «تفسيره» (١٧/ ٤٣٣) بلفظ: «هو ما تذرو الرياح من حطام هذا الشجر». ورواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٨/ ٢٦٧٩) بلفظ: «أما رأيت يبس الشجر إذا ذرته الريح فهو ذلك، يعني الورق».

والفعلُ منه: هَبا التُّرابُ يهبُو، وأهبَيْتُه إِهباءً.

﴿مَّنثُورًا﴾ المنثورُ: المُنبثُّ.

* * *

(٢٤) ـ ﴿أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِ يَوۡمَئِذٍ خَيۡرٞ مُّسۡتَقَرّٗا وَأَحۡسَنُ مَقِيلٗا﴾.

﴿أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِ يَوۡمَئِذٍ خَيۡرٞ مُّسۡتَقَرّٗا وَأَحۡسَنُ مَقِيلٗا﴾ المُستَقَرُّ: المصدرُ والمكانُ.

والمَقِيلُ: القيلولةُ ومكانُ القيلولةِ أيضًا، والآيةُ تحتمِلُهما، والمقيلُ: المنزلُ أيضًا، والعربُ تقولُ: قِلْنا بمكانِ كذا؛ أي: نزَلْنا.

وجاء في التَّفاسيرِ: يقعُ الفراغُ منَ الحسابِ قبلَ نصفِ النَّهارِ، فيَقيلُ أهلُ الجنَّةِ في الجنَّةِ وأهلُ النَّارِ في النَّارِ(١).

وهو الاستِكنانُ نصفَ النَّهارِ، ولا نومَ في الجنَّةِ ولا في النَّارِ، ولكنْ خُوطبوا بما هم يَعْرِفونه.

وإنَّما قال: ﴿خَيۡرٞ مُّسۡتَقَرّٗا وَأَحۡسَنُ مَقِيلٗا﴾ ولا خيرَ ولا حُسْنَ في مقيلِ الكفَّارِ ومنزلِهم؛ لأنَّ الجنَّةَ والنَّارَ قد دخلا في بابِ المنازلِ في صنفٍ واحدٍ.

وقيل: معناه: أنَّهم في غايةِ الخيرِ، وجاء بلفظِ (أَفْعَل) للمُبالغةِ فحَسْبُ، وليس المُرادُ به المشاركةَ؛ كما جاء: الله أكبرُ، ولهذا أمثالٌ(٢).

وقيل: ﴿خَيۡرٞ مُّسۡتَقَرّٗا وَأَحۡسَنُ مَقِيلٗا﴾ من مُستقرِّهم ومقيلِهم في الدُّنيا.

---

(١) رواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٨/ ٢٦٨١) من قول سعيد بن جبير.

ورواه بنحوه سفيان الثوري في «تفسيره» (ص: ٢٢٦)، والطبري في «تفسيره» (١٩/ ٥٥٦) عن ابن مسعود رضي الله عنه موقوفاً.

(٢) أي: مجيء صيغة التفضيل للمبالغة، وإلا فلفظ (خير) و(شرّ) ليسا على وزن أفعل، كما هو معلوم. وقد تقدم الكلام عليه في تفسير ﴿أَنتُمۡ شَرّٞ مَّكَانٗا﴾ [يوسف: ٧٧].

وقيل: من مُستقرِّ الكفَّارِ ومنازِلِهم في الدُّنيا.

ويحتمِلُ: ﴿خَيْرٌ مُّسْتَقَرًّا وَأَحْسَنُ مَقِيلًا﴾ ممَّن في مُستقرِّه ومَقيلِه خيرٌ[1].

وقيل: كلاهما خيرٌ وحَسَنٌ؛ لأنَّ حكمةَ الله اقتَضَتْ ذلك[2]، فعلى هذا يكونُ للتَّفضيلِ.

وقيل: ﴿أحسَنُ﴾ بمعنى: أنفَعُ.

وقيل: المُستَقَرُّ في الجنَّةِ، والمَقيلُ دونَها.

* * *

(٢٥) - ﴿وَيَوْمَ تَشَقَّقُ ٱلسَّمَآءُ بِٱلْغَمَٰمِ وَنُزِّلَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ تَنزِيلًا﴾.

﴿وَيَوْمَ تَشَقَّقُ ٱلسَّمَآءُ بِٱلْغَمَٰمِ﴾؛ أي: تتشقَّقُ، فحُذِفَ التَّاءُ عند بعضِهم تخفيفًا، وأُدغِمَ عند بعضِهم، والسَّماءُ تتشقَّقُ يوم القيامةِ؛ لقولِه: ﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنشَقَّتْ﴾ [الانشقاق: ١]، وهي تتشقَّقُ سماءً سماءً.

قوله: ﴿بِٱلْغَمَٰمِ﴾ قيل: هو الغمامُ الذي نراهُ في السَّماءِ[3]؛ يعني: السَّحاب، فتكونُ الباءُ للحالِ؛ أي: مُتغيِّمةً.

وقيل: مع الغمامِ.

وقيل: على الغمامِ.

وقال بعضُهم: الغمامُ هاهنا هو الذي ذُكِرَ في سورةِ البقرةِ ﴿يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِى ظُلَلٍ مِّنَ ٱلْغَمَامِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾ [البقرة: ٢١٠]، فهذا فوقَ السَّماءِ السَّابعةِ، فتكونُ الباءُ بمعنى (عن)؛ أي: تتشقَّقُ السَّماءُ عن الغمامِ لنُزولِ الرَّبِّ سُبحانَه والملائكةِ[4].

---

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٨١٣)، واستغربه.

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٨١٣)، وعدَّه من العجائب.

(٣) في (ف): «الهواء».

(٤) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٨١٣)، واستغربه.

وعن ابنِ عمرٍو رضي الله عنهما: يهبطُ الله حينَ يهبطُ بينَه وبينَ خلقِه سبعون ألفَ حجابٍ، منها النُّورُ، والظُّلمةُ، والماءُ، فيُصوِّتُ اللهُ في تلك الظُّلمةِ صوتًا تنخلعُ له القلوبُ[١].

ابنُ جُرَيجٍ: الغمامُ الذي يأتي الله فيه غمامٌ زعموا في الجنَّةِ[٢].

الحسَنُ: الغمامُ سترةٌ بين السَّماءِ والأرضِ، تعرُجُ الملائكةُ في ذلك الغمامِ بنسخِ أعمالِ بني آدمَ ليُحاسبوا في الأرضِ، واللهُ أعلَمُ، وهو المُسائِلُ لهم لا يسألُهم غيرُه[٣].

وقيل: هو غمامٌ أبيضُ مثلُ غمامِ بني إسرائيلَ.

﴿وَنُزِّلَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ تَنزِيلًا﴾ إذا انشقَّتِ السَّماءُ نزلَ منها الملائكةُ أكثرَ منَ الجنِّ والإنسِ، وهو يومُ التَّلاقِ يلتقي أهلُ السَّماءِ وأهلُ الأرضِ؛ لأنَّها إذا انشقَّت فنِيَتْ، ولا بدَّ للملائكةِ من مكانٍ يتمكَّنون عليه ويُقيمون فيه، ولهذا يُنزلُهم الله إلى مكانٍ سواها.

وقرأ ابنُ كثيرٍ: ﴿وَنُنْزِلُ﴾ بنونَين ﴿المَلائِكَةَ﴾ نصبٌ، وقرأ غيرُه ﴿وَنُزِّلَ﴾[٤] لقولِه: ﴿تَنزِيلًا﴾، وفي المُصحفِ بنونٍ واحدةٍ.

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (١٧/ ٤٣٧)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٢/ ٣٧٢)، وأبو الشيخ في «العظمة» (٢/ ٦٧٦) عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما، وفيها: «فيصوت الماء» بدل «فيصوت الله».

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (١٧/ ٤٣٧).

(٣) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٥/ ٣٣٦) مختصرًا. وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٨١٤)، وعدَّه من العجائب.

(٤) وهذه قراءة باقي السبعة. انظر: «السبعة» (ص: ٤٦٤)، «والتيسير» (ص: ١٦٤).

(٢٦) ـ ﴿ ٱلْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ لِلرَّحْمَٰنِ ۚ وَكَانَ يَوْمًا عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ عَسِيرًا ﴾.

﴿ ٱلْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ لِلرَّحْمَٰنِ ﴾ يعني: الثّابتُ الخالصُ.

وقيل: معنى ﴿ٱلْحَقُّ﴾: المُستَحَقُّ، ولا مَلِكَ في ذلك اليومِ غيرُه.

﴿وَكَانَ يَوْمًا﴾؛ أي: كان ذلك اليومُ يومًا ﴿عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ عَسِيرًا﴾: شديدًا، تقولُ: عَسُرَ عليه ـ بالضَّمِّ ـ فهو عسيرٌ، وعَسِرَ ـ بالكسرِ ـ فهو عَسِرٌ.

***

(٢٧ ـ ٢٩) ـ ﴿ وَيَوْمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَٰلَيْتَنِى ٱتَّخَذْتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلًا ﴿٢٧﴾ يَٰوَيْلَتَىٰ لَيْتَنِى لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا ﴿٢٨﴾ لَّقَدْ أَضَلَّنِى عَنِ ٱلذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَآءَنِى ۗ وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِلْإِنسَٰنِ خَذُولًا ﴾.

﴿ وَيَوْمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ ﴾ في سببِ النُّزولِ: أنَّها نزلَتْ في عُقبةَ بنِ أبي مُعَيطٍ وأُبيِّ بنِ خلَفٍ وكانا مُتحابَّينِ، وكان عُقبةُ لا يقدمُ من سفرٍ إلا صنعَ طعامًا ودعا إليه أشرافَ قومِه، وكان يُكثِرُ مُجالسةَ النَّبيِّ عليه السَّلامُ، فقدمَ من سفرِه ذاتَ يومٍ فصنعَ طعامًا ودعا النّاسَ، ودعا رسولَ الله ﷺ إلى طعامِه، فلمّا قرَّبوا الطَّعامَ قال عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ: «ما أنا بآكلٍ طعامَكَ حتَّى تشهدَ أنْ لا إلهَ إلا اللهُ وأنِّي رسولُ الله»، فقال عُقبةُ: أشهدُ أنْ لا إلهَ إلا اللهُ وأنَّ محمَّدًا رسولُ الله، فأكلَ رسولُ الله ﷺ من طعامِه وكان أُبيٌّ غائبًا، فلما أُخبرَ بقِصَّتِه قال: صَبَأْتَ يا عُقبةُ؟ قال: لا، ولكنْ دخلَ عليَّ رجلٌ فأبى أن يأكلَ من طعامي إلا أن أشهدَ له، واستحيَيْتُ أن يخرُجَ من بيتي ولـم يأكُل فشهِدْتُ له فطَعِمَ، فقال أُبيٌّ: ما أنا بالذي أرضى منك أبدًا إلا أن تأتيَه فتبزُقَ في وجهِه وتطأَ عُنقَه، ففعلَ عُقبةُ ذلك، وأخذَ رحِمَ دابَّةٍ فألقاها بينَ كتفَيه، فقالَ ﷺ: «لا أَلقاكَ خارِجًا من مكَّةَ إلا علَوْتُ رأسَكَ بالسَّيفِ»، فقُتِلَ عُقبةُ يومَ بدرٍ

صَبْرًا، وأمَّا أُبيٌّ فقتَلَه النَّبيُّ ﷺ يومَ أُحدٍ في المُبارزةِ، فأنزلَ الله فيهما هذه الآيةَ(١).

قال الضَّحّاكُ: لـمَّا بزَقَ عُقبةُ في وجهِ النَّبيِّ عليه السَّلامُ عادَ بُزاقُه في وجهِه وانشعَبَ شُعبتَين فأحرَقَ خدَّيه، وكانَ أثرُ ذلك في وجهِه حتَّى ماتَ(٢).

ورَوى الشَّعبيُّ: أميَّةُ بنُ خلَفٍ مكانَ أُبيِّ بنِ خلَفٍ(٣).

فالظَّالِـمُ عُقبةُ، و(فُلانٌ) أُبيُّ بنُ خلَفٍ، والمعنى: يعضُّ يدَيه ـ وقيل: على أناملِه ـ يومَ القيامةِ ندَمًا على ما كانَ منه ﴿يَـقُولُ يَـٰلَيۡتَنِي ٱتَّخَذۡتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ﴾ محمَّدٍ ﷺ ﴿سَبِيلٗا﴾: طريقًا إلى النَّجاةِ.

وقيل: إلى طاعةِ الله ورسولِه.

وقيل: ﴿سَبِيلٗا﴾: وسيلةً عند الرَّسولِ فتكونَ وُصْلَةً إليه، والمعنى: ليتَني أجَبتُه إلى ما دعاني إليه.

﴿يَـٰلَيۡتَنِي﴾: يا حَسْرَتا ويا أسَفا ﴿لَيۡتَنِي لَمۡ أَتَّخِذۡ فُلَانًا خَلِيلٗا﴾ يتمنَّى ألّا يكونَ بينَه وبينَ أُبيٍّ خُلَّةٌ.

---

(١) رواه أبو نعيم في «دلائل النبوة» (ص: ٤٠١) من طريق الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس رضي الله عنهما، وروى نحوه الطبري في «تفسيره» (١٧/ ٤٤٢)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٨/ ٢٦٨٣) عن مجاهد.

وفي قوله: إن عقبة فعل ما طلبه منه أبيٌّ نظر، فقد رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٢٠٨٥و ٢٠٨٦)، والطبري في «تفسيره» (١٧/ ٤٤٠ ـ ٤٤١)، عن مقسم مولى ابن عباس، وفيه بدل قوله: «ففعل ذلك»: «فلم يسلطه الله عليه»، ويؤيده ما سيأتي عن الضحاك.

(٢) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (١٩/ ٣٩٧)، والواحدي في «تفسيره» (ص: ٣٣٤).

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (١٧/ ٤٤٠)، وذكره الثعلبي في «تفسيره» (١٩/ ٣٩٨)، والواحدي في «أسباب النزول» (ص: ٣٣٣) عن الشعبي، ورواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٨/ ٢٦٨٦) عن سعيد بن المسيب.

﴿لَّقَدْ أَضَلَّنِي﴾: ردَّني وأبعدَني ﴿عَنِ ٱلذِّكْرِ﴾: عن الإيمانِ، وقيل: عن النَّبيِّ ﷺ، وقيل: عن القرآنِ ﴿بَعْدَ إِذْ جَآءَنِي﴾.

وقال بعضُ المُفسِّرين: الظَّالِـمُ عامٌّ، و(فلانٌ) كنايةٌ عن الشَّيطانِ؛ لقولِه بعدَه: ﴿وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِلْإِنسَٰنِ خَذُولًا﴾.

وقيل: الظَّالِـمُ عامٌّ، و(فلانٌ) كنايةٌ عن كلِّ مَن أضلَّ غيرَه عن الإسلامِ[1].

وذهبتِ الرَّافضةُ إلى أنَّ هذا تغييرٌ منَ الكاتبِ، ولـم يكُنْ في القرآنِ الظَّالِـمُ وفلانٌ بالكنايةِ، بل كانا اسمَينِ صريحَين منَ الصَّحابةِ؛ يَعْنُون: الصِّدِّيقَ والفاروقَ رضي الله عنهما ولعَنَ مُبغِضَيهما وخذَلَهم[2].

وإنَّما كنَى عن عُقبةَ وأُبيٍّ فيمَن ذهبَ إلى ذلك ـ واللهُ لا يستَحيي منَ الحقِّ ـ ليصيرَ اللَّفظُ عامًّا لكلِّ ظالـمٍ اتَّخذَ خليلًا مُضِلًّا.

و﴿خَذُولًا﴾ مبالغةٌ منَ الخذلانِ؛ أي: من عادتِه تركُ مَن يُواليه.

* * *

(٣٠) ـ ﴿وَقَالَ ٱلرَّسُولُ يَٰرَبِّ إِنَّ قَوْمِي ٱتَّخَذُوا۟ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ مَهْجُورًا﴾.

﴿وَقَالَ ٱلرَّسُولُ﴾ محمَّدٌ عليه السَّلامُ يومئذٍ، وقيل: في الدُّنيا.

﴿يَٰرَبِّ إِنَّ قَوْمِي ٱتَّخَذُوا۟ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ مَهْجُورًا﴾: هجَرُوه وأعرَضُوا عنه.

وقيل: منَ الهُجرِ؛ أي: قالوا فيه القبيحَ.

وقيل: نسَبُوه إلى الهُجرِ، وأنَّ محمَّدًا يَهْذي.

---

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٨١٤)، واستغربه.

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٨١٣) عن الرافضة فيما حكاه عنهم القتبي والجاحظ، وعده من العجائب.

وقيل: فُرِّقَ لأنَّ في القرآنِ ناسِخًا ومنسوخًا، وذانِكَ لا يجتمعانِ؛ لأنَّ أحدَهما يُوجِبُ العملَ بشيءٍ، والآخرَ يُوجِبُ تركَ العملِ به، ولأنَّ في القرآنِ أجوبةً لهم، والجوابُ لا يتقدَّمُ السُّؤالَ.

ومعنى ﴿وَرَتَّلْنَٰهُ تَرْتِيلًا﴾: جعَلْنا بينَ إنزالِه فُرَجًا شيئًا بعد شيءٍ زمانًا ليس بالكثيرِ، من قولِهم: ثَغرٌ مُرَتَّلٌ؛ أي: مُفلَّجُ الأسنانِ، و﴿رَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا﴾ [المزمل: ٤] على هذا القولِ: لا تعجَلْ في قراءتِه، بل تثبَّتْ به فيها، ويأتي في موضعِه إن شاءَ الله.

وقيل: ﴿وَرَتَّلْنَٰهُ تَرْتِيلًا﴾: فصَّلْناه تفصيلًا.

وقيل: بيَّنَّاه تبيينًا.

وقيل: فسَّرْناه تفسيرًا.

﴿وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا﴾؛ أي: لا يضرِبُونَ لك مَثَلًا إلَّا جئناكَ بما تردُّ به الذي جاؤوا به منَ الأمثالِ، وأحسنَ ممَّا جاؤوا به منَ الأمثالِ بيانًا وتفصيلًا.

وقيل: لا يأتُونَك بمثَلٍ مِثْلَما قالوا في عيسى: كيف خُلِقَ من غيرِ أبٍ؟ فقالَ: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ﴾ [آل عمران: ٥٩].

وقيل: لا يأتُونَكَ بشُبهةٍ في إبطالِ أمرِكَ إلا جئناكَ بالحقِّ الذي يدحَضُ شُبهةَ أهلِ الجهلِ ويُبطِلُ كلامَ أهلِ الزَّيغِ وأحسَنَ تفسيرًا من مَثَلِهم، وحُذِفَ «من مثلِهم» لدلالةِ الحالِ عليه، وأرادَ بالمَثَلِ ما قالوا: ﴿لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلْقُرْءَانُ جُمْلَةً وَٰحِدَةً﴾ [الفرقان: ٣٢] وقد ذكَرْنا الحكمةَ.

= نفسه المذكور هنا ـ وعده من العجائب، وقد ذكر المصنف هذا في تفسير قوله تعالى: ﴿لِيَجْزِيَهُمُ ٱللَّهُ أَحْسَنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [التوبة: ١٢٢] من غير نسبة، وذكره منسوباً لأبي حاتم والمبرد في تفسير قوله تعالى: ﴿وَلِنَجْعَلَهُۥٓ ءَايَةً لِّلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِّنَّا﴾ [مريم: ٢١].

قال الحسَنُ: تقديرُه: ورتلناه ترتيلا؛ لكيلا يأتُوكَ بمَثَلٍ إلَّا أجَبْنا عنكَ، وجئناكَ بالحقِّ وأحسَنَ تفسيرًا[1].

***

(٣٤) - ﴿ٱلَّذِينَ يُحْشَرُونَ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ أُوْلَٰٓئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضَلُّ سَبِيلًا ﴾.

﴿ٱلَّذِينَ يُحْشَرُونَ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ أُوْلَٰٓئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضَلُّ سَبِيلًا ﴾ هذه مُتَّصلةٌ بقولِه: ﴿ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُّسْتَقَرًّا وَأَحْسَنُ مَقِيلًا ﴾.

ورُوِيَ في حديثٍ مرفوعٍ أنَّ النَّبيَّ ﷺ قالَ: «يُحشَرُ النّاسُ يوم القيامةِ على ثلاثِ طبقاتٍ؛ فبعضُهم يكونون رُكبانًا على الدَّوابِّ، وبعضُهم يمشون على أقدامِهم، وبعضُهم يمشون على وجوهِهم»، فقيل له: يا رسولَ الله، فكيفَ يمشون على وجوهِهم؟ فقالَ عليه السَّلامُ: «إنَّ الذي أمشاهُم على أقدامِهم قادرٌ على أن يُمشِّيهم على وجوهِهم»[2].

---

(١) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٢٠٨٧)، والطبري في «تفسيره» (١٧/ ٤٤٦) بلفظ: «كان ينزل آية أو آيتين أو آيات، كان ينزل جواباً لهم، فإذا سألوا عن شيء أنزل الله جوابًا لهم وردًّا عن النبي ﷺ فيما يكلمونه، وكان بين أوله وآخره نحو من عشرين سنة»، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٨١٥)، وعدَّه من العجائب.

(٢) رواه بنحوه الترمذي (٣١٤٢) عن أبي هريرة عن النبي ﷺ، ولفظه: «يحشر الناس يوم القيامة ثلاثة أصناف: صنفًا مشاة، وصنفا ركبانًا، وصنفًا على وجوههم»، قيل: يا رسول الله، وكيف يمشون على وجوههم؟ قال: «إن الذي أمشاهم على أقدامهم قادر على أن يمشيهم على وجوههم، أما إنهم يتقون بوجوههم كل حدب وشوك»، قال الترمذي: «حديث حسن».

ويشهد لآخره ما في البخاري (٤٧٦٠) ومسلم (٢٨٠٦) من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه: أن رجلًا قال: يا رسول الله، كيف يحشر الكافر على وجهه يوم القيامة؟ قال: «أليس الذي أمشاه على =

وقيل: يُجَرُّونَ ويُسحَبون.

وقيل: هو من قولِ العربِ: مَرَّ فلانٌ على وجهِه، إذا لـم يَدْرِ أين ذهبَ، فيكونُ كقولِه: ﴿كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ﴾ [القارعة: ٤] لا يتَّجِهُ لجهةٍ واحدةٍ.

وقولُه: ﴿شَرٌّ مَّكَانًا﴾؛ أي: منَ المؤمنين في الدُّنيا، ويحتمِلُ: ﴿شَرٌّ مَّكَانًا﴾ ممَّن في مكانِه شرٌّ؛ إذ ليس في مكانِ المؤمنين شرٌّ.

﴿وَأَضَلُّ سَبِيلًا﴾ عنِ الصَّوابِ في الدُّنيا.

***

(٣٥) ـ ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى الْكِتَٰبَ وَجَعَلْنَا مَعَهُۥٓ أَخَاهُ هَٰرُونَ وَزِيرًا﴾.

﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى الْكِتَٰبَ﴾؛ أي: كما آتينا محمَّدًا عليه السَّلامُ القرآنَ آتينا موسى التَّوراةَ، ﴿وَجَعَلْنَا مَعَهُۥٓ﴾؛ أي: وأرسَلْنا معه ﴿أَخَاهُ هَٰرُونَ﴾ عطفُ بيانٍ أو بدلٌ ﴿وَزِيرًا﴾ فَعيلٌ بمعنى مُفاعلٍ، كنَديمٍ وأكيلٍ، وقد سبقَ، قال:

وكانَ أخــي رُكنــي وكانَ مُــؤازِري ففارَقَني رُكنــي ومــاتَ وزيــري[1]

أي: مُؤازِري ومُعيني.

***

(٣٦) ـ ﴿فَقُلْنَا اذْهَبَآ إِلَى الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِـَٔايَٰتِنَا فَدَمَّرْنَٰهُمْ تَدْمِيرًا﴾.

﴿فَقُلْنَا اذْهَبَآ إِلَى الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِـَٔايَٰتِنَا﴾ يعني: قِبطًا قومَ فرعونَ ﴿فَدَمَّرْنَٰهُمْ تَدْمِيرًا﴾؛ أي: فذهَبا إلى القومِ فلم يُؤمِنُوا بهما ﴿فَدَمَّرْنَٰهُمْ﴾: فأهلَكْناهُم أشدَّ

= رجليه في الدنيا قادرًا على أن يمشيه على وجهه يوم القيامة؟».

(١) لم أجده.

الإهلاكِ، وأصلُه: كسرُ الشَّيءِ على وجهٍ لا يَقبَلُ بعدَه إصلاحًا، والدَّمارُ: الاستِئصالُ بالهلاكِ، والدُّمورُ: الدُّخولُ بالمكروهِ.

ابنُ عيسى: التَّدميرُ: الإهلاكُ بأمرٍ عجيبٍ[1].

* * *

(٣٧) - ﴿وَقَوْمَ نُوحٍ لَّمَّا كَذَّبُوا الرُّسُلَ أَغْرَقْنَاهُمْ وَجَعَلْنَاهُمْ لِلنَّاسِ آيَةً وَأَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ عَذَابًا أَلِيمًا﴾.

﴿وَقَوْمَ نُوحٍ﴾؛ أي: أهلَكْنا قومَ نوحٍ.

وقيل: هو عطفٌ على ﴿دَمَّرْنَاهُمْ﴾.

وقيل: نصبٌ بـ﴿أَغْرَقْنَاهُمْ﴾، كما تقولُ: زيدًا ضربتُه.

﴿لَّمَّا كَذَّبُوا الرُّسُلَ﴾ يعني: نوحًا وإدريسَ وآدمَ عليهم السَّلامُ.

وقيل: جُمِعَ لأنَّ مَن كذَّبَ رسولًا فقد كذَّبَ الرُّسلَ.

وقيل: الرُّسلُ: نوحٌ والملائكةُ الذين كانوا يأتونَه بالوحيِ.

وقيل: أخبرَهُم نوحٌ بمجيءِ الرُّسلِ، فأنكَروا بعثَ الرُّسلِ أصلًا.

﴿أَغْرَقْنَاهُمْ﴾: أهلَكْناهُم بالماءِ ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ لِلنَّاسِ آيَةً﴾: عبرةً ﴿وَأَعْتَدْنَا﴾: هيَّأنا ﴿لِلظَّالِمِينَ﴾: للكافرينَ ﴿عَذَابًا أَلِيمًا﴾ هو النَّارُ.

* * *

(٣٨) - ﴿وَعَادًا وَثَمُودَا وَأَصْحَابَ الرَّسِّ وَقُرُونًا بَيْنَ ذَلِكَ كَثِيرًا﴾.

﴿وَعَادًا﴾: وأهلَكْنا عادًا، وهم قومُ هودٍ ﴿وَثَمُودَ﴾: أصحاب صالحٍ، ﴿وَأَصْحَابَ الرَّسِّ﴾ اختلَفُوا في أصحابِ الرَّسِّ، والرَّسُّ: البئرُ أوَّلَ ما تُحفَرُ قبلَ أن تُطوَى، ورَسَّ

---

(١) ذكره ابن فورك في «تفسيره» (١/ ١٩٢)، والنسفي في «تفسيره» (٢/ ٥٣٧) بلا نسبة.

المكانَ: حفَرَه، وكلُّ محفورٍ رَسٌّ، وجاء في القصصِ أنَّهم قومُ شُعَيبٍ أهلُ مَدينَ.

وَهبُ بنُ مُنبِّهٍ: كانوا أهلَ بئرٍ قُعودًا عليها، وأصحابَ مواشٍ يعبُدون الأصنامَ، فبعثَ الله إليهم شُعَيبًا يدعوهم إلى الإسلامِ فكفَروا به، فبينا هم حولَ البئرِ في منازلِهم انهارَتِ البئرُ فانخَسفَت بهم فهلَكُوا[١].

قتادةُ: الرَّسُّ: بئرٌ بفَلْجِ اليمامةِ قتَلوا نبيَّهم فأُهلِكُوا[٢].

وقيل: هم بقيَّةُ ثمودَ، والرَّسُّ هي التي في قولِه: ﴿وَبِئْرٍ مُّعَطَّلَةٍ﴾ [الحج: ٤٥].

سعيدُ بنُ جُبيرٍ: كان لأهلِ الرَّسِّ نبيٌّ يُقالُ له: حنظلةُ بنُ صفوانَ، وكان بأرضِهم جبلٌ يقالُ له: دَمْخٌ[٣]، مَصْعَدُه في السَّماءِ ميلٌ، وكان عليه منَ الطَّيرِ ما شاء اللهُ، ثمَّ ظهرَتْ طيرٌ كأعظمِ ما يكونُ منَ الطَّيرِ، وفيها من كلِّ طيرٍ لونٌ، وسَمَّوْها عَنْقاءَ لطولِ عُنُقِها، وكانت تَنْقَضُّ على الطَّيرِ تأكلُها، فجاعَتْ يومًا فأعوَزَتْه الطَّيرُ فانقَضَّتْ على صبيٍّ فذهبَتْ به، فسُمِّيَتْ عَنقاءَ مُغْرِبٍ؛ لأنَّها أغربَتْ بما أخذَتْه فذهبَتْ به، ثمَّ إنَّها انقَضَّتْ على جاريةٍ ترَعْرَعَتْ فأخذَتْها فضَمَّتْها إلى جناحَينِ لها صغيرَين سوى الجناحَينِ الكبيرَين فطارَتْ بها، فشكَوا إلى نبيِّهم فقالَ: «اللَّهمَّ خُذْها واقطَعْ نسلَها»، فأصابَتْها صاعقةٌ فاحترقَتْ ولم يُرَ لها أثرٌ، فضربَتْها العربُ مثلًا في أشعارِها، ثمَّ إنَّهم قتلُوا نبيَّهم، فأهلَكَهم اللهُ[٤].

---

(١) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (١٩/ ٤١٢)، والواحدي في «البسيط» (١٦/ ٥٠٦).

(٢) ذكره بهذا اللفظ الثعلبي في «تفسيره» (١٩/ ٤١٣)، ورواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٢٩٥١) بلفظ: «كانوا بحجر بناحية اليمامة على آبار»، والطبري في «تفسيره» (١٧/ ٤٥٢) بلفظ: «الرس قرية من اليمامة يقال لها: الفلج».

(٣) في (ف): «دمح»، وفي «معجم البلدان» (٢/ ٤٦٢): «دَمْخٌ ـ بفتح أوله، وسكون ثانيه، وآخره خاء معجمة ـ: اسم جبل كان لأهل الرّسّ مصعده في السماء ميل، وقيل: جبل لبني نفيل بن عمرو بن كلاب».

(٤) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (١٩/ ٤١٣) عن سعيد بن جبير والكلبي والخليل، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٨١٦)، واستغربه.

قال أبو عبيدةَ: الرَّسُّ: المعدِنُ[١].

وقيل: الرَّسُّ ما بين نَجْرانَ إلى اليمنِ إلى حضرمَوْتَ.

ابنُ عبَّاسٍ رضي الله عنهما: بئرٌ بأذْرَبيجانَ[٢].

وقيل: بئرٌ قُتِلَ فيها صاحبُ ﴿يسٓ﴾ بأنطاكِيَةَ، وصاحبُ ﴿يسٓ﴾ حبيبٌ النَّجَّارُ[٣].

وقيل: قومٌ بعثَ الله إليهم أنبياءَ فقتلوهم ورسُّوا عظامَهم في بئرٍ لهم، فسمَّاهم الله أصحابَ الرَّسِّ.

وقيل: هم قومٌ كذَّبوا نبيًّا أتاهُم فحبَسوه في بئرٍ ووضَعُوا على رأسِ البئرِ صخرةً عظيمةً لا يقدرُ على حملِها إلا جماعةٌ منَ النّاسِ، وقد كانَ آمنَ به من بين الجميعِ عبدٌ أسودُ، وكان العبدُ يأتي الجبلَ ويحتطبُ على ظهرِه، ويبيعُ الحزمةَ ويشتَري بثمنِها طعامًا، ثم يأتي به البئرَ فيُلقي إليه الطَّعامَ من خُروقِ الصَّخرةِ، فكان على ذلك سنين، ثمَّ إنَّ الله أهلَكَ القومَ وأرسلَ ملَكًا فرفعَ الحجرَ وأخرَجَ النَّبيَّ منَ البئرِ.

وقيل: بل الأَسْودُ عالَجَ الصَّخرةَ، فقوَّاه الله لرفعِها فرفعَها وألقى حبلًا إليه واستخرَجه منَ البئرِ، فأوحى الله إلى ذلك النَّبيِّ أنَّه يكونُ رفيقَه في الجنَّةِ. وعن النَّبيِّ عليه السَّلامُ أنَّه قال: «إنَّ أوَّلَ النَّاسِ دُخولًا في الجنَّةِ لعبدٌ أسودُ» يُريدُ هذا العبدَ[٤].

وقيل: قومٌ ألقَوا نبيَّهم في البئرِ وأرسلوا عليه التُّرابَ، فرسُّوه بالتُّرابِ؛ أي: دَسُّوه.

وقيل: قومٌ أُرسِلَ إليهم نبيٌّ فأكلوه.

---

(١) انظر: «مجاز القرآن» (٢/ ٧٥).

(٢) رواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٨/ ٢٦٩٥)، وذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٤/ ١٤٥).

(٣) وهو الذي قال: ﴿يَٰقَوۡمِ ٱتَّبِعُواْ ٱلۡمُرۡسَلِينَ﴾، وستأتي قصته

(٤) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (١٩/ ٤١٥) من رواية ابن إسحاق عن محمد بن كعب القرظي.

محمَّدُ بنُ مروانَ: كان قومٌ نساؤُهم ساحقاتٌ.

وقيل: الرَّسُّ ماءٌ ونخلٌ لبني أسدٍ، حكاهُ القفَّالُ[١].

وقيل: هو اسمٌ أعجميٌّ، وقد أطنَبَ الثَّعلبيُّ في قصَّةِ أصحابِ الرَّسِّ[٢]، وهـذا كافٍ، والله أعلَمُ بهم.

﴿وَقُرُونًا بَيْنَ ذَٰلِكَ كَثِيرًا﴾: وأهلكنا أُممًا بينَ هذه الأممِ كثيرًا لا يعلَمُها إلّا اللهُ، أُرسِلَ إليهم الرُّسلُ فكذَّبوهم فأُهلِكُوا.

والقرونُ: أهلُ كلِّ عصرٍ. وقيل: أهلُ القرونِ، والقرونُ: الأزمِنةُ، والأوَّلُ أولى.

***

(٣٩) ـ ﴿وَكُلًّا ضَرَبْنَا لَهُ الْأَمْثَالَ وَكُلًّا تَبَّرْنَا تَتْبِيرًا﴾.

﴿وَكُلًّا ضَرَبْنَا لَهُ الْأَمْثَالَ﴾؛ أي: لـم نُهلِـكْ أمَّةً إلَّا بعد إبـلاغٍ واحتجاجٍ وضربِ أمثالٍ بوصـفِ الأشـباهِ مـنَ الأمـمِ التـي كانَـتْ قبلَهـم فأُهلِكُـوا بتكذيـبِ الأنبيـاءِ. ﴿وَكُلًّا﴾ منصوبٌ بفعلٍ مُقدَّرٍ؛ أي: أنذَرْنا كلًّا.

وقيل: تقديرُه: وضرَبْنا كلَّ الأمثالِ ﴿لَهُ﴾ لمُحمَّدٍ عليه السَّلامُ[٣].

﴿وَكُلًّا تَبَّرْنَا تَتْبِيرًا﴾ بعد أن ضرَبْنا الأمثالَ وأعذَرْنا إليهم، والتَّتبيرُ: التَّقطيعُ، ومنه: التِّبْرُ، لدُقاقِ الذَّهَبِ.

***

---

(١) ذكره مع الذي قبله المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٨١٦)، وذكره أبو حبان بلا نسبة في «البحر المحيط» (٨/ ١٠٧).

(٢) انظر: «تفسير الثعلبي» (١٩/ ٤١٢ ـ ٤٣٠).

(٣) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٨١٧)، واستغربه.

(٤٠) ـ ﴿وَلَقَدْ أَتَوْا عَلَى الْقَرْيَةِ الَّتِي أُمْطِرَتْ مَطَرَ السَّوْءِ أَفَلَمْ يَكُونُوا يَرَوْنَهَا بَلْ كَانُوا لَا يَرْجُونَ نُشُورًا﴾.

﴿وَلَقَدْ أَتَوْا عَلَى الْقَرْيَةِ الَّتِي أُمْطِرَتْ مَطَرَ السَّوْءِ﴾؛ أي: مرُّوا بها، وهي قريَّاتُ قومِ لوطٍ، وسَدُومُ اسمُ أعظَمِها، جعلَها الله أعاليَها أسافلَها، وأمطَرَهم حجارةً عند الجمهورِ.

مجاهدٌ: أُمطِرَتْ كبريتًا ونارًا(١).

و﴿مَطَرَ السَّوْءِ﴾: البلاءُ، و(مُطِرَ) يُستَعملُ في الخيرِ، و(أُمطِرَ) في الشَّرِّ(٢).

قال الأخفشُ: هما لغتانِ(٣).

والضَّميرُ في ﴿وَلَقَدْ أَتَوْا﴾ لأهلِ مكَّةَ، ﴿أَفَلَمْ يَكُونُوا يَرَوْنَهَا﴾: أمَا شاهَدُوا ذلك بأبصارِهم، فكيف لم يتَّعِظُوا ولم ينزَجِروا عن كُفرِهم بك؟

﴿بَلْ كَانُوا لَا يَرْجُونَ نُشُورًا﴾؛ أي: حمَلَهم على الكفرِ والمعاصي إنكارُهم البعثَ، ومعنى ﴿لَا يَرْجُونَ﴾: لا يأملونَ الثَّوابَ.

وقيل: لا يخافون العقابَ.

وقيل: لا يظُنُّون.

***

(٤١) ـ ﴿وَإِذَا رَأَوْكَ إِنْ يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا أَهَذَا الَّذِي بَعَثَ اللَّهُ رَسُولًا﴾.

﴿وَإِذَا رَأَوْكَ إِنْ يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا﴾؛ أي: إذا أبصرَكَ مُشرِكو قُريشٍ ما يتَّخذونَك

---

(١) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٢٠/ ١٠٨) عن وهب بن منبه، وقد ذكره المصنف عن وهب في تفسير قوله تعالى: ﴿مُسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَ﴾ [هود: ٨٣].

(٢) هذا التفصيل عن أبي عبيدة. انظر: «بحر العلوم» للسمرقندي (٢/ ١٩)، و«البسيط» للواحدي (١٠/ ١٢١).

(٣) انظر: «معاني القرآن» للأخفش (٢/ ٤٥٨).

إلا هُزْوًا، وهو الذي يُهزَأُ منه، كالسُّخْرةِ لِـمَا يُسخَرُ منه، والضُّحْكةِ لِمَا يُضحَكُ منه.

﴿أَهَٰذَا ٱلَّذِى بَعَثَ ٱللَّهُ رَسُولًا﴾؛ أي: هذا الذي يزعمُ أنَّه بعثَه الله إلينا رسولًا، قالوه إنكارًا واستصغارًا لقَدْرِه.

وقيل: نزلَتْ في أبي جهلٍ[1].

***

(٤٢) ـ ﴿إِن كَادَ لَيُضِلُّنَا عَنْ ءَالِهَتِنَا لَوْلَآ أَن صَبَرْنَا عَلَيْهَا ۚ وَسَوْفَ يَعْلَمُونَ حِينَ يَرَوْنَ ٱلْعَذَابَ مَنْ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾.

﴿إِن كَادَ لَيُضِلُّنَا عَنْ ءَالِهَتِنَا﴾: يصرِفُنا بسحرِه وطَلاوةِ كلامِه عن الآلهةِ و﴿إِنْ﴾ هي المُخفَّفةُ منَ المُثقَّلةِ، واللامُ لامُ الفرقِ، والمعنى: قارَبَ إضلالَنا بصرفِه إيانا عن دينِ معبودِينا ﴿لَوْلَآ أَن صَبَرْنَا عَلَيْهَا﴾ لتَمَّ له كيدُه، وجوابُ ﴿لَوْلَآ﴾ محذوفٌ دلَّ عليه أوَّلُ الكلامِ.

وقيل: (كادَ) منَ الكيدِ[2]، وهو عملٌ في خُفيةٍ.

﴿وَسَوْفَ يَعْلَمُونَ حِينَ يَرَوْنَ ٱلْعَذَابَ﴾ أجابَهم الله وقال: إنَّما يظهرُ المُحِقُّ منَ المُبطِلِ عند رُؤيةِ العذابِ يومَ القيامةِ.

﴿مَنْ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾ أنتَ أم هم؟ ووصفَ السَّبيلَ بالضَّلالِ مجازًا، والمُرادُ سالِكوها.

***

(٤٣) ـ ﴿أَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ أَفَأَنتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا﴾.

﴿أَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ﴾ استفهامُ تعجيبٍ، وذلك أنَّ المُشركَ إذا رأى شيئًا أعجبَه من حجرٍ أو شجرٍ اتَّخذَه معبودًا، فكأنَّه يتَّخِذُه إلهًا بهواه.

---

(١) انظر: «تفسير مقاتل» (٣/ ٢٣٥).

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٨١٧)، واستغربه.

نزلَتْ في الحارثِ بنِ قيسٍ كان إذا هَوِيَ شيئًا عبدَه[١].

وقيل: اتَّخذَ هواه إلههُ[٢]، فلا يهوَى شيئًا إلا ركبَه، ولا يشتَهي شيئًا إلا أتاه، والمعنى: يتَّخِذُ ما يَهواه آلهةً، والهوى: ميلُ القلبِ إلى الشَّيءِ.

﴿أَفَأَنتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا﴾: حفيظًا يمنعُه عن ذلك.

وقيل: كفيلًا بهُداه مع اتِّباعِه الهوى.

وقيل: نصيرًا.

وقيل: مُسَيطرًا.

وليس هذا نهيًا عن دُعائِه إياهم، بل إعلامٌ بأنَّه قد قضى ما عليه منَ الإنذارِ والإعذارِ.

* * *

(٤٤) ـ ﴿أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾.

﴿أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ﴾؛ أي: أم تتوهَّمُ أنَّ أكثرَ هؤلاءِ يعملون عملَ مَن يسمعُ، أو يعملون عملَ مَن يعقِلُ شيئًا، فأنتَ بهذا مشغولُ القلبِ لإصرارِهم على كُفرِهم، فلا تهتمَّ بشأنِهم، وإنَّما قال: ﴿أَكْثَرَهُمْ﴾ لأنَّ فيهم مَن آمنَ.

﴿إِنْ هُمْ﴾: ما هم ﴿إِلَّا كَالْأَنْعَامِ﴾ في رُكوبِها رُؤوسَها غيرَ مُفكِّرٍ[٣] في عاقبةٍ ﴿بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾؛ لأنَّها إن لم تعتقِدْ صحَّةَ التَّوحيدِ فلا تعتقِدُ بُطلانَه.

---

(١) انظر: «تفسير مقاتل» (٣/ ٢٣٥)، وعنه «البسيط» (١٦/ ٥١٢)، وذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٤/ ١٤٦) عن النقاش.

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٨١٧)، واستغربه.

(٣) كذا في النسختين الخطيتين، ولعل صوابه: «مفكرة».

وقيل: البهائمُ تهتَدي لمراعيها وتنقادُ لأربابِها، وهؤلاءِ لا يهتَدون لمنافعِهم ولا يُطيعون ربَّهم.

وقيل: البهيمةُ تعرفُ ربَّها وتذكرُه، والكافرُ لا يعرفُ ربَّه(١) ولا يذكرُه.

* * *

(٤٥) ـ ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ ٱلظِّلَّ وَلَوْ شَآءَ لَجَعَلَهُۥ سَاكِنًا ثُمَّ جَعَلْنَا ٱلشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلًا﴾.

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ ٱلظِّلَّ﴾ قيلَ: ألـم تعلَمْ، ومفعولاه مُقـدَّرانِ؛ أي: أما علِمْتَ ربَّكَ مادًّا الظِّلَّ؟

وقيل: تقديرُه: ألـم تعلَمْ أنَّ الله هو مدَّ الظِّلَّ؟

وقيل: ألـم تنظُرْ إلى صُنعِ ربِّكَ؟

وقيل: ألـم ترَ إلى الظِّلِّ كيفَ مدَّه الله؟

وقيل: ألـم ترَ إلى مدِّ اللهِ الظِّلَّ؟

ومعنى ﴿مَدَّ ٱلظِّلَّ﴾: بسَطَه، وفي ﴿ٱلظِّلَّ﴾ هاهنا ثلاثةُ أقوالٍ:

أحدُها: أنَّه ما بين طُلوعِ الفجرِ وطلوعِ الشَّمسِ مثلَ ظِلِّ الجنَّةِ، ظِلٌّ ممدودٌ لا شمسَ فيه ولا ظُلمةَ، وهذا قولُ الجمهورِ.

والثاني: هو اللَّيلُ؛ لأنَّه ظلُّ الأرضِ، ويعُمُّ الدُّنيا كلَّها.

والثالث: ظلالُ الأشياءِ كلِّها، من قولِه: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ إِلَىٰ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ مِن شَىْءٍ يَتَفَيَّؤُا۟ ظِلَٰلُهُۥ﴾ الآية [النحل: ٤٨].

---

(١) في (ف): «والكافر لا يعرفه».

﴿وَلَوْ شَآءَ لَجَعَلَهُۥ سَاكِنًا﴾: ثابتًا دائمًا منَ السُّكنَى، لا منَ السُّكونِ[1]؛ فإنَّ الظِّلَّ ساكنٌ غيرُ مُتحرِّكٍ.

﴿ثُمَّ جَعَلْنَا ٱلشَّمْسَ عَلَيْهِ﴾: على الظِّلِّ ﴿دَلِيلًا﴾، ولولا الشَّمسُ ما عُرِفَ الظِّلُّ.

وقيل: دليلًا تَتْبعُه حتَّى تأتيَ عليه.

ابنُ عيسى: الظِّلُّ يتبعُ الشَّمسَ في طولِه وقصرِه إذا ارتفعَتْ أو انحطَّتْ[2]، ولو شاء لجعلَه ساكنًا لوقوفِ الشَّمسِ.

وقيل: جعَلْنا الشَّمسَ مع الظِّلِّ دليلًا على وحدانيَّةِ الله تعالى سبحانه.

وقيل: دليلًا على أوقاتِ الصَّلواتِ.

* * *

(٤٦) ـ ﴿ثُمَّ قَبَضْنَٰهُ إِلَيْنَا قَبْضًا يَسِيرًا﴾.

﴿ثُمَّ قَبَضْنَٰهُ﴾؛ أي: الظِّلَّ ﴿إِلَيْنَا﴾؛ أي: ضَمَمْناه بطلوعِ الشَّمسِ.

وقيل: بغُروبِها.

﴿قَبْضًا يَسِيرًا﴾ قيل: سهلًا هيِّنًا.

وقيل: قليلًا قليلًا.

وقيل: خَفِيًّا.

وقيل: سريعًا.

---

(١) «لا من السكون» ليس في (ف). وقال الزمخشري: «سَمَّى انبسَاطَ الظلِّ وامتدادَه تَحرُّكاً مِنه، وعَدمَ ذلك سُكوناً». انظر: «الكشاف» (٣/ ٢٨٣).

وقال البيضاوي في «تفسيره» (٤/ ١٢٦): «﴿وَلَوْ شَآءَ لَجَعَلَهُۥ سَاكِنًا﴾: ثابتاً من السكنى، أو غير متقلص من السكون بأن يجعل الشمس مقيمة على وضع واحد».

(٢) ذكر نحوه ابن فورك في «تفسيره» (١/ ١٩٦) بلا نسبة.

وكلُّها قريبٌ؛ لأنَّه يزولُ الظِّلُّ بطلوعِ الشَّمسِ أو بغروبِها على القولين جزءًا فجُزءًا.

ويحتمِلُ واللهُ أعلَمُ: ﴿ ثُمَّ قَبَضْنَٰهُ ﴾؛ أي: الدَّليلَ ـ وهو الشَّمسُ ـ ﴿قَبْضًا يَسِيرًا ﴾ بالأُفولِ، ويكونُ المعنى: ألم ترَ إلى ربِّكَ كيف أتى باللَّيلِ ثمَّ لم يجعلْه دائمًا سرمَدًا، ثمَّ أتى بالشَّمسِ ـ وهو النَّهارُ ـ فجعلَه دليلًا على اللَّيلِ؛ إذ بضِدِّها تتبيَّنُ الأشياءُ، ولم يجعلِ النَّهارَ سرمَدًا، بل قبضَه وأتى باللَّيلِ ثانيًا، ومثلُه ما في القصصِ منَ الآياتِ.

وذكَّرَ الدَّليلَ لأنَّه مصدرٌ.

وقيل: لأنَّه اسمٌ مَحْضٌ.

وقيل: لأنَّه بمعنى: مفعول، ذكرَه صاحبُ «النَّظمِ»، وقال: المعنى: دلَلْنا الشَّمسَ على الظِّلِّ حتى ذهبَتْ به؛ أي: أَتْبَعْناها إيَّاه.

وقيل: ذهبَ به إلى معنى النُّورِ.

وقال: هذا شاذٌّ عن القياسِ كالرَّميمِ والقريبِ والبعيدِ والكثيرِ، وكلُّها في القرآنِ، والمُرادُ بها التَّأنيثُ(١).

* * *

(٤٧) ـ ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ لِبَاسًا وَٱلنَّوْمَ سُبَاتًا وَجَعَلَ ٱلنَّهَارَ نُشُورًا ﴾.

﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ لِبَاسًا ﴾ يعني: غطاءً يسترُ الأشياءَ كما يسترُ اللِّباسُ.

﴿وَٱلنَّوْمَ سُبَاتًا ﴾: قَطْعًا لأعمالِكم وراحةً لأبدانِكم.

والسَّبْتُ: القطعُ.

والسَّبتُ: الاستراحةُ.

---

(١) ذكر المصنف من ذلك قوله تعالى: ﴿ وَهِىَ رَمِيمٌ ﴾ [يس: ٧٨]، و﴿إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ [الأعراف: ٥٦]، و﴿ غَيْرَ بَعِيدٍ ﴾ [ق: ٣١]؛ عند تفسير قوله تعالى: ﴿ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا ﴾.

وقيل: ﴿سُبَاتًا﴾: مسبوتًا، تقول: سُبِتَ المريضُ فهو مسبوتٌ؛ إذا غُشِيَ عليه[١].

﴿وَجَعَلَ ٱلنَّهَارَ نُشُورًا﴾ لمَّا سمَّى النومَ وفاةً في قولِه: ﴿ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَٱلَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا﴾ [الزمر: ٤٢] سمَّى اليقظةَ نُشورًا، مصدرُ: نَشَرَ الميِّتُ[٢].

وقيل: لانتشارِ النَّاسِ للمعاشِ سمَّاه نُشورًا؛ أي: ذا نُشورٍ.

***

(٤٨) - ﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦ ۚ وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً طَهُورًا﴾.

﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ ٱلرِّيَٰحَ﴾: أثارَها سهلةً، مَن جمعَ فلأنَّها أربعٌ، ومَن وحَّدَ فإنَّ الألفَ واللامَ فيها للجنسِ[٣].

﴿بُشْرًۢا﴾ منَ البشارةِ، كقوله: ﴿ٱلرِّيَاحَ مُبَشِّرَٰتٍ﴾ [الروم: ٤٦]؛ و: ﴿نَشْراً﴾[٤]؛ أي: تهبُّ من كلِّ صَوبٍ، من قوله: ﴿وَٱلنَّٰشِرَٰتِ نَشْرًا﴾ [المرسلات: ٣].

وقيل: لها نَشْرٌ؛ أي: رائحةٌ طيِّبةٌ.

وقيل: من «نَشَرْتُ» ضدِّ الطَّيِّ؛ أي: ينشرُ السَّحابَ. ﴿بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦ﴾: أمامَ المطرِ وقُدَّامَه؛ لأنَّه ريحٌ ثمَّ سحابٌ ثمَّ مطرٌ.

﴿وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ﴾: من جانبِ السَّماءِ.

وقيل: منَ السَّحابِ.

---

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٨١٨)، واستغربه.

(٢) أي: عاد حيّاً، وقد ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٨١٨)، واستغربه.

(٣) قرأ ابن كثير بالإفراد، والباقون بالجمع. انظر: «التيسير» (ص: ١٢٥).

(٤) قرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو: ﴿نُشُراً﴾ بضم النون والشين، وابن عامر: ﴿نُشْراً﴾ بضم فسكون، وعاصم: ﴿بُشْراً﴾ بالباء، وقرأ الباقون: ﴿نَشْراً﴾ بفتح فسكون. انظر: «السبعة» (ص: ٤٦٥)، و«التيسير» (ص: ١١٠).

وقيل: من عينِ السَّماءِ.

﴿مَآءً﴾: مطرًا ﴿طَهُورًا﴾: طاهرًا، وبناء (فَعول) للمُبالغةِ؛ فإنْ كان اسمُ الفاعلِ مُتعدِّيًا فالمفعولُ مُتعدٍّ، وإن كانَ لازمًا فلازمٌ؛ قياسًا مُطَّردًا لا ينكسرُ.

وقيل: الطَّهورُ اسمٌ لِـمَا يُتطَهَّرُ به، كالفَطورِ لِـمَا يُفطَرُ عليه، والسَّحورِ لِـمَا يُتسَحَّرُ به، وكلُّ شيءٍ نجسٍ يُطهِّرُه الماءُ، ولا يُطَهَّرُ الماءُ إذا نجِسَ بشيءٍ.

وقيل: يُطهِّرُ الأرضَ منَ الجَدْبِ؛ لأنَّ الجدبَ ميتةٌ، فكأنَّها في التَّمثيلِ نجسةٌ، حكاه القفَّال[1].

***

(٤٩) - ﴿لِّنُحْـِۧيَ بِهِۦ بَلْدَةً مَّيْتًا وَنُسْقِيَهُۥ مِمَّا خَلَقْنَآ أَنْعَٰمًا وَأَنَاسِيَّ كَثِيرًا﴾.

﴿لِّنُحْـِۧيَ بِهِۦ بَلْدَةً مَّيْتًا﴾؛ أي: أنزَلْناه لنُنْبِتَ به أرضًا لا نباتَ فيها، فذاك حياتُها وموتُها.

وقيل: لمَّا نبتَ فيها ما فيه حياةُ الحيوانِ جعلَ ذلك حياةً لها.

﴿وَنُسْقِيَهُۥ مِمَّا خَلَقْنَآ أَنْعَٰمًا وَأَنَاسِيَّ كَثِيرًا﴾؛ أي: ونُسقي الماءَ البهائمَ والنَّاسَ.

وقيل: مَكَّنَّاهم من أنْ يشرَبوه ويسقُوا منه أنعامَهم.

وأدخلَ (مِن) لأنَّ منَ الحيوانِ ما يعيشُ بغيرِ الماءِ، وقد سبقَ في قولِه: ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَىْءٍ حَىٍّ﴾ [الأنبياء: ٣٠]، وقال: ﴿وَأَنَاسِيَّ كَثِيرًا﴾ ولم يقُلْ: مُطلقًا؛ لأنَّه ليس كلُّ النَّاسِ يعيشُ على[2] المطرِ.

﴿وَأَنَاسِيَّ﴾: جمعُ إنسيٍّ.

---

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٨١٨) دون نسبة، واستغربه.

(٢) في (ف): «بماء».

وقيل: جمعُ إنسانٍ، فقُلِبَ النُّونُ ياءً وأُدغِمَ في الياءِ.

وماءٌ أصلُه: ماه، فقُلِبَ الهاءُ همزةً بدليلِ الجمعِ: مياه.

***

(٥٠) ـ ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَٰهُ بَيْنَهُمْ لِيَذَّكَّرُوا فَأَبَىٰٓ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ إِلَّا كُفُورًا﴾.

﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَٰهُ بَيْنَهُمْ﴾ التَّصريفُ: تصييرُ الشَّيءِ دائرًا في الجهاتِ، وأكثرُ المُفسِّرين على أنَّ الهاءَ تعودُ إلى المطرِ؛ أي: قسَمْنا ماءَ السَّماءِ بين العبادِ فمَطَرْنا قومًا أكثرَ وقومًا أقلَّ.

وعن ابنِ عبَّاسٍ ـ وقيل: عن ابنِ مسعودٍ ـ رضي الله عنهما: ما عامٌ بأكثرَ مطرًا من عامٍ، ولكنَّ الله يُصرِّفُه بين خلقِه، وقرأ: ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَٰهُ بَيْنَهُمْ﴾ [الفرقان: ٥٠](١).

وقيل: صرَّفْناه في جهاتِ الأرضِ.

وقيل: صرَّفْناه بأنواعِه وابلًا، وطَلًّا، وجَلَلًا، وطَشًّا، ورَذاذًا.

وقيل: الهاءُ تعودُ إلى القرآنِ.

وقيل: تعودُ إلى جميعِ ما تقدَّمَ.

﴿لِيَذَّكَّرُوا﴾: ليتفكَّروا فلا يكونوا غافلين.

﴿فَأَبَىٰٓ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ إِلَّا كُفُورًا﴾؛ أي: فأَصرَّ ودامَ على الكفرِ والعصيانِ.

وقيل: نسَبُوا المطرَ إلى الأنواءِ فقالوا: مُطِرْنا بنَوءِ كذا وكذا.

***

(١) رواه يحيى بن سلام في «تفسيره» (١/ ٣٩٦)، والطبري في «تفسيره» (١٧/ ٤٦٨)، والحاكم في «المستدرك» (٣٥٢٠) وصححه، عن ابن عباس رضي الله عنهما، ورواه الطبري في «تفسيره» (١٧/ ٤٦٩)، والداني في «الفتن» (٢١١) عن ابن مسعود رضي الله عنه.

(٥١) ـ ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَبَعَثْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ نَّذِيرًا﴾.

﴿وَلَوْ شِئْنَا لَبَعَثْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ نَّذِيرًا﴾؛ أي: في كلِّ مِصْرٍ ومدينةٍ نبيًّا يُنذِرُهم، لكنَّا لم نفعَلْ، بل جعلناك النَّذيرَ للجميعِ، فاشكُرْ وجاهِدْهُم.

وقيل: ولو شئنا لبعَثْنا في كلِّ قريةٍ نذيرًا فيُخفِّفَ عنك أعباءَ النُّبوَّةِ، ولكنْ لم نفعَلْ؛ ليَعظُمَ شأنُكَ ويَكبرَ أجرُكَ.

***

(٥٢) ـ ﴿فَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَجَاهِدْهُم بِهِ جِهَادًا كَبِيرًا﴾.

﴿فَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ﴾ في هواهم ﴿وَجَاهِدْهُم بِهِ﴾ بالقرآنِ.

وقيل: بالإسلامِ.

وقيل: بالسَّيفِ.

﴿جِهَادًا كَبِيرًا﴾ لا يُخالطُه فتورٌ.

الحسنُ: اقتُلْهم أو يُسلِموا(١).

***

(٥٣) ـ ﴿وَهُوَ الَّذِي مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا وَحِجْرًا مَّحْجُورًا﴾.

﴿وَهُوَ الَّذِي مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ﴾: خلَطَ، وأمرٌ مَريجٌ: مختلِطٌ.

وقيل: مَرَجَ: تركَ وأرسلَ، ومَرَجْتَ دابَّتَكَ: خلَّيْتَها، ومنه المَرْجُ.

ابنُ عبَّاسٍ رضي الله عنهما: خلَعَ أحدَهما على الآخرِ(٢).

---

(١) لم أقف عليه.

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (١٧/ ٤٧٢).

مجاهدٌ: أفاضَ أحدَهما في الآخرِ(١).

والبحرانِ: هو(٢) الماءُ العَذْبُ الفُراتُ الذي بلغَ الغايةَ في العُذوبةِ والاستلذاذِ، والمصدرُ: الفُرُوتَةُ، والماءُ الأُجاجُ: المِلحُ بلغَ النِّهايةَ، ويُقالُ: المُرُّ، ويُقالُ: الحارُّ؛ من أَجيجِ النَّارِ، يجتمعانِ في موضعٍ واحدٍ، فلا يبغي أحدُهما على الآخرِ، ولا يُفسِدُ أحدُهما طعمَ الآخرِ، وهو قولُه: ﴿هَٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا﴾ من قُدرتِه يلتَقيانِ فلا يختلِطانِ.

وقال بعضُهم: البحرُ: كلُّ نهرٍ عظيمٍ، والعَذْبُ: جَيْحانُ وسَيْحانُ ودِجْلةُ والفُراتُ والنِّيلُ، والملحُ: سائرُ البحارِ، والبرزخُ بينهما: البلادُ والقِفارُ فلا يختلطانِ، فإذا كان يومُ القيامةِ اختلَطا بزوالِ الحاجزِ كقولِه: ﴿وَإِذَا ٱلْبِحَارُ فُجِّرَتْ﴾ [الانفطار: ٣].

وقيل: البرزَخُ: مُدَّةُ ما بينَ الدُّنيا والآخرةِ، فإذا انقضَتِ الدُّنيا اختلَطا.

قولُه: ﴿وَحِجْرًا مَّحْجُورًا﴾؛ أي: حدًّا محدودًا.

الفرَّاءُ: حرامًا مُحرَّمًا أن يغلبَ أحدُهما على صاحبِه(٣).

وقيل: البحرانِ: بحرُ السَّماءِ والأرضِ.

وقيل: بحرُ فارسَ وبحرُ الرُّومِ. والوجهُ الأوَّلُ.

وقيل: ﴿ٱلْبَحْرَيْنِ﴾ اسمُ الملحِ دونَ العذبِ، وثُنِّي كالعُمَرَين والقَمَرَين(٤).

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (١٧/ ٤٧٢)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٨/ ٢٧٠٧).

(٢) كذا في النسختين الخطيتين، ولعل الصواب: «هما».

(٣) انظر: «معاني القرآن» للفراء (٢/ ٢٧٠).

(٤) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٨١٩)، واستغربه.

(٥٤) - ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ مِنَ ٱلْمَآءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُۥ نَسَبًا وَصِهْرًا ۗ وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا﴾.

﴿وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ مِنَ ٱلْمَآءِ بَشَرًا﴾: خلقَ منَ النُّطفةِ إنسانًا، والبشرُ واحدٌ.

وقيل: المُرادُ بنو آدمَ، والبشرُ جمعٌ خُلِقوا من نُطفةِ آدمَ.

وقيل: المُراد آدمُ، وآدمُ خُلِقَ من الطِّينِ، والطِّينُ ماءٌ وترابٌ.

وقيل: أصلُ كلِّ شيءٍ الماء، والتُّرابُ خُلِقَ من الماءِ، وقد سبق.

وقيل: خُلِقَ الحيوانُ من الماءِ والتُّرابِ والهواءِ والنَّارِ، وليس إذا قالَ: خُلِقَ منَ الماءِ، امتنعَ أن يكونَ معه شيءٌ آخرُ.

﴿فَجَعَلَهُۥ نَسَبًا وَصِهْرًا﴾ الهاءُ تعودُ إلى الماءِ، وقيل: إلى البشرِ.

قال بعضُ المُفسِّرين: النَّسبُ: ما لا يحلُّ نكاحُه، والصِّهرُ: ما يحلُّ من القرابةِ وغيرِ ذلك.

وقيل: النَّسبُ: البَنونَ، والصِّهرُ: البناتُ؛ لأنَّ مِن قِبَلِهنَّ تكونُ الأصهارُ، والصِّهرُ: المُتزوِّجُ بابنةِ الرَّجلِ.

وقيل: النَّسبُ سبعٌ، وهي من قولِه: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَٰتُكُمْ﴾ [النساء: ٢٣] إلى قولِه: ﴿وَبَنَاتُ ٱلْأُخْتِ﴾ [النساء: ٢٣]، والصِّهرُ خمسٌ من قولِه: ﴿وَأُمَّهَٰتُكُمُ ٱلَّٰتِىٓ أَرْضَعْنَكُمْ﴾ [النساء: ٢٣] إلى قولِه: ﴿مِنْ أَصْلَٰبِكُمْ﴾ [النساء: ٢٣][(١)].

وقيل: النَّسبُ آدمُ، والصِّهرُ: حوَّاءُ[(٢)].

﴿وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا﴾: قادرًا على الكمالِ.

* * *

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٨١٩)، واستغربه.

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٨١٩)، وعدَّه من العجائب.

(٥٥) ـ ﴿ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُهُمْ وَلَا يَضُرُّهُمْ وَكَانَ ٱلْكَافِرُ عَلَىٰ رَبِّهِۦ ظَهِيرًا ﴾.

﴿ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُهُمْ وَلَا يَضُرُّهُمْ ﴾ يعني: الأصنامَ ﴿وَكَانَ ٱلْكَافِرُ عَلَىٰ رَبِّهِۦ ظَهِيرًا ﴾ نزلَتْ في أبي جهلٍ[1]، فصارَتْ عامًّا في الكفَّارِ، وفي معناه أقوالٌ:

أحدُها: مُعينًا لأعداءِ الله وللشَّيطانِ على معصيةِ الله، فيكونُ الرَّبُّ في الآيةِ اللهَ سبحانَه وتعالى.

وقيل: أولياءِ ربِّه؛ أي: يُعينُ على مُعاداتِهم.

وقيل: على معصيةِ ربِّه.

وقيل: ﴿عَلَىٰ رَبِّهِۦ ﴾؛ أي: الصَّنمِ يعملُ به ما يشاءُ من كَسْرٍ وحَرْقٍ، وصَوْغٍ على شكلٍ ثمَّ على شكلٍ غيرِ الأوَّلِ، من قولِهم: بعيرٌ ظهيرٌ وناقةٌ ظهيرةٌ؛ أي: قويٌّ.

وقيل: بربِّه ظهيرًا؛ أي: يتقوَّى به بزَعمِه، فتكونُ ﴿عَلَىٰ﴾ بمعنى الباءِ[2].

وقيل: على الله ظهيرًا باطلًا، من قولِه: ﴿وَٱتَّخَذْتُمُوهُ وَرَآءَكُمْ ظِهْرِيًّا ﴾ [هود: ٩٢]، وظهَرَ بحاجتِه؛ إذا تركَها ونبذَها وراءَ ظهرِه[3].

***

(٥٦) ـ ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَـٰكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴾.

﴿وَمَآ أَرْسَلْنَـٰكَ ﴾ يا محمَّدُ ﴿إِلَّا مُبَشِّرًا ﴾ للمؤمنين ﴿وَنَذِيرًا ﴾: مُنذِرًا للكافرين.

***

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (١٧/ ٤٧٨) من طريق عطية العوفي عن ابن عباس رضي الله عنهما، وإسناده ضعيف جدًّا، ورواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٨/ ٢٦١١) عن عطية العوفي ومجاهد والشعبي.

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٨٢٠)، واستغربه.

(٣) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٨٢٠)، وعدَّه من العجائب.

(٥٧) ـ ﴿قُلْ مَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِلَّا مَن شَآءَ أَن يَتَّخِذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلًا﴾.

﴿قُلْ مَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ﴾ على تبليغِ الرِّسالةِ، وقيل: على التَّبشيرِ.

﴿مِنْ أَجْرٍ﴾: رزقٍ وجُعلٍ.

﴿إِلَّا مَن شَآءَ أَن يَتَّخِذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلًا﴾ الاستثناءُ مُنقطِعٌ عند الجمهورِ؛ أي: لكنْ مَن شاءَ أن يتَّخِذَ إلى ربِّه سبيلًا فليفعَلْ.

وقيل: لكنْ مَن أنفقَ في سبيلِ الله ومُجاهدةِ أعداءِ الله نَفَعَه.

وقيل: الاستثناءُ مُتَّصلٌ، وتقديرُه: لا أسألُكم على ما أدعوكُم إليه أجرًا إلا اتِّخاذَ المدعوِّ سبيلًا إلى ربِّه بطاعتِه فذلك أجري؛ لأنَّ الله يأجُرُني عليه(١).

***

(٥٨) ـ ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْحَىِّ ٱلَّذِى لَا يَمُوتُ وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِۦ ۚ وَكَفَىٰ بِهِۦ بِذُنُوبِ عِبَادِهِۦ خَبِيرًا﴾.

﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْحَىِّ ٱلَّذِى لَا يَمُوتُ﴾: فوِّضْ أمرَكَ إليه وثِقْ به؛ فإنَّه حيٌّ لا يموتُ، وسينتقِمُ منهم ولو بعد حينٍ.

﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِۦ﴾: نَزِّهْه عمّا لا يليقُ به وبأوصافِه.

وقيل: سبِّحْ بأنْ تحمدَه.

وقيل: الباءُ للحالِ، أي: سبِّحْه حامِدًا.

وقيل: احمَدْه مُنزِّهًا.

وقيل: صَلِّ له حامِدًا.

---

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٨٢٠)، واستغربه.

﴿وَكَفَىٰ بِهِۦ بِذُنُوبِ عِبَادِهِۦ خَبِيرًا﴾: كفى بالله خبيرًا بذنوبِ عبادِه؛ أي: عالِـمًا بها، ولا يخفَى عليه شيءٌ منها.

* * *

(٥٩) ـ ﴿ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱلرَّحْمَٰنُ فَسْـَٔلْ بِهِۦ خَبِيرًا﴾.

﴿ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱلرَّحْمَٰنُ﴾؛ أي: هو الرَّحمنُ.

ويجوزُ أن يكونَ ﴿ٱلَّذِي﴾ مُبتدأً، و﴿ٱلرَّحْمَٰنُ﴾ خبرُه، ويجوزُ أن يكونَ وصفًا له، و﴿فَسْـَٔلْ بِهِۦ خَبِيرًا﴾ خبرُه.

ويجوزُ أن يقفَ على ﴿أَيَّامٍ﴾، ويرتفعَ ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ﴾ بقولِه: ﴿ٱسْتَوَىٰ﴾.

ويجوزُ أن يرتفعَ بالابتداءِ ﴿فَسْـَٔلْ بِهِۦ﴾ خبرُه، على مذهبِ الأخفشِ، فتكونُ الفاءُ زيادةً(١).

وقولُه: ﴿فَسْـَٔلْ بِهِۦ خَبِيرًا﴾ قيل: الهاءُ عائدٌ إلى الخلقِ، وذلك أنَّ اليهودَ وَصَفوا خلقَ السَّماواتِ والأرضِ على خلافِ ما خلَقَ اللهُ، والتَّقديرُ: فاسألِ الرَّحمنَ خبيرًا به؛ فإنَّه خالقُه ومُكوِّنُه(٢).

وقيل: ﴿خَبِيرًا﴾ مفعولٌ، والتَّقديرُ: فاسأَلْ خبيرًا به، فيجوزُ أن يكونَ هو الرَّحمن كالوجهِ الأوَّلِ، ويجوزُ أن يكونَ غيرُه كقولِه: ﴿فَسْـَٔلِ ٱلَّذِينَ يَقْرَءُونَ ٱلْكِتَٰبَ﴾ [يونس: ٩٤]، فيكونُ الخطابُ للنَّبيِّ عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ والمُرادُ به غيرُه.

---

(١) ذكره العكبري في «التبيان» (٢/ ٩٨٩)، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٨٢٠) دون نسبة، واستغربه.

(٢) و﴿خَبِيرًا﴾ على هذا التقدير حال، و﴿بِهِۦ﴾ متلقان بحال مقدمة من ﴿خَبِيرًا﴾.

وقيل: الباءُ من صلةِ السُّؤالِ بمعنى (عن) كقولِه: ﴿سَأَلَ سَآئِلُۢ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ﴾ [المعارج: ١]، وقال الشَّاعرُ:

فإن تسألوني بالنِّساءِ فإنَّني … بصيرٌ بأدواءِ النِّساءِ طبيبُ(١)

و﴿خَبِيرًا﴾ جاز أن يكونَ لله سبحانَه، وجازَ لغيرِه على ما سبقَ(٢).

وقيل: ﴿بِهِۦ﴾ يعودُ إلى الله.

وقيل: إلى الاستواءِ فيمَن جعلَ ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ﴾ رفعًا به(٣).

وقيل: السُّؤالُ بمعنى الطَّلبِ كقولِه: ﴿تَسَآءَلُونَ بِهِۦ﴾ [النساء: ١]، والهاءُ تعودُ إلى الله، و﴿خَبِيرًا﴾ حالٌ منَ الهاءِ؛ أي: اطلُبْ ما تطلبُ بالله الخبيرِ(٤).

***

(٦٠) - ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱسْجُدُوا۟ لِلرَّحْمَٰنِ قَالُوا۟ وَمَا ٱلرَّحْمَٰنُ أَنَسْجُدُ لِمَا تَأْمُرُنَا وَزَادَهُمْ نُفُورًا﴾.

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ﴾: إذا قالَ محمَّدٌ عليه السَّلامُ للمُشركين: ﴿ٱسْجُدُوا۟ لِلرَّحْمَٰنِ قَالُوا۟ وَمَا ٱلرَّحْمَٰنُ﴾ فيه أربعةُ أقوالٍ:

أحدُها وهو قولُ كثيرٍ منَ المُفسِّرين: أنَّهم قالوا: لا نعرفُ الرَّحمنَ إلا رحمانَ اليمامةِ؛ يعنُونَ مُسيلمةَ الكذابَ، ﴿أَنَسْجُدُ﴾ لمُسيلمةَ؟!

والثَّاني: لا نعرفُ الرَّحمنَ فنسجُدَ له، ﴿أَنَسْجُدُ لِمَا تَأْمُرُنَا﴾ يا محمَّدُ من غيرِ علمٍ منَّا به؟!

---

(١) البيت لعلقمة بن عبدة. انظر: «المفضليات» (ص: ٣٩٢)، و«البيان والتبيين» (٣/ ٢١٦)، و«الشعر والشعراء» (١/ ٢١٣).

(٢) والمعنى: فاسأل عن الخلق خبيراً، وهو الله، أو أهل العلم من خلقه.

(٣) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٨١٢)، واستغربه.

(٤) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٨٢٠)، واستغربه.

والثّالثُ: أنَّهم كانوا يعرفون هذا الاسمَ، وأنَّه للمُبالغةِ في الرَّحمةِ، ووجهُه: أن يُجعَلَ هذا حكايةً عن المجوسِ والصَّابئين.

والرّابعُ: أنَّ هذا الاسمَ لـم يكنْ معروفًا عندَ العربِ، وأنَّه عِبْرانيٌّ في الأصلِ، فلمَّا دُعوا إلى سجدتِه[1] سألوا عنه مسألةَ الجاهلِ بالشَّيءِ.

ويحتمِلُ تأويلَين آخرَين:

أحدُهما: أنَّهم أنكروا الأوصافَ إنكارَ الفلاسفةِ لها.

والثاني: أنكروا الجمعَ بين اسمَين علمَين لمُسمًّى واحدٍ، والله أعلمُ.

ومَن قرأ بالتَّاءِ[2] فمعناه: أنسجدُ لِـما تأمُرنا أنتَ يا محمَّدُ؟

وفي ﴿ما﴾ وجهانِ:

أحدُهما: للمصدرِ؛ أي: لأمرِه ولأمرِك.

والثّاني: بمعنى: الذي، فيكونُ تقديرُه: للَّذي تأمُرنا به.

﴿وَزَادَهُمْ نُفُورًا﴾؛ أي: زادَهم قولُ: ﴿ٱسْجُدُوا۟ لِلرَّحْمَٰنِ﴾ نفورًا عن الإيمانِ؛ إذ كانوا لا يعرفونَ الرَّحمنَ.

* * *

(٦١) - ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى جَعَلَ فِى ٱلسَّمَآءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَٰجًا وَقَمَرًا مُّنِيرًا﴾.

﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى جَعَلَ فِى ٱلسَّمَآءِ بُرُوجًا﴾ قيل: قُصورًا. وقيل: نُجومًا كبارًا.

وقيل: هي البروجُ المعروفةُ، وهي اثنا عشرَ برجًا: الحَمَلُ، والثَّوْرُ، والجَوْزاءُ، والسَّرَطانُ، والأسدُ، والسُّنْبُلةُ، والميزانُ، والعقربُ، والقَوسُ، والجَديُ، والدَّلوُ،

---

(١) كذا في النسختين، والمراد: «إلى السجود له».

(٢) قرأ حمزة والكسائي: (يأمرنا) بالياء، والباقون بالتاء. انظر: «السبعة» (ص: ٤٦٦)، و«التيسير» (ص: ١٦٤).

والحوتُ، وفيها تسيرُ الشَّمسُ والقمرُ والنُّجومُ الخمسةُ السيَّاراتُ، وهي كواكبُ سُمِّيت كلُّ عِدَّةٍ منها باسمٍ من هذه الأسماءِ لضَربٍ منَ التَّشبيهِ بينها وبين ذلك الحيوانِ وغيرِه.

﴿وَجَعَلَ فِيهَا﴾ قيل: في السَّماءِ.

وقيل: في هذه البروجِ فيمَن جعلَ البروجَ النُّجومَ؛ أي: في جملتِها.

﴿سِرَاجًا﴾؛ أي: الشَّمسَ، كقولِه: ﴿وَجَعَلَ ٱلشَّمْسَ سِرَاجًا﴾ [نوح: ١٦]، ومَن قرأ بالجمعِ[1] أرادَ بها النُّجومَ، أو عبَّر عن الشَّمسِ بلفظِ الجمعِ.

﴿وَقَمَرًا مُّنِيرًا﴾: مُضيئًا بالليلِ، والهلالُ بعد ثلاثٍ قَمَرٌ لابيِضاضِ الأرضِ به، والأَقْمَرُ: الأبيضُ.

* * *

(٦٢) - ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ خِلْفَةً لِّمَنْ أَرَادَ أَن يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا﴾.

﴿وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ خِلْفَةً﴾ الخِلْفةُ: مصدرٌ بمعنى الاختلافِ؛ أي: مُختلِفين[2] إلى الخلقِ، يجيءُ هذا حينًا وهذا حينًا.

وقيل: ﴿خِلْفَةً﴾: مُختلفين في اللَّونِ.

---

(١) أي: ﴿سُرُجاً﴾، قرأ بها حمزة والكسائي، والباقون: ﴿سِرَاجًا﴾. انظر: «السبعة» (ص: ٤٦٦)، و«التيسير» (ص: ١٦٤).

(٢) في (ن): «الإخلاف أي مخلفين»، والمثبت من (ف)، وهو الصواب، قال الزمخشري: «يقال: الليلُ والنهار يَختلفان، كما يقال: يَعتقبان، ومنه قولُه: ﴿وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ﴾ [البقرة: ١٦٤]، ويقالُ: بفلانٍ خِلْفَةٌ واختِلافٌ، إذا اختلفَ كثيراً إلى مُتبرَّزِه». قال: «والمعنَى: جَعلهما ذَوَيْ خِلْفةٍ؛ أي: ذَوَيْ عُقْبةٍ يَعقُبُ هذا ذاك وذاك هذا». انظر: «الكشاف» (٣/ ٢٩٠).

وقيل: ﴿خِلْفَةً﴾: يخلفُ كلُّ واحدٍ منهما صاحبَه، وفيه توسعةٌ على العبادِ في نوافلِ العباداتِ والطَّاعاتِ.

وقيل: ﴿خِلْفَةً﴾ النَّهارُ يخلفُ عن نهارٍ، واللَّيلُ يخلُفُ عن ليلٍ[1].

وقيل: ﴿خِلْفَةً﴾ في الزِّيادةِ والنُّقصانِ، يتعاقَبانِ حثيثَينِ إلى أجلٍ مُسمًّى[2]، حكاهما القفَّالُ.

﴿لِّمَنْ أَرَادَ أَن يَذَّكَّرَ﴾: يتَّعِظَ ويذكرَ الله.

﴿أَوْ أَرَادَ شُكُورًا﴾: شُكرَ نعمِ الله المذكورةِ في الآيةِ.

* * *

(٦٣) - ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَٰنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا﴾.

﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَٰنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا﴾ هذه إضافةُ تفضيلٍ وإنْ كان الكفَّارُ عبادَه.

وقيل: ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَٰنِ﴾ الذين يستحقُّونَ هذه التَّسميةَ، كما تقولُ: هذا البارُّ ابني لا هذا العاقُّ.

وقيل: ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَٰنِ﴾ الذين يرضاهُم ويحمدُهم.

ابنُ بحرٍ: (عباد) هاهنا جمعُ عابدٍ، كصاحبٍ وصِحابٍ، وتاجرٍ وتِجارٍ، وراجلٍ ورجالٍ[3]؛ أي: الذي يعبُدونه حقَّ عبادتِه.

---

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٨٢١)، واستغربه.

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٨٢١)، وعدَّه من العجائب.

(٣) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٨٢١)، واستغربه.

﴿ٱلَّذِينَ يَمۡشُونَ﴾؛ أي: هم الذين يمشُونَ فيمَن جعلَه خبرَ المُبتدأ، ومَن جعلَ خبرَ المُبتدأ ﴿أُوْلَٰٓئِكَ يُجۡزَوۡنَ ٱلۡغُرۡفَةَ﴾ [الفرقان: ٧٥] جعَلَ ﴿ٱلَّذِينَ يَمۡشُونَ﴾ وما بعدَه وصفًا لـ(عبادِ الرَّحمنِ)[١].

ومعنى ﴿يَمۡشُونَ عَلَى ٱلۡأَرۡضِ هَوۡنٗا﴾ عند ابنِ عبَّاسٍ رضي الله عنهما: حُلَماءَ عُلَماءَ[٢].

وقيل: أتقياءَ أعِفَّاءَ.

وقيل: مُتَواضِعين غيرَ مُتكبِّرين.

وقيل: في لينٍ وسكينةٍ ووقارٍ غيرَ مُختالٍ فخورٍ.

والهَوْنُ مصدرُ الهيِّنِ الحقيرِ، وهو نصبٌ على الحالِ؛ أي: هيِّنين ليِّنين.

﴿وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلۡجَٰهِلُونَ﴾ قيل: هم الكفَّارُ. وقيل: السُّفهاءُ.

أي: كلَّموهم بما يكرَهون منَ القولِ ﴿قَالُواْ سَلَٰمٗا﴾ أجابُوهم بالحسنى، وصانوا أنفُسَهم عن مُسافهَتِهم ومُشاتَمتِهم.

ومعنى ﴿سَلَٰمٗا﴾: سدادًا، وتقديرُه: قالوا قولًا سلامًا؛ أي: يسلَمُون من عُقباه.

وقيل: سلَّمُوا سلامًا.

وقيل: ﴿قَالُواْ سَلَٰمٗا﴾؛ أي: براءةً منكم، برِئْنا من خيرِكم وشرِّكم، لا خيرَ بينَنا ولا شرَّ، وهذا قولُ سيبويهِ، والآيةُ عندَه منسوخةٌ، وليس في «كتابِ سيبويهِ» ذكرُ النَّاسخِ والمنسوخِ إلّا هذا، قال: لأنَّ الآيةَ مكِّيةٌ، ولم يُؤمَرِ المسلمون يومَئذٍ أن يُسلِّموا على المُشركين، ولكنَّه على قولِه: لا خيرَ بينَنا ولا شرَّ[٣].

---

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٨٢١)، واستغربه.

(٢) رواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٨/ ٢٧٢٠).

(٣) انظر: «الكتاب» (١/ ٣٢٤_٣٢٥)، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٨٢٢)، واستغربه.

قال المُبرِّدُ: أخطأ سيبويهِ في هذا وأساءَ العبارةَ؛ لأنَّه لا معنى لقولِه: ولـم يُؤمَرِ المسلمون يومَئذٍ أن يُسلِّموا على المُشركين، وإنَّما كان ينبَغي أن يقولَ: ولـم يُؤمَرِ المسلمون يومَئذٍ أن يُحارِبوا المشركين، ثمَّ أُمِروا بحربِهم[1].

وهذا تجنٍّ منَ المُبرِّدِ كعادتِه معه في مواضعَ منَ «الكتابِ»، وإنَّما معنى كلامِ سيبويهِ: لـم يُؤمَرِ المُسلمون يومَئذٍ أن يُسلِّموا على المُشركين، بل أُمِروا أن يتسلَّموا ويتبرَّؤوا، ثمَّ نُسِخَ ذلك بالأمرِ بالحربِ، واللهُ أعلمُ.

وسلَّمَ المُبرِّدُ أنَّ الآيةَ منسوخةٌ.

***

(٦٤) ـ ﴿وَٱلَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَٰمًا﴾.

﴿وَٱلَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَٰمًا﴾ تلك حالُهم مع النَّاسِ، وهذه حالُهم في الخلوةِ؛ أي: يأتي عليهم اللَّيلُ وهم في الصَّلاةِ ساجِدون قائِمون.

﴿سُجَّدًا﴾: جمعُ ساجدٍ، ﴿وَقِيَٰمًا﴾: جمعُ قائمٍ، ويجوزُ أن يكونَ مصدرًا.

وقدَّمَ السُّجودَ وأخَّرَ القيامَ لروِيِّ الآيةِ، وليُعلَمَ أنَّ القيامَ في الصَّلاةِ.

والمعنى: يترُكونَ النَّومَ لعبادةِ اللهِ.

---

(١) كلام المبرد في «المقتضب» (٤/ ٧٩)، موافق لكلام سيبويه، ولفظه: «انتصب ﴿سَلَٰمًا﴾ لأنه مصدر عمل فيه فعله لا القول، والمعنى والله أعلم: وقالوا: سلمنا سلاماً، وتفسيره: تسلَّمنا منكم تسلُّما وبرئنا براءة؛ لأنهم لم يؤمروا أن يسلمُوا على المشركين إذْ ذاك، والآية مكية».
وقال فيه أيضاً (٣/ ٢١٩): «قوله عز وجل: ﴿وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُوا۟ سَلَٰمًا﴾ تأويلُه: المتاركة؛ أي: لا خير بيننا وبينكم ولا شرّ».
فلعل ما نقله المؤلف عنه قاله في كتاب آخر، وقد ذكره النحاس في «الناسخ والمنسوخ» (ص: ٦٠٤)، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٨٢٢)، وذكر بعضه القرطبي في «تفسيره» (١٣/ ٧٠).

عن ابنِ عبَّاسٍ رضي الله عنهما: مَن صلَّى في ليلةٍ ركعتَين بعد صلاةِ العشاءِ فقد باتَ لربِّه ساجدًا(١).

* * *

(٦٥) ـ ﴿وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱصۡرِفۡ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَۖ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا﴾.

﴿وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱصۡرِفۡ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَۖ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا﴾؛ أي: يستعيذون الله مِنَ النَّارِ، ومعنى ﴿غَرَامًا﴾: لازِمًا مُلِحًّا، ومنه الغريمُ؛ لمُلازَمَتِه وإلحاحِه.

وعن الحسنِ: كلُّ غريمٍ يُفارِقُ غريمَه إلَّا جهنَّمَ(٢).

وقيل: ﴿غَرَامًا﴾: بلاءً، من قولِه: ﴿إِنَّا لَمُغۡرَمُونَ﴾ [الواقعة: ٦٦].

ابنُ عبَّاسٍ رضي الله عنهما: ﴿غَرَامًا﴾: مُولعًا(٣).

وقيل: ثِقْلًا عظيمًا.

---

(١) ذكره السمرقندي في «تفسيره» (٢/ ٥٤٤)، والثعلبي في «تفسيره» (١٩/ ٤٦٧)، والواحدي في «البسيط» (١٦/ ٥٧٨).

(٢) رواه ابن أبي شيبة في «مصنفه» (٣٤١٨٨)، والطبري في «تفسيره» (١٧/ ٤٩٦)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٨/ ٢٧٢٣).

(٣) ذكره الواحدي في «البسيط» (١٦/ ٥٧٩) عن الكلبي، وانظر: «تنوير المقباس» (ص: ٣٠٥).

وهو على هذا بمعنى الإلحاح والدوام كما شرحه العلماء، قال الطبري في «تفسيره» (١٧/ ٤٩٥): ﴿إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا﴾ يقول: إن عذاب جهنم كان غراماً ملحًّا دائماً لازماً غيرَ مفارق مَن عُذِّب به من الكفار، ومُهلكاً له، ومنه قولهم: رجل مُغْرم، من الغُرْم والدَّين. ومنه قيل للغريم: غَريم؛ لطلبه حقه وإلحاحه على صاحبه فيه، ومنه قيل للرجل المولع بالنساء: إنه لمغرَم بالنساء، وفلان مغرَم بفلان؛ إذا لم يصبر عنه. وقد أخذه الطبري من الفراء في «معاني القرآن» (٢/ ٢٧٢) مع بعض الزيادة في الشرح.

وقيل: الغرامُ: أشدُّ العذابِ، وهو مصدرُ غرِمَ غُرْمًا وغرامًا.

محمَّدُ بنُ كعبٍ: سألَ اللهُ الكفَّارَ ثمنَ نِعَمِه فلم يُؤدُّوه إليه، فأغرَمَهم فأدخَلَهم النّارَ(١).

***

(٦٦) ـ ﴿ إِنَّهَا سَآءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ﴾.

﴿ إِنَّهَا ﴾: إنَّ جهنَّمَ ﴿سَآءَتْ مُسْتَقَرًّا﴾: موضعَ قرارٍ ﴿وَمُقَامًا ﴾: موضِعَ إقامةٍ. والمُستقرُّ دونَ المقامِ؛ لأنَّه يقعُ على سكونِ الشَّيءِ عن الحركةِ، والإقامةُ بمعنى الثَّباتِ الدّائمِ.

***

(٦٧) ـ ﴿ وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُواْ لَمْ يُسْرِفُواْ وَلَمْ يَقْتُرُواْ وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا ﴾.

﴿ وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُواْ لَمْ يُسْرِفُواْ وَلَمْ يَقْتُرُواْ ﴾ الإسرافُ: مُجاوزةُ الحدِّ في التَّوسُّعِ في الدُّنيا.

وقيل: أسرَفَ: أخطأَ موضعَ النَّفقةِ، من قولِ العربِ: مررتُ بكم فسَرِفْتُكُمْ؛ أي: أخطَأْتُ موضِعَكم.

والإقتارُ: التَّضييقُ على النَّفسِ والعيالِ والوجوهِ المندوبِ إليها.

﴿وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا ﴾ القَوامُ: الاعتدالُ بين الحالَينِ.

وقيل: الإسرافُ: مُجاوزةُ الحدِّ الذي أباحَه الله لعبادِه إلى ما فوقَه، والإقتارُ: القصورُ عمَّا أمرَ الله به، والقَوامُ بينَ الأمرَين، والمُسرِفُ مذمومٌ، وكذلك المُقتِرُ.

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (١٧/ ٤٩٦)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٨/ ٢٧٢٤)، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٨٢٢)، واستغربه.

ورَوَى معاذٌ رضي الله عنه: أنَّه لـمَّا نزلَتْ هذه الآيةُ سألتُ رسولَ الله ﷺ عنِ النَّفقةِ في السَّرَفِ والإقتارِ ما هو؟ فقال عليه السَّلامُ: «مَن منعَ مِن حقٍّ فقد قتَّرَ، ومَن أعطى في غيرِ حقٍّ فقد أسرفَ»(١).

وقيل: الإسرافُ: الإنفاقُ في معصيةِ الله، والإقتارُ: منعُ حقِّ الله.

والقَوامُ: الاقتصادُ، وهو مصدرٌ. وقيل: القَوامُ: العدلُ، وهما واحدٌ، والكسرُ فيه لغةٌ(٢).

ونصبُه بخبرِ (كان)؛ أي: وكان الإنفاقُ قَوامًا، وأجازَ الكوفيُّون أن يكونَ اسمُ (كان): ﴿بَيْنَ ذَٰلِكَ﴾؛ أي: وسطَ ذلك(٣).

وأقترَ وقترَ لُغتانِ، وفي مُستقبلِه وجهانِ(٤).

***

(٦٨) ـ ﴿وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا﴾.

﴿وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ﴾: لا يعبُدونَ الصَّنمَ ولا يجعلون لله شريكًا.

﴿وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ﴾؛ أي: حرَّمَ الله قتلَها، وهو نفسُ المُؤمنِ والمُعاهَدِ إلَّا بحقٍّ يُبيحُ قتلَها، وهو الشِّركُ، والزِّنى، وقتلُ النَّفسِ بغيرِ حقٍّ، والسَّعيُ في الأرضِ بالفسادِ.

وفي سببِ النُّزولِ: عن ابنِ مسعودٍ رضي الله عنه قالَ: سألتُ رسولَ الله ﷺ:

---

(١) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٤/ ١٥٦) بلا سند.

(٢) وقد قرأ بالكسر حسان بن عبد الرحمن، كما ذكر ابن جني في «المحتسب» (٢/ ١٢٥).

(٣) ذكر الوجهين الفراء في «معاني القرآن» (٢/ ٢٧٣).

(٤) فيقال: يَقتِروا، وبها قرأ ابن كثير وأبي عمرو، ويقال: يَقتُروا، وبها قرأ عاصم وحمزة والكسائي، وقرأ نافع وابن عامر: يُقتِروا. انظر: «السبعة» (ص: ٤٦٦).

أيُّ الذَّنبِ أعظَمُ؟ قال: «أن تجعَلَ لله نِدًّا وهو خلقَكَ»، قال: قلتُ: ثمَّ أيٌّ؟ قال: «أن تقتُلَ ولدَكَ مخافةَ أن يَطْعَمَ معكَ»، قال: قلتُ: ثمَّ أيٌّ؟ قال: «أن تَزْنيَ بحليلةِ جارِكَ»، فأنزَلَ الله تصديقَها: ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَدۡعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ﴾ الآية[1].

﴿وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ يَلۡقَ أَثَامًا﴾: عقوبةً، تقولُ: أَثِمَ الرَّجلُ ـ بالكسرِ ـ: أذنَبَ، وأَثَمَه: جازاه، قال الشَّاعرُ:

وهـل يأثِمَنِّـي اللهُ فـي أنْ ذَكَـرْتُـهـا ... وعلَّلْتُ أصحابـي بهـا ليلـةَ النَّفْـرِ[2]

وقيل: جزاءَ الآثامِ، وهو القولُ الأوَّلُ.

وقيل: ﴿أَثَامًا﴾: إثمًا.

وعن النَّبيِّ عليه السَّلامُ: «الأَثَامُ والغيُّ بئرانِ في النَّارِ»[3].

قتادةُ: اسمُ وادٍ في جهنَّمَ[4].

وقيل: الأَثَامُ وادٍ فيه الزُّناةُ.

***

---

(١) رواه البخاري (٤٧٦١)، ومسلم (٨٦).

(٢) البيت لنصيب بن رباح الأسود، وهو في «أمالي القالي» (٢/ ٢٠٦)، و«غريب الحديث» للخطابي (١/ ٦٥٨)، و«الصحاح» مادة: (أ ث م)، و«المحكم» (١٠/ ١٨٦). و«لسان العرب» مادة: (أ ث م)، وفيه: «يعني: هل يجزيني الله جزاء إثمي بأن ذكرت هذه المرأة في غنائي؟ ويروى بكسر الثاء وضمها».

(٣) رواه المروزي في «تعظيم قدر الصلاة» (ص: ٣٦)، والطبري في «تفسيره» (١٥/ ٥٧١)، والطبراني في «المعجم الكبير» (٧٧٣١) عن أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه، ولفظه: «بئران في أسفل جهنم يسيل فيهما صديد أهل جهنم، فهذا الذي ذكر الله في كتابه ﴿فَسَوۡفَ يَلۡقَوۡنَ غَيًّا﴾ [مريم: ٥٩] و﴿أَثَامًا﴾ [الفرقان: ٦٨]». قال ابن كثير في «تفسيره» (٥/ ٢٤٦): «هذا حديث غريب، ورفعه منكر».

(٤) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٢٠٩٨)، والطبري في «تفسيره» (١٧/ ٥١٤) بلفظ: «﴿أَثَامًا﴾ نكالًا، ويقال: إنه واد في جهنم».

(٦٩) - ﴿يُضَٰعَفۡ لَهُ ٱلۡعَذَابُ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَيَخۡلُدۡ فِيهِۦ مُهَانًا﴾.

﴿يُضَٰعَفۡ لَهُ ٱلۡعَذَابُ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ﴾؛ أي: لا يفتُرون فيها منَ العذابِ طرفةَ عينٍ.

وقيل: ﴿يُضَٰعَفۡ﴾: يُجمعُ بينَ العقوباتِ.

وقيل: يُجمعُ بينَ عذابِ الدُّنيا وعذابِ الآخرةِ.

﴿وَيَخۡلُدۡ فِيهِۦ مُهَانًا﴾: ذليلًا.

مَن جزَمَ جعلَه بدلًا من قولِه: ﴿يَلۡقَ أَثَامًا﴾[1]؛ لأنَّ مُضاعفةَ العذابِ والخلودَ فيه لُقِيُّ الآثامِ، ومَن رفَعَها فعلى الاستئنافِ[2].

***

(٧٠) - ﴿إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا فَأُوْلَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمۡ حَسَنَٰتٖۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾.

﴿إِلَّا مَن تَابَ﴾ منَ الزِّنى والمعاصي، وقيل: منَ الشِّركِ.

﴿وَءَامَنَ﴾ بمحمَّدٍ ﷺ ﴿وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا﴾ بعد السيِّئاتِ.

وقيل: بعد الإيمانِ والتَّوبةِ.

نزلَتْ في الوحشيِّ قاتلِ حمزةَ رضي الله عنه، وفي سببِ النُّزولِ: عطاءٌ عن ابنِ عبَّاسٍ رضي الله عنهما قال: أتى وحشيٌّ النَّبيَّ عليه السَّلامُ فقال: أتيتُكَ مُستَجيرًا فأجِرْني حتَّى أسمعَ كلامَ الله، فقالَ رسولُ الله ﷺ: «قد كنتُ أحبُّ أن أراكَ على غيرِ جوارٍ، فأمَّا إذا أتيتَني مُستَجيرًا فأنتَ في جواري حتَّى تسمعَ كلامَ الله»، قال:

---

(١) في النسختين الخطيتين: «يضاعف»، وهو خطأ، والتصويب من «الحجة» لأبي علي (٥/ ٣٥٠)، وسياق الكلام يدل على أنه مراد المصنف، والله أعلم.

(٢) قرأ ابن عامر وأبو بكر برفع الفعلين والباقون بجزمهما، وابن كثير وابن عامر على أصلهما في الفعل الأول يحذفان الألف ويشددان العين. انظر: «السبعة» (ص: ٤٦٧)، و«التيسير» (ص: ١٦٤).

فإنِّي أشركتُ وقتلتُ النَّفسَ التي حرَّمَ الله وزنَيتُ فهل، يقبلُ الله منِّي توبةً؟ فصَمَتَ رسولُ الله ﷺ حتَّى أُنزِلَتْ: ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَدۡعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ﴾ إلى آخرِ الآيةِ، فتلاها عليه، فقال: أرى شرطًا، فلعلِّي لا أعملُ صالحًا في جوارِكَ حتَّى أسمعَ كلامَ الله، فنزلَتْ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ [النساء: ٤٨]، فدَعاه فتَلاها عليه، فقال: فلعلِّي ممَّن لا يشاءُ، فأنا في جوارِكَ حتَّى أسمعَ كلامَ الله، فنزلَتْ: ﴿يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسۡرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ لَا تَقۡنَطُواْ مِن رَّحۡمَةِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا﴾ [الزمر: ٥٣]، فقال: نعم، الآنَ لا أرى شرطًا فأسلَمَ(١).

وهذه الآيةُ نزلَتْ بالمدينةِ، وهي ناسخةٌ لِـمَا في النِّساءِ من قولِه: ﴿وَمَن يَقۡتُلۡ مُؤۡمِنٗا مُّتَعَمِّدٗا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ﴾ [النساء: ٩٣].

وقيل: هذه منسوخةٌ بها.

وقيل: هذه في المُشركِ(٢).

والصَّحيحُ أنَّ هذه هي النَّاسخةُ بدليلِ قولِه سبحانَه: ﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٞ لِّمَن تَابَ﴾ [طه: ٨٢]، وهذا مُحكَمٌ بالإجماعِ(٣).

﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمۡ حَسَنَٰتٖ﴾؛ أي: يُبدِّلُ الله بقبائحِ أعمالِـهم في الدُّنيا محاسنَ أعمالِـهم: بالشِّركِ إيمانًا، وبالزِّنى إحصانًا، وبالعصيانِ طاعةً.

---

(١) رواه الطبراني في «المعجم الكبير» (١١٤٨٠). قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١٠/ ٢١٥): «فيه أبين بن سليمان وهو ضعيف».

(٢) روى مسلم (١٢٢) عن ابن عباس رضي الله عنهما: أنَّ ناسًا من أهلِ الشِّرك قَتَلوا فأكثَروا، وزنَوا فأكثَروا، ثُم أتَوا محمدًا ﷺ، فقالوا: إنَّ الذي تقولُ وتَدْعو لحسَنٌ، ولو تُخبِرُنا أنَّ لِمَا عَمِلْنا كفَّارةً، فنَزل: ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَدۡعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقۡتُلُونَ ٱلنَّفۡسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلۡحَقِّ وَلَا يَزۡنُونَۚ وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ يَلۡقَ أَثَامٗا﴾، ونزَل ﴿يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسۡرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ لَا تَقۡنَطُواْ مِن رَّحۡمَةِ ٱللَّهِ﴾ [الزمر: ٥٣].

(٣) قال ابن كثير في «تفسيره» (٢/ ٣٨٠) عن آية الفرقان: «هذا خبر لا يجوز نسخه، وحمله على المشركين... خلاف الظاهر، ويحتاج حمله إلى دليل، والله أعلم».

وقيل: هي في الآخرةِ إذا غلَبَتْ حسناتُه على سيِّئاتِه، فيُبدِّلُ الله السَّيِّئاتِ الحسناتِ، وهو أن يمحُوَ السَّيِّئاتِ ويكتُبَ مكانَها حسناتٍ.

وقيل: يُبدِّلُ عقابَ سيِّئاتِه إذا تابَ منها بثوابِ حسناتِه إذا انتقَلَ إليها.

وقيل: السَّيِّئاتُ عينُ العقابِ، والحسناتُ عينُ الثَّوابِ[1].

﴿وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا﴾ لِمَا تقدَّمَ قبلَ التَّوبةِ ﴿رَّحِيمًا﴾ لِمَا بعدَها.

* * *

(٧١) - ﴿وَمَن تَابَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَإِنَّهُۥ يَتُوبُ إِلَى ٱللَّهِ مَتَابًا﴾.

﴿وَمَن تَابَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَإِنَّهُۥ يَتُوبُ إِلَى ٱللَّهِ مَتَابًا﴾؛ أي: مَن تابَ وحقَّقَ التَّوبةَ بالعملِ الصَّالحِ بعدَ التَّوبةِ فهو التَّائبُ إلى الله حقَّ التَّوبةِ.

وقيل: معناه: مَن نزَعَ عن ذُنوبِه ورجعَ إلى الحقِّ، فإنَّما رجعَ إلى الله وإلى ثوابِه وإحسانِه، وهذا إجمالُ الوعدِ منَ الله للتَّائبِ.

وقيل: مَن عزمَ على التَّوبةِ، فإنَّه يتوبُ إلى الله، فليُبادِرْ إليها وليُوجِّه بها إلى الله.

وقيل: معناه: مَن تابَ فليتُبْ لله لا لغيرِه، كما قال الشَّاعرُ:

فما لله تابَ أبو كبيرٍ ولكِنْ تابَ خوفَ سعيدِ زيرِ[2]

ويحتمِلُ أنَّ المعنى: مَن تابَ من ذُنوبِه، فإنَّه يتوبُ إلى مَن يَقبلُ التَّوبةَ عن عبادِه ويعفو عن السَّيِّئاتِ[3]، فلا تهتمَّ بذنوبِكَ إذا تُبتَ عنها إلى الله، ثمَّ قيَّدَه بالمصدرِ فقالَ: ﴿مَتَابًا﴾ تأكيدًا؛ أي: يتوبُ إلى الله حقًّا.

---

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٨٢٣)، واستغربه.

(٢) ذكر المصنف هذا القول في «غرائب التفسير» (٢/ ٨٢٣)، واستغربه، وذكر البيت ولم أجده عند غيره.

(٣) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٨٢٣)، واستغربه.

(٧٢) - ﴿ وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا ﴾.

﴿ وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ ﴾: الشِّركَ والصَّنمَ.

وقيل: الكذبَ.

وقيل: الغناءَ.

الزَّجَّاجُ: أعيادَ النَّصارى[١].

وقيل: لعبةً كانت في الجاهليَّةِ.

وقيل: لا يشهدونَ بالزُّورِ؛ أي: بالكذبِ، فحُذِفَ الجارُّ.

ابنُ عيسى: مَن لا يشهدُ الزُّورَ هو الذي لا يشهدُ به؛ لأنَّه لو شهدَ به لكانَ قد حضرَه، فهو أتمُّ في الفائدةِ.

وقيل: النَّوْحَ.

وقيل: مجالسَ يُعابُ فيها النَّبيُّ ﷺ.

وأصلُه تمويهُ الباطلِ حتَّى يُوهِمَ أنَّه حقٌّ.

وقيل: أصلُه تحسينُ الشَّيءِ ووصفُه بخلافِ صفتِه.

﴿وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ﴾ اللَّغوُ: الفُحشُ وما لا خيرَ فيه منَ الكلامِ.

﴿مَرُّوا كِرَامًا﴾: يُعْرِضون عنه، من قولِ العربِ: شاةٌ كريمةٌ، إذا كانَتْ عندَ حلبِها تُعرِضُ عن الحالبِ بوجهِها، وهو علامةٌ لغزارتِها، فاستُعيرَ للصَّفحِ عن الذَّنبِ.

وقيل: إذا ذَكَروا الفُروجَ كَنَوا عنها، وإذا ذَكَروا النِّكاحَ كَنَوا عنه[٢].

---

(١) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٤/ ٧٧)، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٨٢٣)، واستغربه.

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٨٢٤)، واستغربه.

وقيل: اللَّغوُ: ما كانَ يفعلُه المُشركون من أذِيَّةِ المُسلمين.

وقيل: مجالسُ المعاصي كلُّها.

السُّدِّيُّ: الآيةُ منسوخةٌ بآيةِ القتالِ(١).

* * *

(٧٣) ـ ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا۟ بِـَٔايَـٰتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّوا۟ عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا﴾.

﴿وَٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا۟ بِـَٔايَـٰتِ رَبِّهِمْ﴾؛ أي: قُرِئَ عليهم القرآنُ.

وقيل: إذا وُعِظُوا.

﴿لَمْ يَخِرُّوا۟ عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا﴾: لم يُقيموا عليها تارِكين لها تركَ مَن لا يسمعُ ولا يُبصِرُ، بل خرُّوا سُجَّدًا وبُكيًّا.

وقيل: لم يتغافَلوا عنها.

وقيل: لم يَخرُّوا على المعاصي خرورَ مَن لا يُبصِرُ ولا يسمعُ.

* * *

(٧٤) ـ ﴿وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَٰجِنَا وَذُرِّيَّـٰتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَٱجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾.

﴿وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَٰجِنَا وَذُرِّيَّـٰتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ﴾ فيه قولانِ:

أحدهما: اجعَلْ لنا أزواجَ خيرٍ وأولادَ خيرٍ.

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (١٧/ ٥٢٦) بلفظ: «هي مكية» ثم قال الطبري: «وإنما عنى السدي بقوله هذا إن شاء الله: أن الله نسخ ذلك بأمره المؤمنين بقتال المشركين بقوله: ﴿فَٱقْتُلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ﴾ [التوبة: ٥]، وأمرهم إذا مروا باللغو الذي هو شرك أن يقاتلوا أمراءه، وإذا مروا باللغو الذي هو معصية لله أن يغيروه، ولم يكونوا أمروا بذلك بمكة».

والثاني: هَبْ لنا منَ الأزواجِ أولادًا؛ يعني: أولادَ الصُّلبِ، ومن ذُرِّيتِنا أولادًا؛ يعني: أولادَ الأولادِ والأعقابِ.

والمعنى: لتَقَرَّ أعيُنُنا برُؤيتِنا إيَّاهُم على طاعةِ الله وطاعةِ رسولِه.

والذُّرِّيةُ: اسمٌ للجمعِ كقومٍ ورهطٍ، ومَن جمعَ فكما يُجمعُ القومُ أقوامًا، واشتقاقُه من الذَّرِّ، أو منَ الذَّرْوِ، أو منَ الذَّرْءِ.

و﴿قُرَّةَ﴾ مصدرٌ، فلهذا لم يُجمَعْ.

وفي الشَّواذِّ: (قُرَّاتِ أَعْيُنٍ)(١).

و﴿قُرَّةَ﴾ عند أكثرِهم منَ القُرِّ، وهو البردُ؛ لأنَّ دمعةَ السُّرورِ باردةٌ، وضدُّه سُخنةُ العينِ.

وقيل: منَ القرارِ؛ أي: يَقِرُّ البصرُ به فلا يَنظُرُ إلى غيرِه.

وقال أبو عمرٍو: قرَّةُ العينِ: النَّومُ؛ أي: أنامَها؛ لأنَّ النَّومَ لا يأتي مع الخوفِ، حكاه القفَّالُ(٢).

﴿وَٱجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾ يُقتَدَى بنا في أمرِ الدِّينِ، ووحَّدَ لأنَّه مصدرُ أمَّه أمًّا وإمامًا.

وقيل: هاهنا جمعُ آمٍّ كرِعَاءٍ وتِجَارٍ.

وقيل: اجعَلْ كلَّ واحدٍ منَّا إمامًا.

---

(١) نسبت لأبي هريرة وأبي الدرداء وابن مسعود كما في «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ١٠٧).

(٢) انظر: «الفاخر» (ص: ٦)، وفيه: «وقال أبو عمرو: أقر الله عينه، والمعنى: صادف سروراً أذهب سهره فنام. قال عمرو بن كلثوم:

بيوم كريهة ضرباً وطعناً ... أقر به مواليك العيونا

أي: نامت عيونهم لما ظفروا بما أرادوا فيه». وانظر: «تهذيب اللغة» (٨/ ٢٢٥).

وقال بعضُهم: معناه: واجعَلْنا نؤمُّ المُتَّقين فنقتدي بهم(١)؛ أي: اجعلِ المُتَّقين إمامَنا، وزَيَّفه القفَّالُ.

وقيل: اجعَلْنا نقتَدي بالمُتَّقين ليقتديَ بنا غيرُنا.

وقيل: ﴿إِمَامًا﴾: مثالًا.

وقيل: رِضًا، حكاه أقضى القُضاةِ(٢).

وقال القفَّالُ وجماعةٌ منَ المُفسِّرين: في الآيةِ دليلٌ على أنَّ طلبَ الرِّئاسةِ في الدِّينِ واجبٌ(٣).

***

(٧٥) ـ ﴿أُوْلَٰٓئِكَ يُجۡزَوۡنَ ٱلۡغُرۡفَةَ بِمَا صَبَرُواْ وَيُلَقَّوۡنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلَٰمًا﴾.

﴿أُوْلَٰٓئِكَ يُجۡزَوۡنَ ٱلۡغُرۡفَةَ﴾؛ أي: الجنَّةَ، والغُرفةُ من أسماءِ الجنَّةِ.

وقيل: الغرفةُ العُلِّيَّةُ، من قولِه سبحانَه: ﴿لَهُمۡ غُرَفٞ مِّن فَوۡقِهَا غُرَفٞ﴾ [الزمر: ٢٠] وهي قُصورُها، ويُقالُ للسَّماءِ السَّابعةِ: غرفةٌ.

وقيل: المُرادُ هو العلوُّ في الدَّرجاتِ.

وقولُه: ﴿بِمَا صَبَرُواْ﴾؛ أي: بصبرِهم، والباءُ للسَّببِ؛ أي: بسببِ صبرِهم.

وقيل: بدلَ صبرِهم.

﴿وَيُلَقَّوۡنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلَٰمًا﴾: وتتلقَّاهُم الملائكةُ في الجنَّةِ بالتَّحيَّةِ والسَّلامِ.

---

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٨٢٤)، واستغربه.

(٢) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٤/ ١٦١) عن جعفر الصادق، وذكر المصنف القولين الأخيرين في «غرائب التفسير» (٢/ ٨٢٤)، وعدَّهما من العجائب.

(٣) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٨٢٤).

قيل: كرَّرَ اللَّفظَين والمعنى واحدٌ تحسينًا للنَّظمِ وتأكيدًا؛ كقولِه: ﴿تَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَٰمٌ﴾ [إبراهيم: ٢٣].

وقيل: التَّحيَّةُ: البشارةُ لهم بالخلودِ في الجنانِ، والسَّلامُ: السَّلامةُ فيها منَ الآفاتِ.

وقيل: يَلْقى بعضُهم بعضًا بالتَّحيَّةِ والسَّلامِ.

وقيل: تُحيِّيهم الملائكةُ من عندِ أنفُسِهم ويتلقَّونهم بالسَّلامِ من ربِّهم.

وقيل: يُحيَّونَ بالتُّحَفِ سوى السَّلامِ، ومع ذلك بالسَّلامِ(٤).

وقيل: ﴿تَحِيَّةً﴾: مُلكًا ﴿وَسَلَٰمًا﴾: سلامةً.

ومعنى ﴿يَلْقَوْنَ﴾ بالفتحِ؛ أي: يجدونَ فيها ويرونَ، ومعنى ﴿يُلَقَّوْنَ﴾(٥): يُعطَونَ، تقولُ: لقَّيْتُه كذا؛ أي: أعطَيتُه إياه، وليس كما زعمَ بعضُهم(٦) أنَّ الباء مُقدَّرٌ.

***

(٧٦) - ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَا حَسُنَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا﴾.

﴿خَٰلِدِينَ فِيهَا﴾: في الجنَّةِ لا يموتون ولا يُخرَجون منها ﴿حَسُنَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا﴾ هذه في مقابلةِ ﴿سَآءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا﴾ [الفرقان: ٦٦].

***

---

(٤) أي: يجمع لهم بين المنافع والتعظيم. انظر: «البحر» (٨/ ١٣٤). ولعل هذا مبني على ما رُوي: إنَّ الملائكة تأتيهم بالتُّحف، فتستأذن عليهم حاجباً بعد حاجب، حتى يأذن لهم الآخِر، فيدخلون عليهم من كل بابٍ بالتُّحف والتحية والتهنئة. انظر: «البحر المديد» لابن عجيبة (٧/ ٢٠٠).

(٥) بفتح الياء وتخفيف القاف قراءة حمزة والكسائي، وعاصم في رواية أبي بكر، وقرأ الباقون: ﴿وَيُلَقَّوْنَ﴾ بضم الياء وتشديد القاف. انظر: «السبعة» (ص: ٤٦٨)، و«التيسير» (ص: ١٦٥).

(٦) هو الفراء، وقوله في «معاني القرآن» (٢/ ٢٧٥)، لكنه صوّب حذف الباء أيضاً.

(٧٧) ـ ﴿قُلْ مَا يَعْبَؤُا بِكُمْ رَبِّي لَوْلَا دُعَاؤُكُمْ فَقَدْ كَذَّبْتُمْ فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَامًا﴾.

﴿قُلْ مَا يَعْبَؤُا بِكُمْ رَبِّي لَوْلَا دُعَاؤُكُمْ﴾ قيل: ﴿مَا﴾ للاستفهامِ؛ أي: ما يصنعُ بكم؟ من (عَبأْتُ الجيشَ) بالتَّخفيفِ والتَّثقيلِ: هيَّأْتُه للقتالِ.

وقيل: ﴿مَا﴾ للنَّفيِ؛ أي: لا وزنَ لكم عندَه ولا قَدْرَ، مِنَ (العِبْءِ)[1]، وهو الحِمْلُ الثَّقيلُ.

﴿لَوْلَا دُعَاؤُكُمْ﴾ قيل: لولا عبادتُكم له، من قولِه: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦].

وقيل: لولا دُعاؤُكم وتضرُّعُكم.

وقيل: لولا دُعاؤُه إيّاكم إلى طاعتِه، فيكونُ مُضافًا إلى المفعولِ[2].

وقيل: لولا دُعاؤُكم الأصنامَ، فيكونُ تقديرُه: ما يعبأُ بمغفرتِه لكم لولا عبادتُكم الأصنامَ.

﴿فَقَدْ كَذَّبْتُمْ﴾ الرَّسولَ.

وقيل: قصَّرتُم في العبادةِ، من قولِهم: كذَّبَ القتالَ؛ إذا لم يُبالِغْ فيه[3].

﴿فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَامًا﴾؛ أي: يكونُ جزاءُ التَّكذيبِ ـ وقيل: العذابُ ـ لزامًا.

وقيل: هو القتلُ يومَ بدرٍ، والأخذُ باليدِ أسرًا.

---

(١) في (ف): «العبوء».

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٨٢٣)، واستغربه.

(٣) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٨٢٥)، واستغربه.

قـال ابنُ مسـعودٍ رضي الله عنه: خمسٌ مضَيْنَ؛ الدُّخـانُ، واللِّزامُ، والبطشـةُ، وانشـقاقُ القمرِ، والرُّومُ[١].

وقيل: هو القتالُ.

ابنُ عبَّاسٍ رضي الله عنهما: الموتُ[٢].

وقيل: جزاءُ كلِّ عاملٍ مُلازمٌ له من خيرٍ وشرٍّ.

وقيل: هو العذابُ يومَ القيامةِ.

وقيل: تأويلُه: حتمًا مقضِيًّا مُقدَّرًا لا بدَّ منه.

وقيل: قطعًا وفيصَلًا لِمَا ينزلُ بهم.

***

(١) رواه البخاري (٤٧٦٧)، ومسلم (٢٧٩٨).

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (١٧/ ٥٤٠)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٧/ ٢٤٤١).

سُورَةُ الشُّعَرَاءِ

سُورَةُ الشُّعَرَاءِ

مئتانِ وسبعٌ وعشرونَ آيةً[1]، مكيَّةٌ.

وتُسمَّى: الخاضِعةَ أيضًا.

ورَوَى القفَّالُ: الباخِعةَ.

الكلبيُّ: مكيَّةٌ إلا أربعَ آياتٍ، من قولِه: ﴿وَٱلشُّعَرَآءُ يَتَّبِعُهُمُ ٱلْغَاوُۥنَ﴾ [الشعراء: ٢٢٤ ـ ٢٢٧]؛ فإنَّها نزلَتْ بالمدينةِ[2].

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

(١) ـ ﴿طسٓمٓ﴾.

﴿طسٓمٓ﴾ الكلامُ فيه كما سبقَ من أمثالِه.

* * *

---

(١) «مئتان وسبع وعشرون آية»: ليس في (ف). وانظر: «البيان في عد آي القرآن» للداني (ص: ١٩٦)، وفيه: «مئتان وست وعشرون آية في المدني الأخير والمكي والبصري، وسبع وعشرونَ في المدني الأول والكوفي والشامي».

(٢) ذكره مقاتل في «تفسيره» (٣/ ٢٥٧) عن بعض أهل التفسير، وهو قول ابن عباس وعطاء كما في «البيان في عد آي القرآن» (ص: ١٩٦)، وذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٤/ ١٦٣) عن ابن عباس وقتادة.

(٢) ـ ﴿تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ﴾.

﴿تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ﴾ ﴿تِلْكَ﴾ إشارةٌ إلى ما في الكتبِ المُتقدِّمةِ من ذكرِ القرآنِ.

وقيل: إلى ما في اللَّوحِ المحفوظِ؛ أي: هذه تلك، فيكونُ «تلك» خبرَ مُبتدأ محذوفٍ.

ويجوزُ أن يكونَ إشارةً إلى ما تقدَّمَ نزولُه منَ القرآنِ.

وقيل: ﴿تِلْكَ﴾ بمعنى: هذه، وجازتِ الإشارةُ إلى ما ليس بحاضرٍ بعدُ على التَّوقُّعِ، وأنَّ المعنى في النَّفسِ.

وقيل: يجوزُ أن يُعبَّرَ عن المعاني بلفظِ الغيبةِ والحضورِ.

وقيل: إشارةٌ إلى ﴿طسٓمٓ﴾، والمُرادُ به جميعُ حروفِ التَّهجِّي؛ أي: تلك حروفُ آياتِ الكتابِ لا يخرُجُ عنها.

و﴿ٱلْمُبِينِ﴾: الواضح.

وقيل: (المُبينُ): يُبيِّنُ للنَّاسِ أمورَ دينِهم، و(أبانَ) لازمٌ ومُتعدٍّ.

* * *

(٣) ـ ﴿لَعَلَّكَ بَٰخِعٌ نَّفْسَكَ أَلَّا يَكُونُوا۟ مُؤْمِنِينَ﴾.

﴿لَعَلَّكَ بَٰخِعٌ نَّفْسَكَ﴾ (لعلَّ): كلمةُ إشفاقٍ وطمعٍ.

﴿بَٰخِعٌ نَّفْسَكَ﴾: قاتلٌ نفسَكَ منَ الحزنِ والغيظِ.

وقيل: مُهلِكٌ، ومثلُه: ﴿فَلَعَلَّكَ بَٰخِعٌ نَّفْسَكَ﴾ في الكهفِ [٦]، ومثلُه في المعنى: ﴿فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَٰتٍ﴾ [فاطر: ٨].

﴿أَلَّا يَكُونُوا۟ مُؤْمِنِينَ﴾: لتركِهم الإيمانَ، فهو مفعولٌ له.

* * *

(٤) ـ ﴿إِن نَّشَأْ نُنَزِّلْ عَلَيْهِم مِّنَ السَّمَاءِ ءَايَةً فَظَلَّتْ أَعْنَاقُهُمْ لَهَا خَاضِعِينَ﴾.

﴿إِن نَّشَأْ نُنَزِّلْ عَلَيْهِم مِّنَ السَّمَاءِ ءَايَةً﴾ قيل: بَلِيَّةً قاهرةً.

وقيل: دلالةً واضحةً.

وقيل: آيةً منَ الآياتِ التي تكونُ في القيامةِ.

﴿فَظَلَّتْ أَعْنَاقُهُمْ لَهَا خَاضِعِينَ﴾: مُنقادين مُلجَئينَ إلى الإيمانِ.

وقيل: لو شاء لأنزلَ[1] آيةً ما لَوَى أحدٌ عنُقَه بمعصيةٍ.

و(ظلَّتْ) بمعنى: تظَلُّ، وزيَّفَ أبو عليٍّ في «إصلاحِ الإغفالِ» قولَ مَن قالَ: إنَّه عطفٌ على الجزاءِ، وأنَّ محلَّه جزمٌ لمكانِ الفاءِ[2].

وفي ﴿خَاضِعِينَ﴾ سبعُ تأويلاتٍ:

أحدُها: أنَّ الأعناقَ إذا خضعَتْ فأربابُها خاضِعون، فحُمِلَ على المعنى.

والثّاني: أنَّ التَّقديرَ: فظلَّتْ أصحابُ الأعناقِ، فحُذِفَ المُضافُ.

والثّالثُ: رُؤَساؤُهم، تقولُ: فلانٌ عُنُقُ القومِ ووجهُ القومِ.

والرّابعُ: أعناقُهم: جماعاتُهم، والعنُقُ: الجماعةُ منَ النَّاسِ، قال:

أنَّ العراقَ وأهلَها ... عُنُقٌ إليكَ فهَيْتَ هَيْتَا[3]

والخامسُ: العُنُقُ زيادةٌ، والتَّقديرُ: فظَلُّوا.

والسّادسُ: أنَّ الخضوعَ من أوصافِ العُقلاءِ، فلمَّا وُصِفَ غيرُهم بفعلِهم أُجرِيَ مُجراهُم.

---

(١) في (ف): «لإنزال».

(٢) انظر: «الإغفال» لأبي علي (٢/ ٥١٠ ـ ٥١٣).

(٣) الرجز بلا نسبة في «العين» (٤/ ٨١)، و«معاني القرآن» للفراء (٢/ ٤٠)، و«مجاز القرآن» (١/ ٣٠٥)، و«تفسير الطبري» (١٣/ ٧٠)، وفي بعض المصادر: أن رجلاً قاله لابن الزبير رضي الله عنه، وفي بعضها لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه.

والسَّابعُ: المُضافُ يكتَسي منَ المُضافِ إليه كسوتَه منَ التَّعريفِ والتَّنكيرِ، والتَّأنيثِ والتَّذكيرِ، والشَّرطِ والاستفهامِ، والإعرابِ والبناءِ، كذلك العقلُ والتَّمييزُ[1].

ابنُ عبَّاسٍ رضي الله عنهما: نزلَتْ فينا وفي بني أميَّةَ، فسيكونُ لنا عليهم الدَّولةُ، فتذلُّ أعناقُهم بعد صُعوبتِها[2].

قال بعضُ المُفسِّرين: ولقد كانَ كما ذكرَ، فإنَّ الدَّولةَ صارَتْ لبني العبَّاسِ.

***

(٥) ـ ﴿وَمَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ مُحْدَثٍ إِلَّا كَانُوا۟ عَنْهُ مُعْرِضِينَ﴾.

﴿وَمَا يَأْتِيهِم﴾ يعني: أهلَ مكَّةَ ﴿مِّن ذِكْرٍ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ﴾: آياتٌ منَ القرآنِ.

﴿مُحْدَثٍ﴾: يُجدَّدُ عندَهم بما[3] لم يكُنْ قبلَ ذلك.

﴿إِلَّا كَانُوا۟ عَنْهُ مُعْرِضِينَ﴾ جدَّدوا إعراضًا، وأصرُّوا على الكفرِ.

وأفادَ دخولُ ﴿كَانَ﴾ أنَّهم كانوا في علمِ الله السَّابقِ مُعرِضين.

وقيل: معناها: ظهرَ منهم ما كانَ معلومًا منهم منَ الإعراضِ.

***

---

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٨٢٨)، واستغربه.

(٢) رواه الثعلبي في «تفسيره» (٢٠/ ٢٠)، وذكره الماتريدي في «تأويلات أهل السنة» (٨/ ٥٠)، وهو من رواية الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس. والكلبي متروك متهم بالكذب مرميٌّ بالرفض كما في «التقريب»، وأبو صالح لم يسمع من ابن عباس. وروى البخاري ـ كما في «الميزان» ترجمة محمد بن السائب الكلبي ـ عن علي عن يحيى عن سفيان: قال لي الكلبي: «كل ما حدثتك عن أبي صالح فهو كذب».

(٣) في (ف): «مما».

(٦) ـ ﴿فَقَدْ كَذَّبُوا فَسَيَأْتِيهِمْ أَنبَٰٓؤُا۟ مَا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ﴾.

﴿فَقَدْ كَذَّبُوا﴾؛ أي: النَّبيَّ ﷺ فيما أتاهُم به ﴿فَسَيَأْتِيهِمْ﴾ أفادَ الفاءُ أنَّ هذا جزاءُ تكذيبِهم ﴿أَنبَٰٓؤُا۟ مَا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ﴾ هذا تهديدٌ كما تقولُ: سيبلُغُكَ خبرُ ما فعلتَ.

وخُصَّ المُكذِّبُ بإتيانِ الخبرِ لجهلِه به دونَ المُصدِّقِ فإنَّه يعلمُ ما أخبرَ به.

قال بعضُهم: يأتيهم في القيامةِ.

وقيل: في الدُّنيا بالقتلِ والهزيمةِ.

* * *

(٧) ـ ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ إِلَى ٱلْأَرْضِ كَمْ أَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ﴾.

﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ إِلَى ٱلْأَرْضِ﴾ تعجيبٌ؛ أي: لـم ينظُروا إلـى عجائبِـها، ولهذا عُدِّيَ بـ(إلى)، ﴿كَمْ أَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ﴾ نوعٍ وصنفٍ.

وقيل: الزَّوجُ: الشَّيءُ وشَكْلُه.

وقيل: أبيضُ وأسودُ، وأحمرُ وأصفرُ، وحُلوٌ وحامِضٌ، ومُرٌّ ومَزٌّ.

﴿كَرِيمٍ﴾: كثيرِ المنفعةِ.

وقيل: ﴿كَرِيمٍ﴾: ذي قَدْرٍ عند مُتَناوِلِه.

وقيل: ﴿كَرِيمٍ﴾: يأكلُه النّاسُ والأنعامُ.

وقيل: نافعٍ محمودٍ، وكذلك الكريمُ منَ النَّاسِ.

وقيل: حسنٍ.

الشَّعبيُّ: أرادَ بالنَّبـاتِ الإنسـانَ، كقولِـه: ﴿أَنۢبَتَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ نَبَاتًا﴾ [نـوح: ١٧]، والكريـمُ: الـذي يدخـلُ الجنَّـةَ، واللَّئيـمُ: الـذي يدخلُ النّـارَ[١].

---

(١) رواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٨/ ٢٧٥٠)، وذكره النحاس في «معاني القرآن» (٥/ ٦٥)، وذكره =

(٨) ـ ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ﴾.

﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ﴾: في الإنباتِ ﴿لَآيَةً﴾: لدلالةً وعلامةً وعبرةً.

وقيل: لَدلالةً على البَعثِ والنُّشورِ.

﴿وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ﴾ في عِلْمِي مع عِظَمِ الآياتِ.

***

(٩) ـ ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾.

﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ﴾ بالنِّقمةِ لمن كفرَ ﴿الرَّحِيمُ﴾ بمَن آمنَ.

***

(١٠) ـ ﴿وَإِذْ نَادَىٰ رَبُّكَ مُوسَىٰ أَنِ ائْتِ الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾.

﴿وَإِذْ نَادَىٰ رَبُّكَ مُوسَىٰ﴾؛ أي: اذكُرْ إذ نادى، فيكونُ (إذ) مفعولًا به.

وقيل: ظرفٌ لقولِه: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي أَخَافُ﴾.

ومعنى ﴿نَادَىٰ﴾: دَعا، والنِّداءُ: الدُّعاءُ برفعِ الصَّوتِ.

وقيل: أَمَرَ ربُّكَ موسى.

قولُه: ﴿أَنِ ائْتِ الْقَوْمَ﴾ قيل: تقديرُه: قالَ: ائتِ.

وقيل: ﴿أَنِ﴾ هي المُفسِّرةُ.

وقيل: ﴿نَادَىٰ رَبُّكَ﴾ أمرَ ﴿أَنِ ائْتِ الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ أنفُسَهُم بالكفرِ، وظلَمُوا بني إسرائيلَ بالاستعبادِ وذبحِ الأولادِ.

***

= المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٨٢٨)، واستغربه.

(١١) - ﴿ قَوْمَ فِرْعَوْنَ أَلَا يَتَّقُونَ ﴾.

﴿ قَوْمَ فِرْعَوْنَ ﴾ بدلٌ مـنَ الأوَّلِ ﴿أَلَا يَتَّقُونَ ﴾؛ أي: ائتِهم زاجِرًا؛ فقد آنَ لهم أن يتَّقوا، وهذه لفظةُ استبطاءٍ وحثٍّ وإغراءٍ.

وقيل: هو على الحكايةِ؛ أي: قل لهم: ألا تتَّقون، وقُرِئَ في الشَّواذِّ بالتّاءِ[١]، فلما حُذِفَ (قل) عادَ إلى لفظِ الغيبةِ[٢].

***

(١٢) - ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّىٓ أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ ﴾.

﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّىٓ أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ ﴾ ولا يُصدِّقوني[٣].

***

(١٣) - ﴿ وَيَضِيقُ صَدْرِى وَلَا يَنطَلِقُ لِسَانِى فَأَرْسِلْ إِلَىٰ هَٰرُونَ ﴾.

﴿ وَيَضِيقُ صَدْرِى ﴾ عطفٌ على ﴿أَخَافُ﴾؛ أي: يضيقُ صدري من تكذيبِهم.

وقيل: من عَجْزي عن إبانةِ حُجَّتي.

﴿وَلَا يَنطَلِقُ لِسَانِى ﴾ للعقدةِ التي به، وقيل: هيبةً منـه.

﴿فَأَرْسِلْ إِلَىٰ هَٰرُونَ ﴾؛ أي: أرسلْ جبريلَ إليه.

وقيل: أرسِلْني إلى هارونَ لآمُرَه عنك أن يذهبَ معي.

وقيل: ﴿أَرْسِلْ إِلَىٰ هَٰرُونَ ﴾ معناه: ادعُه.

وليس هذا استعفاءً، بل طلبٌ منَ الله وبإذنِه، وكان هارونُ بمصرَ حين بُعِثَ موسى نبيًّا بالشَّامِ.

---

(١) نسبت لعبد الله بن مسلم بن يسار وحماد بن سلمة. انظر: «المحتسب» (٢/ ١٢٧).

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٨٢٨)، واستغربه.

(٣) في (ن): «يصدقون».

النَّقَّاشُ: أرسِلْ معي هارونَ[١]، قال: ومثلُه: ﴿أَمْوَٰلَهُمْ إِلَىٰٓ أَمْوَٰلِكُمْ﴾ [النساء: ٢]؛ أي: مع، وهذا منَ النقَّاشِ سهوٌ؛ لأنَّه يقتَضي (إليَّ) بتشديدِ الياءِ؛ فإنْ لـم يكُنْ بدٌّ: فأرسِلْني مع هارونَ، فيكونُ المفعولُ محذوفًا[٢]، لكنَّ النقَّاشَ نظرَ إلى الآيةِ الأخرى وهي: ﴿فَأَرْسِلْهُ مَعِىَ رِدْءًا﴾ [القصص: ٣٤]، فجعلَ ﴿هَٰرُونَ﴾ في الآيةِ مفعولًا، والآيةُ لا تحتمِلُه إلّا على الوجهِ الذي ذكرتُ.

***

(١٤) ـ ﴿وَلَهُمْ عَلَىَّ ذَنۢبٌ فَأَخَافُ أَن يَقْتُلُونِ﴾.

﴿وَلَهُمْ عَلَىَّ ذَنۢبٌ﴾ قيل: عندي ذنبٌ بقتلِ القِبْطيِّ.

وقيل: عليَّ دَعوى ذنبٍ.

وقيل: عليَّ عقوبةُ ذنـبٍ.

﴿فَأَخَافُ أَن يَقْتُلُونِ﴾ قِصاصًا، وقيل: عُدوانًا، والمعنى: فاكفِني ما أخافُه.

***

(١٥) ـ ﴿قَالَ كَلَّا ۖ فَٱذْهَبَا بِـَٔايَٰتِنَآ ۖ إِنَّا مَعَكُم مُّسْتَمِعُونَ﴾.

﴿قَالَ كَلَّا﴾ لا يقتلونَـكَ، فأمَّنـه ممـا كان يخـافُ، وأجـابَ إلـى مطلوبِـه، فقـال: ﴿فَٱذْهَبَا بِـَٔايَٰتِنَآ﴾ مع آيتِنا؛ اليدِ والعصا، فجمَعَ.

وقيل: بدلالتِنا.

وقيل: أُمِدُّكما بآياتِنا، فتكونُ الآياتُ التِّسعُ.

---

(١) وكذا فسره مقاتل في «تفسيره» (١/ ٢٧٨).

(٢) ذكـره المصنـف في «غرائب التفسـير» (٢/ ٨٢٩)، وعـدَّه من العجائب، وفيـه: «ولكن إذا جعلت (إلـى) بمعنى: مع، فتقديره: أرسـلني مـع هارون، فحـذف المفعول الأول».

﴿إِنَّا مَعَكُم مُّسْتَمِعُونَ﴾ يعني: موسى وهارونَ وفرعونَ وقومَه، ومعنى ﴿مُّسْتَمِعُونَ﴾: سامعون، والاستماعُ: الإصغاءُ إلى المسموعِ، فيكونُ مجازًا في حقِّ الله سبحانه.

* * *

(١٦) - ﴿فَأْتِيَا فِرْعَوْنَ فَقُولَآ إِنَّا رَسُولُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾.

﴿فَأْتِيَا فِرْعَوْنَ﴾ فذهبَ موسى إلى مصرَ، وهارونُ بمصرَ، فأخبرَه موسى بذلك، فانطلَقا إلى فرعونَ، فلم يأذَنْ لهما في الدُّخولِ عليه سنةً.

﴿فَقُولَآ إِنَّا رَسُولُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ المُرادُ به التَّثنيةُ لقولِه: ﴿إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ﴾ [طه: ٤٧].

قيل: الرَّسولُ هاهنا بمعنى الرِّسالةِ؛ أي: صاحِبا رسالةِ ربِّك، والمصدرُ لا يُثنَّى ولا يُجمَعُ.

وقيل: كلُّ واحدٍ منَّا رسولُ ربِّك(٣)، كقولِه: ﴿نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا﴾ [الحج: ٥].

وقيل: كانت الرِّسالةُ واحدةً، فجازَ توحيدُ الرَّسولِ(٤).

* * *

(١٧) - ﴿أَنْ أَرْسِلْ مَعَنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾.

﴿أَنْ أَرْسِلْ مَعَنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾: خَلِّ عنهم وأطلِقْهم ودَعْ أذاهُم، من قولِهم: أرسلتُ الكلبَ على الصَّيدِ.

* * *

---

(٣) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٨٢٩)، وعدَّه من العجائب.

(٤) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٨٢٩)، واستغربه.

(١٨) ـ ﴿قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ﴾.

﴿قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا﴾ فعرفَ فرعونُ موسى فقال: ألَم تكُنْ صغيرًا فربَّيناكَ؟ أليس قد التقطْناكَ منَ اليمِّ وكفَّلْناكَ مَن أرضَعَكَ وغذَوناكَ إلى أنْ صِرْتَ رجُلًا؟

امتنَّ إليه بإحسانِه إليه، ومعنى ﴿فِينَا﴾: في جُملتِنا ومنازلِنا.

﴿وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ﴾ أجمعَ المُفسِّرون على أنَّه لبثَ ثلاثينَ سنةً، ثمَّ خرجَ من عندِه عشرَ سنينَ، ثمَّ عادَ إليه يدعوه إلى الله ثلاثينَ سنةً، ثمَّ بقيَ بعد الغرقِ خمسينَ سنةً[١]، فماتَ موسى صلواتُ الله عليه وكانَ ابنَ مئةٍ وعشرينَ سنةً.

***

(١٩) ـ ﴿وَفَعَلْتَ فَعْلَتَكَ الَّتِي فَعَلْتَ وَأَنتَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾.

﴿وَفَعَلْتَ فَعْلَتَكَ الَّتِي فَعَلْتَ﴾ يعني: قتلَ القِبْطيِّ.

﴿وَأَنتَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾ فيه ثلاثةُ أقوالٍ:

أحدُها: منَ الكافرينَ النِّعمةَ.

والثَّاني: منَ القومِ الذين تزعمُ الآنَ أنَّهم كافرون[٢].

والثَّالثُ: منَ الكافرين حيثُ تدَّعي أنَّ لك إلـهًا غيري.

---

(١) قوله: «أجمع المفسرون» كذا قال، ولا أدري من أين جاء بهذا الإجماع، فهذه أمور طريقها السمع، ولم يرد في السنة ما يحصل به هذا الإجماع، بل ذكر بعض المفسرين فيه خلافاً، فقال الواحدي في «البسيط» (١٧/ ٣٣): «﴿وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ﴾ قال ابن عباس: يريد ثمان عشرة سنة. وقال مقاتل: ثلاثين سنة. وقال الكلبي: أربعين سنة».

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٨٢٩)، واستغربه.

وقيل: منَ الكافرين بالله حين قتلتَ نفسًا بغيرِ حِلِّها، وهذا ضعيفٌ؛ لأنَّ فرعونَ لـم يكُنْ مُقِرًّا بالله[1].

* * *

(٢٠) ـ ﴿قَالَ فَعَلْتُهَآ إِذًا وَأَنَا۠ مِنَ ٱلضَّآلِّينَ﴾.

﴿قَالَ فَعَلْتُهَآ إِذًا وَأَنَا۠ مِنَ ٱلضَّآلِّينَ﴾ فيه أقوالٌ:

أحدُها: منَ الجاهلين أنَّها تأتي على النَّفسِ.

والثَّاني: أردتَ أمرًا فضلَلْتَ عنه.

والثَّالثُ: منَ السَّاهين.

والرَّابعُ: مـنَ الضَّالِّيـنَ عن النُّبـوَّةِ وأحـكامِ الشَّـريعةِ، والمعنـى: فعلتُها خطأً لا عمدًا.

و﴿إِذًا﴾ يحتملُ معنًى دقيقًا؛ أي: إنْ كان كما قُلتَ فقد فعلتُ إذًا وأنا منَ الضَّالِّين؛ لأنَّ (إذًا) تقعُ في الجوابِ دون الابتداءِ[2].

* * *

(٢١) ـ ﴿فَفَرَرْتُ مِنكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ فَوَهَبَ لِى رَبِّى حُكْمًا وَجَعَلَنِى مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾.

﴿فَفَرَرْتُ مِنكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ﴾: هربتُ منكم لـمَّا خِفتُ أن تقتُلوني.

﴿فَوَهَبَ لِى رَبِّى حُكْمًا﴾: نبوةً وحكمةً وعقلًا، وزالَ عنِّي الجهلُ والضَّلالةُ.

﴿وَجَعَلَنِى مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾: من جملةِ أنبيائِه ورُسلِه.

* * *

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٨٢٩)، وعدَّه من العجائب.

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٨٣٠)، واستغربه.

(٢٢) ـ ﴿وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَيَّ أَنْ عَبَّدتَّ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾.

﴿وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَيَّ أَنْ عَبَّدتَّ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ حملَها بعضُهم على الإنكارِ، وبعضُهم على الإقرارِ.

الفرَّاءُ: هي لَعمري نعمةٌ؛ إذ ربَّيتَني ولـم تستعبِدْني كاستِعبادِك بني إسرائيلَ، هذا لفظُه[(١)].

النقَّاشُ: تمُنُّ عليَّ بإحسانِك إليَّ خاصَّةً وتنسى إساءتَكَ أنْ عَبَّدْتَ بني إسرائيلَ؟

الحسنُ: أخذتَ من بني إسرائيلَ أموالَهم فغذَوتَني بمالِ قومي، فما مِنَّتُكَ عليَّ في ذلك[(٢)]؟

وقيل: إنَّ اتِّخاذَكَ بني إسرائيلَ عبيدًا قد أحبطَ نعمتَكَ التي تـمُنُّ بها عليَّ.

وقيل: أوَتلكَ نعمةٌ تمنُّها عليَّ؟ استفهامُ إنكارٍ.

ابنُ بحرٍ: (تلك) إشارةٌ إلى تخليةِ بني إسرائيلَ في قولِه: ﴿أَنْ أَرْسِلْ مَعَنَا بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ [الشعراء: ١٧]؛ أي: تخليتُكَ إيَّاهم وإرسالُهم معي كما أمرَ الله نعمةٌ لك عندي؛ لأنَّهم أقربائي وقد اتَّخذتَهم عبيدًا[(٣)].

أو يحتمِلُ: أوَ تلكَ نعمةٌ تمنُّها عليَّ أن عبَّدتَني؟ فوضعَ (بني إسرائيلَ) موضعَ الضَّميرِ لأنَّه واحدٌ منهم، وتعبيدُه إيَّاهم تسبَّبه إلى قذفِه في اليمِّ، وفراقِه من أبوَيه وأهلِ بيتِه، ثمَّ اتخاذِ أمِّه ظِئرًا، يُنسَبُ إلى فرعونَ بذلك.

---

(١) انظر: «معاني القرآن» للفراء (٢/ ٢٧٩).

(٢) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٤/ ١٦٨)، وابن الجوزي في «زاد المسير» (٣/ ٣٣٧).

(٣) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٨٣٠)، واستغربه، وفيه: «الغريب: ابن بحر: أضرب موسى عن كلام فرعون، وعاد إلى كلامه...».

ويحتمِلُ أيضًا: وتلك نعمةٌ تمنُّها عليَّ لولا أن عبَّدتَ بني إسرائيلَ.

وفي إعرابِ ﴿أَنْ عَبَّدتَّ﴾ قولانِ:

أحدُهما: رفعٌ بالبدلِ منَ المبتدأ، وقيل: منَ الخبرِ.

والثّاني: نصبٌ، وتقديرُه: بأن عَبَّدتَ.

وعَبَّدتَ، وأَعْبَدْتَ، واسْتَعْبَدْتَ: اتَّخذتَ عبدًا.

***

(٢٣) ـ ﴿قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾.

﴿قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾: ما حقيقةُ ذاتِه؟ من أيِّ جنسٍ وأيِّ نوعٍ هو؟ فأعرَضَ موسى عن الجوابِ من هذا الوجهِ، وصارَ إلى الدلالةِ على الله بأفعالِه وصنائعِه.

***

(٢٤) ـ ﴿قَالَ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ﴾.

﴿قَالَ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ﴾؛ أي: إنْ كنتُم تعرِفون الأشياءَ بالدَّليلِ فكفى السَّماواتُ والأرضُ وما بينَهما دليلًا بأنَّ الله سبحانَه خالقُها ومالكُها ومُدبِّرُها.

وقيل: إنْ كنتُم مُوقِنين بأنَّ السَّماواتِ لا بدَّ لها من ربٍّ فالذي أدعوكم إليه ذلك الربُّ.

وقيل: إنْ أيقَنتُم أنَّ ما تُعاينونَه هو كما تُعاينونَه فأيقِنُوا أنَّ ربَّنا ربُّ السَّماواتِ.

***

(٢٥) ـ ﴿قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُۥٓ أَلَا تَسْتَمِعُونَ﴾.

﴿قَالَ﴾ يعني: فرعونُ ﴿لِمَنْ حَوْلَهُۥٓ﴾ من أشرافِ قومِه يُعَجِّبُهم: ﴿أَلَا تَسْتَمِعُونَ﴾ إلى سُؤالي وجوابِه؟ لم يزدْ على الأوَّلِ؛ لأنَّ ربَّ العالمين وربَّ السَّماواتِ والأرضِ وما بينَهما واحدٌ.

قال ابنُ عبّاسٍ، رضي الله عنهما: كانَ من حولِه خمسُ مئةِ رجلٍ على كراسيَّ[1].

***

(٢٦) ـ ﴿قَالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ ءَابَآئِكُمُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾.

﴿قَالَ﴾ يعني موسى: ﴿رَبُّكُمْ وَرَبُّ ءَابَآئِكُمُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾، فأوضحَ كلامَه بزيادةِ بيانٍ؛ أي: خالقُكم وخالقُ آبائِكم، فضَلَلْتُم وضلَّتْ أباؤُكم.

وقيل: إنَّما قال موسى: ربُّ آبائِكم؛ لأنَّ فرعونَ كان يدَّعي الرُّبوبيَّةَ على أهلِ عصرِه دونَ مَن تقدَّمَهم.

***

(٢٧) ـ ﴿قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمُ ٱلَّذِىٓ أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ﴾.

﴿قَالَ﴾ يعني فرعونُ: ﴿إِنَّ رَسُولَكُمُ ٱلَّذِىٓ أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ﴾ حيثُ أسألُه عن شيءٍ ويُجيبُني عن شيءٍ.

وقيل: ﴿لَمَجْنُونٌ﴾ حيثُ يزعُمُ أنَّ في الوجودِ إلـهًا غيري؛ لأنَّ الجوابَ كان مُطابقًا؛ لأنَّ قولَه: ﴿وَمَا رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الشعراء: ٢٣] بمعنى (مَنْ) كقولِه: ﴿أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ﴾ [النساء: ٣].

وقيل: كان مُطابقًا؛ لأنَّ موسى لـمَّا قال: إنَّ ربَّ العالمين أرسلَه إليهم، سألَه

---

(١) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٢٠/ ٤٢) بلفظ: «كانوا خمسمائة رجل عليهم الأسورة».

فرعونُ عن مُلكِه وانبساطِ قُدرتِه كما يسألُ الملوكُ عن الرُّسلِ: ما صاحبُك هذا؟ أي: مقدارُ ملكِه وسُلطانِه، فأجابَه موسى عما اقتَضاه هذا السُّؤالُ.

***

(٢٨) ـ ﴿قَالَ رَبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ﴾.

﴿قَالَ رَبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ﴾؛ أي: إنْ كانَ لكم عقلٌ فتدبَّروا في مصنوعاتِ ربِّي حقَّ التَّدبُّرِ تعرِفوا الصَّانعَ بعد التَّدبُّرِ ضرورةً.

***

(٢٩) ـ ﴿قَالَ لَئِنِ ٱتَّخَذْتَ إِلَٰهًا غَيْرِى لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ ٱلْمَسْجُونِينَ﴾.

﴿قَالَ لَئِنِ ٱتَّخَذْتَ إِلَٰهًا غَيْرِى﴾؛ أي: إن اتَّخذتَ شيئًا سوايَ إلـهًا.

ويحتملُ: اتَّخذتَ غيري إلهًا؛ لأنَّ (اتَّخذَ) هاهنا يتعدَّى إلى مفعولَين.

﴿لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ ٱلْمَسْجُونِينَ﴾ لأحبِسَنَّك في السِّجنِ، وكان سجنُه أشدَّ منَ القتلِ، لا يرَى المسجونُ في سجنِه شيئًا ولا يُدرِكُ مسموعًا، بل يكونُ فيه وحدَه يهوي في الأرضِ.

***

(٣٠) ـ ﴿قَالَ أَوَلَوْ جِئْتُكَ بِشَىْءٍ مُّبِينٍ﴾.

﴿قَالَ أَوَلَوْ جِئْتُكَ بِشَىْءٍ مُّبِينٍ﴾ يُبيِّنُ لك صِدْقي، تسجنُني؟! الألفُ للاستفهامِ، والواوُ لعطفِ جملةٍ على جملةٍ.

ويحتمِلُ: ﴿أَوَلَوْ جِئْتُكَ بِشَىْءٍ مُّبِينٍ﴾ تُصدِّقُني وتُؤمنُ باللهِ؟ ولـم يُجِبْه عن قولِه: ﴿لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ ٱلْمَسْجُونِينَ﴾ [الشعراء: ٢٩].

***

(٣١) ـ ﴿قَالَ فَأْتِ بِهِۦٓ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾.

﴿قَالَ فَأْتِ بِهِۦٓ﴾: بالـذي يُبيِّـنُ صدقَـكَ ﴿إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ إنْ كانَ لك بيِّنةٌ.

وقيل: إنْ كنتَ منَ الصَّادقين أنَّ لك ربًّا بعثَكَ إليَّ رسولًا.

وجوابُ الشَّرطِ مُقدَّرٌ؛ أي: فأحضِرْه.

***

(٣٢) ـ ﴿فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِىَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ﴾.

﴿فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ﴾: نبذَها من يدِه ﴿فَإِذَا هِىَ ثُعْبَانٌ﴾: حيَّةٌ صفراءُ كأعظمِ ما يكونُ منَ الحيَّاتِ ﴿مُّبِينٌ﴾ أنَّها ثعبانٌ.

وقيل: أنَّها حُجَّةٌ وبرهانٌ.

ابنُ عبَّاسٍ رضي الله عنهما: غرزَتْ ذنبَها في الأرضِ ونصبَتْ رأسَها نحوَ الميلِ إلى السَّماءِ، ثمَّ انحطَّتْ فجعلَتْ رأسَ فرعونَ بين نابَيها، وجعلَتْ تقولُ: مُرني بما شئتَ، فناداه فرعونُ: أسألُك بالذي أرسلَكَ لَـما أخذْتَها[1].

وقيل: التَجأ إلى موسى.

وقيل: قامَ هاربًا.

وقيل: لـم يلقَ بعد ذلك موسى إلا بالَ في ثيابِه كما تبولُ الدَّوابُّ إذا رأتِ الأسدَ[2].

فأخذَها موسى فعادَتْ عصًا كما كانت، ولا مُنافاةَ بينَ الثُّعبانِ وبين الجانِّ.

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (١٧/ ٥٦٦) عن المنهال وزاد: «قال: فأخذه بطنه».

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٨٢٩)، وعدَّه من العجائب.

قال الزَّجَّاجُ: خَلْقُها خلقُ الثُّعبانِ، وحركتُها واهتِزازُها اهتِزازُ الجانِّ[1].

وقيل: ﴿كَأَنَّهَا جَآنٌّ﴾ [النمل: ١٠] تشبيهًا بالشَّيطانِ، وسُمِّيت الثُّعبانَ لانثِعابِه في الجَرْيِ، تقولُ: ثعَبْتُ الماءَ؛ إذا فَجَّرْتَه فانثَعَبَ كانثِعابِ الدَّمِ منَ الأنفِ.

ويحتمِلُ: أنَّ الله سُبحانَه جعلَ العصا حيَّةً وجانًّا إذا رآها موسى وحدَه، وإذا رآها فرعونُ وقومُه جعلَها ثُعبانًا، ولفظُ القرآنِ يدلُّ على هذا[2].

و(إذا) في الآيتَين للمُفاجأةِ، وهو ظرفُ مكانٍ[3].

* * *

(٣٣) ـ ﴿وَنَزَعَ يَدَهُۥ فَإِذَا هِىَ بَيْضَآءُ لِلنَّـٰظِرِينَ﴾.

﴿وَنَزَعَ يَدَهُۥ﴾؛ أي: أدخلَها في جيبِه ثمَّ أخرجَها منه.

وقيل: حَسَرَ عن ذراعِه، والنَّزْعُ: إخراجُ الشَّيءِ مـمَّا اتَّصلَ به.

﴿فَإِذَا هِىَ بَيْضَآءُ﴾ تغلبُ ضوءَ الشَّمسِ، وقيل: أضاءَ لها الوادي.

﴿لِلنَّـٰظِرِينَ﴾؛ أي: مَن نظرَ إليها رآها بيضاءَ.

* * *

(٣٤) ـ ﴿قَالَ لِلْمَلَإِ حَوْلَهُۥٓ إِنَّ هَـٰذَا لَسَـٰحِرٌ عَلِيمٌ﴾.

﴿قَالَ لِلْمَلَإِ حَوْلَهُۥٓ﴾ قال فرعونُ لهم: ﴿إِنَّ هَـٰذَا﴾ يعني: موسى ﴿لَسَـٰحِرٌ عَلِيمٌ﴾، وما في سورةِ (الأعرافِ) فكلامُ الملأ حكايةً عن فرعونَ.

---

(١) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٤/ ٨٨).

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٨٣١)، واستغربه.

(٣) هذا مذهب المبرد، وهو قول الكوفيين. انظر: «شرح الكافية» للرضي (٣/ ١٩٤ و١٩٨)، و«التذييل والتكميل» لأبي حيان (٧/ ٣٢٥).

(٣٥) - ﴿يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُم بِسِحْرِهِۦ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ﴾.

﴿يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُم بِسِحْرِهِۦ﴾ ويَغْلِبَ على ديارِكم.

وقيل: يُخرِجَ خدَمَكم وعبيدَكم، يعني: بني إسرائيلَ؛ لأنَّه جاء يطلبُهم بقولِه: ﴿أَنْ أَرْسِلْ مَعَنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ [الشعراء: ١٧].

وقيل: يُوقِعَ العداوةَ بينكم بأن يستميلَ بعضَكم، فيقعَ الخِصامُ والمُحاربةُ، فيصيرَ سببًا لخروجِكم من ديارِكم.

﴿فَمَاذَا تَأْمُرُونَ﴾: تُشيرونَ في قتلِه أو حبسِه، وعَبَّرَ عن المشورةِ بالأمرِ لأنَّها تقعُ بلفظِه، ولا يَحْسُنُ إجراؤُه على الظَّاهرِ؛ لأنَّ التَّابعَ لا يأمرُ المتبوعَ.

وفي هذه المشورةِ قولان:

أحدُهما: إنَّما شاوَرَهم ليستعطِفَهم لضَعفِه في تلك الحالةِ.

والثَّاني: لأنَّه أذهلَه ما شاهدَ فحارَ عقلُه، فلجأ إلى رأيِهم ولم يعرِفْ أنَّه قد تناقَضَ كلامُه حيثُ قالَ مرَّةً: ﴿أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ﴾ [النازعات: ٢٤]، ومرَّةً: ﴿فَمَاذَا تَأْمُرُونَ﴾.

* * *

(٣٦ - ٣٧) - ﴿قَالُوٓا۟ أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَٱبْعَثْ فِى ٱلْمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ ۝٣٦ يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَحَّارٍ عَلِيمٍ﴾.

﴿قَالُوٓا۟ أَرْجِهْ وَأَخَاهُ﴾: أَخِّرْ أمرَهما في حبسٍ أو قتلٍ.

وقيل: معنى ﴿أَرْجِهْ﴾: احبِسْه وأخاه، ولا تقتُلْهما قبلَ أن يظهرَ كذبُهما فيفْتَتِنَ النَّاسُ به.

وقيل: منَعوه عن قتلِهما مخافةَ عذابٍ يقعُ بهم لـمَّا شاهَدُوا ذلك الأمرَ العظيمَ.

وقيل: صرفَهم الله عن قتلِهما.

والهمزُ وتركُه في ﴿أَرْجِهْ﴾ لغتانِ(١).

﴿وَٱبْعَثْ فِى ٱلْمَدَآئِنِ حَـٰشِرِينَ﴾: مَن يجمعُ السَّحرةَ من مدائنِ مملكتِكَ وأمصارِها ﴿يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَحَّارٍ عَلِيمٍ﴾.

***

(٣٨) - ﴿فَجُمِعَ ٱلسَّحَرَةُ لِمِيقَـٰتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ﴾.

﴿فَجُمِعَ ٱلسَّحَرَةُ﴾؛ أي: فعلَ ما أشارَ به عليه القومُ.

ويحتملُ أنَّ في الآياتِ تقديمًا وتأخيرًا، وأنَّ تقديرَ النَّظمِ: أرجِهْ وأخاه وابعَثْ في المدائنِ حاشرينَ، يأتوكَ بكلِّ سحَّارٍ عليم، فأرسلَ فرعونُ في المدائنِ حاشرينَ، فَجُمِعَ السَّحَرَةُ(٢).

﴿لِمِيقَـٰتِ﴾؛ أي: لميعادِ ﴿يَوْمٍ مَّعْلُومٍ﴾: يومِ زينةٍ لهم.

وقيل: كان يومَ النَّيروزِ.

وقيل: معنى ﴿لِمِيقَـٰتِ﴾: لأَجْلِ التَّوقيتِ الذي وقعَ الاتِّفاقُ عليه، ومعنى ﴿يَوْمٍ مَّعْلُومٍ﴾؛ أي: يُعلمُ حضورُ النَّاسِ أجمعينَ فيه.

***

---

(١) القراءتان سبعيتان، ولهم في ذلك وجوه. انظر: «السبعة» (ص: ٢٨٧ ـ ٢٨٩)، و«التيسير» (ص: ١١١). واختصر الداني ما فيها من قراءات سبعية بقوله: «ابن كثير وهشام: ﴿أرجئه﴾ بالهمز وضم الهاء ووصلها بواو، وأبو عمرو بالهمز والضَّم من غير صلة، وابن ذكوان بالهمز وبكسر الهاء ولا يصلها بياء، وقالون بغير همز ويختلس الكسرة، وورش والكسائيّ بغير همز ويصلان الهاء بياء، وعاصم وحمزة بغير همز ويسكِّنان الهاء».

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٨٣١)، واستغربه.

(٣٩) ـ ﴿وَقِيلَ لِلنَّاسِ هَلْ أَنتُم مُّجْتَمِعُونَ﴾.

﴿وَقِيلَ لِلنَّاسِ هَلْ أَنتُم مُّجْتَمِعُونَ﴾ قال بعضُ أصحابِ فرعونَ لبعضٍ: اجتمِعُوا نشهَدْ ما يجري بين موسى وهارونَ وبينَ السَّحرةِ.

***

(٤٠) ـ ﴿لَعَلَّنَا نَتَّبِعُ ٱلسَّحَرَةَ إِن كَانُوا۟ هُمُ ٱلْغَٰلِبِينَ﴾.

﴿لَعَلَّنَا نَتَّبِعُ ٱلسَّحَرَةَ﴾: كي نتَّبعَ السَّحرةَ ﴿إِن كَانُوا۟ هُمُ ٱلْغَٰلِبِينَ﴾ ولا نشكُّ أنَّ الغلبةَ لهم، فنكونُ على دينِهم.

وقيل: نتَّبعُ السَّحرةَ فنقتلُ موسى وهارونَ.

وقيل: نتَّبعُ السَّحرةَ؛ أي: موسى وهارونَ وأشياعَهما ﴿إِن كَانُوا۟ هُمُ ٱلْغَٰلِبِينَ﴾ على وجهِ الاستهزاءِ، حكاه القفَّالُ[1].

***

(٤١) ـ ﴿فَلَمَّا جَآءَ ٱلسَّحَرَةُ قَالُوا۟ لِفِرْعَوْنَ أَئِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِن كُنَّا نَحْنُ ٱلْغَٰلِبِينَ﴾.

﴿فَلَمَّا جَآءَ ٱلسَّحَرَةُ قَالُوا۟ لِفِرْعَوْنَ أَئِنَّ لَنَا لَأَجْرًا﴾: لثوابًا، والأجرُ: الجزاءُ بالخيرِ، والجزاءُ بالشَّرِّ عقابٌ وليس بأجرٍ.

﴿إِن كُنَّا نَحْنُ ٱلْغَٰلِبِينَ﴾ لموسى وهارونَ.

***

(٤٢) ـ ﴿قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ إِذًا لَّمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ﴾.

﴿قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ إِذًا لَّمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ﴾ قال فرعونُ: نعم لكم أجرٌ عندي وتكونون مع ذلك منَ المُقرَّبين في المرتبةِ والجاهِ.

---

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٨٣٢)، واستغربه.

وقيل: أوَّلُ مَن يدخلُ عليَّ وآخرُ مَن يخرُجُ.

* * *

(٤٣) - ﴿ قَالَ لَهُم مُّوسَىٰٓ أَلْقُواْ مَآ أَنتُم مُّلْقُونَ ﴾.

﴿ قَالَ لَهُم مُّوسَىٰٓ أَلْقُواْ مَآ أَنتُم مُّلْقُونَ ﴾ منَ السِّحرِ، ذكرَ هذا على وجهِ التَّهديدِ لا على إباحةِ السِّحرِ؛ أي: سوفَ ترونَ عاقبةَ ذلك.

* * *

(٤٤) - ﴿ فَأَلْقَوْاْ حِبَالَهُمْ وَعِصِيَّهُمْ وَقَالُواْ بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ إِنَّا لَنَحْنُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴾.

﴿ فَأَلْقَوْاْ حِبَالَهُمْ ﴾: جمعُ حَبْلٍ، وأصلُه من قولِهم: ما حَبَلَكَ عنِّي؟ أي: حبَسَكَ. ﴿وَعِصِيَّهُمْ ﴾: جمعُ عصًا، وكانوا سبعينَ ألفَ ساحرٍ مع كلِّ واحدٍ حبلٌ وعصًا.

وقيل: كانت الحبالُ اثنَين وسبعينَ، وكذلك العِصيُّ.

﴿ وَقَالُواْ بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ ﴾؛ أي: نُقسِمُ بعزَّتِه ومنعتِه وقوَّتِه ﴿إِنَّا لَنَحْنُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴾؛ لأنَّا قد أتَينا بغايةِ ما يُؤتَى به من جهةِ السِّحرِ، وكان ذلك قَسَمًا منهم غيرَ مبرورٍ[1].

* * *

(٤٥) - ﴿ فَأَلْقَىٰ مُوسَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِىَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ ﴾.

﴿فَأَلْقَى مُوسَى عَصاهُ فَإِذا هِيَ تَلَقَّفُ﴾: تَبْتلِعُ وتأخذُ بسرعةٍ، ومثلُه: ﴿تَلْقَفُ﴾ خفيفٌ[2].

﴿مَا يَأْفِكُونَ﴾: معمولَهم الذي أفَكوه؛ أي: قلَبوه عن وجهِه.

* * *

(١) في (ف): «مبرورة».

(٢) قرأ بهذه حفص، والباقون بالتشديد. انظر: «السبعة» (ص: ٢٩٠)، و«التيسير» (ص: ١١٢).

(٤٦) ـ ﴿فَأُلْقِيَ ٱلسَّحَرَةُ سَٰجِدِينَ﴾.

﴿فَأُلْقِيَ ٱلسَّحَرَةُ سَٰجِدِينَ﴾ لمَّا تبيَّنَ لهم الحقُّ سجَدُوا لله، وسُمُّوا سحرةً بالاسمِ المُتقدِّمِ للتَّعريفِ، وإنْ زالَ عنهم اسمُ السَّاحرِ بالإيمانِ، وعبَّر عن سرعةِ سجودِهم بـ(أُلقِيَ).

وقيل: فاعلُ ﴿أُلْقِيَ﴾ الحقُّ الذي عرَفُوه.

* * *

(٤٧) ـ ﴿قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾.

﴿قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ بدلٌ من (أُلْقِيَ).

وقيل: تقديرُه: وقد قالوا، فيكونُ حالًا، والمعنى: آمنَّا بالذي قالا: ﴿إِنَّا رَسُولُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الشعراء: ١٦].

* * *

(٤٨) ـ ﴿رَبِّ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ﴾.

﴿رَبِّ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ﴾ ذكرَ المُفسِّرون أنَّ فرعونَ لـمَّا سمعَ منهم: ﴿ءَامَنَّا بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ قال: إيَّايَ عنيتُم؟ قالوا: ﴿رَبِّ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ﴾.

* * *

(٤٩) ـ ﴿قَالَ ءَامَنتُمْ لَهُۥ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ ۖ إِنَّهُۥ لَكَبِيرُكُمُ ٱلَّذِى عَلَّمَكُمُ ٱلسِّحْرَ فَلَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ۚ لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَٰفٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ﴾.

﴿قَالَ ءَامَنتُمْ لَهُۥ﴾: صدَّقتُموه ﴿قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ﴾ في التَّصديقِ ﴿إِنَّهُۥ لَكَبِيرُكُمُ ٱلَّذِى عَلَّمَكُمُ ٱلسِّحْرَ﴾ له معنيانِ:

أحدُهما: أنَّه علَّمَكم شيئًا وكتَمَكُم شيئًا؛ ليغلبَ به مَن يُغالبُه.

والثَّاني: لَكبيرُكم وقد تواطَأتُم على أمرٍ ومكرٍ.

ثمَّ توعَّدَهم بقولِه: ﴿فَلَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾؛ أي: عن قريبٍ تعلمون ما يَنزلُ بكم منَ العقابِ على إيمانِكم بموسى قبل إذني، ثمَّ صرَّحَ فقال:

﴿لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَافٍ﴾ اليدُ اليُمنى والرِّجلُ اليُسرى؛ ليكونَ زَمانةً من جانبَي البدنِ.

ويحتملُ: من أجلِ خلافٍ ظهرَ منكم.

﴿وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ﴾: أُعلِّقَنَّكم من جذوعِ[1] النَّخلِ حتَّى تموتوا عليها.

قيل: أصلُ التَّصليبِ منَ الصَّلبِ، وهو إخراجُ الدَّسمِ، والصَّليبُ: الدَّسمُ، كأنَّه يُعلَّقُ ويُترَكُ حتَّى يصيرَ صَليبًا.

***

(٥٠) ـ ﴿قَالُوا لَا ضَيْرَ إِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ﴾.

﴿قَالُوا لَا ضَيْرَ﴾؛ أي: لا ضررَ علينا، إنَّما هي ساعةٌ نصبرُ لعذابِكَ ثمَّ نصيرُ إلى ثوابِ الله، وهو قولُه: ﴿إِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ﴾.

وقيل: معناه: إنَّ الجميعَ منَّا ومنك ينقلبُ إلى الله، فهو لك بالمرصادِ يُجازيك جزاءَ مثلِكَ.

***

(٥١) ـ ﴿إِنَّا نَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لَنَا رَبُّنَا خَطَايَانَا أَن كُنَّا أَوَّلَ الْمُؤْمِنِينَ﴾.

﴿إِنَّا نَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لَنَا رَبُّنَا خَطَايَانَا﴾ المُتقدِّمةَ ﴿أَن كُنَّا﴾ لأَجْلِ أنْ كنَّا ﴿أَوَّلَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ منَ السَّحرةِ.

وقيل: ﴿أَوَّلَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ في ذلك المشهدِ.

وقيل: ﴿أَوَّلَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ من آلِ فرعونَ وفي ذلك الزَّمانِ.

---

(١) كذا في النسختين الخطيتين، ولعل الصواب: «على جذوع» أو «جذوع».

ووحَّدَ ﴿أَوَّلَ﴾ لأنَّ التَّقديرَ: أوَّلَ فريقٍ.

وقيل: لأنَّ (مِن) مُقدَّرةٌ معه؛ أي: أوَّلَ من غيرِه، و(أفعَلُ) إذا كانَ (مِنْ) معه ملفوظًا أو مُقدَّرًا لا يُثنَّى ولا يُجمَعُ.

* * *

(٥٢) - ﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِيٓ إِنَّكُم مُّتَّبَعُونَ﴾.

﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِيٓ﴾ هذا بعدَ سنين من أمرِ السَّحرةِ وإيمانِهم، والمعنى: سِرْ بهم ليلًا، وأضافَهم إلى نفسِه لإيمانِهم.

﴿إِنَّكُم مُّتَّبَعُونَ﴾: يتَّبعونكم لِيردُّوكم ويُحارِبُوكم إنْ لـم تنصرِفُوا، وفي ضِمْنِه بشارةٌ؛ أي: فلا يضرُّكم اتِّباعُهم إياكُم.

وذكرَ ابنُ جُريجٍ في الآيةِ قالَ: أوحَى اللهُ تعالى إلى موسى أن اجمَعْ بني إسرائيلَ كلَّ أربعةِ أهلِ أبياتٍ في بيتٍ، ثمَّ اذبَحوا أولادَ الضَّأنِ فاضرِبوا بدمائِها على أبوابِكم، فإنِّي سآمُرُ الملائكةَ فلا يدخُلون بيتًا على بابِه دمٌ، وسآمُرُهُم بقتلِ الأبكارِ من آلِ فرعونَ، ثمَّ اخبزوا خُبزًا فَطِيرًا فإنَّه أسرعُ لكم، ثمَّ أسرِ بعبادي حتَّى تنتهيَ إلى البحرِ فيأتيك أمري، ففعلَ ذلك.

فلما أصبَحوا قال فرعونُ: هذا عملُ موسى وقومِه، قتَلُوا أبكارَنا، وتمكَّنُوا من أنفُسِنا وأموالِنا، فأرسلَ في إثرِه ألفَ ألفٍ وخمسَ مئةِ ألفٍ، [وخمسَ مئةِ] مَلِكٍ مُسَوَّرٍ، ومع كلِّ مَلِكٍ ألفٌ، وخرجَ فرعونُ في الكرسيِّ العظيمِ[1].

* * *

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (١٧/ ٥٧٥)، والثعلبي في «تفسيره» (٢٠/ ٤٧). وما بين معكوفتين من الطبري، ولا يستقيم الكلام بدونه، فإن العدد عند الحساب يصبح أكثر من عدد سكان الصين الآن! وهي مبالغة لا تقبل.

(٥٣) ـ ﴿ فَأَرْسَلَ فِرْعَوْنُ فِي ٱلْمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ ﴾.

﴿ فَأَرْسَلَ فِرْعَوْنُ فِي ٱلْمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ ﴾؛ أي: حينَ أُخْبِرَ بسُراهُم بعثَ شُرَطًا يحشرونَ النّاسَ منَ المدائنِ لاتِّباعِهم مع فرعونَ، والوجهُ ما ذكرتُ.

قيلَ: إنَّ في الآياتِ تقديمًا وتأخيرًا، وإنَّ هذه الآيةَ مُتَّصلةٌ بقولِه: ﴿وَٱبْعَثْ فِي ٱلْمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ﴾ [الشعراء: ٣٦]، والآيةُ التي تتَّصِلُ بهذه نظمًا قولُه: ﴿ فَأَتْبَعُوهُم مُّشْرِقِينَ ﴾ [الشعراء: ٦٠]، كأنَّه لمَّا قال: ﴿إِنَّكُم مُّتَّبَعُونَ ﴾ بيَّنَ فقال: ﴿ فَأَتْبَعُوهُم مُّشْرِقِينَ ﴾.

***

(٥٤) ـ ﴿ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ ﴾.

﴿ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ ﴾ الشِّرذِمةُ: الجماعةُ.

وقيل: البقيَّةُ منَ الشَّيءِ، والقليلُ منَ النّاسِ.

الضَّحّاكُ: الشِّرذِمةُ: السَّفلةُ منَ النّاسِ[1].

قولُه: ﴿قَلِيلُونَ﴾ حُمِلَ على الأسباطِ؛ أي: كلُّ سبطٍ قليلٌ.

وقيل: هو كقولِهم:

كحـيٍّ واحِدِينـا[2]

---

(١) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٤/ ١٧٠).

(٢) قطعة من بيت للكميت كما في «معاني القرآن» للفراء (٢/ ٢٨٠)، و«تفسير الطبري» (١٧/ ٥٧٣)، و«معاني القرآن» للزجاج (٤/ ٩١)، و«تهذيب اللغة» (٥/ ١٢٧)، و«الصحاح» مادة: (و ح د).
والمعنى: أن كل جماعة منهم كان يلزمها معنى القلة؛ فلما جَمَع جَمْع جماعاتهم قيل: ﴿قَلِيلُونَ﴾، كما قال الكُمَيت: كحيٍّ واحِدِين. قاله الطبري، وتمام البيت:

فـردّ قواصِـي الأحيـاء منهم   فقـد رَجَعـوا كحـيّ واحدينـا

وقيل: جُمِعَ لمُوافقةِ الآياتِ.

وكانوا ستَّ مئةٍ وسبعين ألفًا، وإنَّما استقلَّهم لكثرةِ مَن معه، وقيل: لكثرةِ مَن قُتِلَ منهم.

***

(٥٥) - ﴿وَإِنَّهُمْ لَنَا لَغَآئِظُونَ﴾.

﴿وَإِنَّهُمْ لَنَا لَغَآئِظُونَ﴾ لقتلِهم أبكارَنا ولهربِهم وخروجِهم من الخدمةِ.

وقيل: لأنَّهم استعاروا حُلِيًّا وذهبُوا به.

والغيظُ: المُبالغةُ في الأذى والإخبارِ ممَّا[1] يُغْضِبُ.

***

(٥٦) - ﴿وَإِنَّا لَجَمِيعٌ حَٰذِرُونَ﴾.

﴿وَإِنَّا لَجَمِيعٌ﴾: لمُجتمِعٌ، كقولِه: ﴿تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰ﴾ [الحشر: ١٤]، ﴿حَٰذِرُونَ﴾ و﴿حَذِرُونَ﴾[2]؛ قيل: لُغتانِ.

«الحجَّةُ»: ﴿حَذِرُونَ﴾ في الحالِ، و﴿حَٰذِرُونَ﴾ في المآلِ[3].

الزَّجَّاجُ في جماعةٍ: ﴿حَٰذِرُونَ﴾: مُؤْدُّونَ؛ أي: ذَوو أدواتٍ وسلاحٍ، و﴿حَذِرُونَ﴾: عالِمون بالحربِ[4].

---

(١) كذا في النسختين، ولعل الصواب: «بما»، وهذا التعريف مناسب للإغاظة، وليس للغيظ، والله أعلم.

(٢) بالألف قراءة حمزة والكسائي وعاصم وابن ذكوان، والباقون بغير ألف. انظر: «السبعة» (ص: ٤٧١)، و«التيسير» (ص: ١٦٥)، وذكر في «النشر» (٢/ ٣٣٥) خلافاً عن هشام.

(٣) انظر: «الحجة» (٥/ ٣٥٩).

(٤) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٤/ ٩٢)، وفيه: «وجاء في التفسير أن معنى ﴿حَٰذِرُونَ﴾: مؤدون؛ أي: ذوو أداة؛ أي: ذوو سلاح، والسلاح أداة الحرب، فالحاذر: المستعدُّ، والحذر: المتيقظ».

(٥٧) ـ ﴿فَأَخْرَجْنَاهُم مِّن جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ﴾.

﴿فَأَخْرَجْنَاهُم مِّن جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ﴾؛ أي: البساتينِ والأنهارِ.

***

(٥٨) ـ ﴿وَكُنُوزٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ﴾.

﴿وَكُنُوزٍ﴾ وأموالٍ كثيرٍ.

وقيل: دفائنَ.

الضَّحَّاكُ: ﴿وَكُنُوزٍ﴾: أنهارٍ[١].

﴿وَمَقَامٍ كَرِيمٍ﴾: مجالسَ حِسانٍ.

وقيل: المنابرُ التي يخطُبُ عليها الخُطَباء، عن ابنِ عبّاسٍ رضي الله عنهما[٢].

وقيل: مجالسُ الأمراءِ يحفُّ بها الأتباعُ.

وقيل: مرابطُ الخيلِ، حكاه الماورديُّ[٣].

***

(٥٩) ـ ﴿كَذَٰلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾.

﴿كَذَٰلِكَ﴾؛ أي: حالُهم كما ذكرتُ.

وقيل: تركُوا ذلك كما أخبرَ الله عنهم.

---

(١) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٤/ ١٧٢)، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٨٣٢)، واستغربه.

(٢) رواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (١٠/ ٣٢٨٨)، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٨٣٢)، واستغربه.

(٣) انظر: «النكت والعيون» (٤/ ١٧٢)، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٨٣٢)، واستغربه.

وقيل: هكذا أخرَجْناهُم.

﴿وَأَوْرَثْنَٰهَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ الإرثُ: انتقالُ مِلْكٍ بوفاةٍ.

الحسنُ: لـمَّا عبَروا النَّهرَ رجَعُوا وأخذوا ديارَهم وأموالَـهم(١).

غيرُه: ذهبُوا إلى الشَّامِ وملكوا مِصرَ زمنَ سُليمانَ بنِ داودَ عليهما السَّلامُ.

***

(٦٠) - ﴿فَأَتْبَعُوهُم مُّشْرِقِينَ﴾.

﴿فَأَتْبَعُوهُم مُّشْرِقِينَ﴾: داخِلين في وقتِ الشُّروقِ، كقولِـهم: أصبحَ: دخلَ في وقتِ الصَّباحِ، وأمسى: دخلَ في وقتِ المساءِ.

وقيل: ﴿مُّشْرِقِينَ﴾: قاصِدين نحوَ المشرقِ، كقولِـهم: أَغارَ وأَنْجدَ(٢).

وقيل: ﴿مُّشْرِقِينَ﴾: في ضوءٍ؛ لأنَّ بني إسرائيلَ كانوا في نورٍ وضياءٍ، وأصابَ فرعونَ وآلَه ضبابٌ وظُلمةٌ تحيَّروا فيها حتَّى جاوزَ بنو إسرائيلَ البحرَ، فيكونُ قولُه: ﴿مُّشْرِقِينَ﴾ حالًا منَ المفعولِينَ، وعلى الوجهينِ الأوَّلين حالٌ منَ الفاعلِينَ، وإنَّما تأخَّروا إلى حينِ الإشراقِ لاشتِغالِـهم بدفنِ أبكارِهم.

وقيل: أخذَتْهم ظلمةٌ، كما سبقَ.

***

---

(١) ذكره يحيى بن سلام في «تفسيره» (٢/ ٥٠٥) بلفظ: «رجعوا إلى مصر بعدما أهلك الله فرعون وقومه». وذكره ابن أبي زمنين في «تفسيره» (٣/ ٢٧٦)، والواحدي في «البسيط» (١٧/ ٥٧).

(٢) أغار: أتى الغور، وأنجد: أتى نجدًا، ومثله: أعمن الرجل: أتى عمان، وأعرق: أتى العراق. انظر: «المحتسب» (١/ ١٣٩).

(٦١) ـ ﴿فَلَمَّا تَرَٰٓءَا ٱلۡجَمۡعَانِ قَالَ أَصۡحَٰبُ مُوسَىٰٓ إِنَّا لَمُدۡرَكُونَ﴾.

﴿فَلَمَّا تَرَٰٓءَا ٱلۡجَمۡعَانِ﴾: تقابلَا وصارَ أحدُهما بمرأى منَ الآخرِ؛ يعني: بني إسرائيلَ وآلَ فرعونَ.

﴿قَالَ أَصۡحَٰبُ مُوسَىٰٓ إِنَّا لَمُدۡرَكُونَ﴾: مَلْحوقون قد قرُبَ منَّا عدوُّنا، وقُدَّامَنا البحرُ.

***

(٦٢) ـ ﴿قَالَ كَلَّآۖ إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهۡدِينِ﴾.

﴿قَالَ﴾ يعني: موسى عليه السَّلامُ: ﴿كَلَّآ﴾ لن يُدرِكوكم؛ لأنَّ الله وعدَكُم النَّصرَ عليهم والخلاصَ منهم، ولا خُلْفَ لوعدِه.

﴿إِنَّ مَعِيَ رَبِّي﴾ ناصِري ومُعيني ﴿سَيَهۡدِينِ﴾: يهديني عن قريبٍ.

وقيل: سَيُعَرِّفُني طريقَ النَّجاةِ.

وقيل: سيكفيني.

***

(٦٣) ـ ﴿فَأَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱضۡرِب بِّعَصَاكَ ٱلۡبَحۡرَۖ فَٱنفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرۡقٖ كَٱلطَّوۡدِ ٱلۡعَظِيمِ﴾.

﴿فَأَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱضۡرِب بِّعَصَاكَ ٱلۡبَحۡرَ﴾ يعني: بحرَ القُلْزُمِ.

وقيل: نهرَ النِّيلِ.

﴿فَٱنفَلَقَ﴾؛ أي: فضَربَ فانفَلَقَ؛ فانشَقَّ، فصارَ اثنَي عشرَ فِرْقًا على عددِ الأسباطِ، ﴿فَكَانَ كُلُّ فِرۡقٖ﴾؛ أي: مفروقٍ منَ[1] الماءِ، والفِرْقُ: الاسمُ، والفَرْق ـ بالفتحِ ـ: المصدرُ، كالطِّحْنِ والطَّحْنِ، والقِطْفِ والقَطْفِ.

﴿كَٱلطَّوۡدِ ٱلۡعَظِيمِ﴾: كالجبلِ المُنيفِ؛ لأنَّ الماء اجتمعَ لمَّا انفرقَ فاستطالَ

---

(١) في (ف): «بين».

وارتفعَ في السَّماءِ كالجبلِ، وصارَ بين كلِّ فِرقَين مسلَكٌ لسِبْطٍ منهم، وظهرَ فيها كُوًى ينظرُ منها بعضُهم إلى بعضٍ، فغرِقَ فرعونُ وقومُه ونجا موسى وقومُه، وهو قولُه:

(٦٤) ـ ﴿وَأَزْلَفْنَا ثَمَّ ٱلْـَٔاخَرِينَ﴾.

﴿وَأَزْلَفْنَا ثَمَّ ٱلْـَٔاخَرِينَ﴾؛ أي: جـمَعْنا.

وقيل: قرَّبْنا. والزُّلفةُ: القُربةُ؛ أي: قرَّبنا آلَ فرعونَ منَ الغرقِ.

وقيل: قرَّبْناهم من آجالِـهم.

الحسنُ: ﴿أَزْلَفْنا﴾: عجَّلْنا فرعونَ وآلَه؛ ليقرُبوا من البحرِ، فيرَوا موسى وقومَه قد عبَروا فيطمَعُوا في مثلِ حالِـهم، فيدخُلوا البحرَ ويغرَقوا[1]. وكان جبريلُ عليه السَّلامُ على فرسٍ فريشٍ ـ أي: وديقٍ ـ يقدُمهُم، فتبعها أفراس القوم[2].

وقيل: ﴿أَزْلَفْنا ثَمَّ ٱلْـَٔاخَرِينَ﴾ من قومِ موسى: قرَّبْناهم منهم.

***

(٦٥ ـ ٦٦) ـ ﴿وَأَنجَيْنَا مُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓ أَجْمَعِينَ ۝٦٥ ثُمَّ أَغْرَقْنَا ٱلْـَٔاخَرِينَ﴾.

﴿وَأَنجَيْنَا مُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓ أَجْمَعِينَ ۝٦٥ ثُمَّ أَغْرَقْنَا ٱلْـَٔاخَرِينَ﴾ أهلَكْناهم في الماءِ.

***

(٦٧) ـ ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَـَٔايَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ﴾.

﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ﴾: فيما فعَلْنا بموسى وفرعونَ ﴿لَـَٔايَةً﴾: لدلالةً قاطعةً لمَن تأمَّلَ

---

(١) ذكره الماتريدي في «تأويلات أهل السنة» (٨/ ٦١)، والنحاس في «معاني القرآن» (٥/ ٨٥)، والسمرقندي في «تفسيره» (٢/ ٥٥٦)، والواحدي في «البسيط» (١٧/ ٦١) كلهم بلفظ: «أهلكنا».

(٢) تقدم في تفسير قوله تعالى: ﴿فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُۥ﴾ [يونس: ٩٠] أن خيول قوم فرعون ما كان فيها فرس أنثى، وذكرنا أن الفرس الوديق هي التي تريد الفحل، والفريش: الفرس بعد نتاجها بسبعة أيام. انظر: «تاج العروس» مادة: (ف ر ش) (١٧/ ٣٠٦).

﴿وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ﴾ لم يُؤمِنْ من أهلِ مصرَ غيرُ آسيةَ، وخِرْبيلَ؛ وهو المُؤمنُ من آلِ فرعونَ، ومريمَ؛ وهي التي دلَّتْ على عظامِ يوسفَ.

وذلك أنَّ بني إسرائيلَ لـمَّا خرجُوا من مصرَ أظلَمَ عليهم القمرُ فقال لقومِه: ما هذا؟ فقال علماؤُهم: إنَّ يوسفَ لمَّا حضرَه الموتُ أخذَ علينا موثِقًا منَ الله ألّا نخرُجَ من مصرَ حتَّى ننقُلَ عظامَه معنا. فقال لهم موسى: فأيُّكم يدري أينَ قبرُه؟ قالوا: ما يعلمُه إلا عجوزٌ، فأرسلَ إليها، فقال: دُلِّيني على قبرِ يوسفَ، قالت: لا والله حتَّى تُعطيَني حُكمي، قال: وما حُكمُكِ؟ قالت: حُكمي أن أكونَ معك في الجنّةِ، فثقُلَ عليه، فقيلَ له: أعطِها حكمَها، فدلَّتهم عليه فاحتَفَروه واستخرَجُوا عظامَه، فلمَّا أقلُّوها[(١)] أضاءَ لهم[(٢)].

***

(٦٨) ـ ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾.

﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ﴾: لا يمتنعُ عليه ما أرادَه ﴿الرَّحِيمُ﴾ بمَن[(٣)] تابَ.

***

(٦٩) ـ ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ إِبْرَاهِيمَ﴾.

﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ﴾: اقرأ على مُشرِكي العربِ ﴿نَبَأَ إِبْرَاهِيمَ﴾: قصَّتَه، والنَّبأُ: الخبرُ العظيمُ.

---

(١) في (ن): «نقلوها»، والمثبت من (ف)، وهو الموافق لما في المصادر.

(٢) رواه أبو يعلى في «مسنده» (٧٢٥٤)، وابن حبان في «صحيحه» (٧٢٣)، والحاكم في «المستدرك» (٣٥٢٣) وصححه، من حديث أبي موسى رضي الله عنه. وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١٠/ ١٧١): «رجال أبي يعلى رجال الصحيح».

(٣) في (ن): «لمن».

(٧٠) ـ ﴿إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَا تَعْبُدُونَ﴾.

﴿إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ﴾: وقومِ إبراهيمَ، ويحتمِلُ: وقومِ الأبِ[1]: ﴿مَا تَعْبُدُونَ﴾: أيَّ شيءٍ تعبدون؟

* * *

(٧١) ـ ﴿قَالُوا۟ نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَظَلُّ لَهَا عَـٰكِفِينَ﴾.

﴿قَالُوا۟ نَعْبُدُ أَصْنَامًا﴾: تماثيلَ ﴿فَنَظَلُّ لَهَا عَـٰكِفِينَ﴾: فندومُ على عبادتِها، كما تقولُ: أصبحَ زيدٌ أميرًا، وأمسى عبدُ الله فقيرًا[2]، تريدُ به الدَّوامَ.

وقيل: كانوا يعبدون تلك الأصنامَ بالنَّهارِ دونَ اللَّيلِ، فلذلك قالوا: ﴿فَنَظَلُّ لَهَا عَـٰكِفِينَ﴾.

* * *

(٧٢ ـ ٧٣) ـ ﴿قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ ﴿٧٢﴾ أَوْ يَنفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ﴾.

﴿قَالَ﴾ يعني: إبراهيمَ عليه السَّلامُ ﴿هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ﴾ فيه وجهانِ:

أحدُهما: يسمعونَكم تدعونَ، فحُذِفَ (تدعون) لأنَّ ما بعدَه يدلُّ عليه.

والثّاني: يسمعونَ دُعاءَكم، فحُذِفَ المُضافُ.

وقيل: ﴿يَسْمَعُونَكُمْ﴾ بمعنى: يُجيبونَكم.

﴿إِذْ تَدْعُونَ ﴿٧٢﴾ أَوْ يَنفَعُونَكُمْ﴾ بتقرُّبِكم إليها ﴿أَوْ يَضُرُّونَ﴾ مَن عصاهُم منكم.

* * *

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٨٣٣)، واستغربه.

(٢) في (ف): «فقيهًا».

(٧٤) ـ ﴿قَالُواْ بَلْ وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا كَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ﴾.

﴿قَالُواْ بَلْ﴾ إضرابٌ عن أن يسمَعَ أو ينفَعَ أو يضُرَّ ﴿وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا كَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ﴾ اقتدَينا بآبائِنا في عبادتِهم إيّاها، لا أنَّها تنفعُ أو تضرُّ.

***

(٧٥ ـ ٧٧) ـ ﴿قَالَ أَفَرَءَيْتُم مَّا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ ﴿٧٥﴾ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمُ ٱلْأَقْدَمُونَ ﴿٧٦﴾ فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّيٓ إِلَّا رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾.

﴿قَالَ أَفَرَءَيْتُم مَّا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ ﴿٧٥﴾ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمُ ٱلْأَقْدَمُونَ﴾: الأسبقون زمانًا ﴿فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّيٓ﴾ قيل: الأصنامُ وعابِدُوها؛ لتصِحَّ العداوةُ.

وقيل: يضُرُّونَني يومَ القيامةِ فعلَ الأعداءِ.

وقيل: فإنِّي عدوٌّ لهم.

ووحَّدَ (عدوًّا) لأنَّ (فعولًا) صيغَتْ للمُبالغةِ والكثرةِ، فقامَ مَقامَ الجمعِ.

وقيل: كلُّ واحدٍ عدوٌّ.

وقيل: هو في الأصلِ مصدرٌ.

وقيل: لأنَّ تقديرَه: فإنِّي عدوٌّ لهم.

قولُه: ﴿إِلَّا رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ قال بعضُ النُّحاةِ: الاستثناءُ مُنقطعٌ، والتَّقديرُ: لكنْ ربُّ العالمين ليس بعدوِّي.

وقال بعضُهم: الاستثناءُ صحيحٌ؛ لأنَّه قد كانَ في آبائِهم الأقدمين مَن قد عبَدَ اللهَ؛ لأنَّ هذه نسبةٌ ترتفِعُ[1] إلى آدمَ عليه السَّلامُ.

---

(١) في (ف): «ترفع».

وقال بعضُهم: إنَّ ما تعبُدون عدوٌّ لي إلا اللهَ الذي تعبُدون معه غيرَه؛ فإنَّه ليس بعدوِّي.

وقيل: لأنَّهم وإن أنكروا العبادةَ المعروفةَ لم يُنكِروا أنَّه خالقُهم ورازِقُهم، فكانوا بهذا عابدين، فصحَّ الاستثناءُ(١).

وقيل: مَن كان جاحدًا لله عابدٌ له من حيثُ إنَّ أثرَ العبوديّةِ فيه ظاهرٌ، فالاستثناءُ صحيحٌ.

وقيل: ﴿إِلَّا﴾ بمعنى (دونَ)، كقولِه: ﴿لَا يَذُوقُونَ فِيهَا ٱلْمَوْتَ إِلَّا ٱلْمَوْتَةَ ٱلْأُولَىٰ﴾ [الدخان: ٥٦].

***

(٧٨) ـ ﴿ٱلَّذِى خَلَقَنِى فَهُوَ يَهْدِينِ﴾.

﴿ٱلَّذِى خَلَقَنِى فَهُوَ يَهْدِينِ﴾ أي: الذي خلقَني ولم أكُ شيئًا فهو يهديني إلى الرَّشادِ إذا عبَدتُه ولم أُشرِكْ به شيئًا، ودخلَ الفاءُ لأنَّ المبتدأ موصولٌ بالفعلِ(٢)، وإن جعلتَ ﴿ٱلَّذِى﴾ في محلِّ نصبٍ على الصِّفةِ فالفاءُ لعطفِ جملةٍ على جملةٍ.

***

(٧٩) ـ ﴿وَٱلَّذِى هُوَ يُطْعِمُنِى وَيَسْقِينِ﴾.

﴿وَٱلَّذِى هُوَ يُطْعِمُنِى وَيَسْقِينِ﴾ ـ واللَّذان بعدَه(٣) ـ رفعٌ بالعطفِ على المُبتدأ، والخبرُ محذوفٌ لأنَّ الأوَّلَ يدلُّ عليه، وهو قولُه: ﴿فَهُوَ يَهْدِينِ﴾، فصارَ كقولِك: «زيدٌ قائمٌ وعَمرٌو وبكرٌ وخالدٌ».

وإنْ جعلتَ الكلَّ في محلِّ نصبٍ على صفةِ ﴿رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ لم يحتَجْ إلى

---

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٨٣٤)، واستغربه.

(٢) وهذا على تقدير أن ﴿ٱلَّذِى﴾ في محل رفع مبتدأ، وأن خبره الجملة الإسمية ﴿فَهُوَ يَهْدِينِ﴾.

(٣) أي: قوله: ﴿وَٱلَّذِى يُمِيتُنِى﴾، و﴿وَٱلَّذِىٓ أَطْمَعُ﴾.

خبرٍ، وجازَ تكـرارُ (الذي) و(هو) كشـيءٍ واحـدٍ، كما جاء:

إلـى المَلِـكِ القَرْمِ وابـنِ الهُمامِ وليـثِ الكتيبةِ فـي المُزْدَحَمِ[1]

ودخلَ (هو) فـي هذه الكلماتِ للتَّخصيصِ، كما تقولُ: «زيدٌ هو الضَّاربُ عَمرًا» إذا كان هناك مَن يدَّعي أنَّ غيرَ زيدٍ ضربَه.

***

(٨٠) ـ ﴿وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ﴾.

﴿وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ﴾ أسندَ المرضَ إلى نفسِه لِمَا فيه منَ الكراهةِ.

***

(٨١) ـ ﴿وَالَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحْيِينِ﴾.

﴿وَالَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحْيِينِ﴾؛ أي: في الآخرةِ، وأدخلَ ﴿ثُمَّ﴾ لأنَّ بينَهما تراخيًا.

***

(٨٢) ـ ﴿وَالَّذِي أَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ﴾.

﴿وَالَّذِي أَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ﴾ يُريدُ بـ﴿خَطِيئَتِي﴾: ذنبي، وهـو ثلاثُ كلماتٍ: **أحدُها**: قولُه: ﴿إِنِّي سَقِيمٌ﴾ [الصافات: ٨٩] **والثّاني**: قولُه: ﴿بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ﴾ [الأنبياء: ٦٣] **والثّالثُ**: قولُه: سارةُ أُختي[2].

قيل: **والرَّابعُ**: قولُه: ﴿هَٰذَا رَبِّي﴾ [الأنعام: ٧٦].

وذهبَ بعضُ المُفسِّرين إلى أنَّ هذه ليست بخطيئةٍ ولا ذنبٍ، بل لكلِّ واحدةٍ

---

(١) البيت بلا نسبة في «معاني القرآن» للفراء (١/ ١٠٥)، و«تفسير الطبري» (٣/ ٨٧)، و«تفسير الثعلبي» (٣/ ٣٠٥).

(٢) رواه البخاري (٣٣٥٨)، ومسلم (٢٣٧١) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

منها وجهٌ يصيرُ إبراهيمُ عليه السَّلامُ مُثابًا بها مأجورًا، فيكونُ: ﴿أَطْمَعُ﴾ بمعنى اليقينِ؛ أي: أتيقَّنُ، ولا يجري على الظَّاهرِ؛ لأَنَّه شكٌّ.

وقيل: ﴿خَطِيٓـَٔتِى﴾: خطيئة أمَّتي؛ كما قيلَ في قولِه: ﴿لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾ [الفتح: ٢]، فيكونُ الطَّمعُ على أصلِه للشَّكِّ[(١)].

وقيل: تُعُبِّدَ إبراهيمُ بأن يدعوَ بهذا الدُّعاءِ كما تُعُبِّدَ بقولِه: ﴿وَلَا تُخْزِنِى يَوْمَ يُبْعَثُونَ﴾، ومعلومٌ قطعًا أَنَّه لا يُخزَى، ولكنَّه دَعا الله بهذه الأدعيةِ إظهارًا للعبوديّةِ؛ ليقتديَ به غيرُه.

***

(٨٣) ـ ﴿رَبِّ هَبْ لِى حُكْمًا وَأَلْحِقْنِى بِٱلصَّٰلِحِينَ﴾.

﴿رَبِّ هَبْ لِى حُكْمًا﴾: نُبوَّةً.

وقيل: زِدني علمًا إلى علمٍ، وحكمةً إلى حكمةٍ، والحُكمُ: الحِكمةُ.

وقيل: قُرآنًا، وهو عن مجاهدٍ[(٢)]، وفيه ضَعفٌ.

﴿وَأَلْحِقْنِى بِٱلصَّٰلِحِينَ﴾: بالأنبياءِ، وسُمُّوا صالحين لأنَّ صلاحَهم لا يشوبُه شيءٌ منَ الفسادِ.

وقيل: هَبْ لي حكمًا في الدُّنيا وألحقني بالصَّالحينَ في الأُخرى.

***

(٨٤) ـ ﴿وَٱجْعَل لِّى لِسَانَ صِدْقٍ فِى ٱلْـَٔاخِرِينَ﴾.

﴿وَٱجْعَل لِّى لِسَانَ صِدْقٍ فِى ٱلْـَٔاخِرِينَ﴾ أكثرُ المُفسِّرين على أَنَّه الثَّناءُ الحسَنُ، وسُمِّي لسانًا لأَنَّه به يكونُ.

---

(١) في (ف): «الشك».

(٢) رواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٨/ ٢٧٨١).

وقيل: هو أن يُؤمنَ به أهلُ كلِّ ملّةٍ ويُصدِّقَه.

وقيل: أرادَ ألّا تنقطعَ النُّبوَّةُ من نسلِه.

وقيل: أرادَ أن يجعلَ مِن ولدِه مَن يقومُ بالحقِّ في آخرِ الزَّمانِ، فاستجابَ الله دُعاءَه وجعلَه شجرةَ الأنبياءِ، وبعثَ محمَّدًا ﷺ في آخرِ الزَّمانِ من ذُرِّيَّتِه.

***

(٨٥) ـ ﴿وَٱجْعَلْنِى مِن وَرَثَةِ جَنَّةِ ٱلنَّعِيمِ﴾.

﴿وَٱجْعَلْنِى مِن وَرَثَةِ جَنَّةِ ٱلنَّعِيمِ﴾؛ أي: ممَّن يدخُلُها، وجاء بلفظِ الوراثةِ في القرآنِ في غيرِ موضعٍ لأنَّ المُؤمنينَ يرِثونَ منازلَ الكفَّارِ.

وقيل: لأنَّ الوراثةَ أقوى سببٍ يقعُ به الملكُ.

وقيل: لأنَّها تقعُ من غيرِ كَسْبٍ.

***

(٨٦) ـ ﴿وَٱغْفِرْ لِأَبِىٓ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلضَّآلِّينَ﴾.

﴿وَٱغْفِرْ لِأَبِىٓ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلضَّآلِّينَ﴾؛ أي: الكافرين كُفرَ جَهالةٍ وذهابٍ عنِ الصَّوابِ لا كفرَ عِنادٍ، وكان هذا الدُّعاءُ منه في حياةِ أبيه يتوقَّعُ منه الإيمانَ، فلما ماتَ على الكفرِ تبرَّأ منه.

وجاز هذا الدُّعاءُ قبل أن يَعلمَ استحالةَ ذلك بموتِه على كفرِه، وقد ذكرَ الله عُذرَه في القرآنِ في قولِه: ﴿وَمَا كَانَ ٱسْتِغْفَارُ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَن مَّوْعِدَةٍ وَعَدَهَآ إِيَّاهُ﴾ الآية [التوبة: ١١٤].

ومعنى: ﴿كَانَ﴾ في الآيةِ: قيل: صارَ. وقيل: معناه: كان قديمَ الضَّلالِ. وقيل: هو كقولِه: ﴿مَن كَانَ فِى ٱلْمَهْدِ صَبِيًّا﴾ [مريم: ٢٩].

(٨٧) ـ ﴿وَلَا تُخْزِنِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ﴾.

﴿وَلَا تُخْزِنِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ﴾: لا تفضَحْني.

قيل: بسببِ والدي.

وقيل: هو التَّعييرُ بالذَّنبِ.

وقيل: لا تُهلِكْني.

***

(٨٨) ـ ﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ﴾.

﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ﴾؛ أي: لا ينفعُ مالٌ ولا بنونَ كما ينفعُ في الدُّنيا، يفدي مالُه ويذُبُّ عنه بنوه.

وقيل: المُرادُ بالبنينَ جميعُ الأعوانِ.

***

(٨٩) ـ ﴿إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾.

﴿إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾؛ أي: لا ينفعُ إلا مُوافاةُ ذلك الموقفِ بقلبٍ سليمٍ، فيكونُ الاستثناءُ مُنقطِعًا.

وقيل: لا ينفعُ مالٌ ولا بنونَ أحدًا إلا مَن أتى الله بقلبٍ سليمٍ؛ فإنَّه ينفعُه مالُه الذي أنفقَه في طاعةِ الله، وينفعُه بنوه لأنَّهم يشفعون فيه.

وقيل: ينفعونَه بسرورِه بهم.

ومعنى ﴿بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾؛ أي: سَلِمَ(١) منَ الشَّكِّ.

---

(١) في (ن): «سليم».

وقيل: سلِمَ منَ الشِّركِ.

وقيل: سلِمَ منَ المعاصي؛ لأنَّ القلبَ إذا سَلِمَ سَلِمَتِ الجوارحُ.

ابنُ عبَّاسٍ رضي الله عنهما: سلامةُ القلبِ شهادةُ أنْ لا إلهَ إلا الله(١).

وقيل: ﴿سَلِيمٍ﴾: مُخلِصٍ ناصحٍ.

وقيل: ﴿سَلِيمٍ﴾: مُسلمٍ مُؤمنٍ.

وقيل: ﴿سَلِيمٍ﴾ سلِمَ من حُبِّ الدُّنيا.

وقيل: ﴿سَلِيمٍ﴾: لَديغٍ من خيفةِ الله.

وقيل: ﴿سَلِيمٍ﴾: صحيحٍ، ضدِّ مريضٍ(٢).

* * *

(٩٠ ـ ٩١) ـ ﴿وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ (٩٠) وَبُرِّزَتِ الْجَحِيمُ لِلْغَاوِينَ﴾.

﴿وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ أُدنِيَتْ لهم ليدخُلوها.

﴿وَبُرِّزَتِ الْجَحِيمُ لِلْغَاوِينَ﴾: أُظهِرَتْ لهم، يجوزُ أن يكونَ هذا على وجهِ الوعيدِ، ويجوزُ أن يُقادَ بها بالسَّلاسلِ كما جاء في الأخبارِ.

* * *

(٩٢ ـ ٩٣) ـ ﴿وَقِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ (٩٢) مِن دُونِ اللَّهِ هَلْ يَنصُرُونَكُمْ أَوْ يَنتَصِرُونَ﴾.

﴿وَقِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ (٩٢) مِن دُونِ اللَّهِ هَلْ يَنصُرُونَكُمْ أَوْ يَنتَصِرُونَ﴾ استفهامُ توبيخٍ؛ أي: يُقالُ لهم: أين الأصنامُ التي كنتم تزعُمون أنَّها تشفعُ لكم وتُقرِّبُكم إلى الله زُلفى؟

---

(١) رواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٨/ ٢٧٨٣)، وأبو نعيم في «حلية الأولياء» (١/ ٣٢٣).

(٢) ذكر المصنف القولين الأخيرين في «غرائب التفسير» (٢/ ٨٣٥)، واستغربهما.

﴿هَلْ يَنصُرُونَكُمْ﴾ فتدفعَ عنكم ﴿أَوْ يَنتَصِرُونَ﴾ لأنفسِهم، فهي في النَّارِ معكم.

* * *

(٩٤ ـ ٩٥) ـ ﴿فَكُبْكِبُوا فِيهَا هُمْ وَالْغَاوُونَ ﴿٩٤﴾ وَجُنُودُ إِبْلِيسَ أَجْمَعُونَ﴾.

﴿فَكُبْكِبُوا فِيهَا هُمْ وَالْغَاوُونَ﴾: فقُذِفُوا فيها.

وقيل: جُمِعُوا فيها.

وقيل: دُهْوِرُوا.

وأصلُه من كَبَّ، فيكونُ للمُبالغةِ.

وقيل: طُرِحَ بعضُهم على بعضٍ منكوسينَ على رُؤوسِهم.

وقيل: ﴿هُمْ﴾ كنايةٌ عن الأصنامِ، ﴿وَالْغَاوُونَ﴾: الكفارُ. وقيل: ﴿وَالْغَاوُونَ﴾: الشّياطينُ. وقيل: كفَرةُ الجنِّ.

﴿وَجُنُودُ إِبْلِيسَ أَجْمَعُونَ﴾ منَ الجنِّ والإنسِ.

* * *

(٩٦) ـ ﴿قَالُوا وَهُمْ فِيهَا يَخْتَصِمُونَ﴾.

﴿قَالُوا وَهُمْ فِيهَا يَخْتَصِمُونَ﴾؛ أي: قالت الكفرةُ وهم في النّارِ، تخاصَمَ التّابعون والمتبوعونَ؛ يقولُ التّابعون للمتبوعين: غَرَرْتُمُونا كذَبتُمُونا، ويقولُ المتبُوعون: بل ضلَلْتُم باختيارِكُم.

* * *

(٩٧ ـ ٩٨) ـ ﴿تَاللَّهِ إِن كُنَّا لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٩٧﴾ إِذْ نُسَوِّيكُم بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾.

﴿تَاللَّهِ إِن كُنَّا لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٩٧﴾ إِذْ نُسَوِّيكُم﴾: نَعدِلُكم ﴿بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ فنعبُدُكم. هذا من كلامِ التّابعينَ، وأكّدوا قولَهم بالقَسَمِ.

***

(٩٩) ـ ﴿وَمَآ أَضَلَّنَآ إِلَّا ٱلْمُجْرِمُونَ﴾.

﴿وَمَآ أَضَلَّنَآ إِلَّا ٱلْمُجْرِمُونَ﴾؛ أي: كُبَراؤُنا الذين دَعَونا إلى الضَّلالِ وأمرونا به.

وقيل: ﴿ٱلْمُجْرِمُونَ﴾ الشَّياطينُ.

وقيل: إبليسُ وابنُ آدمَ القاتلُ.

***

(١٠٠ ـ ١٠١) ـ ﴿فَمَا لَنَا مِن شَٰفِعِينَ ﴿١٠٠﴾ وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ﴾.

﴿فَمَا لَنَا مِن شَٰفِعِينَ﴾: شافعٌ منَ الأباعدِ ﴿وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ﴾ منَ الأقاربِ ينفعُنا ويشفعُ لنا.

والحميمُ: القريبُ، من قولِهم: حَمَّ الشَّيءُ؛ إذا قرُبَ.

وقيل: الحميمُ: الشَّفيقُ.

وقيل: حميمُ الرَّجلِ: مَن يختصُّه، من قولِهم: دُعِيَ فلانٌ في الحامَّةِ لا في العامَّةِ؛ أي: في الخاصَّةِ.

ابنُ عيسى: الحميمُ: مَن يغضبُ لحميمِه، ومنه: الحُمَّى، والماءُ الحميمُ[1].

وعن النَّبيِّ ﷺ أنَّه قالَ: «إنَّ الرَّجلَ ليقولُ في الجنَّةِ: ربِّ، ما فعَلَ صديقي

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٨٣٥)، واستغربه.

فلانٌ؟ وصديقُه في الجحيمِ، فيقولُ الله: أخرِجُوا له صديقَه إلى الجنَّةِ، فيقولُ مَن بقيَ: فما لنا من شافعينَ ولا صديقٍ حميمٍ»(١).

وعنه صلَواتُ الله وسلامُه عليه: «ما اجتمعَ ملأٌ على ذكرِ الله فيهم عبدٌ من أهلِ الجنَّةِ إلا شفَّعَه الله فيهم، وإنَّ أهلَ الإيمانِ شُفَعاءُ بعضُهم لبعضٍ، وهم عندَ الله شافِعون مُشفَّعون»(٢).

***

(١٠٢) ـ ﴿فَلَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾.

﴿فَلَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً﴾: رجعةً إلى الدُّنيا ﴿فَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ تمنَّوا حينَ لا ينفعُهم ذلك.

***

(١٠٣ ـ ١٠٤) ـ ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ (١٠٣) وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾.

﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ﴾؛ أي: الذي ذكرتُ ﴿لَآيَةً﴾: لعظةً ﴿وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ (١٠٣) وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾.

***

---

(١) رواه الثعلبي في «تفسيره» (٢٠/ ٨١)، والواحدي في «الوسيط» (٣/ ٣٥٧) من طريق الوليد بن مسلم: حدثنا من سمع أبا الزبير عن جابر رضي الله عنه. وإسناده ضعيف لإبهام الراوي عن أبي الزبير، والوليد بن مسلم مدلس.

وفي الباب من طريق عطية عن أبي سعيد عن النبي ﷺ قال: «إن من أمتي من يشفع للفئام من الناس، ومنهم من يشفع للقبيلة، ومنهم من يشفع للعصبة، ومنهم من يشفع للرجل، حتى يدخلوا الجنة» رواه الترمذي (٢٤٤٠) وقال: حديث حسن. قلت: وعطية العوفي ضعيف.

(٢) رواه الثعلبي في «تفسيره» (٢٠/ ٨٣) عن الحسن من قوله.

(١٠٥) ـ ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾.

﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ﴾ القومُ: اسمُ الرِّجالِ دونَ النِّساءِ، ثمَّ تدخُلُ النِّساءُ معهم تبعًا.

﴿ٱلْمُرْسَلِينَ﴾؛ أي: كذَّبوا نوحًا ولـم يُصدِّقوه في أنَّه رسولٌ، وكذَّبوا المُرسَلين قبلَه لمَّا ذكرَ لهم أخبارَهم.

الحسنُ: مَن كذَّبَ واحدًا منهم فقد كذَّبَ كلَّهم[1].

ويحتمِلُ: أنَّهم أنكرُوا بعثَ الرُّسلِ أصلًا، فقد كذَّبوا كلَّ الرُّسلِ، فلذلك جمعَ، وكذلك الكلامُ في جميع ما في هذه السُّورةِ.

* * *

(١٠٦ ـ ١٠٧) ـ ﴿إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٠٦﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ﴾.

﴿إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ﴾ في النَّسبِ ﴿نُوحٌ أَلَا تَتَّقُونَ﴾ اللهَ فتترُكوا عبادةَ الأصنامِ.

﴿إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ﴾ عليكم غيرُ خائنٍ لكم.

وقيل: أمينٌ لله ائتمَنَني لرسالتِه.

وقيل: صادقٌ فيما بلَّغتُكم.

وقيل: أمينٌ عندَكم عرَفتُموني بالأمانةِ[2] والصِّدقِ قبل اليومِ، فلم أكُنْ لأصدُقَ فيما بيني وبينكم منَ الأمرِ وأكذِبَ على الله.

* * *

(١٠٨) ـ ﴿فَٱتَّقُوا ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ﴾.

﴿فَٱتَّقُوا ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ﴾ فيما آمرُكم به؛ فإنِّي لا أخونُكم ولا أريدُ بكم سوءًا.

---

(١) رواه الثعلبي في «تفسيره» (٢٠/ ٨٤)، وذكره ابن فورك في «تفسيره» (١/ ٢٤٤).

(٢) في (ن): «في الأمانة».

(١٠٩) - ﴿ وَمَآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ مِنۡ أَجۡرٍۖ إِنۡ أَجۡرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴾.

﴿ وَمَآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ ﴾: على ما أدعوكُم إليه ﴿ مِنۡ أَجۡرٍ ﴾: أجرًا مالًا وثوابًا.

﴿ إِنۡ أَجۡرِيَ ﴾: ثوابي ﴿ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴾ فذلك[1] أريدُه.

* * *

(١١٠) - ﴿ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴾.

﴿ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴾ كرَّرَ لأنَّ الأوَّلَ مُتَّصلٌ بقولِه: ﴿ أَمِينٌ ﴾، والثّاني بقولِه: ﴿ وَمَآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ مِنۡ أَجۡرٍ ﴾، فهما سببانِ.

* * *

(١١١) - ﴿ قَالُوٓاْ أَنُؤۡمِنُ لَكَ وَٱتَّبَعَكَ ٱلۡأَرۡذَلُونَ ﴾.

﴿ قَالُوٓاْ أَنُؤۡمِنُ لَكَ وَٱتَّبَعَكَ ٱلۡأَرۡذَلُونَ ﴾: الأقلُّون مالًا وجاهًا.

ابنُ عبَّاسٍ رضي الله عنهما: الحاكَةُ[2].

عكرمةُ: الحاكَةُ والأساكِفَةُ[3].

وقيل: الحجَّامونَ.

وقيل: أهلُ الضَّعةِ والخساسةِ.

وقيل: المُتكبِّرون[4].

---

(١) في (ف): «فلذلك».

(٢) رواه الثعلبي في «تفسيره» (٢٠/ ٨٧).

(٣) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٢٠/ ٨٧)، والواحدي في «البسيط» (١٧/ ٨٥).

(٤) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٨٣٥)، واستغربه.

وقيل: يَسألون ولا يقْنَعون، حكاها الماورديُّ[1].

* * *

(١١٢ ـ ١١٣) ـ ﴿قَالَ وَمَا عِلْمِى بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١١٢﴾ إِنْ حِسَابُهُمْ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّى لَوْ تَشْعُرُونَ﴾.

﴿قَالَ وَمَا عِلْمِى بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾؛ أي: لا أطلُبُ عِلْمَ ما عملوه، إنَّما عليَّ أن أدعوَهُم.

وقيل: قالوا: إنَّ الذينَ آمنوا بك ليس في قلوبِهم ما يُظهِرونَه، فقالَ: ﴿وَمَا عِلْمِى بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١١٢﴾ إِنْ حِسَابُهُمْ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّى لَوْ تَشْعُرُونَ﴾؛ أي: إليَّ ظاهِرُهم، والله يُحاسِبُهم على ما في قلوبِهم.

وقيل: (كان) زيادةٌ، وتقديرُه: ما عِلْمي بعلمِهم مُؤتَنِفًا؛ أي: ليس عليَّ من ذلك ضررٌ.

وقيل: معناه: لعلَّ لهم عندَ الله منزلةً بحُسنِ أعمالِهم، وإن لم يكونُوا من أشرافِكُم.

وقيل: معناه: لم أكُنْ أعلَمُ أنَّ الله يهديهِم إلى الإيمانِ من بينِكم.

* * *

(١١٤ ـ ١١٥) ـ ﴿وَمَآ أَنَا۠ بِطَارِدِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٤﴾ إِنْ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾.

﴿وَمَآ أَنَا۠ بِطَارِدِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾؛ أي: بمُبعِدِهم من عندي ﴿إِنْ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾.

* * *

(١) انظر: «النكت والعيون» (٤/ ١٧٩)، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٨٣٤)، وعدَّه من العجائب.

(١١٦) - ﴿ قَالُوا۟ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ يَٰنُوحُ لَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمَرْجُومِينَ ﴾.

﴿ قَالُوا۟ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ يَٰنُوحُ ﴾ عمَّا تقولُ ﴿لَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمَرْجُومِينَ ﴾: المشتُومين.

وقيل: المقتولينَ.

وقيل: منَ المضروبينَ بالحجارةِ.

***

(١١٧ - ١١٨) - ﴿ قَالَ رَبِّ إِنَّ قَوْمِى كَذَّبُونِ ﴿١١٧﴾ فَٱفْتَحْ بَيْنِى وَبَيْنَهُمْ فَتْحًا وَنَجِّنِى وَمَن مَّعِىَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾.

﴿ قَالَ رَبِّ إِنَّ قَوْمِى كَذَّبُونِ ﴿١١٧﴾ فَٱفْتَحْ بَيْنِى وَبَيْنَهُمْ فَتْحًا ﴾؛ أي: احكُمْ بيننا ﴿وَنَجِّنِى وَمَن مَّعِىَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ من عذابِ عملِهم.

وقيل: من عملِهم؛ لأنَّه سببُ العذابِ.

***

(١١٩) - ﴿ فَأَنجَيْنَٰهُ وَمَن مَّعَهُۥ فِى ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ ﴾.

﴿ فَأَنجَيْنَٰهُ وَمَن مَّعَهُۥ فِى ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ ﴾: المملوءِ، تقولُ: شحَنَها عليهم خيلًا ورجالًا؛ أي: ملأَها، والجندُ شِحنةُ البلدِ؛ أي: الذي يملؤُه كفايةً[١].

***

(١٢٠ - ١٢٢) - ﴿ ثُمَّ أَغْرَقْنَا بَعْدُ ٱلْبَاقِينَ ﴿١٢٠﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٢١﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴾.

﴿ ثُمَّ أَغْرَقْنَا بَعْدُ ﴾: بعدَ إنجاءِ نوحٍ ومَن آمنَ معه ﴿ٱلْبَاقِينَ ﴾ من قومِه، فأهلكْناهم بالماءِ ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٢١﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴾.

---

(١) انظر: «تفسير النسفي» (٢/ ٥٧٤)، و«تاج العروس» مادة: (ش ح ن) (٣٥/ ٢٦٦).

(١٢٣) ـ ﴿كَذَّبَتۡ عَادٌ ٱلۡمُرۡسَلِينَ﴾.

﴿كَذَّبَتۡ عَادٌ ٱلۡمُرۡسَلِينَ﴾ عادٌ قبيلةٌ، ولهذا أنَّثَ، وهو في الأصلِ اسمُ رجلٍ هو أبو القبيلةِ.

* * *

(١٢٤ ـ ١٢٧) ـ ﴿إِذۡ قَالَ لَهُمۡ أَخُوهُمۡ هُودٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٢٤﴾ إِنِّي لَكُمۡ رَسُولٌ أَمِينٞ ﴿١٢٥﴾ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٢٦﴾ وَمَآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ مِنۡ أَجۡرٍۖ إِنۡ أَجۡرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾.

﴿إِذۡ قَالَ لَهُمۡ أَخُوهُمۡ هُودٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٢٤﴾ إِنِّي لَكُمۡ رَسُولٌ أَمِينٞ ﴿١٢٥﴾ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٢٦﴾ وَمَآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ مِنۡ أَجۡرٍۖ إِنۡ أَجۡرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ سبقَ.

* * *

(١٢٨) ـ ﴿أَتَبۡنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ ءَايَةٗ تَعۡبَثُونَ﴾.

﴿أَتَبۡنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ﴾ بكلِّ مرتفعٍ منَ المكانِ.

وقيل: الرِّيعُ: السَّبيلُ سُلِكَ أم لـم يُسلَكْ، وأصلُه في اللُّغةِ الزِّيادةُ(١).

مُجاهدٌ: الرِّيعُ: فجٌ بينَ جبلَينِ(٢).

﴿ءَايَةٗ تَعۡبَثُونَ﴾ مُجاهدٌ: بُنيانًا(٣).

غيرُه: علامةً تجتمعون إليها للعبثِ بمَن يمرُّ في الطَّريقِ.

وقيل: هو برجُ الحَمامِ(٤).

وقيل: جعلَ تفاخُرَهم بالأبنيةِ عَبثًا لا محصولَ له.

---

(١) انظر: «تهذيب اللغة» مادة: (ر ي ع) (٣/ ١١٥).

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (١٧/ ٦٠٨) بإسنادين؛ الأول بلفظ: «فج»، والثاني بلفظ: «بين جبلين».

(٣) رواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٩/ ٢٧٩٤).

(٤) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٨٣٥)، واستغربه.

وقيل: المفعولُ محذوفٌ، وتقديرُه: أتبنُونَ بكلِّ رِيعٍ أبنيةً عظيمةً، و﴿ءَايَةً﴾ نصبٌ على المفعولِ له[١].

***

(١٢٩) ـ ﴿وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ﴾.

﴿وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ﴾: جمعُ مَصْنَعة، وهي البناءُ على الماءِ.

وقيل: ﴿وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ﴾: أبنيةً، وكلُّ بناءٍ مصنعةٌ.

وقيل: قُصورًا مشيَّدةً وأبنيةً مُحكمةً.

وقيل: ﴿مَصَانِعَ﴾: حُصونًا.

﴿لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ﴾؛ أي: كأنَّ هذه الأبنيةَ تُخلِّدُكم في الدُّنيا.

***

(١٣٠) ـ ﴿وَإِذَا بَطَشْتُم بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ﴾.

﴿وَإِذَا بَطَشْتُم بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ﴾: إذا انتقَمْتُم انتقَمْتُم انتقامَ الجبّارينَ بلا رأفةٍ ولا إبقاءٍ. والبطشُ: العَسْفُ قتلًا بالسَّيفِ وضَرْبًا بالسَّوْطِ.

وقيل: ﴿جَبَّارِينَ﴾: قتَّالين.

وأصلُ الجَبَّارِ: المُمتنعُ، مُشتقٌّ من جَبَّارِ النَّخلِ، وهو الذي قد ارتفعَ من أن تنالَه يدٌ.

الحسنُ: إذا بطَشْتُم بالمؤمنين بطشتُم على غيرِ الثَّباتِ واليقينِ[٢].

وقيل: البطشُ: القتلُ على الغضبِ.

---

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٨٣٥)، وعدَّه من العجائب.

(٢) لم أجده.

(١٣١) ـ ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ﴾.

﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ بتركِ هذه الأشياءِ ﴿وَأَطِيعُونِ﴾ فيما أدعوكُم إليه.

* * *

(١٣٢ ـ ١٣٥) ـ ﴿وَاتَّقُوا الَّذِي أَمَدَّكُم بِمَا تَعْلَمُونَ (١٣٢) أَمَدَّكُم بِأَنْعَامٍ وَبَنِينَ (١٣٣) وَجَنَّاتٍ وَعُيُونٍ (١٣٤) إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾.

﴿وَاتَّقُوا الَّذِي أَمَدَّكُم بِمَا تَعْلَمُونَ﴾: أعطاكُم ما تعلمون، والإمدادُ: إتباعُ الثَّاني بما قبلَه شيئًا بعد شيءٍ على انتظامٍ، ثمَّ فسَّرَ فقالَ:

﴿أَمَدَّكُم بِأَنْعَامٍ وَبَنِينَ (١٣٣) وَجَنَّاتٍ وَعُيُونٍ﴾

﴿إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ في الدُّنيا. وقيل: في الأُخرى.

* * *

(١٣٦) ـ ﴿قَالُوا سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَوَعَظْتَ أَمْ لَمْ تَكُن مِّنَ الْوَاعِظِينَ﴾.

﴿قَالُوا سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَوَعَظْتَ أَمْ لَمْ تَكُن مِّنَ الْوَاعِظِينَ﴾؛ أي: لا نقبلُ كلامَك ودعوتَكَ؛ وعَظْتَ أم سكَتَّ.

* * *

(١٣٧) ـ ﴿إِنْ هَٰذَا إِلَّا خُلُقُ الْأَوَّلِينَ﴾.

﴿إِنْ هَذا إِلَّا خَلْقُ الْأَوَّلِينَ﴾ أي: ما هذا الذي جئتَنا به إلا كذبُ الأوَّلين الذين ادَّعَوا النُّبوةَ ولـم يكونوا أنبياءَ.

وقُرِئَ: ﴿خُلُقُ الْأَوَّلِينَ﴾ بضمَّتَين[1]؛ أي: ما هذا إلا عادةُ الأوَّلين، نحيا ثمَّ نموتُ، ولا بعثَ ولا نُشورَ.

---

(١) قرأ ابن كثير وأبو عمرو والكسائي: ﴿خَلْقُ﴾ بفتح الخاء وسكون اللام، والباقون بضم الخاء واللام. انظر: «السبعة» (ص: ٤٧٢)، و«التيسير» (ص: ١٦٦).

وقيل: إنْ هذا الذي نحنُ فيه من اتِّخاذِ الأبنيةِ في الرِّيعِ والمصانعِ إلا عادةُ الأوَّلين.

* * *

(١٣٨) ـ ﴿ وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ ﴾.

﴿ وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ ﴾ على ما نحنُ عليه منَ الأقوالِ والأفعالِ.

* * *

(١٣٩ ـ ١٤٠) ـ ﴿ فَكَذَّبُوهُ فَأَهْلَكْنَٰهُمْۗ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةًۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٣٩﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٤٠﴾ كَذَّبَتْ ثَمُودُ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴾.

﴿ فَكَذَّبُوهُ فَأَهْلَكْنَٰهُمْ ﴾ بريحٍ صَرصَرٍ عاتيةٍ ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةًۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٣٩﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴾.

* * *

(١٤١ ـ ١٤٦) ـ ﴿ كَذَّبَتْ ثَمُودُ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٤١﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ صَٰلِحٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٤٢﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٤٣﴾ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٤٤﴾ وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍۖ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٤٥﴾ أَتُتْرَكُونَ فِي مَا هَٰهُنَآ ءَامِنِينَ ﴾.

﴿ كَذَّبَتْ ثَمُودُ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٤١﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ صَٰلِحٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٤٢﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٤٣﴾ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٤٤﴾ وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍۖ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٤٥﴾ أَتُتْرَكُونَ فِي مَا هَٰهُنَآ ءَامِنِينَ ﴾ أي: في الدُّنيا آمنين لا تخافونَ عذابًا ولا موتًا، بل تخلُدون ﴿ فِي جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٤٧﴾ وَزُرُوعٍ وَنَخْلٍ ﴾، وكانوا يسكُنونَ الحِجْرَ، وهي ذاتُ نخلٍ وزرعٍ ومياهٍ.

﴿طَلۡعُهَا هَضِيمٞ﴾ اختلفوا فيه؛ فقيل: الهضيمُ: اللّاصقُ بعضُه ببعضٍ، والطَّلعُ ما دام في كُفُرّاهُ[1] فهو هضيمٌ، وإذا خرجَ فليس بهضيمٍ.

وقيل: الهضيمُ: الرَّطْبُ اللَّيِّنُ.

وقيل: المُذَنَّبُ منَ الرَّطْبِ.

وقيل: ﴿هَضِيمٞ﴾؛ أي: نضيجٌ مُدْرِكٌ.

وقيل: ﴿هَضِيمٞ﴾: ما ليس فيه نواةٌ.

وقيل: الهضيمُ: المُتهشِّمُ المُتفتِّتُ.

وقيل: هو الذي يركبُ بعضُه بعضًا.

وقيل: الهضيمُ: انخماصُ[2] الطَّلعِ وتقارُبُ قشرته[3] من الجانبَين.

وقيل: لطيفٌ في جسمِه، ومنه هَضْمَ الطَّعامِ؛ إذا لطُفَ واستحالَ إلى مُشاكلةِ البدنِ.

ابنُ عبَّاسٍ رضي الله عنهما: ﴿طَلۡعُهَا هَضِيمٞ﴾: أينعَ وبلَغَ[4].

وقيل: العِذقُ المُتدلِّيةُ، حكاه القفَّالُ.

وقيل: ﴿هَضِيمٞ﴾: هاضِمٌ.

---

(١) كُفرّى الطَّلع: وتاؤه، وهو الكافر أيضاً. انظر: «المحكم» مادة: (ك ف ر) (٧/ ٥).

(٢) في (ف): «انحماص»، وفي (ن): «انحماض»، ولعل الصواب المثبت. ولم أجد من ذكره بهذا اللفظ، وفي عباراتهم ما يشير إليه، قال الزمخشري في «الكشاف»: الهضيم: اللطيف الضامر، من قولهم: كشح هضيم. وقال المبرد كما في «البسيط» (١٧/ ١٠٣): الهضيم: اللاصق بعضه ببعض، وهو من قولك: هضمني حقي؛ أي: نقصني. وفي «مقاييس اللغة» (٥/ ٦٦): والطَّلعُ الهضيمُ: الدَّاخلُ بعضُه في بعضٍ.

(٣) في (ن): «قشرتيه».

(٤) رواه الطبري في «تفسيره» (١٧/ ٦١٩).

(١٤٩) ـ ﴿وَتَنۡحِتُونَ مِنَ ٱلۡجِبَالِ بُيُوتٗا فَٰرِهِينَ﴾.

﴿وَتَنۡحِتُونَ مِنَ ٱلۡجِبَالِ بُيُوتٗا فَٰرِهِينَ﴾ ﴿فَرِهِينَ﴾ و﴿فَٰرِهِينَ﴾[١]؛ فالفارِهُ: الحاذِقُ؛ لأنَّهم كانوا ينقُرونَ الجبالَ ويتَّخِذون فيها بيوتًا يسكُنونها، ووصَفَهم بالحِذْقِ في تلك الصَّنعةِ. ومعنى فَرِهٍ: أَشِرٌ.

وقيل: فرِحٌ.

ابنُ عبَّاسٍ رضي الله عنهما: بَطِرٌ[٢].

الضَّحَّاكُ: كَيِّسٌ[٣].

ابنُ زيد: قوِيٌّ[٤].

أبو عمرٍو: فَرِهَ يَفْرَه فراهةً؛ إذا نَعِمَ بالُه، فهو فارِهٌ وفرِهٌ[٥].

الخليلُ: فرِهٌ: أَشِرٌ، وفارِهٌ: حاذِقٌ[٦].

وقيل: ﴿فرِهين﴾: مُتحيِّرين.

وقيل: مُعجَبين.

وقيل: آمنين.

---

(١) قرأ بالأولى نافع وابن كثير وأبو عمرو، والباقون بالثانية. انظر: «السبعة» (ص: ٤٧٢)، و«التيسير» (ص: ١٦٦).

(٢) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٤/ ١٨٣)، والواحدي في «البسيط» (١٧/ ١٠٦) بلفظ: «بطرين أشرين»، ورواه الطبري في «تفسيره» (١٧/ ٦٢٢) بلفظ: «أشرين».

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (١٧/ ٦٢٢)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٩/ ٢٨٠٣).

(٤) رواه الطبري في «تفسيره» (١٧/ ٦٢٣).

(٥) في «تهذيب اللغة» (٦/ ١٥٠): «روى أبو عبيد، عن أبي عمرو، يقال: هم في رفاهة ورفاهية ورفهنية؛ أي: في خصب وعيش واسع».

(٦) انظر: «العين» (٤/ ٤٦).

(١٥٠ ـ ١٥١) ـ ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٥٠﴾ وَلَا تُطِيعُوا أَمْرَ الْمُسْرِفِينَ﴾.

﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٥٠﴾ وَلَا تُطِيعُوا أَمْرَ الْمُسْرِفِينَ﴾: الكافرين.

* * *

(١٥٢) ـ ﴿الَّذِينَ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ﴾.

﴿الَّذِينَ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ﴾ وكانوا تسعةَ رهطٍ يُفسِدون في الأرضِ ولا يُصلِحون.

* * *

(١٥٣) ـ ﴿قَالُوا إِنَّمَا أَنتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ﴾.

﴿قَالُوا إِنَّمَا أَنتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ﴾ أنتَ مثلُنا، وكلُّ دابَّةٍ تأكلُ فهي مُسَحَّرةٌ، والسَّحرُ: الغَذْوُ، والمُسَحَّرُ: المغذُوُّ.

وقيل: لك سَحْرٌ، وهو الرِّئةُ؛ أي: أنتَ مثلُنا.

وقيل: المُسحَّرُ: المخدوعُ.

الزَّجَّاجُ: أي: سُحِرَ مرَّةً بعد أُخرى حتَّى اختلَّ عقلُه(١).

ابنُ عبَّاسٍ رضي الله عنهما: منَ المخلوقين(٢).

المُبرِّدُ: المُسَحَّرُ: السُّوقَةُ الذي ليس بملِكٍ(٣).

قتادةُ: منَ السّاحرين(٤)، وفيه نظرٌ.

---

(١) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٤/ ٩٧).

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (١٧/ ٦٢٦)، وذكره السمرقندي في «تفسيره» (٢/ ٥٦٤)، والماوردي في «النكت والعيون» (٤/ ١٨٤).

(٣) رواه عبد بن حميد كما في «الدر المنثور» (٦/ ٣١٦) من قول عاصم القارئ.

(٤) رواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٩/ ٢٨١٣).

(١٥٤) ـ ﴿ مَآ أَنتَ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا فَأْتِ بِـَٔايَةٍ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّـٰدِقِينَ ﴾.

﴿ مَآ أَنتَ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا فَأْتِ بِـَٔايَةٍ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّـٰدِقِينَ ﴾ في دعواك.

* * *

(١٥٥) ـ ﴿ قَالَ هَـٰذِهِۦ نَاقَةٌ لَّهَا شِرْبٌ وَلَكُمْ شِرْبُ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ﴾.

﴿ قَالَ هَـٰذِهِۦ نَاقَةٌ ﴾ والآيةُ[1] فيها: أنَّها خرجَتْ من صخرةٍ وهي حاملٌ، فلم يُؤمنوا، فشدَّدَ عليهم فقال: ﴿ لَّهَا شِرْبٌ ﴾ حظٌّ ونصيبٌ منَ الماءِ، ﴿ وَلَكُمْ شِرْبُ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ﴾ لا تُزاحموها في الشُّربِ ولا تُزاحمُكم فيه.

* * *

(١٥٦) ـ ﴿ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابُ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴾.

﴿ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٍ ﴾: بعقرٍ وإهلاكٍ ﴿ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابُ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴾.

* * *

(١٥٧) ـ ﴿ فَعَقَرُوهَا فَأَصْبَحُوا۟ نَـٰدِمِينَ ﴾.

﴿ فَعَقَرُوهَا ﴾ عقرَها قُدارُ بنُ سالفٍ ﴿ فَأَصْبَحُوا۟ نَـٰدِمِينَ ﴾ على عقرِها حين رأوا العذابَ.

والعَقْرُ: ضربُ السّاقِ بالسَّيفِ وما يجري مَجراه.

وقيل: العَقْرُ: الجَرْحُ.

وقيل: أتاهُم صالحٌ بالمُعجزاتِ فآمنوا به، فلما ماتَ ارتدُّوا، ثمَّ أحياه الله فبعثَه ثانيًا إليهم فكذَّبوه، فأتاهم بالنَّاقةِ[2].

---

(١) في (ف): «الآية».

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٨٣٦)، واستغربه، وهو من أعجب العجيب.

(١٥٨ ـ ١٦٥) ـ ﴿فَأَخَذَهُمُ ٱلْعَذَابُ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٥٨﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٥٩﴾ كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٦٠﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ لُوطٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٦١﴾ إِنِّى لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٦٢﴾ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٦٣﴾ وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٤﴾ أَتَأْتُونَ ٱلذُّكْرَانَ مِنَ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾.

﴿فَأَخَذَهُمُ ٱلْعَذَابُ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٥٨﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٥٩﴾ كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٦٠﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ لُوطٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٦١﴾ إِنِّى لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٦٢﴾ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٦٣﴾ وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٤﴾ أَتَأْتُونَ ٱلذُّكْرَانَ مِنَ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾؛ أي: أتواقعونَ الذُّكورةَ[1] من النّاسِ؟!

وقيل: ﴿مِنَ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾: منَ الغُرباءِ.

***

(١٦٦) ـ ﴿وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ رَبُّكُم مِّنْ أَزْوَٰجِكُم بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ﴾.

﴿وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ رَبُّكُم مِّنْ أَزْوَٰجِكُم﴾ له وجهانِ:

أحدُهما: وتذَرون النِّساءَ اللَّواتي جعلَهُنَّ الله لكم أزواجًا.

الثّاني: وتذَرون فُروجَ أزواجِكم، وكانوا يأتون أدبارَ النِّساءِ أيضًا[2].

قال الزَّجّاجُ: ويُسمَّى هذا الفعلُ: التَّحميضَ[3].

﴿بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ﴾: ظالمون غايةَ الظُّلمِ.

---

(١) جمع ذَكَرٍ، قال ابن السكيت في «الألفاظ» (ص: ٤٧): «يقال للإبل إذا لم تكن فيها أنثى، وكانت ذكورة: هذه جمالة بني فلان».

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٨٣٦)، واستغربه.

(٣) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٤/ ٩٩).

(١٦٧) - ﴿قَالُوا۟ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ يَٰلُوطُ لَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُخْرَجِينَ﴾.

﴿قَالُوا۟ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ يَٰلُوطُ﴾ عن دَعواك النُّبوَّةَ والإنكارِ علينا ﴿لَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُخْرَجِينَ﴾: منَ المنفيِّين من بلدِنا.

* * *

(١٦٨) - ﴿قَالَ إِنِّى لِعَمَلِكُم مِّنَ ٱلْقَالِينَ﴾.

﴿قَالَ إِنِّى لِعَمَلِكُم﴾؛ أي: اللِّواطةِ[1] ﴿مِّنَ ٱلْقَالِينَ﴾: المُبغِضين، والقالي: التَّارِكُ للشَّيءِ بُغضًا له.

* * *

(١٦٩) - ﴿رَبِّ نَجِّنِى وَأَهْلِى مِمَّا يَعْمَلُونَ﴾.

﴿رَبِّ نَجِّنِى وَأَهْلِى مِمَّا يَعْمَلُونَ﴾؛ أي: من عذابِ عملِهم.

وقيل: أخرِجْني من بينِهم حتَّى لا أراهم.

وقيل: نجِّني من مُقاساةِ مخالطتِهم.

* * *

(١٧٠) - ﴿فَنَجَّيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ أَجْمَعِينَ﴾.

﴿فَنَجَّيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ أَجْمَعِينَ﴾ بناتِه ومَن آمنَ معه.

* * *

(١٧١) - ﴿إِلَّا عَجُوزًا فِى ٱلْغَٰبِرِينَ﴾.

﴿إِلَّا عَجُوزًا فِى ٱلْغَٰبِرِينَ﴾ هي امرأةُ لوطٍ، غبَرَتْ فلم تخرُجْ مع لوطٍ.

---

(١) في (ف): «﴿قَالَ إِنِّى لِعَمَلِكُم﴾ اللواط».

وقيل: غَبَرَتْ فلم تهلِكْ مع قومِها، ثمَّ أصابَها الحجرُ بعد ما خرَجَتْ منَ القريةِ.

ابنُ عيسى: الغابرُ: الباقي في قلَّةٍ كالتُّرابِ يبقى غُبارُه(١).

***

(١٧٢ ـ ١٧٥) ـ ﴿ثُمَّ دَمَّرْنَا الْآخَرِينَ (١٧٢) وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا فَسَاءَ مَطَرُ الْمُنْذَرِينَ (١٧٣) إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ (١٧٤) وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾.

﴿ثُمَّ دَمَّرْنَا الْآخَرِينَ﴾: أهلكْناهم ﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا﴾ وهبٌ: كبريتًا ونارًا(٢) ﴿فَسَاءَ مَطَرُ الْمُنْذَرِينَ﴾: الكافرين ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ (١٧٤) وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾.

***

(١٧٦) ـ ﴿كَذَّبَ أَصْحَابُ لْئَيْكَةِ الْمُرْسَلِينَ﴾.

﴿كَذَّبَ أَصْحَابُ لْئَيْكَةِ الْمُرْسَلِينَ﴾ الخليلُ: الأيكةُ: غَيْضةٌ تُنبِتُ ناعمَ الشَّجرِ كالسِّدرِ والأراكِ(٣).

الزَّجَّاجُ: الأيكةُ: الشَّجرُ المُلتفُّ، وكان أصحابُ الأيكةِ أصحابَ شجرٍ مُلتفَّةٍ، وشجرُهم الدَّوْمُ، وهو المُقلُ(٤).

وقُرِئَ: ﴿لَيكَةَ﴾(٥)، وهي اسمُ علَمٍ لتلك المدينةِ أو البقعةِ.

***

---

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٨٣٦)، واستغربه.

(٢) رواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٩/ ٢٨١٠).

(٣) انظر: «العين» (٥/ ٤٢٣).

(٤) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٤/ ٩٧).

(٥) قرأ نافع وابن كثير وابن عامر بلام مفتوحة من غير همزة بعدها ولا ألف قبلها وفتحِ التاء، والباقون بالألف واللام مع الهمزة وخفضِ التاء. انظر: «السبعة» (ص: ٤٧٣)، و«التيسير» (ص: ١٦٦).

(١٧٧ ـ ١٨١) ـ ﴿إِذْ قَالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٧٧﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٧٨﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٧٩﴾ وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٨٠﴾ ۞ أَوْفُوا الْكَيْلَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُخْسِرِينَ﴾.

﴿إِذْ قَالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ﴾ ابنُ عبَّاسٍ رضي الله عنهما: أصحابُ الأيكةِ أصحابُ مدينَ[1].

غيرُه: أصحابُ الأيكةِ غيرُ أهلِ مدينَ، فأرسلَ الله شُعَيبًا إلى أُمَّتَين؛ ولهذا لم يقُلْ: أخوهم؛ لأنَّه لم يكُنْ من نسبِهم، وكان من نسبِ أهلِ مدينَ، فقال لهم: أخوهم شُعَيبٌ[2].

وقيل: أصحابُ الأيكةِ كالباديةِ، وأصحابُ مدينَ كالحاضرةِ[3].

﴿أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٧٧﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٧٨﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٧٩﴾ وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٨٠﴾ ۞ أَوْفُوا الْكَيْلَ﴾ أتِمُّوه ﴿وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُخْسِرِينَ﴾ حقوقَ النَّاسِ، تقولُ: خسَرَ حقَّه وأخسَرَه.

* * *

(١٨٢ ـ ١٨٣) ـ ﴿وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ ﴿١٨٢﴾ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾.

﴿وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ﴾؛ أي: العدلِ والوفاءِ.

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (١٧/ ٦٣٣).

(٢) وذلك في قوله تعالى: ﴿وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا﴾ [الأعراف: ٨٥ وهود: ١٨٤، والعنكبوت: ٣٦].

(٣) ذكر المصنف هذا القول والذي قبله في «غرائب التفسير» (٢/ ٨٣٦)، واستغربهما.

والقِسْطاسُ: إقوامُ[١] الموازينِ، وهو الشَّاهينُ[٢].

وقيل: المعيارُ.

وقيل: القَبَّانُ.

وقيل: الميزانُ.

وقيل: هو روميٌّ.

وقيل: هو عربيٌّ، وأصلُه منَ القسطِ[٣].

﴿وَلَا تَبْخَسُوا۟ ٱلنَّاسَ أَشْيَآءَهُمْ﴾: حقوقَهم، وذُكِرَ بأعمِّ الألفاظِ.

﴿وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾ العَثْيُ: إسراعُ الفسادِ.

***

(١٨٤) ـ ﴿وَٱتَّقُوا۟ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلْجِبِلَّةَ ٱلْأَوَّلِينَ﴾.

﴿وَٱتَّقُوا۟ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلْجِبِلَّةَ ٱلْأَوَّلِينَ﴾؛ أي: وخلَقَ الجِبِلَّةَ، والجِبِلَّةُ: الخَلْقُ، من جَبَلَه الله؛ أي: خَلَقَه.

وقيل: الجِبِلَّةُ: الخَلْقُ المُتجسِّدُ الغليظُ، مأخوذٌ منَ الجَبَلِ.

وقيل: معنى ذكرِ الجِبِلَّةِ: إنذارُهم ما أوقعَ الله بهم منَ العقوباتِ؛ أي: خلقَكُم وخلقَ الأوَّلين، وقد رأيتُم وقائعَه بهم.

الضَّحَّاكُ عن ابنِ عباسٍ رضي الله عنهما: الجِبِلَّةُ عشرةُ آلافٍ، حكاه النَّقَّاشُ[٤].

---

(١) كذا ذكره المصنف هنا، وقد ذكره في تفسير قوله تعالى: ﴿وَزِنُوا۟ بِٱلْقِسْطَاسِ ٱلْمُسْتَقِيمِ﴾ [الإسراء: ٣٥] بلفظ: «إقامة لسان الميزان»، ولعله الصواب.

(٢) الشاهين: عمود الميزان، والصنجة. انظر: «التاج» مادة: (ش هـ ن).

(٣) انظر: «تهذيب اللغة» مادة: (ق س ط) (٨/ ٢٩٩)، و«حاشية ابن بري» (ص: ١٣٤).

(٤) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٨٣٦)، واستغربه.

(١٨٥ ـ ١٨٧) ـ ﴿ قَالُوٓاْ إِنَّمَآ أَنتَ مِنَ ٱلْمُسَحَّرِينَ ﴿١٨٥﴾ وَمَآ أَنتَ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا وَإِن نَّظُنُّكَ لَمِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿١٨٦﴾ فَأَسْقِطْ عَلَيْنَا كِسَفًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴾.

﴿ قَالُوٓاْ إِنَّمَآ أَنتَ مِنَ ٱلْمُسَحَّرِينَ ﴿١٨٥﴾ وَمَآ أَنتَ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا وَإِن نَّظُنُّكَ لَمِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿١٨٦﴾ فَأَسْقِطْ عَلَيْنَا كِسَفًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ﴾؛ أي: قطعةً منَ السَّماءِ.

وقيل: جانبًا منها.

وقيل: الكِسْفةُ: القِطعةُ منَ السَّحابِ.

وقيل: عذابًا من جانبِ السَّماءِ.

﴿إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴾ في دَعواكَ.

***

(١٨٨) ـ ﴿ قَالَ رَبِّيٓ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾.

﴿ قَالَ رَبِّيٓ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾ أي: إنْ كنتُم تستحِقُّونَ عذابَ الاستئصالِ فسيأتيكم، وإلّا فلا.

***

(١٨٩ ـ ١٩١) ـ ﴿ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمْ عَذَابُ يَوْمِ ٱلظُّلَّةِ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٨٩﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٩٠﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴾.

﴿ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمْ عَذَابُ يَوْمِ ٱلظُّلَّةِ ﴾ سلَّطَ الله عليهم الحَرَّ سبعةَ أيّامٍ ولياليَها حتَّى غلَتْ أنهارُهم، ثمَّ رُفِعَ لهم جبلٌ تحتَه ماءٌ باردٌ، فاستظَلُّوا به فسقَطَ عليهم.

الزَّجّاجُ: الظُّلَّةُ: السَّحابُ، أظلَّتهم واجتمَعوا تحتَها يستجيرون بها من شدَّةِ الحرِّ، فأطبقَتْ عليهم، فكان من أعظمِ يومٍ في الدُّنيا[١].

---

(١) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٤/ ٩٨).

ابنُ عبَّاسٍ رضي الله عنهما: مَن حدَّثَكَ ما عذابُ يومِ الظُّلَّةِ فكذِّبْه[1]، لعلَّه أرادَ: لـم ينجُ منهم أحدٌ فيُخبِرَ به.

﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٩٠﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾.

* * *

(١٩٢) - ﴿وَإِنَّهُ لَتَنزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾.

﴿وَإِنَّهُ لَتَنزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ الهـاءُ يعـودُ إلـى القرآنِ، كنايـةٌ عن غيرِ مذكـورٍ؛ لأنَّ القـرآنَ كلَّه كسـورةٍ واحدةٍ.

وقيل: يعودُ إلى قولِه: ﴿وَمَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ﴾ [الشعراء: ٥] وهو القرآنُ.

* * *

(١٩٣) - ﴿نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ﴾.

﴿نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ﴾ يعني: جبريلَ، وهو الأمينُ على الوحيِ، وسُمِّي رُوحًا لأنَّ الملائكةَ رُوحانِيُّون؛ خُلِقوا منَ الرِّيحِ.

وقيل: لأنَّ فيما يأتي به رُوحًا وحياةً للدِّينِ.

وقيل: لأنَّه خلقَه من رُوحِه التي نفَخَ في آدمَ عليه السَّلامُ.

وقيل: لأنَّ الحياةَ أغلَبُ عليه.

وقيل: رُوحٌ[2]: اسمُ علمٍ له لا صِفةٌ.

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (١٧/ ٦٣٩)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٩/ ٢٨١٥)، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٨٣٧)، واستغربه.

(٢) كذا ذكر المصنف، ولعل الصواب أن يقال: «الروح اسم...»؛ فلو كان الاسم بلا ألف ولام ما جاز إدخالها عليه في الآية، كما أن المروي عن مجاهد أنه قال: «الروح اسم ملك». انظر: «البحر المحيط» لأبي حيان (٦/ ٥٠٤).

(١٩٤) ـ ﴿عَلَىٰ قَلۡبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلۡمُنذِرِينَ﴾.

﴿عَلَىٰ قَلۡبِكَ﴾؛ أي: عليك، وخُصَّ القلبُ بالذِّكرِ لأنَّه محلُّ الوحيِ والتَّثبُّتِ.

﴿لِتَكُونَ مِنَ ٱلۡمُنذِرِينَ﴾: تُعلِمَ الخلقَ موضعَ المخافةِ.

* * *

(١٩٥) ـ ﴿بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ﴾.

﴿بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ﴾: بلغةِ قُريشٍ وجُرْهُمَ ﴿مُّبِينٍ﴾ واضحِ المعنى.

* * *

(١٩٦) ـ ﴿وَإِنَّهُۥ لَفِي زُبُرِ ٱلۡأَوَّلِينَ﴾.

﴿وَإِنَّهُۥ لَفِي زُبُرِ ٱلۡأَوَّلِينَ﴾: في كتبِ المُتقدِّمين؛ كقولِه: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَفِي ٱلصُّحُفِ ٱلۡأُولَىٰ﴾ [الأعلى: ١٨]؛ أي: ذكرُ القرآنِ لفي الكتبِ المُتقدِّمةِ.

وقيل: معاني القرآنِ.

وقيل: ذِكرُ محمَّدٍ ﷺ ونعتُه مكتوبٌ عندَهم في التَّوراةِ والإنجيلِ.

* * *

(١٩٧) ـ ﴿أَوَلَمۡ يَكُن لَّهُمۡ ءَايَةً أَن يَعۡلَمَهُۥ عُلَمَٰٓؤُاْ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ﴾.

﴿أَوَلَمۡ يَكُن لَّهُمۡ ءَايَةً أَن يَعۡلَمَهُۥ عُلَمَٰٓؤُاْ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ﴾؛ أي: أوَلم يكُنْ عِلْمُ علماءِ بني إسرائيلَ بوجودِ نعتِ محمَّدٍ ﷺ وذِكرِ القرآنِ في التَّوراةِ علامةً للعربِ في صدقِ محمَّدٍ ﷺ ونُبوَّتِه.

وعلماءُ بني إسرائيلَ: عبدُ الله بنُ سلامٍ وأصحابُه الذين آمنوا بمحمَّدٍ ﷺ.

* * *

(١٩٨) ـ ﴿وَلَوْ نَزَّلْنَٰهُ عَلَىٰ بَعْضِ ٱلْأَعْجَمِينَ﴾.

﴿وَلَوْ نَزَّلْنَٰهُ عَلَىٰ بَعْضِ ٱلْأَعْجَمِينَ﴾: جمعُ (أعجميٍّ) بالتَّخفيفِ(١)، ولولا هذا التَّقديرُ لم يجُزْ أن يُجمَعَ جمعَ السَّلامةِ(٢).

***

(١٩٩) ـ ﴿فَقَرَأَهُۥ عَلَيْهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ مُؤْمِنِينَ﴾.

﴿فَقَرَأَهُۥ عَلَيْهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ مُؤْمِنِينَ﴾ فيه أربعةُ أوجهٍ:

أحدُها: ولو نزَّلْنا القرآنَ بلغةِ العجمِ على رجلٍ أعجميٍّ، فقرأه على العربِ، لم يُؤمنوا حيثُ لم يفهموا واستنكَفُوا من اتِّباعِه.

والثّاني: لو نزَّلنا القرآنَ كما هو الآنَ على رجلٍ أعجميٍّ، فقرأه على العربِ، لم يُؤمِنُوا استنكافًا من اتِّباعِ مَن لم يكُنْ منهم.

والثّالثُ: ولو نزَّلنا القرآنَ على بعضِ العجمِ منَ الدَّوابِّ، فقرأه عليهم، لم يُؤمِنُوا لعِنادِهم كقولِه: ﴿وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَآ إِلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ﴾ الآية [الأنعام: ١١١]، وجُمعَ (أعجم) جمعَ السَّلامةِ على هذا لمَّا وصفَه بالقراءةِ، وهو فعلُ العُقَلاءِ(٣).

والرّابعُ: ﴿وَلَوْ نَزَّلْنَٰهُ﴾؛ أي: القرآنَ ﴿عَلَىٰ بَعْضِ ٱلْأَعْجَمِينَ﴾؛ أي: البهائمِ، فقرأ عليهم محمَّدٌ ﷺ لم تُؤمنِ البهائمُ، كذلك هؤلاءِ؛ لأنَّهم كالأنعامِ، بل هم أضلُّ سبيلًا(٤).

---

(١) في (ف): «على التخفيف».

(٢) في هذا ردٌّ على الفراء أجاز أن يكون جمع (أعجم)، والمصنف يرى أن أصله: الأعجميين، ويشهد لذلك أنها الحسن قرأها كذلك، وقد سبقه إلى ذلك أبو علي الفارسي. انظر: «معاني القرآن» للفراء (٢/ ٢٨٣)، و«الحجة» لأبي علي (٦/ ١٢١)، و«الدر المصون» (٨/ ٥٥٤ ـ ٥٥٦).

(٣) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٨٣٨)، واستغربه.

(٤) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٨٣٨)، وعدَّه من العجائب.

(٢٠٠) ـ ﴿ كَذَٰلِكَ سَلَكْنَٰهُ فِي قُلُوبِ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴾.

﴿ كَذَٰلِكَ سَلَكْنَٰهُ فِي قُلُوبِ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴾ في هاءِ الضَّميرِ أقوالٌ:

قيل: يعودُ إلى تركِ الإيمانِ في قولِه: ﴿ مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ مُؤْمِنِينَ ﴾ [الشعراء: ١٩٩].

وقيل: إلى الشِّركِ والكفرِ.

وقيل: يعودُ إلى القرآنِ؛ أي: كما أنزَلْناه على قلبِكَ سلَكْناه في قلوبِ المُجرمين؛ أي: أدخَلْناه فيها؛ فعرَفُوا معانيَه وعرَفُوا عجزَهُم عن إتيانِ مثلِه، فلم يُؤمِنوا به.

***

(٢٠١) ـ ﴿ لَا يُؤْمِنُونَ بِهِۦ حَتَّىٰ يَرَوُا۟ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ ﴾.

قولُه: ﴿ لَا يُؤْمِنُونَ بِهِۦ حَتَّىٰ يَرَوُا۟ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ ﴾ في الدُّنيا كما رأتِ الأممُ المُتقدِّمةُ، وقيل: في القيامةِ.

***

(٢٠٢ ـ ٢٠٣) ـ ﴿ فَيَأْتِيَهُم بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ۝٢٠٢ فَيَقُولُوا۟ هَلْ نَحْنُ مُنظَرُونَ ﴾.

﴿ فَيَأْتِيَهُم بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ۝٢٠٢ فَيَقُولُوا۟ هَلْ نَحْنُ مُنظَرُونَ ﴾؛ أي: يطلُبون الرَّجعةَ حين يبغتُهم عذابُ السَّاعةِ فلا يُجابُونَ إليها.

***

(٢٠٤) ـ ﴿ أَفَبِعَذَابِنَا يَسْتَعْجِلُونَ ﴾.

﴿ أَفَبِعَذَابِنَا يَسْتَعْجِلُونَ ﴾ فيقولون مرَّةً: أمطِرْ علينا حجارةً، ومرَّةً يقولون[1]: ﴿ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ... ﴾ [الإسراء: ٩٠ ـ ٩٣] الآياتِ في (بني إسرائيلَ).

***

---

(١) «يقولون»: ليس في (ف).

(٢٠٥ ـ ٢٠٧) ـ ﴿ أَفَرَءَيْتَ إِن مَّتَّعْنَٰهُمْ سِنِينَ ﴿٢٠٥﴾ ثُمَّ جَآءَهُم مَّا كَانُواْ يُوعَدُونَ ﴿٢٠٦﴾ مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يُمَتَّعُونَ ﴾.

﴿ أَفَرَءَيْتَ إِن مَّتَّعْنَٰهُمْ سِنِينَ ﴾ قيل: سنِيْ عمرِ الدُّنيا ﴿ ثُمَّ جَآءَهُم مَّا كَانُواْ يُوعَدُونَ ﴾؛ أي: العذابُ ﴿مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُم﴾: لـم يَدفَعْ عنهم ﴿مَّا كَانُواْ يُمَتَّعُونَ ﴾: تمتُّعُهم؛ أي: لا معنى لاستعجالِـهم العذابَ؛ فإنَّه إذا أتاهم ولو بعدَ العمرِ الكثيرِ لـم يُغْنِ عنهم تمتُّعُهم بالدُّنيا قبل ذلك، ولأنَّ العذابَ يأتيهم ولو بعد حينٍ.

* * *

(٢٠٨ ـ ٢٠٩) ـ ﴿ وَمَآ أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍ إِلَّا لَهَا مُنذِرُونَ ﴿٢٠٨﴾ ذِكْرَىٰ وَمَا كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴾.

﴿ وَمَآ أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍ إِلَّا لَهَا مُنذِرُونَ ﴿٢٠٨﴾ ذِكْرَىٰ ﴾؛ أي: لـم نُهلِكْ أهلَ قريةٍ منَ القُرى التي تقدَّمَتْ في السُّورةِ وغيرِها إلّا لأهلِها مُنذرٌ يُنذِرُهم ويُذكِّرُهم ورسولٌ يُرشِدُهم ويعِظُهم.

﴿وَمَا كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴾ فنُعذِّبَهم قبلَ الإعذارِ والإنذارِ.

وجمعَ (مُنذرين) لأنَّ المقصودَ من القريةِ العمومُ، والدَّليلُ عليه دخولُ ﴿مِن﴾.

وقيل: المُرادُ بهم النَّبيُّ وأتباعُه المُظاهرون له.

و﴿ ذِكْرَىٰ ﴾ في محلِّ نصبٍ بالمصدرِ؛ أي: يُذكِّرونَهم ذِكرى، وإنْ شئتَ نصبتَ بقولِه: ﴿مُنذِرُونَ ﴾ كقولهم: قعدَ القُرفُصاءَ، ورجعَ القَهقَرى.

ويجوزُ أن يكونَ في محلِّ رفعٍ؛ أي: إنذارُنا ذكرى.

وقيل: ما قصَصْناه ذِكرى.

* * *

(٢١٠) ـ ﴿ وَمَا تَنَزَّلَتْ بِهِ ٱلشَّيَٰطِينُ ﴾.

﴿ وَمَا تَنَزَّلَتْ بِهِ ٱلشَّيَٰطِينُ ﴾؛ أي: ﴿ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ .. وَمَا تَنَزَّلَتْ بِهِ ٱلشَّيَٰطِينُ ﴾، كما يقولُه المُشركون: إنَّ القرآنَ كَهانةٌ، وإنَّك كاهِنٌ.

***

(٢١١) ـ ﴿ وَمَا يَنۢبَغِى لَهُمْ وَمَا يَسْتَطِيعُونَ ﴾.

﴿ وَمَا يَنۢبَغِى لَهُمْ ﴾: ولا يصلُحُ لهم أن ينزِلوا به ﴿وَمَا يَسْتَطِيعُونَ ﴾ أن ينزِلوا بالقرآنِ على أحدٍ.

***

(٢١٢ ـ ٢١٣) ـ ﴿إِنَّهُمْ عَنِ ٱلسَّمْعِ لَمَعْزُولُونَ ﴿٢١٢﴾ فَلَا تَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتَكُونَ مِنَ ٱلْمُعَذَّبِينَ ﴾.

﴿إِنَّهُمْ عَنِ ٱلسَّمْعِ ﴾؛ أي: لأنَّهم عن الاستماعِ إلى كلامِ الملائكةِ ﴿لَمَعْزُولُونَ ﴾ وبالشُّهبِ مرجومون.

وقيل: عن استراقِ السَّمعِ.

﴿ فَلَا تَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتَكُونَ مِنَ ٱلْمُعَذَّبِينَ ﴾ في النَّارِ بسببِ ذلك، الخطابُ للنَّبيِّ ﷺ والمُرادُ به غيرُه.

ويحتمِلُ أنَّ قولَه: ﴿إِنَّهُمْ عَنِ ٱلسَّمْعِ لَمَعْزُولُونَ ﴾ يريدُ به الكفَّارَ؛ أي: لا يسمعون القرآنَ سماعَ مَن ينتفعُ به.

***

(٢١٤) - ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ﴾.

﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ﴾ لمَّا نزلَتْ هذه الآيةُ صعِدَ رسولُ الله ﷺ الصَّفا ونادى بأعلى صوتِه: «يا صباحاهُ»، فاجتمعَ النّاسُ إليه، فقال ﷺ: «يا بني عبدِ المُطَّلبِ، يا بني فهرٍ، يا بني عبدِ شمسٍ، يا بني فلانٍ، يا بني فلانٍ، لو أخبرتُكم أنَّ خيلًا بسفحِ هذا الجبلِ تُريدُ أن تُغيرَ عليكم صدَّقتُموني؟» قالوا: نعم، قال: «فإنِّي نذيرٌ لكم بينَ يدَي عذابٍ شديدٍ»، فقال أبو لهبٍ: ما دعَوتَنا إلّا لهذا؟ تبًّا لك، فأنزلَ الله ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِى لَهَبٍ وَتَبَّ﴾[1].

***

(٢١٥) - ﴿وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾.

﴿وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾: ليِّنْ جانبَكَ لهم، وجناحا العسكرِ: جانباه.

***

(٢١٦) - ﴿فَإِنْ عَصَوْكَ فَقُلْ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ﴾.

﴿فَإِنْ عَصَوْكَ﴾ يعني: عشيرتَك ﴿فَقُلْ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ﴾ من عبادةِ الأصنامِ.

وقيل: بريءٌ من أعمالِكم؛ لا أُؤاخَذُ بها ولا أُحاسَبُ عليها.

وقيل: لا أملكُ لكم فيها شفاعةً عند الله، ولا دَفعًا لعقوبةٍ لو جازاكُم بها.

***

(٢١٧) - ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ﴾.

﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ﴾: فوِّضْ أمورَكَ إليه واعتمِدْ عليه، ومَن قرأ (فتَوَكَّلْ) بالفاءِ[2] فهو أشدُّ اتِّصالًا.

---

(١) رواه البخاري (٤٧٧٠)، ومسلم (٢٠٨)، من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.

(٢) قرأ نافع وابن عامر بالفاء، وقرأ الباقون بالواو. انظر: «السبعة» (ص: ٤٧٣)، و«التيسير» (ص: ١٦٧).

(٢١٨ ـ ٢٢٠) ـ ﴿ٱلَّذِي يَرَىٰكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٢١٨﴾ وَتَقَلُّبَكَ فِي ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٢١٩﴾ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾.

﴿ٱلَّذِي يَرَىٰكَ حِينَ تَقُومُ﴾؛ أي: إلى الصَّلاةِ مُفْردًا ﴿وَتَقَلُّبَكَ فِي ٱلسَّٰجِدِينَ﴾؛ أي: مع المُصلِّين جماعةً.

وقيل: يراكَ حين تقومُ وتقعدُ مع أهلِ الصَّلاةِ لا مع الكَهَنةِ والسَّحرةِ.

وقيل: معنى ﴿تَقُومُ﴾؛ أي: تخلُو.

وقيل: ﴿وَتَقَلُّبَكَ فِي ٱلسَّٰجِدِينَ﴾: [مِن] نبيٍّ إلى نبيٍّ حتَّى أخرَجَكَ نبيًّا(١)، يريدُ من صُلبٍ إلى صُلبٍ(٢).

وقال مُجاهدٌ: ترى بقَلْبِكَ في صلاتِك مَن خلفَكَ كما ترى بعينَيكَ مَن قُدَّامكَ(٣).

وهذا فيه ضَعفٌ؛ إذ ليس في اللَّفظِ ما يدلُّ على هذا المعنى.

* * *

(٢٢١ ـ ٢٢٣) ـ ﴿هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ ٱلشَّيَٰطِينُ ﴿٢٢١﴾ تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ﴿٢٢٢﴾ يُلْقُونَ ٱلسَّمْعَ وَأَكْثَرُهُمْ كَٰذِبُونَ﴾.

﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٢٢٠﴾ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ ٱلشَّيَٰطِينُ﴾ فإنَّهم لا ينزلونَ على الأنبياءِ. ثمَّ نبَّأ فقالَ:

﴿تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ﴾: كذَّابٍ كاهنٍ ساحرٍ.

---

(١) رواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٩/ ٢٨٢٨) عن ابن عباس، وما بين معكوفتين منه، ومن «غرائب التفسير» (٢/ ٨٣٨).

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٨٣٨)، واستغربه.

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (١٧/ ٦٦٧)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٩/ ٢٨٢٩)، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٨٣٩)، وعدَّه من العجائب.

﴿أَثِيمٍ﴾: كثيرِ الإثمِ كمُسيلمةَ، وطليحةَ، وسَجاحِ.

الزَّجَّاجُ: يأتي الشَّياطينُ الكهنةَ فيُلقون إليهم شيئًا فيزيدون فيه الكذبَ(١)، وهو قولُه:

﴿ يُلْقُونَ ٱلسَّمْعَ ﴾ قيل: الكفارُ يسمعونَ منَ الجنِّ ما يُوسوِسونَ به ويَقْبَلونَه؛ لأنَّ معنى ألقَى السَّمعَ: قَبِلَ ما سمِعَ وما قيلَ له.

﴿ وَأَكْثَرُهُمْ ﴾: أكثرُ الشَّياطينِ.

وقيل: أكثرُ الكَهَنةِ.

وقيل: أكثرُ الكهنةِ والشَّياطينِ.

﴿كَٰذِبُونَ ﴾ الحسنُ: أكثرُهم؛ أي: كلُّهم(٢).

***

(٢٢٤) ـ ﴿وَٱلشُّعَرَآءُ يَتَّبِعُهُمُ ٱلْغَاوُۥنَ ﴾.

﴿وَٱلشُّعَرَآءُ يَتَّبِعُهُمُ ٱلْغَاوُۥنَ ﴾؛ أي: ليس القرآنُ بشعرٍ، ولا محمَّدٌ ﷺ بشاعرٍ كما زعَموا؛ لأنَّ الشُّعراءَ يتَّبِعُهم الغاوون.

مُجاهدٌ: الشَّياطينُ(٣).

ابنُ عبّاسٍ رضي الله عنهما: الرُّواةُ(٤).

الضَّحَّاكُ: السُّفَهاءُ(٥).

---

(١) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٤/ ١٠٤).

(٢) ذكره يحيى بن سلام في «تفسيره» (٢/ ٥٣٠) بلفظ: «وجماعتهم كاذبون».

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (١٧/ ٦٧٣)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٩/ ٢٨٣٢).

(٤) رواه الطبري في «تفسيره» (١٧/ ٦٧٣)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٩/ ٢٨٣١).

(٥) رواه الطبري في «تفسيره» (١٧/ ٦٧٥)، وذكره الثعلبي في «تفسيره» (٢٠/ ١٤٠).

والذين اتَّبعوا محمَّدًا ﷺ راكعون ساجدون رُحماءُ بينهم، وأرادَ بالشُّعراءِ: الذين كانوا كافرين.

***

(٢٢٥ ـ ٢٢٦) ـ ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ ﴿٢٢٥﴾ وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ﴾.

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ﴾ في كلِّ فنٍّ منَ الكلامِ يأخُذون، كما تقولُ: أنا في وادٍ وأنت في وادٍ.

﴿وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ﴾ وصفَهم بالكذبِ في القولِ والخُلفِ في الوعدِ.

وقيل: في كلِّ لغوٍ يخوضونَ، لا يُبالون من صدقٍ ومن كذبٍ.

ورُوِيَ أنَّ عمرَ بنَ الخطّابِ رضي الله عنه مرَّ بأَمَجٍ ـ موضعٍ بينَ مكّةَ والمدينةِ ـ فإذا هو برجلٍ، فقالَ له: مَن أنتَ؟ فقال:

حُمَيْدُ الذي أَمَجٌ داره ... أخو الخمرِ ذو الشَّيبةِ الأصلَعُ
عَلاهُ المشيبُ على حُبِّها ... وكان كريمًا فلم يُقلِعُ

قال عمرُ بنُ الخطّابُ رضي الله عنه: أتُقِرُّ عندي بشُربِ الخمرِ؟ لأَحُدَّنَّكَ، فقال: لقد حالَ الله بينَكَ وبينَ ذاكَ بقولِه: ﴿وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ﴾ [الشعراء: ٢٢٦] فلم يرَ عمرُ إقرارًا(١).

---

(١) ذكره هكذا ابن عبد البر في «بهجة المجالس» (ص: ١٨)، والبكري في «معجم ما استعجم» (١/ ١٩١)، لكن عن عمر بن عبد العزيز، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٨٣٩)، واستغربه.

وذكره البلاذري في «أنساب الأشراف» (٨/ ١٨٣)، من رواية المدائني عن شيخ من قريش قال: كان حميد الأمجي يشرب الخمر وكان منزله أمج، فقيل فيه: «حميد الذي أمج داره...» البيتين، =

والصَّحيحُ أنَّه نزلَ في عبدِ الله بنِ الزِّبَعْرَى، وأبي سفيانَ، وأميَّةَ بنِ أبي الصَّلتِ، وهُبَيرةَ بنِ أبي وَهْبٍ، ومُسافعٍ، كانوا يهجونَ رسولَ الله ﷺ والمؤمنينَ.

ثمَّ استثنَى المؤمنينَ فقالَ:

(٢٢٧) ـ ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَذَكَرُوا۟ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱنتَصَرُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا۟ۗ وَسَيَعْلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ أَىَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ﴾.

﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾: مدَحُوا رسولَ الله ﷺ كحسّانَ بنِ ثابتٍ، وعبدِ الله بنِ رَواحةَ، وكعبِ بنِ زُهيرٍ، وكعبِ بنِ مالكٍ رضي الله عنهم. ﴿وَذَكَرُوا۟ ٱللَّهَ كَثِيرًا﴾ قيل: في شعرِهم، وقيل: في كلامِهم ودُعائِهم.

﴿وَٱنتَصَرُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا۟﴾: ردُّوا على المُشركين ما كانوا يهجونَ به المؤمنين.

أبو هريرةَ رضي الله عنه: أنَّ عمرَ بنَ الخطّابِ رضي الله عنه مرَّ بحسانَ وهو يُنشِدُ الشِّعرَ في المسجدِ فلحَظَ إليه، فقالَ: قد كنتُ أنشدُ فيه وفيه خيرٌ منك، ثمَّ التفتَ إلى أبي هريرةَ فقالَ: أَنْشُدُكَ اللهَ أسمِعْتَ رسولَ الله ﷺ يقولُ لي: «أجِبْ عنِّي، اللَّهمَّ أيِّدْه بروحِ القُدُسِ»؟ فقال: اللَّهمَّ نعم[1].

وعن البراءِ بنِ عازبٍ رضي الله عنه قال: قالَ رسولُ الله ﷺ لحسانَ: «اُهْجُ المُشركينَ؛ فإنَّ جبريلَ معك»[2].

= فقدم على عمر، فلما رآه قال: «حميد الذي أمج داره...»، قال: يا أمير المؤمنين كذب علي. قال: فاستغفر الله.

(١) رواه البخاري (٣٢١٢)، ومسلم (٢٤٨٥).

(٢) رواه البخاري (٣٢١٣)، ومسلم (٢٤٨٦).

﴿وَسَيَعۡلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ﴾ قيل: يُريدُ بهم مَن هجا رسولَ الله عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ.

وقيل: عامٌّ، وهو الأظهرُ.

﴿أَيَّ مُنقَلَبٖ يَنقَلِبُونَ﴾: أيَّ مَرْجِعٍ يرجعونَ بعد موتِهم؛ أي: مصيرُهم إلى النّارِ، وهو شرُّ مصيرٍ.

﴿ويعلم﴾ مُعلَّقٌ بالاستفهامِ، و﴿أَيَّ مُنقَلَبٖ﴾ نصبٌ على المصدرِ؛ أي: ينقلِبونَ أيَّ انقلابٍ[1].

* * *

(١) نبّه على هذا ابن جني في «الخصائص» (١/ ٢٩٩)، والزجاج في «معاني القرآن» (٤/ ١٠٥) وغيرهما.

سُورَةُ النَّمۡلِ

سُورَةُ النَّمْلِ

ثلاثٌ وتسعونَ آيةً[1]، مكيّةٌ.

ولها ثلاثةُ أسماءٍ: سورةُ النَّملِ، وطَس الهدهُدِ، وسورةُ سليمانَ عليه السَّلامُ.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

(١) ـ ﴿طسٓۚ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡقُرۡءَانِ وَكِتَابٖ مُّبِينٍ﴾.

﴿طسٓۚ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡقُرۡءَانِ وَكِتَابٖ﴾ سبقَ الكلامُ[2] في الحروفِ، وفي ﴿تِلۡكَ﴾، و﴿ذَٰلِكَ﴾.

وقال في هذه السُّورةِ: ﴿ءَايَٰتُ ٱلۡقُرۡءَانِ وَكِتَابٖ﴾، وقال في الحِجْرِ: ﴿ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِ وَقُرۡءَانٖ﴾ [الحجر: ١]؛ لأنَّ القرآنَ والكتابَ اسمانِ عَلَمان للمُنزَّلِ على محمَّدٍ ﷺ، ووَصْفانِ لأنَّه يُقرأُ ويُكتَبُ، فحيثُ جاء بلفظِ التَّعريفِ فهو العلَمُ، وحيثُ جاءَ بلفظِ النَّكرةِ فهو الوصفُ.

---

(١) «ثلاث وتسعون آية»: ليس في (ف). وانظر: «البيان في عد آي القرآن» (ص: ١٩٩)، وفيه: «وهي تسعون وثلاث آيات في الكوفي، وأربع بَصْري وشامي، وخمس في المدنيين والمكي، اختلافها آيتان: ﴿وَأُوْلُواْ بَأۡسٖ شَدِيدٖ﴾ [النمل: ٣٣] عدَّها المدنيان والمكي ولم يَعُدَّها الباقون، ﴿مِّن قَوَارِيرَ﴾ [النمل: ٤٤] لم يعدَّها الكوفي وعدَّها الباقون، وكلهم لم يعدَّ ﴿طسٓ﴾».

(٢) في (ف): «القول».

وإنْ شئتَ قلتَ: هما يجريان مَجرى العبَّاسِ وابنِ عبَّاسٍ، فهو في الحالين اسمُ العلَمِ.

والتَّقديرُ: تلكَ آياتُ القرآنِ، وآياتُ كتابٍ مُبينٍ يُبيِّنُ الحلالَ والحرامَ والأمرَ والنَّهيَ.

***

(٢) ـ ﴿هُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾.

﴿هُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾؛ أي: القرآنُ هُدًى منَ الضَّلالةِ، وبُشرى بالجنَّةِ.

وقيل: هُدًى لجميعِ الخلقِ، وبُشرى للمُؤمنين خاصَّةً.

وقيل: هُدًى للمُذنبين، وبُشرى للمُؤمنين، وخصَّهم بالذِّكرِ لانتفاعِهم به.

ومحلُّ ﴿هُدًى وَبُشْرَىٰ﴾ رفعٌ بالخبرِ، أو بالخبرِ بعد الخبرِ، ويجوزُ النَّصبُ على الحالِ كقولِه: ﴿وَهَٰذَا بَعْلِي شَيْخًا﴾ [هود: ٧٢].

***

(٣) ـ ﴿الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُم بِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ﴾.

﴿الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ﴾ المفروضةَ ﴿وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ﴾ قيل: الزَّكاةُ[1] زكاةُ مالِهم.

وقيل: تطهيرُ أبدانِهم.

ابنُ عبَّاسٍ رضي الله عنهما: الإخلاصُ وطاعةُ اللهِ[2].

وقيل: صدقةُ الفِطرِ.

﴿وَهُم بِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ﴾: يعلمونَها علمًا بالاستدلالِ.

والمعنى: يعملون ما يعملون عالِمين بما لهم وعليهم.

---

(١) «الزكاة»: ليس في (ف).

(٢) رواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٩/ ٢٨٤٠).

وقيل: معناه: إذا علِمُوا جزاءَهم كانوا أنشطَ له وأحرصَ عليه[1].

* * *

(٤) - ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡأٓخِرَةِ زَيَّنَّا لَهُمۡ أَعۡمَٰلَهُمۡ فَهُمۡ يَعۡمَهُونَ﴾.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡأٓخِرَةِ زَيَّنَّا لَهُمۡ أَعۡمَٰلَهُمۡ﴾: زيَّنا قبيحَ أعمالِهم وسهَّلْنا ذلك عليهم ﴿فَهُمۡ يَعۡمَهُونَ﴾: يتردَّدون في ضلالتِهم مُتحيِّرين.

وقيل: زيَّنا لهم أعمالَ الخيرِ فخالَفُوها.

وقيل: زيَّنا الأعمالَ التي أمَرْناهم بها، فهم يتردَّدون.

وقيل: يتمادَون.

وقيل: يلعبون.

وقيل: يتجبَّرون.

* * *

(٥) - ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَهُمۡ سُوٓءُ ٱلۡعَذَابِ وَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ هُمُ ٱلۡأَخۡسَرُونَ﴾.

﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَهُمۡ سُوٓءُ ٱلۡعَذَابِ﴾ يعني: النَّار ﴿وَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ هُمُ ٱلۡأَخۡسَرُونَ﴾ بفَوْتِ المثوبةِ والمصيرِ إلى العقوبةِ، و(أفعلُ) هاهنا للمُبالغةِ لا للشَّركةِ.

* * *

(٦) - ﴿وَإِنَّكَ لَتُلَقَّى ٱلۡقُرۡءَانَ مِن لَّدُنۡ حَكِيمٍ عَلِيمٍ﴾.

﴿وَإِنَّكَ لَتُلَقَّى ٱلۡقُرۡءَانَ﴾: تُعطَى، وقيل: تأخذُ.

وقيل: تُلقَّى؛ أي: تُلقَّنُ، تقولُ: لقَّيتُه كذا فتلقَّاه، قال الله عزَّ وجلَّ: ﴿وَمَا يُلَقَّىٰهَآ﴾ [فصلت: ٣٥].

---

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٨٤١)، واستغربه.

وقيل: تُلقَّى؛ أي: يُلْقَى عليك القُرآنُ، وحقيقتُه من قولك: لقِيتُ الشَّيءَ ولقَّيْتُه غيري.

﴿مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ﴾: من عندِ الله.

* * *

(٧) - ﴿إِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِأَهْلِهِۦٓ إِنِّىٓ ءَانَسْتُ نَارًا سَـَٔاتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ ءَاتِيكُم بِشِهَابٍ قَبَسٍ لَّعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ﴾.

﴿إِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِأَهْلِهِۦٓ﴾: لمَن معه.

وقيل: لامرأتِه بنتِ شُعَيبٍ في سفرِه؛ إذ خرجَ من مدينَ يؤُمُّ الشَّامَ ومعه أهلُه.

﴿إِنِّىٓ ءَانَسْتُ نَارًا﴾؛ أي: توقَّفوا؛ لقولِه في الأخرى: ﴿ٱمْكُثُوٓا۟ إِنِّىٓ ءَانَسْتُ نَارًا﴾ [القصص: ٢٩]: أبصَرْت نارًا[١].

وقيل: صادفْتُ ووجَدْتُ، من قولِه: ﴿فَإِنْ ءَانَسْتُم مِّنْهُمْ رُشْدًا﴾ [النساء: ٦].

وكان شاتيًا فوجدَ أهلُه البردَ، وكان معه زَنْدُه فأصْلَدَ[٢]، فأبصرَ النَّارَ من بُعدٍ، فقال: ﴿إِنِّىٓ ءَانَسْتُ نَارًا﴾.

﴿سَـَٔاتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ﴾؛ أي: بدلالةٍ على الطَّريقِ، وكان قد ضلَّ الطَّريقَ.

وقيل: سأُخبِرُكم عنها بعلمٍ.

---

(١) في (ف): «﴿ٱمْكُثُوٓا۟ إِنِّىٓ ءَانَسْتُ نَارًا﴾ أبصرت ﴿نَارًا﴾».

(٢) أَصْلَدَ الرَجُلُ؛ أي: صَلَدَ زَنْدُهُ، وصَلَدَ الزَنْدُ: إذا صَوَّتَ ولم يُخْرِجْ ناراً. انظر: «الصحاح» مادة: (ص ل د).

وجاء في الخبر عن وهب: «فأخرج زنده ليقتدح ناراً لأهله ليبيتوا عليها حتى يصبح، ويعلم وجه سبيله، فأصلد زنده فلا يوري له ناراً، فقدح حتى أعياه، لاحت النار فرآها فـ﴿قَالَ لِأَهْلِهِ ٱمْكُثُوٓا۟ إِنِّىٓ ءَانَسْتُ نَارًا...﴾». رواه الطبري في «تفسيره» (١٨/ ٨).

﴿أَوْ ءَاتِيكُم بِشِهَابٍ﴾: شُعلةِ نارٍ ساطعٍ، ﴿قَبَسٍ﴾ أقبِسُها من مُعظَمِ النّارِ، والقَبْسُ بالسُّكونِ المصدرُ، وبالفتحِ الاسمُ، ومَن نوَّنَ جعَلَ القَبَسَ صفةً للشِّهابِ أو بدلًا، ومَن أضافَ(١) جعلَ الشِّهابَ الشُّعلةَ، والقَبَسَ النّارَ؛ أي: بشهابِ نارٍ.

وقيل: هو كقولِـهم: مسجدُ الجامعِ، وصلاةُ الأولى.

﴿لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ﴾: لتَصْطَلـوا؛ أي: تستَدْفِئُوا مـنَ البـردِ، والصَّـلا: النّـارُ العظيمـةُ.

***

(٨) - ﴿فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِىَ مِن شَٰطِئِ ٱلْوَادِ ٱلْأَيْمَنِ فِى ٱلْبُقْعَةِ ٱلْمُبَٰرَكَةِ مِنَ ٱلشَّجَرَةِ أَن يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّىٓ أَنَا ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾.

﴿فَلَمَّا جَآءَهَا﴾؛ أي: النّارَ التي أبصرَها، ﴿نُودِىَ﴾: جاءه النِّداءُ، وهو الكلامُ المسموعُ، وقيل: أُوحِيَ إليه.

أي: نُودِيَ موسى ﴿أَنۢ بُورِكَ﴾، فضميرُ موسى مُقدَّرٌ في الفعلِ.

وقيل: نُودِيَ أنْ بُورِكَ، ومحلُّه(٢) رفعٌ، والوجهُ الأوَّلُ.

ومعنى ﴿بُورِكَ﴾: قيل: قُدِّسَ.

وقيل: جُعِلَ فيه البركةُ والخيرُ، بمعنى: تبارَكَ.

وهذا كلامٌ يجري مَجرى الدُّعاءِ، وحقيقتُه ترجعُ إلى الخبرِ، وفيه أربعُ لغاتٍ: بارَكَكَ اللهُ، وبارَكَ فيك، وبارَكَ عليك، وبارَكَ لك.

وفي النارِ قولان:

---

(١) قرأ عاصم وحمزة والكسائي بالتنوين، والباقون بالإضافة. انظر: «السبعة» (ص: ٤٧٨)، و«التيسير» (ص: ١٦٧).

(٢) الهاء تعود على المصدر المؤول من (أن) والفعل (بورك).

أحدُهما: كانت نارًا مُضيئةً مُحرِقةً كسائرِ النِّيرانِ.

والثّاني: كانت نورًا مُضيئًا من غيرِ إحراقٍ؛ لأنَّها كانت مُتضرِّمةً[1] في شجرةٍ خضراءَ.

وجاء في التَّفسيرِ: أنَّها كلَّما ازدادَتْ عِظَمًا وتضرُّمًا ازدادَتِ الشَّجرةُ خُضرةً، وكانت سَمُرةً.

﴿مَن فِي ٱلنَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا﴾ ﴿مَن فِي ٱلنَّارِ﴾ قيل: هم الملائكةُ.

وقيل: هو موسى عليه السَّلامُ؛ أي: مَن في طلَبِ النَّارِ. وقيل: مَن في شُعاعِها، كما تقولُ: فلانٌ في الشَّمسِ.

وقيل: ﴿مَن فِي ٱلنَّارِ﴾ هو الله سُبحانَه، وهذه جُرأةٌ، إلّا أن يُجعَلَ التَّقديرُ: مَن في النَّارِ نورُه وأثرُ صُنعِه[2].

وقيل: ﴿مَن﴾ صلةٌ، تقديرُه: (بُورِكَتِ النّارُ ومَن حولَها)[3]، وقُرِئَ به في الشَّواذِّ[4].

وقيل: ﴿مَن﴾ بمعنى: ما؛ أي: بُورِكَ ما في النَّارِ من أمرِ الله الذي جعلَه لموسى؛ فإنَّه داعٍ إلى الأمرِ العظيمِ منَ النُّبوّةِ والرِّسالةِ والشَّرفِ والكرامةِ.

---

(١) في (ن): «منضرمة».

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٨٤٢)، وعدَّه من العجائب.

(٣) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٨٤٣)، وعدَّه من العجائب.

(٤) ذكرها يحيى بن سلام في «تفسيره» (٢/ ٥٣٤)، والفراء في «معاني القرآن» (٢/ ٢٨٦)، عن أبي رضي الله عنه. وكذا رواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٩/ ٢٨٤٦) عن قتادة. قال النحاس في «إعراب القرآن» (٣/ ١٣٦): «وحكى أبو حاتم أن في قراءة أبيٍّ وابن عباس ومجاهد: (أن بوركت النار ومن حولها)، ومثل هذا لا يوجد بإسناد صحيح، ولو صحّ لكان على التفسير».

قولُه: ﴿وَمَنْ حَوْلَهَا﴾ قيل: الملائكةُ.

وقيل: موسى، على ما يُوافقُ القولَ في ﴿مَن فِي ٱلنَّارِ﴾.

﴿وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ فيه قولانِ:

أحدُهما: أنَّه من جملةِ ما نُودِيَ، وأنَّه سُبحانَه نَزَّه نفسَه عما لا يليقُ به مِنَ الأوصافِ.

والثّاني: أنَّه كلامُ موسى عليه السَّلامُ لـمَّا دَهاه الأمرُ العظيمُ[1].

* * *

(٩) - ﴿يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّهُۥٓ أَنَا ٱللَّهُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾.

﴿يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّهُۥٓ أَنَا ٱللَّهُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ في ﴿إِنَّهُۥٓ﴾ وجهانِ:

أحدُهما: الأمرُ والشَّأنُ.

والثّاني: يعودُ إلى المُنادي؛ أي: الذي ناداكَ أنا[2].

* * *

(١٠) - ﴿وَأَلْقِ عَصَاكَۚ فَلَمَّا رَءَاهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَآنٌّ وَلَّىٰ مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْۚ يَٰمُوسَىٰ لَا تَخَفْ إِنِّى لَا يَخَافُ لَدَىَّ ٱلْمُرْسَلُونَ﴾.

﴿وَأَلْقِ عَصَاكَ﴾ هذا من جملةِ النِّداءِ، فألقاها ﴿فَلَمَّا رَءَاهَا تَهْتَزُّ﴾ تتحرَّكُ باضطِرابٍ ﴿كَأَنَّهَا جَآنٌّ﴾: حيَّةٌ خفيفةٌ سريعةٌ.

وقيل: شبَّهَها بالجنِّ.

---

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٨٤٣)، واستغربه.

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٨٤٣)، واستغربه.

﴿وَلَّىٰ﴾ يعني: موسى ﴿مُدْبِرًا﴾: أدبرَ عنها وجعلَها تلي ظهرَه، ﴿وَلَمْ يُعَقِّبْ﴾: لم يرجِعْ ولم يلتفِتْ، تقولُ: عَقَّبَ الرَّجلُ؛ إذا رجعَ يُقاتلُ بعدَ أن ولَّى.

وقيل: عَقَّبَ: رجعَ على عقِبَيه.

وقيل: معناه: لم ينتظِرْ.

﴿يَٰمُوسَىٰ لَا تَخَفْ﴾؛ أي: نُودِيَ بها ﴿إِنِّي لَا يَخَافُ لَدَيَّ ٱلْمُرْسَلُونَ﴾ المعنى: لا يخافُ المُرسلون في الموضعِ الذي يُوحَى فيه إليهم؛ لأنَّ المُرسلين أخوَفُ منَ الله من غيرِهم.

***

(١١) - ﴿إِلَّا مَن ظَلَمَ ثُمَّ بَدَّلَ حُسْنًا بَعْدَ سُوٓءٍ فَإِنِّي غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾.

﴿إِلَّا مَن ظَلَمَ﴾ في الاستثناءِ ثلاثةُ أقوالٍ:

أحدُها: مُتَّصِلٌ، وظُلمُهم ذنبُهم قبل النُّبوَّةِ، وقيل: هو الصَّغيرةُ سُمِّيت ظُلمًا، وتقديرُه: لا يخافُ لديَّ المُرسَلون إلّا رسولٌ ظَلَمَ.

الحسنُ: قال الله تعالى لموسى: إنَّما أخفتُكَ لقتلِكَ القِبْطيَّ[١].

قولُه: ﴿ثُمَّ بَدَّلَ حُسْنًا بَعْدَ سُوٓءٍ﴾ على هذا القولِ مُستأنفٌ؛ أي: ومَن أذنبَ ثمَّ تابَ ﴿فَإِنِّي غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾. وقيل: ﴿ثُمَّ بَدَّلَ﴾ متَّصلٌ بالأوَّلِ على هذا القولِ، والتَّقديرُ: وإنْ[٢] بدَّلَ حُسنًا بعد سوءٍ.

والثّاني: الاستثناءُ منقطعٌ، والتَّقديرُ: لا يخافُ لديَّ المُرسَلون إنَّما يخافُ الظّالمون، ثمَّ استثنَى من الظالمين فقال: ﴿إِلَّا مَن ظَلَمَ ثُمَّ بَدَّلَ حُسْنًا بَعْدَ سُوٓءٍ﴾.

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (١٨/ ١٦).

(٢) في (ن): «إن».

والثّالثُ: هذا اعتراضٌ بين العطفِ والمعطوفِ، والتَّقديرُ: لا يخافُ لديَّ المرسلون وأدخل يدكَ في جيبك[١].

وقيل: ﴿إِلَّا﴾ بمعنى: ولا، وهو بعيدٌ.

***

(١٢) ـ ﴿وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ فِي تِسْعِ آيَاتٍ إِلَى فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ﴾.

﴿وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ﴾ وكان مِدْرَعةَ صُوفٍ لا كُمَّ لها.

وقيل: ﴿فِي جَيْبِكَ﴾؛ أي: قميصِكَ؛ لأنَّه يُجابُ؛ أي: يُقْطَعُ.

﴿تَخْرُجْ بَيْضَاءَ﴾ لها شعاعٌ كشُعاعِ الشَّمسِ ﴿مِنْ غَيْرِ سُوءٍ﴾: برَصٍ وآفَةٍ.

قيل: كانت إحدَى يدَيه بيضاءَ.

وقيل: كِلتا يدَيه بيضاوانِ[٢].

﴿فِي تِسْعِ آيَاتٍ﴾: في جملةِ تسعِ آياتٍ.

وقيل: من تسعِ آياتٍ تُعطَى تمامَها.

وقيل: مع تسعِ آياتٍ، وهذا ضعيفٌ؛ لأنَّ الآياتِ تصيرُ عشرًا، وقد جاءَ في الأُخرَى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى تِسْعَ آيَاتٍ﴾ [الإسراء: ١٠١]، وقيل: اليدُ والعصا غيرُ التِّسعِ؛ فإنَّها كانت بمصرَ وهذه بالشَّامِ.

﴿إِلَى فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِ﴾؛ أي: مبعوثًا إلى فرعونَ، أو: مُرسلًا، فحُذِفَ لأنَّ أوَّلَ الكلامِ دلَّ عليه.

---

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٨٤٣)، واستغربه.

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٨٤٤)، واستغربه.

﴿إِنَّهُمْ﴾: فرعونَ وقومَه ﴿كَانُوا۟ قَوْمًا فَٰسِقِينَ﴾: خارِجين عن أمرِ الله كافرين.

***

(١٣ ـ ١٤) ـ ﴿فَلَمَّا جَآءَتْهُمْ ءَايَٰتُنَا مُبْصِرَةً قَالُوا۟ هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿١٣﴾ وَجَحَدُوا۟ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾.

﴿فَلَمَّا جَآءَتْهُمْ ءَايَٰتُنَا﴾؛ أي: جاءَهُم موسى باليدِ والعصا ﴿مُبْصِرَةً﴾: مُنيرةً، تقولُ: أبصرَ النَّهارُ: أضاءَ.

وقيل: ﴿مُبْصِرَةً﴾: تجعلُهم بُصراءَ.

وقيل: جاعلةً لهم بصائرَ.

وقيل: تُبصِّرُ الحقَّ منَ الباطلِ.

وقيل: تُبصِّرُ مَن ينظُرُ إليها.

وقيل: مُبصَرًا بها، فاعلٌ بمعنى مفعولٍ، كماءٍ دافقٍ، وعيشةٍ راضيةٍ[١].

﴿قَالُوا۟ هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿١٣﴾ وَجَحَدُوا۟ بِهَا﴾ ولم يُقِرُّوا، ولا يكونُ الجحودُ إلّا من علمٍ منَ الجاحدِ، وأصلُ الجحدِ: قلّةُ الخيرِ. وفي الباءِ قولانِ:

أحدُهما: زيادةٌ، كقولِ الشّاعرِ:

نضرِبُ بالسَّيفِ ونرجو بالفَرَجْ[٢]

والثّاني: باء السَّببِ؛ أي: أزالوا الخيرَ عنهم بسببِ ردِّهم آياتِ الله وتكذيبِهم حاملَها[٣].

---

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٨٤٤)، واستغربه.

(٢) الرجز للنابغة الجعدي. انظر: «ديوانه» (ص: ٢١٦)، وفيه: نضرب بالبيض، وقبله:

نحن بنو جعدة أصحاب الفلج

(٣) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٨٤٤)، واستغربه.

﴿وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ﴾: عرَفَتْها وتحقَّقَتْ أنَّها من عندِ الله، وتيقَّنَتْ واستيقَنَتْ بمعنًى واحدٍ.

﴿ظُلْمًا﴾ لأنفُسِهم ﴿وَعُلُوًّا﴾: ترفُّعًا وأنَفةً من اتِّباعِ موسى.

والتَّقديرُ: وجحَدُوا بها ظُلْمًا وعُلُوًّا واستيقَنَتْها. والواوُ في: ﴿وَاسْتَيْقَنَتْهَا﴾ واوُ الحالِ، و﴿ظُلْمًا وَعُلُوًّا﴾ مفعولٌ له، والعاملُ فيها ﴿وَجَحَدُوا﴾.

﴿فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ﴾؛ أي: كان الإغراقَ في الدُّنيا والإحراقَ في الأُخرى.

***

(١٥) - ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ عِلْمًا وَقَالَا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي فَضَّلَنَا عَلَى كَثِيرٍ مِّنْ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ﴾.

﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا﴾: أعطَيْنا ﴿دَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ عِلْمًا﴾؛ أي: علمًا بالدِّينِ والحكمِ.

وقيل: فهمًا.

وقيل: هو بسمِ الله الرَّحمنِ الرَّحيمِ[1].

وقيل: علمَ منطقِ الطَّيرِ.

وقيل: علمَ الكيمياءِ، وهو ضعيفٌ، حكاه الماورديُّ[2].

﴿وَقَالَا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي فَضَّلَنَا عَلَى كَثِيرٍ مِّنْ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ أي: وأُلْهِما[3] الشُّكرَ وعُرِّفا

---

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٨٤٤)، واستغربه.

(٢) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٤/ ١٩٨) وقال: «وهو شاذ»، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٨٤٤)، وعدَّه من العجائب.

(٣) في (ف): «فألهما».

إنعامَ الله عليهما فحمِداه على ذلك، وأرادَ بالمُؤمنين: مُؤمني زمانِهم، ومَن لـم يُؤتَ مثلَ ذلك منَ الأنبياءِ.

***

(١٦) ـ ﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَٰنُ دَاوُۥدَ وَقَالَ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ عُلِّمْنَا مَنطِقَ ٱلطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَيْءٍ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْمُبِينُ﴾.

﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَٰنُ دَاوُۥدَ﴾ قيل: النُّبوةَ، وزيَّفه قومٌ، وقالوا: النُّبوّةُ لا تُورَثُ.

وقيل: المالَ، وزيَّفَه قومٌ، وقالوا: قالَ النَّبيُّ ﷺ: «إنَّا معاشرَ الأنبياءِ لا نُورَثُ، ما تركناه صدَقةٌ»[1].

وقيل: الملكَ والعلمَ، وكان له سبعةَ عشرَ ولدًا لـم يَرِثْ[2] أحدٌ ملكَه إلا سلَّيمانُ عليه السَّلامُ.

وقيل: استَخْلَفَه في حياتِه على بني إسرائيلَ، وكانت في ولايتِه الوراثةُ.

﴿وَقَالَ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ عُلِّمْنَا مَنطِقَ ٱلطَّيْرِ﴾ النُّطـقُ اسـتعارةٌ في غيرِ بني آدمَ، وحَسُـنَ هاهنـا لأنَّ سـليمانَ عليـه السَّـلامُ فهِمَ معنـى صوتِ الطَّيـرِ فجرى فـي حقِّه مَجرى النُّطقِ.

---

(١) رواه البخاري (٤٠٣٥)، ومسلم (١٧٥٨) عن عائشة رضي الله عنها بلفظ: «لا نورث ما تركنا صدقة».

ورواه النسائي في «السنن الكبرى» (٦٢٧٥) عن عمر رضي الله عنه بلفظ: «إنا معشر الأنبياء لا نورث، ما تركنا فهو صدقة». قال ابن حجر في «التلخيص الحبير» (٣/ ٢١٥): «وإسناده على شرط مسلم».

(٢) في (ف): «يؤت».

وقيل: كانتِ الطَّيرُ تُكلِّمُه مُعجزةً له، كقصَّةِ الهدهدِ.

وقيل: يجوزُ أن يُسمَّى صوتُ الطَّيرِ منطقًا؛ لأنَّ لبعضِها كلامًا مفهومًا كالببَّغاءِ والطُّوطيِّ[1].

وقيل: لـمَّا فهِمَ مُرادَها بأصواتِها سُمِّيَ منطقًا.

﴿وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَيْءٍ﴾ أي: عِلْمَ كلِّ شيءٍ احتَجْنا إليه.

وقيل: من كلِّ شيءٍ يُؤتَى الأنبياءُ.

وقيل: من كلِّ شيءٍ يطلبُه طالبُ حاجةٍ.

وقيل: من كلِّ شيءٍ منَ الخيراتِ.

وقيل: فهِمَ ما يُسبِّحُ به الطَّيرُ فحسبُ.

وقيل: من كلِّ شيءٍ يُؤتَى البشرُ.

﴿إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ الْفَضْلُ الْمُبِينُ﴾ لا يخفى على أحدٍ.

* * *

(١٧) - ﴿وَحُشِرَ لِسُلَيْمَانَ جُنُودُهُ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ وَالطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ﴾.

﴿وَحُشِرَ﴾: جُـمِعَ ﴿لِسُلَيْمَانَ﴾ في مسيرِه ﴿جُنُودُهُ﴾: جَمْعُ جُندٍ.

المُبرِّدُ: الجندُ لا يُجمَعُ، وإنَّما قال: الجنود؛ لاختلافِ أجناسِ عساكرِه[2].

﴿مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ وَالطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ﴾؛ أي: وعليهم وَزَعةٌ تحبسُ أوَّلَـهم على

---

(١) قوله: «الطوطي» نقل الدميري في «حياة الحيوان» (٢/ ١٣٣) عن الغزالي: أنه الببغاء، فلعله نوع من الببغاوات؛ فإنها ليست جميعاً على شكل واحد.

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٨٤٥)، واستغربه.

آخرِهم؛ أي: يُدفَعُ أُخراهم ويُوقَفُ أُولاهُم ليتَلاحَقُوا، وكان سليمانُ عليه السَّلامُ يسيرُ فيهم ليكونَ أهيَبَ له.

عن محمَّدِ بنِ كعبٍ قالَ: كانَ مُعسكرُه مئةَ فرسخٍ، رُبعٌ للإنسِ، ورُبعٌ للجنِّ، ورُبعٌ للطَّيرِ، ورُبعٌ للوحشِ(١).

والوَزْعُ: المنعُ، ومنه: لا بدَّ للنَّاسِ من وَزَعةٍ.

وقيل: منَ التَّفريقِ، ومنه التَّوزيعُ، والنَّاسُ أوزاعٌ؛ أي: مُتفرِّقون.

***

(١٨) ـ ﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَوۡاْ عَلَىٰ وَادِ ٱلنَّمۡلِ قَالَتۡ نَمۡلَةٞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّمۡلُ ٱدۡخُلُواْ مَسَٰكِنَكُمۡ لَا يَحۡطِمَنَّكُمۡ سُلَيۡمَٰنُ وَجُنُودُهُۥ وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ﴾.

﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَوۡاْ عَلَىٰ وَادِ ٱلنَّمۡلِ﴾؛ أي: سارُوا حتَّى إذا بلَغُوا وادِيَ النَّملِ، وهو وادٍ بالشَّامِ عند الجمهورِ.

ورَوَى الثَّعلبيُّ: أنَّ سليمانَ مرَّ بوادي السَّديرِ؛ وادٍ منَ الطَّائفِ، فأتى على وادِ النَّملِ(٢).

ومعنى وادِ النَّملِ: يكثرُ فيه النَّملُ، كما تقولُ: بلادُ التَّمرِ، وبلادُ الثَّلجِ؛ إذا كثُرَ فيها ذلك، وذكر الزَّجَّاجُ أنَّ تلك النَّملَ كانت كالذُّبابِ(٣).

الشَّعبيُّ: كانت النَّملةُ التي فهمَ سليمانُ كلامَها ذاتَ جناحَين، وكانت منَ الطَّيرِ، فلذلك علِمَ منطِقَها(٤).

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (١٨/ ٢١)، والثعلبي في «تفسيره» (٢٠/ ١٩٧).

(٢) انظر: «تفسير الثعلبي» (٢٠/ ٢٠٢) ورواه عن كعب رضي الله عنه.

(٣) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٤/ ١١٢).

(٤) رواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٩/ ٢٨٥٧)، وذكره الثعلبي في «تفسيره» (٢٠/ ٢٠٣).

مُقاتلٌ: سمعَ كلامَها من ثلاثةِ أميالٍ(١)؛ حملتـ[ـه](٢) الرِّيحُ إليه.

﴿قَالَتْ نَمْلَةٌ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّمْلُ ٱدْخُلُوا۟ مَسَٰكِنَكُمْ﴾ لمَّا وصفَ النَّملَ بالمُخاطبةِ، وهي من أفعالِ العقلاءِ، وصفَها كما يُوصَفُ العقلاءُ.

﴿لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَٰنُ وَجُنُودُهُۥ﴾ في الظَّاهرِ نهيٌ لسليمانَ عن الحَطْمِ، وفي الحقيقةِ نهيٌ لهنَّ عن البُروزِ والوقوفِ، فصار كقولِ القائلِ: لا أَرَيَنَّك هاهنا؛ أي: لا تحضُرْ هذا الموضعَ.

الفَرَّاءُ: فيه معنى الجزاءِ، وهذا القولُ يدفعُه نونُ التَّأكيدِ؛ لأنَّه من ضروراتِ الشِّعرِ(٣).

قال بعضُ المُفسِّرين: يجوزُ أن يكونَ الله ألهمَها الحذرَ والتَّحذيرَ ممَّا يضرُّها، فلما رأتِ العساكرَ حذَّرَتْ صواحِبَها، فسمَّى الله ذلك قولًا؛ لأنَّ كلَّ إبانةٍ عمَّا في الضَّميرِ قولٌ، فأوحى الله إلى سليمانَ بما كان منها، قال(٤): وكذلك نقيقُ الدِّيكِ بالدَّجاجةِ يُحذِّرُها منَ الشَّيءِ يَقصِدُها، فتعلَمُ أنَّه دعاهُنَّ؛ أي: تَعالَيْن.

---

(١) انظر: «تفسير مقاتل» (٣/ ٢٩٩).

(٢) في النسختين الخطيتين: «حملت»، ولعل الصواب المثبت، فقد ذكر أبو حيان في «البحر المحيط» (٨/ ٢١٩) عن الضحاك: «بلَّغته الريح كلامها».

(٣) انظر: «معاني القرآن» للفراء (١/ ١٦٢)، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٨٤٥)، وعدَّه من العجائب. وقد اختصره المصنف، ولفظه: «وقد يكون جزم الثاني إذا كانت فِيهِ (لا) على نية النهي وفيه معنى من الجزاء كما كان في قوله: ﴿وَلْنَحْمِلْ خَطَٰيَٰكُمْ﴾ [العنكبوت: ١٢] طرف من الجزاء وهو أمر، فمن ذلك قول الله تبارك وتعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّمْلُ ٱدْخُلُوا۟ مَسَٰكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَٰنُ وَجُنُودُهُۥ﴾ المعنى والله أعلم: إن لا تدخلن حطمتن، وهو نهي محض؛ لأنه لو كان جزاء لم تدخله النون الشديدة ولا الخفيفة، ألا ترى أنك لا تقول: إن تضربني أضربنك إلا فِي ضرورة شعر».

(٤) «قال»: ليس في (ف).

وقيل: بل فهمَ كلامَ النَّملِ كما فهمَ كلامَ الهدهدِ، وكان يفهمُ كلامَ جميعِ الطُّيورِ.

عن كعبٍ قال: صاحَ وَرَشانٌ(١) عند سليمانَ عليه السَّلامُ، فقال سليمانُ: تدرونَ ما يقولُ؟ قالوا: لا، قال إنَّه يقولُ: لِدُوا للموتِ وابنُوا للخرابِ.

وصاحَ طاووسٌ عند سليمانَ فقال: إنَّه يقولُ: كما تَدينُ تُدانُ.

قال: والهدهدُ يقولُ: مَن لا يَرحَمُ لا يُرحَمُ.

وصاحَ خُطَّافٌ فقال: إنَّه يقولُ: قدِّموا خيرًا تجِدوه.

وهدرَ حمامةٌ فقالَ: يقولُ: سبحانَ ربِّي الأعلى مِلءَ سمائِه وأرضِه.

قال: والقَطا يقولُ: مَن سكَتَ سلِمَ.

والبَبغاءُ يقولُ: وَيلٌ لمَن الدُّنيا همُّه.

والضِّفدعُ يقولُ: سبحانَ ربِّي القُدُّوس.

والضِّفدعةُ تقولُ: سبحانَ المذكورِ بكلِّ مكانٍ.

قال: والحِدَأُ يقولُ: كلُّ شيءٍ هالكٌ إلا وجهَه(٢).

وعن فَرْقدٍ السَّبَخيِّ قال: مرَّ سليمانُ ببلبلٍ يُحرِّكُ رأسَه ويُميلُ ذنَبَه فقال: إنَّه يقولُ: أكلتُ نصفَ تمرةٍ فعلى الدُّنيا العَفاءُ(٣).

وعن الحسنِ قال: قال رسولُ الله ﷺ: «الدِّيكُ إذا صاحَ يقولُ: اذكروا الله يا غافِلون»(٤).

---

(١) طائر شبه الحمام. انظر: «معجم متن اللغة» مادة: (و ر ش).

(٢) رواه الثعلبي في «تفسيره» (٢٠/ ١٨٦) من طريق الكلبي عن رجل عن كعب الأحبار، وذكره عن كعب أيضاً البغوي في «تفسيره» (٦/ ١٤٨) وهو من أقاصيص أهل الكتاب.

(٣) رواه أبو الشيخ في «العظمة» (٥/ ١٧٣٩)، وذكره الثعلبي في «تفسيره» (٢٠/ ١٨٥).

(٤) رواه الثعلبي في «تفسيره» (٢٠/ ١٩٢)، والواحدي في «الوسيط» (٣/ ٣٧١).

وصاحَ صُرَدٌ فقال: يقولُ: استغفِرُوا الله يا مُذنِبُون، فنهى رسولُ الله عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ عن قتلِه[1].

وعن جعفرٍ الصَّادقِ عن أبيه عن جدِّه قال: يقولُ النَّسرُ: يا ابنَ آدمَ عِشْ ما شئتَ فإنَّ آخرَه الموتُ.

قال: وإذا صاحَ العُقابُ يقولُ: في البُعدِ منَ النّاسِ أُنسٌ.

قال: وإذا صاحَ الخُطَّافُ يقرأُ: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾، فإذا بلغَ ﴿ٱلضَّآلِّينَ﴾ مدَّه كما يمدُّ القارئُ[2].

وهذه كلماتٌ ذكرَها الثَّعلبيُّ وغيرُه منَ المُفسِّرين فروَيتُها، وكلُّها حِكَمٌ، والله أعلمُ بحقيقةِ ذلك.

قولُه: ﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ فيه قولانِ:

أحدُهما: أنَّه من تمامِ كلامِ النَّملةِ؛ أي: وهم لا يشعرون أنَّهم يحطِمُونكم.

والثّاني: أنَّه استئنافٌ؛ أي: فهِمَ سليمانُ، والقومُ لا يشعُرون.

* * *

(١٩) - ﴿فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِّن قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِيٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِيٓ أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾.

﴿فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِّن قَوْلِهَا﴾ مُتعجِّبًا من حذَرِها واهتِدائِها لمصالِحِها.

وقيل: ضحِكَ فرَحًا بظُهورِ عدلِه.

---

(١) رواه الثعلبي في «تفسيره» (٢٠/ ١٨٦)، وهو تتمة الخبر السابق عن كعب.

(٢) رواه الثعلبي في «تفسيره» (٢٠/ ١٩٤).

و(تبسَّمَ) بمعنى: بَسَمَ؛ إذا حرَّكَ شفتَه لابتداءِ الضَّحكِ، وضحِكَ؛ إذا ظهرَتْ سِنُّهُ مُبالغةً، فيكونُ ﴿ضَاحِكًا﴾ حالًا مُقدَّرةً.

قال المازنيُّ: ﴿ضَاحِكًا﴾ حال ليُعلَمَ أنَّه تبسُّمُ ضحِكٍ لا تبسُّمُ غضَبٍ.

﴿وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِيٓ﴾: حرِّضْني، وفلانٌ مُوْزَعٌ بكذا؛ أي: مُولَعٌ، مـنَ الوَزوعِ[1]، وهو الوُلُوعُ.

وقيل: علِّمْني، والإيزاعُ: إدخالُ الشَّيءِ إلى باطنِ الموزَعِ.

ابنُ عيسى: الإيزاعُ منَ الوَزْعِ؛ أي: ألهِمْني ما يمنعُ من ذهابِ الشُّكرِ عنِّي[2].

﴿أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِيٓ أَنْعَمْتَ عَلَيَّ﴾: النُّبوَّةَ والملكَ الذي لا ينبغي لأحدٍ من بعدي ﴿وَعَلَىٰ وَٰلِدَيَّ﴾ يُريدُ: داودَ بالنُّبوَّةِ، وتسبيحِ الجبالِ والطَّيرِ معَه، وصنعةِ اللَّبوسِ، وإلانةِ الحديدِ، وغيرِها، وعلى والدتي بأنْ جعَلْتَها زاكيةً طاهرةً، وجعَلْتَها زوجةً لنبيِّك، وأخرَجْتَني من بطنِها وأنا نبيُّك.

وذكرَ محمَّدُ بنُ إسحاقَ أنَّ أهلَ الكتابِ يزعُمونَ أنَّ أمَّ سليمانَ هـي امرأةُ أوريا التي امتُحِنَ بها داودُ بما امتُحِنَ، وأنَّه بعد موتِ زوجِها تزوَّجَها، حكاه القفَّالُ[3].

﴿وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ﴾ فيما استرعَيتَني، وقيل: ثبِّتْني على الشُّكرِ.

﴿وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾؛ أي: في الجنَّةِ مع الأنبياءِ، ولا يدخلُ الجنَّةَ أحدٌ إلا برحمتِكَ.

---

(١) في (ف): «الوزع». والوَزوع بالفتح هو الاسم والمصدر من وَزَعه وَزْعاً. انظر: «الصحاح» مادة: (و ز ع).

(٢) ذكره ابن فورك في «تفسيره» (١/ ٢٨٦) بلا نسبة.

(٣) ذكره نحوه الطبري في «تفسيره» (٢٠/ ٦٩) عن قتادة.

(٢٠) ـ ﴿وَتَفَقَّدَ ٱلطَّيْرَ فَقَالَ مَالِيَ لَآ أَرَى ٱلْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ ٱلْغَآئِبِينَ﴾.

﴿وَتَفَقَّدَ ٱلطَّيْرَ﴾ قال[1]: والتَّفقُّدُ: طلبُ ما غابَ عنك؛ يعني: تعرَّفَ الطَّيرَ فلم يجِدْ فيها الهدهدَ.

﴿فَقَالَ مَالِيَ لَآ أَرَى ٱلْهُدْهُدَ﴾ قيل: كان الهدهدُ مُهندسَه يدُلُّه على موضعِ الماءِ، وعلى مقدارِ عُمقِ الموضعِ، وكانت الأرضُ له مثلَ الزُّجاجةِ يرى ما تحتَها، وكان يضعُ منقارَه في الأرضِ فيُخبِرُهم بُعْدَ الماءِ وقُربَه، فاحتاجَ إلى معرفةِ ذلك في بعضِ منازلِه فلم يجدْه، فقال هذا القولَ.

وذكرَ المُفسِّرون أنَّ نافعَ بنَ الأزرقِ قال لابنِ عبَّاسٍ رضي الله عنهما: كيف علِمَ هدهدٌ قربَ الماءِ في الأرضِ وهو لا يعلمُ الفخَّ حتَّى يأخذَ بعُنقِه؟ فقال ابنُ عبّاسٍ رضي الله عنهما: ويحكَ، ألـم تعلَمْ أنَّه إذا جاءَ القدَرُ ذهبَ البصرُ[2]؟

هذا السُّؤالُ غيرُ لازمٍ من وجهَين:

أحدُهما: أنَّه كان يعلمُ مواضعَ الماءِ، وليس الفخُّ منَ الماءِ فيَعلمَ مكانَه.

والثّاني: أنَّ هذا كان للهداهدِ في زمانِ سليمانَ مُعجزةً له، فلمَّا ماتَ زالَ.

وقيل: تفقَّدَ الغائبَ والحاضرَ من جُنودِه منَ الطَّيرِ وغيرِها في العَرْضِ، وكان يأتيه من كلِّ صنفٍ واحدٌ نَوبًا[3]، فلم يرَ الهدهدَ.

---

(١) قوله: «قال» كذا في النسختين، ولم يبين القائل من هو، ولعله المؤلف نفسه، أو أن اسم القائل سقط منهما، وقد قال به الخليل في «العين» (٥/ ١٢١)، والصاحب بن عباد في «المحيط في اللغة» (١/ ٤٦٣).

(٢) رواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٩/ ٢٨٥٩)، وذكره الثعلبي في «تفسيره» (٢٠/ ٢١٤)، والماوردي في «النكت والعيون» (٤/ ٢٠١).

(٣) أي: نيابة عن الباقين، والنَّوب والمناب والنِّيابة مصادر للفعل (ناب). انظر: «تاج العروس» مادة: (ن و ب) (٤/ ٣١٥).

وقيل: كانت الطُّيورُ تُظِلُّ فوقَ رأسِه حتَّى تستُرَه عن الشَّمسِ، فسقطتِ الشَّمسُ عليه من مكانِ الهدهدِ لمَّا غابَ، وكان الهدهدُ يسترُ منكبَه الأيمنَ منَ الشَّمسِ، فنظرَ إلى الطَّيرِ فوقَه فلم يجِدْه، فقال: ما لي لا أرى الهدهدَ أحاضرٌ ﴿أَمْ كَانَ مِنَ ٱلْغَآئِبِينَ﴾؟

وقيل: معناه: أزاغَ بصري عنه أم كانَ منَ الغائبين؟

وقيل: ﴿أَمْ﴾ بمعنى الألفِ، وتقديرُه: أكانَ منَ الغائبين؟

الكسائيُّ: ﴿أَمْ﴾ بمعنى (بل)، فيكونُ الكلامانِ تامَّين.

وقيل: ﴿كَانَ﴾ هاهنا بمعنى: صارَ.

وقيل: ﴿أَمْ كَانَ مِنَ ٱلْغَآئِبِينَ﴾ قبل هذا ولـم أشعُرْ به.

ويحتمِلُ أنَّه من المقلوبِ، وتقديرُه: ما للهُدهدِ لا أَراه(١).

***

(٢١) - ﴿لَأُعَذِّبَنَّهُۥ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَاْذْبَحَنَّهُۥٓ أَوْ لَيَأْتِيَنِّي بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ﴾.

﴿لَأُعَذِّبَنَّهُۥ عَذَابًا شَدِيدًا﴾ وكان عذابُه أن ينتِفَ ريشَه فيدعَه في الشَّمسِ.

وقيل: ينتِفُ ريشَه ويُلقيه إلى النَّملِ.

وقيل: يجعلُه في القفَصِ.

وقيل: يجمعُه مع مَن ليس من جنسِه(٢).

وقيل: أُبعِدُه من خدمَتي.

---

(١) ذكر المصنف القولين الأخيرين في «غرائب التفسير» (٢/ ٨٤٦)، واستغربهما.

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٨٤٧)، وعدَّه من العجائب.

﴿أَوْ لَأَاْذْبَحَنَّهُۥٓ﴾ ثمَّ استثنى سليمانُ[1] فقال: ﴿أَوْ لَيَأْتِيَنِّي بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ﴾: بحجَّةٍ يكونُ له فيها عذرٌ.

***

(٢٢) - ﴿فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍۭ بِنَبَإٍ يَقِينٍ﴾.

﴿فَمَكَثَ﴾؛ أي: الهدهدُ بعد تفقُّدِ سليمانَ إيَّاه ﴿غَيْرَ بَعِيدٍ﴾: زمانًا غيرَ طويلٍ ثمَّ عادَ.

الزَّجَّاجُ: إلى غيرِ وقتٍ بعيدٍ[2].

وقيل: مكثَ سليمانُ بعد تفقُّدِه وتوعُّدِه غيرَ طويلٍ حتَّى رجعَ الهدهدُ[3].

وقيل: وعاد الهدهدُ ﴿فَمَكَثَ﴾؛ أي: وقفَ مكانًا ﴿غَيْرَ بَعِيدٍ﴾ من سليمانَ[4].

﴿فَقَالَ أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ﴾: علمْتُ من حالِ سبأ ما لم تعلَمْه، والإحاطةُ: العلمُ بالشَّيءِ من جميعِ جهاتِه.

﴿وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍۭ بِنَبَإٍ يَقِينٍ﴾: بخبرٍ صدقٍ مُحقَّقٍ، وسبأُ: اسمُ مدينةٍ تُعرفُ بمأرِبَ من اليمنِ، وبينَها وبين صنعاءَ مسيرةُ ثلاثةِ أيامٍ.

وقيل: حيٌّ منَ اليمنِ.

وعن النَّبيِّ ﷺ أنَّه قالَ: «سبأُ اسمُ رجلٍ له عشرةُ بنينَ؛ ستَّةٌ منهم بسبأٍ وأربعةٌ بالشَّامِ؛ فالسِّتةُ: حِميرُ، وكِندةُ، والأَزْدُ، والأشعَريُّونَ، وخَثْعَمُ، وبَجِيلةُ.

---

(١) «سليمان» من (ف).

(٢) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٤/ ١١٣).

(٣) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٨٤٧)، واستغربه.

(٤) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٨٤٧)، وعدَّه من العجائب.

والأربعُ: لَـخْمٌ، وجُـذامٌ، وعاملـةُ، وغسَّـانُ»[١]، وكانَ رجُلًا مـن قحطانَ.

وقيل: كان اسمُه عبدَ شمسٍ لحسنِه.

وقيل: عامرٌ، وسمِّي سبأً لأنَّه أوَّلُ مَن سَبَا.

وذكر المُفسِّرون أنَّ سببَ غيبتِه: أنَّه لقيَ هُدهدًا من سبأ، فقالَ له: أين يبلغُ ملكُ صاحبِكَ من ملكِ صاحبِنا؟ قال: فكأنَّها أعظمُ ملكًا من صاحبِنا؟ فقال: نعم، اخرُجْ معي حتَّى ترى. فقال: لعلَّ سليمانَ يطلبُني. قال: إنَّك ترجعُ إليه قبل أن يطلُبَك، فخرجَ معه إلى سبأ[٢].

***

(٢٣) - ﴿إِنِّي وَجَدتُّ ٱمۡرَأَةٗ تَمۡلِكُهُمۡ وَأُوتِيَتۡ مِن كُلِّ شَيۡءٖ وَلَهَا عَرۡشٌ عَظِيمٞ﴾.

﴿إِنِّي وَجَدتُّ ٱمۡرَأَةٗ تَمۡلِكُهُمۡ﴾: تملكُ التَّصرُّفَ فيهم وتَلِي عليهم، هي بلقيسُ بنتُ شُراحِيلَ، وقيل: بنتُ شَراحِيلَ بنِ مالكِ بنِ الرَّيَّانِ، وأُمُّها يزعُم بعضُهم أنَّها[٣] فارِعةُ الجِنِّيةُ.

﴿وَأُوتِيَتۡ مِن كُلِّ شَيۡءٖ﴾ من أنواعِ الدُّنيا.

---

(١) رواه الترمذي (٣٢٢٢) من حديث فروة بن مسيك رضي الله عنه بلفظ: «ليس بأرض ولا امرأة، ولكنه رجل ولد عشرة من العرب، فتيامن منهم ستة، وتشاءم منهم أربعة. فأما الذين تشاءموا: فلخم، وجذام، وغسان، وعاملة، وأما الذين تيامنوا: فالأزد، والأشعريون، وحمير، ومذحج، وأنمار، وكندة». وقال الترمذي: «حسن غريب».

ورواه الإمام أحمد في «المسند» (٢٨٩٨)، والحاكم في «المستدرك» (٣٥٨٥) وصححه، من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.

(٢) ذكر نحوه الجرجاني في «درج الدرر» (٣/ ١٣٣٥).

(٣) «أنها»: ليس في (ف).

وقيل: من كلِّ شيءٍ بأرضِها.

وقيل: من كلِّ شيءٍ احتاجَتْ إليه في ملكِها.

﴿وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ﴾: سريرٌ كبيرٌ.

وقيل: حسنُ الصَّنعةِ، وكان معمولًا من ذَهَبٍ، وقوائمُه من لؤلؤٍ وجواهرَ.

وقيل: كانَ طولُه ثمانين ذراعًا، وكان عليه منَ الفُرُشِ ما يليقُ به.

وقيل: كانت تخدُمُها ستُّ مئةِ امرأةٍ أحرارٍ.

وقيل: ﴿وَلَهَا عَرْشٌ﴾؛ أي: مُلْكٌ(١)، وهذا ضعيفٌ؛ لقولِه: ﴿أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا﴾ [النمل: ٣٨]، وهو الكرسيُّ.

***

(٢٤) - ﴿وَجَدتُّهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ﴾.

﴿وَجَدتُّهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ الحسنُ: كانُوا مجوسًا(٢).

﴿وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ﴾ التي كانوا عليها ﴿فَصَدَّهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ﴾: عن سبيلِ التَّوحيدِ والحقِّ الذي يجبُ أن يسلُكوه؛ إذ لا سبيلَ غيرُه، ﴿فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ﴾ إلى الحقِّ.

***

(٢٥) - ﴿أَلَّا يَسْجُدُوا۟ لِلَّهِ ٱلَّذِى يُخْرِجُ ٱلْخَبْءَ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ﴾.

﴿أَلَّا يَسْجُدُوا۟ لِلَّهِ﴾ أي: فصدَّهم ألَّا يسجُدوا لله.

---

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٨٤٧)، وعدَّه من العجائب.

(٢) ذكره يحيى بن سلام في «تفسيره» (٢/ ٥٤٠)، وابن أبي زمنين في «تفسيره» (٣/ ٢٩٩).

وقيل: وزَيَّنَ لهم ألّا يسجُدوا، فيكونُ بدلًا من ﴿أَعْمَـٰلَهُمْ﴾[١].

وقيل: فهم لا يهتَدون ألّا يسجُدوا لله، فيكونُ ﴿لا﴾ زيادةً، وكذلك إذا جعلتَه مُتعلِّقًا بالصَّدِّ[٢].

وقيل: فصدَّهُم لأنْ لا يسجُدوا، فحينَئذٍ واقعٌ موقعَه غيرُ زائدٍ.

وقرأ الكسائيُّ ﴿أَلَا يَسْجُدُوا﴾ بالتَّخفيفِ[٣]، والتَّقديرُ: ألَا يا قومِ اسجُدوا، فحُذِفَ المُنادى، كما أنشدَه سيبويهِ:

يا لـعـنـةُ اللهِ والأقـوامِ كـلِّـهـمُ ... والصَّالحينَ على سِمعانَ من جاري[٤]

أرادَ: يا قومِ، فحُذِفَ ألفُ الوصلِ وألفُ (يا) لالتقاءِ السَّاكنَين، فلمَّا حُذِفا منَ اللَّفظِ حُذِفا منَ الخطِّ، ولا يجوزُ تعمُّدُ الوقفِ عليه؛ لأنَّه يُؤدِّي إلى مُخالفةِ المُصحفِ، وذلك غيرُ جائزٍ بوجهٍ.

ومَن قرأ بلفظِ الأمرِ فهو استئنافُ كلامٍ منَ الله.

وقيل: مُتَّصلٌ بكلامِ الهدهدِ.

وقيل: هو من كلامِ سليمانَ عليه السَّلامُ[٥].

---

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٨٤٧)، واستغربه.

(٢) على معنى: فصدّهم ألا يسجدوا، أو عن ألا يسجدوا.

(٣) يعني: خفف (ألا) على أنها للتنبيه، ووقف على (يا)، وكان يبتدئ: (اسجدوا) على الأمر. انظر: «السبعة» (ص: ٤٨٠)، و«التيسير» (ص: ١٦٧).

(٤) انظر: «الكتاب» (٢/ ٢١٩)، والبيت بلا نسبة في: «الكامل» (٣/ ١٩٨)، و«الأصول في النحو» (١/ ٣٥٤)، و«الوقف والابتداء» لأبي بكر الأنباري (١/ ١٧٢)، والمعنى: كأنه قال: لعنةُ الله على سمعان، فدخول (يا) كدخول (ألا) للتنبيه في هذا الموضع. انظر: «شرح الكتاب» للسيرافي (٥/ ١٠١). ولم تُنصب اللعنة، لأنه لم يناد اللعنة إنما نادى غير اللعنة. انظر: «الإبانة» للعوتبي (٤/ ١٧٨).

(٥) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٨٤٨)، واستغربه.

وقوله ﴿ٱلَّذِى يُخْرِجُ ٱلْخَبْءَ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ أي: القطرَ منَ السَّماءِ، والنَّباتَ منَ الأرضِ، فيكونُ ﴿فِى﴾ بمعنى (مِنْ).

وقيل: الخبْءَ الذي في السَّماواتِ، فحُذِفَ (الذي)، فصارَ حالًا[1].

والخبْءُ: ما خبَأْتَه.

وقيل: ﴿يُخْرِجُ ٱلْخَبْءَ﴾ أي: يعلمُ غيبَ السَّماواتِ والأرضِ[2].

﴿وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ﴾: يعلمُ ضمائرَكم وما تُظهِرونَه.

***

(٢٦) - ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ﴾.

﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ﴾ أعظمُ شيءٍ خلقَه الله.

وقيل: العظيمُ: عظيمُ الشَّأنِ.

وقيل: العرشُ: المملكةُ.

ومَن قرأ «ألّا» بالإدغامِ حَسُنَ وقْفُه على ﴿تُعْلِنُونَ﴾، ثمَّ يستأنفُ ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾، فيكونُ حكمُه حكمَ مَن قرأ «ألَا» بالتَّخفيفِ[3].

***

(٢٧) - ﴿قَالَ سَنَنظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ﴾.

﴿قَالَ سَنَنظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ﴾؛ أي: قال سليمانُ عليه السَّلامُ: سنعرِفُ[4] أصدَقْتَ فيما أخبَرْتَ به فتكونَ معذورًا في غَيبتِكَ، أم كنتَ منَ الكاذِبين

---

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٨٤٨)، وعدَّه من العجائب.

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٨٤٨)، وعدَّه من العجائب.

(٣) انظر: «القطع والائتناف» للنحاس (ص: ٤٩٩).

(٤) في (ف): «سنتعرف».

فيما أخبَرْتَ به فيحلَّ بك ما توعَّدْتُك؟ ثمَّ ذكرَ ما يَتعرَّفُ به صدقَ الهدهدِ فقالَ:

(٢٨) ـ ﴿ ٱذْهَب بِّكِتَٰبِى هَٰذَا فَأَلْقِهْ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ فَٱنظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ ﴾.

﴿ ٱذْهَب بِّكِتَٰبِى هَٰذَا فَأَلْقِهْ إِلَيْهِمْ ﴾: اطرَحْه إليهم؛ لأنَّه لا يتهيَّأُ له إيصالُه بيدِه، ﴿ ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ ﴾: تنحَّ عن ذلك الموضعِ فكُنْ قريبًا منهم بحيثُ تسمعُ ما يُجيبون عنه.

وقيل: فيه تقديمٌ وتأخيرٌ؛ أي: فألقِه إليهم، ﴿ فَٱنظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ ﴾، ثمَّ تولَّ عنهم[1].

وقيل: معنى ﴿ ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ ﴾: أسرعِ الانصرافَ.

وقيل: معنى ﴿ فَٱنظُرْ ﴾: فانتظِرْ.

قولُه: ﴿ مَاذَا يَرْجِعُونَ ﴾ قيل: يَردُّون.

وقيل: يُجيبون.

وقيل: يرجِعونَ بينَهم في الكلامِ.

فأخذَ الكتابَ بمِنقارِه ـ وقيل: علَّقَه في عُنقِه ـ فجاءَها حتَّى وقفَ على رأسِها وحولَها جنودُها، فرَفْرَفَ ساعةً ـ والنّاسُ ينظُرون إليه ـ حتَّى رفعَتْ رأسَها، فألقى الكتابَ في حجرِها.

وقيل: جاءَها فوافاها في قصرِها وقد غلَّقَتِ الأبوابَ ونامَتْ على فراشِها مُستلقيةً، فألقى الكتابَ على نحرِها.

وقيل: كانت في البيتِ كُوَّةٌ تقعُ الشَّمسُ فيها كلَّ يومٍ، فإذا نظرَتْ إليها سجدَتْ، فجاءَ الهدهد فَسَدَّ تلك الكُوّةَ وستَرَها بجناحَيه، فلمَّا رأت ذلك قامَتْ إليه، فألقى الكتابَ إليها، فأخذتِ الكتابَ وكانت قارئةً عربيَّةً من قومِ تُبَّعٍ.

***

---

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٨٤٨)، واستغربه.

(٢٩) ـ ﴿قَالَتْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟ إِنِّىٓ أُلْقِىَ إِلَىَّ كِتَٰبٌ كَرِيمٌ﴾.

﴿قَالَتْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟ إِنِّىٓ أُلْقِىَ إِلَىَّ كِتَٰبٌ كَرِيمٌ﴾ قيل: مختومٌ؛ لقولِه عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ: «كَرَمُ الكتابِ خَتْمُه»(١).

وقيل: كتابُ مَلِكٍ؛ لأنَّ الملوكَ كانوا يختمونَ كتبُهم.

وقيل: ﴿كَرِيمٌ﴾ مضمونُه.

وقيل: ﴿كَرِيمٌ﴾ حيثُ أتى به طيرٌ.

وقيل: ﴿كَرِيمٌ﴾: حقيقٌ بأن يُؤمَّلَ الخيرُ من جهتِه، تفرَّسَتْ في سليمانَ بطاعةِ الطَّيرِ له.

***

(٣٠ ـ ٣١) ـ ﴿إِنَّهُۥ مِن سُلَيْمَٰنَ وَإِنَّهُۥ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٣٠﴾ أَلَّا تَعْلُوا۟ عَلَىَّ وَأْتُونِى مُسْلِمِينَ﴾.

﴿إِنَّهُۥ﴾ إنَّ الكتابَ، هذا كلامُ بلقيسَ ﴿مِن سُلَيْمَٰنَ﴾ عنوانُ الكتابِ ﴿وَإِنَّهُۥ﴾ المكتوبَ ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٣٠﴾ أَلَّا تَعْلُوا۟ عَلَىَّ وَأْتُونِى مُسْلِمِينَ﴾ (أنْ) هي المُفسِّرةُ بمعنى: أي.

لا تعلوا عليَّ: لا تمتنِعُوا عليَّ.

وقيل: لا تَخالفوا عليَّ.

وقيل: لا تتكبَّروا وأطيعُوني.

---

(١) رواه الطبراني في «المعجم الأوسط» (٣٨٧٢)، والقضاعي في «مسند الشهاب» (٣٩)، من حديث ابن عباس رضي الله عنهما بلفظ: «كرامة الكتاب..». قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٨/ ٩٩): «فيه محمد بن مروان السدي الصغير، وهو متروك».

﴿وَأْتُونِي مُسْلِمِينَ﴾ مُنقادين.

وقيل: مُستسلِمِين.

وقيل: مُسلمين مُؤمنين داخلينَ في الإسلامِ.

الزَّجَّاجُ: قد رُوِيَ أنَّ عنوانَ الكتابِ: من عبدِ الله سليمانَ إلى بلقيسَ بنتِ شَراحيلَ، قال: وإنَّما كتبَ النَّاسُ: (مِن عبدِ الله)، أخذًا بكتابِ سليمانَ.

قال: ومعنى (لا تَعْلُوا عَلَيَّ): لا ترفَّعُوا عليَّ وإنْ كنتُم مُلوكًا[1].

ويجوزُ في ﴿أَلَّا تَعْلُوا﴾ الرَّفعُ على: [تقدير]: أُلقي إليَّ ألّا تَعلُوا[2]، ويجوزُ النَّصبُ: كتابٌ بألا تعلوا، والأحسنُ أن تكونَ مُفسِّرةً.

***

(٣٢) ـ ﴿قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي أَمْرِي مَا كُنتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّىٰ تَشْهَدُونِ﴾.

﴿قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي أَمْرِي مَا كُنتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّىٰ تَشْهَدُونِ﴾ فجمعَتْ أهلَ مشورتِها.

قال قتادةُ: كانوا ثلاثَ مئةٍ وثلاثةَ عشرَ رجلًا[3]، فقالت: يا أيُّها الملأُ، وهم الذين يملَؤون العينَ مهابةً والقلوبَ جلالةً.

وقيل: هم المَليئون بما يُرادُ منهم.

﴿أَفْتُونِي فِي أَمْرِي﴾: أشيروا عليَّ في الأمرِ الذي نزلَ بي.

والفتوى: الحكمُ بما هو صوابٌ، فجَعَلَتِ المشورةَ فتوى.

---

(١) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٤/ ١١٨).

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٨٤٩)، واستغربه.

(٣) ذكره ابن أبي زمنين في «تفسيره» (٣/ ٣٠٠)، والثعلبي في «تفسيره» (٢٠/ ٢٣٨).

﴿مَا كُنتُ قَاطِعَةً﴾: مُمضِيةً ﴿أَمْرًا حَتَّىٰ تَشْهَدُونِ﴾: تحضُرونِ.

وقيل: حتَّى تُشيروا عليَّ بما تستَصْوِبُونَه.

* * *

(٣٣) ـ ﴿قَالُوا۟ نَحْنُ أُو۟لُوا۟ قُوَّةٍ وَأُو۟لُوا۟ بَأْسٍ شَدِيدٍ وَٱلْأَمْرُ إِلَيْكِ فَٱنظُرِى مَاذَا تَأْمُرِينَ﴾.

﴿قَالُوا۟ نَحْنُ أُو۟لُوا۟ قُوَّةٍ﴾ لم يُشيروا بشيءٍ، بل قالوا: نحنُ أصحابُ الحروبِ والعَددِ والعُدَّةِ ﴿وَأُو۟لُوا۟ بَأْسٍ شَدِيدٍ﴾: شجاعةٍ ونجدةٍ، ﴿وَٱلْأَمْرُ إِلَيْكِ﴾: والرَّأيُ رأيُكِ، ﴿فَٱنظُرِى مَاذَا تَأْمُرِينَ﴾؛ فإنْ أمرتِنا بالحربِ والقتالِ قاتَلْنا، وإنْ أمرتِنا بالصُّلح صالَحْنا.

* * *

(٣٤) ـ ﴿قَالَتْ إِنَّ ٱلْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا۟ قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوٓا۟ أَعِزَّةَ أَهْلِهَآ أَذِلَّةً ۖ وَكَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ﴾.

﴿قَالَتْ إِنَّ ٱلْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا۟ قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا﴾؛ أي: إذا دخلُوا قريةً عَنوةً خَرَّبوها.

وقيل: استَولَوا على ساكنيها وأجلَوا عنها أهلَها.

﴿وَجَعَلُوٓا۟ أَعِزَّةَ أَهْلِهَآ أَذِلَّةً﴾: أخذُوا أموالَهم، وحَطُّوا أقدارَهم؛ ليستقيمَ أمرُهم.

وقيل: ﴿أَذِلَّةً﴾ بالقتلِ والأسرِ وأخذِ المالِ والقهرِ.

﴿وَكَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ﴾ فيه قولان:

أحدُهما: أنَّ هذا من كلامِ الله؛ أي: صَدَّقَها الله فقال: وكذلك يا محمَّدُ يفعلون، ويكونُ الضَّميرُ منَ (الملوكِ).

والثّاني: أنَّه من تمامِ كلامِها؛ أي: وكذلك يفعلُ سليمانُ، فيكونُ الضَّميرُ يعودُ إلى سليمانَ ومَن معه.

ابنُ بحرٍ: وكذلك يفعلُ جُنْدِي إن قصَدْتُ سليمانَ(١).

القفَّالُ: إنَّ الملوكَ قبلُ(٢): كانوا يفعلون كذا وكذلك اليوم.

***

(٣٥) - ﴿وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِم بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌۢ بِمَ يَرْجِعُ ٱلْمُرْسَلُونَ﴾.

﴿وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِم بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌۢ بِمَ يَرْجِعُ ٱلْمُرْسَلُونَ﴾؛ أي: رأيي أن أُرسِلَ إليهم بهديَّةٍ فأنظُرَ بمَ يرجعُ المُرسَلون؟ بقَبولِـها أم ردِّها؟ وإنَّما فَعَلَت ذلك لأنَّها عرفَتْ عادةَ الملوكِ وحُسنَ موقعِ الهدايا منهم؛ فإن كانَ ملكًا قبِلَها، وإنْ كانَ نبيًّا ردَّها.

ابنُ عبّاسٍ رضي الله عنهما: كانت الهديَّةُ لبِنةً من ذهبٍ(٣).

سعيدُ بنُ جُبيرٍ: جواهرَ(٤).

وقيل: صحائفَ الذَّهبِ في أوعيةِ الدِّيباجِ.

عكرمةُ في جماعةٍ: أهدَتْ ثمانين غلامًا وثمانين جاريةً على زيٍّ واحدٍ(٥).

وقيل: بدَّلت لباسَ الغلمانِ بلباسِ الجواري، وسألَتْ سليمانَ أن يُمَيِّزَ بين الغلمانِ والجواري، وبعثَتْ حُقَّةً فيها جواهرُ مثقوبةٌ وغيرُ مثقوبةٍ(٦).

وقد أكثَرُوا القولَ في هداياها، ولا فائدةَ في ذِكرِها، فتركتُها.

---

(١) في (ف): «قيل»، وهو تحريف.

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٨٤٩)، واستغربه.

(٣) رواه ابن أبي شيبة في «مصنفه» (٣١٨٦١)، وذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٤/ ٢٠٩).

(٤) رواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٩/ ٢٨٧٨)، وذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٤/ ٢٠٩).

(٥) رواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٩/ ٢٨٧٧) عن زهير بن محمد، وذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٤/ ٢٠٩).

(٦) ذكر الماوردي في «النكت والعيون» (٤/ ٢٠٩) عن مجاهد وعكرمة وابن جبير والسدي وزهير: «أنها أهدت غلماناً لباسهم لباس الجواري، وجواري لباسهم لباس الغلمان».

وبعثَتْ رُسلًا وأمَّرَتْ عليهم رجلًا يقالُ له: المُنذِرُ، ولهذا قال: ﴿بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ﴾.

الفرَّاءُ: كانَ الرسولُ امرأةً(١).

***

(٣٦) - ﴿فَلَمَّا جَاءَ سُلَيْمَانَ قَالَ أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٍ فَمَا آتَانِيَ اللَّهُ خَيْرٌ مِمَّا آتَاكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ﴾.

﴿فَلَمَّا جَاءَ سُلَيْمَانَ﴾ يعني: الرَّسولُ، وقيل: ما أهدَتْ وأرسلَتْ.

﴿قَالَ أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٍ﴾: أتزيدُونَني مالًا، خطابٌ للرُّسلِ فيمَن جعلَهم جماعةً.

ومَن جعلَ الرَّسولَ رجلًا واحدًا أو امرأةً قال: هذا خطابٌ للرَّسولِ والمُرسِلِ وأتباعِه، فجمَعَ، وغلَّبَ الخطابَ على الغيبةِ، وهو القياسُ.

أنْكَر عليهم إرسالَهم بالمالِ إليه وهو يدعوهم إلى الله وإلى الإسلامِ.

﴿فَمَا آتَانِيَ اللَّهُ﴾ منَ المُلكِ والنُّبوَّةِ والنِّعمةِ ﴿خَيْرٌ مِمَّا آتَاكُمْ﴾: أفضلُ وأكثرُ، ﴿بَلْ أَنْتُمْ بِهَدِيَّتِكُمْ﴾؛ أي: بما يُهدَى إليكم، وقيل: بهديَّتِكم هذه.

﴿تَفْرَحُونَ﴾ إعظامًا منكم لها(٢).

***

(٣٧) - ﴿ارْجِعْ إِلَيْهِمْ فَلَنَأْتِيَنَّهُمْ بِجُنُودٍ لَا قِبَلَ لَهُمْ بِهَا وَلَنُخْرِجَنَّهُمْ مِنْهَا أَذِلَّةً وَهُمْ صَاغِرُونَ﴾.

﴿ارْجِعْ﴾ أيُّها الرَّسولُ ﴿إِلَيْهِمْ﴾: إلى بلقيسَ وقومِها بما صحِبَكَ من الهديَّةِ.

---

(١) انظر: «معاني القرآن» للفراء (٢/ ٢٩٣)، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٨٤٩)، واستغربه.

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٨٤٩)، واستغربه.

ويحتمِلُ أنَّ التَّقديرَ: ارجِعْها، منَ الرَّجعِ، فحُذِفَ المفعولُ.

وقولُه: ﴿ٱرۡجِعۡ﴾ دليلٌ على أنَّ الرسولَ كان واحدًا، وكان[1] المُتكلِّمُ منهم واحدًا.

وذكرَ أقضى القُضاةِ أنَّ المُخاطبَ هاهنا الهدهدُ؛ أي: ارجعْ إليهم قائلًا لهم: ﴿فَلَنَأۡتِيَنَّهُم بِجُنُودٖ﴾[2]، وعلى هذا يحتمِلُ أن يكونَ الفاعلُ في قولِه: ﴿فَلَمَّا جَآءَ سُلَيۡمَٰنَ﴾ الهدهدَ أيضاً، قال: قل لهم: ﴿أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٖ﴾، والوجهُ ما سبقَ.

﴿فَلَنَأۡتِيَنَّهُم بِجُنُودٖ لَّا قِبَلَ لَهُم بِهَا﴾: لا طاقةَ لهم، ولا يُمكِنُهم دفعُها عنهم وعن قريتِهم، ﴿وَلَنُخۡرِجَنَّهُم مِّنۡهَآ أَذِلَّةٗ﴾ قيل: من القريةِ. وقيل: منَ المملكةِ.

وكنَّى عن القريةِ لتقدُّمِ ذِكرِها في قولِه: ﴿إِنَّ ٱلۡمُلُوكَ إِذَا دَخَلُواْ قَرۡيَةً﴾ [النمل: ٣٤].

﴿وَهُمۡ صَٰغِرُونَ﴾: مُهانون مُستَخَفٌّ بهم، من قولِهم: افعَلْ هذا غيرَ صاغرٍ؛ أي: غيرَ مُستَخَفٍّ بك.

***

(٣٨) - ﴿قَالَ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمَلَؤُاْ أَيُّكُمۡ يَأۡتِينِي بِعَرۡشِهَا قَبۡلَ أَن يَأۡتُونِي مُسۡلِمِينَ﴾.

﴿قَالَ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمَلَؤُاْ أَيُّكُمۡ يَأۡتِينِي بِعَرۡشِهَا قَبۡلَ أَن يَأۡتُونِي مُسۡلِمِينَ﴾ فيه قولان:

أحدُهما: أنَّ هذا قبلَ الكتابِ، وإنَّما جرَّبَ صدقَ الهدهدِ بمجيءِ العرش إليه، ولو لا ذلك كانَ مُحالًا أن يكتُبَ كتابًا إلى مَن لا يدري: هل هو في الدُّنيا أم لا؟ حكاه القفَّالُ وطوَّلَ[3].

والثَّاني: أنَّ إحضارَ عرشِها بعد الكتابِ، وبعدَما خرجتِ الرُّسلُ وقد رُدَّتْ

---

(١) كذا في النسختين، ولعل الصواب: «أو كان»، والله أعلم.

(٢) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٤/ ٢١١) عن زهير، وكذا رواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٩/ ٢٨٨١)، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٨٥٠)، واستغربه.

(٣) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٨٥٠)، واستغربه.

هديَّتُهم، فعلِمَت أنَّه نبيٌّ لا يُصانَعُ عن الدِّينِ بالأموالِ، ولا يُغلَبُ إنْ قُوتِلَ.

ومعنى ﴿مُسْلِمِينَ﴾: مُؤمنين مُوحِّدين، أخبرَه جبريلُ بمجيئِها مُؤمنةً.

وقيل: أخبرَ به الهدهدُ.

وقيل: مُستسلِمين مُنقادين.

وقيل: معنى ﴿مُسْلِمِينَ﴾: ليُسلِموا.

وفي استحضارِ العرشِ أقوالٌ:

أحدُها: أنَّه أرادَ أن يكونَ ذلك مُعجزةً دالَّةً لها على صدقِ نُبوَّته إذا أُتيَ به مُخرَجًا من البيوتِ والأحرازِ.

وقيل: قبلَ أن يسيرَ إليهم مُحارِبًا(١).

ابنُ عبّاسٍ رضي الله عنهما: أرادَ أن يُجرِّبَ صدقَ الهدهدِ(٢)، على ما سبق.

وقيل: أعجبَه وَصْفُه، فأرادَ أخذَه قبل أن يُحرَّمَ عليه بإسلامِها.

***

(٣٩) ـ ﴿قَالَ عِفْرِيتٌ مِّنَ الْجِنِّ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن تَقُومَ مِن مَّقَامِكَ وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٌ﴾.

﴿قَالَ عِفْرِيتٌ مِّنَ الْجِنِّ﴾ وهو النَّافذُ في الأمرِ المُبالِغُ فيه مع خُبثٍ ودَهاءٍ.

الحسَنُ: العِفريتُ لا يكونُ إلا كافرًا، ولكنْ كانَ مُسخَّرًا(٣).

قيل: وكان يضعُ قدمَه حيثُ ينالُ بصرُه.

قيل: كان اسمُه صخرَ الجنِّ. وقيل: كودي.

﴿أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن تَقُومَ مِن مَّقَامِكَ﴾: مجلسِك، وكان مجلسَ قضاءٍ وحكمٍ.

---

(١) كأن هذه العبارة مقحمة هاهنا، ولعل موضعها المناسب قبل الكلام على استحضار العرش، والله أعلم.

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (١٨/ ٦٠).

(٣) ذكره يحيى بن سلام في «تفسيره» (٢/ ٥٤٤).

وقيل: مجلسَ وعظٍ يمتدُّ الى نصفِ النَّهارِ.

﴿وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ﴾ على حملِه ﴿أَمِينٌ﴾ على جواهرِه.

وقيل: أمينٌ لا أُبدِّلُه بغيرِه.

وقيل: أمينٌ فيما أقولُ.

قال سليمانُ: أُريدُ أعجلَ من ذلك.

وقيل: بل ابتدأ

***

(٤٠) ـ ﴿قَالَ الَّذِي عِندَهُ عِلْمٌ مِّنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ فَلَمَّا رَآهُ مُسْتَقِرًّا عِندَهُ قَالَ هَٰذَا مِن فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ﴾.

﴿قَالَ الَّذِي عِندَهُ عِلْمٌ مِّنَ الْكِتَابِ﴾ فيه أقوالٌ:

الزَّجَّاجُ في جماعةٍ: هو آصفُ بنُ برخيا[١].

وقيل: مَلَكٌ أَيَّدَ الله سليمانَ به.

وقيل: جبريلُ.

وقيل: سليمانُ نفسُه[٢].

المُبرِّدُ: الأكثرُ أنَّه ضَبَّةُ أبو القبيلةِ[٣].

---

(١) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٤/ ١٢١)، وذكره أيضًا مقاتل في «تفسيره» (٣/ ٣٩٧)، ويحيى بن سلام في «تفسيره» (٢/ ٥٤٥)، ورواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٩/ ٢٨٨٧) عن ابن إسحاق.

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٨٥٠)، واستغربه.

(٣) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٨٥٠)، وعدَّه من العجائب.

وقيل: كان رجلًا مُستجابَ الدَّعوةِ اسمُه مليخا.

وقيل: أسطوس.

وقيل: هو ذو النُّونِ.

ابنُ لهيعةَ: هو الخضِرُ عليه السَّلامُ(١).

والعلمُ منَ الكتابِ: اسمُ الله الأعظَمُ، وهو: يا حيُّ يا قيُّومُ.

وقيل: يا ذا الجلالِ والإكرامِ.

وقيل: بالعِبرانيَّةِ: آهيا شراهيا.

وقيل: يا إلهنا وإلهَ الخلقِ أجمعين إلهًا واحدًا لا إلهَ إلا أنتَ.

الحسنُ: اسمُ الله الأعظَمُ: الله ثمَّ الرَّحمنُ(٢).

واختلَفوا في قولِه: ﴿مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ﴾ قيل: كتُبِ الله المُنزلةِ.

وقيل: اللَّوحِ المحفوظِ؛ فيمَن أوَّلَه على المَلَكِ أو جبريل.

وقيل: الكتابُ: كتابُ سليمانَ إلى بلقيسَ؛ أي: علمُ ما صارَ إليه أمرُ الكتابِ المكتوبِ إليها، وهو جبريلُ، لـم يعلَمْ إقبالَ بلقيسَ إلى سليمانَ إلا هو(٣).

﴿أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ﴾: قبل أن يرجعَ إليك بصرُك، كأنَّك تفتحُ بصرَكَ لتنظُرَ إلى الشَّيءِ فتنظرَ إليه ثمَّ يرتدُّ بصرُكَ عن النَّظرِ.

وقيل: إدامةُ النَّظرِ حتَّى يرتدَّ الطَّرفُ خاسِئًا، من قولِه: ﴿يَنقَلِبْ إِلَيْكَ ٱلْبَصَرُ خَاسِئًا﴾ [المُلْك: ٤].

---

(١) رواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٩/ ٢٨٨٥)، وذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٤/ ٢١٣)، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٨٥٠)، وعدَّه من العجائب.

(٢) ذكره الزمخشري في «تفسيره» (٣/ ٣٦٧).

(٣) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٨٥٠)، واستغربه.

وقيل: مِثْلَ تَبَصُّرِ الإنسانِ الهلالَ ثمَّ ينصرفُ بصرُه عنه.

وقيل: قبل أن يرجعَ إليك مطروفُك؛ أي: مَن تنظرُ إليه مِن مُنتَهى بصرِكَ.

وقيل: قبل الوقت الذي يُنتظرُ فيه ورودُه، من قولِـهم: أنا ممتدُّ الطَّرْفِ إليك؛ أي: مُنتظِرُكَ[١].

الماورديُّ: قبل أن ينقبضَ طرفُك بالموتِ، يُخبِرُه أنَّه سيأتيه قبل موتِه[٢]، وهذا تأويلٌ قبيحٌ.

بل المعنى في هذا: آتيكَ به سريعًا، فقد جرَتِ العادةُ بأن يقولَ القائلُ: أفعلُ هذا في لحظةٍ[٣]، وفي طرفةِ عينٍ، يريدُ السُّرعةَ.

و﴿ءَاتِيكَ﴾ في كلا الموضعَين يجوزُ أن يكونَ المُستقبلَ، ويجوزُ أن يكونَ اسمَ الفاعلِ، ولهذا جازَ إمالتُه[٤].

﴿فَلَمَّا رَءَاهُ﴾؛ أي: رأى العرشَ ﴿مُسْتَقِرًّا عِندَهُۥ﴾: حاصِلًا بين يدَيه[٥].

قيل: نبعَ منَ الأرضِ.

وقيل: أُتِيَ به من فوقُ في الهواءِ.

﴿قَالَ هَٰذَا مِن فَضْلِ رَبِّي﴾ إشارةٌ إلى إحضارِ العرشِ فـي مدَّةِ ارتدادِ الطَّرْفِ من مسيرةِ شهرَين.

﴿مِن فَضْلِ رَبِّي﴾ ابتدأني بالمنَّةِ به من غيرِ استحقاقٍ له.

---

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٨٥١)، واستغربه.

(٢) انظر: «النكت والعيون» (٤/ ٢١٤)، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٨٥١)، وعدَّه من العجائب.

(٣) في (ف): «لحظ».

(٤) وقد أماله وحده من السبعة. انظر: «السبعة» (ص: ٤٨٢).

(٥) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٨٥١)، واستغربه.

﴿لِيَبْلُوَنِيٓ ءَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ﴾: ليَمتحِنَني؛ فيَظْهرَ منِّي الشُّكرُ أو خلافُه.

﴿وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ﴾ فإنَّه يستجلبُ به المزيدَ في الدُّنيا والثَّوابَ في العُقبى، ﴿وَمَن كَفَرَ﴾ فضْلَ الله فلم يشكُرْه بالزِّيادةِ في الطَّاعةِ ﴿فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ﴾ عن شُكرِه[1] ﴿كَرِيمٌ﴾: لا يُعجِّلُ عقوبةَ مَن كفرَه.

وقال بعضُ المُفسِّرين: إنَّ سليمانَ تداخلَه شيءٌ مما جرى على يدي هذا الذي أوتيَ علمًا منَ الكتابِ؛ إذ صارَ غيرُه من أمَّتِه أعلَمَ منه وأقدَرَ على بعضِ الأمورِ، فقال رياضةً لنفسِه: إنَّ هذا من فضلِ ربِّي عليَّ إذ صيَّرَ في أمَّتي مَن يُجري على يدِه مثلَ هذا الأمرِ، ففضلُ ذلك لي، وهو إنعامٌ عليَّ.

وقيل: لمَّا خطرَ ببالِه هذا ووسوسَ إليه الشَّيطانُ ﴿قَالَ هَٰذَا مِن فَضْلِ رَبِّي﴾؛ أي: مما يملكُه يجعلُه[2] لمَن يشاءُ من عبادِه، فقد جعلَ هذا الفضلَ لهذا الذي أُوتيَ علمًا منَ الكتابِ ليبلُوَني أأشكرُه أم أكفرُه؟

* * *

(٤١) - ﴿قَالَ نَكِّرُوا۟ لَهَا عَرْشَهَا نَنظُرْ أَتَهْتَدِىٓ أَمْ تَكُونُ مِنَ ٱلَّذِينَ لَا يَهْتَدُونَ﴾.

﴿قَالَ نَكِّرُوا۟ لَهَا عَرْشَهَا﴾: اجعلوا أعلاه أسفلَه ومُقدَّمَه مُؤخَّرَه.

وقيل: نُزِعَ ما كان عليه من فُصوصِه وجواهرِه.

وقيل: زِيدَ فيه ونُقِصَ.

وقيل: غُيِّرَ ألوانُه.

وقيل: غُيِّرَ بأن جُعِلَ فيه أشكالُ السَّمكِ، حكاه الماورديُّ[3].

---

(١) في (ف): «عن غيره».

(٢) في (ف): «بجعله».

(٣) انظر: «النكت والعيون» (٤/ ٢١٥).

وقيل: ﴿نَكِّرُواْ لَهَا عَرْشَهَا﴾: أظهِروه؛ لتُنكِرَ موضعَه عندَه.

﴿نَنظُرْ أَتَهْتَدِىٓ أَمْ تَكُونُ مِنَ ٱلَّذِينَ لَا يَهْتَدُونَ﴾ قيل: أتهتَدي إلى عرشِها فتعرفَ بفِطنتِها بَعْدَ التَّغييرِ، أم تكونُ منَ الجاهلينَ به؟

وقيل: تهتَدي إلى التَّوحيدِ وتستدلُّ بعرشِها على قدرةِ الله ونبوَّتي، أم لا؟

قال المُفسِّرون: إنَّ الشَّياطينَ خافَتْ أن يتزوَّجَها سليمانُ فتُفشيَ إليه أسرارَ الجنِّ فلا ينفكُّونَ في تسخيرِ سليمانَ وذُرِّيتِه من بعدِه، فأساؤوا القولَ فيها وقالوا: إنَّ في عقلِها شيئًا، وإنَّ رجلَها كحافرِ الحمارِ، فأراد سليمانُ عليه السَّلامُ أن يَخبُرَ عقلَها بتنكيرِ عرشِها، وينظُرَ إلى قدمَيها ببناءِ الصَّرحِ(١).

وقيل: قابلَها بتنكيرِ العرشِ وبناءِ الصَّرحِ في مُقابلةِ تبديلِ ثيابِ الغلمانِ والجواري، وبعثِ الحقَّةِ التي فيها جواهرُ تمتَحِنُه يعلمُ ذلك أم لا(٢).

* * *

(٤٢) ـ ﴿فَلَمَّا جَآءَتْ قِيلَ أَهَٰكَذَا عَرْشُكِ قَالَتْ كَأَنَّهُۥ هُوَ وَأُوتِينَا ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهَا وَكُنَّا مُسْلِمِينَ﴾.

﴿فَلَمَّا جَآءَتْ﴾؛ أي: بلقيسُ ﴿قِيلَ أَهَٰكَذَا عَرْشُكِ قَالَتْ كَأَنَّهُۥ هُوَ﴾ فأجابَتْ أحسنَ جوابٍ، لم تُثبِتْ ولم تُنكِرْ؛ لاحتمالِ الأمرين، شبَّهوا عليها بقولِهم: ﴿أَهَٰكَذَا عَرْشُكِ﴾ فشبَّهت عليهم بقولِها: ﴿كَأَنَّهُۥ هُوَ﴾.

﴿وَأُوتِينَا ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهَا وَكُنَّا مُسْلِمِينَ﴾ قيل: هذا من كلامِ بلقيسَ؛ أي: أُوتينا العلمَ بصحَّةِ نُبوَّتِك بالآياتِ المُتقدِّمةِ من أمرِ الهدهدِ والرُّسلِ من قبلِ هذه المُعجزةِ، تعني: إحضارَ العرشِ.

﴿وَكُنَّا مُسْلِمِينَ﴾: مُطيعين لأمرِكَ مُنقادينَ لك.

---

(١) انظر: «معاني القرآن» للفراء (٢/ ٢٩٤)، و«تفسير الطبري» (١٨/ ٧٦).

(٢) في (ف): «التي فيها الجواهر وتمتحنه بعلم ذلك».

وقيل: هذا من كلامِ سليمانَ؛ أي: وأوتينا العلمَ بإسلامِها ومجيئِها طائعةً من قبلِ مجيئِها، ﴿وَكُنَّا مُسْلِمِينَ﴾ مُوحِّدين خاضِعين.

وقيل: من كلامِ قومِ سليمانَ(١).

***

(٤٣) ـ ﴿وَصَدَّهَا مَا كَانَت تَّعْبُدُ مِن دُونِ ٱللَّهِ إِنَّهَا كَانَتْ مِن قَوْمٍ كَٰفِرِينَ﴾.

﴿وَصَدَّهَا مَا كَانَت تَّعْبُدُ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ في فاعلِ ﴿صَدَّ﴾ ثلاثةُ أقوالٍ:

أحدُها: ﴿مَا كَانَت تَّعْبُدُ﴾؛ أي: عبادتُها الشَّمسَ صدَّتْها عن عبادةِ الله.

والثّاني: فاعلُه سليمانُ، والمعنى: صدَّها عمَّا كانت تعبُدُ، فحُذِفَ الجارُّ، ومحلُّ (ما) نصبٌ.

والثّالثُ: فاعلُه اللهُ عزَّ وجلَّ؛ أي: وصدَّها اللهُ عمَّا كانت تعبُدُ.

وقيل: وصدَّها ما رأتْ من أمرِ النُّبوَّةِ.

﴿إِنَّهَا كَانَتْ مِن قَوْمٍ كَٰفِرِينَ﴾ استئنافٌ.

وقيل: ﴿وَصَدَّهَا﴾ مُتَّصلٌ بقولِه: ﴿أَتَهْتَدِىٓ أَمْ تَكُونُ مِنَ ٱلَّذِينَ لَا يَهْتَدُونَ﴾ ﴿وَصَدَّهَا مَا كَانَت تَّعْبُدُ﴾ فيكونُ الواوُ للحالِ، و(قد) مُضمَرةٌ(٢).

***

(٤٤) ـ ﴿قِيلَ لَهَا ٱدْخُلِى ٱلصَّرْحَ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَن سَاقَيْهَا قَالَ إِنَّهُۥ صَرْحٌ مُّمَرَّدٌ مِّن قَوَارِيرَ قَالَتْ رَبِّ إِنِّى ظَلَمْتُ نَفْسِى وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَٰنَ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾.

﴿قِيلَ لَهَا ٱدْخُلِى ٱلصَّرْحَ﴾ الصرحُ: القصرُ.

---

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٨٥٢)، واستغربه.

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٨٥٢)، واستغربه.

وقيل: الصَّرحُ: عَرْصةُ الدَّارِ.

وقيل: كلُّ بلاطٍ[1] اتُّخِذَ من قواريرَ فهو صَرحٌ.

وقيل: هو البناءُ العريضُ الرَّفيعُ، وكان عُمِلَ لسليمانَ صحنٌ من قواريرَ وتحتَه الماءُ والسَّمكُ وسائرُ دوابِّ الماءِ، وكان يُرى من ظاهرِه، ثمَّ جلسَ سليمانُ في وسطِه على كرسيٍّ، وكان طريقُ بلقيسَ في الوُصولِ إليه على الصَّرحِ[2].

﴿فَلَمَّا رَأَتْهُ﴾ نظرَتْ إلى سليمانَ ورأتِ الصَّرحَ ﴿حَسِبَتْهُ لُجَّةً﴾ قال المُفسِّرون: ماءً غَمْرًا، وذلك يَبْعُدُ في الآيةِ لأنَّ كشفَ السَّاقِ لا يُغني مع اللُّجَّةِ؛ لأنَّها كشفَتْ عن ساقِها لتخوضَ الماءَ إلى سليمانَ.

والأحسنُ أن يُحمَلَ اللُّجَّةُ على الضَّحْضاحِ[3]، أو يُقالُ كما جاء في بعضِ التَّفاسيرِ: إنَّها لمَّا رأتِ الصَّرحَ قالت: ما وجَدَ ابنُ داودَ عذابًا يقتُلُني به إلا الغرقَ[4]؟!

﴿وَكَشَفَتْ عَن سَاقَيْهَا﴾ على عادةِ مَن يُريدُ الخوضَ في الماءِ، فإذا هي أحسنُ ساقٍ، لكنَّها كانت شَعْراءَ.

﴿قَالَ﴾ يعني سليمانُ لها: ﴿إِنَّهُۥ﴾: إنَّ الذي تزعُمين أنَّه ماءٌ ﴿صَرْحٌ مُّمَرَّدٌ﴾.

ابنُ عيسى: الصَّرحُ: البسيطُ المُنكشِفُ من غيرِ سَقْفٍ، ومنه: صَرَّحَ بالأمرِ[5]، والمُمَرَّدُ: المُملَّسُ.

﴿مِّن قَوَارِيرَ﴾: منَ الزُّجاجِ.

---

(١) في (ف): «ملاط»، والمثبت من (ن)، وهو الموافق لما في «غريب القرآن» لابن قتيبة (ص: ٣٢٥)، و«البسيط» للواحدي (١٧/ ٢٥١)، و«زاد المسير» (٣/ ٣٦٥)، و«البحر» (٨/ ٢٠٦).

(٢) «على الصرح»: ليس في (ف).

(٣) هو الضحل الذي ليس له عمق. انظر: «كتاب الألفاظ» لابن السكيت (ص: ٤١٥).

(٤) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٨٥٣)، واستغربه.

(٥) ذكره ابن فورك في «تفسيره» (١/ ٣٠٤) بلا نسبة.

﴿قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي﴾ في عبادتي الشَّمسَ.

وقيل: ﴿ظَلَمْتُ نَفْسِي﴾ في ظنِّي أنه قصدَ إغراقي[1].

﴿وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ﴾ طائعةً ﴿لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾، ثمَّ اختلفَ المُفسِّرون؛ فمنهم مَن قال: تزوَّجها سليمانُ واتُّخِذَ له حَمَّامٌ ونُوْرةٌ، وهو أوَّلُ مَن اتُّخِذَ له، فلمَّا تزوَّجها أحبَّها حبًّا شديدًا، وأقرَّها على ملكِها، وأمرَ الجنَّ فابتنَوا لها بأرضِ اليمنِ ثلاثةَ حصونٍ: سَلْحِينَ وبَيْنونَ وغُمْدانَ[2]، وكان سليمانُ يزورُها في كلِّ شهرٍ مرَّةً ويُقيمُ عندَها ثلاثةَ أيامٍ.

ومنهم مَن قال: زَوَّجَها من ذي تُبَّعٍ ملكِ هَـمْدانَ، ثمَّ ردَّها إلى اليمنِ، فسلَّطَ زوجَها ذا تُبَّعٍ على اليمنِ.

ومنهم مَن قالَ: آخرُ عهدي بهما قولُه سبحانَه: ﴿وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾؛ أي: لا أخوضُ فيما لم يذكرِ الله ولم يُبيِّنْه.

* * *

(٤٥) ـ ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ فَإِذَا هُمْ فَرِيقَانِ يَخْتَصِمُونَ﴾.

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَى ثَمُودَ﴾ هـم عـادٌ الأُخـرى ﴿أَخَاهُمْ﴾ فـي النَّسـبِ، يعرِفـون منشـأه ومولِـدَه، ﴿صَالِحًا﴾ بـدلٌ مـن ﴿أَخَاهُمْ﴾.

﴿أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ﴾: بأن ﴿اعْبُدُوا اللَّهَ﴾: وحِّدوه وأطيعوه.

﴿فَإِذَا هُمْ فَرِيقَانِ يَخْتَصِمُونَ﴾؛ أي: فاجؤوه بالاختـصامِ؛ فآمنَ فريقٌ وكفرَ فريقٌ ـ و﴿يَخْتَصِمُونَ﴾ محمولٌ على المعنى كقولِه: ﴿خَصْمَانِ اخْتَصَمُوا﴾ [الحج: ١٩]،

---

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٨٥٣)، واستغربه.

(٢) في (ف): «سلجين ويفنون وعمدان».

وطائفتانِ اقتتَلُوا[1] ـ وقال الفريقُ الكافرُ: ﴿يَٰصَٰلِحُ ٱئۡتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلۡمُرۡسَلِينَ﴾ [الأعراف: ٧٧].

***

(٤٦) ـ ﴿قَالَ يَٰقَوۡمِ لِمَ تَسۡتَعۡجِلُونَ بِٱلسَّيِّئَةِ قَبۡلَ ٱلۡحَسَنَةِۖ لَوۡلَا تَسۡتَغۡفِرُونَ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ﴾.

﴿قَالَ يَٰقَوۡمِ لِمَ تَسۡتَعۡجِلُونَ بِٱلسَّيِّئَةِ﴾: بالعذابِ والبلاءِ ﴿قَبۡلَ ٱلۡحَسَنَةِ﴾: الرَّاحةِ والدَّعةِ، ولِمَ تُقدِّموها[2] عليها؟ وقد سبقَ في (الرَّعدِ).

﴿لَوۡلَا﴾: هلَّا ﴿تَسۡتَغۡفِرُونَ ٱللَّهَ﴾ بالتَّوبةِ والإيمانِ ﴿لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ﴾: لتكونُوا مُستعجِلين الرَّحمةَ.

***

(٤٧) ـ ﴿قَالُواْ ٱطَّيَّرۡنَا بِكَ وَبِمَن مَّعَكَۚ قَالَ طَٰٓئِرُكُمۡ عِندَ ٱللَّهِۖ بَلۡ أَنتُمۡ قَوۡمٞ تُفۡتَنُونَ﴾.

﴿قَالُواْ ٱطَّيَّرۡنَا بِكَ وَبِمَن مَّعَكَ﴾: تتابعَتْ علينا الشَّدائدُ واتَّصلَتْ بنا المكارهُ مذ جئتَنا تدَّعي الرِّسالةَ.

وقيل: تطيَّرْنا بك لافتراقِ كلمتِنا بسببِك.

﴿قَالَ طَٰٓئِرُكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ﴾؛ أي: الذي تزعُمونَ أنَّه منِّي فليس كذلك، بل منَ الله يختبِرُكم به، وهو قولُه: ﴿بَلۡ أَنتُمۡ قَوۡمٞ تُفۡتَنُونَ﴾: تُختبَرون.

وقيل: ﴿طَٰٓئِرُكُمۡ﴾: عملُكُم[3].

وقيل: ﴿طَٰٓئِرُكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ﴾ معناه: تشاؤُمُكم محفوظٌ عندَ الله فيُجازيكُم عليه.

---

(١) في قوله تعالى: ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٱقۡتَتَلُواْ﴾ [آل عمران: ٩].

(٢) كذا، ولعل الصواب: «تقدمونها».

(٣) في (ن): «علمكم».

وقيل: معنى ﴿تُفْتَنُونَ﴾: تَضِلُّون فتجهَلون أنَّ الخيرَ والشَّرَّ من عندِ الله.

وحقيقةُ هذه منَ العربِ في اعتقادِها البارحِ والسَّانحِ في بعضِ الطَّيرِ والوحوشِ، وأنَّها تدُلُّ بصياحِها على حدوثِ آفاتٍ وبلاءٍ وعارِضاتٍ، ويُسمَّى ذلك: الطِّيَرة، ونهى النَّبيُّ ﷺ عنها[1]؛ لأنَّها خيالاتٌ لا تأثيرَ لها، وأوهامٌ لا حقيقةَ معها.

***

(٤٨) ـ ﴿وَكَانَ فِي ٱلْمَدِينَةِ تِسْعَةُ رَهْطٍ يُفْسِدُونَ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ﴾.

﴿وَكَانَ فِي ٱلْمَدِينَةِ تِسْعَةُ رَهْطٍ﴾ الرَّهْطُ: اسمٌ لجماعةٍ منَ الثَّلاثةِ إلى العشرةِ، فإذا جاوزتَ قلتَ: أحدَ عشرَ رهطًا[2]؛ أي: في كلِّ ناحيةٍ رهطٌ، وأصلُه من التَّرهيطِ، وهو تعظيمُ اللُّقَمِ وشدةُ الأكلِ.

﴿يُفْسِدُونَ فِي ٱلْأَرْضِ﴾ بالكفرِ ﴿وَلَا يُصْلِحُونَ﴾: لا يكونُ منهم إلا الفسادُ في جميعِ أمورِهم.

وعن سعيدِ بنِ المُسيِّبِ وعطاءٍ في معنى ﴿يُفْسِدُونَ فِي ٱلْأَرْضِ﴾: يُقطِّعون الدَّراهمَ والدَّنانيرَ[3].

وهم عتاةُ قومِ صالحٍ، تحالَفوا ليقتُلُنَّ صالحًا غِيلةً، فأهلَكهم اللهُ.

---

(١) رواه الترمذي (١٦١٤) من حديث ابن مسعود رضي الله عنه بلفظ: «الطِّيَرَةُ مِن الشِّرْكِ، وما مِنَّا إلاَّ، ولكِنَّ الله يُذْهِبُهُ بالتَّوَكُّلِ» وقال: «حسن صحيح».

(٢) لأنه مفرد في اللفظ، وإن كان يدلُّ على جماعة في المعنى. انظر: «غرائب التفسير» (٢/ ٨٥٤).

(٣) رواه عن عطاء عبد الرزاق في «تفسيره» (٢١٧١)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٩/ ٢٩٠١).
ورواه عبد الرزاق في «مصنفه» (١٤٥٩٥)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٩/ ١٩٣٦)، والثعلبي في «تفسيره» (٥/ ٢٩٥) عن سعيد بن المسيب.

(٤٩) - ﴿قَالُواْ تَقَاسَمُواْ بِٱللَّهِ لَنُبَيِّتَنَّهُۥ وَأَهْلَهُۥ ثُمَّ لَنَقُولَنَّ لِوَلِيِّهِۦ مَا شَهِدْنَا مَهْلِكَ أَهْلِهِۦ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ﴾.

﴿قَالُواْ تَقَاسَمُواْ بِٱللَّهِ﴾ ﴿تَقَاسَمُواْ﴾ يَحتمِلُ أن يكونَ ماضيًا[1]، ويَحتمِلُ أن يكونَ أمرًا؛ فإنْ جعلتَه أمرًا جازَ ﴿لَنُبَيِّتَنَّهُۥ وَأَهْلَهُۥ ثُمَّ لَنَقُولَنَّ﴾ بالنُّونِ والتَّاءِ[2]؛ لأنَّ هذه من جملةِ الألفاظِ التي يُتلقَّى بها القسَمُ، وإنْ جعَلْتَه ماضيًا قرأتَ بالنُّونِ لا غيرُ، ويكونُ حالًا و«قد» مُقدَّرةٌ.

وذلك أنَّهم تواطَؤُوا على أن يُظهِروا لقومِهم أنَّهم مُسافرون، فيستَتِرونَ أيامًا ثمَّ يُبايتون صالحًا فيقتلونَه ومَن معه ليلًا سرًّا، فلا يترُكون أحدًا ممَّن يجمعُهم منزلُه كيلَا يَنِمَّ عليهم، ثمَّ يُنكِرون فيقولون: ما كنَّا في البلدِ، فيُصدِّقُهم قومُهم لِـمَا يكونُ عندَهم من سفرِهم، وهو قولُه: ﴿ثُمَّ لَنَقُولَنَّ لِوَلِيِّهِۦ﴾: لوليِّ دمِه وطالبِ ثأرِه: ﴿ما شهِدْنا مُهْلَكَ أهلِه﴾؛ أي: لم نتعرَّضْ لأهلِه، فكيف كنَّا نتعرَّضُ له؟ وما حضَرْنا موضعَ هلاكِه فضلًا عن أن تولَّيناه.

و(المُهلَكُ) بالضَّمِّ: الإهلاكُ ومكانُ الإهلاكِ، و(المَهلِكُ) بالكسرِ: موضعُ الهلاكِ، وبالفتحِ المصدرُ[3].

﴿وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ﴾ فيما ذكَرْنا.

---

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٨٥٢)، واستغربه.

(٢) قرأ حمزة والكسائي: ﴿لتُبيِّتُنَّه وأهلَه ثم لتَقولُنَّ﴾ بتاء الخطاب على الجمع، والباقون: ﴿لنُبيِّتَنه وأهلَه ثم لنَقولَن﴾ بالنون. انظر: «السبعة» (ص: ٤٨٣)، و«التيسير» (ص: ١٦٨).

وعن مجاهد: (ليُبيِّتُنَّه وأهلَه ثم ليَقولُنَّ). انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ١١١)

(٣) قرأ حفص: ﴿مَهْلِكَ﴾ بفتح الميم وكسر اللام، وأبو بكر بفتحهما، والباقون بضم الميم وفتح اللام. انظر: «السبعة» (ص: ٤٨٣)، و«التيسير» (ص: ١٤٤).

وقيل: ونحلفُ إنَّا لصادِقون في قولِنا: ﴿مَا شَهِدْنَا مَهْلِكَ أَهْلِهِۦ﴾.

***

(٥٠) ـ ﴿وَمَكَرُوا۟ مَكْرًا وَمَكَرْنَا مَكْرًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾.

﴿وَمَكَرُوا۟ مَكْرًا وَمَكَرْنَا مَكْرًا﴾ ثمَّ إنَّ ليلةَ موعودِهم دخلوا كهفًا، فأرسلَ الله صخرةً عليهم فدمَغَتْهم، ﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ بمكرِنا.

وقيل: دخلُوا عليه ليقتُلوه، فأرسلَ الله عليهم ملائكةً رمَوا لكلِّ واحدٍ منهم بحجرٍ حتَّى قُتِلوا، وسلِمَ صالحٌ من مكرِهم، ﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ بالملائكةِ.

***

(٥١) ـ ﴿فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ مَكْرِهِمْ أَنَّا دَمَّرْنَـٰهُمْ وَقَوْمَهُمْ أَجْمَعِينَ﴾.

﴿فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ مَكْرِهِمْ﴾ إنْ جُعِلَتْ ﴿كَانَ﴾ التَّامةَ فـ﴿كَيْفَ﴾ حالٌ، وإنْ جُعِلَتِ النَّاقصةَ فـ﴿كَيْفَ﴾ خبرٌ[1]؛ هذا إذا قرأتَ: ﴿إِنَّا دَمَّرْنَاهُمْ﴾ بالكسرِ، فإنْ فتحتَ ﴿أَنَّا دَمَّرْنَـٰهُمْ﴾ فمحلُّه رفعٌ على البدلِ منَ (العاقبةِ)، أو خبرُ مبتدأ محذوفٍ تقديرُه: هو أنَّا دمَّرْناهُم، ويجوزُ أن يكونَ نصبًا خبرًا لـ﴿كَانَ﴾، و﴿كَيْفَ﴾ لَغْوٌ.

والمعنى: أهلَكْنا التِّسعةَ ومَن بقيَ من قومِ صالحٍ ﴿وَقَوْمَهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ لمَّا عقرُوا النَّاقةَ.

***

(٥٢) ـ ﴿فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةًۢ بِمَا ظَلَمُوٓا۟ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَةً لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾.

﴿فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةًۢ﴾: ساقطةً مُنهدمةً، من قولِهم: خوَى النَّجمُ وأخوَى؛ إذا سقطَ.

---

(١) في النسختين: «خبره»، والصواب المثبت، والله أعلم.

وقيل: ﴿خَاوِيَةً﴾: خاليةً، منَ الخوَى، وهو خلوُّ البطنِ وخلاءُ الدّارِ.

﴿بِمَا ظَلَمُوٓاْ﴾؛ أي: بكُفرِهم.

﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ﴾: فيما فُعِلَ بثمودَ ﴿لَأٓيَةٗ لِّقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ﴾ فيتَّعِظُونَ.

* * *

(٥٣) ـ ﴿وَأَنجَيۡنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ﴾.

﴿وَأَنجَيۡنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ بصالحٍ ﴿وَكَانُواْ يَتَّقُونَ﴾ أوامرَ الله أن يترُكوها.

وكانوا أربعةَ آلافٍ خرَجَ بهم صالحٌ إلى حضْرَموتَ، وسُمِّي حضرَموتَ لأنَّ صالحًا لمَّا دخلَها ماتَ، فتلك البيوتُ الخاويةُ بوادي القرى بين المدينةِ والشَّامِ.

* * *

(٥٤) ـ ﴿وَلُوطًا إِذۡ قَالَ لِقَوۡمِهِۦٓ أَتَأۡتُونَ ٱلۡفَٰحِشَةَ وَأَنتُمۡ تُبۡصِرُونَ﴾.

﴿وَلُوطًا﴾ عطفٌ على قولِه: ﴿أَرۡسَلۡنَآ إِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمۡ صَٰلِحًا﴾ وأرسلنا لوطًا.

وقيل: واذكُرْ لُوطًا.

وقيل: وأنجَيْنا لوطًا، فلمَّا طالَ الكلامُ أعادَه[1].

﴿إِذۡ قَالَ لِقَوۡمِهِۦٓ أَتَأۡتُونَ ٱلۡفَٰحِشَةَ﴾ مُواقعةَ الرِّجالِ، استفهامُ إنكارٍ عليهم.

﴿وَأَنتُمۡ تُبۡصِرُونَ﴾: تعلَمون[2] أنَّ ذلك فاحشةٌ لـم يسبِقْكُم به أحدٌ منَ الخلقِ، ثمَّ صرَّحَ فقال:

(٥٥) ـ ﴿أَئِنَّكُمۡ لَتَأۡتُونَ ٱلرِّجَالَ شَهۡوَةٗ مِّن دُونِ ٱلنِّسَآءِۚ بَلۡ أَنتُمۡ قَوۡمٞ تَجۡهَلُونَ﴾.

---

(١) في (ف): «أعاد».

(٢) «تعلمون»: ليس في (ف).

﴿أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ شَهْوَةً﴾ للشَّهوةِ ﴿مِّن دُونِ ٱلنِّسَآءِ﴾ اللّاتي جعَلَهُنَّ الله موضعَ التلذُّذِ.

وقيل: من دونِ فُروجِهنَّ.

﴿بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾؛ أي: ليس ذلك لمعنًى سوى الجهلِ بما يجبُ؛ فإنَّ الطِّباعَ الصَّحيحةَ لا تتوجَّهُ في ذلك إلا إلى النِّساءِ، وإنَّما يُعدَلُ عنهنَّ لسوءِ العادةِ.

ومعنى ﴿تَجْهَلُونَ﴾: تفعلون فعلَ الجهَّالِ.

* * *

(٥٦) - ﴿فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓاْ أَخْرِجُوٓاْ ءَالَ لُوطٍ مِّن قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ﴾.

﴿فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓاْ أَخْرِجُوٓاْ ءَالَ لُوطٍ مِّن قَرْيَتِكُمْ﴾؛ أي: لوطًا ومَن على دينِه ﴿إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ﴾ عن مُواقعةِ الرِّجالِ.

وقيل: يتحيَّنون أطهارَ نسائِهم.

وقيل: هذا استهزاءٌ.

* * *

(٥٧) - ﴿فَأَنجَيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ قَدَّرْنَٰهَا مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ﴾.

﴿فَأَنجَيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ﴾: فخلَّصناه منَ العذابِ الواقعِ بالقومِ(١) ﴿إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ قَدَّرْنَٰهَا مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ﴾: الباقينَ في عذابِ الله.

* * *

---

(١) في (ف): «بهم».

(٥٨ ـ ٥٩) ـ ﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًا فَسَاءَ مَطَرُ الْمُنذَرِينَ ۝٥٨ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَامٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَىٰ آللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ﴾.

﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًا﴾ الحجارةَ، وقيل: النَّارَ والكبريتَ.

وقيل[١]: إنَّ قُرى سَدُومَ قُلِبَت عليهم، ومُطِرَ مَن شَذَّ عنها حجارةً.

وقيل: بل مُطِرَ مَن في القُرى ومَن شذَّ عنها.

﴿فَسَاءَ مَطَرُ الْمُنذَرِينَ ۝٥٨ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ قيل: قُل يا لوطُ: الحمدُ لله على هلاكِ كفَّارِ قومِكَ[٢].

والجمهورُ على أنَّه خطابٌ للنَّبيِّ ﷺ؛ أي: قل يا محمَّدُ: الحمدُ لله على هلاكِ الأممِ الخاليةِ.

وقيل: قل: الحمدُ لله على ما علَّمَكَ.

وقيل: الحمدُ لله على جميع نِعَمِه.

﴿وَسَلَامٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَىٰ﴾؛ أي: الأنبياءِ والرُّسلِ.

وقيل: هم الصَّحابةُ؛ فإنَّهم المُصطفَونَ من أمَّةِ محمَّدٍ ﷺ.

وقيل: هم أمَّةُ محمَّدٍ ﷺ.

﴿آللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ استفهامُ إنكارٍ؛ أي: آلله خيرٌ أم الصَّنمُ؟ وهذا على مَن زعمَ أنَّ في الصَّنمِ خيرًا.

وقيل: عبادتُه خيرٌ أم الشِّركُ؟

* * *

(١) في (ف): «وذلك».

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٨٥٦)، واستغربه.

(٦٠) ـ ﴿أَمَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَنۢبَتْنَا بِهِۦ حَدَآئِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَّا كَانَ لَكُمْ أَن تُنۢبِتُوا۟ شَجَرَهَآ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ﴾.

﴿أَمَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾ لمصالحِ عبادِه ومعاشِهم ﴿وَأَنزَلَ لَكُم﴾: لأَجْلِكُم ﴿مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً﴾: مطرًا، وقيل: ماءَ العيونِ؛ لأنَّها منَ السَّماءِ أيضًا.

﴿فَأَنۢبَتْنَا بِهِۦ﴾: بالمطرِ ﴿حَدَآئِقَ﴾: بساتينَ مَحوطًا عليها ﴿ذَاتَ بَهْجَةٍ﴾: جمالٍ ومنظرٍ حسنٍ.

﴿مَّا كَانَ لَكُمْ أَن تُنۢبِتُوا۟ شَجَرَهَآ﴾ قيل: بغيرِ الماءِ.

وقيل: أنتم عجزةٌ عن مثلِه لا تقدرونَ عليه.

وتقديرُ الآيةِ: أمَّا تُشركونَ خيرٌ أمَّن خلقَ السَّماواتِ؟

وقيل: أمَّن الذي خلقَ السَّماواتِ والأرضَ؟

ويَحتمِلُ: أمَّن خلقَ السَّماواتِ والأرضَ خيرٌ أم ما تُشرِكون؟

وكذلك ما بعدَه ذُكِرَ أوَّلًا بلفظِ الاسمِ ثمَّ بالوصفِ.

﴿أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ﴾ أيجوزُ أن يكونَ مع اللهِ الموصوفِ بما تقدَّمَ إلهٌ آخرُ لا يقدرُ على شيءٍ منه: ﴿بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ﴾ عن سَنَنِ الصَّوابِ.

* * *

(٦١) ـ ﴿أَمَّن جَعَلَ ٱلْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلَٰلَهَآ أَنْهَٰرًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَٰسِىَ وَجَعَلَ بَيْنَ ٱلْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾.

﴿أَمَّن جَعَلَ ٱلْأَرْضَ قَرَارًا﴾ يستقِرُّ عليها الخلقُ ﴿وَجَعَلَ خِلَٰلَهَآ﴾: وسطَها ومسالكَها ونواحيَها ﴿أَنْهَٰرًا﴾ جاريةً ﴿وَجَعَلَ لَهَا﴾ للأرضِ، وقيل: فيها ﴿رَوَٰسِىَ﴾: جبالًا تمنعُها عن الحركةِ.

﴿وَجَعَلَ بَيْنَ ٱلْبَحْرَيْنِ﴾ العذبِ والأُجاجِ.

وقيل: بحرُ السَّماءِ وبحرُ الأرضِ.

وقيل: بحرُ فارسَ وبحرُ الرُّومِ، وقد سبقَ.

﴿حَاجِزًا﴾: مانعًا أن يختلِطا.

﴿أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ﴾ على ما سبقَ.

﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾؛ أي: هم جُهَّالٌ فلجهلِهم يُشرِكون.

* * *

(٦٢) - ﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾.

﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ﴾ والكلُّ على اختلافِ مُعتقَدِهم إذا ضاقَ بهم أمرٌ فزِعُوا إلى ربِّ السَّماءِ.

﴿وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ﴾ النَّازلَ بالإنسانِ؛ أي: يدفعُ الشِّدَّةَ.

وقيل: السُّوءُ: الجَوْرُ.

وقيل: مَن تولَّاه فلا ينزلُ به السُّوءُ.

﴿وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ﴾ بدلًا عن الكفَّارِ.

وقيل: جعَلَ أولادَكم خلفاءَ منكم.

﴿أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ﴾ بل هو المُنفرِدُ به.

﴿قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾ عظمتَه ونِعَمَه، فلذلك لا تشكُرون.

* * *

(٦٣) - ﴿أَمَّن يَهْدِيكُمْ فِي ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَمَن يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦٓ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ تَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾.

﴿أَمَّن يَهْدِيكُمْ﴾: يُرشِدُكم ﴿فِي ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ﴾ للطُّرقِ التي تسلُكونَها لتجاراتِكُم وجهادِ أعدائِكم.

والبَـرُّ: اليَبَسُ، والبحرُ: الماء.

وقيل: البَـرُّ: باديةُ الأعرابِ، والبحرُ: القُرى والأمصارُ.

وقيل: يهديكم: يُخلِّصُكم.

﴿وَمَن يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦٓ﴾ قُدَّامَ المطرِ، وقد سبق.

﴿أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ تَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ تعالى عن إشراكِكُم به ما هو مخلوقُه.

* * *

(٦٤) - ﴿أَمَّن يَبْدَؤُا ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَمَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾.

﴿أَمَّن يَبْدَؤُا ٱلْخَلْقَ﴾: يُنشِئُ الخلقَ ﴿ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَمَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ المطرَ ﴿وَٱلْأَرْضِ﴾ النَّباتَ والحَبَّ ثُمَّ يُعِيدُهُ، هكذا تقديرُ الآيةِ؛ أي: مَن قدرَ على الابتداءِ قدرَ على الإعادةِ، والمعنى: بدأ الخلقَ بإقرارِكم، ثمَّ إقرارُكم بذلك حجَّةٌ عليكم.

﴿أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ﴾ على إشراكِكُم بعد إقرارِكُم بتفرُّدِه بخلقِ هذه الأشياءِ ﴿إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ في دَعواكُم.

* * *

(٦٥) - ﴿قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُ ۚ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ﴾.

﴿قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ الغيبُ: ما يكونُ في المستقبلِ.

وقيل: الغيبُ: السَّاعةُ.

وقيل: هو ما استأثرَ الله بعلمِه مما هو غائبٌ.

﴿وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ﴾: متى يُنْشَرون ويُحْيَون، وذلك عائدٌ إلى ﴿مَن فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾. وقيل: عائدٌ الى الكفَّارِ.

و﴿مَن﴾ في الآيةِ موصولٌ، وما بعدَه صِلتُه. وقيل: نكرةٌ وما بعدَه صفتُه؛ أي: لا يعلمُ أحدٌ الغيبَ إلا اللهُ.

و﴿أَيَّانَ﴾ بمعنى: متى، وقيل: أصلُه: أيُّ آنٍ.

* * *

(٦٦) - ﴿بَلِ ادَّارَكَ عِلْمُهُمْ فِي الْآخِرَةِ بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِّنْهَا بَلْ هُم مِّنْهَا عَمُونَ﴾.

﴿بَل أَدْرَكَ عِلْمُهُمْ فِي الْآخِرَةِ﴾ قيل: ﴿فِي﴾ بمعنى الباءِ؛ أي: بحدوثِ الآخرةِ، ﴿بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِّنْهَا﴾: من حدوثِها.

وقيل: بل إدراكُ علمِهم في الآخرةِ.

(بَلْ) كلمةٌ وُضِعَتْ للإعراضِ عن الأوَّلِ والإثباتِ للثَّاني، ويأتي حرفَ ابتداءٍ يدُلُّ على تركِ ما قبلَه والأخذِ في غيرِه كما في الآيةِ، وكذلك قولُه: ﴿بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِّنْهَا﴾؛ أي: لم يحصُلوا بالخوضِ إلّا على الشَّكِّ فيها.

﴿بَلْ هُم مِّنْهَا﴾؛ أي: عن علمِها ﴿عَمُونَ﴾: ذاهبون عن الرُّشدِ فيها.

وقيل: عَمُونَ عنِ العقابِ والثَّوابِ.

وقُرِئَ: ﴿بَلِ ادَّارَكَ﴾[1]، وأصلُه: تدارَكَ، والعلمُ هاهنا بمعنى: الحكمِ والقولِ؛

---

(١) قرأ ابن كثير وأبو عمرو: ﴿أَدْرَكَ﴾، والباقون: ﴿ادَّارَكَ﴾. انظر: «السبعة» (ص: ٤٨٥)، و«التيسير» (ص: ١٦٨).

أي: تتابعَ منهم القولُ والحكمُ في الآخرةِ، وكثُرَ منهم الخوضُ فيها؛ فنفاها بعضُهم، وشكَّ فيها بعضُهم، وأنكرَها بعضُهم استبعادًا.

وقيل: هي متَّصلةٌ بالآيةِ الأولى، والمعنى: وما يشعُرونَ متى ما يُبعَثونَ إلّا بتتابعِ الظُّنونِ في علمِ الآخرةِ؛ فهم تارةً يقولون: إنَّها تكون، وتارةً: إنَّها لا تكونُ.

وقيل: ﴿ بَلِ﴾ في الآيةِ بمعنى: أم، فيكونُ استفهامًا بمعنى النَّفيِ؛ أي: لم يتتابعْ علمُهم ولم يعلَمُوه.

وقيل: الماضي هاهنا في تقديرِ المُستقبلِ كقولِه: ﴿وَنَادَىٰٓ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِ﴾ [الأعراف: ٤٤]؛ أي: يتداركُ علمُهم في الآخرةِ بل هم في شكٍّ منها في الدُّنيا[١].

ومَن قرأ: ﴿أَدْرَكَ﴾ فهو بمعنى المُستقبلِ؛ أي: يُدرِكُ علمُهم في الآخرةِ إذا عايَنُوها فلا ينفَعُهم.

وقيل: ﴿ بَلِ﴾ بمعنى: أم، كالوجهِ الأوَّلِ؛ أي: لم يُدرِكْ.

وقيل: تقديرُه: بل أدركَ، والاستفهامُ مُقدَّرٌ من غيرِ أن يحملَ ﴿ بَلِ﴾ على معنى: أم.

قال الفرَّاءُ: هذا على وجهِ الاستهزاءِ به، كما تقولُ لمَن يدَّعي علمَ شيءٍ وهو جاهلٌ به: «نعم قد عرفتَه حقَّ المعرفةِ» استهزاءً به[٢].

ومعنى أدركَ الشَّيءُ: تمَّ بلوغُه، ومعنى تدارَكَ: حصلَ شيئًا بعد شيءٍ.

والعَمِي: هو الذي أُصيبَ بصيرتُه.

---

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٨٥٦)، واستغربه.

(٢) انظر: «معاني القرآن» للفراء (٢/ ٢٩٩)، وفيه: وبلغني عن ابن عباس أنه قرأ: (بَلَى أَدَّارَكَ) يستفهم ويشدد الدال ويجعل في (بلى) ياء. وهو وجه جيد؛ لأنه أشبه بالاستهزاء بأهل الجحد؛ كقولك للرجل تكذبه: «بلى لعمري لقد أدركتَ السلف فأنت تروي ما لا نروي» وأنت تكذبه.

(٦٧) - ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَءِذَا كُنَّا تُرَٰبًا وَءَابَآؤُنَآ أَئِنَّا لَمُخۡرَجُونَ ﴾.

﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَءِذَا كُنَّا تُرَٰبًا وَءَابَآؤُنَآ أَئِنَّا لَمُخۡرَجُونَ ﴾؛ أي: إذا صِرْنا ترابًا وصارَ آباؤُنا كذلك نخرجُ من قُبورِنا أحياءً؟ هذا لا يكونُ.

والعاملُ في (إذا) فعلٌ مُضمَرٌ دلَّ عليه ﴿لَمُخۡرَجُونَ﴾؛ أي: أنُبعَثُ إذا كنَّا تُرابًا؟ لأنَّ ما بعدَ (إنَّ) لا يعملُ فيما قبلَه.

و﴿آباؤُنا﴾ عطفٌ على المُضمَرِ في ﴿كُنَّا﴾ وقام المفعولُ مَقامَ الضَّميرِ المُنفصلِ.

وقيل: رفعٌ بالابتداءِ؛ أي: وآباؤُنا كذلك.

***

(٦٨) - ﴿ لَقَدۡ وُعِدۡنَا هَٰذَا نَحۡنُ وَءَابَآؤُنَا مِن قَبۡلُ إِنۡ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلۡأَوَّلِينَ ﴾.

﴿ لَقَدۡ وُعِدۡنَا هَٰذَا نَحۡنُ وَءَابَآؤُنَا مِن قَبۡلُ ﴾: في الأزمنةِ المُتقدِّمةِ ﴿إِنۡ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلۡأَوَّلِينَ﴾: مكتوبٌ كُتِبَ وأتى عليه السِّنونَ والدُّهورُ، فلم يُرَ شيءٌ خرجَ إلى الوجودِ، ولا حقيقةَ لمعناه.

***

(٦٩) - ﴿قُلۡ سِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَٱنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُجۡرِمِينَ﴾.

﴿قُلۡ سِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَٱنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُجۡرِمِينَ﴾: جُولُوا في بلادِ مَن تقدَّمَكم منَ الأممِ، وتعرَّفوا أحوالَ مَن كذَّبوا الرُّسلَ وكذَّبوا بالبعثِ، تجدوا ديارَهم خاويةً، وأبدانَهم بائدةً، فاحذَروا ولا تُكذِّبوا فيحِلَّ بكم مثلُ ما حلَّ بهم.

وقيل: معناه عيَّنَ الرُّسلُ لهم وقتَ العذابِ[1] فكان كما عيَّنوا، فَصِدْقُهم فيما عيَّنوا وقتَه دليلٌ على الصِّدقِ فيما لم يُعيِّنُوا.

(١) في (ف): «عذاب».

وقيل: معنى ﴿سِيرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ الآية: اقرؤوا القرآنَ؛ فإنَّ أحوالَـهم مذكورةٌ فيه، يُغنِكُم عن التَّطوافِ في الأرضِ والبلادِ(١).

* * *

(٧٠) ـ ﴿وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُن فِى ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ﴾.

﴿وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ﴾؛ أي: على تكذيبِهم إيّاكَ وإعراضِهم عنك ﴿وَلَا تَكُن فِى ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ﴾: لا يضِقْ صدرُك بمكرِهم؛ فإنِّي أكفيكَهُم: ﴿وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ﴾ [المائدة: ٦٧].

وقيل: ولا تحزَنْ على مَن ماتَ منهم على الكفرِ.

* * *

(٧١) ـ ﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾.

﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ﴾؛ أي: وَعدُ العذابِ ﴿إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ أنَّ العذابَ نازلٌ، وخرجَ الكلامُ مَخرجَ الجمعِ؛ لرجوعِ ذلك إلى النَّبيِّ ﷺ وأتباعِه الذين كانوا يُحذِّرُون الكفَّارَ كتحذيرِه.

* * *

(٧٢) ـ ﴿قُلْ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ رَدِفَ لَكُم بَعْضُ ٱلَّذِى تَسْتَعْجِلُونَ﴾.

﴿قُلْ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ رَدِفَ لَكُم بَعْضُ ٱلَّذِى تَسْتَعْجِلُونَ﴾؛ أي: عسى أن يكونَ بعضُ العذابِ قد دَنا منكم.

وقيل: جاء بعدَكم.

---

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٨٥٦)، واستغربه.

وقيل: قرُبَ منكم.

وقيل: دَنا لكم، وكلُّ ما دخلَه العددُ فهو سريعُ النَّفَدِ(١).

وقيل: تبِعَكُم؛ منَ القتلِ. والأسرِ، والسَّبْيِ، والسِّنينَ، والجَدْبِ، والبعضُ مُدَّخرٌ ليوم البعثِ والنُّشورِ.

وفي لامِ ﴿رَدِفَ لَكُم﴾ أقوالٌ:

أحدُها: أنَّ (ردِفَه) (وردِفَ له) لُغتانِ.

والثَّاني: أنَّ اللَّامَ زيادةٌ كقولِه: ﴿لِلرُّءْيَا تَعْبُرُونَ﴾ [يوسف: ٤٣].

وقيل: محمولٌ على المعنى؛ أي: دَنا لكم.

وعند النُّحاةِ له وجهانِ ـ وقد سبقَتْ أمثالُه ـ:

أحدُهما: أنَّ الفعلَ محمولٌ على المصدرِ؛ أي: الرِّدافةُ لكم، فيكونُ تقديرُه: رِدافةُ بعضِ ما تستَعجِلونَ لكم.

والثَّاني: أنَّ اللَّامَ مفعولٌ له، والمفعولُ به محذوفٌ، والتَّقديرُ: ردِفَ الخلقَ لكم ـ أي: لأجلِكم ـ بعضُ الذي تستعجِلون.

ورأيتُ في بعضِ التَّفاسيرِ: أنَّ في قولِه ﴿رَدِفَ﴾ ضميرًا يعودُ إلى الوعدِ، ثمَّ قال: ﴿لَكُم بَعْضُ ٱلَّذِى تَسْتَعْجِلُونَ﴾، وهذه لطيفةٌ، فيحسنُ الوقفُ على ﴿رَدِفَ﴾ وتقديرُه: ردِفَكُم الوعدُ(٢).

***

---

(١) في (ن): «التقدير». والمثبت من (ق) وهامش (ن).

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٨٥٧)، واستغربه.

(٧٣) ـ ﴿ وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ ﴾.

﴿ وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ ﴾ بتركِ المُعاجلةِ بالعذابِ على المعاصي، ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ ﴾ له فيستعجِلون.

***

(٧٤) ـ ﴿ وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴾.

﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ ﴾: تُضمِرُه وتسترُه، ﴿وَمَا يُعْلِنُونَ ﴾: وما يُظهِرونَ منَ القولِ، فليس تأخيرُ العذابِ عنهم لخفاءِ حالِـهم، ولكنْ له وقتٌ مُقدَّرٌ.

***

(٧٥) ـ ﴿وَمَا مِنْ غَائِبَةٍ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ﴾.

﴿وَمَا مِنْ غَائِبَةٍ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ﴾ هو ما أخفاه عن خلقِه وغيَّبَه عنهم.

وقيل: ما غابَ عنهم من عذابِ السَّماءِ والأرضِ.

الحسنُ: الغائبةُ: القيامةُ(١).

﴿إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ﴾: في اللَّوحِ المحفوظِ.

وقيل: في القضاءِ المحتومِ.

وقيل: الغائبةُ: أعمالُ العبادِ، وهي مُثْبتةٌ ليُجازِيَ عليها.

***

(٧٦) ـ ﴿ إِنَّ هَٰذَا الْقُرْآنَ يَقُصُّ عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَكْثَرَ الَّذِي هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴾.

﴿ إِنَّ هَٰذَا الْقُرْآنَ يَقُصُّ عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَكْثَرَ الَّذِي هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴾؛ أي: في الدِّينِ،

---

(١) ذكره يحيى بن سلام في «تفسيره» (٢/ ٥٦٢).

وذهبَ بعضُ المُفسِّرين إلى أنَّ المُرادَ به ذكرُ عيسى وأمِّه وعزيرٍ، وذكرُ محمَّدٍ ﷺ؛ فإنَّهم اختلفوا فيهم، واللهُ بيَّنَ أمرَهم ودينَهم في القرآنِ بيانًا شافيًا[1].

***

(٧٧) ـ ﴿وَإِنَّهُۥ لَهُدًى وَرَحۡمَةٌ لِّلۡمُؤۡمِنِينَ﴾.

﴿وَإِنَّهُۥ﴾: وإنَّ القرآنَ ﴿لَهُدًى وَرَحۡمَةٌ لِّلۡمُؤۡمِنِينَ﴾: لمَن آمنَ به.

***

(٧٨) ـ ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَقۡضِي بَيۡنَهُم بِحُكۡمِهِۦۚ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡعَلِيمُ﴾.

﴿إِنَّ رَبَّكَ يَقۡضِي بَيۡنَهُم﴾: بين بني إسرائيلَ في الدُّنيا ﴿بِحُكۡمِهِۦ﴾ فيما حَرَّفوه منَ الكتابِ وبدَّلوه.

وقيل: يحكمُ في القيامةِ؛ فيُجازي المُحِقَّ بحقِّه، والمُبطِلَ بباطلِه.

وقيل: يقضي بالقتالِ، وقد أَمَرَ به.

﴿وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ﴾ فلا يُغالَبُ ﴿ٱلۡعَلِيمُ﴾ فيما أمَرَ ونَهى.

***

(٧٩) ـ ﴿فَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِۖ إِنَّكَ عَلَى ٱلۡحَقِّ ٱلۡمُبِينِ﴾.

﴿فَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِ﴾ يا محمَّدُ وقاتِلْهم ﴿إِنَّكَ عَلَى ٱلۡحَقِّ ٱلۡمُبِينِ﴾؛ فثِقْ بالظَّفَرِ منَ اللهِ والغلبةِ على الأعداءِ.

وقيل: معناه: أدَّيتَ ما أُمِرتَ، فلا عليك أنْ لا يقبَلُوا.

***

(١) بعدها في (ن): «فيهم».

(٨٠) ـ ﴿ إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ الْمَوْتَىٰ وَلَا تُسْمِعُ الصُّمَّ الدُّعَاءَ إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ ﴾.

﴿ إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ الْمَوْتَىٰ ﴾؛ أي: هم لا ينتفعونَ بما يسمعون ولا يعملون به، فهم كالموتى لا حسَّ لهم ولا عقولَ، وكما لا يكونُ في وُسعِكَ وطاقتِكَ إسماعُ الموتى فكذلك إسماعُ هؤلاءِ.

﴿وَلَا تُسْمِعُ الصُّمَّ الدُّعَاءَ إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ ﴾؛ أي: هم لإعراضِهم عنِ الإصغاءِ إلى القرآنِ كالصُّمِّ، والأصمُّ إذا ولَّى لا يَفهمُ بالسَّماعِ[1] ولا بالرَّمزِ والإشارةِ.

* * *

(٨١) ـ ﴿ وَمَا أَنتَ بِهَادِي الْعُمْيِ عَن ضَلَالَتِهِمْ إِن تُسْمِعُ إِلَّا مَن يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا فَهُم مُّسْلِمُونَ ﴾.

﴿ وَمَا أَنتَ بِهَادِي الْعُمْيِ عَن ضَلَالَتِهِمْ ﴾؛ أي: هم كالعُمي، وما في وُسْعِكَ إدخالُ الهدى في قلوبِ مَن عَمِيَ عن الحقِّ ولـم ينظُرْ إليه بعينِ قلبِه.

﴿إِن تُسْمِعُ إِلَّا مَن يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا فَهُم مُّسْلِمُونَ ﴾ لا يقبلُه إلَّا مَن آمنَ بآياتنا وتركَ العِنادَ.

وقيل: لا تُسمِعُ إلَّا مَن يَطلبُ الحقَّ بالنَّظرِ في آياتِنا.

* * *

(٨٢) ـ ﴿وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِّنَ الْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ النَّاسَ كَانُوا بِآيَاتِنَا لَا يُوقِنُونَ ﴾.

﴿وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ ﴾: وجَبَ السُّخطُ والغَضَبُ.

وقيل: إذا تركُوا الأمرَ بالمعروفِ والنَّهيَ عن المُنكرِ.

---

(١) في (ف): «بالسمع».

وقيل: إذا حقَّ القولُ عليهم أنَّهم لا يُؤمنون.

وقيل: إذا قرُبَ كونُ السّاعةِ.

وقيل: القولُ الواقعُ قولُه: ﴿يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ﴾ الآية [الأنعام: ١٥٨].

وقيل: هو قولُه: ﴿وَلَٰكِنْ حَقَّ ٱلْقَوْلُ مِنِّي لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ﴾ [السجدة: ١٣].

﴿أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَآبَّةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ﴾: عَلَمًا من أعلامِ السّاعةِ وشرطًا من أشراطِها.

﴿تُكَلِّمُهُمْ﴾ منَ الكلامِ، وقيل: تُفَعِّلُ منَ الكَلْمِ، يُقوِّيه قراءةُ مَن قرأ: (تَكْلِمُهُم)[1].

﴿أَنَّ ٱلنَّاسَ﴾: لأنَّ النَّاسَ ﴿كَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا﴾: بمحمَّدٍ ﷺ والقرآنِ.

وقيل: بكتُبِنا.

وقيل: بأدِلَّتِنا.

﴿لَا يُوقِنُونَ﴾: لا يُؤمنون إيمانَ عالـمٍ مُستدلٍّ.

ومَن جعلَه منَ الكلامِ جازَ أن يكون ﴿أَنَّ ٱلنَّاسَ﴾ مفعولَ الكلامِ؛ أي: تُخاطبُهم بهذا.

وقيل: تُخاطبُهم فتقولُ للمؤمنِ: هذا مؤمنٌ، وللكافرِ: هذا كافرٌ.

ومَن كسرَ ﴿إِنَّ﴾[2] فعلى الاستئنافِ، أو على إضمارِ القولِ، أو يُنزِّلُ الكلامُ منزلةَ القولِ؛ لأنَّ كلَّ كلامٍ قولٌ، وليس كلُّ قولٍ كلامًا.

واختلفَ المُفسِّرون في شكلِ دابَّةِ الأرضِ، وفي موضعِ خروجِها؛ فرُوِيَ عن

---

(١) نسبت لابن عباس رضي الله عنهما ومجاهد وسعيد بن جبير وغيرهم. انظر: «إعراب القرآن» للنحاس (٣/ ١٥١ ـ ١٥٢)، و«المختصر في شواذ القراءات» (ص: ١١١)، و«المحتسب» (٢/ ١٤٤).

(٢) قرأ حمزة وعاصم والكسائي بفتح الهمزة، والباقون بكسرها. انظر: «السبعة» (ص: ٤٨٦ ـ ٤٨٧)، و«التيسير» (ص: ١٦٩).

حُذيفةَ أنَّه قال: قال رسولُ الله ﷺ: «دابَّةُ الأرضِ طولُـها ستُّونَ ذراعًا لا يُدرِكُها طالبٌ، ولا يفوتُها هاربٌ، تَسِمُ المؤمنَ بين عينَيه، وتكتبُ بين عينَيه: مؤمنٌ، وتَسِمُ الكافرَ بين عينَيه، وتكتبُ بين عينَيه: كافرٌ، ومعها عصا موسى، وخاتمُ سليمان، فتجلُو وجهَ المؤمنِ بالعصا، وتخطِمُ أنفَ الكافرِ بالخاتمِ، حتَّى إنَ أهلَ الخِوانِ ليجتَمعونَ فيقولُ هذا: يا مؤمنُ، ويقولُ هذا: يا كافرُ»(١).

ابنُ عبَّاسٍ رضي الله عنهما: تخرُجُ من بين أوديةِ تهامةَ(٢).

---

(١) رواه الثعلبي في «تفسيره» (٢٠/ ٣٢٨)، وفي إسناده من لم أقف لهم على ترجمة.

وقوله: «لا يُدرِكُها طالبٌ، ولا يفوتُها هاربٌ، تَسِمُ المؤمنَ بين عينَيه، وتكتبُ بين عينَيه مؤمنٌ، وتَسِمُ الكافرَ بين عينَيه، وتكتبُ بين عينَيه كافرٌ» رواه بنحوه الطبري في «تفسيره» (١٨/ ١٢٤)، ومن طريقه الثعلبي في «تفسيره» (٢٠/ ٣٣٨)، من حديث حذيفة مرفوعاً أيضاً، وقال ابن كثير عند تفسير هذه الآية: «إسناده لا يصح».

ورواه بنحوه أيضاً الطيالسي في «مسنده» (١٠٦٩)، ومن طريقه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٩/ ٢٩٢٣)، عن أبي سريحة حذيفة بن أسيد رضي الله عنه مرفوعاً. وللحديث عندهما إسنادان: الأول فيه إبهام الراوي عن حذيفة، والثاني فيه طلحة بن عمرو وهو متروك. ورواه بالإسناد الثاني الطبراني في «الكبير» (٣٠٣٥)، والثعلبي في «تفسيره» (٢٠/ ٣٢٥ ـ ٣٢٦)، والحاكم في «المستدرك» (٨٤٩٠) وقال: «صحيح الإسناد»! وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٨/ ٧): «فيه طلحة بن عمرو وهو متروك».

ورواه عبد الرزاق في «التفسير» (٢١٧٥)، ونعيم في «الفتن» (١٨٦٨)، والبخاري في «التاريخ الكبير» (٥/ ٣٩١)، والفاكهي في «أخبار مكة» (٢٣٤٤)، والطبري في «تفسيره» (١٨/ ١٢٢ ـ ١٢٣)، والحاكم في «المستدرك» (٨٤٩١) وصححه، من طريق أبي الطفيل عن حذيفة رضي الله عنه موقوفاً. ووقع عند عبد الرزاق: حذيفة بن اليمان، وعند الفاكهي والطبري: حذيفة بن أسيد، وفي باقي المصادر: حذيفة، دون تعيين. وأبو الطفيل هو عامر بن واثلة يروي عن حذيفة بن اليمان وعن حذيفة بن أسيد، كما في «تهذيب الكمال» (١٤/ ٧٩ ـ ٨٠).

(٢) رواه يحيى بن سلام في «تفسيره» (٢/ ٥٦٥)، وعبد الرزاق في «تفسيره» (٢١٧٦)، ونعيم بن حماد =

ابنُ مسعودٍ رضي الله عنهما: تخرجُ من(١) بين الصَّفا والمروةِ(٢).

وسُئِلَ عليُّ بنُ طالبٍ رضي الله عنه عن الدَّابَّةِ فقال: والله ما لها ذَنَبٌ، وإن لها لَلِحْيةً(٣)، كأنَّه أشارَ إلى أنَّها منَ الإنسِ.

غيرُه: هي دابَّةٌ من دوابِّ الأرضِ.

ابنُ عبَّاسٍ رضي الله عنهما: لها زغبٌ وريشٌ وأربعُ قوائمَ(٤).

ورُوِيَ عن أبي الزُّبيرِ(٥): إنَّها دابَّةٌ رأسُها رأسُ ثورٍ، وعينُها عينُ خنزيرٍ، وأذُنُها أذُنُ فيلٍ، وقَرنُها قَرنُ أيِّلٍ، وعنُقُها عنُقُ نعامةٍ، وصدرُها صدرُ أسدٍ، ولونُها لونُ نمرٍ، وخاصِرتُها خاصِرةُ هرَّةٍ، وذَنَبُها ذَنَبُ كبشٍ، وقوائمُها قوائمُ بعيرٍ، بين كلِّ مَفصِلَين اثنا عشر ذراعًا، تخرُجُ ومعها عصا موسى، وخاتمُ سليمان، فتنكتُ في مسجدِ المؤمنِ بعصا موسى نُكتةً بيضاءَ فيبيضُّ وجهُه، وتنكتُ في وجهِ الكافرِ بخاتمِ سليمانَ نُكتةً سوداءَ فيسودُّ وجهُه، وهذا حينَ يُغلَقُ بابُ التَّوبةِ، ثمَّ لا ينفعُ نفسًا إيمانُها لـم تكُنْ آمنَتْ من قبلُ(٦).

= في «الفتن» (١٨٦٢)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٩/ ٢٩٢٥).

(١) «من»: ليس في (ف).

(٢) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٤/ ٢٢٧). ورواه الطبري في «تفسيره» (١٨/ ١٢٤)، ومن طريقه الثعلبي في «تفسيره» (٢٠/ ٣٣٨)، من حديث حذيفة بن اليمان رضي الله عنه مرفوعاً، وإسناده لا يصح كما تقدم قريباً.

(٣) رواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٩/ ٢٩٢٤)، وذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٤/ ٢٢٦).

(٤) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٢١٧٦)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٩/ ٢٩٢٤)، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٨٥٨)، واستغربه.

(٥) في النسختين: «عن ابن الزبير رضي الله عنهما»، والتصويب من مصادر التخريج.

(٦) رواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٩/ ٢٩٢٤)، والسمرقندي في «تفسيره» (٢/ ٥٩٣)، والثعلبي في =

وَهْبٌ: وجهُها وجهُ رجُلٍ، وسائرُ خلقِها خلقُ الطَّيرِ، فتُخبِرُ مَن رآها أنَّ أهلَ مكّةَ كانوا بمحمَّدٍ والقرآنِ لا يُؤمنون[1].

وقيل: على صورةِ فرسٍ.

وقيل: تخرجُ من أجيادَ، موضعٌ منَ الصَّفا.

وقيل: من بحرِ سَدُومَ، حكاه الماورديُّ[2].

* * *

(٨٣) ـ ﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُ مِن كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجًا مِّمَّن يُكَذِّبُ بِـَٔايَٰتِنَا فَهُمْ يُوزَعُونَ﴾.

﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُ مِن كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجًا﴾؛ أي: نجمعُ من كلِّ أمَّةٍ منَ الأممِ زُمرةً ﴿مِّمَّن يُكَذِّبُ﴾ (مِن) للتَّبيينِ ﴿بِـَٔايَٰتِنَا﴾: بالعذابِ وبالدَّلائلِ[3].

﴿فَهُمْ يُوزَعُونَ﴾ يُحبَسُ أوَّلُهم على آخرِهم ليتَلاحقُوا، وقد سبقَ، وهذا كقولِه: ﴿لَنَنزِعَنَّ مِن كُلِّ شِيعَةٍ أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى ٱلرَّحْمَٰنِ عِتِيًّا﴾ [مريم: ٦٩].

وقيل: نحشرُ[4] الكلَّ، وخُصَّ المُكذِّبون بالذِّكرِ لأنَّه سبحانَه أرادَ وصفَ حالِهم.

= «تفسيره» (٢٠/ ٣٣٠)، جميعهم من رواية ابن جريج عن أبي الزبير، ورواه عن أبي الزبير أيضاً ابن مردويه كما في «الدر المنثور» (٦/ ٣٨٣)، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٨٥٨)، وعدَّه من العجائب.

(١) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٢٠/ ٣٤١)، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٨٥٨)، واستغربه.

(٢) انظر: «النكت والعيون» (٤/ ٢٢٧) عن ابن منبه، ورواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٩/ ٢٩٢٥) عن وهب بن منبه، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٨٥٨)، وعدَّه من العجائب.

(٣) في (ف): «والدلائل».

(٤) في (ف): «يحشر».

والحشرُ: جمعٌ على عُنفٍ.

وقيل: ﴿كُلِّ أُمَّةٍ﴾ أهلِ دينٍ.

وقيل: أهلِ كلِّ زمانٍ.

***

(٨٤) ـ ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُو قَالَ أَكَذَّبْتُم بِـَٔايَٰتِى وَلَمْ تُحِيطُوا۟ بِهَا عِلْمًا أَمَّاذَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾.

﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُو﴾؛ أي: جاؤوا إلى المحشرِ ﴿قَالَ﴾ الله لهم: ﴿أَكَذَّبْتُم بِـَٔايَٰتِى وَلَمْ تُحِيطُوا۟ بِهَا عِلْمًا أَمَّاذَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ في معناه قولان:

أحدُهما: أنَّه نفيٌ للعلمِ، وتقديرُه: أكذَّبتُم بآياتي ولـم تعرِفُوها حقَّ معرفتِها أم ماذا كنتم تعملون حينَ لـم تتفكروا فيها؟ فهو تبكيتٌ وتقريعٌ.

والثّاني: إثباتٌ للعلمِ، وألِفُ الاستفهامِ مُؤخَّرٌ في التَّقديرِ؛ أي: كذَّبتُم بآياتي أوَلـم تُحيطوا بها علمًا؟ فيكونُ كقولِه: ﴿أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ﴾ [آل عمران: ١٤٤]، فالاستفهامُ واقعٌ على الانقلابِ لا على الموتِ، ويُقوِّيه ما بعدَه: ﴿أَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا جَعَلْنَا ٱلَّيْلَ لِيَسْكُنُوا۟ فِيهِ وَٱلنَّهَارَ مُبْصِرًا﴾ [النمل: ٨٦]، حكاه القفَّالُ[١].

وقيل: الآياتُ هاهنا: آياتُ السّاعةِ.

وقيل: القرآنُ والأدلّةُ، على ما سبق.

***

(٨٥) ـ ﴿وَوَقَعَ ٱلْقَوْلُ عَلَيْهِم بِمَا ظَلَمُوا۟ فَهُمْ لَا يَنطِقُونَ﴾.

﴿وَوَقَعَ ٱلْقَوْلُ عَلَيْهِم﴾: حلَّ العذابُ بهم ﴿بِمَا ظَلَمُوا۟﴾: بسببِ كُفرِهم.

﴿فَهُمْ لَا يَنطِقُونَ﴾ باحتجاجٍ ولا اعتذارٍ ولا استنصارٍ.

---

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٨٥٨)، واستغربه.

وقيل: لا ينطِقون بحُجَّةٍ.

ابنُ بحرٍ: ﴿وَوَقَعَ ٱلْقَوْلُ عَلَيْهِم﴾: لزِمَتْهم حجَّةُ الله ﴿فَهُمْ لَا يَنطِقُونَ﴾ فلم يجدوا جوابًا[١].

***

(٨٦) ـ ﴿أَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا جَعَلْنَا ٱلَّيْلَ لِيَسْكُنُوا۟ فِيهِ وَٱلنَّهَارَ مُبْصِرًا ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾.

﴿أَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا جَعَلْنَا ٱلَّيْلَ لِيَسْكُنُوا۟ فِيهِ﴾ بالنَّومِ والقَرارِ والإمساكِ عن كدِّ الاكتسابِ، ﴿وَٱلنَّهَارَ مُبْصِرًا﴾: مُضيئًا للتَّصرُّفِ والمعاشِ.

وقيل: يُبصِّرهُم إلى معاشِهم.

وقيل: يُبصَرُ فيه؛ كقولِـهم: ليلٌ نائمٌ، ويومٌ صائمٌ، وسرٌّ كاتم.

﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾.

***

(٨٧) ـ ﴿وَيَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ فَفَزِعَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ ۚ وَكُلٌّ أَتَوْهُ دَٰخِرِينَ﴾.

﴿وَيَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ﴾ ينفخُ فيه إسرافيلُ عليه السَّلامُ، وهو قَرْنٌ.

وقيل: جمعُ صورةٍ، كصُوفةٍ وصُوفٍ؛ أي: تُنفَخُ الأرواحُ في الأجسادِ[٢].

وقيل: هو مثَلٌ ضربَه الله لإحياءِ الموتَى في وقتٍ واحدٍ؛ لخروجِهم فيه كخروجِ الجيشِ إذا أُنذِروا بنفخِ البوقِ فاجتمَعُوا لوقتٍ واحدٍ[٣].

والجمهورُ على الأوَّلِ، وهو المُعتقَدُ.

---

(١) في (ف): «جوابه».

(٢) في (ف): «الأجسام». ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٨٥٩)، واستغربه.

(٣) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٨٥٩)، وعدَّه من العجائب.

﴿فَفَزِعَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ﴾ قيل: هي النَّفخةُ الأولى، فيكونُ معنى (فَزِعَ): ماتَ، ﴿إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ﴾ هم الشُّهداءُ.

وقيل: هي النَّفخةُ الثَّانيةُ، فيكون (فَزِعَ) بمعنى: خافَ، ﴿إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ﴾: الملائكةُ، والأنبياءُ، والشُّهداءُ.

وقيل: هم المؤمنون لقولِه: ﴿وَهُم مِّن فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ ءَامِنُونَ﴾ [النمل: ٨٩].

وقيل: ﴿فَزِعَ﴾ بمعنى: أجابَ وأسرعَ إلى النِّداءِ[١].

وإنَّما عُطِفَ الماضي على المُستقبلِ لأنَّ اليومَ محمولٌ على معنى (إذا)[٢]، تقولُ: إذا زُرتَني زُرتُكَ، وإذا زُرتَني أزورُكَ.

والعامل في اليوم (اذكُرْ) عندَ المُبرِّدِ، فيكونُ مفعولًا به، ويكونُ ﴿فَزِعَ﴾ بمعنى المُستقبلِ، كقولِه: ﴿نادَى أَصْحابُ الْجَنَّةِ﴾ [الأعراف: ٤٤][٣].

وقيل: تقديرُه: يومَ يُنفَخُ في الصُّورِ ففزعَ مَن في السَّماواتِ قامتِ القيامةُ.

وقيل: ذلك يومَ يُنفَخُ[٤]، فيكونُ إشارةً إلى ما تقدَّمَ من خروجِ الدَّابَّةِ.

وقيل: العاملُ ﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ﴾ [القصص: ٨٩][٥].

﴿وَكُلٌّ أَتَوْهُ دَٰخِرِينَ﴾: صاغِرين. وقيل: راغِمين.

---

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٨٥٩)، واستغربه.

(٢) يعني: لأن «يَوْمَ يُنْفَخُ» محمول على معنى: إذا نفخ. قاله المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٨٥٩)، وزاد: وكذلك ما قبله: ﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُ﴾، ولهذا دخل الفاء في قوله: ﴿فَهُمْ يُوزَعُونَ﴾.

(٣) ذكره بلا نسبة النحاس في «إعراب القرآن» (٣/ ١٥٢).

(٤) هذا قول الفراء في «معاني القرآن» (٢/ ٣٠١).

(٥) والتقدير: ومن جاء بالحسنة يومَ ينفخ في الصور... فله خير منها... فالكلام فيه تقديم وتأخير على هذا، وقد ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٨٥٩)، واستغربه.

(٨٨) ـ ﴿وَتَرَى ٱلْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِىَ تَمُرُّ مَرَّ ٱلسَّحَابِ ۚ صُنْعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَىْءٍ ۚ إِنَّهُۥ خَبِيرٌۢ بِمَا تَفْعَلُونَ﴾.

﴿وَتَرَى ٱلْجِبَالَ﴾ بحاسَّةِ بصرِكَ ﴿تَحْسَبُهَا جَامِدَةً﴾: واقفةً مُمسِكةً عن الحركةِ جمودَ الماءِ، ﴿تَحْسَبُهَا﴾ حالٌ منَ المُخاطَبِ، أو منَ الجبالِ.

﴿وَهِىَ تَمُرُّ مَرَّ ٱلسَّحَابِ﴾ في السُّرعةِ.

وقيل: تسيرُ سيرًا وسطًا، من قولِ الأعشى:

كأنَّ مِشْـيَتَها مِـن بيـتِ جارَتِـهـا مَرُّ السَّـحابةِ لا رَيْـثٌ ولا عَجَـلُ[1]

وقيل: تجتمِعُ وتسيرُ بكثرتِها، فهي جامدةٌ في رأيِ العينِ، وتسيرُ سيرَ السَّحابِ؛ كالجيشِ إذا بعُدَ ما بينَ طرفَيه.

وقيل: يحسبُها الرَّائي لحيرتِه من هولِ ذلك اليومِ واقفةً، وهي سائرةٌ.

وقيل: تحسبُها جامدةً في الدُّنيا، وهي تمرُّ في الآخرةِ مرَّ السَّحابِ.

﴿صُنْعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَىْءٍ﴾؛ أي: صَنَعَ اللهُ ذلك صُنعَه، فهو نصبٌ على المصدرِ، ودلَّ على (صنَعَ) ما قبلَه.

ومعنى ﴿أَتْقَنَ﴾: أحكَمَ خلقَه، وهو مُشتقٌّ من قولِ العربِ: تقَّنُوا أرضَهم؛ إذا أرسلُوا فيها الماءَ الخاثرَ لتجودَ[2]، والتِّقْنُ: رسابةُ الماءِ في الغَديرِ، وهو الذي يَجيءُ به الماءُ منَ الخُثُورةِ.

﴿إِنَّهُۥ خَبِيرٌۢ بِمَا تَفْعَلُونَ﴾.

* * *

(١) البيت من معلقة الأعشى. انظر: «ديوان الأعشى» (ص: ٥٥).

(٢) في (ف): «فتجود».

(٨٩) ـ ﴿مَن جَآءَ بِٱلۡحَسَنَةِ فَلَهُۥ خَيۡرٞ مِّنۡهَا وَهُم مِّن فَزَعٖ يَوۡمَئِذٍ ءَامِنُونَ﴾.

﴿مَن جَآءَ بِٱلۡحَسَنَةِ﴾: بالطَّاعةِ ﴿فَلَهُۥ خَيۡرٞ مِّنۡهَا﴾ بالواحدِ عشرٌ، وبالواحدِ سبعُ مئةٍ، من قولِه: ﴿كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتۡ سَبۡعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنۢبُلَةٖ مِّاْئَةُ حَبَّةٖ﴾ الآية [البقرة: ٢٦١].

وقيل: خيرٌ منها: الجنَّةُ.

والجمهورُ على أنَّ الحسنةَ هاهنا: لا إلهَ إلا اللهُ، ويكونُ تقديرُ قولِه: ﴿مِّنۡهَا﴾: من جهتِها وسببِها.

ورُوِيَ عن ابنِ عبَّاسٍ رضي الله عنهما أنَّه قال: فله منها خيرٌ[1].

وقيل: على هذا الوجهِ يُمكِنُ حملُه على التَّفضيلِ أيضًا؛ أي: فله خيرٌ منَ القولِ والذِّكرِ لا منَ المذكورِ والمقولِ.

﴿وَهُم مِّن فَزَعِ يومِئذٍ ءَامِنُونَ﴾؛ أي: من فزَعِ يومِ القيامةِ، ومَن نوَّنَ[2] جعلَ الفزَعَ للجنسِ، وجاز لأنَّ المصدرَ للعمومِ.

* * *

(٩٠) ـ ﴿وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَكُبَّتۡ وُجُوهُهُمۡ فِي ٱلنَّارِ هَلۡ تُجۡزَوۡنَ إِلَّا مَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ﴾.

﴿وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ﴾: بالشِّركِ ﴿فَكُبَّتۡ وُجُوهُهُمۡ فِي ٱلنَّارِ﴾؛ أي: يدخلُ النّارَ فيُكبُّ فيها على وجهِه، ويُقالُ لهم: ﴿هَلۡ تُجۡزَوۡنَ إِلَّا مَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ﴾.

وقيل: هو خطابٌ منَ اللهِ للكفَّارِ في الدُّنيا؛ أي: إذا فُعِلَ بكم ما ذُكِرَ من إدخالِ النّارِ والكبِّ على الوجوهِ فيها هل أكونُ ظالمًا لكم؟

---

(١) رواه بهذا اللفظ ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٩/ ٢٩٣٥)، ورواه الطبري في «تفسيره» (١٨/ ١٤٣) بلفظ: «﴿فَلَهُۥ خَيۡرٞ مِّنۡهَا﴾: فمنها وصل إليه الخير؛ يعني ابن عباس بذلك: من الحسنة وصل إلى الذي جاء بها الخير»، ورواه الطبراني في «الدعاء» (١٥٠٥) بلفظ: «من جاء بلا إله إلا الله فمنها يصل إليه الخير».

(٢) قرأ عاصم وحمزة والكسائي بالتنوين، والباقون بغير تنوين. انظر: «السبعة» (ص: ٤٨٧)، و«التيسير» (ص: ١٧٠).

(٩١) - ﴿إِنَّمَآ أُمِرۡتُ أَنۡ أَعۡبُدَ رَبَّ هَٰذِهِ ٱلۡبَلۡدَةِ ٱلَّذِي حَرَّمَهَا وَلَهُۥ كُلُّ شَيۡءٖۖ وَأُمِرۡتُ أَنۡ أَكُونَ مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ﴾.

﴿إِنَّمَآ أُمِرۡتُ أَنۡ أَعۡبُدَ رَبَّ هَٰذِهِ ٱلۡبَلۡدَةِ﴾ قُل للعربِ يا محمَّدُ: إنَّما أمرني الله أن أعبُدَ ربَّ هذه البلدةِ؛ أي: مالكَها، وهي مكّةُ التي تفتخرُ بها العربُ، ويُسمَّون بسببها[1]: سُكَّانَ حرمِ الله.

﴿ٱلَّذِي حَرَّمَهَا﴾: جعلَه حرَمًا آمنًا يأمنُ فيها السِّباعُ والوحوشُ، فلا يَعْدُو الكلبُ فيها على الغزالِ، ولا ينفرُ منه الغزالُ، ويكفُّ النَّاسُ عن أهلِها وعمَّن لاذَ بها.

وقيل: ﴿حَرَّمَهَا﴾: عظَّمَ حُرمتَها من أن يُسفَكَ بها دمٌ، أو يُظلَمَ بها أحدٌ، أو يُصطادَ صيدُها، أو يُختَلى خَلاها، فاعبُدوه أنتم؛ ففيه عِزُّكُم وشرفُكُم.

﴿وَلَهُۥ كُلُّ شَيۡءٖ﴾: ولربِّ هذه البلدةِ كلُّ شيءٍ مع هذه البلدةِ؛ فإنَّه مالكُ الدُّنيا والآخرةِ وربُّ العالمين كلِّهم.

﴿وَأُمِرۡتُ أَنۡ أَكُونَ مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ﴾: وأمَرَني ربِّي بأنْ[2] أكونَ مُسلمًا على دينِ إبراهيمَ مُنقادًا لأمرِه.

***

(٩٢) - ﴿وَأَنۡ أَتۡلُوَاْ ٱلۡقُرۡءَانَۖ فَمَنِ ٱهۡتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهۡتَدِي لِنَفۡسِهِۦۖ وَمَن ضَلَّ فَقُلۡ إِنَّمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُنذِرِينَ﴾.

﴿وَأَنۡ أَتۡلُوَاْ ٱلۡقُرۡءَانَ﴾: وأمرَني أن أتلُوَ القرآنَ لأعرفَ الحلالَ منَ الحرامِ، وما ينبَغي لي أن أعبُدَ غيرَ الله به.

---

(١) في (ن): «لسكانها»، والمثبت من (ف) وهامش (ن).

(٢) في (ف): «أن».

﴿فَمَنِ ٱهْتَدَىٰ﴾: فمَن سلَكَ طريقي فأصابَ الحقَّ والهدى ﴿فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِۦ﴾ لأنَّه إياها ينفعُ وإياها يُورِدُ الجنانَ ﴿وَمَن ضَلَّ﴾ عن طريقي ﴿فَقُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ﴾؛ أي: فليس عليَّ إلّا الإنذارُ، وليس عليَّ إكراهُه، ولا إليَّ إنزالُ العذابِ به.

* * *

(٩٣) ـ ﴿وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ سَيُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ فَتَعْرِفُونَهَاۚ وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾.

﴿وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ الذي وفَّقَنا لمرضاتِه ﴿سَيُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ﴾ يومَ بدرٍ، وانشِقاقَ القمرِ.

وقيل: خروجَ الدَّابَّةِ ولو بعد حينٍ.

وقيل: ﴿ءَايَٰتِهِۦ﴾ في القيامةِ.

﴿فَتَعْرِفُونَهَا﴾: فيتحقَّقُ عندَكم ما كنتُم كذَّبتُم به.

﴿وما رَبُّكَ بِغافِلٍ عَمّا يَعْمَلُونَ﴾؛ يعني: الكفَّار، فيكونَ تأخيرُ العذابِ عنهم لغفلتِه عن أعمالِهم، ومَن قرأ بالتَّاءِ(١) فلمُوافقةِ ما قبلَه منَ الخطابِ.

* * *

(١) هي قراءة نافع وابن عامر وحفص، والباقون بالياء. انظر: «السبعة» (ص: ٤٨٨)، و«التيسير» (ص: ١٢٦).

سُورَةُ القَصَصِ

سُورَةُ القَصَص

ثمانٍ وثمانونَ آيةً[1]، مكيّةٌ.

ابنُ عبَّاسٍ رضي الله عنهما: مكيّةٌ إلا آيةً نزلت بالجُحْفةِ قبل الهجرةِ، وهي ﴿إِنَّ ٱلَّذِى فَرَضَ عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ﴾ الآية [القصص: ٨٥][2].

مُقاتلٌ: مكيّةٌ إلا قولَه: ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِهِۦ هُم بِهِۦ يُؤْمِنُونَ﴾ إلى قولِه: ﴿ٱلْجَٰهِلِينَ﴾ [القصص: ٥٢ ـ ٥٥] فإنَّها نزلت بالمدينةِ[3].

---

(١) «ثمان وثمانون آية»: ليس في (ف).

(٢) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٧/ ٢٦٧) من طريق مقاتل قال: قال الضحاك: قال ابن عباس: «إنّما نزلت بالجحفة ليس بمكة ولا المدينة»، وهذا منقطع، وذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٤/ ٢٣٣)، والواحدي في «البسيط» (١٧/ ٤٧٤).

ووردت فيه أخبار أخرى وهي منقطعة أيضاً، منها ما رواه يحيى بن سلام في «تفسيره» (٢/ ٦١٣) قال: «بَلَغني أنَّ النَّبيَّ ﷺ وهو مُوَجِّهٌ من مكة إلى المدينة حين هاجَرَ نَزَل عليه جبريلُ وهو بالجحْفَةِ فقال: أتشتاقُ يا محمدُ إلى بلادك التي وُلِدْتَ بها؟ فقال: نَعم، فقال: ﴿إِنَّ ٱلَّذِى فَرَضَ عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لَرَآدُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ﴾ [القصص: ٨٥] إلى مولدِكَ الذي خرجْتَ منه ظاهِرًا على أهلِه». وهكذا رواه الداني في «البيان في عد آي القرآن» (ص: ٢٠١) عن يحيى، وكذا ذكره مقاتل في «تفسيره» (٣/ ٣٥٩) دون سند أيضاً. وروى ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٩/ ٣٠٢٦) من طريق مقاتل عن الضحاك قال: «لَمَّا خَرج النَّبيُّ ﷺ مِن مكة فبلغ الجُحْفَةَ اشتاق إلى مكة، فأَنزَل اللهُ تباركَ وتعالى عليه القرآنَ: ﴿لَرَآدُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ﴾: إلى مكةَ».

(٣) انظر: «تفسير مقاتل» (٣/ ٣٣٤).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

(١ ـ ٣) ـ ﴿طسٓمٓ ﴿١﴾ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡمُبِينِ ﴿٢﴾ نَتۡلُواْ عَلَيۡكَ مِن نَّبَإِ مُوسَىٰ وَفِرۡعَوۡنَ بِٱلۡحَقِّ لِقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ﴾.

﴿طسٓمٓ ﴿١﴾ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡمُبِينِ ﴿٢﴾ نَتۡلُواْ عَلَيۡكَ﴾: نقرأُ عليك؛ أي: يقرؤُه جبريلُ بأمرِنا. وقيل: نقُصُّ عليك.

﴿مِن نَّبَإِ مُوسَىٰ وَفِرۡعَوۡنَ﴾: بعضَ أخبارِهما ﴿بِٱلۡحَقِّ﴾: بالصِّدقِ الذي لا يجوزُ فيه الكذبُ، وقيل: بأخبارٍ صحيحةٍ.

﴿لِقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ﴾ لينتفعوا به.

وقيل: يجوزُ أن يكونَ ﴿لِقَوۡمٖ﴾ من صلةِ الحقِّ؛ أي: بالحقِّ لهؤلاءِ؛ أي: ليكونَ لهم حقًّا وصِدْقًا يُؤمنونَ به.

***

(٤) ـ ﴿إِنَّ فِرۡعَوۡنَ عَلَا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَجَعَلَ أَهۡلَهَا شِيَعٗا يَسۡتَضۡعِفُ طَآئِفَةٗ مِّنۡهُمۡ يُذَبِّحُ أَبۡنَآءَهُمۡ وَيَسۡتَحۡيِۦ نِسَآءَهُمۡۚ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلۡمُفۡسِدِينَ﴾.

﴿إِنَّ فِرۡعَوۡنَ عَلَا فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾: علا في زمانِه في أرضِ مصرَ.

وقيل: العربُ تُسمِّي مصرَ الأرضَ، وبعضَ نواحيها الصَّعيدَ[١]؛ أي: صار فيها عاليًا رفيعَ القدرِ غالبًا لمن تحتَ يدِه.

ابنُ عبّاسٍ رضي الله عنهما: معنى ﴿عَلَا﴾: استكبرَ[٢].

---

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٨٦١)، واستغربه.

(٢) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٢٠/ ٣٧٤).

السُّدِّيُّ: تجبَّرَ(١).

قتادةُ: بغَى(٢).

مُقاتلٌ: تعظَّمَ(٣).

الزَّجَّاجُ: طغى وغلَبَ(٤).

وقيل: عظُمَ أمرُه بكثرةِ مَن أطاعَه.

﴿وَجَعَلَ أَهْلَهَا﴾: وصَيَّرَ أهلَ مصرَ ﴿شِيَعًا﴾: فِرَقًا؛ يُكرِمُ طائفةً ويُذِلُّ أخرى، ويستحيي طائفةً ويذبحُ أخرى، فيكونُ القِبْطُ إحدى الشِّيعةِ، وهم شيعةُ الكرامةِ.

ويجوزُ أن يكونَ ذلك على بني إسرائيلَ: قد كان يُكرِمُ قومًا منهم ويُذِلُّ الآخرين(٥).

ويجوزُ أن يكون قولُه: ﴿يَسْتَضْعِفُ طَآئِفَةً مِّنْهُمْ﴾ هم بنو إسرائيلَ ﴿يُذَبِّحُ أَبْنَآءَهُمْ وَيَسْتَحْيِۦ نِسَآءَهُمْ﴾ فيكونُ ﴿يَسْتَضْعِفُ﴾ و﴿يُذَبِّحُ﴾ و﴿يَسْتَحْيِي﴾ حالًا، و﴿يُذَبِّحُ﴾ و﴿يَسْتَحْيِي﴾ تفسيرٌ لقولِه: ﴿يَسْتَضْعِفُ﴾.

ومعنى ﴿يَسْتَحْيِي﴾: يتركُ البناتِ أحياءً للخدمةِ.

وقيل: كان يقتُلُ سنةً ويستَحيِي سنةً، فوُلِدَ هارونُ في سنةِ الاستحياءِ وموسى في سنةِ الذَّبحِ.

وقيل: معنى ﴿يَسْتَحْيِي﴾: يُفتِّشُ حياءَ المرأةِ باستخراجِ الولدِ الذَّكرِ منها، وهو بعيدٌ.

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (١٨/ ١٥٠)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٩/ ٢٩٣٨).

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (١٨/ ١٥٠)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٩/ ٢٩٣٩).

(٣) انظر: «تفسير مقاتل» (٣/ ٣٣٥).

(٤) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٤/ ١٣١)، وليس فيه: «وغلب».

(٥) في (ف): «الأخرى».

﴿إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾ في الأرضِ بالكفرِ والقتلِ واستعبادِ الأحرارِ.

* * *

(٥) ـ ﴿وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ ٱلْوَٰرِثِينَ﴾.

﴿وَنُرِيدُ﴾ إنَّما ذُكِرَ بلفظِ المُستقبلِ عطفًا على ﴿يَسْتَضْعِفُ﴾ وما بعدَه، وهي حالٌ؛ أي: حالُ فرعونَ كذا وحالُنا كذا.

﴿أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ﴾؛ أي: نتفضَّلَ على مَن استضعفَهم فرعونُ، وهم بنو إسرائيلَ.

الماورديُّ: هم يوسفُ وولدُه، قال: وهو قولُ عليٍّ بن أبي طالب كرَّمَ الله وجهَه[1].

﴿وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً﴾: أنبياءَ، وكان بين موسى وعيسى ألفُ نبيٍّ من بَني إسرائيلَ.

وقيل: قادةً في الخيرِ، ودُعاةً في الدِّينِ.

وقيل: وُلاةَ الأمرِ.

﴿وَنَجْعَلَهُمُ ٱلْوَٰرِثِينَ﴾ لمصرَ وأموالِـها بعد فرعونَ وأهلِه؛ كما قال في الأُخرى: ﴿كَمْ تَرَكُوا۟ مِن جَنَّـٰتٍ﴾ الآيات [الدخان: ٢٥ ـ ٢٨].

* * *

(٦) ـ ﴿وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَنُرِىَ فِرْعَوْنَ وَهَـٰمَـٰنَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَحْذَرُونَ﴾.

﴿وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ﴾: نجعلَهم مُقتَدرِين في مصرَ والشَّامِ وما ملكَتْه بنو إسرائيلَ مِنَ البلادِ.

---

(١) انظر: «النكت والعيون» للماوردي (٤/ ٢٣٤)، ورواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٩/ ٢٩٤١)، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٨٦١)، واستغربه.

﴿وَنُرِيَ فِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُم﴾: من بني إسرائيلَ ﴿مَّا كَانُوا۟ يَحْذَرُونَ﴾ من سلبِهم ملكَهم، واستيلائِهم على بلادِهم، على ما كانت كَهَنتُهم ومُنجِّمُوهُم يُخبِرونَهم به، حتَّى دَعاهم ذلك إلى قتلِ أبنائِهم.

الزَّجَّاجُ: عجَبًا من حمقِ فرعونَ في قتلِه بني إسرائيلَ؛ إنْ كان الكاهنُ صادقًا فما ينفعُه القتلُ، وإنْ كان كاذبًا فما معنى القتلِ[1]؟

قُرِئَ ﴿وَنُرِيَ فِرْعَوْنَ﴾ عطفًا على ﴿نَّمُنَّ﴾.

وقُرِئَ ﴿ويَرى﴾ بالياءِ، و﴿فرعونُ﴾ بالرَّفعِ[2]، فهو نصبٌ أيضًا بالعطفِ، ويحتمِلُ الاستئنافَ.

وإنَّما رأوا ذلك حين ادَّاركَهم أماراتُ الغرقِ وأسبابُه، وتحقَّقوا أنَّهم قد غُلِبوا، وأنَّ بني إسرائيلَ قد ملكوا مُلكَهم، وليس يحتاجُ إلى تطاولِ المدَّةِ في هذه الرُّؤيةِ.

* * *

(٧) - ﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنْ أَرْضِعِيهِ ۖ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِى ٱلْيَمِّ وَلَا تَخَافِى وَلَا تَحْزَنِىٓ ۖ إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾.

﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ﴾ النقَّاشُ: اسمُها يُوخايذ من ولدِ لاوي بنِ يعقوبَ[3].

قيل: وحيَ إلهامٍ، وقيل: وحيَ رُؤيا، وقيل: أتاها ملَكٌ كما أتى مريمَ حيثُ قال: ﴿وَإِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ﴾ [آل عمران: ٤٢].

---

(١) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٤/ ١٣٢).

(٢) قرأ بها حمزة والكسائي، والباقون بالنُّون مضمومة وكسر الراء وفتح الياء بعدها ونصب الأسماء الثلاثة. انظر: «السبعة» (ص: ٤٩٢)، و«التيسير» (ص: ١٧٠).

(٣) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٢٠/ ٣٧٩)، والجرجاني في «درج الدرر» (٢/ ٤١٨)، وجاء في «تفسير مقاتل» (٣/ ٣٣٦): «يوكابد».

قيل: كان الوحيُ قبل الولادةِ، وقيل: بعدَها، وهو الأظهرُ.

﴿أَنْ أَرْضِعِيهِ﴾: اسقيه اللَّبنَ ﴿فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ﴾ أن يُفْطَنَ به[1] ويسمعَ الجيرانُ صوتَه، وقيل: ﴿خِفْتِ عَلَيْهِ﴾ القتلَ من جهةِ فرعونَ.

وقيل: أوحى الله إليها أن أرضِعيه كلَّ يومٍ مرَّةً وكلَّ ليلةٍ مرَّةً، فإذا بلغَ أشهُرًا وخِفْتِ عليه أن يطلُبَ أكثرَ ويبكيَ فيُفْطَنَ به لبُكائِه ﴿فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ﴾: النِّيلِ، فلمَّا ولدَتْه جعلَتْه في بستانٍ، وكانت تأتيه مرَّةً بالنَّهارِ ومرَّةً باللَّيلِ فترُضِعُه ويكفيه ذلك، فأرضعَتْه ثمانيةَ أشهرٍ. وقيل: أربعةَ أشهرٍ. وقيل: ثلاثةَ أشهرٍ. فألقَتْه في النِّيلِ.

﴿وَلَا تَخَافِي﴾ عليه الضَّيعةَ والهلاكَ ﴿وَلَا تَحْزَنِي﴾ لفراقِه ﴿إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ﴾ بوجهٍ لطيفٍ، ﴿وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾؛ أي: يبلُغُ مبلغَ النُّبوَّةِ فيكونُ منَ المُرسلين.

وفي هذه الآيةِ أمرانِ ونهيانِ وخبرانِ وبشارتانِ.

* * *

(٨) ـ ﴿فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا خَاطِئِينَ﴾.

﴿فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ﴾؛ أي: فأرضعَتْه وألقَتْه في اليمِّ بعد ما خافَتْ عليه على الصِّفةِ التي أُمِرَتْ بها في قولِه: ﴿أَنِ اقْذِفِيهِ فِي التَّابُوتِ فَاقْذِفِيهِ فِي الْيَمِّ﴾ [طه: ٣٩]، فجاءَتْ إلى النَّجَّارِ وأمرَتْ أن يَجعلَ لها تابوتًا طولُه خمسةُ أشبارٍ في عرضِ خمسةٍ، فعلمَ النَّجَّارُ بذلك، فجاء إلى المُوكلِ بذبحِ البنينَ، فاعتُقِلَ لسانُه فرجعَ، ثمَّ عادَ مرَّاتٍ، فعلمَ أنَّه منَ الله فأقبلَ على النَّجرِ.

وقيل: لمَّا فرغَ من صنعةِ التَّابوتِ نمَّ إلى فرعونَ ليُخبرَه، فبعثَ معه مَن يأخذُه،

---

(١) في (ف): «له».

فطمَسَ الله على عينَيه وقلبِه فلم يعرفِ الطَّريقَ، وأيقنَ أنَّه المولودُ الذي يخافُه فرعونُ، فآمنَ في الوقتِ، وهو مؤمنُ آلِ فرعونَ، واسمُه خربيلُ.

ومعنى (الْتَقَطه): وجدَه من غيرِ طلبٍ، تقولُ: لقيتُ فُلانًا الْتِقاطًا؛ إذا وردتَ عليه من غيرِ قصدٍ إليه، وقال الشَّاعرُ:

ومَنْهَــلٍ وَرَدْتُــه التِقاطــا

لــم ألــقَ إذ وَرَدتُــه فُرَّاطــا

إلّا الحمامَ الوُرْقَ والغَطاطا[1]

﴿لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا﴾ لمُخالفةِ دينِهم ﴿وَحَزَنًا﴾ لـزوالِ مُلكِهم، والحُـزْنُ والحَـزَنُ لغتـانِ[2] كالبُخْـلِ والبَخَـلِ.

وقيل: بالضَّمِّ اسمٌ، وبالفتحِ مصدرٌ.

أجمعَ المُفسِّرون على أنَّ اللامَ هاهنا لامُ العاقبةِ والصَّيرورةِ لا لامُ العِلَّةِ، وأنشدوا:

لــه مَلَــكٌ يُنــادي كــلَّ يــومٍ   لِدُوا للمــوتِ وابنــوا للخــرابِ[3]

---

(١) ورد هـذا الرجز بلا نسبة في: «العيـن» (٥/ ١٠١)، و«الكتاب» لسـيبويه (١/ ٣٧١)، و«نوادر أبي مسـحل» (ص/ ١٨)، و«إصلاح المنطـق» (ص: ٥٧)، ونسـب للعجـاج فـي «الجليـس الصالح» (ص: ٦٣١)، ونسـب لرؤبـة فـي «الإبانـة» (٤/ ٢٠٩)، ونسـب لنقـادة الأسـدي فـي «العبـاب» (١/ ٢٩٤)، و«لسان العرب» (٧/ ٣٦٧).

(٢) قرأ حمزة والكسائي: ﴿وحُزْنًا﴾ بضم الحاء وسكون الزاي، والباقون بفتح الحاء والزاي. انظر: «السبعة» (ص: ٤٩٢)، و«التيسير» (ص: ١٧١).

(٣) هو في الديوان المنسوب لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه. انظر: «الخزانة» للبغدادي (٩/ ٥٣١).

﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا۟ خَٰطِـِٔينَ﴾: آثِمين بكُفـرِهم؛ أي: فجعلَ الله لهم موسى ﴿عَدُوًّا وَحَزَنًا﴾ لذلك.

المُبرِّدُ: أي: مُخطِئين على أنفُسِهم بالتقاطِه[(١)].

وذُكِرَ في التَّفسيرِ أنَّه الْتقطَه جواري فرعونَ.

وقيل: التقَطَه بنتٌ لفرعونِ برصاءُ فبرِئَتْ في الحالِ.

وقيل: البَرْصاءُ كانت امرأةَ فرعونَ فبرِئَتْ.

وقيل: كانوا خاطئين بقتلِ أولادِ بني إسرائيلَ.

وهبٌ: ذبحَ فرعونُ في طلبِ موسى سبعين ألفَ وليدٍ، حكاه الثَّعلبيُّ وغيرُه[(٢)].

النقَّاشُ: جميعُ ما قتلَ فرعونُ من بني إسرائيلَ ستةَ عشرَ طفلًا[(٣)]، والله أعلمُ بذلك.

***

(٩) - ﴿وَقَالَتِ ٱمْرَأَتُ فِرْعَوْنَ قُرَّتُ عَيْنٍ لِّى وَلَكَ ۖ لَا تَقْتُلُوهُ عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ أَوْ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾.

﴿وَقَالَتِ ٱمْرَأَتُ فِرْعَوْنَ قُرَّتُ عَيْنٍ لِّى وَلَكَ﴾؛ أي: قالت لفرعونَ: هذا الصَّبيُّ ﴿قُرَّتُ عَيْنٍ لِّى وَلَكَ﴾.

---

(١) وأجازه ابن الأنباري، وهو اختيار الزجاج، كما قال الواحدي في «البسيط» (١٢/ ٢٣٦)، وقد أشار إليه الزجاج في «معاني القرآن» (٣/ ١٢٨) عند قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا دَخَلُوا۟ عَلَيْهِ قَالُوا۟ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْعَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهْلَنَا﴾ [يوسف: ٩٧]. وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٨٦٢) عن المبرد، وعده من العجائب.

(٢) انظر: «تفسير الثعلبي» (٢٠/ ٣٨١)، وفيه: «تسعين ألف وليد».

(٣) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٨٦٣)، واستغربه.

﴿لَا تَقْتُلُوهُ﴾ خاطبته بلفظِ الجمعِ. وقيل: تقديرُه: قل للشُّرَطِ: لا تقتُلوه ﴿عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ﴾ في بعضِ أمورِنا وخدمتِنا ﴿أَوْ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدًا﴾ إنْ كان نجيبًا عاقلًا.

ورُوِيَ عن ابنِ عبّاسٍ رضي الله عنهما الوقفُ على قولِه: ﴿وَلَكَ لَا﴾[1]، وهو من حيثُ المعنى صحيحٌ؛ لأنَّ مآلَـها كان إلى الإيمانِ والجنَّةِ، ومآلَ أمرِه إلى الغرقِ والنّارِ، ومن حيثُ الإعرابِ فاسدٌ غيرُ صحيحٍ؛ لأنَّه لا يُمكِنُ الابتداءُ بما بعدَه، ولـم تكن امرأتُه تتجاسَرُ على مُواجهتِه بهذا الكلامِ، كيف وهي تستميلُ قلبَه على استبقائِه بقولِـها: ﴿عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ أَوْ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدًا﴾؟!

ورُوِيَ عن نافعٍ الوقفُ على قولِه: ﴿لِّي﴾ والابتداءُ بقولِه: ﴿وَلَكَ لَا تَقْتُلُوهُ﴾؛ أي: ولك أنْ لا تقتُلوه، أو: ولك أن تقولَ: لا تقتُلوه[2]، والوجهُ الوصلُ.

ورُوِيَ عن النَّبيِّ ﷺ أنَّه قالَ: «إنَّ فرعونَ قال: أمَّا أنا فلا حاجةَ لي فيه، ولو قال يومئذٍ: هو قرّةُ عينٍ لي كما هو لكِ؛ لَـهداهُ الله كما هداها»[3].

---

(١) انظر: «معاني القرآن» للفراء (٢/ ٣٠٢)، وفيه: «وإنما ذكرت هذا لأني سمعت الذي يقال له ابن مروان السدي يذكر عن الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس أنه قال: إنها قالت: ﴿قُرَّتُ عَيْنٍ لِّي وَلَكَ لَا﴾ وهو لحن».

قلت: وهذا موضوع على الحبر، فمحمد بن مروان الملقب بالسدي الصغير كذاب، والكلبي متروك، وأبو صالح لم يسمع ابن عباس.

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٨٦٣)، وضعّفه.

(٣) قطعة من حديث الفتون، وهو خبر طويل جدًّا رواه النسائي في «الكبرى» (١١٢٦٣)، وأبو يعلى في «مسنده» (٢٦١٨)، عن ابن عباس رضي الله عنهما، وأورده بتمامه ابن كثير في «تفسيره» عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَفَتَنَّاكَ فُتُونًا﴾ [طه: ٤٠] ثم قال: «وهو موقوف من كلام ابن عباس، وليس فيه مرفوع إلا قليل منه».

قلت: وهذه القطعة منه هي مما صرح ابن عباس برفعه في هذا الخبر، وكذا رواه مقتصراً على =

قولُه: ﴿وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ﴾ قيل: هو من كلامِ امرأةِ فرعونَ؛ أي: نتَّخِذُه ولدًا وبنو إسرائيلَ لا يشعرون.

وقيل: والنَّاسُ لا يشعرون أنَّه لغيرِنا.

والجمهورُ على أنَّه استئنافُ كلامٍ منَ الله سبحانَه؛ أي: لا يشعرُ فرعونُ وقومُه أنَّ هلاكَهم على يدَيه.

وقيل: لا يشعرون أنَّه المطلوبُ للذَّبحِ.

* * *

(١٠) - ﴿وَأَصۡبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَٰرِغًاۖ إِن كَادَتۡ لَتُبۡدِي بِهِۦ لَوۡلَآ أَن رَّبَطۡنَا عَلَىٰ قَلۡبِهَا لِتَكُونَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾.

﴿وَأَصۡبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَٰرِغًا﴾ أَصْبَحَ؛ أي: صارَ وحصلَ.

وقيل: رمَتْه ليلًا، فأصبحَ فؤادُها فارغًا[1]، والوجهُ هو الأوَّلُ.

وفي قولِه: ﴿فَٰرِغًا﴾ أقوالٌ:

أحدُها: ﴿فَٰرِغًا﴾ من كلِّ شيءٍ إلا من ذكرِ موسى، وهو قولُ ابنِ عبَّاسٍ رضي الله عنهما[2].

الأخفشُ: ﴿فَٰرِغًا﴾ لا حزنَ فيه ثقةً بوعدِ الله: ﴿إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيۡكِ﴾[3].

= هذا الجزء مرفوعاً الطبري في «تفسيره» (١٨/ ١٦٤)، وكلهم رووه من طريق يزيد بن هارون، عن الأصبغ بن زيد، عن القاسم بن أبي أيوب، عن سعيد بن جُبَيْر، عن ابن عباس رضي الله عنهما. قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٧/ ٦٦): «رجاله رجال الصحيح غير الأصبغ بن زيد والقاسم بن أبي أيوب، وهما ثقتان».

(١) فالفعل على هذا تام، وعلى الأول ناقص، وهو الوجه الأظهر، كما قال المصنف.

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (١٨/ ١٦٧)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٩/ ٢٩٤٧).

(٣) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٤/ ٢٣٨)، وهو خلاف ما في «معاني القرآن» للأخفش =

ابنُ بحرٍ: فَراغُ القلبِ خوفُه، من قولِه: ﴿وَأَفْـِٔدَتُهُمْ هَوَآءٌ﴾ [إبراهيم: ٤٣]، ويُسمَّى الجبانُ يَراعةً؛ أي: لا قلبَ له[١].

وقيل: نافرًا.

وقيل: والِـهًا.

وقيل: ﴿فَـٰرِغًا﴾ للحزنِ على موسى والاغتمامِ له.

الحسنُ: ﴿فَـٰرِغًا﴾ من ذكرِ الوحيِ والعهدِ؛ أي: أنساها عظيمُ البلاءِ ذلك[٢].

﴿إِن كَادَتْ لَتُبْدِى بِهِۦ لَوْلَآ أَن رَّبَطْنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا﴾ وذلك أنَّها سمعَتْ أنَّ فرعونَ قد أخذَ التَّابوتَ فلم تشُكَّ أنَّه يقتُلُه، فكادَتْ تقولُ: وا إِبناهُ شفقةً عليه.

وقيل: لمَّا سمعَتْ أنَّ فرعونَ اتَّخذَه ولدًا كرهَتْ وكادَتْ تقولُ: هو ابني.

وقيل: لمَّا حُمِلَتْ لإرضاعِه وحضانتِه كادَتْ تقولُ: هو ابني.

وقيل: تُبدي بالوَحْيِ. وقيل: بالبكاءِ.

وفي الباءِ قولان:

أحدُهما: زيادةٌ، والتَّقديرُ: تُبديه.

والثَّاني: أنَّ المفعولَ مُقدَّرٌ؛ أي: تُبدي القولَ به؛ بسببِ موسى.

﴿لَوْلَآ أَن رَّبَطْنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا﴾: قوَّيناها[٣] بالصبرِ واليقينِ.

= (٢/ ٤٦٩)، ففيه مثل ما سيأتي عن الحسن.

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٨٦٣)، واستغربه.

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (١٨/ ١٦٩) بلفظ: «أصبح فارغًا من العهد الذي عهدنا إليها، والوعد الذي وعدناها أن نرد عليها ابنها، فنسيت ذلك كله، حتى كادت أن تبدي به لولا أن ربطنا على قلبها»، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٨٦٣)، واستغربه.

(٣) في (ف): «قويناه».

وقيل: بالإيمانِ والعصمةِ.

وقيل: ربَطْنا على قلبِها بأن نُذكِّرَها: ﴿وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِيٓ إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيْكِ﴾.

وجوابُ ﴿لَوْلَآ﴾ محذوفٌ؛ أي: لأبدَتْه.

﴿لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾؛ أي: فعلنا لتكونَ منَ المُؤمنينَ غيرَ شاكَّةٍ في وعدِ الله؛ فإنَّ ذلك كفرٌ. وقيل: منَ المُصدِّقين.

***

(١١) - ﴿وَقَالَتْ لِأُخْتِهِۦ قُصِّيهِۖ فَبَصُرَتْ بِهِۦ عَن جُنُبٍ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾.

﴿وَقَالَتْ لِأُخْتِهِۦ قُصِّيهِ﴾: اتَّبعي أثرَه واستعلِمي خبرَه ﴿فَبَصُرَتْ بِهِۦ﴾ أي: قصَّتْه ﴿فَبَصُرَتْ بِهِۦ﴾: أبصرَتْه.

وقيل: صارت بصيرةً بموضعِه؛ لأنَّ (بصُرَ) لا يتعدَّى.

﴿عَن جُنُبٍ﴾: عن مكانٍ جُنُبٍ، صفةُ موصوفٍ محذوفٍ.

وقيل: عن جانبٍ؛ لأنَّها كانت تمشي على الشَّطِّ.

﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ أنَّها تقُصُّه(١).

وقيل: لا يشعرون أنَّها أختُه.

***

(١٢) - ﴿وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ ٱلْمَرَاضِعَ مِن قَبْلُ فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰٓ أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُۥ لَكُمْ وَهُمْ لَهُۥ نَٰصِحُونَ﴾.

﴿وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ ٱلْمَرَاضِعَ﴾ معناه: مِن أن يرضَعَ إلَّا من أمِّه.

---

(١) في (ف): «تقص».

و﴿ٱلۡمَرَاضِعَ﴾: جمعُ مَرضَعٍ بالفتح؛ أي: الرَّضاعَ.

وقيل: مُرضِعٍ بالكسرِ.

وقيل: مُرضِعةٍ، فيكونُ المضافُ محذوفًا؛ أي: لبنَ المراضعِ.

﴿مِن قَبۡلُ﴾: من قبلِ إتيانِ الأختِ.

وقيل: مِن قَبْلِ أن تأتيَه أمُّه.

وقيل: ﴿مِن قَبۡلُ﴾: في القضاءِ السَّابقِ.

وقيل: حرَّمْنا على المراضعِ أن يُرضِعْنَه، وذلك بأنْ لا يقبلَ إرضاعَهُنَّ، حكاه القفَّالُ(١).

﴿فَقَالَتۡ﴾؛ أي: أختُ موسى: ﴿هَلۡ أَدُلُّكُمۡ﴾: هل لكم حاجةٌ أن أدلَّكُم: أُرشِدَكم ﴿عَلَىٰٓ أَهۡلِ بَيۡتٖ يَكۡفُلُونَهُۥ﴾: يكفُلونَ موسى ﴿لَكُمۡ﴾ من أجلِكم وسببِكم.

﴿وَهُمۡ لَهُۥ نَٰصِحُونَ﴾ لا يُقصِّرون في تربيتِه وإرضاعِه في وقتِ حاجتِه إلى اللَّبنِ.

وذُكِرَ في بعضِ التَّفاسيرِ: أنَّ هامانَ لـمَّا سمعَها تقولُ: ﴿وَهُمۡ لَهُۥ نَٰصِحُونَ﴾ قال: خُذوها حتَّى تُخبِرَ بقِصَّةِ هذا الغلامِ، فألهمَها الله فقالت: إنَّما ذكرتُ النَّصيحةَ لفرعونَ لا لغيرِه، فقال: صَدَقت(٢).

فسألَها فرعونُ أن تأتيَ بمَن يكفُلُ موسى، فأتَتْ بأمِّ موسى، فلمَّا أرضعَتْه أمسكَ عن البكاءِ وارتَضَعَ منها.

وذُكِرَ في بعضِ التَّفاسيرِ: أنَّ فرعونَ قال لها: ما بالُه لـم يقبَلْ لبنَ غيرِك وقبِلَ

---

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٨٦٤)، وعدَّه من العجائب.

(٢) ذكره إلى هنا المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٨٦٤)، واستغربه.

لبنَكِ؟ قالت: لأنِّي امرأةٌ طيِّبةُ الرِّيحِ طيِّبةُ اللَّبنِ لا أُوتَى بصبيٍّ إلا ارتضَعَ منِّي، فسكتَ فرعونُ.

ثمَّ قالت لامرأةِ فرعونَ: إنْ طابَتْ نفسُكِ أن تُعطينيه فأذهبَ به إلى بيتي لا آلُوه خيرًا فعلتِ، وإلا فإنِّي غيرُ تاركةٍ منزلي وأولادي، فرضيَتِ امرأةُ فرعونَ، فرجعَتْ بابنِها إلى بيتِها من يومِها، وهو قولُه:

(١٣) - ﴿فَرَدَدْنَٰهُ إِلَىٰٓ أُمِّهِۦ كَىْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾.

﴿فَرَدَدْنَٰهُ إِلَىٰٓ أُمِّهِۦ كَىْ تَقَرَّ عَيْنُهَا﴾ بولدِها ﴿وَلَا تَحْزَنَ﴾ على فراقِه، ﴿وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ﴾: لتتيقَّنَ أنَّ وعدَ الله كائنٌ، ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ﴾: أكثرَ الكفَّارِ ﴿لَا يَعْلَمُونَ﴾ أنَّ وعدَه حقٌّ.

وقيل: ﴿لَا يَعْلَمُونَ﴾ ما يُرادُ بهم.

***

(١٤) - ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَٱسْتَوَىٰٓ ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًا ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ﴾.

﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ﴾؛ أي: بلغَ موسى قوَّةَ الشَّبابِ، وتمامَ العقلِ والتَّمييزِ.

ابنُ عبَّاسٍ رضي الله عنهما: بلغَ ثلاثًا وثلاثين سنةً[(١)].

الحسنُ: أربعينَ سنةً[(٢)].

السُّدِّيُّ: ثلاثينَ سنةً[(٣)].

---

(١) رواه بهذا اللفظ ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٤/ ١١١١) عند قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ﴾ [الأحقاف: ١٥]، ورواه الطبري في «تفسيره» (١٨/ ١٨١) هنا لكن بلفظ: «بضعًا وثلاثين».

(٢) رواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٧/ ٢١١٨).

(٣) رواه عنه الطبري في «تفسيره» (٩/ ٦٦٤) عند قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُۥ﴾ [الأنعام: ١٥٢].

عكرمةُ: خمسًا وعشرينَ سنةً[١].

ابنُ جُبيرٍ: ثماني عشرةَ سنةَ[٢].

وقيل: عشرينَ سنةً.

وقيل: خمسَ عشرةَ سنةً.

وقيل: الحُلُمَ.

﴿وَاسْتَوَىٰٓ﴾ ابنُ عبّاسٍ رضي الله عنهما: أربعينَ سنةً[٣].

وقيل: بلغَ قامتُه مبلغًا لا يزيدُ عليه واستوى قَدُّه.

وقيل: ﴿اسْتَوَى﴾: كَمُلَ عقلُه.

وقيل: خرجَتْ لحيتُه.

و﴿أَشُدَّهُۥ﴾ قيل: جمعُ (شِدَّةٍ) كنِعمةٍ وأنعُمٍ.

وقيل: جمعُ (شِدٍّ) كوِدٍّ وأَوُدٍّ.

وقيل: واحدٌ كـ(آنُكٍ)، وقد سبقَ.

﴿ءَاتَيْنَـٰهُ حُكْمًا﴾: نُبوّةً وفقهًا، وقيل: عقلًا.

﴿وَعِلْمًا﴾: فِقهًا وفهمًا.

مجاهدٌ: قرآنًا[٤]، وهذا بعيدٌ.

---

(١) رواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٧/ ٢١١٩).

(٢) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٤/ ٢٤٠).

(٣) رواه الثعلبي في «تفسيره» (٢٠/ ٤٠٣)، وذكره الماتريدي في «تأويلات أهل السنة» (٨/ ١٥٤)، والنحاس في «معاني القرآن» (٥/ ١٦٤)، وعزاه السيوطي في «الدر المنثور» (٦/ ٣٩٧) إلى عبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم وأبي الشيخ والمحاملي في «أماليه».

(٤) رواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٩/ ٢٩٥٢) في تفسير: ﴿حُكْمًا﴾.

وقيل: علمًا بشرائعِ دينِه.

﴿وَكَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾؛ أي: كما فعَلْنا بموسى وأمِّه نفعلُ بالمُؤمنين.

***

(١٥) ـ ﴿وَدَخَلَ ٱلۡمَدِينَةَ عَلَىٰ حِينِ غَفۡلَةٖ مِّنۡ أَهۡلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيۡنِ يَقۡتَتِلَانِ هَٰذَا مِن شِيعَتِهِۦ وَهَٰذَا مِنۡ عَدُوِّهِۦۖ فَٱسۡتَغَٰثَهُ ٱلَّذِي مِن شِيعَتِهِۦ عَلَى ٱلَّذِي مِنۡ عَدُوِّهِۦ فَوَكَزَهُۥ مُوسَىٰ فَقَضَىٰ عَلَيۡهِۖ قَالَ هَٰذَا مِنۡ عَمَلِ ٱلشَّيۡطَٰنِۖ إِنَّهُۥ عَدُوّٞ مُّضِلّٞ مُّبِينٞ﴾.

﴿وَدَخَلَ ٱلۡمَدِينَةَ﴾: دخلَ موسى مصرَ.

وقيل: قرية على فرسخَينِ من مصرَ يقالُ لها: جائين.

وقيل: اسمُها عينُ الشَّمسِ.

النقَّاشُ: الإسكندريّةُ.

وقيل: خرجَ من قصرِ فرعونَ ودخلَ مصرَ.

وقيل: بل كان فرعونُ أخرجَه لـمَّا أخذَ بلحيتِه فلم يدخُلْ عليه حتَّى كبُرَ.

وقيل: كان فرعونُ ركبَ وموسى غائبٌ، فلما عادَ ركبَ خلفَه ودخلَ المدينةَ.

فاتَّفقَ له ذلك ﴿عَلَىٰ حِينِ غَفۡلَةٖ مِّنۡ أَهۡلِهَا﴾ قيل: مُتنكِّرًا راجِلًا.

وقيل: في غيرِ الوقت الذي كان يدخلُ المدينةَ مُعتادًا، ولهذا قال: ﴿عَلَىٰ حِينِ غَفۡلَةٖ﴾ ولـم يقُلْ: على غفلةٍ؛ أي: دخلَ في غيرِ الوقتِ الذي كانوا يتوقَّعونَه.

وقيل: وقتَ القيلولةِ.

وقيل: بين المغربِ والعشاءِ.

﴿فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيۡنِ يَقۡتَتِلَانِ هَٰذَا مِن شِيعَتِهِۦ وَهَٰذَا مِنۡ عَدُوِّهِۦ﴾؛ أي: أحدُهما من بني إسرائيلَ والآخرُ منَ القِبطِ.

وقيل: أحدُهما مؤمنٌ والآخرُ كافرٌ.

وقوله: ﴿هَٰذَا﴾ على الحكايةِ.

المُبرِّدُ: العربُ تُشيرُ بـ(هذا) إلى الغائبِ(١)، قال جريرٌ:

هـذا ابـنُ عمِّـي فـي دمشـقَ خليفةً لـو شئـتُ سـاقَكمُ إلـيَّ قَطينـا(٢)

﴿فَٱسْتَغَٰثَهُ ٱلَّذِى مِن شِيعَتِهِۦ عَلَى ٱلَّذِى مِنْ عَدُوِّهِۦ﴾؛ أي: سألَه أن يُغيثَه، وكان القِبْطيُّ خبَّازَ فرعونَ يحملُ الحطبَ على الإسرائيليِّ.

وقيل: يحملُ الخبزَ على ظهرِه.

وقيل: كانا يقتَتلانِ في الدِّينِ.

﴿فَوَكَزَهُۥ مُوسَىٰ﴾؛ أي: غضِـبَ موسـى علـى القِبْطيِّ لكُفـرِه وعُتُـوِّه(٣) ﴿فَوَكَزَهُۥ﴾: ضربَـه بجميـعِ كفِّه.

وقيل: دفعَ صدرَه بيدِه.

وقيل: عقدَ بيمينِه عقدَ ثلاثٍ وتسعينَ فضربَه.

وقيل: ضربَه بعصاه(٤).

والوَكْزُ واللَّهْزُ والنَّهْزُ والرَّهْزُ بمعنًى.

﴿فَقَضَىٰ عَلَيْهِ﴾؛ أي: قتلَه، وقيل: أماتَه، والقاضيةُ: الموتُ.

وقيل: كلُّ شيءٍ فرغتَ منه فقد قضَيْتَه.

---

(١) انظر: «البحر المحيط» لأبي حيان (٨/ ٢٩٢)، و«الدر المصون» للسمين الحلبي (٨/ ٦٥٧).

(٢) البيت لجرير. انظر: «ديوانه» بشرح ابن حبيب (١/ ٣٨٨)، و«الشعر والشعراء» لابن قتيبة (١/ ٤٦١).

قال شارح الديوان: «القطين: الرقيق، والقطين: الحشم، والقطين: أهل الدار، والقطين: السكان».

(٣) في (ف): «وغلوه».

(٤) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٨٦٥)، واستغربه.

وفاعلُ (قَضَى) موسى، ويحتمِلُ أن يكونَ هو اللهَ؛ أي: قضى الله عليه الموتَ، ويحتمِلُ: فقضى الوكزُ عليه.

﴿قَالَ﴾ يعني: موسى: ﴿هَٰذَا﴾ إشارةً إلى ما حصلَ من غيرِ قصدِه ﴿مِنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ﴾ لأنَّه حملَه على ذلك حينَ أغراه.

وقيل: معنى قولِه: ﴿مِنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ﴾ كقولِك: هذا من فعلِ الفاسقين لا الصَّالحين(١)، وكان لم يُؤمَرْ بالقتلِ والقتالِ.

وقيل معناه: زَيَّنَ الشَّيطانُ لي طاعةَ الغضبِ وتركَ الرِّفقِ.

﴿إِنَّهُۥ﴾: إنَّ الشَّيطانَ ﴿عَدُوٌّ مُّضِلٌّ مُّبِينٌ﴾: ظاهرُ العداوةِ.

* * *

(١٦) ـ ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَٱغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُۥٓ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾.

﴿قَالَ رَبِّ﴾: يا ربِّ ﴿إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي﴾ بقتلِه من غيرِ أمرٍ منك ﴿فَٱغْفِرْ لِي﴾ ذنبي ﴿فَغَفَرَ لَهُۥٓ﴾ أجابَ الله دُعاءَه، ﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ﴾ لذنوبِ العبادِ ﴿ٱلرَّحِيمُ﴾ بهم.

* * *

(١٧) ـ ﴿قَالَ رَبِّ بِمَآ أَنْعَمْتَ عَلَيَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا لِّلْمُجْرِمِينَ﴾.

﴿قَالَ رَبِّ بِمَآ أَنْعَمْتَ عَلَيَّ﴾: بما غَفَرْتَ ذَنْبي، وقيل: بما خلَّصْتَني.

وقيل: ﴿بِمَآ أَنْعَمْتَ عَلَيَّ﴾؛ أي: النُّبوة والحكمة.

﴿فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا﴾: مُعينًا وقُوَّةً وظهرًا ﴿لِّلْمُجْرِمِينَ﴾: للكافرين.

قيل: هذا يدلُّ على أنَّ الذي من شيعتِه كان كافرًا.

وقوله: ﴿بِٱلَّذِي هُوَ عَدُوٌّ لَّهُمَا﴾ يدلُّ على أنَّه كان مسلمًا، والله أعلم بذلك.

---

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٨٦٥)، واستغربه.

وقولُه: ﴿بِمَآ أَنۡعَمۡتَ عَلَيَّ﴾ ابنُ جريرٍ: قَسَمٌ؛ أي: بإنعامِكَ عليَّ لا أكونُ ظهيرًا، قال: ولـم يستَثْنِ فابتُلِيَ بما نمَّ عليه الإسرائيليُّ في اليومِ الثَّاني(١).

وقيل: هو خبرٌ بمعنى(٢) الدُّعاءِ؛ أي: فلا تجعَلْني ظهيرًا للمُجرمين.

وقيل: (لن) بمعنى: لا، وهو دعاءٌ.

والظَّاهرُ أنَّه خبرٌ؛ أي: بسببِ إنعامِكَ عليَّ لا أكونُ بعد اليومِ مُعينًا لكافرٍ.

الكسائيُّ في جماعةٍ من أهلِ اللُّغةِ: قالوا: معناه: لا أكونُ بالمغفرةِ والرَّحمةِ مُعينًا للمُجرمين فأقولُ لهم: رحمَكَ الله، أو غفرَ اللهُ لك، حكاه القفَّالُ(٣).

* * *

(١٨) ـ ﴿فَأَصۡبَحَ فِي ٱلۡمَدِينَةِ خَآئِفٗا يَتَرَقَّبُ فَإِذَا ٱلَّذِي ٱسۡتَنصَرَهُۥ بِٱلۡأَمۡسِ يَسۡتَصۡرِخُهُۥۚ قَالَ لَهُۥ مُوسَىٰٓ إِنَّكَ لَغَوِيّٞ مُّبِينٞ﴾.

﴿فَأَصۡبَحَ فِي ٱلۡمَدِينَةِ خَآئِفٗا﴾ على نفسِه من قتلِ القِبْطيِّ أن يُؤخَذَ به.

﴿يَتَرَقَّبُ﴾ يتوقَّعُ وقوعَ مكروهٍ به.

وقيل: يترقَّبُ الأخبارَ؛ هل وقفُوا على ما كان منه؟

وقيل: خائفًا منَ الله يترقَّبُ المغفرةَ.

وقيل: خائفًا من قومِه ينتظرُ أن يُسلِمَه قومُه، حكاه الماورديُّ(٤).

---

(١) انظر: «تفسير الطبري» (١٨/ ١٩١).

(٢) في (ف): «في معنى».

(٣) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٨٦٥)، وعدَّه من العجائب، ونقل النحاس في «معاني القرآن» (٥/ ١٦٧) عن الكسائي في الآية قال: «﴿فَلَنۡ أَكُونَ ظَهِيرٗا لِّلۡمُجۡرِمِينَ﴾ فيه معنى الدعاء».

(٤) انظر: «النكت والعيون» (٤/ ٢٤٣).

﴿فَإِذَا ٱلَّذِى ٱسْتَنصَرَهُۥ بِٱلْأَمْسِ يَسْتَصْرِخُهُۥ﴾ (إذا) هذه للمُفاجأةِ؛ أي: فاجأه المُستغيثُ الأمسِيُّ يسألُه أن يُصرِخَه، والاستِصراخُ: الاستغاثةُ، مُشتقٌّ منَ الصُّراخِ، تقولُ: أتى الصَّارخُ الأميرَ، فأصرَخَه؛ أي: أغاثَه.

والمعنى: يسألُه النُّصرةَ على قِبْطيٍّ آخرَ يُقاتلُه.

﴿قَالَ لَهُۥ مُوسَىٰٓ﴾؛ أي: للإسرائيليِّ: ﴿إِنَّكَ لَغَوِىٌّ مُّبِينٌ﴾؛ أي: غويٌّ في تدبيرِك غيرُ رشيدٍ في أمرِكَ، تُقاتلُ مع عجزِكَ وقلَّةِ أنصارِكَ.

وقيل: الغَويُّ: الخائبُ مما[1] يطلبُه.

وقيل: خاطبَ موسى بهذا القِبْطيَّ فلم يَفْهَمِ الإسرائيليُّ.

***

(١٩) - ﴿فَلَمَّآ أَنْ أَرَادَ أَن يَبْطِشَ بِٱلَّذِى هُوَ عَدُوٌّ لَّهُمَا قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ أَتُرِيدُ أَن تَقْتُلَنِى كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًۢا بِٱلْأَمْسِ ۖ إِن تُرِيدُ إِلَّآ أَن تَكُونَ جَبَّارًا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا تُرِيدُ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلْمُصْلِحِينَ﴾.

﴿فَلَمَّآ أَنْ أَرَادَ أَن يَبْطِشَ بِٱلَّذِى هُوَ عَدُوٌّ لَّهُمَا﴾؛ أي: لموسى والإسرائيليِّ؛ أي: أرادَ أن يثِبَ على القِبطيِّ ليمنعَه عن قتالِ الإسرائيليِّ، توهَّمَ الإسرائيليُّ أنَّ موسى قَصدَه، وكان قد سبقَ منه إليه: ﴿إِنَّكَ لَغَوِىٌّ مُّبِينٌ﴾.

﴿قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ أَتُرِيدُ أَن تَقْتُلَنِى كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًۢا بِٱلْأَمْسِ﴾ يعني: القِبطيَّ المقتولَ، ﴿إِن تُرِيدُ إِلَّآ أَن تَكُونَ جَبَّارًا﴾: قتَّالًا يقتلُ النَّاسَ على الغضبِ.

عكرمةُ: الجَبَّارُ: الذي قتَلَ مرَّتَين[2]، وهذا ضعيفٌ.

﴿فِى ٱلْأَرْضِ﴾: أرضِ مصرَ.

---

(١) في (ف): «بما».

(٢) رواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٩/ ٢٩٥٨).

﴿وَمَا تُرِيدُ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلْمُصْلِحِينَ﴾ في كظمِ الغيظِ وتركِ القتلِ، وكان حديثُ القتلِ فشا في المدينةِ وخفيَ القاتلُ، ففطِنَ القِبْطيُّ بذلك، فذهبَ إلى فرعونَ فأخبرَه أنَّ قاتلَه موسى.

الحسنُ: هو من قولِ القِبطيِّ؛ لأنَّه كان اشتُهِرَ أنَّ إسرائيليًّا قتلَ قِبْطيًا[1].

والجمهورُ على القولِ الأوَّلِ.

وقيل: خافَ الإسرائيليُّ أن يقتُلَ موسى القِبطيَّ فيُؤخَذَ الإسرائيليُّ به.

وقيل: الإسرائيليُّ كان السَّامريَّ.

***

(٢٠) ـ ﴿وَجَآءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ يَسْعَىٰ قَالَ يَـٰمُوسَىٰٓ إِنَّ ٱلْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَٱخْرُجْ إِنِّي لَكَ مِنَ ٱلنَّـٰصِحِينَ﴾.

﴿وَجَآءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ يَسْعَىٰ﴾؛ أي: فتآمرَ فرعونُ وقومُه حينَئذٍ في أمرِ موسى، وقصَدوا طلبَه وقتلَه، فجاء رجلٌ وهو خربيلُ مؤمنُ آلِ فرعونَ، وهو النجَّارُ.

وقيل: شمعون.

﴿يَسْعَىٰ﴾: على رجلَيه سريعًا.

وقيل: يعدُو، وكان ابنَ عمِّ فرعونَ.

﴿قَالَ يَـٰمُوسَىٰٓ إِنَّ ٱلْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ﴾ يتشاورُونَ في قتلِكَ، افْتَعَلَ من الأمرِ، وقيل: يَهُمُّونَ بقتلِكَ.

الزَّجَّاجُ: يأمرُ بعضُهم بعضًا بقتلِكَ[2].

---

(١) ذكره ابن فورك في «تفسيره» (١/ ٣٣٧).

(٢) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٤/ ١٣٨).

وقيل: يُدبِّرونَ الأمرَ في قتلِكَ.

﴿فَٱخْرُجْ﴾ منَ المدينةِ، ﴿إِنِّي لَكَ مِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ﴾؛ أي: ناصحٌ لك منَ النَّاصحينَ؛ لأنَّه لا يتقدَّمُ الصِّلةُ على الموصولِ(١).

***

(٢١) ـ ﴿فَخَرَجَ مِنْهَا خَآئِفًا يَتَرَقَّبُ قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾.

﴿فَخَرَجَ﴾؛ أي: فخرجَ موسى ﴿مِنْهَا﴾: من المدينةِ بعد إنذارِ الرَّجلِ إيَّاه ﴿خَآئِفًا﴾ على نفسِه من آلِ فرعونَ ﴿يَتَرَقَّبُ﴾: ينتظرُ: هل يلحقُه طلبٌ فيؤخَذَ؟

وقيل: معنى ﴿يَتَرَقَّبُ﴾: يَلتفِتُ.

وقيل: يترقَّبُ أن يضِلَّ السَّبيلَ.

﴿قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾: خلِّصْني واجعَلْني بحيثُ أفوتُهم ولا يلحقونَني، مُشتقٌّ منَ النَّجوةِ، وهو: المكانُ الذي لا ينالُه كلُّ أحدٍ.

***

(٢٢) ـ ﴿وَلَمَّا تَوَجَّهَ تِلْقَآءَ مَدْيَنَ قَالَ عَسَىٰ رَبِّيٓ أَن يَهْدِيَنِي سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ﴾.

﴿وَلَمَّا تَوَجَّهَ﴾: قَصدَ بوجهِه، والتَّوجُّهُ: الإقبالُ على الشَّيءِ.

﴿تِلْقَآءَ﴾: مُقابلةَ، وهو مصدرٌ من (لقيتُ) جُعِلَ ظرفًا كـ(بينَ)؛ فإنَّه مصدرٌ جُعِلَ ظرفًا.

---

(١) أي: لا يجوز أن يكون ﴿لَكَ﴾ معمولًا لـ﴿ٱلنَّٰصِحِينَ﴾ لأن (ال) فيه هي الموصولية، و(ناصحين) صلتها، والصلة لا تعمل فيما قبل الموصول، فيكون عامله محذوفاً، وهو كما قدره المؤلف.
ويجوز على قول أن يكون ﴿لَكَ﴾ صلة لـ﴿ٱلنَّٰصِحِينَ﴾ على أن اللام فيه للتعريف لا بمعنى: الذي، أو بمعناه على رأيِ مَن يجوِّز تقديم ما في حيز الصلة على الموصول؛ إما مطلقاً، أو إذا كان المقدم شبه جملة، وتقديمه إما للفاصلة أو لغير ذلك من الأسباب. انظر: «روح المعاني» (٢٠/ ١٨٥).

﴿مَدْيَنَ﴾: نحوَ ماءِ مدينَ، ومدينُ هو ابنُ إبراهيمَ عليه السَّلامُ سُمِّيَ الماءُ به.

﴿قَالَ عَسَىٰ رَبِّيٓ أَن يَهْدِيَنِي سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ﴾ اشتبهَتْ عليه الطُّرقُ فلم يَدْرِ أيُّها يُؤدِّيه إلى المقصِدِ، ففوَّضَ أمرَه إلى الله عزَّ وجلَّ وقال: ﴿عَسَىٰ رَبِّيٓ أَن يَهْدِيَنِي سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ﴾.

قصدَ طريقَ مدينَ، وكانت هناك ثلاثُ طرقٍ أخذَ موسى في أوسطِها، وأخذَ مَن كان في طلبِه الآخرَين، وقالوا: إنَّ المريبَ لا يأخذُ في أعظمِ الطُّرقِ، ولا يسلُكُ إلا بيِّناتِ الطُّرقِ، وبقي في الطَّريقِ ثماني ليالٍ حافيًا ما له طعامٌ إلا ورقُ الأشجارِ.

وقيل: لـم يقصدْ مدينَ ولكنَّه أخذَ طريقًا إلى حيثُ يأمَنُ فيه، فاتَّفقَ ذهابُه إلى مدينَ لأمرٍ قدَّرَه الله(١).

وقيل: أتاه جبريلُ بالعصا، وأمرَه بالمسيرِ إلى مدينَ(٢)، وقوله: ﴿وَلَمَّا تَوَجَّهَ تِلْقَآءَ مَدْيَنَ﴾ وقولُه: ﴿وَرَدَ مَآءَ مَدْيَنَ﴾ من إخبارِ الله لا من قَصْدِه.

* * *

(٢٣) - ﴿وَلَمَّا وَرَدَ مَآءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ ٱلنَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِن دُونِهِمُ ٱمْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِۖ قَالَ مَا خَطْبُكُمَاۖ قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّىٰ يُصْدِرَ ٱلرِّعَآءُۖ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ﴾.

﴿وَلَمَّا وَرَدَ مَآءَ مَدْيَنَ﴾ وماءُ مدينَ آبارٌ كان يشربُ منها أهلُها ويَسْقُون أنعامَهم ومواشيَهم.

﴿وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً﴾: جمعًا.

ابنُ عبّاسٍ رضي الله عنهما: الأمَّةُ: أربعونَ(٣).

---

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٨٦٦)، واستغربه.

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٨٦٦)، واستغربه.

(٣) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٤/ ٢٤٥).

﴿مِّنَ ٱلنَّاسِ يَسْقُونَ﴾ مواشيَهم.

﴿وَوَجَدَ مِن دُونِهِمُ ٱمْرَأَتَيْنِ﴾: دونَ الجماعةِ؛ أي: أسفلَ منهم، أشار بذلك إلى تنحِّيهما عن الجماعةِ.

﴿تَذُودَانِ﴾: تمنَعان مواشيَهما عن الماءِ وهي تُنازِعُ إليه.

وقيل: تحبِسانَ غنَمَهما عن الشَّذِّ.

وقيل: تذودانِ غنَمَ النّاسِ عن غنَمِهما؛ كي لا يختلِطا.

﴿قَالَ مَا خَطْبُكُمَا﴾: ما شأنُكما لا تسقِيانِ غنَمَكما؟

وقيل: ما شأنُكما واقفتَين؟ استنكارًا لخروجِهما من غيرِ محرمٍ.

﴿قَالَتَا لَا نَسْقِى حَتَّىٰ يُصْدِرَ ٱلرِّعَآءُ﴾: يَنْصرفَ، والصَّدَرُ: الانصِرافُ عن الماءِ، ومَن قرأ: ﴿يُصْدِرَ﴾ بالضَّمِّ(١) فالمفعولُ مُقدَّرٌ؛ أي: يُصدِرَ الرِّعاءُ مواشيَهم.

والرِّعاءُ: جمع راعٍ، والرِّعاءُ: للمواشي، والرُّعاةُ: الوُلاةُ.

قيل: لا نسقي تصوُّنًا عن الاختلاطِ بالرِّجالِ.

وقيل: لضَعْفِنا عن المُزاحمةِ.

﴿وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ﴾؛ أي: ضعيفٌ لا يُمكِنُه الخروجُ، قالتا ذلك عذرًا لخروجِهما من غيرِ محرمٍ، وقيل: تعريضًا لموسى أن يُعينَهما على السَّقيِ.

* * *

(٢٤) ـ ﴿فَسَقَىٰ لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّىٰٓ إِلَى ٱلظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّى لِمَآ أَنزَلْتَ إِلَىَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾.

﴿فَسَقَىٰ لَهُمَا﴾؛ أي: سقى موسى مواشيَهما لأجلِهما، وذلك أنَّه أتى بئرًا عليها صخرةٌ لا يحملُها إلا عشرةٌ، فحملَها ورماها، وسألَهم أن يُعطوه دلوًا، فناوَلوه دلوًا

---

(١) ضم الياء وكسر الدال قراءة أكثر السبعة، وقرأ ابن عامر وأبو عمرو بفتح الياء وضمِّ الدال. انظر: «السبعة» (ص: ٤٩٢)، و«التيسير» (ص: ١٧١).

لا ينزحُها إلا عشرةٌ ـ وقيل: إلا أربعون رجلًا ـ فنزحَها وحدَه وسقى أغنامَهما.

وعن عمرَ رضي الله عنه قال: لـم يستقِ إلا ذَنوبًا واحدةً حتَّى رويَت الغنمُ[١].

وقيل: زاحمَ القومَ على الماءِ حتَّى أخرجَهم عنه، ثمَّ سقى لهما[٢].

﴿ثُمَّ تَوَلَّىٰٓ﴾: جعلَ ظهرَه يلي ما كانَ يليه وجهُه ﴿إِلَى ٱلظِّلِّ﴾ عن الشَّمسِ.

قيل: ظلُّ شجرةٍ، وكانت هناك سَمُرةٌ.

وقيل: صار إلى القبلةِ.

وقيل: إلى ظلِّ جدارٍ لا سقفَ عليه.

﴿فَقَالَ رَبِّ إِنِّى لِمَآ أَنزَلْتَ إِلَىَّ مِنْ خَيْرٍ﴾؛ أي: تُنزِلُ، ويحتمِلُ: إلى ما أنزلتَ إليَّ قبلُ؛ أي: إلى مثلِه ﴿فَقِيرٌ﴾ محتاجٌ[٣].

ابنُ عبّاسٍ رضي الله عنهما: ﴿مِنْ خَيْرٍ﴾ شُبْعةٍ من طعامٍ[٤].

ابنُ جُبيرٍ: شُبْعَةُ يومَين[٥].

تقولُ: افتقرَ إليه وافتقرَ له كالوحيِ[٦].

---

(١) رواه ابن أبي شيبة في «مصنفه» (٦/ ٣٣٤)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٩/ ٢٩٦٤)، وابن كثير في «مسند الفاروق» (٨٦٠)، وقال: «هذا إسناد صحيح».

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٨٦٦)، واستغربه.

(٣) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٨٦٦)، واستغربه.

(٤) رواه الطبري في «تفسيره» (١٨/ ٢١٦). قوله: «شُبْعةٌ من طعامٍ» بضم الشين؛ أي: قَدْر ما يُشبَعُ به مرةً. انظر: «القاموس» (مادة: شبع).

(٥) ذكره بهذا اللفظ الماوردي في «النكت والعيون» (٤/ ٢٤٦)، ورواه الطبري في «تفسيره» (١٨/ ٢١٦) بلفظ: «شبعة يومئذ»، ولعله الصواب، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٨٦٦)، وعدَّه من العجائب.

(٦) أي: كما يقال: أوحى إليه، وأوحى له. انظر: «التذييل والتكميل» لأبي حيان (١١/ ١٨٢).

قال الحسنُ: سأَلَ الله الزِّيادةَ في العلمِ والحكمةِ(١).

والجمهورُ على القولِ الأوَّلِ.

***

(٢٥) - ﴿فَجَآءَتۡهُ إِحۡدَىٰهُمَا تَمۡشِي عَلَى ٱسۡتِحۡيَآءٖ قَالَتۡ إِنَّ أَبِي يَدۡعُوكَ لِيَجۡزِيَكَ أَجۡرَ مَا سَقَيۡتَ لَنَاۚ فَلَمَّا جَآءَهُۥ وَقَصَّ عَلَيۡهِ ٱلۡقَصَصَ قَالَ لَا تَخَفۡۖ نَجَوۡتَ مِنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾.

﴿فَجَآءَتۡهُ إِحۡدَىٰهُمَا تَمۡشِي عَلَى ٱسۡتِحۡيَآءٖ﴾؛ أي: رجعَتا وأخبرَتا أباهما بما رأتا من موسى.

وقيل: لـمَّا أسرعَتا في الإيابِ ذلك اليومَ بخلافِ سائرِ الأيَّامِ سألَـهما أبوهما عن السَّببِ، فأخبرَتاه بما كان من موسى عليه السَّلامُ، فأرسلَ إحدى ابنتَيه، فجاءَتْه ماشيةً مُستحيِيَةً مستَتِرةً بكُمِّ درعِها.

وعن عمرَ رضي الله عنه: ستَرَتْ وجهَها بيدَيها(٢).

الحسنُ: فوالله ما كانت ولَّاجةً ولا خرَّاجةً، ولكنَّها كانت منَ الـخَفِراتِ اللَّاتي لا يُحسِنَّ المشيَ بين أيدي الرِّجالِ والكلامَ معهم(٣).

---

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٨٦٦)، وعدَّه من العجائب.

(٢) رواه ابن أبي شيبة في «مصنفه» (٦/ ٣٣٤) بلفظ: «واضعة ثوبها على وجهها»، ورواه الطبري في «تفسيره» (١٨/ ٢١٨)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٩/ ٢٩٦٤) بلفظ: «مستترة بكم درعها، أو بكم قميصها»، ورواه الحاكم في «المستدرك» (٣٥٣٠) بلفظ: «واضعة يدها على وجهها».

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (١٨/ ٢٢٠) بلفظ: «بعيدة من البذاء». وما رواه ابن أبي شيبة في «المصنف» (٣١٨٤٢)، والطبري في «تفسيره» (١٨/ ٢١٩)، من قول عمر رضي الله عنه أقرب للفظ المؤلف، ولفظ الطبري: «لَيْسَتْ بِسَلْفَعٍ من النساءِ خَرَّاجَةً ولَّاجَةً، واضعةً ثوبَها على وجهها». ولفظ ابن أبي شيبة مثله لكن فيه: «لا خراجة ولا ولاجة».

وجاء في التَّفسيرِ: أنَّها الصُّغرى، واسمُها صفوراءُ، وهي التي تزوَّجها موسى.

ورُوِيَ عن بعضِ القُرَّاءِ الوقفُ على ﴿تَمْشِى﴾ والابتداءُ بقولِه: ﴿عَلَى ٱسْتِحْيَآءٍ قَالَتْ إِنَّ أَبِى يَدْعُوكَ﴾ لأنَّ الحياءَ في الكلامِ أكثرُ منه في المشيِ(١).

﴿قَالَتْ إِنَّ أَبِى يَدْعُوكَ﴾ الجمهورُ على أنَّه شُعَيبٌ.

وذهبَ بعضُ المُفسِّرين إلى أنَّه ابنُ أخي شُعَيبٍ، واسمُه يثرون(٢).

وقيل: يثرين، وكان شعيبٌ ماتَ قبل ذلك بعدما كُفَّ بصرُه.

وجاء في التَّفسيرِ: ودُفِنَ بين المقامِ والزَّمزمِ.

﴿لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا﴾؛ أي: ليُكافِئَك على سقيِكَ إيَّانا، والأجرُ: جزاءُ العملِ، فأجابَها موسى.

قتادةُ عن مُطرِّفٍ قال: أمَا واللهِ لو كانَ عند نبيِّ اللهِ موسى شيءٌ ما اتَّبعَ مَذْقَيهما(٣)، ولكنَّه حملَه على ذلك الجهدُ(٤).

فتبعَها موسى، فهبَّتِ الرِّيحُ وألزقَتْ ثوبَها بجسدِها، فكرِهَ موسى أن يرى ذلك منها، فقال لها: امشي وَرائي ودُلِّيني على الطَّريقِ إنْ أخطأتُ؛ فإنَّا بني يعقوبَ لا ننظرُ إلى أعجازِ النِّساءِ.

﴿فَلَمَّا جَآءَهُۥ﴾؛ أي: جاء موسى صاحبَ مدينَ ﴿وَقَصَّ عَلَيْهِ ٱلْقَصَصَ﴾ ذكر أحوالَه مع فرعونَ ﴿قَالَ لَا تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ يُريدُ: فرعونَ وآلَه، فإنَّه لا يدَ له على مدينَ.

---

(١) ذكره الداني في «المكتفى في الوقف والابتدا» (ص: ١٥٦).

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٨٦٧)، واستغربه، وفيه: «نيرون».

(٣) أي: ما عندهما من لبن مخلوط بماء، فما كانتا من أهل الغنى، ولكن كان موسى أحوج منهما.

(٤) رواه الطبري في «تفسيره» (١٨/ ٢٢١).

(٢٦) ـ ﴿قَالَتْ إِحْدَىٰهُمَا يَٰٓأَبَتِ ٱسْتَـْٔجِرْهُ ۖ إِنَّ خَيْرَ مَنِ ٱسْتَـْٔجَرْتَ ٱلْقَوِىُّ ٱلْأَمِينُ﴾.

﴿قَالَتْ إِحْدَىٰهُمَا﴾ صفوراءُ: ﴿يَٰٓأَبَتِ ٱسْتَـْٔجِرْهُ﴾ لرعيِ الغنمِ، تقولُ: استأجَرَه: أخذَه بالأجرةِ.

ابنُ عيسى: الاستئجارُ: العقدُ على أمرٍ بالمُعاوضةِ[١].

﴿إِنَّ خَيْرَ مَنِ ٱسْتَـْٔجَرْتَ ٱلْقَوِىُّ ٱلْأَمِينُ﴾ فقد جرَّبنا قوَّته برفعِه الحجرَ ونزحِه الدَّلوَ، وجرَّبتُ أمانتَه حيثُ منعني عن المشيِ قُدَّامَه.

وقيل: القويُّ في بدنِه، الأمينُ في عفافِه.

ابن عبّاسٍ رضي الله عنهما: القويُّ فيما يلي، الأمينُ فيما استُودِعَ[٢].

* * *

(٢٧) ـ ﴿قَالَ إِنِّىٓ أُرِيدُ أَنْ أُنكِحَكَ إِحْدَى ٱبْنَتَىَّ هَٰتَيْنِ عَلَىٰٓ أَن تَأْجُرَنِى ثَمَٰنِىَ حِجَجٍ ۖ فَإِنْ أَتْمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِندِكَ ۖ وَمَآ أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ ۚ سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾.

﴿قَالَ إِنِّىٓ أُرِيدُ أَنْ أُنكِحَكَ إِحْدَى ٱبْنَتَىَّ هَٰتَيْنِ عَلَىٰٓ أَن تَأْجُرَنِى ثَمَٰنِىَ حِجَجٍ﴾؛ أي: تأجُرَني نفسَك مدَّةَ ثماني حججٍ، والمعنى: تكونَ أجيرًا لي، تقول: أَجَرْتُ الغلامَ فهو مأجورٌ، وآجرتُه[٣] فهو مُؤْجَرٌ، وآجَرْتُه فهو مُؤاجَرٌ[٤]؛ على (فاعلتُه)، كلُّه بمعنًى واحدٍ.

وقيل: معناه: أن تُثيبَني من تزويجي إيَّاك رعيَ ماشيَتي ثمانيَ حججٍ، من قولك: آجرَكَ الله؛ أي: أثابَك.

---

(١) ذكره ابن فورك في «تفسيره» (١/ ٣٤٢) بلا نسبة.

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (١٨/ ٢٢٥)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٩/ ٢٩٦٧ـ٢٩٦٨).

(٣) هذه على وزن (أفعلته)، لكن اجتمعت همزتان، فقلبتا مدّة، والثانية على وزن (فاعلته)، لكن اجتمعت همزة وألف، فقُلبتا مدة أيضاً. انظر: «معاني القرآن» للأخفش (٢/ ٤٦٩).

(٤) في (ن): «وواجرته فهو مواجر».

وقيل: ﴿أَن تَأۡجُرَنِي﴾: أن تكونَ أجيرًا لي[1]، من غيرِ إضمارٍ.

والحِجَّةُ: السَّنةُ، والحِجَجُ جمعُها.

﴿فَإِنۡ أَتۡمَمۡتَ عَشۡرٗا﴾؛ أي: أتممتَ العقدَ عشرًا ﴿فَمِنۡ عِندِكَ﴾ تفضُّلًا منك، ﴿وَمَآ أُرِيدُ أَنۡ أَشُقَّ عَلَيۡكَ﴾ في هذه المدَّةِ، فأُكلِّفَك ما يَصعبُ عليك.

وقيل: ﴿أَنۡ أَشُقَّ عَلَيۡكَ﴾ بأن آخذَك بإتمامِ عشرِ سنين.

﴿سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ في حُسنِ العشرةِ والوفاءِ بالعهدِ، وهذا شرطٌ للأبِ وليس بصَداقٍ، وقيل: صَداقٌ، والأوَّلُ أظهرُ؛ لقولِه: ﴿تَأۡجُرَنِي﴾، ولم يقُل: تأجُرها.

* * *

(٢٨) - ﴿قَالَ ذَٰلِكَ بَيۡنِي وَبَيۡنَكَۖ أَيَّمَا ٱلۡأَجَلَيۡنِ قَضَيۡتُ فَلَا عُدۡوَٰنَ عَلَيَّۖ وَٱللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٞ﴾.

﴿قَالَ ذَٰلِكَ بَيۡنِي وَبَيۡنَكَ﴾؛ أي: ذلك الشَّرطُ وعلينا الوفاءُ به.

﴿أَيَّمَا ٱلۡأَجَلَيۡنِ﴾: الثَّماني أو العشرِ ﴿قَضَيۡتُ﴾: وفيتُك إيَّاه وفرغتُ منَ العملِ فيه ﴿فَلَا عُدۡوَٰنَ عَلَيَّ﴾: لا يُعتَدى عليَّ فأُطالبَ بأكثرَ.

المُبرِّدُ: قد علمَ أنَّه لا عدوانَ عليه في إتمامِهما، ولكنْ جمعَهما ليجعلَ الأقلَّ كالأتمِّ في الوفاءِ[2].

---

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٨٦٧)، واستغربه.

(٢) ذكره النسفي في «مدارك التنزيل» (٢/ ٦٣٩). وبسطه الزمخشري في «الكشاف» (٣/ ٤٠٥) فقال: فإن قلت: تصوّر العدوان إنما هو في أحد الأجلين الذي هو الأقصر وهو المطالبة بتتمة العشر، فما معنى تعليق العدوان بهما جميعا؟ قلت: معناه كما أني إن طولبت بالزيادة على العشر كان عدواناً =

وقيل في قولِه: ﴿ذَٰلِكَ بَيۡنِي وَبَيۡنَكَ﴾؛ أي: ما ذكرتَه منَ الأجلَين فهو أمرٌ بيني وبينك أفعلُ منه ما أحببتُ لا شرطَ فيه، قاله القفَّالُ.

قال الأبُ: نعم. قال موسى: ﴿وَٱللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ﴾ من النِّكاحِ والأجرِ والأجلِ ﴿وَكِيلٞ﴾: حفيظٌ وشاهدٌ.

وعن النَّبيِّ ﷺ: أنَّ موسى عليه السَّلامُ قضى أتمَّ الأجلَين وأوفاهما[1]، يعني: العشرةَ.

* * *

(٢٩) ـ ﴿فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَى ٱلۡأَجَلَ وَسَارَ بِأَهۡلِهِۦٓ ءَانَسَ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ نَارٗاۖ قَالَ لِأَهۡلِهِ ٱمۡكُثُوٓاْ إِنِّيٓ ءَانَسۡتُ نَارٗا لَّعَلِّيٓ ءَاتِيكُم مِّنۡهَا بِخَبَرٍ أَوۡ جَذۡوَةٖ مِّنَ ٱلنَّارِ لَعَلَّكُمۡ تَصۡطَلُونَ﴾.

﴿فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَى ٱلۡأَجَلَ﴾: قطعَه وانتهى إلى آخرِه، والأجلُ: غايةُ الوقتِ، قال له أبو زوجتِه: لك منَ الشَّاءِ ما جاءَ به قالبَ لونٍ[2]؛ أي: ما جاء على خلافِ شِيَةِ أمِّها.

= لا شك فيه، فكذلك إن طولبت بالزيادة على الثمان. أراد بذلك تقرير أمر الخيار، وأنه ثابت مستقرّ، وأن الأجلين على السواء؛ إما هذا وإما هذا، من غير تفاوت بينهما في القضاء. وأما التتمة فموكولة إلى رأيي؛ إن شئت أتيت بها، وإلا لم أجبر عليها.

(١) رواه الحاكم في «المستدرك» (٣٥٣١)، والثعلبي في «تفسيره» (٢٠/ ٤٣٩)، من حديث ابن عباس رضي الله عنهما بلفظ: «أبعدهما وأطيبهما»، وعن الحاكم رواه البيهقي في «السنن الكبرى» (٦/ ١١٧).

وفي رواية أخرى عند الحاكم في «المستدرك» (٣٥٣٢)، وعنه البيهقي في «السنن الكبرى» (٦/ ١١٧) بلفظ: «أتمهما وأكملهما».

ورواه البخاري (٢٦٨٤) عن ابن عباس موقوفًا بلفظ: «أكثرهما وأطيبهما»، قال ابن حجر في «فتح الباري» (٥/ ٢٩١): وهو في حكم المرفوع؛ لأن ابن عباس كان لا يعتمد على أهل الكتاب.

(٢) رواه ابن أبي عاصم في «الآحاد والمثاني» (١٣٧٨)، والبزار (٢٢٤٦ ـ كشف)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٩/ ٢٩٧٠ ـ ٢٩٧١)، والطبراني في «الكبير» ١٧/ (٣٣٢)، من حديث عتبة السلمي =

وقيل: جعلَ له كلَّ بلقاءَ تولدُ في تلك السَّنةِ، فأُوحيَ إلى موسى: أنْ ألقِ عصاك في الماءِ، فما شربَ ولَدْنَ كلُّهن على ما شُرِطَ لموسى.

﴿وَسَارَ بِأَهْلِهِۦٓ﴾: بامرأتِه وأولادِ الغنمِ وكانت قطيعةً إلى مصرَ.

﴿ءَانَسَ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ نَارًا قَالَ﴾: اصبِروا ﴿إِنِّيٓ ءَانَسۡتُ﴾: أبصرتُ ﴿نَارًا لَّعَلِّيٓ ءَاتِيكُم مِّنۡهَا بِخَبَرٍ﴾؛ أي: بخبرِ الطَّريقِ، وكان قد ضلَّ الطريقَ.

وقيل: بخبرِ النَّارِ؛ هل هي بخيرٍ نأنسُ به أم بشرٍّ نحذرُه؟

﴿أَوۡ جَذۡوَةٍ﴾: قطعةِ حطبٍ كبيرٍ في طرفِه[1] نارٌ، وفي الجيمِ مِنَ (الجذوةِ) ثلاثُ لغاتٍ.

= رضي الله عنه عن النبي ﷺ: «إن موسى لما أراد فراق شعيب عليه السلام قال لامرأته أن تسأل أباها أن يعطيها من غنمه ما يعيشون به، فأعطاها ما نتجت غنمه في ذلك العام من قالب لون واحد، فلما وردت الغنم الحوض وقف موسى عليه السلام بإزاء الحوض فلم يصدر منها شاة إلا ضرب جنبها بعصاه، فحملت فنتجت كلهن قالب لون واحد ليس فيهن فَشوش ولا ضَبوب ولا ثَعول ولا كَمْشة تفوت الكف» قال: «فإن فتحتم الشام وجدتم بقايا منها، فاتخذوها، وهي السامرية»، قال يحيى بن بكير: الفشوش التي ينفشُّ لبنها عن الحلب، والضبوب التي يضب ضرعها على اللبن عند الحلب، والكمشة التي تعتاص عند الحلب.

قال ابن كثير في «تفسيره» عند هذه الآية: مدار هذا الحديث على عبد الله بن لَهيعة المصري وفي حفظه سوء، وأخشى أن يكون رفعه خطأ، والله أعلم.

قال: وقد روى ابن جرير من كلام أنس بن مالك موقوفاً عليه ما يقارب بعضه بإسناد جيد، قال: لما دعا نبيُّ الله موسى عليه السلام صاحبه إلى الأجل الذي كان بينهما، قال له صاحبه: كل شاة ولدت على غير لونها فلك ولدها، فعمد فرفع خيالاً على الماء، فلما رأت الخيال فزعت فجالت جولة، فولدن كلهن بلقًا إلا شاة واحدة، فذهب بأولادهن ذلك العام. رواه الطبري في «تفسيره» (١٨/ ٢٣٧ـ٢٣٨).

(١) كذا في النسختين، ولو كانت «كبيرة في طرفها» لكان أظهر.

وقيل: بأصلِ شجرةٍ فيها نارٌ، وكانَ أَصْلَدَ زَنْدُه(١).

﴿لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ﴾: تستدفِئونَ بها.

***

(٣٠ ـ ٣١) ـ ﴿فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِىَ مِن شَـٰطِئِ ٱلْوَادِ ٱلْأَيْمَنِ فِى ٱلْبُقْعَةِ ٱلْمُبَـٰرَكَةِ مِنَ ٱلشَّجَرَةِ أَن يَـٰمُوسَىٰٓ إِنِّىٓ أَنَا ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿٣٠﴾ وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَ ۖ فَلَمَّا رَءَاهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَآنٌّ وَلَّىٰ مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ ۚ يَـٰمُوسَىٰٓ أَقْبِلْ وَلَا تَخَفْ ۖ إِنَّكَ مِنَ ٱلْـَٔامِنِينَ﴾.

﴿فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِىَ﴾؛ أي: نُودِيَ موسى(٢) ﴿مِن شَـٰطِئِ ٱلْوَادِ ٱلْأَيْمَنِ﴾: أيمنِ موسى، وهو صفةٌ للشّاطئِ.

﴿فِى ٱلْبُقْعَةِ ٱلْمُبَـٰرَكَةِ﴾ ﴿فِى﴾ متّصلٌ بـ﴿نُودِىَ﴾، وقيل: مِن صلةِ ﴿شَـٰطِئِ﴾.

﴿مِنَ ٱلشَّجَرَةِ﴾: من عندِ الشَّجرةِ، وكانت شجرةَ عُنَّابٍ، وقيل: سَمُرةٍ. وقيل: عُلَّيقٍ، وهي شجرةُ العوسجِ.

﴿أَن يَـٰمُوسَىٰٓ إِنِّىٓ أَنَا ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿٣٠﴾ وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَ﴾ ونُودِيَ: أن ألقِ عصاك، فألقاها فقلبَها الله ثعبانًا، ﴿فَلَمَّا رَءَاهَا تَهْتَزُّ﴾: تتحرَّكُ ﴿كَأَنَّهَا جَآنٌّ﴾: حيَّةٌ.

وقيل: شبَّهها بالجنِّ، وقد سبقَ الكلامُ في هذه الآياتِ.

﴿وَلَّىٰ مُدْبِرًا﴾ يُريدُ: موسى ﴿وَلَمْ يُعَقِّبْ ۚ يَـٰمُوسَىٰٓ﴾؛ أي: نادَيناه: يا موسى ﴿أَقْبِلْ وَلَا تَخَفْ ۖ إِنَّكَ مِنَ ٱلْـَٔامِنِينَ﴾ الذين لا يخافون.

ابنُ بحرٍ: أي: إنَّك منَ المُرسَلين(٣)؛ لقولِه: ﴿لَا يَخَافُ لَدَىَّ ٱلْمُرْسَلُونَ﴾ [النمل: ١٠].

---

(١) أي: لم يقدم كما تقدّم.

(٢) في (ف): «أي: نودي يا موسى».

(٣) ذكره الخطيب الإسكافي في «درة التنزيل» (٢/ ٩٧٦) بلا نسبة، وذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٤/ ٢٥٢)، عن ابن بحر.

(٣٢) ـ ﴿ ٱسْلُكْ يَدَكَ فِى جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَآءَ مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ وَٱضْمُمْ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ ٱلرَّهْبِ ۖ فَذَٰنِكَ بُرْهَـٰنَانِ مِن رَّبِّكَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِي۟هِۦٓ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا فَـٰسِقِينَ ﴾.

﴿ ٱسْلُكْ يَدَكَ فِى جَيْبِكَ ﴾: أدخِلْ يدَكَ في جيبِكَ من جانبِ الصَّدرِ.

وقيل: ﴿جَيْبِكَ﴾: قميصِكَ.

﴿تَخْرُجْ بَيْضَآءَ﴾ لها شعاعٌ كشعاعِ الشَّمسِ ﴿مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ﴾: عيبٍ أو برَصٍ.

﴿وَٱضْمُمْ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ ٱلرَّهْبِ﴾ فيه أقوالٌ:

أحدُها: ضُمَّ يدَكَ إلى صدرِكَ يسكُنْ ما بك منَ الفزعِ منَ الثُّعبانِ ومن فرعونَ.

وقيل: لمَّا ألقى عصاه خافَ فبسطَ جناحَه؛ يعني: يدَه كالمُتَّقي بها، وهو موجودٌ في عاداتِ النَّاسِ، فقيلَ له: ضُمَّ ما بسَطْتَه من يدَيك خوفًا على نفسِكَ[١]، واليدُ إذا بُسِطَتْ صارت كالجناحِ المبسوطِ، ويدَا الإنسانِ جناحاه، وجناحا الطير يداه.

الزَّجَّاجُ: الجناحُ هاهنا: العضُدُ[٢].

المُبرِّدُ: ضُمَّ إليك جناحَكَ؛ أي: يدَيك، فإذا فعلتَ ذلك زالَ رَهْبُك[٣].

وقيل: معناه: اسكُنْ ولا تخَفْ، كأنَّه طَيَّره الفزَعُ، وآلةُ الطَّيرانِ الجناحُ، وقيلَ له: لا تخَفْ وضُمَّ منشورَ جناحِكَ منَ الخوفِ إليك.

الفرَّاءُ: الجناحُ هاهنا: العَصا، وفي الأُخرَى: ما بين أسفلِ العضُدِ إلى الرُّسُغِ[٤].

وقيل: الجناحُ: جيبُ مِدْرَعتِه[٥].

---

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٨٦٨)، واستغربه.

(٢) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٤/ ١٤٣).

(٣) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٨٦٨)، واستغربه.

(٤) انظر: «معاني القرآن» للفراء (٢/ ٣٠٦).

(٥) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٨٦٨)، وعدَّه من العجائب.

وقيل: إذا هالَكَ أمرُ يدِك لِـمَا يغلبُك من شُعاعِها فاضمُمْها إليك تسكُنْ.

وقيل: معناه: يدَكَ إلى عصاكَ[١].

قولُـه: ﴿مِنَ ٱلرَّهۡبِ﴾ فيه ثلاثُ لغـاتٍ[٢]، والرَّهْبُ: الخـوفُ. وقيل: الرَّهْبُ: الكُمُّ[٣].

وقيل: فيه تقديمٌ وتأخيرٌ تقديرُه: إنَّك منَ الآمنين منَ الرَّهْبِ[٤].

﴿فَذَٰنِكَ بُرۡهَـٰنَانِ﴾: اليدُ والعصا حجَّتانِ ومُعجِزتانِ ﴿مِن رَّبِّكَ﴾: منَ الله ﴿إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ﴾ مُرسَلًا بهما إلى فرعونَ ﴿وَمَلَإِيْهِۦٓ﴾.

وقيل: اذهب بهما إلى فرعونَ وملئِه ﴿إِنَّهُمۡ كَانُواْ قَوۡمٗا فَٰسِقِينَ﴾: كافرين.

* * *

(٣٣) ـ ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي قَتَلۡتُ مِنۡهُمۡ نَفۡسٗا فَأَخَافُ أَن يَقۡتُلُونِ﴾.

﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي قَتَلۡتُ مِنۡهُمۡ نَفۡسٗا﴾ يعني: القِبْطيَّ ﴿فَأَخَافُ أَن يَقۡتُلُونِ﴾؛ أي: به، أرادَ أن يعرفَ مآلَ أمرِه مع فرعونَ.

* * *

(٣٤) ـ ﴿وَأَخِي هَٰرُونُ هُوَ أَفۡصَحُ مِنِّي لِسَانٗا فَأَرۡسِلۡهُ مَعِيَ رِدۡءٗا يُصَدِّقُنِيٓۖ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ﴾.

﴿وَأَخِي هَٰرُونُ هُوَ أَفۡصَحُ مِنِّي لِسَانٗا﴾ وكان موسى عليه السَّلامُ به رُتَّةٌ، وقد سبق.

---

(١) في (ف): «يدك وعصاك». ولعل المعنى: اجعل مع المعجزة الأولى وهي العصا معجزة ثانية هي اليد.

(٢) قرأ حفص بفتح الرَّاء وإسكان الهاء، ونافع وابن كثير وأبو عمرو بفتحهما، والباقون بضم الرَّاء وإسكان الهاء. انظر: «السبعة» (ص: ٤٩٣)، و«التيسير» (ص: ١٧١).

(٣) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٨٦٨)، وعدَّه من العجائب.

(٤) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٨٦٨)، وعدَّه من العجائب.

﴿فَأَرْسِلْهُ مَعِيَ رِدْءًا﴾: مُعينًا؛ أي: اجعَلْه معي رسولًا ليكونَ عونًا على تبليغِ الرِّسالةِ ﴿يُصَدِّقُنِيٓ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ﴾ فلا يكونُ أحدٌ يُصدِّقُني.

وقيل: ليس المقصودُ يُصدِّقني فيما أدَّعيه منَ الرِّسالةِ، لكنْ يُصدِّقُني فيما أدَّعي أنَّه حُجَّتي، فإذا أقامَ هارونُ البيِّنةَ على ما أدَّعيه فقد أثبتَ صِدْقي.

* * *

(٣٥) - ﴿قَالَ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ وَنَجْعَلُ لَكُمَا سُلْطَٰنًا فَلَا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا بِـَٔايَٰتِنَآ أَنتُمَا وَمَنِ ٱتَّبَعَكُمَا ٱلْغَٰلِبُونَ﴾.

﴿قَالَ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ﴾ فأجابَه الله إلى مُلتمَسِه فقال: سأُقوِّيك وأُؤيِّدُك باجتماعِه معك على إبلاغِ الرِّسالةِ.

﴿وَنَجْعَلُ لَكُمَا سُلْطَٰنًا﴾: حُجَّةً وبرهانًا بالمُعجِزات الواضِحات التي تصحبُكما، ﴿فَلَا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا﴾ بمكروهٍ ولا يكونُ لفرعونَ وملئِه عليكم قدرةٌ.

﴿بِـَٔايَٰتِنَآ أَنتُمَا وَمَنِ ٱتَّبَعَكُمَا ٱلْغَٰلِبُونَ﴾ اختلفوا في هذه الباء؛ فقال بعضُ النَّحويِّين: هي مُتَّصلةٌ بالوصولِ؛ أي: فلا يصلون إليكما بسببِ آياتِنا، وتمَّ الكلامُ.

وقال بعضُهم: مُتَّصلٌ بالغلبةِ، فيكونُ الكلامُ تامًّا على ﴿إِلَيْكُمَا﴾، وهذا لا يرضاه المُحقِّقون؛ لأنَّ الصِّلةَ لا تتقدَّمُ على الموصولِ(١).

وقيل: هي مُتَّصلةٌ بقولِه: ﴿نَجْعَلُ﴾، وهو الأظهرُ.

ويحتملُ أنَّه للحالِ، كما تقولُ: خرجَ فلانٌ بسلاحِه؛ أي: مُتسلِّحًا، فيكونُ تقديرُه: مُحتجِّين بآياتِنا ومُستَصحِبين بآياتِنا(٢).

---

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٨٦٨)، واستغربه، وانظر ما ذُكِر عند قوله تعالى في هذه السورة: ﴿إِنِّي لَكَ مِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ﴾ [القصص: ٢٠].

(٢) في (ف): «أو مستصحبين بآياتنا». ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٨٦٨)، واستغربه.

(٣٦) - ﴿فَلَمَّا جَآءَهُم مُّوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَا بَيِّنَٰتٍ قَالُواْ مَا هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّفْتَرًى وَمَا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِيٓ ءَابَآئِنَا ٱلْأَوَّلِينَ﴾.

﴿فَلَمَّا جَآءَهُم مُّوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَا بَيِّنَٰتٍ﴾: واضحاتٍ ﴿قَالُواْ مَا هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّفْتَرًى﴾: مُختلَقٌ عجيبٌ، من قولِـهم: يَفرِي الفَرِيَّ.

﴿وَمَا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِيٓ ءَابَآئِنَا ٱلْأَوَّلِينَ﴾ فيه وجوهٌ:

أحدُها: ما سمِعْنا أحدًا ادَّعى النُّبوّةَ فصُدِّقَ.

والثّاني: لطولِ الفترةِ قالوا هذا القولَ.

وقيل: ما سمعنا دُعِي آباؤُنا إلى ما تدعونا[1] إليه.

والرّابعُ: ما سمعنا بمثلِ هذا السِّحرِ.

والخامسُ: جحَدوا بها واستيقنَتْها أنفسُهم.

* * *

(٣٧) - ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ رَبِّيٓ أَعْلَمُ بِمَن جَآءَ بِٱلْهُدَىٰ مِنْ عِندِهِۦ وَمَن تَكُونُ لَهُۥ عَٰقِبَةُ ٱلدَّارِ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾.

﴿وَقَالَ مُوسَىٰ رَبِّيٓ أَعْلَمُ بِمَن جَآءَ بِٱلْهُدَىٰ مِنْ عِندِهِۦ﴾؛ أي: يعلمُ أنِّي مُحِقٌّ فيما أدعوكُم إليه وأنتم مُبطِلون.

وقيل: معناه: ربِّي أعلَمُ بالأنبياءِ قبلَنا، جوابًا لهم، من قولِـهم: ﴿مَّا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِيٓ ءَابَآئِنَا ٱلْأَوَّلِينَ﴾.

﴿وَمَن تَكُونُ لَهُۥ عَٰقِبَةُ ٱلدَّارِ﴾: ويعلمُ مَن تكونُ له العاقبةُ المحمودةُ في الدُّنيا والآخرةِ، ﴿إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾: لا يفوزون بالنَّعيمِ.

---

(١) في (ن): «تدعوننا».

(٣٨) ـ ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِى فَأَوْقِدْ لِى يَٰهَٰمَٰنُ عَلَى ٱلطِّينِ فَٱجْعَل لِّى صَرْحًا لَّعَلِّىٓ أَطَّلِعُ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّى لَأَظُنُّهُۥ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ﴾.

﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ﴾ يجبُ أن تُعظِّموه وتعبُدوه ﴿غَيْرِى﴾ فلا تلتفتُوا إلى إلهِ موسى.

وجاء في التَّفسيرِ: أنَّ بين قولِه: ﴿أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ﴾ [النازعات: ٢٤] وبينَ قولِه: ﴿مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِى﴾ أربعينَ سنةً.

﴿فَأَوْقِدْ لِى يَٰهَٰمَٰنُ عَلَى ٱلطِّينِ﴾ وكان وزيرًا له؛ أي: اطبُخ الطِّينَ بنارٍ توقدُها على الطِّينِ ليَصلُبَ ويصيرَ آجُرًّا، وكان أوَّلَ مَن اتَّخذَ ذلك.

﴿فَٱجْعَل لِّى صَرْحًا﴾: ابنِ لي[1] بناءً عاليًا، واجعَلْ له درجًا أصعدُ إليه بها ﴿لَّعَلِّىٓ أَطَّلِعُ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ﴾؛ أي: أرتقي إليه، توهَّمَ ـ لعنَه الله ـ أنَّ إلهَ موسى جسمٌ في السَّماءِ يُرتَقى إليه فيُنالَ.

﴿وَإِنِّى لَأَظُنُّهُۥ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ﴾ يعني: موسى كاذبًا، ناقضَ بينَ قولِه: ﴿مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِى﴾ ﴿وَإِنِّى لَأَظُنُّهُۥ﴾؛ لأنَّ الظَّنَّ شكٌّ.

ابنُ بحرٍ: أرادَ ببناء الصَّرحِ أن يُوهمَ ضعفةَ قومِه أنَّ الذي يدعو إليه موسى موصولٌ إليه، ومقدورٌ عليه، وهو في مكانٍ[2].

وأكثرُ المُفسِّرين على أنَّه بنى هامانُ له الصَّرحَ، وعلاه فرعونُ ورمى بنُشَّابةٍ نحوَ السَّماءِ فسقطَتْ عليه مُتلطِّخةً بالدَّمِ.

وبعضُهم قال: لم يصحَّ أنَّ الصَّرحَ بُنيَ له.

وقيل: كان فرعونُ يتعاطى مذهبَ الصَّابئين، وأنَّهم يعبدون النُّجومَ ويزعُمونَ

(١) في (ف) زيادة: «به».

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٨٦٩)، وعدَّه من العجائب.

أنَّ إلى استجابةِ الكواكبِ لمَن أرادَ ذلك طُرقًا منَ العباداتِ، وأنَّ مَن ظفرَ باستجابةِ الشَّمسِ له ملَّكته وصيَّرته من أعظمِ مَن في عصرِه وأكبرِهم، وأرادَ ببناءِ الصَّرحِ رَصَدًا يصعدُ إليه ويعلمُ كيفيَّةَ أحوالِـها، وهل تجدَّدَ حكمٌ من أحكامِها[1]. والله أعلمُ.

***

(٣٩) - ﴿وَٱسْتَكْبَرَ هُوَ وَجُنُودُهُۥ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُمْ إِلَيْنَا لَا يُرْجَعُونَ﴾.

﴿وَٱسْتَكْبَرَ هُوَ وَجُنُودُهُۥ﴾: تعظَّمَ ﴿فِى ٱلْأَرْضِ﴾: أرضِ مصرَ وما يليها بدَعوى الإلهيَّةِ والامتناعِ من اتِّباعِ الرُّسلِ والإيمانِ بهم ﴿بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ﴾: بغيرِ حقٍّ أوجبَ ذلك، بل بالباطلِ.

وقيل: الباءُ للحالِ؛ أي: غيرَ مُحقِّين.

﴿وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُمْ إِلَيْنَا لَا يُرْجَعُونَ﴾ للبعثِ والنُّشورِ.

***

(٤٠) - ﴿فَأَخَذْنَـٰهُ وَجُنُودَهُۥ فَنَبَذْنَـٰهُمْ فِى ٱلْيَمِّ ۖ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلظَّـٰلِمِينَ﴾.

﴿فَأَخَذْنَـٰهُ وَجُنُودَهُۥ فَنَبَذْنَـٰهُمْ فِى ٱلْيَمِّ﴾ قيل: بحرِ قُلْزُمٍ.

وقيل: إسافٍ، وهو من وراءِ مصرَ.

وقيل: النِّيلِ.

﴿فَٱنظُرْ﴾ يا محمَّدُ ﴿كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلظَّـٰلِمِينَ﴾ انظر بعينِ قلبِك وتدبَّرْه بعقلِك تعلَمْ أنَّ مَن كفرَ بالله وكذَّبَ رسلَه فمصيرُه إلى الهلاكِ والنَّارِ، وحَذِّرْ قومَك بأنَّك منصورٌ عليهم.

---

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٨٦٩)، واستغربه.

(٤١) ـ ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ ۖ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ لَا يُنصَرُونَ﴾.

﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً﴾؛ أي: وجعلنا قومَ فرعونَ أئمَّةً في الشرِّ والضَّلالِ يُقتَدى بهم فيهما، فيكونُ عليهم وزرُهم ووزرُ مَن اتَّبَعَهم.

﴿يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ﴾: إلى أعمالٍ تُوجِبُ دخولَ النَّارِ.

وقيل: حُذِفَ المُضافُ مرَّةً بعد أُخرى؛ أي: إلى أعمالِ أهلِ النَّارِ، وجاز أن يكونَ الدُّعاءُ منهم، وجاز أن يكونَ قد سنُّوا سنَّةً سيِّئةً.

وقيل: ﴿جَعَلْنَا﴾ بمعنى: سمَّينا، كقولِه: ﴿وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَٰنِ إِنَاثًا﴾ [الزخرف: ١٩].

وقيل: ﴿جَعَلْنَا﴾ بمعنى: حكَمْنا؛ أي: حكَمْنا بكُفرِهم.

وقيل: معناه: أعلَمْناكم أنَّهم أئمَّةٌ يدعون إلى النَّارِ.

وقيل: أئمَّةً يأتَمُّ بهم أهلُ البصائرِ، ويتَّعِظُ بهم أهلُ العِبَرِ.

﴿وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ لَا يُنصَرُونَ﴾: لا يدفعُهم أحدٌ من عذابِ الله.

وقيل: لا ينصرُ بعضُهم بعضًا.

* * *

(٤٢) ـ ﴿وَأَتْبَعْنَاهُمْ فِي هَٰذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً ۖ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ هُم مِّنَ الْمَقْبُوحِينَ﴾.

﴿وَأَتْبَعْنَاهُمْ فِي هَٰذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً﴾؛ أي: كلُّ مَن ذكرَهم لعنَهم.

وقيل: ﴿لَعْنَةً﴾: عذابًا.

وقيل: هو أمرُ الله إيَّانا بأن نلعنَهم، وهذا هو القولُ الأوَّلُ.

﴿وَيَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ﴾ قيل: تقديرُه: ولعنةُ يومِ القيامةِ، فحُذِفَ المضافُ وانتصبَ اليوم على المفعولِ به[١].

وقيل: هو عطفٌ على محلِّ ﴿فِي هَٰذِهِ ٱلدُّنۡيَا﴾[٢]، كقولِه:

إذا ما تلاقَينا منَ اليومِ أو غدا[٣]

وقيل: ظرفٌ للمقبوحين[٤]. ومعنى ﴿هُم مِّنَ ٱلۡمَقۡبُوحِينَ﴾: من المُهلَكين.

وقيل: قَبَحَه يقبَحُه؛ إذا جعلَه قبيحًا، وهو سوادُ الوجوهِ وزُرقةُ العيونِ.

وقيل: منَ المغلوبين.

وقيل: منَ المُعذَّبين.

***

(٤٣) ـ ﴿وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا مُوسَى ٱلۡكِتَٰبَ مِنۢ بَعۡدِ مَآ أَهۡلَكۡنَا ٱلۡقُرُونَ ٱلۡأُولَىٰ بَصَآئِرَ لِلنَّاسِ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٗ لَّعَلَّهُمۡ يَتَذَكَّرُونَ﴾.

﴿وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا مُوسَى ٱلۡكِتَٰبَ﴾: التَّوراةَ، وجاء في التَّفسيرِ: أنَّه أوَّلُ كتابٍ نزلت فيه الفرائضُ والأحكامُ.

---

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٨٦٩)، واستغربه.

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٥٠٨)، واستغربه.

(٣) عجز بيت لكعب بن جعيل، كما في «الجمل» للخليل (ص: ١٠١)، و«الكتاب» (١/ ٦٨)، وهو بلا نسبة في «المقتضب» (٤/ ١١٢)، و«المحتسب» (٢/ ٣٦٢). وصدره:

ألَا حَيَّ نَدْمَاني عُمَيْرَ بْنَ عامِرٍ

قال أبو سعيد السيرافي في «شرح أبيات سيبويه» (١/ ٢٣٣): الشاهد فيه أنه نصب «أو غدا» وعطفه على موضع (من اليوم) كأنه قال: تلاقينا اليوم أو غداً.

(٤) أي: وهم من المقبوحين يومَ القيامة، وقد ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٨٧٠)، وعدَّه من العجائب.

﴿مِنۢ بَعۡدِ مَآ أَهۡلَكۡنَا ٱلۡقُرُونَ ٱلۡأُولَىٰ﴾: قومَ نوحٍ، وهودٍ، وصالحٍ، ولوطٍ.

وعن أبي سعيدٍ الخدريِّ رضي الله عنه: ما أهلَكَ الله أُمَّةً منَ الأممِ بعد إنزالِ التَّوراةِ غيرَ القريةِ التي مسخَ الله أهلَها قِردةً، ألـم ترَ إلى قولِه: ﴿وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا مُوسَى ٱلۡكِتَٰبَ مِنۢ بَعۡدِ مَآ أَهۡلَكۡنَا ٱلۡقُرُونَ ٱلۡأُولَىٰ﴾[1].

﴿بَصَآئِرَ لِلنَّاسِ﴾: جمعُ بصيرةٍ، وهي التي تُوصِلُ برُؤيتِها إلى الرُّشدِ والسَّعادةِ.

﴿وَهُدٗى﴾: قائدًا إلى الرُّشـدِ ﴿وَرَحۡمَةٗ﴾: نعمـةً ﴿لَّعَلَّهُمۡ يَتَذَكَّرُونَ﴾: يتَّعِظون ويعتَبِرون.

***

(٤٤) - ﴿وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ ٱلۡغَرۡبِيِّ إِذۡ قَضَيۡنَآ إِلَىٰ مُوسَى ٱلۡأَمۡرَ وَمَا كُنتَ مِنَ ٱلشَّٰهِدِينَ﴾.

﴿وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ ٱلۡغَرۡبِيِّ﴾ قيل: هناك جبلٌ غربيٌّ، وهو الذي كلَّمَ الله عليه موسى.

قَتادةُ: بجانبِ غربيِّ الجبلِ[2].

أبو عبيدة: ﴿بِجَانِبِ ٱلۡغَرۡبِيِّ﴾ حيثُ تغرُبُ الشَّمسُ والقمرُ والنُّجومُ[3].

الحسنُ: بعثَ الله موسى بالغربِ[4].

وقيل: في الجانبِ الغربي منَ الوادي.

وقيل: بجانبِ المكانِ الغربيِّ منَ البحرِ.

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (١٨/ ٢٥٩)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٩/ ٢٩٨١)، ورواه مرفوعًا الحاكم في «المستدرك» (٣٥٣٤) وصححه.

(٢) رواه بهذا اللفظ الطبري في «تفسيره» (١٨/ ٢٦٠) من طريق سعيد عن قتادة، ورواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٢٢١٨) عن معمر عن قتادة قال: «يعني جبلًا غربيًّا كان».

(٣) انظر: «مجاز القرآن» (٢/ ١٠٦).

(٤) ذكره أبو حيان في «البحر المحيط» (٨/ ٣٠٩).

﴿إِذْ قَضَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَى ٱلْأَمْرَ﴾: كلَّمْنا موسى وفرَغْنا إليه مـمَّا أرَدْنا تعريفَه وإيصاءَه.

وقيل: قضَينا هلاكَ فرعونَ في الماءِ، فيُحمَلُ (جانبُ الغربيِّ) على اليمِّ.

﴿وَمَا كُنتَ مِنَ ٱلشَّٰهِدِينَ﴾: منَ الحاضرين في ذلك المكانِ.

وقيل: منَ الشَّاهدين في ذلك الزَّمانِ.

***

(٤٥) ـ ﴿وَلَٰكِنَّآ أَنشَأْنَا قُرُونًا فَتَطَاوَلَ عَلَيْهِمُ ٱلْعُمُرُ ۚ وَمَا كُنتَ ثَاوِيًا فِىٓ أَهْلِ مَدْيَنَ تَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِنَا وَلَٰكِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ﴾.

﴿وَلَٰكِنَّآ أَنشَأْنَا قُرُونًا﴾؛ أي: بعدَ موسى ﴿فَتَطَاوَلَ عَلَيْهِمُ ٱلْعُمُرُ﴾ وفترتِ النُّبوَّةُ، وكادَ يلحقُ تلك الأخبارَ وَهْنٌ، وبلغَ الشَّرائعَ دُروسٌ، ولحقَ كثيرًا منها التَّحريفُ، وتمامُ الكلامِ مُضمَرٌ تقديرُه: فأرسلناكَ مُجدِّدًا لتلك الأخبارِ، مُميِّزًا للحقِّ مـمَّا اختُلفَ فيه منها رحمةً منَّا لقومِك.

ويحتمِلُ أن يُجعَلَ المعنى: وما كنتَ منَ الشَّاهدين في ذلك الزَّمانِ، وكان بينَك وبينَ موسى قرونٌ تطاوَلَتْ أعمارُهم، وأنت تُخبِرُ الآنَ عن تلك الأحوالِ إخبارَ مُشاهدةٍ وعِيانٍ بإيحائِنا إليك مُعجزةً لك.

﴿وَمَا كُنتَ ثَاوِيًا فِىٓ أَهْلِ مَدْيَنَ﴾؛ أي: مُقيمًا فيهم ﴿تَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِنَا﴾.

﴿وَلَٰكِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ﴾ أرسلناكَ في آخرِ الزَّمانِ إلى الخلقِ أجمعين.

الفرَّاءُ: ما كنتَ ثاويًا مع موسى في مدينَ فتراه وتسمعَ كلامَه وأحوالَه، وها أنت تتلو عليهم آياتِنا[1]؛ أي: على أمَّتِك، فهو مُنقطِعٌ[2].

---

(١) انظر: «معاني القرآن» للفراء (٢/ ٣١٣).

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٨٧٠)، واستغربه.

(٤٦) ـ ﴿وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ الطُّورِ إِذْ نَادَيْنَا وَلَكِن رَّحْمَةً مِّن رَّبِّكَ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أَتَاهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾.

﴿وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ الطُّورِ إِذْ نَادَيْنَا﴾ موسى ثانيًا حين اختارَ قومَه سبعين رجلًا ﴿وَلَكِن رَّحْمَةً مِّن رَّبِّكَ﴾؛ أي: أنزلنا هذه الأخبارَ إليك رحمةً من ربِّك ﴿لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أَتَاهُم مِّن نَّذِيرٍ﴾: مُنذرٍ ﴿مِّن قَبْلِكَ﴾؛ أي: في الفترةِ ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾.

وقيل: ﴿وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ الطُّورِ إِذْ نَادَيْنَا﴾ موسى بقولِنا: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾ [الأعراف: ١٥٦] إلى قولِه: ﴿الْمُفْلِحُونَ﴾ [الأعراف: ١٥٧].

***

(٤٧) ـ ﴿وَلَوْلَآ أَن تُصِيبَهُم مُّصِيبَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَيَقُولُوا رَبَّنَا لَوْلَآ أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ ءَايَاتِكَ وَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾.

﴿وَلَوْلَآ أَن تُصِيبَهُم مُّصِيبَةٌ﴾: عقوبةٌ وعذابٌ ﴿بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ﴾ منَ الكفرِ والظُّلمِ والمعاصي التي استحقُّوا بها العذابَ، وأضافَها إلى اليدِ وإن لم يكُ بعضُها باليدِ كالمَثَل: يداكَ أَوْكَتا وفوكَ نفخَ(١).

---

(١) انظر: «أمثال العرب» للمفضل الضبي (ص: ١١٧)، و«الأمثال» لأبي عبيد (ص: ٣٣١)، و«المستقصى في أمثال العرب» للزمخشري (٢/ ٤١٠)، هو مثل يُطرب لمن يجني على نفسه وفي أصل المثل قولان:

الأول ذكره المفضل ونقله عنه أبو عبيد: أن رجلاً نفخ في زق ليعبر به نهراً ولم يوثِّقْ وكاءه، فركبه فلمَّا توسط الماء انحل الوكاء وخرجت الرّيح فغرق، وحين غشيه الموت استغاث برجل، فقال له ذلك.

والثاني ذكره الزمخشري فقال عقب السابق: وقيل: أصله أن شابًّا انتهى إلى جَوَارٍ يستَقِيْنَ بالقِرَبِ، فكان يلاعبهن وينفخ في بعض القرب ثمَّ يوكيه، فَقتله بعض إخوتهن غيرَةً، وأُخْبر أخو المقتول بملاعبهن فقال ذلك.

﴿فَيَقُولُواْ﴾ عند العذابِ: ﴿رَبَّنَا لَوۡلَآ﴾: هلَّا ﴿أَرۡسَلۡتَ إِلَيۡنَا رَسُولٗا فَنَتَّبِعَ ءَايَٰتِكَ﴾ فكنَّا نُؤمنُ به ونتَّبعُ الكتابَ الذي تُنزِّله عليه، ﴿وَنَكُونَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ بك وبرسولِك، وجوابُ ﴿لَوۡلَآ﴾ محذوفٌ، وفيه وجوهٌ:

أحدُها: لأَصَبْناهم بالعقوبةِ، ولأحلَلْنا بهم المُصيبةَ.

والثَّاني: لَمَا أرسَلْنا رسولًا يقُصُّ أنباءَ المُرسلين ويُحذِّرُ ويُنذِرُ[1].

والثَّالثُ: لَمَا أرسَلْنا الرُّسلَ، ولكن أرسَلْناهم لئلَّا يكونَ للنَّاسِ على الله حجَّةٌ بعد الرُّسلِ.

***

(٤٨) ـ ﴿فَلَمَّا جَآءَهُمُ ٱلۡحَقُّ مِنۡ عِندِنَا قَالُواْ لَوۡلَآ أُوتِيَ مِثۡلَ مَآ أُوتِيَ مُوسَىٰٓۚ أَوَلَمۡ يَكۡفُرُواْ بِمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ مِن قَبۡلُۖ قَالُواْ سِحۡرَانِ تَظَٰهَرَا وَقَالُوٓاْ إِنَّا بِكُلّٖ كَٰفِرُونَ﴾.

﴿فَلَمَّا جَآءَهُمُ ٱلۡحَقُّ﴾ محمَّدٌ ﷺ، وقيل: القرآنُ.

﴿مِنۡ عِندِنَا﴾: بأمرِنا ووَحيِنا.

﴿قَالُواْ لَوۡلَآ أُوتِيَ مِثۡلَ مَآ أُوتِيَ مُوسَىٰٓ﴾ يعني: اليدَ، والعصا، وسائرَ مُعجزاتِه، وهذا كلامُ اليهودِ.

وقيل: كلامُ العربِ بتعليمِ اليهودِ.

﴿أَوَلَمۡ يَكۡفُرُواْ بِمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ مِن قَبۡلُۖ قَالُواْ ساحِرانِ تَظَٰهَرَا﴾ يعنون: محمَّدًا وموسى.

وقيل: الضَّميرُ في ﴿قَالُواْ﴾ لليهودِ، و﴿ساحِرانِ﴾ عَنَوا بهما: موسى وهارونَ؛ قالوا أوَّلَ ما أتاهم موسى.

وقيل: عَنَوا بهما عيسى ومحمَّدًا عليهما السَّلامُ، وهذه المقالةُ لليهودِ اليومَ.

---

(١) في (ف): «نقص... ونحذر وننذر».

وقيل: الضَّميرُ في ﴿يَكْفُرُوا﴾ يعودُ إلى فرعونَ وملَئِه، و﴿قالُوا ساحِرانِ﴾ موسى وهارونَ عليهما السَّلامُ.

ومَن قرأ: ﴿سِحْرَانِ﴾[1] عَنَوا بهما التَّوراةَ والإنجيلَ[2].

وقيل: الإنجيلَ والقرآنَ[3].

وقيل: سألتِ العربُ اليهودَ عن صفةِ محمَّدٍ ﷺ ونعتِه: هل تجدون ذلك في التَّوراةِ؟ قالوا: نعم، فقالوا: سِحْرانِ وساحِرانِ تظاهَرا وتعاوَنا.

﴿وَقَالُوٓاْ﴾ كفَّارُ قُريشٍ: ﴿إِنَّا بِكُلٍّ كَٰفِرُونَ﴾؛ أي: بكلِّ الأنبياءِ وبكتُبِهم.

وفي تكرارِ ﴿قَالُوٓاْ﴾ وجهانِ:

أحدُهما: ﴿قَالُواْ سِحْرَانِ﴾[4] مرَّةً، وقالوا: ﴿إِنَّا بِكُلٍّ كَٰفِرُونَ﴾ مرَّةً.

والثَّاني: أنَّ ﴿وَقَالُوٓاْ﴾ عطفٌ على ﴿أَوَلَمْ يَكْفُرُواْ﴾.

ويجوزُ أن يكونَ كلُّ واحدٍ لقومٍ على ما سبقَ، وتقديرُ الآيةِ: أوَلَم يكفُروا بما أُوتيَ موسى من قبلُ وقالوا، فحُذِفَ الواوُ، وهو مُقدَّرٌ.

* * *

(٤٩) - ﴿قُلْ فَأْتُواْ بِكِتَٰبٍ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ هُوَ أَهْدَىٰ مِنْهُمَآ أَتَّبِعْهُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾.

﴿قُلْ فَأْتُواْ بِكِتَٰبٍ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ هُوَ أَهْدَىٰ مِنْهُمَآ أَتَّبِعْهُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾؛ أي: إنْ صدَقتُم في أنِّي اختلَقْتُ القرآنَ وأنَّ موسى اختلَقَ التَّوراةَ وادَّعَينا أنَّهما من عندِ الله

---

(١) هي قراءة عاصم وحمزة والكسائي، والباقون: ﴿ساحران﴾. انظر: «السبعة» (ص: ٤٩٥)، و«التيسير» (ص: ١٧٢).

(٢) في (ف): «والقرآن».

(٣) المقالة على هذا لليهود، وعلى الذي قبله للمشركين، والله أعلم.

(٤) في (ف): «قالوا ساحران».

فاختلِقُوا أنتم كتابًا مثلَهما، أو أدلَّ على الرُّشدِ بزعمِكم، وقولوا: «من عندِ الله» أتَّبِعه.

وقيل: ﴿فَأْتُوا بِكِتَابٍ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ هُوَ أَهْدَى مِنْهُمَا﴾: منَ التَّوراةِ والقرآنِ نأمنُ معه من تكذيبِ طائفةٍ منَ النَّاسِ أتَّبِعه.

* * *

(٥٠) - ﴿فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾.

﴿فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ﴾ إلى إتيانِ كتابٍ، وقيل: إلى الإيمانِ بك والقرآنِ.

﴿فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ﴾: ما[1] لا حجّةَ فيه ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِنَ اللَّهِ﴾: حجَّةٍ وبرهانٍ؛ أي: لا أحدَ أضلُّ ممَّن اتَّبعَ في الدِّينِ هواه.

﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾: لا يُرشِدُهم ولا يُوفِّقُهم.

* * *

(٥١) - ﴿وَلَقَدْ وَصَّلْنَا لَهُمُ الْقَوْلَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾.

﴿وَلَقَدْ وَصَّلْنَا لَهُمُ الْقَوْلَ﴾ أتبعْنا بعضَه بعضًا.

وقيل: بيَّنَّا.

وقيل: أنزلناه شيئًا فشيئًا؛ ليكونُوا أوعى له.

و﴿وَصَّلْنَا﴾ مبالغةُ الوصلِ، وحقيقةُ الوصلِ: رفعُ الحائلِ بين الشَّيئين.

﴿لَهُمُ﴾ قيل: للمُشركين.

وقيل: لأهلِ الكتابِ.

---

(١) في (ف): «وما».

﴿ٱلْقَوْلَ﴾ قيل: ذكرَ الأنبياءِ وما حلَّ بقومِهم.

وقيل: القرآنَ.

وقيل: تكرارَ الوعظِ ومُتابعةَ الاحتجاجِ.

﴿لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾: يتَّعِظون ويُؤمنون.

* * *

(٥٢) ـ ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِهِۦ هُم بِهِۦ يُؤْمِنُونَ﴾.

﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ﴾ عبدُ الله بنُ سلامٍ وأصحابُه، وسلمانُ، وغيرُهم.

وقيل: هم أهلُ الإنجيلِ، قدِمُوا على رسولِ الله ﷺ ثلاثةً وثلاثين منَ الحبشةِ، وسبعةً منَ الشّامِ.

﴿مِن قَبْلِهِۦ﴾: من قبلِ القرآنِ.

وقيل: قبلِ محمَّدٍ ﷺ.

﴿هُم بِهِۦ﴾: بمحمَّدٍ.

وقيل: بالقرآنِ.

﴿يُؤْمِنُونَ﴾: يُصدِّقون.

* * *

(٥٣) ـ ﴿وَإِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِهِۦٓ إِنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّنَآ إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلِهِۦ مُسْلِمِينَ﴾.

﴿وَإِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ﴾؛ أي: القرآنُ ﴿قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِهِۦٓ إِنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّنَآ إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلِهِۦ مُسْلِمِينَ﴾: دائنينَ بدينِ الإسلامِ، عالِمين بصِحَّتِه، مُؤمنينَ به؛ لوجودِهم ذلك في كتابِهم.

* * *

(٥٤) - ﴿أُوْلَٰٓئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُم مَّرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُواْ وَيَدْرَءُونَ بِٱلْحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ﴾.

﴿أُوْلَٰٓئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُم مَّرَّتَيْنِ﴾: مرَّةً لإيمانهم بكتابهم، ومرَّةً لإيمانهم بالقرآنِ.

﴿بِمَا صَبَرُواْ﴾ على الإيمانِ والطَّاعةِ، وعن الكفرِ والمعصيةِ، ﴿وَيَدْرَءُونَ بِٱلْحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ﴾.

***

(٥٥) - ﴿وَإِذَا سَمِعُواْ ٱللَّغْوَ أَعْرَضُواْ عَنْهُ وَقَالُواْ لَنَآ أَعْمَٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَٰلُكُمْ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ لَا نَبْتَغِي ٱلْجَٰهِلِينَ﴾.

﴿وَإِذَا سَمِعُواْ ٱللَّغْوَ أَعْرَضُواْ عَنْهُ وَقَالُواْ لَنَآ أَعْمَٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَٰلُكُمْ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ لَا نَبْتَغِي ٱلْجَٰهِلِينَ﴾ سبقَ آخرَ (الفرقانِ).

***

(٥٦) - ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَآءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ﴾.

﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَآءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ﴾ أجمعَ المُفسِّرون على أنَّها نزلت في أبي طالبٍ.

وفي الصَّحيحَين: أنَّ سببَ نزولِ الآيةِ: أنَّ أبا طالبٍ لَمَّا حضرَتْه الوفاةُ جاءَه رسولُ الله ﷺ فوجدَ عندَه أبا جهلٍ وعبدَ الله بنَ أبي أميَّةَ، فقال رسولُ الله ﷺ: «يا عمِّ، قل: لا إلهَ إلا الله كلمةً أُحاجُّ لك بها عندَ الله»، قال أبو جهلٍ وعبدُ الله بنُ أبي أميَّةَ: أترغَبُ عن ملَّةِ عبدِ المطَّلبِ؟ فلم يزَلْ رسولُ الله ﷺ يعرِضُها له ويُعاوِدانِه بتلك المقالةِ حتَّى قال أبو طالبٍ آخرَ ما كلَّمَهم به: أنا على ملَّةِ عبدِ المُطَّلبِ، وأبى أن يقولَ: لا إلهَ إلا الله، فقال رسولُ الله ﷺ: «لأستغفِرَنَّ لك ما لم أُنْهَ عنك»، فأنزَلَ الله: ﴿مَا

كَانَ لِلنَّبِيِّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن يَسْتَغْفِرُواْ لِلْمُشْرِكِينَ﴾ الآية [التوبة: ١١٣]، وأنزل في أبي طالبٍ: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ﴾[١].

ورَوى أبو هريرةَ رضي الله عنه قال: قال رسولُ الله ﷺ لعمِّه: «قُلْ: لا إلهَ إلا اللهُ، أشهدُ لك بها يومَ القيامةِ»، قال: لولا أن تُعيِّرَني نساءُ قريشٍ ويقُلْنَ: حملَه على ذلك الجزَعُ لأقرَرْتُ بها عينَكَ، فأنزَلَ الله سبحانَه وتعالى: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ﴾[٢]، يعني: أبا طالبٍ، ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ﴾ يعني: حمزةَ والعبَّاسَ، ﴿وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ﴾.

***

(٥٧) ـ ﴿وَقَالُوٓاْ إِن نَّتَّبِعِ ٱلْهُدَىٰ مَعَكَ نُتَخَطَّفْ مِنْ أَرْضِنَآ ۚ أَوَلَمْ نُمَكِّن لَّهُمْ حَرَمًا ءَامِنًا يُجْبَىٰٓ إِلَيْهِ ثَمَرَٰتُ كُلِّ شَىْءٍ رِّزْقًا مِّن لَّدُنَّا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾.

﴿وَقَالُوٓاْ إِن نَّتَّبِعِ ٱلْهُدَىٰ مَعَكَ﴾ في سببِ النُّزولِ: أنَّها نزلَتْ في الحارثِ بنِ عثمانَ بنِ نوفلِ بنِ عبدِ منافٍ، أتى النَّبيَّ ﷺ فقال: إنَّا لنعلَمُ أنَّ الذي تقولُه حقٌّ، ولكنْ منعَنا من اتِّباعِك أنَّ العربَ تَخْطَفُنا من أرضِنا لإجماعِهم على خلافِنا، ولا طاقةَ لنا بهم، فأنزَلَ اللهُ هذه الآيةَ[٣].

---

(١) رواه البخاري (٤٧٧٢)، ومسلم (٢٤)، عن المسيب بن حزن رضي الله عنه.

(٢) رواه مسلم (٢٥)، والبزار في «مسنده» (٩٧٥٢)، وعند مسلم: «تعيرني قريش» بدل «تعيرني نساء قريش».

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (١٨/ ٢٨٧) عن ابن عباس رضي الله عنهما، ورواه مختصراً النسائي في «الكبرى» (١١٣٢١) بلفظ: «الحارث بن عامر بن نوفل الذي قال: ﴿إِن نَّتَّبِعِ ٱلْهُدَىٰ مَعَكَ نُتَخَطَّفْ مِنْ أَرْضِنَآ﴾».

والمعنى: إنْ نتَّبعِ الهدى معك كما اتَّبعتَه أنت، كما تقولُ: قد صِرتُ إلى فلانٍ معَك؛ أي: كما صرتَ إليه.

وقيل: ﴿مَعَكَ﴾ حالٌ منَ ﴿ٱلْهُدَىٰ﴾.

وقيل: بالإيمانِ بك.

﴿نُتَخَطَّفْ مِنْ أَرْضِنَآ﴾: تجتمعِ العربُ على مُخالفتِنا فيُخرِجونا من أرضِنا، فأجابَهم الله وقال: ﴿أَوَلَمْ نُمَكِّن لَّهُمْ حَرَمًا ءَامِنًا﴾؛ أي: أوَلَم نجعَلْ مكانَهم في حرمٍ ممنوعٍ عن الأعداءِ يأمَنُ فيه الظَّبيُ منَ الفهدِ، والحمامُ منَ الباشقِ، فاعلٌ بمعنى مفعولٍ.

وقيل: ذا أمنٍ بحُرمةِ الكعبةِ.

﴿يُجْبَىٰٓ إِلَيْهِ﴾: يُحمَلُ إليه ويُجمَعُ فيه ﴿ثَمَرَٰتُ كُلِّ شَىْءٍ﴾؛ أي: أنواعُ ما يُثمِرُ من البلادِ؛ لأنَّه في وادٍ غيرِ ذي زرعٍ.

﴿رِّزْقًا مِّن لَّدُنَّا﴾: رزقناهم ذلك من عندِنا.

﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾: لا يتدبَّرون أنَّ الذي فعلَ ذلك بهم وهم كافرون قادرٌ على أن يفعلَ بهم وهم مُؤمنون.

* * *

(٥٨) - ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍۭ بَطِرَتْ مَعِيشَتَهَا ۖ فَتِلْكَ مَسَٰكِنُهُمْ لَمْ تُسْكَن مِّنۢ بَعْدِهِمْ إِلَّا قَلِيلًا ۖ وَكُنَّا نَحْنُ ٱلْوَٰرِثِينَ﴾.

﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍۭ﴾: أهلِ قريةٍ، والتَّقديرُ: وكم من قريةٍ أهلكْنا ﴿بَطِرَتْ مَعِيشَتَهَا﴾ البطَرُ: سوءُ احتمالِ الغِنى، والمعنى: كفرَتْها، والوجهُ: في معيشَتِها، فحُذِفَ (في).

وقيل: معناه: أبطَرَتْها معيشتُها.

وقيل: نصبٌ على التَّمييزِ، وهو بعيدٌ؛ لكونِها معرفةً[1].

﴿فَتِلْكَ مَسَٰكِنُهُمْ﴾ خرابٌ ترونَها في مجيئِكم وذهابِكم.

﴿لَمْ تُسْكَن مِّنۢ بَعْدِهِمْ﴾: من بعدِ إهلاكِ[2] أهلِها.

﴿إِلَّا قَلِيلًا﴾ لم تُخربْ.

وقيل: ﴿إِلَّا قَلِيلًا﴾ منها سُكِنَتْ.

وقيل: لم تَعُدْ إلى العمارةِ إلا قليلٌ.

وقيل: لم يسكُنْها إلا المُسافرون، ينزلونَها ساعةً ثمَّ يرتحِلون.

﴿وَكُنَّا نَحْنُ ٱلْوَٰرِثِينَ﴾ ما ملَكَ التَّصرُّفَ فيها غيرُنا، وهذا وعيدٌ للمُخاطَبين.

***

(٥٩) - ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ حَتَّىٰ يَبْعَثَ فِىٓ أُمِّهَا رَسُولًا يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِنَا ۚ وَمَا كُنَّا مُهْلِكِى ٱلْقُرَىٰٓ إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَٰلِمُونَ﴾.

﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ حَتَّىٰ يَبْعَثَ فِىٓ أُمِّهَا﴾ يعني: مكَّةَ، وهي أمُّ القُرى؛ لأنَّ الأرضَ دُحِيَتْ من تحتِها، ﴿رَسُولًا﴾ يعني: محمَّدًا ﷺ ﴿يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِنَا﴾: القرآنَ.

وقيل: في مُعظمِها، ﴿رَسُولًا﴾: نبيًّا، ﴿يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِنَا﴾: وحيَنا.

وقيل: ﴿فِىٓ أُمِّهَا﴾: أوائلِها.

﴿وَمَا كُنَّا مُهْلِكِى ٱلْقُرَىٰٓ إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَٰلِمُونَ﴾ كافرون عاتون في الكفرِ.

---

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٨٧٠)، وعدَّه من العجائب.

(٢) في (ف): «هلاك».

(٦٠) ـ ﴿وَمَآ أُوتِيتُم مِّن شَيْءٍ فَمَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتُهَا ۚ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾.

﴿وَمَآ أُوتِيتُم مِّن شَيْءٍ فَمَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتُهَا﴾ تتمتَّعون بها قليلًا، والمتاعُ: المتعةُ، مصدرٌ، والمتاعُ: أثاثُ البيتِ وغيرِه ممَّا يُتمَتَّعُ[١] به، والمعنى: متاعُ الدُّنيا والتَّمتُّعُ بها فانٍ[٢] سريعُ الانقضاءِ.

﴿وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ﴾: أدْوَمُ ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ أنَّ الباقيَ أبدًا خيرٌ من الفاني سريعًا.

* * *

(٦١) ـ ﴿أَفَمَن وَعَدْنَٰهُ وَعْدًا حَسَنًا فَهُوَ لَٰقِيهِ كَمَن مَّتَّعْنَٰهُ مَتَٰعَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ثُمَّ هُوَ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ مِنَ ٱلْمُحْضَرِينَ﴾.

﴿أَفَمَن وَعَدْنَٰهُ وَعْدًا حَسَنًا﴾ في سببِ النُّزولِ عن مجاهدٍ: أنَّها نزلَتْ في عليٍّ وحمزةَ رضي الله عنهما وأبي جهلٍ لعنَه الله[٣].

السُّدِّيُّ: نزلَتْ في عمَّارٍ والوليدِ بنِ المُغيرةِ[٤].

وقيل: نزلَتْ في النَّبيِّ ﷺ وأبي جهلٍ لعنَه الله[٥].

أي: أفمَنْ وعَدْناه الجنَّةَ ونعيمَها ﴿فَهُوَ لَٰقِيهِ﴾: مُدرِكُه ومُصيبُه لا محالةَ؛ إذ لا خُلْفَ لوعدِنا ﴿كَمَن مَّتَّعْنَٰهُ مَتَٰعَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ الذي هو مَشوبٌ بالتَّنغيصِ والتَّكديرِ زائلٌ عن قريبٍ ﴿ثُمَّ هُوَ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ مِنَ ٱلْمُحْضَرِينَ﴾ للعرضِ والحسابِ، مُعاقَبٌ بالنَّارِ؟!

---

(١) في (ف): «ينتفع».

(٢) في (ف): «فإنه».

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (١٨/ ٢٩٥).

(٤) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٢٠/ ٤٨٠)، والواحدي في «أسباب النزول» (ص: ٣٣٩).

(٥) رواه الطبري في «تفسيره» (١٨/ ٢٩٤) عن مجاهد.

وقيل: ﴿مِنَ ٱلْمُحْضَرِينَ﴾ منَ المُشهَّرين[1]؛ لأنَّ[2] الإحضارَ كالإشخاصِ يوجِبُ السُّخطَ والغضبَ.

***

(٦٢) ـ ﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَآءِىَ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ﴾.

﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ﴾: يُنادي الله الكفَّارَ نداءَ تقريعٍ وتوبيخٍ.

قيل: هو عطفٌ على قولِه: ﴿يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ مِنَ ٱلْمُحْضَرِينَ﴾ [القصص: ٦١].

وقيل: منصوبٌ بـ(اذكُرْ).

وقيل: منصوبٌ بقولِه: ﴿قَالَ ٱلَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلْقَوْلُ﴾ [القصص: ٦٣].

﴿فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَآءِىَ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ﴾؛ أي: زعمتُم في الدُّنيا أنَّها شُركائي في الإلهيَّةِ وكنتم تعبُدونَها وتدَّعون أنَّها تنفعُكم، فأينَ هم؟

***

(٦٣) ـ ﴿قَالَ ٱلَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلْقَوْلُ رَبَّنَا هَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَغْوَيْنَآ أَغْوَيْنَٰهُمْ كَمَا غَوَيْنَا تَبَرَّأْنَآ إِلَيْكَ مَا كَانُوٓا۟ إِيَّانَا يَعْبُدُونَ﴾.

﴿قَالَ ٱلَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلْقَوْلُ﴾ قيل: وجَبَ عليهم الوعيدُ والعقابُ.

وقيل: صدَقَ خبرُ الله في الدُّنيا بأنَّهم لا يؤمنون.

وقيل: معنى ﴿حَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلْقَوْلُ﴾: وجَبَ عليهم هذا الخطابُ[3]، وهو قولُه: ﴿أَيْنَ شُرَكَآءِىَ﴾، وفيه ثلاثةُ أقوالٍ:

---

(١) في (ن): «المشتهرين».

(٢) في (ق): «فإن».

(٣) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٨٧٠)، واستغربه.

أحدُها: أنَّ ﴿الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ﴾ هم الشُّركاءُ المعبودون، كأنَّه لـمَّا قيلَ للعابدين: أين شُركائي؟ قال المعبودون وهم الشَّياطينُ: ﴿رَبَّنَا هَٰؤُلَاءِ الَّذِينَ أَغْوَيْنَا﴾؛ أي: هؤلاءِ هم الذين أغوَينا ﴿أَغْوَيْنَاهُمْ كَمَا غَوَيْنَا﴾: أضلَلْناهم كما ضلَلْنا، أقرُّوا بالإضلالِ والدُّعاءِ إلى الشِّركِ والكفرِ، وأنكروا أمرَهم العابدين بعبادتِهم إيَّاهم بقولِـهم: ﴿تَبَرَّأْنَا إِلَيْكَ مَا كَانُوا إِيَّانَا يَعْبُدُونَ﴾؛ أي: بأمرِنا، بل كانوا يتَّبعون أهواءَهم.

وقيل: ﴿مَا كَانُوا إِيَّانَا يَعْبُدُونَ﴾ بسلطانٍ وحجَّةٍ، من قولِه تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَانٍ﴾ الآية [إبراهيم: ٢٢].

وقيل: كذَبوا[1]، وزيَّفَه بعضُهم وقال: ليس في القيامةِ كذبٌ، وأجازَ بعضُهم ذلك.

و(ما) على هذه الوجوه نفيٌ.

وقيل: ﴿مَا﴾ للمصدرِ، والتَّقديرُ: تبرَّأنا إليك مـمَّا كانوا إيّانا يعبُدون، فحُذِفَ (مِن)[2].

وقيل: على ما كانوا إيّانا يعبُدون، فحُذِفَ (على)[3].

والثّاني: أن يكونَ ﴿الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ﴾ الدُّعاةَ لهم إلى الشِّركِ، ويكونَ الشُّركاءُ غيرَهم، فيقولون عند هذا خوفًا على أنفُسِهم وإشفاقًا من أن يُزادَ في عذابِهم بسببِ إغوائِهم إياهم: ربَّنا إنا أغوَيناهُم، لا أنَّا أمَرْناهُم بعبادتِنا.

والثّالثُ: أنَّ المُرادَ بالشُّركاءِ الملائكةُ وعيسى، وحُمِلَ قولُه: ﴿أَغْوَيْنَا﴾ على

---

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٨٧١)، واستغربه.

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٨٧١)، واستغربه.

(٣) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٨٧١)، وعدَّه من العجائب.

إضمارِ شرطٍ؛ أي: إنْ أغوَيناهُم أغوَيناهُم كما غوَيْنا، ولكنْ لـم يكُنْ منّا إغواءٌ، قال: ومثلُه: ﴿إِن كُنتُ قُلْتُهُۥ فَقَدْ عَلِمْتَهُۥ﴾ [المائدة: ١١٦]، وهذا وجهٌ فيه تعسُّفٌ(١).

وليـس في الآيةِ ذكـرُ جوابِ المُخاطَبيـن، فيحتمِلُ أنَّه حُـذِفَ؛ لأنَّ قولَه بعدَه: ﴿فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَهُمْ﴾ يـدُلُّ عليـه، أو يـدُلُّ عليـه قولُـه: ﴿فَعَمِيَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْأَنۢبَآءُ﴾ [القصص: ٦٦].

***

(٦٤) ـ ﴿وَقِيلَ ٱدْعُوا۟ شُرَكَآءَكُمْ فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَهُمْ وَرَأَوُا۟ ٱلْعَذَابَ ۚ لَوْ أَنَّهُمْ كَانُوا۟ يَهْتَدُونَ﴾.

﴿وَقِيلَ ٱدْعُوا۟ شُرَكَآءَكُمْ﴾ أضافَ إليهم في هذه الآيةِ لادِّعائِهم أنَّها شركاءُ الله؛ أي: ادعُوهُم ليُخلِّصوكُم، ﴿فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَهُمْ﴾؛ أي: لـم يقدِروا على ما دُعوا إليه.

الزَّجَّاجُ: لم يُجيبوهم بحُجَّةٍ(٢).

﴿وَرَأَوُا۟ ٱلْعَذَابَ ۚ لَوْ أَنَّهُمْ كَانُوا۟ يَهْتَدُونَ﴾ وجوابُه: لَـمَا رأوا العذابَ.

وقيل: لَمَا اتَّبعوهُم.

وقيل: هذا تمنٍّ؛ أي: ودُّوا لو أنَّهم كانوا يهتَدون(٣).

***

(٦٥) ـ ﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ مَاذَآ أَجَبْتُمُ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾.

﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ مَاذَآ أَجَبْتُمُ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ عطفٌ على الأوَّلِ.

***

---

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٨٧١)، وعدَّه من العجائب.

(٢) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٤/ ١٥١).

(٣) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٨٧١)، واستغربه.

(٦٦) ـ ﴿فَعَمِيَتۡ عَلَيۡهِمُ ٱلۡأَنۢبَآءُ يَوۡمَئِذٖ فَهُمۡ لَا يَتَسَآءَلُونَ﴾.

﴿فَعَمِيَتۡ عَلَيۡهِمُ ٱلۡأَنۢبَآءُ يَوۡمَئِذٖ﴾ خفِيَتْ عليهم الحججُ، وقيل: الْتبسَتْ.

﴿فَهُمۡ لَا يَتَسَآءَلُونَ﴾: لا يَسألُ بعضُهم بعضًا عن العُذرِ والحجَّةِ رجاءَ أن يكونَ عنده عذرٌ أو حجَّةٌ[1]؛ لأنَّ الله أَدْحَضَ حجَّتَهم.

وقيل: لا يَسألُ بعضُهم بعضًا استعانةً في دفعِ المكروهِ[2] أو حملِ بعضِ ذنوبِه.

وقيل: لا يَسألُ بعضُهم بعضًا عن حالِه لاشتغالِه بنفسِه.

وقيل: لا يَسألُ بالأنسابِ.

***

(٦٧) ـ ﴿فَأَمَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا فَعَسَىٰٓ أَن يَكُونَ مِنَ ٱلۡمُفۡلِحِينَ﴾.

﴿فَأَمَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا فَعَسَىٰٓ أَن يَكُونَ مِنَ ٱلۡمُفۡلِحِينَ﴾ و(عسى) منَ الله واجبٌ[3]، وإنَّما قال: ﴿فَعَسَىٰٓ﴾؛ أي: إنْ دامَ على التَّوبةِ والعملِ الصَّالحِ.

***

(٦٨) ـ ﴿وَرَبُّكَ يَخۡلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخۡتَارُۗ مَا كَانَ لَهُمُ ٱلۡخِيَرَةُۚ سُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ﴾.

﴿وَرَبُّكَ يَخۡلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخۡتَارُۗ مَا كَانَ لَهُمُ ٱلۡخِيَرَةُ﴾ في سببِ النُّزولِ: أنَّها نزلَتْ جوابًا للوليدِ بنِ المُغيرةِ حين قال: ﴿لَوۡلَا نُزِّلَ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانُ عَلَىٰ رَجُلٖ مِّنَ ٱلۡقَرۡيَتَيۡنِ

---

(١) في (ف): «وحجة».

(٢) في (ف): «مكروه».

(٣) كرر المصنف ذلك، وذكر في «غرائب التفسير» (٢/ ١٤٢٦) قولاً باستثناء قوله تعالى: ﴿عَسَىٰ رَبُّهُۥٓ إِن طَلَّقَكُنَّ﴾.

عَظِيمٍ﴾ [الزخرف: ٣١] يعني: نفسَه، وعُروةَ بنَ مسعودٍ الثَّقفيَّ منَ الطّائفِ(١)؛ أي: يخلقُ مَن يشاءُ منَ الخلقِ ويختارُ مَن يشاءُ للنُّبوَّةِ.

﴿مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ﴾؛ أي: ليس لهم أن يختارُوا على الله أن يفعلَ، فـ﴿مَا﴾ نفيٌ.

وقيل: هو بمعنى: الذي، وجوَّزَه الزَّجَّاجُ(٢)؛ أي: ويختارُ ما يتعبَّدُهم به.

وقيل: هذا ردٌّ لأشرافِ قريشٍ حين قالوا: إنَّما يصحبُ محمدًا الفُقراءُ وأراذلُ النّاسِ، ولولا ذلك لآمنَّا، فيكونُ المعنى: يخلقُ ما يشاءُ ويختارُ لصحبةِ رسولِه ونُصرةِ دينِه مَن يشاءُ، وهم الصَّحابةُ رضوانُ الله عليهم.

وقيل: يخلقُ مَن يشاءُ من عبادِه، ويختارُ مَن يشاءُ لطاعتِه، فيكونُ ﴿مَا﴾ بمعنى: الذي. والأوَّلُ هو الوجهُ؛ لأنَّ ﴿مَا﴾ إذا جُعِلَ اسمًا يقتضي نصبَ (الخيرة)، أو إضمارَ جارٍّ ومجرورٍ، وهو ضعيفٌ بعيدٌ.

و(الخِيَرَةُ): اسمٌ بمعنى: المُختارِ، تقولُ: محمَّدٌ خِيَرَةُ الله من خلقِه، وهو في الأصلِ مصدرٌ كالطِّيَرةِ، والخِيْرةُ المصدرُ من (اختارَ)، كالرِّيْبةِ من (ارتابَ).

﴿سُبْحَانَ اللَّهِ﴾: تنزيهًا له عن أن يكونَ لأحدٍ عليه اختيارٌ.

﴿وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾: عن إشراكِهم، و(ما) للمصدرِ.

وقيل: عن الشَّريكِ، فتكونُ بمعنى: الذي.

---

(١) ذكره المفسرون دون عزو لقائل ولا سند. انظر: «تفسير السمرقندي» (٢/ ٦١٦)، و«تفسير الثعلبي» (٢٠/ ٤٨٣)، و«النكت والعيون» (٤/ ٢٦٣)، و«أسباب النزول» للواحدي (ص: ٣٣٩).

وقول الوليد بن المغيرة مروي في سبب نزول قوله تعالى: ﴿لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ﴾ [الزخرف: ٣١]، وسيأتي في موضعه.

(٢) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٤/ ١٥٢)، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٨٧٢)، واستغربه.

وقيل: معنى الآيةِ: ﴿وَيَخْتَارُ﴾ للشَّفاعةِ مَن يشاءُ فيأذَنُ له فيها، ﴿مَا كَانَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ﴾ فيختاروا الأصنامَ لتكونَ لهم شُفعاءَ.

* * *

(٦٩) ـ ﴿ وَرَبُّكَ يَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴾.

﴿ وَرَبُّكَ يَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ ﴾: تُضمِرُه من خيرٍ وشرٍّ، ﴿وَمَا يُعْلِنُونَ ﴾: يُظهِرون؛ لا تَخْفَى عليه خافيةٌ.

* * *

(٧٠) ـ ﴿ وَهُوَ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ لَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلْأُولَىٰ وَٱلْآخِرَةِ وَلَهُ ٱلْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾.

﴿ وَهُوَ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ تفرَّدَ بالإلهيَّةِ ﴿لَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلْأُولَىٰ وَٱلْآخِرَةِ﴾: يحمدُه الأنبياءُ والمرسلون والمؤمنون في الدُّنيا والآخرةِ.

وقيل: هو المُنعِمُ فيهما، فله الحمدُ فيهما.

وقيل: ﴿فِى ٱلْأُولَىٰ وَٱلْآخِرَةِ﴾: في السَّماءِ والأرضِ من قولِه: ﴿ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [الروم: ١٨]؛ لأنَّ إحداهما خُلِقَت قبل الأخرى، حكاه القفَّالُ.

﴿وَلَهُ ٱلْحُكْمُ﴾: القضاءُ والقدرُ، وقيل: ﴿وَلَهُ ٱلْحُكْمُ﴾ فيما يختارُ.

﴿وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ بالموتِ، والبعثِ، والنُّشورِ.

* * *

(٧١) ـ ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمُ ٱلَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ مَنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِضِيَآءٍ أَفَلَا تَسْمَعُونَ ﴾.

﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمُ ٱلَّيْلَ سَرْمَدًا ﴾: دائمًا لا نهارَ بعدَه ﴿إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾، والعربُ تقولُ: سرمدًا سمَدًا؛ أي: دائمًا، ولا يكونُ السَّرمدُ إذا وقعَ فيه فصلٌ.

﴿مَنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِضِيَآءٍ﴾: هل إلهٌ غيرُ الله يأتيكم بنهارٍ؟
﴿أَفَلَا تَسْمَعُونَ﴾ سماعَ مَن ينتفعُ بسَمْعِه.

***

(٧٢) - ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمُ ٱلنَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ مَنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ فِيهِ ۖ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾.

﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمُ ٱلنَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ مَنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ فِيهِ﴾ من تعبِ اشتغالِكم بالنَّهارِ.

﴿أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ اللَّيلَ والنَّهارَ وما فيهما من أسبابِ البقاءِ والمعاشِ؟

***

(٧٣) - ﴿وَمِن رَّحْمَتِهِۦ جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا۟ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾.

﴿وَمِن رَّحْمَتِهِۦ جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا۟ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ﴾؛ أي: لتسكُنوا في اللَّيلِ، ولتبتَغوا من فضلِه بالنَّهارِ[1]؛ كقولِ امرئِ القيسِ:

كأنَّ قلوب الطيــر رطبـاً ويابـســاً لدَى وَكْرِها العُنَّابُ والحَشَفُ البالي[2]

وأجازَ الفرَّاءُ أن يكونَ الهاء في ﴿فِيهِ﴾ يعودُ إلى اللَّيلِ والنَّهارِ[3].

الزَّجَّاجُ: ﴿فِيهِ﴾ يعـودُ إلـى الزَّمـانِ، والمعنـى: ليكـونَ اللَّيـلُ سـكَنًا والنَّهارُ

(١) فهذا من اللفِّ والنشر كما يسميه أهل البلاغة، قال المبرد: «والعرب تلف الخبر من المختلفين، ثم ترمي بتفسيرها جملة؛ ثقةً بأن السامع يردّ إلى كلٍّ خبره» ثم ذكر الآية. انظر: «الكامل» للمبرد (١/ ١٠٧)، و«مفتاح العلوم» للسكاكي (ص: ٤٢٥).

(٢) انظر: «ديوانه» (ص: ١٣٩). العناب: ثمر، والحشف: اليابس الفاسد من التمر.

(٣) انظر: «معاني القرآن» للفراء (٢/ ٣٠٩).

معاشًا؛ إذ لا بقاءَ إلا بهما[1]. ﴿وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ اللهَ على نعمِه.

***

(٧٤) - ﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَآءِيَ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ﴾.

﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَآءِيَ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ﴾ كرَّرَ لأنَّ الآيةَ الأولى لتقريرِ الإقرارِ على النَّفسِ بالعجزِ، والثَّانيةَ للتَّعجيزِ عن إقامةِ البرهانِ لـمَّا طُولبوا به بمَحْضَرٍ منَ الأشهادِ مع أنَّه تقريعٌ بعد تقريعٍ.

***

(٧٥) - ﴿وَنَزَعْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا فَقُلْنَا هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ فَعَلِمُوٓا۟ أَنَّ ٱلْحَقَّ لِلَّهِ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ﴾.

﴿وَنَزَعْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا﴾: أخرَجْنا من كلِّ أمَّةٍ شاهدًا يَشهدُ عليها بما أجابَتْ به؛ فيما دُعِيت إليه منَ التَّوحيدِ، وأنَّه قد بلَّغَهم رسالةَ ربِّه.

وقيل: يشهدُ عليهم بجميعِ أعمالِـهم.

وقيل: ونزَعْنا من كلِّ أمَّةٍ عُدولًا يشهدون على رسولِـهم؛ لأنَّ الله لا يُخْلي زمانًا عن جماعةٍ يكونون حجَّةَ الله على النَّاسِ يدعونَهم إلى الدِّينِ.

﴿فَقُلْنَا﴾ للأممِ: ﴿هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ﴾: قرِّبوا حجَّتكم وتِبْيانكم على صحَّةِ ما كنتُم تَدينون به؛ ليكونَ لكم مَخْلَصٌ عمَّا شهدوا عليكم.

﴿فَعَلِمُوٓا۟ أَنَّ ٱلْحَقَّ لِلَّهِ﴾؛ أي: فبُهِتوا وتحيَّروا، فعلِموا يقينًا ﴿أَنَّ ٱلْحَقَّ لِلَّهِ﴾: أنَّ الإلهيَّةَ له.

---

(١) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٤/ ١٥٣) وفيه: «المعنى: جعل لكم الزمان ليلاً ونهارًا؛ لتسكنوا بالليل، وتبتغوا من فضل الله بالنهار، وجائز أن تسكنوا فيهما، وأن تبتغوا من فضل الله فيهما، فيكون المعنى: جعل لكم الزمان ليلًا ونهارًا؛ لتسكنوا فيه ولتبتغوا من فضله».

وقيل: ﴿أَنَّ ٱلۡحَقَّ﴾ ما أتاهم[1] الرُّسلُ به.

وقيل: أنَّ العدلَ لله.

﴿وَضَلَّ عَنۡهُم مَّا كَانُواْ يَفۡتَرُونَ﴾: ذهَبَ عنهم ما كانوا يرجُونَه من معبودِهم ذهابًا لا يبقى له أثرٌ.

***

(٧٦) ـ ﴿إِنَّ قَٰرُونَ كَانَ مِن قَوۡمِ مُوسَىٰ فَبَغَىٰ عَلَيۡهِمۡۖ وَءَاتَيۡنَٰهُ مِنَ ٱلۡكُنُوزِ مَآ إِنَّ مَفَاتِحَهُۥ لَتَنُوٓأُ بِٱلۡعُصۡبَةِ أُوْلِي ٱلۡقُوَّةِ إِذۡ قَالَ لَهُۥ قَوۡمُهُۥ لَا تَفۡرَحۡۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡفَرِحِينَ﴾.

﴿إِنَّ قَٰرُونَ كَانَ مِن قَوۡمِ مُوسَىٰ﴾: كانَ ابنَ عمِّه لَحًّا[2].

وفي بعضِ التَّفاسيرِ: وكان منَ الذين اختارَهم موسى، من قولِه: ﴿وَٱخۡتَارَ مُوسَىٰ قَوۡمَهُۥ سَبۡعِينَ رَجُلٗا لِّمِيقَٰتِنَا﴾ [الأعراف: ١٥٥]، ومن الذين جاوَزُوا البحرَ، وكان منَ القُرّاءِ وعلماءِ التوراةِ.

﴿فَبَغَىٰ عَلَيۡهِمۡ﴾: طلبَ الفضلَ عليهم وأن يكونوا تحتَ يدِه.

وقيل: بغيُه: حسَدُه هارونَ على الحبورةِ، وقولُه لموسى: لك النُّبوَّةُ ولهارونَ الحبورةُ، وأنا في غيرِ شيءٍ؟!

وقيل: بغى بكُفرِه وتمرُّدِه على موسى عليه السَّلامُ.

وقيل: زادَ في ثوبِه شبرًا.

وقيل: بغيُه: استِخفافُه بالفقراءِ، وازدِراؤُه بسائرِهم، ومنعُ ذَوي الحقوقِ حُقوقَهم في مالِه.

وقيل: بغى بكثرةِ مالِه.

---

(١) في النسختين: «أتاه»، والصواب المثبت.

(٢) «ابنُ عَمِّه لَحًا»؛ أي: لاصقُ النَّسَب. انظر: «معجم ديوان الأدب» (٣/ ٣).

ابنُ عبَّاسٍ رضي الله عنهما: بغى على موسى وقصدَ الإفسادَ عليه، وكان من إفسادِه أنَّ امرأةً بغيًّا كانت مشهورةً في بني إسرائيلَ، فوجَّه إليها قارونُ يأمرُها أن تصيرَ إليه وهو في ملأٍ منَ النّاسِ فتكذِبَ على موسى وتقولَ: إنَّ موسى طلبَني للفسادِ والرِّيبةِ، وضمِنَ لها أن يُعطيَها على ذلك عطاءً كثيرًا ويخلطَها بنسائِه، فجاءَتْه المرأةُ وقارونُ جالسٌ مع أصحابِه فرزقَها الله التَّوبةَ، وقالت في نفسِها: ما لي مقامٌ للتَّوبةِ مثلُ هذا، فأقبلَتْ على أهلِ المجلسِ وقالت وقارونُ حاضرٌ: إنَّ قارونَ وجَّهَ إليَّ يأمرُني ويسألُني أن أَكْذِبَ على موسى وأقولَ: إنَّه أرادَني للفسادِ، وإنَّ قارونَ كاذبٌ في ذلك. فلما سمعَ قارونُ كلامَها تحيَّرَ وأيِسَ، واتَّصلَ الخبرُ بموسى، فجعلَ اللهُ أمرَ قارونَ إلى موسى، وأمرَ الأرضَ أن تُطيعَه فيه.

ورَوى بعضُ المُفسِّرين: أنَّ قارونَ ادَّعى[1] على موسى: إنَّك زنَيْتَ، وحضرتِ البغيُّ وادَّعَتْ ذلك على موسى، فعظُمَ ذلك عليه، فأحلَفَها بالله الذي فلَقَ البحرَ لبني إسرائيلَ وأنزلَ التَّوراةَ على موسى إلّا صدقتِ، فقالَتْ: أشهدُ إنَّك بريءٌ، فخرَّ موسى ساجدًا يبكي ويقولُ: اللَّهمَّ إنْ كنتُ نبيَّك فاغضَبْ لي، فأوحى الله إليه: مُرِ الأرضَ بما شئتَ فإنَّها مُطيعةٌ لك[2].

---

(١) في (ف): «وروى بعض المفسرين فادعى قارون».

(٢) روى نحو هذه القصة عن ابن عباس ابن أبي شيبة في «المصنف» (٣١٤٣)، والطبري في «تفسيره» (١٨/ ٣٣٤)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٩/ ٣٠١٨)، والحاكم في «المستدرك» (٣٥٣٦) وصححه، وزاد السيوطي في «الدر المنثور» (٦/ ٤٣٦) عزوه لابن المنذر وابن مردويه، وفيه: فدعا موسى عليهم فأمر الله الأرض أن تطيعه، فقال موسى للأرض: خذيهم، فأخذتهم إلى أعقابهم، فجعلوا يقولون: يا موسى يا موسى، ثم قال للأرض: خذيهم، فأخذتهم إلى ركبهم، فجعلوا يقولون: يا موسى يا موسى، ثم قال للأرض: خذيهم، فأخذتهم إلى أعناقهم، فجعلوا يقولون: يا موسى يا موسى، فقال للأرض: خذيهم، فأخذتهم فغيَّبتهم، فأوحى الله إلى موسى: يا موسى، سألك عبادي =

وقيل: بغيُه نَسْبُه ما آتاهُ الله منَ المالِ إلى نفسِه وعلمِه وحيلتِه.

ويحتمِلُ أنَّه جمعَ هذه كلَّها؛ إذ لا مُنافاةَ بين الأقاويلِ.

﴿وَءَاتَيْنَٰهُ مِنَ ٱلْكُنُوزِ﴾: المالِ المُدَّخرِ ﴿مَآ إِنَّ مَفَاتِحَهُۥ﴾ ﴿مَآ﴾ بمعنى: الذي، واسمُ ﴿إِنَّ﴾ وخبرُه صِلتُه.

و﴿مَفَاتِحَهُۥ﴾: جمعُ مِفتَحٍ بالكسرِ، وهو المفتاحُ.

وقيل: مَفتَح بالفتحِ، وهو الخزانةُ(١).

﴿لَتَنُوٓأُ بِٱلْعُصْبَةِ أُوْلِى ٱلْقُوَّةِ﴾؛ أي: تُثقِلُهم، والباءُ للتَّعدِّي.

وقيل: هذا من بابِ القلبِ؛ أي: تنوءُ العُصبةُ بها(٢).

وقيل: تَنُوءُ بالعُصبةِ؛ أي: تجعلُ العُصبةَ تنوءُ بها، وهذا هو القولُ الأوَّلُ.

والعُصبةُ قيل: سبعونَ رجلًا.

وقيل: أربعونَ رجلًا.

وفي بعضِ التَّفاسيرِ: أنَّ مفاتيحَ قارونَ كانت حِمْلَ ستِّين بغلًا، ما يزيدُ مفتاحٌ على إصبعٍ، لكلِّ مفتاحٍ كنزٌ.

وقيل: كانت من جُلودٍ يحملُها أربعونَ رجلًا.

وقيل: ﴿مَفَاتِحَهُۥ﴾ أوعيتُه.

= وتضرعوا إليك فلم تجبهم، وعزتي لو أنهم دعوني لأجبتهم، قال ابن عباس: وذلك قول الله عز وجل ﴿فَخَسَفْنَا بِهِۦ وَبِدَارِهِ ٱلْأَرْضَ﴾ خسف به إلى الأرض السفلى.

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٨٧٣)، واستغربه، وقد استظهره فيما سيأتي قريباً، وما يستغرب المصنف ليس ضعيفاً عنده بالضرورة وإنما خلاف المشتهر.

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٨٧٣)، واستغربه.

ابنُ بحرٍ: ﴿مَفَاتِحَهُۥ﴾: علمَه وإحاطتَه به، من قولِه تعالى: ﴿مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ﴾ [الأنعام: ٥٩][1].

والمُحقِّقون على أنَّ ﴿مَفَاتِحَهُۥ﴾: خزائنُه.

وطعنَ بعضُ المُلحدينَ في هذه الآيةِ وقالوا: لا يبلغُ مالُ أحدٍ هذا المبلغَ.

فأُجيبَ بأنَّ الاعتبارَ بما في القرآنِ، وفيه: ﴿مَآ إِنَّ مَفَاتِحَهُۥ﴾؛ فإنْ حملتَ المفاتِحَ على الخزانةِ، وهو الأظهرُ؛ لأنَّ (المفتاحَ) جمعُه (مفاتيح) بالياء، ولا كلامَ فيها، وكذلك إنْ حملتَ المفاتحَ على الظُّروفِ.

وإنْ حملتَه على المفتاحِ فليس فيه كلُّ البعدِ؛ لأنَّ العصبةَ تقعُ على ما بين الثَّلاثةِ إلى التِّسعةِ، وقيل: منَ الخمسةِ إلى العشرةِ، وقيل: هي ستَّةٌ.

والحكَمُ العدلُ قولُه سبحانَه حكايةً عن إخوةِ يوسفَ عليه السَّلامُ: ﴿وَنَحْنُ عُصْبَةٌ﴾ [يوسف: ٨]، وكانوا ساعتَئذٍ عشرةً.

وإذا جُعِلت الأموالُ في الصَّناديقِ على مقدارِ ما هو المُعتادُ، وجُعِلَ لكلِّ صندوقٍ مفتاحٌ من حديدٍ جريًا على العادةِ في الأقفالِ، ثمَّ جُمِعت تلك المفاتيحُ فحملَها ثلاثةٌ أو عشرةٌ، فليس فيه كلُّ الاستكثارِ[2]؛ لأنَّ الملوكَ في زمانِنا قد يُرى مالُ بعضِهم على هذا، والله أعلمُ.

﴿إِذْ قَالَ لَهُۥ قَوْمُهُۥ﴾ قيل: قال له موسى وحدَه. وقيل: قالَه المؤمنون.

﴿لَا تَفْرَحْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْفَرِحِينَ﴾ أي: لا تأشَرْ ولا تبطَرْ.

وقيل: لا تبخَلْ.

---

(١) ذكر المصنف هذا القول والذي قبله في «غرائب التفسير» (٢/ ٨٧٣)، وعدَّهما من العجائب.

(٢) في (ف): «استكثار».

وقيل: لا تبْغِ.

وكلُّ ما جاء في القرآنِ من لفظِ الفرحِ مُطلقًا من غيرِ تقييدٍ فهو ذمٌّ.

وقيل: لا تفرحْ بالمالِ.

وقيل: لا تفرحْ بالشِّركِ الذي أنتَ عليه.

***

(٧٧) - ﴿وَٱبۡتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلۡأٓخِرَةَۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنۡيَاۖ وَأَحۡسِن كَمَآ أَحۡسَنَ ٱللَّهُ إِلَيۡكَۖ وَلَا تَبۡغِ ٱلۡفَسَادَ فِي ٱلۡأَرۡضِۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُفۡسِدِينَ﴾.

﴿وَٱبۡتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلۡأٓخِرَةَ﴾؛ أي: اطلُبْ في حالِ تمكُّنِك وقُدرتِك بالمالِ والبدنِ الجنَّةَ ونعيمَها بأن تُواسيَ بها الفقراءَ، وتصِلَ بها الرَّحِمَ، وتصرِفَها إلى أبوابِ الخيرِ.

﴿وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنۡيَا﴾: ولا تترُكْ حظَّك من لذَّاتِ الدُّنيا المُحلَّلةِ؛ فإنَّ ذلك ليس بمحظورٍ عليك.

وقيل: ﴿لا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيا﴾؛ أي: اطلُبْ بدُنياك آخرتَكَ؛ فإنَّ ذلك حظُّ المؤمنِ منها.

وقيل: ﴿لا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيا﴾: هو الكفَنُ(١).

﴿وَأَحۡسِن﴾ إلى النّاسِ ﴿كَمَآ أَحۡسَنَ ٱللَّهُ إِلَيۡكَ﴾.

وقيل: ﴿وَأَحۡسِن﴾: اشكُرْ.

وقيل: أحسِنْ فيما افترَضَ عليكَ كما أحسَنَ فيما أنعَمَ عليك.

---

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٨٧٣)، واستغربه.

﴿وَلَا تَبْغِ ٱلْفَسَادَ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ بالبغي على قومِكَ.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾؛ أي: أعمالَ المُفسِدين.

***

(٧٨) - ﴿قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِىٓ ۚ أَوَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِن قَبْلِهِۦ مِنَ ٱلْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا ۚ وَلَا يُسْـَٔلُ عَن ذُنُوبِهِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ﴾.

﴿قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِىٓ﴾ أي: آتاني الله لعلمي بالتَّوراةِ وفضلي.

وقيل: أرادَ علمَ الكيمياءِ[1]، وهو: صنعةُ الذَّهبِ، وهذا القولُ غيرُ مرضيٍّ عندَ المُحقِّقين؛ لأنَّ الكيمياءَ اسمٌ لا مُسمَّى له.

وقيل: معناه: آتاني الله على علمِه بأنِّي أهلٌ لذلك[2].

و﴿عِندِىٓ﴾؛ أي: في مُعتَقَدي، كما تقولُ: هذا جائزٌ عندي؛ أي: في مَذهَبي ومُعتَقَدي.

وقيل: على علمي بوجوهِ المكاسبِ.

وقيل: وجَدَ كنزًا من كنوزِ يوسفَ عليه السَّلامُ.

﴿أَوَلَمْ يَعْلَمْ﴾ قارونُ ﴿أَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِن قَبْلِهِۦ مِنَ ٱلْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً﴾: بطشًا وشِدَّةً ﴿وَأَكْثَرُ جَمْعًا﴾ للأموالِ؛ أي: كثرةُ مالِه وعبيدِه لا تدفعُ عنه عذابَ الله وإهلاكَه كما لـم تدفعْ عمَّن تقدَّمَه.

﴿وَلَا يُسْـَٔلُ عَن ذُنُوبِهِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ﴾ لأنَّ الملائكةَ يعرفونَهم بسيماهُم.

وقيل: يُعذَّبون من غيرِ حسابٍ.

---

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٨٧٤)، وعدَّه من العجائب.

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٨٧٣)، واستغربه.

وقيل: لا يُسألونَ ليقعَ العلمُ بها، بل يُسألون سؤالَ تقريعٍ وتوبيخٍ.

وقيل: لا يُسألونَ سؤالَ استعتابٍ، من قولِه: ﴿وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ﴾ [النحل: ٨٤].

وقيل: لا يُسألُ المُجرمون عن ذنوبِ مَن أُهلِكوا منَ القرونِ.

***

(٧٩) - ﴿فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ فِى زِينَتِهِۦ ۖ قَالَ ٱلَّذِينَ يُرِيدُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا يَٰلَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَآ أُوتِىَ قَٰرُونُ إِنَّهُۥ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾.

﴿فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ فِى زِينَتِهِۦ﴾: مُتزيِّنًا بثيابِ الأُرْجُوانِ في حشمِه وتَبَعِه.

وقيل: خرجَ في ثلاث مئةِ غلامٍ عن يمينِه، وثلاث مئةِ جاريةٍ عن يسارِه.

وقيل: خرجَ في جَوارٍ بيضٍ على بغالٍ بيضٍ بسُروجٍ من ذهبٍ على قُطُفِ أُرْجُوانٍ.

وقيل: خرجَ في سبعين ألفًا.

﴿قَالَ ٱلَّذِينَ يُرِيدُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا﴾؛ أي: الذين همَّتُهم الدُّنيا: ﴿يَٰلَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَآ أُوتِىَ قَٰرُونُ﴾ تمنَّوا مثلَ ما له.

ويجوزُ أن يكونَ المنادى بقولِه: ﴿يا﴾ محمَّدٌ[1].

وقيل: تقديرُه: يا قوم ليتَ لنا.

ويجوزُ أن يكونَ المعنى: يا مُتَمنَّانا تعالَ فهذا أوانُكَ[2].

﴿إِنَّهُۥ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾: نصيبٍ كبيرٍ، وقيل: ذو جَدٍّ منَ الدُّنيا عظيمٍ.

---

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٨٧٤)، وعدَّه من العجيب، ولفظه: «العجيب: قالوا يا محمد: ليت لنا، و(يا محمد) اعتراض من كلام الله تعالى».

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٨٧٤)، واستغربه.

(٨٠) ـ ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ وَيْلَكُمْ ثَوَابُ ٱللَّهِ خَيْرٌ لِّمَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَلَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلصَّٰبِرُونَ﴾.

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ﴾ بمعرفةِ الثَّوابِ والعقابِ وفناءِ الدُّنيا وبقاءِ العُقبى: ﴿وَيْلَكُمْ ثَوَابُ ٱللَّهِ خَيْرٌ﴾؛ أي: هلكتُم إنْ آثرتُم الدُّنيا على الآخرةِ، فثوابُ الله خيرٌ ﴿لِّمَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا﴾ للمُؤمنين.

﴿وَلَا يُلَقَّىٰهَآ﴾ فيه قولانِ:

أحدُهما: لا يُلقَّى هذه الكلمةَ، وهي ﴿ثَوَابُ ٱللَّهِ خَيْرٌ﴾.

والثّاني: الجنَّةَ ونعيمَها.

﴿إِلَّا ٱلصَّٰبِرُونَ﴾ على طاعةِ الله وعن معصيته.

***

(٨١) ـ ﴿فَخَسَفْنَا بِهِۦ وَبِدَارِهِ ٱلْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُۥ مِن فِئَةٍ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُنتَصِرِينَ﴾.

﴿فَخَسَفْنَا بِهِۦ وَبِدَارِهِ ٱلْأَرْضَ﴾ لـمَّا شكا موسى قارونَ إلى الله أمرَ الله الأرضَ أن تُطيعَ موسى على ما سبقَ، قال موسى: يا أرضُ خُذيه، فأخذَتْه إلى عقِبه، ثمَّ قال: خُذيه، فأخَذَتْه إلى وسطِه، ثمَّ قال: خُذيه، فأخَذَتْه إلى عنُقِه، ثمَّ قال: خُذيه فخسَفَتْ به، وكان قارونُ يتضرَّعُ إلى موسى في هذه الأحوالِ ويقولُ: ارحَمْني، ولا يتوبُ إلى الله، فقال الله: يا موسى ما أشدَّ قلبَك! دعاكَ عبدي واسترحَمَك فلم ترحَمْه، وعزَّتي لو دعاني لأجبتُه[1].

---

(١) تقدم قريباً.

وجاء في التَّفاسير: أنَّه يُخسَفُ به في كلِّ يومٍ قَدْرَ قامتِه(١)، فلا يبلغُ الأرضَ السُّفلى إلى يومِ القيامةِ(٢).

فلمَّا ابتلعتِ الأرضُ قارونَ، قال بنو إسرائيلَ: فعَل ذلك موسى ليرِثَ مالَه؛ لأنَّه كانَ ابنَ عمِّه، فخُسفَ بدارِه وبجميعِ أموالِه بعده بثلاثةِ أيامٍ، فلم يُقدَرْ على مالِه أبدًا.

﴿فَمَا كَانَ لَهُۥ مِن فِئَةٍ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾: أعوانٍ، وقيل: جماعةٍ. مُشتقٌّ من (فَأَوْتُ رأسَه).

﴿وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُنتَصِرِينَ﴾ لم يمتنِعْ ولم يمنَعْه كنزُه ومالُه وعددُه.

* * *

(٨٢) - ﴿وَأَصْبَحَ ٱلَّذِينَ تَمَنَّوْا۟ مَكَانَهُۥ بِٱلْأَمْسِ يَقُولُونَ وَيْكَأَنَّ ٱللَّهَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَيَقْدِرُ لَوْلَآ أَن مَّنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا وَيْكَأَنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾.

﴿وَأَصْبَحَ ٱلَّذِينَ تَمَنَّوْا۟﴾؛ أي: صارَ الذين كانوا يتمنَّونَ ﴿مَكَانَهُۥ﴾: منزلته ﴿بِٱلْأَمْسِ﴾؛ أي: منذُ زمانٍ قريبٍ، وليس (أمس) هاهنا بمُعيَّنٍ(٣)، وكذا(٤) (أصبحَ) المُرادُ به: صارَ.

﴿يَقُولُونَ وَيْكَأَنَّ ٱللَّهَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَيَقْدِرُ﴾؛ أي: لا يَبْسُطُ الرِّزقَ على مَن يَبْسُطُ لكرامتِه عندَه، ولا يَقْدِرُ على مَن يَقْدِرُ لهوانِه عليه.

---

(١) في (ف): «قامة».

(٢) ذكره يحيى بن سلام في «تفسيره» (٢/ ٦١١) عن قتادة، ورواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٩/ ٣٠٢٠) عن سمرة بن جندب.

(٣) لأنه معرف بـ(أل)، و(أمس) إن دخلته (أل) دلّ على الماضي من غير تحديد، وإن لم تدخله دلَّ على اليوم الذي يسبق يوم الخطاب دون غيره. انظر: «الكتاب» (٣/ ٤٧٩)، و«حاشية الصبان» (١/ ٩٥).

(٤) في (ف): «وكذلك».

قال سيبويهِ: (وَيْ) كلمةٌ يستعملُها النّادمُ بإظهارِ ندامتِه، وهي مفصولةٌ من (كأنَّ)(١)، قال:

وَيْ كَأَنْ مَـنْ يَكُـن لـهُ نَـشَـبٌ يُـحَبْـ ـبَبْ ومَـنْ يَفتَقِـرْ يَعِشْ عَيْشَ ضُرِّ(٢)

ورُوِيَ عن ابنِ عبّاسٍ رضي الله عنهما أنَّ (وَيْ) صلةٌ في الكلامِ(٣)، وهو عينُ قولِ سيبويهِ، وحجَّةٌ له.

قـال الأخفـشُ: أصلُـه: (ويـكَ)، و(أنَّ) بعدَه مفتـوحٌ بتقديرِ العلـمِ؛ أي: أعلَمُ أنَّ الله(٤)، قال الشّـاعرُ:

---

(١) انظر: «الكتاب» (٢/ ١٥٤).

(٢) البيت لزيد بن عمرو بن نفيل كما في «الكتاب» (٢/ ١٥٥)، و«عيون الأخبار» لابن قتيبة (١/ ٣٤٨)، و«الأصول في النحو» لابن السراج (٣/ ٤٧٠)، و«أخبار أبي القاسم الزجاجي» (ص: ٣٤)، ولنبيه بن الحجاج السهمي كما في «شرح أبيات سيبويه» لأبي محمد السيرافي (٢/ ٢٩ ـ ٣٠)، ونسبه الجاحظ في «البيان والتبيين» (١/ ١٩٨)، و«البخلاء» (ص: ٢٤٠) لسعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل، وهو دون نسبة في «معاني القرآن» للأخفش (١/ ٣٧٠)، و«معاني القرآن» للفراء (٢/ ٣١٢)، و«إعراب القرآن» للنحاس (٢/ ١٤٢).

(٣) ذكره السمرقندي في «تفسيره» (٢/ ٦٢١).

(٤) ذكره عن الأخفش المؤلف في «البرهان في توجيه متشابه القرآن» (ص: ١٩٧)، وفي «غرائب التفسير» (٢/ ٨٧٥)، وأبو حيان في «البحر» (٨/ ٣٢٩)، والسمين في «الدر المصون» (٨/ ٦٩٨)، قال أبو حيان: «وينبغي (أي: على هذا القول) أنْ تكونَ الكافُ حَرْفَ خطابٍ، ولا موضعَ له من الإعراب».
وذكر الفراء في «معاني القرآن» (٢/ ٣١٢) نحو هذا القول لكنه جعل أصل (ويك): ويلك، فقال: «وقد يذهب بعض النحويين إلى أنهما كلمتان: يريد: ويك أنه، أراد: ويلك، فحذف اللام، وجعل (أنَّ) مفتوحة بفعل مضمر، كأنه قال: ويلك أعلم أنه... فأضمر (أعلم)».
قـال ابن الشـجري فـي «الأمالـي» (٢/ ١٨٤): «فالـكاف على هذا القـول ضمير، فلهـا موضع من الإعـراب».
=

ألا وَيْـكَ الـمَـسرَّةُ لا تـدومُ ولا يبقَى على البُـؤسِ النَّعيمُ[١]

المُؤَرِّجُ: (ويكَ أنَّ اللهَ) معناه: ألـم ترَ أنَّ اللهَ[٢].

وقال بعضُهم: أصلُه: ويلَكَ، قال:

وَيْـــكَ عنـــتَرَ أقـــدِمِ[٣]

وهذا مُزيَّفٌ عندَ النُّحاةِ[٤].

الضَّحَّاكُ: الياءُ والكافُ صلةٌ، وتقديرُه: وأنَّ اللهَ، وهذا قولٌ كما ترى[٥].

محمدُ بنُ جريرٍ: ﴿وَيْكَأَنَّ﴾ بمجموعِها كلمةٌ بمعنى: أَلَـمْ تعلَمْ أَلَـمْ تَرَ[٦].

= قلت: فهو مخالف لما ذكره أبو حيان في الكافَ، كما أن المصنف في «البرهان» ضعف كون أصل «ويك»: ويلك.

(١) البيت لامرأة من بني عبد ود مـن بني عذرة قالته في ابنها بعدما قتل. انظر: «بلاغات النساء» (ص: ١٧٦)، و«تعليق من أمالي ابن دريد» (ص: ١٢٧)، وذكر ابن عبد ربه في «العقد» (٣/ ٢١٧) قصة أخرى له، وفيه: «تلك» بدل «ويك».

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (١٨/ ٣٣٩) عن قتادة ورجحه على جميع الأقوال، وذكر الثعلبي في «تفسيره» (٢٠/ ٥١٣) عن مؤرج قوله: «هي تعجيب».

(٣) انظر: «ديوان عنترة» (ص: ٨٣)، و«شرح المعلقات السبع» للزوزني (ص: ١٥٢)، و«شرح القصائد العشر» للتبريزي (ص: ٢٤٩)، وتمامه:

ولقد شَـفَى نَفْسِـي وأبرأ سُقْمَها قِـيلُ الفَوارِسِ وَيْـكَ عَنْتَرَ أقدمِ

(٤) ذكره الفراء احتمالاً، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٨٧٥)، واستغربه، وفي «البرهان» وضعفه كما ذكرنا قريباً.

(٥) ذكـره المصنـف فـي «غرائـب التفسـير» (٢/ ٨٧٥)، وعدَّه مـن العجائب، وقال: «وهـذا كلام جد عجيب».

وفي «النكت والعيون» للماوردي (٤/ ٢٧٠) عن الضحاك أن المعنى: «ولكن الله» بلغة حمير.

(٦) انظر: «تفسير الطبري» (١٨/ ٣٤١).

ولعلَّه أرادَ: كلمةٌ واحدةٌ في الخطِّ، وأمَّا في المعنى فهو قولُ الأخفشِ.

﴿لَوۡلَآ أَن مَّنَّ ٱللَّهُ عَلَيۡنَا﴾ فلم يُعطِنا ما تمنَّينا[1] منَ المالِ ﴿لَخَسَفَ بِنَاۖ وَيۡكَأَنَّهُۥ لَا يُفۡلِحُ ٱلۡكَٰفِرُونَ﴾.

* * *

(٨٣) ـ ﴿تِلۡكَ ٱلدَّارُ ٱلۡأٓخِرَةُ نَجۡعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوّٗا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فَسَادٗاۚ وَٱلۡعَٰقِبَةُ لِلۡمُتَّقِينَ﴾.

﴿تِلۡكَ ٱلدَّارُ ٱلۡأٓخِرَةُ﴾ يريدُ: نعيمَ دارِ الآخرةِ، وهي الجنَّةُ والبقاءُ فيها سرمدًا.

﴿نَجۡعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوّٗا فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ جُعِلَ الدَّارُ لمن أُثيبَ، ولم تُجعَلْ لمَن عُوقِبَ فيها؛ لأنَّ مَن كان في النَّعيمِ فالدَّارُ له، ومَن كان في الجحيمِ فالدَّارُ عليه.

ومعنى ﴿عُلُوّٗا فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾؛ أي: على النَّاسِ ﴿وَلَا فَسَادٗا﴾: ظُلمًا.

﴿وَٱلۡعَٰقِبَةُ﴾؛ أي: المحمودةُ الجميلةُ ﴿لِلۡمُتَّقِينَ﴾، وما ليس بمحمودةٍ جميلةٍ فليس بعاقبةٍ.

* * *

(٨٤) ـ ﴿مَن جَآءَ بِٱلۡحَسَنَةِ فَلَهُۥ خَيۡرٞ مِّنۡهَاۖ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجۡزَى ٱلَّذِينَ عَمِلُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ إِلَّا مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ﴾.

﴿مَن جَآءَ بِٱلۡحَسَنَةِ فَلَهُۥ خَيۡرٞ مِّنۡهَاۖ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجۡزَى ٱلَّذِينَ عَمِلُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ إِلَّا مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ﴾ سبق في (النَّملِ).

وقيل: ليس المُرادُ به أنَّه يُفعَلُ به مثلُ فعلِه، بل إنْ كان مُحسِنًا جُوزِيَ بالإحسانِ، وإنْ كان مُسيئًا فبالإساةِ؛ يعني: مثلَه من جنسِه منَ الإحسانِ والإساءةِ.

---

(١) في (ف): «تمنيناه».

(٨٥) ـ ﴿إِنَّ ٱلَّذِى فَرَضَ عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لَرَآدُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍۚ قُل رَّبِّىٓ أَعْلَمُ مَن جَآءَ بِٱلْهُدَىٰ وَمَنْ هُوَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾.

﴿إِنَّ ٱلَّذِى فَرَضَ عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ﴾ قال مُقاتلٌ: خرجَ النَّبيُّ ﷺ من الغارِ ليلًا مُهاجرًا من وجهِه ذلك إلى المدينةِ، فسار في غير الطَّريقِ مخافةَ الطَّلبِ، فلمَّا أمنَ ورجعَ إلى الطَّريقِ نزلَ الجُحْفةَ بين مكَّةَ والمدينةِ، وعرفَ الطَّريقَ إلى مكّةَ فاشتاقَ إليها، وذكرَ مولدَه ومولدَ آبائِه، فأتاه جبريلُ فقال: اشتقتَ إلى بلدِك ومولدِك؟ قال: نعم، قال: فإنَّ الله يقولُ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِى فَرَضَ عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لَرَآدُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ﴾؛ أي: إلى مكّةَ ظاهرًا عليها، فنزلتِ الآيةُ بالجُحْفةِ لا بمكّةَ ولا بالمدينةِ(١).

ومعنى ﴿فَرَضَ عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ﴾: أنزلَه عليك وألزمَكَ العملَ به.

وقيل: بيَّنَه، من فروضِ القِداحِ، ومعنى ﴿عَلَيْكَ﴾ على هذا القولِ: على لسانِك.

وقيل: أعطاكَه.

وقيل: حمَّلَك إبلاغَه.

ويحتمِلُ: أنزلَه نجمًا نجمًا.

﴿لَرَآدُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ﴾: مكَّةَ، فأنجزَ وعدَه، وفتحَ له مكَّةَ، فصار إحدى مُعجِزاتِه ﷺ، فـ(المعادُ) منَ العادةِ؛ أي: إلى حيثُ اعتدتَه، وليس منَ العودِ.

وقيل: بلدُ الإنسانِ مَعادُه؛ لأنَّه يتصرَّفُ في البلادِ ثمَّ يعودُ إليه.

وقيل: (معادٌ) اسمُ مكّةَ.

وقيل: المَعادُ: الجنَّةُ، وكان فيها ليلةَ المعراجِ.

وقيل: كان فيها مع آدمَ في صلبِه.

---

(١) انظر: «تفسير مقاتل» (٣/ ٣٥٩).

وقيل: (عاد) قد يُستعمَلُ للشَّيءِ ابتداءً، كما تقولُ: يُعادُ إلى الحاكمِ في مثلِ هذا، وقد سبق.

وقيل: ﴿إِلَىٰ مَعَادٍ﴾: القيامةِ، وهي معادُ كلِّ خلقٍ.

وقيل: الموتِ، وهو أيضًا مَعادُ الخلقِ ومصيرُهم.

وقيل: بيتِ المقدسِ، ولا أعرفُ له وجهًا.

وقيل: ﴿لَرَآدُّكَ﴾: لمُصيِّرُكَ إلى أن تعودَ إلى مكَّةَ مفتوحةً لك.

﴿قُل رَّبِّيٓ أَعْلَمُ مَن جَآءَ بِٱلْهُدَىٰ﴾ فقد جئتَهم بالهدى.

﴿وَمَنْ هُوَ فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ هو مَن كذَّبَك من قومِك.

و﴿مَن﴾ يجوزُ أن يكونَ محلُّه نصبًا بفعلٍ مُضمرٍ؛ أي: يعلَمُ مَن، ويجوزُ أن يكونَ رفعًا بالابتداءِ، والفعلُ مُعلَّقٌ.

* * *

(٨٦) ـ ﴿وَمَا كُنتَ تَرْجُوٓاْ أَن يُلْقَىٰٓ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبُ إِلَّا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ۖ فَلَا تَكُونَنَّ ظَهِيرًا لِّلْكَٰفِرِينَ﴾.

﴿وَمَا كُنتَ تَرْجُوٓاْ أَن يُلْقَىٰٓ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبُ﴾؛ أي: سيُفتَحُ لك كما أُلقيَ إليك الكتابُ، يُريدُ قولَه: ﴿لَرَآدُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ﴾.

وقيل: ما كنتَ ترجو أن يُلقَى إليك القرآنُ.

وقيل: مُتَّصلٌ بقولِه: ﴿إِنَّ ٱلَّذِى فَرَضَ عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ ... وَمَا كُنتَ تَرْجُوٓاْ أَن يُلْقَىٰٓ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبُ إِلَّا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ﴾ لكنْ أنزلَه رحمةً ونعمةً عليك.

﴿فَلَا تَكُونَنَّ ظَهِيرًا لِّلْكَٰفِرِينَ﴾ لِمَا ترى من ضَعفِك في الحالِ وقوَّتِهم.

وقيل: لا تكُنْ بينَ ظهرانيهم، وهذا أمرٌ بالهجرةِ(١).

***

(٨٧) ـ ﴿وَلَا يَصُدُّنَّكَ عَنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بَعْدَ إِذْ أُنزِلَتْ إِلَيْكَ وَٱدْعُ إِلَىٰ رَبِّكَ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾.

﴿وَلَا يَصُدُّنَّكَ عَنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ﴾ عن العملِ بآياتِ الله ﴿بَعْدَ إِذْ أُنزِلَتْ إِلَيْكَ وَٱدْعُ إِلَىٰ رَبِّكَ﴾: إلى عبادةِ ربِّك ﴿وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾.

***

(٨٨) ـ ﴿وَلَا تَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ لَهُ ٱلْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾.

﴿وَلَا تَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ﴾ الخطابُ للنَّبيِّ والمُرادُ به غيرُه.

﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ﴾: إلا إيّاه، والوجهُ صلةٌ.

وقيل: إلا مُلكَه.

وقيل: إلّا ما أُريدَ به وجهُه منَ الأعمالِ، قال:

أستغفرُ اللهَ ذنبًا لستُ مُحصِيَه ... ربَّ العبادِ إليه الوجهُ والعملُ(٢)

مُجاهدٌ والسُّدِّيُّ: كلُّ شيءٍ هالكٌ بالموتِ إلّا العلماءَ؛ فإنَّ علمَهم باقٍ(٣).

---

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٨٧٦)، واستغربه.

(٢) البيت بلا نسبة في «الكتاب» (١/ ٣٧)، و«معاني القرآن» للفراء (٢/ ٣١٤)، و«أدب الكاتب» لابن قتيبة (ص: ٥٢٤)، و«المقتضب» للمبرد (٢/ ٣٢١).

(٣) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٤/ ٢٧٣) عن مجاهد، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٨٧٦) عن مجاهد والسدي، واستغربه.

الضَّحَّاكُ: كلُّ شيءٍ هالكٌ إلَّا اللهَ والعرشَ والجنَّةَ والنّارَ[1].

﴿لَهُ ٱلْحُكْمُ﴾: القضاءُ في خلقِه.

وقيل: ﴿لَهُ ٱلْحُكْمُ﴾ يومَ القيامةِ لا يَحكمُ فيه غيرُه.

﴿وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾: إلى ثوابِه أو عقابِه، فيُجازيكم جزاءً وِفاقًا. والله أعلمُ.

* * *

(١) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٢٠/ ٥٢٤)، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٨٧٦)، واستغربه.